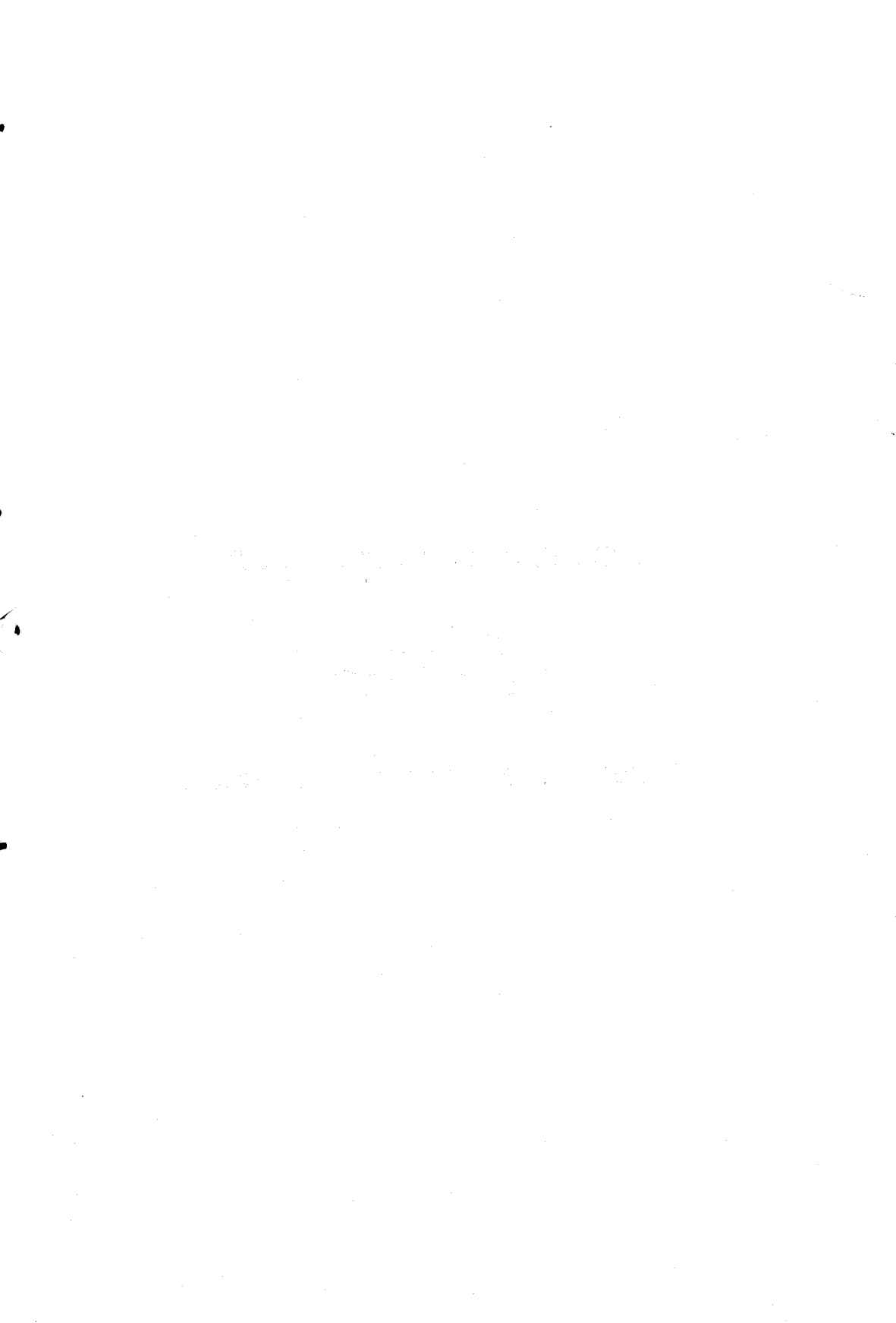


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة البحوث:

الحمد لله رب العالمين الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد

فقد أنعم الله على البشرية كافة بهذا الدين الخالد الخاتم الذي ربط المخلوق بالخالق معرفة وانقيادا وتسليما، كما ربط الدنيا بالآخرة والعلم بالعمل في توازن وتكامل تام، وحث على التعلم والنظر ورفع من قدر العلماء، وكان أول ما نزل منه الأمر بالقراءة (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق)، وقال تعالى: (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)، وقال سبحانه (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء)، ولأهمية العلم لم يأمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة من شيء سواه فأمره أن يقول: (رب زدني علما)، وأمره أمر لأمته.

وقال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الإمام أحمد و الترمذي وأبو داود وابن ماجه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه:- (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيْسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطَّةٍ وَأَقْرَبَ).

ويكفي أن الله قرن شهادة العلماء بوحدانيته بشهادته وشهادة ملائكته، فقال: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم)، وهذا يدل على فضل العلم وأهله

من وجوه

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

الثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

الثالث: اقترانها بشهادة الملائكة.

الرابع: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول<sup>١</sup>.

أما المستكبرون الذين لا يذعنون للحق ولا يوصلهم العلم إلى المعرفة فمبعدون من هذه الشهادة، ولذلك قال فيهم: (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) ونبه على ذلك بقوله: (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

ولهذه الأوامر أعطى المسلمون للعلم عناية واسعة، ورفعوا من شأن أهله الذين جردوا أنفسهم للبحث والنظر، ولأهميته اعتبره الإسلام أفضل من نوافل العبادات<sup>٢</sup> ولذلك اتسعت صدور المسلمين لعلوم جميع الحضارات وترجموا ما توصلت إليه من نتائج

ثم أضافوا إليها ما تفتحت عنه قرائحهم المستتيرة بتوجيهات القرآن والسنة، وبذلك أخرجوا للدين علماء أجلاء لا زالت بصماتهم باقية على المعارف إلى اليوم أمثال:

ابن الهيثم

ابن سينا

الرازي

والفارابي، الذي سجل الباحثون أنه سبق آنشتاين إلى بعض النظريات في نطاق نظريته في النسبية<sup>٣</sup>

١ راجع: مفتاح دار السعادة ٤٨/١.

٢ وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير يقول: فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع. انظر تفسير قوله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة في تفسير الإمام الطبري.

٣ انظر الموسوعة الإسلامية العربية (٩) للأستاذ أنور الجندي - الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتماؤها ص ١٨٨-١٩٢.



وليس هذا قاصرا على علوم معينة بل شمل ذلك جوانب المعرفة المختلفة فابن رشد وابن حزم سبقا (كانت) إلى نظرية المعرفة، فابن حزم هو الذي يقول: لا يجوز لمن لا يمكن أدوات الاجتهاد والعقل أن يقلدوا إماما في كل ما يقول أو كل ما قال وقرر من غير ترجيح دليل على دليل.

والغزالي واضح نظرية علم النفس الاجتماعي، وقد فسر مظاهر سلوك الإنسان بأربعة دوافع أساسية (شهوة الطعام، والجنس، والمال، والجاه) واعتبر الاعتدال هو الميزان الصحيح لجميع أنواع السلوك، وأن الإفراط في جانب هو سبب من أسباب الأمراض النفسية ووضع لها البراهين والقوانين، وتبناها القديس توما الأكويني في الدفاع عن المسيحية دون أن يذكر سبق الغزالي، وابن رشد إلى ذلك، يقول الأستاذ أنور الجندي - رحمه الله: وكل ما فعله توماس الأكويني أنه أخذ آراء ابن رشد بحذافيرها فنسبها لنفسه.

كما سبق ابن خلدون إلى نظريات: علم الاجتماع، وعلوم التاريخ، والاقتصاد السياسي، وحلل الظواهر الاجتماعية والعمرائية على أسس علمية وبراهين منطقية استقرائية، وكل من جاء بعده عالية عليه في هذا.

وكان لذلك العلم أثره الإيجابي على الناس كافة، بل تركت تلك الاكتشافات بصماتها الإسلامية العربية واضحة على بعض المسميات الطبية إلى اليوم رغم محاولة إخفاء ذلك: يقول روجيه الجارودي: (إن الغرب لديه - منذ مطلع عهد الرأسمالية والاستعمار- الإصرار متصاعدا على تجاهل كل حضارة ذات أصل غير أوروبي)٤.

وقد بلغ علماء المسلمين كل ذلك مع محافظتهم على دينهم دون أن يجدوا تعارضا بين العلم والدين ثم قدموا خلاصة نتائج بحوثهم تلك إلى البشرية كافة دون من ولا أذى وقد اعترف بذلك الباحثون المنصفون من الغرب الذين لا يخضعون لأي مؤثر. ومن أراد أن يبحر في هذا الشأن تفصيلا وتأصيلا فليراجع ذلك السفر الكبير الذي كتبه د/فؤاد سيزكين، فقد بلغ ما كتبه أكثر من خمسة وعشرين مجلدا تضمنت إسهام المسلمين في شتى العلوم.

لكن عندما تقاعس المسلمون عن الريادة العلمية وتقدم غيرهم تحول البحث العلمي إلى وسيلة للسيطرة والمتجارة وإفساد الحرث والنسل وفقد العالم بذلك خيرا كثيرا..

وقد آن الأوان لأن تدرك الدنيا بأسرها أن العلم ونتائجه التي خباها الله في الكون والأنفس هي ملك له تعالى وإنما دور الإنسان فيها أن يبحث ويكتشف ويستخدم ما توصل إليه فيما ينفع الناس ويعين على الاستخلاف في الأرض (ولا تعثوا في الأرض مفسدين)، فيصرف جهده فيما يشفي المريض ويطعم الجائع ويريح الإنسان ويسعده ويعينه على عبادة خالق الأرض والسماء، ولذا سخر الله للإنسان السموات والأرض. وما بينهما ليجتد ويكتشف، فالإنسان لا يتغلب ولا يسيطر، ولم يؤت علما من عنده، ووصفه بذلك كبر وغرور، وجهل بالحقائق، قال تعالى: (الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار)، ومن لم يدرك ذلك لا محالة سيصبح العلم وبالا عليه كما وقع لمن قبله، قال تعالى: (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وأتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين\* وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين\* قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون)..

ولهذا المؤتمر (قصة) أسجلها للأيام أذكرها لتكون ذكرى لمن وفق للخير ودعى له: فقد دعيت لإلقاء محاضرة في الموسم الثقافي لجائزة دبي العالمية للقرآن الكريم وأثناء تلك الزيارة دعينا للإفطار على مائدة سمو الشيخ محمد بن راشد ولي عهد دبي وزير الدفاع وجرى الحديث عن برهان القرآن وإعجازه ودلائله التي تجلت في عصر العلم وسر الشيخ بها سروراً بالغاً ثم قال لي ماذا يمكنني أن أقوم به

لخدمة هذا الشأن الكبير قلت له لعل سموكم أن يدعم المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي فما كان منه إلا أن بادر مشكوراً وأحال هذا الشأن للأستاذ الفاضل الأخ العزيز الأستاذ / إبراهيم محمد بوملحه النائب العام: ولقد قام هذا الشيخ الفاضل بهذه المهمة ومعه كوكبة من شباب دبي الذين جمع الله لهم بين القدرة وحسن الخلق وتضافرت جهود هؤلاء الأكارم مع كوكبة أخرى من إخوان لهم في المملكة العربية السعودية فقد كونا في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة مجموعة أخرى للقيام بالإعداد لهذا المؤتمر وما يتطلبه ذلك من أعمال علمية ومهام ألقنها هؤلاء العلماء من خلال المؤتمرات السابقة وتضافرت الجهود وبذل المجهود وآتت هذه الأعمال مجتمعة هذه الثمار التي تجدها أخي القارئ في ثنايا هذه الأبحاث: والحمد لله فهذه الأمة أمة ولود معطاء يرث الفضل والمجد فيها الأبناء عن الآباء وتمتد عبر الزمن لتبقى حجة الله على خلقه جلية ظاهرة، وسلطان حجته سامقاً متعالياً ما إن يخالط بشاشة القلوب حتى تستجيب لأمر ربها معلنة أن الحق أحق أن يتبع ولن تستطيع قوى الشر أن تخترق عقلاً صانه الله بالقرآن ولا أن تستلب قلباً أنارته بوارق القرآن وعلى الأمة أن تحتمي لدينها بحماه وأن تستظل من لهب الشبهات والشوائب بظلاله الوارفة عندها تكون هادية مهدية سالمة مرضية: والهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة هي الدوحة الجامعة التي تداعى إليها سائر من اهتم بهذه القضية في آفاق الأرض جمعتهم مكة المكرمة وتلاقوا في أروقة رابطة العالم الإسلامي وخرجوا جميعاً بهذه الصيغة لتكون هي الضابط لهذه المسيرة والمنظم لهذه القضية واجتمع عليها أعلام هذا العلم من المشارق والمغارب، وكان من أهم ما تلاقوا عليه في رمضان عام ١٤٢٤هـ أن يبرزوا هذه الحجة وأن يظهروا هذا البرهان وفق ضوابط تعصم الأمة من الزلل والقول على كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا علم، واعتمدوا في ذلك ما وضعه علماء التفسير والأصول والحديث وللعلم فإن الهيئة قد صنفت في هذا الخصوص كتابين هما: (التأصيل والضوابط) لتضعهما بين يدي المهتمين بهذا الجانب حتى تكون إسهامات إخوتنا الباحثين محققة ما نأمله جميعاً إن شاء الله تعالى.

## أما بحوث هذا المؤتمر فقد شملت المحاور الآتية :

**المحور الأول :** العلوم الطبية، وفيه: الأبحاث التطبيقية، التشريح والأجنة، وظائف الأعضاء.

**المحور الثاني :** الإعجاز التشريعي.

**المحور الثالث :** علوم الأرض.

**المحور الرابع :** علوم الفلك والارصاد.

**المحور الخامس :** البشارات.

**المحور السادس :** علوم النبات والحيوان.

**المحور السابع :** علوم الحياة.

وبلغت هذه البحوث (٧٢) اثنين وسبعين بحثاً.

والهيئة بهذه المناسبة تدعو جميع الباحثين إلى مزيد من التأمل في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم مع النظر والبحث العلمي النزيه في هذا الكون المليئ بالإسرار والمعائب التي يصل إلى مكوناتها من وفقه الله فبذل جهده للكشف عنها، قال تعالى: (قل انظروا ما ذا في السماوات والأرض)، وقال تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق).

فهللوا على بركة الله لنقدم للبشرية المزيد في كافة المجالات العلمية النافعة ولا يفتني هنا أن أقدم خالص الشكر والتقدير وصادق الامتتان والعرفان بإسمي وباسم هذه الهيئة المباركة لكل من أسهم في أنجاح هذا المؤتمر وأثراه ببحث أو مناقشة أو فكرة أو دعم وخاصة أولئك العلماء الباحثون والمناقشون والمحكمون ممن أثروا هذه الجلسات بمعين علمهم وثاقب فكرهم.

ونخص بالشكر كلا من :

- سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد إمارة دبي ووزير الدفاع بدولة الإمارات العربية المتحدة .
- سعادة الأستاذ إبراهيم محمد بوملحه النائب العام في دبي.

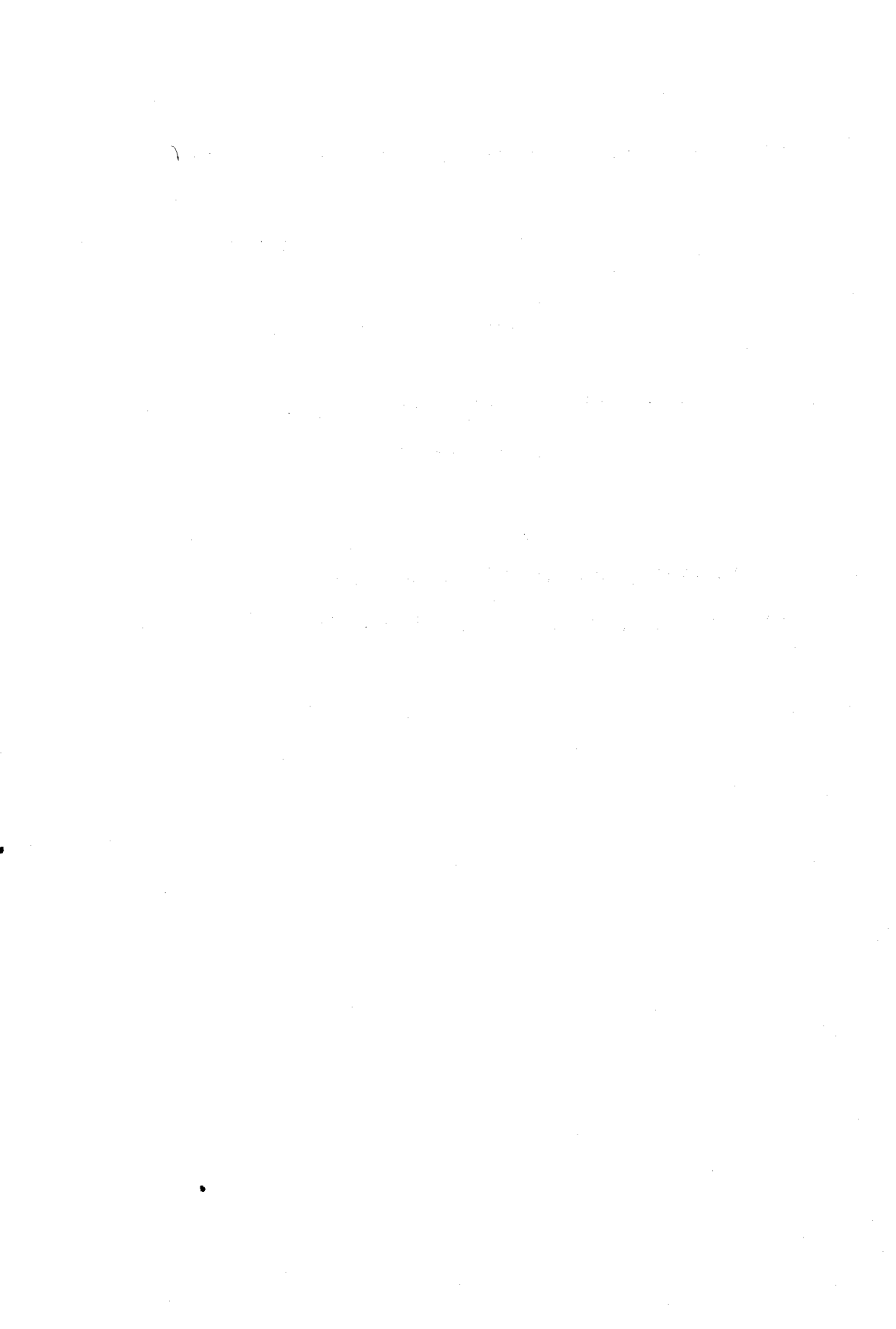
وجزاكم الله عنا جميعا خير الجزاء

والله تعالى نسأله أن يجعل أعمالها وإياكم خالصة صوابا نافعة  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

**الدكتور عبد الله بن عبد العزيز المصلح**

الأمين العام للهيئة العالمية للأعجاز العلمي في القرآن والسنة



## جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم

أنشئت جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم في عام ١٤١٨ هـ الموافق عام ١٩٩٨م برعاية الفريق أول سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي وزير الدفاع، وتهدف إلى خدمة كتاب الله عز وجل والارتقاء بالمستوى العام لحفظة القرآن من خلال تحفيز الأجيال الناشئة على الالتزام بدينها وإدراك واجباتها تجاه عقيدتها ورسالتها الإسلامية وإيجاد روح التنافس في مجال حفظ القرآن الكريم وتكريم المتميزين من حفظته وتأكيد القيم الإسلامية وأهمية دورها في حياة الفرد والجماعة وكذلك تكريم الشخصيات من علماء ومفكرين وجهات أو مؤسسات قامت بخدمة الإسلام والمسلمين في العام بشكل متميز.

### وتتفرع من جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عدة فروع هي

- **المسابقة الدولية للقرآن الكريم:** ويشارك فيها متسابقون يمثلون الدول العربية والإسلامية والجاليات الإسلامية في العام، ويصل عدد المشاركين إلى ٨٠ مشاركاً وقد اختتمت ست دورات وهذا العام تتطلق فعاليات الدورة السابعة.
- **تكريم الشخصية الإسلامية:** وهو أحد الفروع الرئيسية للجائزة يتم من خلالها اختيار شخصية إسلامية بارزة من الأفراد أو المؤسسات الإسلامية خدمت للإسلام والمسلمين.
- **المسابقة المحلية للقرآن الكريم:** وهي خاصة بالمقيمين على أرض الدولة من المواطنين والوفدين ذكوراً وإناثاً.
- **برنامج المحاضرات:** يشارك في هذه المحاضرات في بداية شهر رمضان المبارك من كل عام نخبة من العلماء والمفكرين الإسلاميين والدعاة المعروفين على مستوى العالم الإسلامي يلقون محاضراتهم للرجال والنساء بواقع ليلتين لكل محاضر.

- **برنامج تحفيظ القرآن في السجون:** ويهدف هذا البرنامج إلى خدمة كتاب الله وتحويل السجون إلى مؤسسات إصلاحية يربط السجين بكتاب الله وتخفيف العقوبة عن نزلاء ونزيلات السجون بدبي على قدر حفظهم من الأجزاء.
- **برنامج الإشراف على مراكز تحفيظ القرآن بدبي:** وتقوم الجائزة من خلاله بالإشراف على مراكز التحفيظ الموجودة في إمارة دبي.
- **برنامج تكريم الحفظة من المواطنين:** ويهدف إلى تشجيع المواطنين ذكوراً وإناًة على حفظ كتاب الله ويمنح البرنامج جميع المواطنين من مختلف الأعمار ممن يحفظون القرآن الكريم مكافأة مالية تشجيعاً لهم على الحفظ.
- **مركز الدراسات القرآنية:** ويعنى المركز ببحث ودراسة ونشر العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم وتتبع المركز وحدة الدراسات والنشر ووحدة البرامج والأنشطة.

### وفيما يلي أسماء الشخصيات التي كرمت خلال الدورات السابقة

- فضيلة الشيخ/ محمد متولي الشعراوي (الدورة الأولى) ١٤١٨ هـ
- فضيلة الشيخ/ أبو الحسن الندوي (الدورة الثانية) ١٤١٩ هـ
- صاحب السمو الشيخ/ زايد بن سلطان آل نهيان (الدورة الثالثة) ١٤٢٠ هـ  
رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة
- الدكتور/ يوسف القرضاوي (الدورة الرابعة) ١٤٢١ هـ
- الرئيس/ علي عزت بيجوفيتش (الدورة الخامسة) ١٤٢٢ هـ
- الدكتور/ عبدالله بن عبد المحسن التركي (الدورة السادسة) ١٤٢٣ هـ
- جامعة الأزهر- مصر (الدورة السابعة) ١٤٢٤ هـ



# هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة إحدى هيئات رابطة العالم الإسلامي ذات شخصية اعتبارية مستقلة : تسعى لإظهار أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والعمل على نشرها أنشئت بقرار من المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته السادسة لعام ١٤٠٤ هـ .

## الأهداف والوسائل

- ١) وضع الأسس و القواعد التي تضبط الاجتهاد في بيان الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- ٢) الكشف عن دقائق معاني الآيات في كتاب الله والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالعلوم الكونية في ضوء أصول التفسير ووجوه الدلالة اللغوية ومقاصد الشريعة الإسلامية دون تكلف.
- ٣) ربط العلوم الكونية بالحقائق الإيمانية، وإدخال مضامين الأبحاث المعتمدة في مناهج التعليم في شتى مؤسساته ومراحله.
- ٤) الإسهام في إعداد علماء وباحثين لدراسة المسائل العلمية، والحقائق الكونية : في ضوء ما ثبت في القرآن والسنة.
- ٥) توجيه برامج الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لتصبح وسيلة من وسائل الدعوة.
- ٦) تنسيق الجهود المبذولة في العالم في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والتعاون مع المؤسسات والمراكز ذات الاختصاص.

## الوسائل

- تقوم الهيئة باستخدام الوسائل التي تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، ومنها :
- ١ - وضع معايير تقويم الأبحاث المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
  - ٢ - دراسة الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، المتعلقة بموضوعات الإعجاز العلمي.

- ٣ - دراسة بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والتدقيق فيها من الناحية الشرعية والكونية وإجازة ما يصلح منها.
- ٤ - تشجيع البحث الفردي، والجماعي : في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- ٥ - تنسيق جهود الباحثين العاملين في مجال الإعجاز العلمي .
- ٦ - تتبع ما يتوصل إليه العلماء في المجالات الكونية، وما يكتبون، وما ينشرون : من قضايا علمية تتصل بالقرآن والسنة، ودراستها، وتقويمها .
- ٧ - توثيق الصلة بالمختصين بالمختصين في العلوم الإسلامية والكونية من المسلمين وغيرهم.
- ٨ - الاتصال بالهيئات ذات التخصص في العلوم الإسلامية والكونية، وتبادل المعلومات .
- ٩ - إصدار كتب ودوريات تهتم بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة وتوزيعها على المهتمين والراغبين في العالم.
- ١٠ - عقد المؤتمرات والندوات وحلقات البحث المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ونشر أبحاثها والمشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية الأخرى ذات الصلة.
- ١١ - نشر البحوث المعتمدة بأساليب تناسب مستويات الناس العلمية والثقافية، وترجمتها إلى مختلف اللغات.
- ١٢ - إمداد الدعاة والإعلاميين في العالم - أفراداً ومؤسسات - بالأبحاث المعتمدة للانتفاع منها كل في مجاله .
- ١٣ - التعاون مع المؤسسات التعليمية، والهيئات العلمية المختصة، وعقد الاجتماعات واللقاءات بين العاملين بموضوع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- ١٤ - السعي لدى المسؤولين عن التعليم الخاص والعام في المؤسسات التعليمية والمنظمات الإسلامية المهمة بالعلوم والثقافة : لإدخال الأبحاث المعتمدة لدى الهيئة ضمن المناهج التعليمية في مراحل الدراسة المناسبة.
- ١٥ - حث الجامعات على إتاحة الفرص والتشجيع على التسجيل في الدراسات العليا، وتقديم المنح الدراسية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

## أبرز الإنجازات

### أولاً : في مجال المؤتمرات والندوات العلمية :

- ١- المؤتمر العالمي عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بإسلام آباد في باكستان ١٤٠٨ هـ.
- ٢- مؤتمر القاهرة للإعجاز الطبي في القرآن والسنة في مصر ١٤٠٩ هـ.
- ٣- ندوة عن الإعجاز الطبي في الصيام ١٤١١ هـ.
- ٤- مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بديكار . السنغال في ١٤١٢ هـ.
- ٥- المؤتمر العالمي عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بموسكو في روسيا ١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م.
- ٦- المؤتمر العالمي عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في باندونغ بأندونيسيا ١٤١٥ هـ.
- ٧- الندوة الدولية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في نواكشوط بموريتانيا في الفترة من ١٠-١٢/٣/١٤١٩ هـ.
- ٨- المؤتمر العالمي حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في بيروت . لبنان ١٤٢١ هـ.
- ٩- المشاركة في الندوة العالمية لطب الأعشاب التي عقدت بمستشفى الملك فهد بجدة في الفترة من ١٥-١٨/١١/١٤١٧ هـ.

### ثانياً : في مجال البحوث والإصدارات :

تتضمن البحوث والإصدارات مواضيع إعجازية كثيرة وشيقة، في الآفاق والأنفس وتشمل الكتب المطبوعة وإصدار مجلة الإعجاز العلمي وإنتاج أشرطة فيديو وأقراص كمبيوتر مدمجة وهذا بيان بأهم إصدارات الهيئة :

#### ١- الكتب :

- ١- انه الحق ( باللغتين العربية والإنجليزية ) .
- ٢- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .
- ٣- من أوجه الإعجاز العلمي في مجال العدوى والطب الوقائي .
- ٤- من أوجه الإعجاز العلمي في عالم النحل .
- ٥- من أوجه الإعجاز العلمي في اللبن ومكوناته .
- ٦- من أوجه الإعجاز العلمي في حديث : الحبة السوداء شفاء من كل داء .
- ٧- علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة (باللغتين العربية والإنجليزية) .
- ٨- مشاريع البحوث الطبية (باللغتين العربية والإنجليزية) .

- ٩- المفهوم الجيولوجي للجيال في القرآن والسنة (بالإنجليزية).
- ١٠- إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح، السحاب، المطر.
- ١١- الصيام معجزة علمية.
- ١٢- الخمر داء وليست بدواء.
- ١٣- من أوجه الإعجاز العلمي في الارتفاعات العالية والإحساس بالألم.
- ١٤- الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم.
- ١٥- من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار.
- ١٦- الإعجاز العلمي في الناصية.
- ١٧- المصعب والحواجز بين البحار في القرآن الكريم.
- ١٨- الاستشفاء بالصلاة.
- ١٩- (أفرأيت النار التي تورون).
- ٢٠- من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم النبات.
- ٢١- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة... تاريخه وضوابطه.

## ٢- مجلة الإعجاز العلمي :

صدر العدد الأول من المجلة عام ١٤١٦هـ وقد انتظم صدور المجلة ابتداء من العدد الرابع وهي وقد صدر منها حتى الآن ثلاثة عشر عدداً، وتصدر في السنة ثلاثة أعداد، ويطبع منها ٢٥ ألف نسخة يوزع منها داخل المملكة خمسة عشر ألفاً والباقي يوزع في عدد من الدول العربية، وبلغ عدد المشتركين في المجلة أكثر من ألفي مشترك. وللمجلة - بحمد الله - قبول وجمهور كبير داخل المملكة وخارجها وأصدرت الهيئة قرصاً مدمجاً (cd) يحتوي على الأعداد الستة الأولى من المجلة.

## ٣- الأشرطة : أصدرت الهيئة عدة أشرطة فيديو :

- ١- شريط فيديو بعنوان ( انه الحق ) باللغات الآتية :
    - ١- العربية ، ٢- الإنجليزية ، ٣- الفرنسية ، ٤- الأردية ، ٥- التركية
  - ٢- شريط فيديو حول وقائع المؤتمر العالمي للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بموسكو - روسيا.
  - ٣- شريط فيديو حول وقائع المؤتمر العالمي للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في بيروت - لبنان.
- وهناك مجموعة من المحاضرات في مواضيع مختلفة.

### ثالثاً : في المجال البحثي :

أنجز الباحثون في الهيئة والمتعاونون معها عدداً من أبحاث الإعجاز العلمي في مواضيع شتى، وتقوم اللجنة العلمية في الهيئة بالعمل على إخراج موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وفق ضوابط الإعجاز العلمي وقد انتهت من المرحلة الأولى.

### رابعاً : المحاضرات :

يقوم الباحثون بالهيئة والمتعاونون معها بإلقاء المحاضرات في الجامعات والمدارس الثانوية والمراكز الثقافية في المملكة وخارجها.

### خامساً : المكاتب الفرعية للهيئة :

يوجد للهيئة مكتبان فاعلان الأول في جدة والثاني في القاهرة، يقوم كل منهما بجانب من أنشطة الهيئة.

### سادساً : موقع الهيئة على الإنترنت :

أنشأت الهيئة موقعاً متكاملاً باللغة العربية والإنجليزية على شبكة الإنترنت وعنوانه :

[www.aleijaz.net](http://www.aleijaz.net)

## أهم مشروعات الهيئة المستقبلية

- ١- إخراج سلسلة من الأفلام العلمية المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- ٢- متابعة الأعمال في موسوعة نصوص الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- ٣- متابعة عقد الندوات حول حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- ٤- التحضير لعقد مؤتمرات عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في أماكن مختلفة من العالم.
- ٥- ترجمة وطباعة الكتب الصادرة من الهيئة باللغة الإنجليزية، وغيرها من اللغات الحية.
- ٦- طباعة عدد من الأبحاث المجازة باللغة العربية وهي حوالي خمسة عشر بحثاً.
- ٧- إنشاء وقف للهيئة لمتابعة أنشطتها ومشاريعها.
- ٨- إنشاء معرض دائم للإعجاز العلمي في مقر هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي.
- ٩- دعم ومتابعة الأبحاث الطبية في المختبرات المعملية على بعض الأعشاب التي ورد ذكرها في الأحاديث النبوية الشريفة بالتعاون من مراكز الأبحاث في الجامعات.



المحور الأول

التشريح والاجنة





# القسم الثالث

## التشريح والاجنة

- (١) القرآن والتركيب التشريحي والوظيفي للمخ البشري.
- (٢) نسبة النوع عند الولادة وكثرة الرجال دون النساء.
- (٣) الإعجاز الطبي في أحاديث الرسول ﷺ عن عجب الذنب.
- (٤) الاستساخ البشري محاذيره وفوائده.
- (٥) تأملات في الآية (وحمله وفضاله ثلاثون شهراً).
- (٦) أصول نشأة الإنسان من معجزات القرآن.
- (٧) حاسة السمع كما ذكرت في القرآن.
- (٨) (وليس الذكر كالأنثى).
- (٩) الإعجاز العلمي في عجب الذنب.
- (١٠) نظرة الإسلام نحو مسألة الاستساخ.



# **القرآن و التركيب التشريحي والوظيفي للمخ البشري**

**د. حسين رضوان البيدي**

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدي المصطفى النبي الأمي الخاتم

## موضوع البحث

التركيب التشريحي والوظيفي للمخ البشري من خلال دراسة متأنية لآيات السمع والبصر والفؤاد في آيات الكتاب المبين

## المقدمة

الحمد لله الذي حجج الألباب بدائع حكمته وخصمت العقول لطائف حججه ، وقطعت عذر الملحدين عجائب صنعته ، وهتفت في أسماع العالمين السن أدلته ، شاهده أنه الله لا إله إلا هو ، أرسل الرسل بالرسالات وكان مسك الختام رسالة الوجود الكاملة الشاملة ومعجزة المعجزات البينة القرآن الكريم ، الذي لو اجتمع جميع من بين أقطاها من جنها وإنسها على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ، وبحكمه منه سبحانه جعله لنا عربياً مبيناً وهذا دليل واضح وبين على شرف اللسان العربي المبين .

وكم للقرآن من عجائب وعطاء في كل مجال لأنه كتاب لا تنقضي عجائبه فها هو يطل علينا في عصر العلم والتقنية بدلائل تقول للعقل المفكر ها هو كتاب الله الوحيد الخالد الباقي محفوظ ليدين به الجميع . وليكون دستوراً للعالمين لمن شاء منهم أن يستقيم .

ولقد دأب أداء الإسلام على مهاجمته من خلال التشكيك في لغة الوحي وقد ذكر ذلك في القرآن الكريم وها هم يعاودون الكرة ولكن في هذه المرة من خلال عملاء لهم من المنتسبين إلى الإسلام فظهرت فتنة العشر الجاهلي وفتنة الآيات الشيطانية ومفهوم النص يريدون بما أن يوحوا لعقول البسطاء الغير راسخين في العلم بأن لغة القرآن أو منطوقة قابل للتغير في الزمان والمكان بل قابل للنقد والإبرام كما هو في أي نص أدبي من إنتاج البشر حتى يخرجوا النص القرآني من جانب الوحي الإلهي إلى جانب الوضع الإنساني بمعنى أن يجعلوه كلام بشر ولكن هيهات لهم أن ينجحوا في ذلك لأن الحق سبحانه وتعالى جعل في كتابه آيات وجعل العقل دليلاً يستطيع أن يصل إلى الحق والحقيقة وهذا العمل دليلاً على ذلك وهذا البحث يحتاج إلى إمعان فكر لأنه بلغة علمية رصينة ونتيجة أبحاث علمية متينة .

ولأن الكمال لله والعجز من شيمة البشر إني أعتذر للقارئ المفكر في قصور قد يجده في سياق البحث ولكن ليكن هذا البحث بداية عمل علمي موسع تشترك فيه مجموعة من العقول الباحثة عن الحقيقة المجاهدة في سبيل إعلاء كلمة الحق بالفكر والعلم ومن غير تعصب أو عصبية ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الفقير إلى الله

د/ حسين رضوان سليمان الليدي

## هدف البحث

أولاً : إثبات إعجاز القرآن الكريم في مجال من أهم مجالات الكون ألا وهو المخ البشري أداة التكليف ومصدر الحضارات والتقدم وقمة الحياة على وجه الأرض.  
ثانياً: إثبات أن القرآن الكريم كتاب الله الوحيد الخالد الباقي محفوظ والعالمي.  
ثالثاً: التوجيه لأبحاث جديدة وكشف أسرار جديدة لم تعرف من خلال دراسة متأنية للآيات الخاصة بهذا المجال رابعاً: تطبيق هذا التوجيه في مجالات بحوث علمية متقدمة.

## مفتاح البحث

تناولت في هذا البحث قضية السمع والفؤاد والبصر والعواطف في الإنسان المكلف كما عرض لها القرآن الكريم ومطابقة ذلك لما وجد العلماء الباحثين في مجال وظائف المخ البشري.  
والبحث مقسم إلى أقسام هي:

- ١- ملخص لمراكز السمع والبصر والعواطف داخل المخ البشري ووظائفها .
- ٢- قسم فيه شرح موسع لأحدث الأبحاث في قضية السمع والبصر والعواطف في مخ الإنسان .
- ٣- تجميع إحصائي للآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر السمع والبصر والفؤاد وكذا بعض الأحاديث النبوية.
- ٤- تجميع لمعاني الكلمات من معاجم اللغة العربية .
- ٥- حصر الظواهر التي أشار إليها رجال التفسير بخصوص قضية السمع والبصر في القرآن.
- ٦- المطابقة بين تلك الظواهر والحقائق العلمية المكتشفة لوظائف المخ البشري.
- ٧- رسم خريطة لأهم مناطق المخ البشري التكليفية .
- ٨- توجيه أبحاث جديدة في مجال وظائف المخ.

ملحوظة :

سيتم التغطية على كل هذه الأقسام في الأجزاء المتتالية لهذا البحث .

## القسم العلمي العقلي

مراكز السمع والبصر والبيان

من الحقائق العلمية المعروفة والتي توصل العلم إليها بدرجة يقينية في العصر الحديث أن في المخ البشري مناطق متخصصة للسمع والبصر والبيان هذه المناطق أو المراكز تقع في قشرة المخ البشري وتتداخل فيما بينها في وحدة وظيفية ونسق بديع يخدم الهدف الذي خلقت من أجله .

وسأستعرض في هذا البحث ملخص لما توصل إليه العلم من أسرار هذا المراكز أو المناطق .

أولاً : مناطق السمع :

هي مناطق تقع يف الفص الصدغي من قشرة المخ وفيها تتم عملية السمع وإدراك السمع ولها إمتدادات متعددة أهمها للخلف ناحية منطقة البيان .

وتصل المعلومات السمعية بواسطة الأذن والتي تعمل كمستقبل لاستقبال الذبذبات الصوتية وإرسالها إلى منطقة السمع في الفص الصدغي لقشرة المخ حيث يتم فيها الإحساس المجرد ثم الإدراك السمعي العاقل .

ثانياً : منطقة البصر :

هي منطقة تقع في الفص الخلفي من القشرة المخية وفيها تتم عملية الإحساس والإدراك البصري العاقل ولها أيضاً إتصالات وإمتدادات لمناطق أخرى أهمها في هذا البحث الإمتداد الذي يتجه ناحية منطقة البيان وتشكل العين أداة نقل المؤثرات البصرية إلى هذه المنطقة المخية حيث يتم فيها الإدراكات البصرية العاقلة .

ومنطقة الإبصار في المخ البشري حظيت بأبحاث متعددة ومتطورة تخضت عن كشف كثيراً من أسرار تلك المنطقة من المخ ومن تلك الأسرار التي عرفت حديثاً أن ترتيب الخلايا وتخصيص الخلايا داخل هذه المنطقة يخضع لنظام مدهل فهناك خلايا متخصصة للإحساس باللون للصورة وأخرى بالظل وثالثة للزوايا ،

وكان الصورة تصل مقطعة إلى عناصرها اللونية والحركية والظلالية ثم تجمع بطريقة مذهلة للتحويل إلى صورة مجسمة ملونة متحركة.

بل أن الأبحاث تشير إلى أسرار أخرى فالصورة داخل مراكز الإبصار ليس إنعكاس مجرد للصورة الخارجية كما نرى في التصوير الفوتوغرافي مثلاً ولكن الصورة تصل على هيئة مجموعة من الصور المتعددة الأغراض والزوايا ومن هذه الصورة الكثيرة يركب المخ أو مراكز البصر داخل قشرة المخ الصورة المطلوبة للإدراك البصري العاقل.

ثالثاً : منطقة البيان :

ولهذه المنطقة ميزة بشرية فريدة وتقع بين منطقة السمع من الأمام ومنطقة البصر من الخلف أي أنها المنطقية المحصورة بين مركز السمع ومركز البصر وتسمى هذه المنطقة بمنطقة "ورنيكا" للبيان نسبة للعالم الألماني الذي اكتشف وظائفها .

وتدمير<sup>(1)</sup> هذه المنطقة يؤدي إلى إنسان أبكم بمعنى أنه يسمع ولا يفهم ما يسمع ويرى ولا يدرك ما يرى فهو لا يستطيع أن يردد لغة مفهومة المعنى سليمة المبنى تخدم قضية البيان البشري المفيد أي أن هذا المريض الذي دمرت فيه هذه المنطقة لن يستطيع أن يبين فهو لا يفهم البيان ولا يفهم لكلامه معنى مناسب للحال المطلوب الرد عليه أو التفاهم به.

قلب المخ

لقد وجد العلماء في قلب المخ أنوية أو مناطق أو مراكز لها علاقة بالعواطف والأحاسيس والغرائز بل ولها علاقة بالذاكرة .

وأعطى العلماء هذه المناطق أسماء وفقاً لشكلها أو وظائفها فسميت أحدهما باللويزة لأنها تشبه اللوزة والأخرى بحصان البحر لأنها تشبه حصان البحر والثالثة بالذنار لما لها من شبه به وهكذا.....

ودارت الأبحاث الجادة والمضنية لكشف أسرار هذه المناطق واستخدم فيها الحيوان والإنسان تحت ظروف وأحوال فانكشفت حقائق مذهلة فلقد وجد العلماء أن قلب المخ يحمل مناطق مسئولة عن الإحساس بالألم وعن الشعور بالخوف والفرح والجنس والغضب بل ووجدوا أن بعض المناطق تتحكم في بعض أنواع الذاكرة .

وملخص وظائف هذه المناطق:

- ١- اللوزة : له تأثير في التحكم في الإستجابات العدوانية .
  - ٢- حصان البحر : له علاقة واضحة وهامة بتخزين الذاكرة ويبدو أن له علاقة بتكامل تذكر الأحداث القريبة .
  - ٣- الحاجز : له علاقة بالإنفعال .
  - ٤- الميهاد : مصب الأحاسيس وله علاقة بالأحاسيس بالألم .
  - ٥- تحت الميهاد: يتسبب في شعورنا بالجوع والعطش وله هيمنة على جهاز الغدد الصماء .
- وهذا الملخص كافي لغير المتخصصين أما الذين يريدون مزيداً من التخصص فليتابع الأبحاث الموسعة.

### ملخص القسم العلمي (العقلي)

- \*علمية السمع والبصر تعتمد على أعضاء للسمع والبصر وهي العين والأذن ومراكز إدراك السمع والبصر داخل المخ.
- \*العين والأذن تعمل كمستقبلات للإشارات الضوئية والصوتية لترسلها إلى مراكز السمع والبصر في المخ حيث يتم إدراكها عقلياً.
- \*العين تتقدم الأذن في رأس الإنسان ولكن مركز السمع يتقدم مركز الإبصار داخل المخ البشري.
- \*هناك منطقة على قشرة المخ تقع بين مركز السمع ومركز البصر ويحدها من الامام مركز السمع ومن الخلف مركز الإبصار وفي هذه المنطقة يدرك السمع والبصر إدراكاً عقلياً راقياً وفيها يتكون البيان البشر المعبر.
- \*في قلب المخ توجد أنوية أو مناطق لها علاقة بالأحاسيس والعواطف والغرائز والذاكرة .
- \*وهذا المخلص يكفي غير المتخصصين أما المتخصصين أو من يريد التوسع فعليه بالبحوث الموسعة في هذا المجال.



مجمع العواطف والغرائز والأحاسيس



## ظواهر ملفتة للنظر

المتابع لآيات السمع والبصر والفؤاد والقلب في كل القرآن الكريم يلاحظ الظواهر الآتية :

- (١) السمع يتقدم البصر في كل القرآن الكريم . (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) ٣٦ الإسراء.
- (٢) السمع يأتي على صيغة المفرد والبصر يأتي على صيغة الجمع. (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) ٨٧ النحل
- (٣) يشير القرآن على أن السمع والبصر والفؤاد أدوات تكليف عاقلة: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) ٣٦ الإسراء
- (٤) (بكم) تأتي دائماً بعد (صم) وبين (صم وعمى) (صم بكم عمى)
- (٥) جعل السمع والبصر والفؤاد بعد الإخراج من بطن الأمهات في سورة النحل آية ٨٧. (والله أخرجكم من بطون لا تعملون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) النحل آية ٨٧
- (٦) الفؤاد يأتي يأتي دائماً بعد السمع والبصر في كل القرآن: (إن السمع والبصر والفؤاد ..... الإسراء ٣٦
- (٧) القلب يأتي في أي مكان بالنسبة للسمع والبصر :  
\*فقد يأتي قبل السمع والبصر:  
(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) البقرة ٧  
\*وقد يأتي بين السمع والبصر:  
(وختم على سمعه وقلبه وجعل بصره غشاوة) الجاثية آية ٣٣

\*أو قد يأتي بعد السمع والبصر:

(قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم .....) سورة الأنعام آية ٤٦ .

(٨) الفؤاد يأتي في كل القرآن مشيراً إلى معاني تحول حول العواطف والغرائز والأحاسيس.

(٩) القلب يأتي في كل القرآن مشيراً إلى معاني شاملة تشمل العقل والعاطفة.

بعض هذه الظواهر لفتت انتباه علماء التفسير والبيان على مر العصور فقدموا لنا اجتهادات وتصورات لهذه القضايا الملفتة.

وستقوم بجولة مع رجال التفسير والبيان ممن تكلموا عن هذه الظواهر ، ولكن قبل أن نستعرض تلك الآراء نذكر رأي الأستاذ/ عبد العزيز سيد الأهل الأستاذ بمعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وهو يتكلم عن قضية السمع والبصر في الإنسان من الناحية العامة<sup>(١)</sup>.

يقول فضيلته في كتاب الأشباه والنظائر:

" السمع والبصر أداقهما الأذن والعين"

الأذن وقنواتها وموجات الصوت فيها والمؤثرات الصوتية التي تجرى تفسيرها في الدماغ للأصوات والموجات والعين التي ترسل إلى الدماغ سيلاً متواصل من المعلومات فتختزنها الذاكرة ويجري عليها التحليل والتفسير فيتمكن المرء بها من تمييز الإحجام والمسافات والألوان.

\*ثم يقول :

ولقد جرى ذكر السمع والبصر والفؤاد في القرآن لا بقصد أداة العين وما يمر بها من سيل المناظر ولا بقصد الأذن وما يمر بها من قنوات وأغشية واهتزازات .

ولكن بقصد النظر في الأمور وتقليب الفكر فيها وإدراك الحلال والحرام من المسموع والمنظور بعد تفؤده ، وانطباع الجسد بعد ذلك بالطاعة أو مروقة بالعصيان .

\*ثم يقول فضيلته :

" ولم يرد أمر قط في القرآن بالسمع والبصر إلا وهو يريد به التنبيه على التفهم والترتيب وعلى التسوي أو التبيكيت على الرفض وعدم القبول، وحساباً للمرء الذي وهبه الله هذه الدروب ليصل بها إلى الهداية والطريق المستقيم " .

"وقد ارتفع البحث والعلم بأدائي السمع والبصر فحسبهما من بين كل الحواس منافذ للمعاني وأدوات للعلم بينما انحطت منافذ الذوق والشم واللمس إلى إدراك الأجزاء المادية المتطايرة الذاتية في الأجسام وما لم تذب هذه الأجزاء فلا لمس ولا سم ولا مذاق .

ولقد شهد القرآن بعلو هذين الدردين (السمع والبصر) وحسبهما إذا كان كاملين من غير عيب ولا نقص - من صفات الألوهية - ووجه سبحانه اللوم لمن يعبد من لم يكملها فيه فقال:

(لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فكان الموصوف بما كاملين مستحقاً للعبادة وأهلاً للتأليه - ويستطرد فضيلته بقوله:

"فيينا بمن الله بفضل على بني آدم ويذكر نعمته عليهم هذه الدروب بقوله في سورة النحل :

(وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة).

يجي بها في سورة الإسراء أمكنة للمراقبة ومواضع للمسئولية فيقول سبحانه :

"أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً"

\* وحتى لا تكون على الله حجة بعد الرسل فقد نبه الله الإنسان إلى أن يتخذ من سمعه وبصره طريقين إلى قلبه حينما وقف وكيفما سار وذلك حين يقول سبحانه :

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الحج آية ٤٦ .

ولقد أشعر القرآن النفوس بفقدان الأمل فيمن لا يصل بين بصره وقلبه ، وسمعه وقلبه فعدهم من الموتى لأنهم لا يسمعون دعوة ولا يتفتعون بحيلة.

(فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولو مدبرين) الروم آية ٥٢

(وما أنت بماد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) الروم آية ٥٣ .

\* وفي النهاية يمكن القول بأن كل هذه الإشارات إنما توجه الانتباه إلى أن سمع وبصر الإنسان مجهز بقيمة عقلية عليا تلزمه المسئولية وتعطيه الإرادة وكل هذا من لوازم التكليف<sup>(١)</sup>.

\* وبعد هذا السرد لقضية السمع والبصر كما تكلم عنها الأستاذ / عبد العزيز سيد الأهل نتناول الظواهر التي أشرنا إليها في البداية وسيكون تناول من خلال ما قاله رجال التفسير والبيان على مر العصور ثم ناقش ذلك ونربط بينه وبين الحقائق العلمية اليقينية .

## ظاهرة تقديم السمع وتأخير البصر في القرآن الكريم

أولاً :تقديم السمع وتأخير البصر في القرآن :

أن ما يلفت النظر في آيات السمع والبصر هو تقديم السمع على البصر في كل القرآن الكريم وهذه أمثلة بذلك.

(ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) سورة السجدة آية ٩ .

(إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) سورة الإسراء آية ٣٦ .

(قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) سورة الملك آية ٢٣ .

فماذا قال رجال التفسير وعلماء البيان عن هذه القضية ؟  
(١) رأي العلامة الألوسي<sup>(١)</sup>:

يقول الإمام الألوسي في تفسير آية (٧) من سورة البقرة :  
"لعل سبب تقديم السمع على البصر مشاركته للقلب في التصرف في الجهات الست ولا ينطبق ذلك على البصر ومن هنا قيل أنه أفضل منه .  
والحق أن كل الحواس ضروري في موضعه ومن فقد حساً فقد علماً وتفضيل البعض على البعض تطويل من غير طائل .

(٢) الإمام الفخر الرازي<sup>(٢)</sup>:

الآية ٧ سورة البقرة المسئلة السابعة .

ومن الناس من يقول أن السمع أفضل من البصر والدليل على ذلك تقديم السمع في كلام الله ولأن السمع شرط النبوة بخلاف البصر ولأن بالسمع تصل نتائج عقول البعض إلى البعض .  
فالسمع كأنه سبب لأستكمال العقل بالمعارف والبصر لا يوقفك إلا على المحسوسات ، ولأن السمع متصرف في الجهات الست ، ولأن السمع متى بطل النطق .

ومنهم من قدم البصر لأن آله القوة الباصرة أشرف ولأن متعلق القوة الباصرة هو النور ومتعلق القوة السامعة هو الهواء .

(٣) وفي القرطبي نفس الآية<sup>(٣)</sup>:

وقال أكثر المتكلمين بتفضيل البصر على السمع لا يدرك به إلا الأصوات والكلام والبصر يدرك الأجسام والألوان والهينات كلها ولذلك قالوا : فلما كانت تعلقات البصر أكثر كان أفضل وأجازوا الإدراك بالبصر من الجهات الست .

"وفي الحقيقة إدراك السمع من الجهات الست ليس ميزة في السمع ولكنه ميزة أو خاصية في الموجات - الصوتية " (صاحب البحث) .

بعد هذا العرض لما جاء في كتب التفسير عن هذه الظاهرة سنناقش بإذن الله هذه القضية بطريقة علمية محايدة بعد أن رأينا كيف تضاربت الآراء في هذه القضية بطريقة علمية محايدة بعد أن رأينا كيف تضاربت الآراء في هذه القضية حتى أن العلماء لم يصلوا فيها إلى رأي محدد بل كان يبدوا في بعض الأحيان إثبات النقيض<sup>(٤)</sup> ومع

أن هناك رأي وجيه لفضيلة الشيخ الشعراوي ذكر فيه أن سر تقديم السمع على البصر هو أن الطفل يسمع أولاً قبل أن يرى بعد الولادة مباشرة ومع أن هذا الرأي له وجاهته ، ولكن سنرى ، ولكن سنرى في سياق البحث أن له مكان غير هذا المكان وستشير إليه في حينه .

(مناقشة ما سبق عرضه )

كما سبق نلاحظ أن بعض رجال التفسير يرجح أن سر تقديم السمع على البصر هو شرف السمع أي أن التقديم هنا للتشريف ولكن أليس التشريف ينسحب على السمع وعضو السمع وهو الأذن لأنها جزء من عملية السمع فإذا كان كذلك فلماذا اتخذت الأذن مكانها بعد العين وفي كل القرآن وكان من الواجب أن تتقدم لشرفها المستمد من شرف السمع وهذه بعض الآيات التي جاءت فيها العين مع الأذن:

في الأعراف آية ١٧٩:

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يبصرون بها وهم أذان لا يسمعون بها).

وفي الأعراف آية ١٩٥:

(ألم أخرجهم من أمهم أيد يطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها ) .

نلاحظ أن العين دائماً مقدمة على الأذن وفي كل القرآن ونلاحظ أيضاً أن الفؤاد يأتي دائماً بعد السمع والبصر في مكان ثابت لا يتغير في كل القرآن الكريم).

(إن السمع والبصر والفؤاد .....)

(وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ) .

فهل الفؤاد وهو القلب كما يقولون أقل شرفاً من السمع والبصر ؟

وقبل أن نكشف السر ياذن الله يجب أن نستعرض جميع عناصر قضية السمع والبصر كما ذكرت في كتاب الله المعجز - وهي كما يأتي:

أولاً هناك آيات تشير إلى عضو الحس " العين والأذن"

ويذكر الحق سبحانه معها تعبيرات تناسبها كعضو حس ومن جنسها ولا يذكرها مع وظائفها " السمع والبصر"

وهذه أمثلة بذلك .

- (بروفهم مثلهم رأي العين) (١٣) آل عمران  
 (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها) (٤٠) طه  
 (ولا تعد عينك عنهم) (٢٨) الكهف  
 (وابيضت عيناه من الحزن) (٨٤) يوسف  
 (يعلم خائنة الأعين) (١٩) غافر  
 (ترى أعيونهم تفيض من الدمع) (٨٣) المائدة  
 (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) (١٠١) الكهف  
 (تدور أعينهم كالذي يمشى عليه من الموت) (١٩) الأحزاب  
 (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها) (١٧٩) الأعراف

لاحظ تقر عينها ، ابيضت عيناه ، خائنة الأعين ، تفيض من الدمع ، تدور أعينهم ، في غطا - لم تستعمل هذه التعبيرات إلا مع عضو الإبصار العين .

"وبالنسبة للأذن"

- (كأن في أذنيه قرأ) (٧) لقمان  
 (ولهم آذان لا يسمعون بها) (١٧٩) الأعراف  
 (يجعلون أصابعهم في آذانهم) (١٩) البقرة  
 (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) (١١) الكهف  
 (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي) (٤٤) فصلت  
 (وقر ، أصابعهم في آذانهم ، يسمعون بها ، ضربنا) هذه تعبيرات لم تستعمل مع السمع بل استعملت مع الأذن فقط .

ثانياً: هناك آيات تشير إلى المصدر أو القوة المدركة (السمع والبصر) وهذه بعض الآيات :

- (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون). (٧٨) النحل  
 (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً) (٣٦) الإسراء  
 (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) (٧) البقرة  
 (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (٣٧) ق

(ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً)

(١٦) محمد

(ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) (١٧١) البقرة .

(٢٣) الروم

(إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون)

وهناك آيات كثيرة يرى المتابع لها أن استخدام الحق للسمع والبصر يحمل إشارة إلى العقل والفهم وما يترتب عليه من الإيمان ويقول الأستاذ الدكتور / عبد العزيز سيد الأهل الأستاذ بمعهد الدراسات الإسلامية.

وقد جرى ذكر السمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم لا بقصد أداة العين وما يمر بها من سيل المناظر وتقدير الأجسام والألوان ولا بقصد الأذن وما بها من قنوات وأغشية واهتزازات ولا بقصد التلايف المتداخلة في فجوة الرأس . ولكن بقصد النظر في الأمور وتقليب الفكر فيها وإدراك الحلال والحرام من المسموع والمنظور.

ولم يرد أمر قط في القرآن بالسمع والبصر إلا وهو يريد به التنبيه على التفهم والترتيب وعلى التروي أو على التكييت على الرفض وعدم القبول وحساباً للمرء الذي وهبه الله هذه الدروب ليصل بها إلى البداية والطريق المستقيم.

وأستطرد الأستاذ الدكتور قاتلاً:

وسواء أكان للإنسان عين ترى وأذن تسمع أو لم يكن له فإنه يعتبراً مبصراً سميعاً متى كان له فؤاد يتفند ويتوقد

أما إذا تلف دماغه أو فسد قلبه أو خمد فؤاده فإنه يخرج عن كيان الإنسان المكلف والمطالب المسنول ولو كان نه أذن تسمع وعين ترى (انتهى)

أذن عندما يستخدم الحق سبحانه المصدر أ الوظيفة أي السمع والبصر لا يشير إلى أعضاء الحس ولكن يشير إلى معاني تحول حول العقل والفكر واللب وما يتبعها من معاني إيمانية .

أذن عندما يستخدم الحق سبحانه المصدر أو الوظيفة أي السمع والبصر لا يشير إلى أعضاء الحس ولكن يشير إلى معاني تحوم حول العقل والفكر واللب وما يتبعهما من معاني إيمانية .

ثالثاً- يشير القرآن الكريم إلى أن العين الأذن ما هي إلا أعضاء لنقل الإشارات الحسية إلى حيث تترجم إلى محسوسات في مكان آخر:

(ولهم أعين لا يبصرون بها وهم أذان لا يسمعون بها) (١٧٩) الأعراف

(أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) (١٩٥) الأعراف



لاحظ (يبصرون بها ) (ويسمعون بها ) ولا نجد في القرآن مثلاً. أذن سامعة أو عين باصرة بصيغة اسم الفاعل وهذا على أن العضو ما هو إلا أداة لنقل المؤثرات السمعية والبصرية حيث يتم إدراكها في مراكزها.

رابعاً- عندما تأتي العين مع الأذن في آية واحدة تتقدم العين وتتأخر الأذن وفي كل القرآن ويحدث العكس بالنسبة للسمع والبصر إذ يتقدم السمع ويتأخر البصر وفي كل القرآن الكريم وهذا مثال بذلك :

(ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها ) (١٧٩) الأعراف

(أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها ) (١٩٥) الأعراف

=العين قبل الأذن في القرآن الكريم

(إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) (٣٦) الإسراء

(وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) (٧٨) النحل

=السمع قبل البصر في القرآن الكريم

خامساً- يشير القرآن الكريم بأن هناك رؤية بالعين ورؤية بدون العين أي والعين مغلقة معطلة

(يروؤهم مثلهم رأي العين ) (١٣) آل عمران

لاحظ (رأي العين ) وهي رؤية ظاهرة معاينة بالعين أي عن طريق العين كمدخل للعملية البصرية وفي كثير من الآيات يشير الحق سبحانه في كتابه المعجز أن هناك نوع من الرؤية بدون استخدام العين وهذا ما يحدث أثناء النوم وفيها يشاهد الإنسان صوراً بصرية واضحة رغم أن العين مغلقة لا عمل لها .

وهذه أمثلة بذلك :

(يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) (٤) يوسف .

(قال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) (٤٣) يوسف

(وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) (٦٠) الإسراء

(إذ يريكم الله في منامك قليلاً) كلها مشاهد بصرية فيها صور واضحة والعين مغلقة لا عمل لها وهذا يشير إشارة خفية إلى أن مكان تكون الأبصار في المخ وما العين إلا أداة لتوصيل المؤثرات البصرية حيث يتم ترجمتها إلى صورة مبصرة داخل مراكز الإبصار الخاصة .

ويمكن تلخيص ما سبق في ما يأتي:

- ١- هناك آيات تشير إلى العضو (العين والأذن) وآيات تشير إلى المصدر أو الوظيفة أو القوة المبصرة والسامعة (السمع والبصر).
- ٢- يذكر الحق سبحانه مع الأعضاء تعبيرات لغوية تناسبها ومن جنسها ويذكر مع السمع والبصر تعبيرات تشير إلى معاني عقلية تخص الفهم والإدراك والعقل وحتى بالنسبة للإغلاق يختلف العضو عن المصدر فنجد غطاء مع العين وغشاوة مع البصر.
- ٣- يشير سبحانه وتعالى إلى أن العضو ما هو إلا أداة لتوصيل المحسوسات إلى حيث يتم ترجمتها إلى أصوات مسموعة وصور مرئية .
- ٤- العين تتقدم الأذن في كل القرآن والعكس بالنسبة للسمع والبصر إذ يتقدم السمع البصر في كل القرآن الكريم .
- ٥- يشير القرآن الكريم بأن هناك رؤية بالعين ورؤية بدون العين.

وبعد هذه الجولة المباركة يمكن لنا أن نقول - والله أعلم بمراده- أن تركيبات واستعمالات السمع والبصر والعين والأذن في كل القرآن الكريم تقرر الحقائق التالية :

- ١- أن العين والأذن ما هي إلا أعضاء لنقل المؤثرات الحسية إلى حيث تدرك في مراكزها .
- ٢- أن العين تتقدم الأذن في كل القرآن الكريم .
- ٣- أن هناك رؤية بواسطة العين وهناك رؤية والعين مغلقة عند حدوث الأحلام .
- ٤- أن إدراك السمع والبصر قضية أخرى غير أعضاء السمع والبصر.
- ٥- السمع والبصر يشيران إلى الإدراك العقلي الراقى في الإنسان.
- ٦- السمع يتقدم البصر في كل القرآن .

وكان هذه الحقائق تقول لنا:

أ- أن عملية السمع والبصر تنقسم إلى قسمين :

أعضاء لنقل المؤثرات الحسية وهي العين والأذن ومراكز أو مناطق لإدراك السمع والبصر وفهمه وعقله .  
ب- أن العين تتقدم الأذن في الترتيب المكاني لها بينما تتقدم مراكز السمع مراكز البصر.

وهذا ما وجده علماء المخ تماماً .

فالعين والأذن ما هي إلا أعضاء لنقل الإشارات الحسية حيث يتم إدراكها في مراكز السمع والبصر داخل المخ البشري.

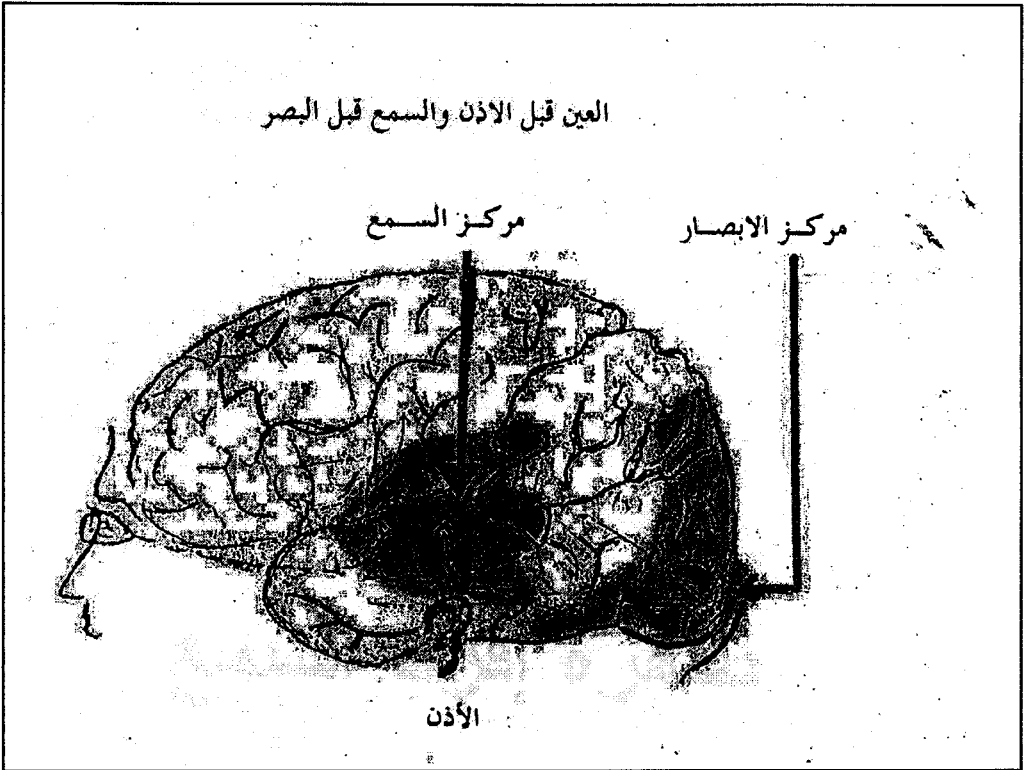
ومع أن العين تتقدم على الأذن في رأس الإنسان فإن مراكز السمع تتقدم مراكز الإبصار على قشرة المخ البشري" أنظر القسم العلمي من البحث".  
 إذن وقعت المطابقة بين ما جاء في القرآن الكريم من عرض لقضية السمع والبصر وبين ما وجد علماء المخ من حقائق علمية بخصوص هذه القضية بل وجاء ترتيب الكلمات في الآيات وفقاً لترتيب المراكز داخل المخ البشري.  
 وهذا - والله أعلم - هو السر العلمي المذهل لتقديم السمع وتأخير البصر في كل القرآن الكريم .  
 وهو دليل جديد للعقل البشري في أي مكان على صدق الرسالة وأن القرآن هو كتاب الله الوحيد الخالد الباقي والعالمي .

## خلاصة الموضوع

آيات القرآن الكريم فصلت بين الأعضاء ( العين ، والأذن ) وبين المصدر (السمع ، والبصر ) وفي صنعة الله ما يطابق ذلك فهناك أعضاء للحس لإستقبال المؤثرات الحسية وهناك مراكز داخل المخ البشري تتم فيها عملية الإدراك والفهم لهذه المؤثرات .  
 ومن ناحية أخرى نجد أن الحق سبحانه رتب في الآيات / العين قبل الأذن والسمع قبل البصر في كل القرآن وها هو العلم اليقيني قد أثبت أنه بينما تتقدم العين الأذن في رأس الإنسان فإننا نجد عكس الترتيب مع المراكز فمركز السمع يتقدم مركز الإبصار في قشرة المخ البشرية .

\*إذا طابق كلام الله صنعة الله . . .

العين قبل الإذن والسمع قبل البصر



الأعراف (١٩٥)

(أهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) .

السجدة (١٠)

(وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون)

(في صنعة الله )

(١) أعضاء البصر والسمع (العين والأذن) --- العين تتقدم على الأذن.

(٢) مراكز السمع والبصر (داخل المخ) --- مراكز السمع تتقدم على مراكز البصر .

(في كلام الله القرآن الكريم )

(١) العين تتقدم على الأذن .

(٢) السمع يتقدم على البصر

## ظاهرة أفراد السمع وجمع البصر في القرآن الكريم

ثانياً: أفراد السمع وجمع البصر في القرآن الكريم

لقد لاحظ رجال التفسير أن السمع يأتي على المفرد والبصر يأتي على الجمع فماذا قالوا؟ يقول الإمام الألوسي

في روح المعاني.

ووجد السمع مع أنه متعدد في الواقع ، ومقتضى الانتظام بالسابق واللاحق أن يجري على غمطها للأختصار والتفنن مع الإشارة إلى نكتة هي أن مدركاته نوع واحد ومدركاته " الأبصار " مختلفة وكثيراً ما يعتبر البلغاء مثل ذلك .

وقيل أن وحدة اللفظ تدل على وحدة مسماه وهو الحاسة ووحدهما تدل على قلة مدركتها في بادئ النظر فهناك دلالة التزام .

ويكفي مثل ما ذكر في اللزوم عرفاً ، وقيل في توجيه الأفراد أن المراد سمع كل واحد وهذا وإن كان حقه الأفراد إلا أنحمل الجمع على كل فرد جائز لا واجب كما قيل في قوله تعالى (ونخرجكم طفلاً) .

بمعنى :

- (١) أنه وحد السمع لأن لكل واحد منهم سمعاً واحداً والعرب تفعل ذلك إذا آمنت من اللبس وترفض ذلك إذا كان هناك لبس.
- (٢) أن السمع مصدر والمصادر لا تجمع .
- (٣) أن نقدر مضافاً محذوفاً أي وعلى حواس سمعهم .
- (٤) قال سيبويه : أنه وحد السمع مع أنه ذكر ما قبله وما بعده بلفظ الجمع وذلك يدل على أن المراد منه الجمع أيضاً.
- (٥) قرأ ابن أبي عليه " وعلى أسماعهم "

ويقول الإمام القرطبي

" وحد السمع لأنه مصدر ويقع للقليل وللكثير .

يقال : سمعت الشيء اسمعه سمعاً فالسمع مصدر سمعت ، والسمع أيضاً

اسم للجراحة المسموع بها سميت بالمصدر.

ويقول الأستاذ/ محي الدين الدرويش في كتاب إعراب القرآن<sup>(١)</sup>:

" وحد السمع لوحدة المسموع دون القلوب والأبصار لتنوع المدركات والمراتب "

بعد هذه الجولة مع آراء علماء التفسير والبيان نستمع إلى المناقشة القيمة التي قام بها الأستاذ / علي النجدي

ناصف في كتابه مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة<sup>(٢)</sup>.

يقول فضيلته :

" يلحظ الذين يتلون كتاب الله ، ويتدبرون ، أن السمع والبصر يلتقيان فيه مراداً بهما الحاستان ثلاث عشر مرة

، السمع فيها كلها مفرداً في اللفظ ، جاء السمع فيها كلها مفرداً في اللفظ ، وسابقاً في الذكر وجاء البصر

مجموعاً في اللفظ ولاحقاً في الذكر .

وما كان القرآن ليجمع بينهما على هذا النحو من الفرقة والتمييز ، مع توافق الكلمتين في الدلالة على المصدر

وتقابلهما في الذكر - ألا لناشئة من حكمة ، أو داعية من سر ولم يفهم المفسرين - على العهد بهم - أن لحظوا

هذا الخلاف ، وأن يتلبثوا ، يعملون النظر فيه فأما التفريق بينهما في الأفراد والجمع فقد رجعوا فيه إلى اللغة

يستفتونها ويلتمسون الرأي عندها ، فإذا لهم منها في تخريجها وجهان :

جمع الأذن في مثل قوله تعالى (وقالو قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي أذاننا وقر ) سورة فصلت (٥).

والوجه الآخر : أن يقدر مضاف قبل السمع فيكون في الآية الأولى . (وجعل لكم حواس السمع).

وهذا الذي نقلوه عن اللغة لا مرية فيه ولا خلاف عليه ولكنه لا جدوى منه لأنه لم يبين لنا لماذا جمع البصر وحده ولم يجمع السمع معه وكلاهما مصدر؟ ولم يبين لماذا اختص السمع بالإنفراد لفظاً ، والدلالة على الجمع معنى ، واختص البصر بالجمع لفظاً ومعنى؟ هلا كانا سواء في الأفراد والجمع .  
وما أظن إلا أن المفسرين قد سكتوا عن ذلك وفي نفوسهم منه شيء ، ولكن ماذا عسى أن يصنعوا أكثر مما صنعوا وقد ألقوا في دهرهم الطويل ، أن يكلوا إلى اللغة وحدها أكثر ما يجزهم من مشكلات التفسير .  
واستطرد فضيلته قائلاً:

" ولقد كان خيراً للمفسرين وأجدى عليهم أن يرجعوا إلى القرآن نفسه ، عسى أن تلوح لهم منه ومضة من نور .

لنأخذ إذن بما لم يأخذوا به ، عسى الله أن يفتح بالرأي ويهدي إلى الحق. ثم يضرب أمثلة تبين أن القرآن لا يحل المخالفة محل المطابقة إلا لعله تخدم هدف معين ويقول :

" أن القرآن حين يحل المخالفة محل المطابقة - لا يصنع ذلك جزافاً أو على ما خيلت ، ولكن لأمر يبراد ، وأن من الخير إذا لم تسعف اللغة بالرأي فيه عن سماحة ويسر ، ألا نجملها على تكلف الرخص وانتحال الأسباب ، بل نرجع فيه إلى القرآن ما وجدنا إليه سبيلاً .

وإذا رجعنا إلى قضية السمع والبصر نجد أن السمع لا شأن له بغير الصوت ، ولا معاملة له إلا معه فهو يحمله إلى صاحبه ويلغيه إياه على ما هو عليه ولا مزيد والصوت في واقعه شيء واحد ، وإن تعددت ينابيعه وتبينت أوصافه ، وليس كذلك البصر فإنه يدرك المرئيات كافة ، وهي - مع كثرتها تختلف في مادتها وتكوينها ، وفي هيناتها وأشكالها وفي أوصافها وألوانها .

\* والقرآن إذ يذكر السمع بلفظ المفرد ويقرن إليه البصر بلفظ الجمع - إنما يشير إلى أن الحاستين ليستا سواء في مبلغ كل من عدد المدركات ، وفي حظ كل من التلقي عن الحياة والعمل لصاحبه فالسمع يدرك شيئاً واحداً هو الصوت والبصر يدرك أشتاتاً من المدركات كأنه جمع من الحواس لا حاسة واحدة .

فذكر السمع مفرداً يعني المطابقة بين لفظه ومسماه وبين لفظه وعمله في وقت واحد - وذكر البصر بلفظ الجمع يعني التفرقة بينه وبين السمع في عدد المدركات من جانب ثم المطابقة بين لفظه وتعدد مدركاته بما يجعله شبيهاً بالجمع وأهلاً لأن يعامل معاملته في التعبير عنه من جانب آخر .

\* أما حين يذكر البصر ولا يذكر معه السمع يذكر أخذاً على المعتاد من المطابقة بين الألفاظ ومعانيها مفردة وغير مفردة إذ لا مجال إذ ذاك لمفاضلة ولا تجريح . وما هو إلا البصر . كما يراه الله تعالى في حقيقته حاسة من الحواس ليس غير . ومن ذلك قوله تعالى : ( فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد )<sup>(١)</sup> .

وقد استطرد الأستاذ / على النجدي ناصف مشيراً إلى استخدامات القرآن الكريم للفؤاد مع السمع والبصر قائلاً:

\*وقد ذكر الفؤاد مع السمع والبصر في خمس آيات وجاء فيها كلها مجموعاً كالبصر ، مثل قوله تعالى: (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)<sup>(١)</sup>.

وحكمة ذلك - والله أعلم - أن الفؤاد تتعدد أحواله كما أن البصر تتعدد مدركاته ، فهو يجيش بألوان من العواطف وتنبعث فيه دروب من المشاعر والإنفعالات .

\*كذلك يجمع القرآن السمع والبصر والفؤاد في آية واحدة ويذكرها جميعاً بلفظ المفرد وهي قوله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً) (سورة الإسراء آية ٣٦) ولعل ذلك والله أعلم - لأن المقام ليس للإشارة إلى مدركاتها ، والمفاضلة بينهما ، ولكنه للنهي عن اتباع المرء ما لا يعلم من قول وفعل ، والأنداز بأنه مستول عما يسمع ، وما يبصر وما يتوى من شيء ، فيقال له يوم القيامة - كما في الكشف ، لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ؟ ولما نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه؟ ولم عزمت ما لم يحل لك العزم عليه ؟

\*فالسمع هنا يعني المسموع والبصر يعني المرئي ، والفؤاد بمعنى المنوي . انتهى كلام الأستاذ / على النجدي.

وبعد هذه الجولة الشيقة مع علماء التفسير والبيان حول قضية إفراد السمع وجمع البصر نطرح هذا السؤال : هل جهاز الإبصار من العين إلى مركز الإبصار يختلف عن جهاز السمع من الأذن إلى مركز السمع إختلافاً يجعل السمع أهلاً للإفراد والبصر أهلاً للجمع ؟ أقول والله أعلم - نعم - كيف ؟

من خلال عرضنا لعملية السمع والبصر في القسم العلمي علمنا أن عملية البصر عملية معقدة ومتعددة الجوانب فبالنسبة إلى المنظر الواحد أو الصورة المشاهدة فإن عناصر عدة تنعكس منها كالألوان والإضاءة والظلال ولزوايا لتسقط على شبكية العين ، فنحدث في نفس اللحظة الزمنية استجابة لكل هذه العناصر في وقت واحد لترسل على هيئة سيال كهربائي إلى مراكز الإبصار داخل المخ فهي متعددة من البداية إلى النهاية. وعملية السمع أبسط من ذلك فهي تبدأ بموجات صوتية متتالية (موجة بعد موجة) تحدث هذه الموجات اهتزازات ميكانيكية في الطبلة والتي تدفع بدورها العظيماات الثلاثة في حركة ميكانيكية أيضاً وهذه الحركة تنتهي بتحريك غشاء رقيق على قوقعة الأذن الداخلية ينتج عن حركته موجات داخل السائل المحبوس داخل القوقعة فتتهتز هذه الموجات غشاء يحمل مستقبلات حساسة للموجات فتنتقل إشارات مقطعة عبر العصب



السمعي إلى مركز السمع في المخ لتصل إليه فرادى كإشارات مورس أو إشارات التلغراف هذا بالإضافة إلى أن الطلبة لا تتحرك لجمع الصوت بل يصل إليها الصوت ليحدث فيها هذه واحدة كل مرة مساحة للمنظر الواحد لترسل إلى مراكز الإبصار في المخ عدة لقطات بحيث تختلف زاوية الصورة المرسلة للمخ للمنظر الواحد مع كل فكرة موجة فلو نظرت العين على مجموعة من الأفراد فإنها ترسل صورة تين عددهم ونوعهم ثم يتوجه العقل لمزيد من المعلومات فترسل صوراً أخرى تحدد ماذا يلبسون وماذا يحملون ، وصوراً أخرى ترسلها تالية قد تبين ماذا يضمرون (خيراً أو شراً) بل إن إدراك حركة الأجسام يتضمن أن يصل إلى مراكز الإبصار صور متعددة في زمن قصير للمنظر الواحد وكل هذا التعدد في العملية البصرية لا نلجده مع العملية السمعية .

فإفراد السمع وجمع البصر في كتاب الله المعجز الخالد العالمي يشير إلى تلك الحقائق وزيادة فهل بعد ذلك بينة على صدق الرسالة وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

## عقلية السمع والبصر في القرآن الكريم

ثالثاً - (عقلية السمع والبصر في الإنسان)

هل السمع والبصر في الإنسان يحمل قيمة عليا؟

الإجابة : نعم ، فهذه الأمور مسلم بما .

\*هل سمع وبصر الإنسان يحمل معنى زائد عن سمع وبصر البهائم ؟

الإجابة : نعم ، وهذا واضح لأي إنسان :

\*هل وجد العلماء في مراكز السمع والبصر في الإنسان مناطق فيها معنى زائد عن تلك التي في الحيوان ؟

الإجابة : لقد أجرى علماء التشريح المقارن بحوث على مناطق السمع والبصر في الإنسان وفي الحيوان فوجدوا

أن هناك مناطق لا توجد بشكلها المتطور إلا في الإنسان .

\*هل كل ذلك موجود في القرآن؟

نعم - كيف ؟

بإمعان الفكر في آيات السمع والبصر:

فالذي يتابع آيات السمع والبصر في كل القرآن يجد أن التعبير القرآني يوحي بأن سمع وبصر الإنسان من نوع مميز يختلف عن سمع وبصر البهائم ، أنه سمع عاقل وبصر عاقل.

فهيا بنا نتابع ساجدين خاشعين مسبحين هذه المعاني في آيات السمع والبصر في سورة ق آية ٣٧:

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد )

ألقى السمع وهو شهيد : حاضر بذهنه ومنتبهاً لفهم معانيه

وفي سورة الروم آية ٥٣:

(وما أنت بماد العمى عن ضلالهم أن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون).

سمع فعقل فأمن وأهتدى .

وفي سورة هود (يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ٢٠ .

يضاعف لهم العذاب لأنهم كانوا مجهزين بأدوات التكليف على تمامها من بصر عاقل وسمع فاهم .

وفي سورة الإسراء :

(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) ٣٦ .

سمع بصر عاقل مكلف .

ومن جهة أخرى نجد أن هناك آيات تناولت الكفار بالذم والوعيد واستحقاق العقاب الشديد لأنهم عطلوا

عقول سمعهم وبصرهم والتي جهزوا بها ليكونوا مكلفين مسئولين عن أفعالهم ومحاسبين عليها.

والآيات التالية توضح ذلك :

(بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون)

(ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) . ٢٤ يونس .

(ولا تكون كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون)

فليس المهم السماع المجرد بل المهم عقل السماع

(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)

٥٧ البقرة .

(والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) ٧٣ الفرقان

سمع مفكر وبصر مفكر واعى:

(وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) ٨٣ المائدة .

سمعوا ففقهوا فتحققوا بدرجة دفعتهم إلى البكاء.

(يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ٢٠ هود .

(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) ٣٦ الإسراء.

سمع وبصر عاقل مكلف.

ومن جهة أخرى نجد أن هناك آيات تناولت الكفار بالذم والوعيد واستحقاق العقاب الشديد لأنهم عطلوا

عقول سمعهم وبصرهم والتي جهوا بها ليكونوا مكلفين مسئولين عن أفعالهم ومحاسبين عليها .

والآيات التالية توضح ذلك :

(بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) ٤ فصلت

(ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) ٤٢ يونس.

(ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) ٤٣ يونس .

(ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) . ٢١ الأنفال.

فليس المهم السماع بمجرد بل المهم عقل السماع.

(أفستمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)

البقرة آية ٥٧.

فهم مجهزون بسمع عاقل فمع أنهم سمعوا وفهموا ما سمعوا وأيقنوا فقد حرفوا فحق عليهم القول.

ثم تأتي المقارنة أو المقابلة المبهرة بين عملية السمع والبصر في الإنسان والحيوان وأنها في الحيوان إنما خلقت

بطريقة بسيطة لتؤدي متطلبات الحيوان المادية الضرورية ، وحتى لا يكون الحيوان عالة علينا وجهداً شاقاً في

كل أموره وذلك تقدير العليم الحكيم .

ومن جهة أخرى توحى إلينا بأن سمع وبصر الإنسان قد صمم بطريقة فريدة راقية فمراكز السمع عنده فيها

معنى زائد وهو وإدراك السمع أو عقل السمع وتدبره ومراكز البصر كذلك .

وفي سورة الفرقان آية ٤٤ دليل على ذلك :

(أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً).

وفي سورة البقرة آية ١٧١ عرض رائع شامل لهذه القضية :

(مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءه ونداءه صم بكم عمي فهم لا يعقلون) .

فالذي ينعق هنا هو الراعي عندما يصوت بالغنم وبما لا يسمع إلا دعاء ونداء هنا هو الغنم فهي لا تسمع إلا

دوي الصوت وجرس النعمة بمعنى أن الإنسان في تصميمه من حيث السمع والبصر أرقى وأسمى من الحيوان لأن له مراكز سمع وبصر راقية يستطيع بها أن يفهم معاني ودلالات ما يسمع ويصير والكافر ينحط بنفسه من مركزها العالي الراقي إلى درجة الحيوان .

فبتعطيل الاستفادة من هذه القيمة العقلية لحاسة السمع والبصر (وجوهر الاستفادة هو الإيمان بالله ورسوله) ولأنه مجهز بالعقل فهو مكلف إذن فهو أضل سبيلا من الحيوان (في حالة كفره) <sup>(١)</sup>.

ولو رجعنا إلى القسم الأول أو الفصل العلمي من البحث لرأينا كيف وجد علماء وظائف الأعضاء وجراحي المخ وعلى مر سنين طويلة أن إصابة بعض المناطق المجاورة لمركز السمع في المخ قد يؤدي إلى حالة قد يستطيع المصاب بعدها أن يسمع الأصوات ولكن لا يفهم لها معنى.

وكذلك إصابة المناطق المجاورة لمركز البصر في المخ يؤدي إلى حالة يرى فيها المصاب المناظر ولكن لا يدري لها معنى ، أما مراكز السمع وفكر السمع ومراكز البصر وفكر البصر وهي مناطق متجاورة بل قل هي متداخلة ترتبط بأسباب صاعها المسبب العليم الحكيم لتكون حجة للعقل أو حجة عليه.

الله الله سبحانه الله ، إنه كلام الله ، إنه معجزة رسوله الدائمة الباقية ، أنه التشريح الوظيفي المقارن بين مراكز السمع والبصر في الإنسان المكلف العاقل وبين نفس هذه المراكز في الحيوان الغير مكلف.

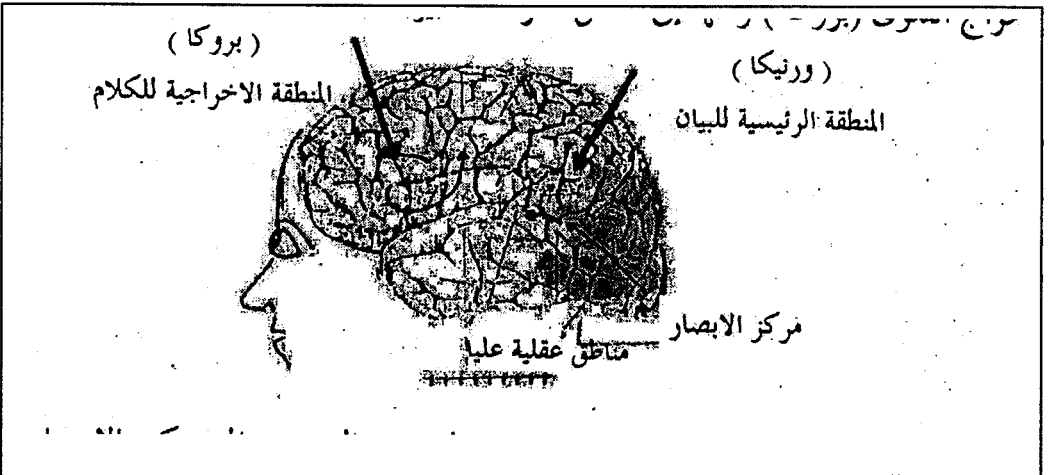
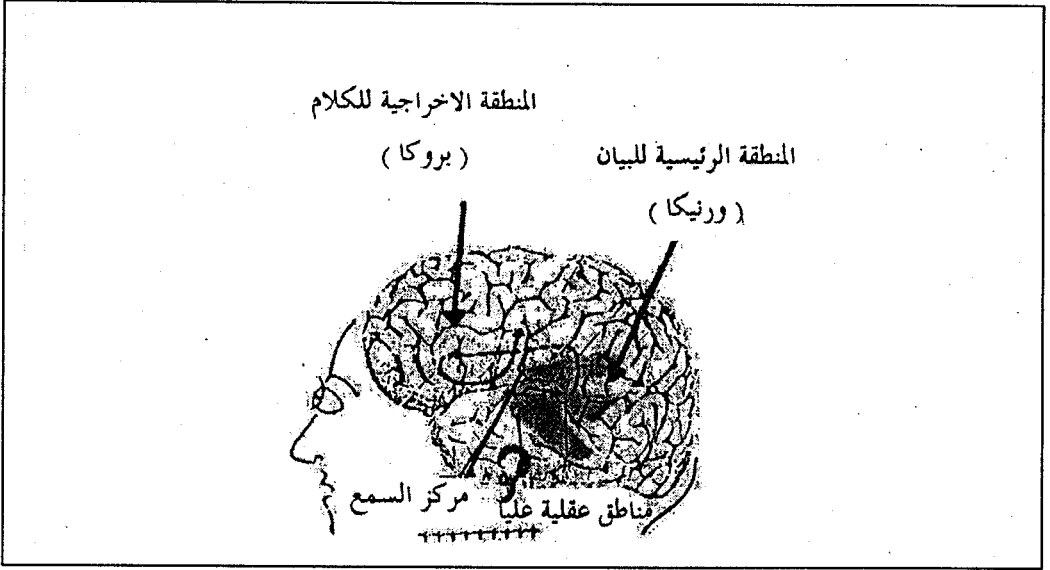
فهل يمكن تحديد هذه المناطق العقلية العليا من القرآن ؟

وأقصد بذلك مراكز فهم السمع وفهم البصر وهي مناطق التكليف أو العقل والتي لولاها لا يكون الإنسان مكلفاً؟ قد يكون الجواب نعم يمكن ذلك كيف؟

يامعان الفكر في هذا التركيب البياني المعجز على قصره .

"صم بكم عمي"

وهذا ما سنعرفه إن شاء الله في البحث التالي والذي سنحدد فيه مكان ووظيفة مركز البيان في المخ البشري من خلال آيات الكتاب المعجز.



## ظاهرة بكم بين صم وعمى في القرآن الكريم

(مكان ووظيفة مركز البيان في المخ البشري)

قبل أن نبين كيف أشار القرآن الكريم إلى مكان مركز البيان داخل المخ البشري في إعجاز مذهل سنستعرض كيف حدد العلماء المتخصصين في علم "المخ" مكان مركز البيان في المخ وكانت البداية عندما لاحظ جراحسي المخ أن إصابة مناطق معينة من المخ تؤدي إلى فقد حس السمع إذن هذه المنطقة هي مركز السمع وإتلاف مؤخر المخ يؤدي إلى فقد البصر إذن هذه المنطقة هي مركز البصر - ولقد وجد العلماء (العالم الألماني ورنیکا) - أن إتلاف المنطقة التي تقع بين مركز السمع والبصر يؤدي إلى فقد ملكة البيان إذن المنطقة التي تقع بين مركز السمع من الأمام ومركز الإبصار من الخلف تتم فيها عملية فهم وتكوين اللغة أو قل هي منطقة البيان وتسمى عالمياً بمنطقة (ورنيكا) نسبة للعالم الألماني الذي كشف سرها<sup>(١)</sup>.

فهيا بنا ساجدين مسبحين نرى كيف أشار القرآن الكريم بإيجاز إلى مكان مركز البيان داخل المخ البشري. فالحق سبحانه يصف الكفار بثلاثة كلمات موجزة " صم ، بكم ، عمى والباحث المدقق يجد أن " بكم " دائماً تقع بعد " الصم " وبين " صم وعمى " فلا تجد مثلاً " بكم صم عمى " ولا تجد أيضاً " صم عمى بكم " وقد يسأل العقل لماذا ؟ قبل الإجابة على هذا السؤال هيا بنا نتابع معاني الكلمات والآيات التي تعرضت لهذه القضية : " جاء في لسان العرب "

(صم) الصمم : إنسداد و ثقل الأذن .

وفي حديث الإيمان : الصم البكم رؤس الناس ، جمع الأصم الأذن لا يسمع وأريد به الذي لا يهتدي ولا يقبل الحق من صمم العقل لا صمم الأذن والصمم في الأذن ذهاب سماعها .  
ورجل أصم : لا يطعم فيه ولا يرد عن هواه وكأنه ينادي فلا يسمع .  
(بكم) البكم الخرس مع وعي وبله وقيل هو الخرس ما كان . وقال ثعلب: البكم أن يولد الإنسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر .

وقوله تعالى " (صم - بكم - عمى) قال أبو إسحاق : قيل معناه أنه بمرلة من ولد أخرس قال البكم هنا المسلموا الأفتدة .

قال الأزهري : بين الأخرس والأبكم فرق في كلام العرب .  
فالأخرس : الذي خلق ولا نطق له .

والأبكم الذي لسانه نطق وهو لا يعقل الجواب ولا يحسن وجه الكلام وقال ابن الأعرابي : الأبكم : الذي لا يعقل الجواب .

" عمى " العمى : ذهاب البصر كله أو ذهاب البصيرة .

وفي تفسير " صم ، بكم ، عمى " تكلم الطبري ، والألوسي والفخر فقالوا .

\*أي كالصم لا يسمعون خيرا وكالبكم لا يتكلمون بما ينفعهم كالعمى لا يبصرون الهدى .

\*صم عن سماع الحق لأنه لا يقبلونه وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسموه - بكم لا يقولون الحق عمى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل .

\*كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وأن ينظروا إليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب إدراكه .

وفي سورة النحل آية ٧٦ مزيد من الكشف والإيضاح عن معنى (البكم) يضيف إلينا عمقا جديدا للإعجاز القرآني المذهل ويقدم إلينا كشافاً لوظيفة أحد مناطق المخ الهامة وهي منطقة البيان كما سنعرف بعد قليل .

الآية ٧٦ من سورة النحل :

(وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) .

قال فيها الفخر الرازي<sup>(١)</sup> :

الأبكم : العمى المفحم وقال أيضاً : الأبكم الأقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي - الأبكم : الذي لا يعقل .

وقال الزجاج : الأبكم : المطبق الذي لا يسمع ولا يبصر .

وقال في قوله (لا يقدر على شيء) أنها إشارة إلى العجز التام والنقصان الكامل وقال في قوله (كل على مولاه) غليظ وثقيل عليه .

وفي (أينما يوجهه لا يأت بخير) أينما يرسله (إلى جهة معينة) لا يأت بخير لأنه عاجز لا يحس ولا يفهم .

ثم قال تعالى بعد ذلك (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) .

قال الفخر في شرحها:

وأعلم أن الأمر بالعدل يجب أن يكون موصوفاً بالنطق وإلا لم يكن أمراً ويجب أن يكون قادراً لأن الأمر معلقاً بعلو المرتبة وذلك لا يحدث إلا مع كونه قادراً ويجب أن يكون عالماً حتى يمكن التمييز بين العدل وبين الجور فثبت أن وصفه بأنه يأمر بالعدل يتضمن وصفه بأنه قادراً عالماً وكونه عالماً قادراً يناقض كون الأول أبكم - وكونه قادراً يناقض وصف الأول بأنه لا يأتي بخير .

وفي الألوسي<sup>(١)</sup>:

قال : في الأبكم :

البيكم الخرس المقارن للخلقة ويلزمه الصمم فصاحبه لا يفهم لعدم السماع ولا يفهمه غيره لعد النطق فكأنه قال أحدهما .

أخرس أصم لا يفهم ولا يفهم .

وقال في " يقدر على شيء " من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره بجدس أو فراسة لسوء فهمه وإدراكه (وهو كل بمعنى ثقيل وعيال (أينما يوجهه لا يأتي بخير ) حينما ترسله موله .  
وفي (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل) .

قال الألوسي:

هل يستوي هو ومن هو ذو فهم ونطق ذو رأي ورشد يكفي الناس في حاجاتهم وينفعهم في بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضال .

وفي البيضاوي<sup>(٢)</sup>:

أبكم : ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم .

(لا يقدر على شيء ) : من الصنائع والتدابير لنقصان عقله .

(لا يأتي بخير ) : لا يأتي بنجح وكفاية خير .

وفي النسفي<sup>(٣)</sup>:

الأبكم : هو الذي ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم (لا يقدر على شيء) : هو الإشارة على المعجز التام والنقصان الكامل .

(لا يأتي بخير ) : لا يأتي بخير لأنه أخرس عاجز لا يحس ولا يفهم .

وبعد هذه الجولة المباركة مع آيات الله المعجز الخالد يمكن أن نقول .



والله أعلم - أن كلمة أبكم " والتي تقع دائماً وفي كل القرآن بين صم وعمى (صم بكم عمي) : تشير إلى مكان البيان داخل المخ البشري فصم يقابلها في الحالة السوية السمع العاق عن الله الفاهم لآياته البيانات ، وبكم يقابلها في الحالة السوية النطق بالحق ، النطق بتوحيد الله ، وعمى يقابلها في الحالة السوية البصر العاقل المدرك لآيات الله الظاهرة .

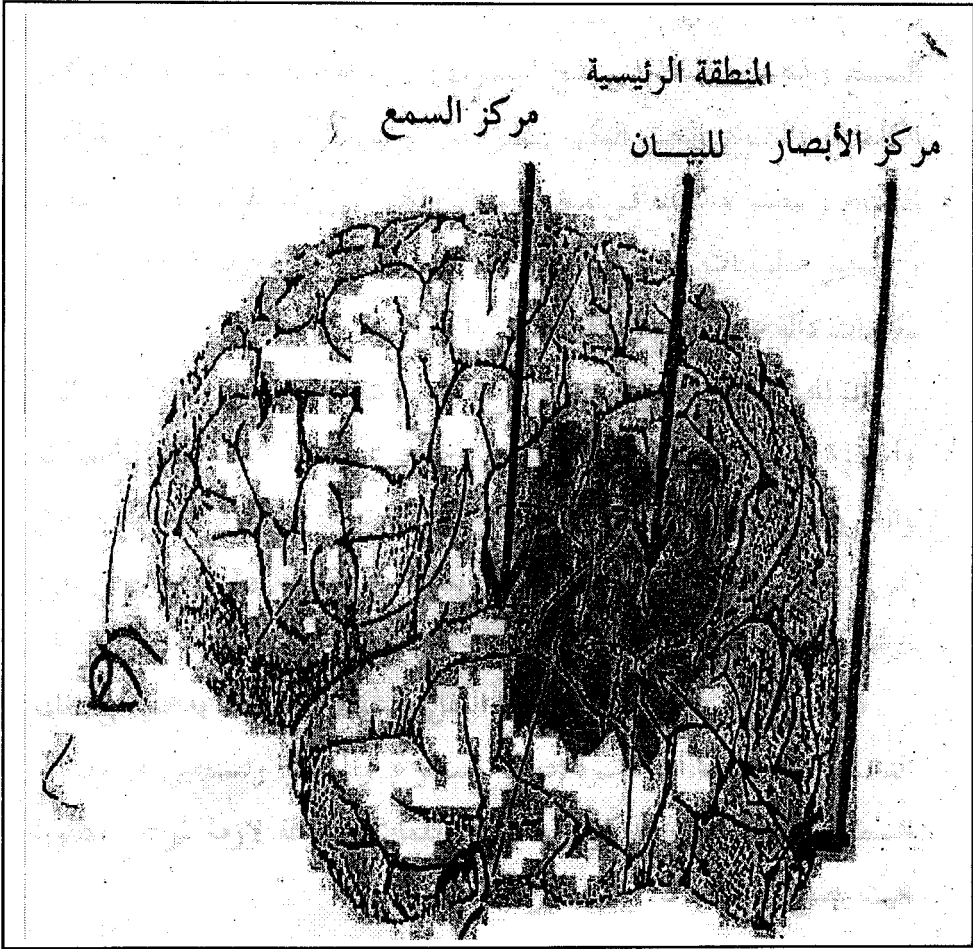
ولقد عرفنا من البحث السابق أن للسمع مركز في الفص الصدغي من قشرة المخ وللبصر مركز في الفص الخلفي في آخر المخ وعلماً أيضاً أن تقديم السمع وتأخير البصر في القرآن الكريم هو نفس الترتيب المكاني لمراكز السمع والبصر داخل المخ البشري فمراكز السمع تقدم مراكز الإبصار - ونلاحظ هنا في صم ، بكم ، عمى أن صم تتقدم عمى كما تقدم " السمع " على " البصر " في كل القرن الكريم ومنها فإن وجود " بكم " بين " صم وعمى " يشير بأن هناك منطقة للبيان البشري العالي تقع في المنطقة البينية بين مركز السمع ومركز البصر " وهذا ما وجده العالم الألماني الشهير " ورنيك " ومن بعده ركز العلماء البحث في هذه المنطقة البينية يتم فهم السمع وفيها أيضاً يتم بناء اللغة بطريقة سليمة معبرة مفهومة . ووجد العلماء أيضاً أن التلف الجزئي لهذه المنطقة يؤدي إلى تعطيل فهم الكلم المسموع وبالتالي فإن الشخص المصاب بأفة في هذه المنطقة يفقد قدرته البيانية فيتكلم كلاماً فارغاً لا معنى له ، كلام لا يمت بصلة إلى ما يوجه " من أسئلة .

فلو رجعنا إلى الآية (٧٦) من سورة النحل لوجدنا وصف معجز بكل المقاييس لوظيفة منطقة البيان في المخ البشري والتي سبق أن حددنا مكانها بمكان " بكم " بين " صم " من الأمام و" عمى " من الخلف . ولو رجعنا إلى قول الأزهري وابن الأعرابي في لسان العرب في شرح الأبكم . (الأبكم الذي لسانه نطق وهو لا يعقل الجواب ولا يحسن وجه الكلام ) فإننا سنجد أن كلمة " بكم " محددة لمنطقة البيان بأنها المنطقة التي يفهم فيها الكلام المسموع وفيها تتكون الجمل المفيدة المعنى السليمة المبني المناسبة للمقام <sup>(١)</sup> .

## الخلاصة

كلمة بكم في مكانها الثابت في كل القرآن الكريم بين " صم وعمى " أشارت إلى مكان منطقة البيان في المخ ومعنى كلمة " بكم " واستخدامها في القرآن الكريم واللغة أشارت إلى وظيفة مركز البيان داخل المخ البشري . سبحان الله كل هذه العلوم من كلمات ثلاث " صم ، بكم ، عمى " . حقاً إنه كلام الله إنه معجزته الخالدية أنه دليل بين قاطع على صدق الرسالة وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

## مركز البيان بين مركز السمع ومركز البصر



(في صنعة الله داخل المخ البشري)

المنطقة الرئيسية للبيان تقع بين مركز السمع ومركز الإبصار

(في القرآن الكريم)

بكم دائماً بين سم وعمى

(الإسراء : ٣٦)

(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً)

البقرة

(صم عمى فهم لا يعقلون) (في وصف الكفار).

في البحث الس

ابق حققنا

والبيان في القرآن الكريم وبنا أن

قضية السمع

الآيات التي جاء فيها ذكر السمع والبصر والبكم تشير إلى مناطق السمع والبصر والبيان في المخ البشري إشارة

علمية صادقة بل أن مواقع الكلمات (السمع ، البصر ، البكم) تشير إلى الترتيب المكاني (التشريحي) لمراكز

السمع والبصر والبيان في مخ الإنسان ولكن هل إدراك المسموع والبصر وتسجيل معلومات عنهم تخزن في

الذاكرة ميزة بشرية فريدة؟ وهل النطق بكلمات دالة على معاني موافقة لمقتضى الحال ميزة بشرية عليا ؟

إن التابع لآلات خزن واسترجاع المعلومات فيما يسمى بالحاسب الآلي وأجهزة الذكاء الصناعي يلاحظ وجود

أجهزة يمكن لها أن تستقبل الأصوات والصور وتخزنها في ذاكرة كبيرة جداً يمكن أن تفوق الذاكرة البشرية

بمراحل كبيرة ويمكن استرجاع معلومات عنها وبسرعة فائقة وبدرجة مزهلة وفي جميع الاتجاهات .

فهل الإنسان أو المخ البشري أو العقل البشري يمكن أن يدخل في تلك الدائرة لا يتعداها أي الدائرة إدراك

المسموع والبصر وتسجيل المعلومات السمعية والبصرية في الذاكرة ثم ترديد كلمات منطوقة لازمة لمواقف

مطلوبة بحيث يصبح الإنسان كآلة مبرمجة من آلات الذكاء؟

الواقع يقول : لا فالآلات مهما تعقدت أو اتسعت ذاكرتها فيما هي إلا آلات جهادية لا حياة فيها ولا انفعال

لها مسيرة لا ذاتية ولا شخصية لها ، أما الإنسان ففيه معنى زائد فهو مع إدراكه للمحسوسات وتسجيله لتلك

الإدراكات في ذاكرته فهو في نفس الوقت يفعل حباً وكرهاً وإنشراحاً ونفوراً وهو يقضب ويفرح .

أنه بخلاف الآلات الصماء يتفند ، بل ومن خلال انفعاله الشخصي يوجه أجهزة الإدراك لتلون المدركات

وتحورها وتطفي عليها بطانة وجدانية لا توجد في الآلات المبرمجة مهما تعقدت .

وفي إعجاز مذهل يشير القرآن الكريم إلى كل ذلك من خلال ثلاثة كلمات (السمع ، البصر ، والفؤاد) وهم

دائماً وفي كل القرآن يكونوا علاقة عضوية ذات ترتيب ثابت يبدأ بالسمع والبصر وينتهي بالفؤاد ليشير للعقل المفكر أن الإنسان أو عقل الإنسان أو مخ الإنسان ليس فقط أجهزة إدراك مبرمجة أو آلات حاسبة أو ذاكرة عاملة بل هو أكبر من ذلك إنه عقل يرتبط ببطانة وجدانية (عقل ، وعاطفة ) فإذا كان العقل المقياس يتمثل في السمع والبصر فإن الفؤاد يشير إلى الوجدان.

ولأجل ذلك كان لابد لنا أن نعيد النظر في قضية الفؤاد والتي بدا وكأنها حسمت من خلال اعتقاد كثير من العلماء بأن القلب هو الفؤاد والفؤاد هو القلب ، ولكن ظواهر ملفتة في الكتاب والسنة واللغة قد تقود خطانا نحو كشف المعنى الحقيقي للفؤاد أو (سر الفؤاد ) .

وسنقوم بإذن الله بجولة مع كتب التفسير والسنة واللغة نستخلص منها تلك الظواهر ثم نناقشها بإذن الله لنصل على الهدف المرجو ألا وهو مكان الفؤاد ووظيفته .

فهيأ بنا بعقول مفتوحة وقلوب نيرة نفوس في بحر علوم القرآن لنلتقط درة أدرها الحق مع غيرها في مكنون غيبية حتى إذا جاء الميقات إنفلقت الصدقات عن آيات يدرك العقل من خلالها صدق الرسالة وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

## قضية الفؤاد في القرآن الكريم

جمع إحصائي لبعض آيات الفؤاد

(وأقسموا بالله جهد إيمانهم لنن جاءهم أية ليؤمنن بما قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) الأنعام آية (١٠٩)

(ونلقب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ) الأنعام (١١٠)

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً\* ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون ) الأنعام آية (١١٢)

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ) هود (١٢٠)

(ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) إبراهيم آية (٣٧) .

(إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقتعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) إبراهيم آية (٤٣)

(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً) الإسراء آية (٣٦) (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) المؤمنون آية (٧٨)

(. . . كذلك لنثبت به فؤادك . . .) الفرقان آية (٣٢)

(ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذا كانوا يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزؤون) الأحقاف (٢٦)

(نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة) الممزة آية (٦ ، ٧)

(وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها).

مناقشة الظواهر التي بدت في آيات الفوائد

بعد أن عرضنا الآيات التي جاء فيها ذكر الفؤاد نقول وبالله التوفيق : أن المتابع المدقق في هذه الآيات يلاحظ ظواهر ملفتة للنظر وهي :

١- أن الفؤاد يأتي مصاحباً للسمع والبصر ويشير القرآن الكريم إلى أنهم جميعاً أدوات تكليف .

٢- أن الفؤاد يتخذ مكان ثابت بعد السمع والبصر (بخلاف القلب) ويشكلا معاً علاقة عضوية .

٣- أن الفؤاد يأتي كالبصر في صيغة الجمع .

٤- أن الآية العاشرة في سورة القصص تفك الجهة بين القلب والفؤاد

٥- أن الفؤاد يأتي في معاني تحول حول العواطف والأحاسيس والغرائز .

٦- أن الفؤاد يأتي في معاني تشير إلى الذاكرة .

فهي بنا في جولة متفحصه لهذه الظواهر .

الظاهرة الأولى: السمع والبصر والفؤاد أدوات تكليف:

(ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزؤون) الأحقاف آية (٢٦)

(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) سورة النحل .

أما أدوات علم للمكلف  
 (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) سورة الإسراء آية (٣٦)  
 إنها أدوات عقل مكلف.  
 الظاهرة الثانية : الفؤاد يأتي في مكان ثابت بعد السمع والبصر بخلاف القلب :  
 (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) .  
 (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة) .  
 وهذا المكان الثابت للفؤاد بعد السمع والبصر بخلاف مكان القلب بالنسبة للسمع والبصر إذ يأتي القلب في أي  
 مكان بالنسبة للسمع والبصر.

فقد يأتي قبل السمع والبصر مثل :  
 (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة . . . )  
 وقد يأتي بين السمع والبصر مثل :  
 (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) الجاثية (٢٣)  
 وقد يأتي بعد السمع والبصر:  
 (قل أرءيتم أن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم . . . ) سورة الأنعام آية ٤٦ .  
 الظاهرة الثالثة : أن الفؤاد يأتي كالبصر في صيغة الجمع ويعلق على ذلك رجال التفسير بأن ذلك لتعدد مدارك  
 الفؤاد كالبصر.

الظاهرة الرابعة :

الآية العاشرة في سورة القصص تفك الجهة بين القلب والفؤاد .  
 (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) .  
 ولابد من وقفة متأنية مع هذه الآية فنقول وبالله التوفيق .  
 فالآية تقرر أن الفؤاد أصبح فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى ونتيجة لذلك كادت تصيح (ولدي) جزعاً  
 وهلعاً مع أن الوحي قد بث فيها الطمأنينة مسبقاً بأن ابنها موسى سيكون في الحفظ وسيعود وسيكون من  
 المرسلين ورغماً عن ذلك طار ما في فؤادها من الهلع وكادت تظهر ذلك لولا أن ربط الله على قلبه وهنا نسب  
 الربط إلى القلب وليس إلى الفؤاد ولكن ماذا لو لم يحدث الربط على القلب يكون الجواب : لسزاغ القلب  
 وانقلب ويكون السؤال التالي : وماذا لو انقلب القلب ؟

فيكون الجواب :

لو انقلب القلب لأنقلب تبعاً له الفؤاد كما جاء في سورة الأنعام آية ( ١١٠ )  
(ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة )

ولكن فؤاد أم موسى لم ينقلب ولكب فرغ من الملع فقط وسبب عدم انقلابه الربط على قلبها ومنعه عن الزيغ لسبق إيمانها الذي استمر حتى جاءت لحظة سلبت إرادتها من شدة الخوف فأصبح فؤادها فارغاً نتيجة هذه الحالة القهرية فهي مؤمنة من البداية بعكس الكفار الذي جاء ذكرهم في سورة الأنعام.  
(ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ) لماذا ؟

يقول الحق بعدها :

(كما لم يؤمنوا به أول مرة ) فقد سبق كفرهم من البداية .

وهذه الآية بالإضافة إلى أنها تفك الجهة بين القلب والفؤاد تشير إلى أن الفؤاد تركيب معين في الإنسان إذا كان ملئ بضوابط معينة حاضرة فيه فإنه يفرض سيطرة على بعض الأحوال وإن فرغ من هذه الضوابط لحظياً أو كلياً فقدت السيطرة فحضور الضوابط فيه شرط للسيطرة العقلية للأحداث المتعلقة به .  
وهذه إشارة إلى الذاكرة :

وتشير الآية أيضاً عن طريق فك الجهة أن هناك قوة أخرى يمكنها تعديل أحوال الفؤاد وتمدنته وإرجاع الذاكرة العاقلة له ألا وهي القلب المؤمن.

الظاهرة الخامسة : الفؤاد يأتي في معاني تحوم حول العواطف والأحاسيس والغرائز :

(فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم . . . ) سورة إبراهيم آية (٣٧)

(نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ) تشير إلى الأحاسيس أو حس الألم وفي سورة الأنعام آية (١١٢) .

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) .

إلى أن قال سبحانه :

(ولنصفي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون) .

وقد فسرت هذه الآيات بان زخرف القول هو المزوق من الكلام والباطل منه .

والصغو : الميل .

فالذين لا يؤمنون يميلون إلى شهوات الدنيا الباطلة ولا يدرون أن ورائها شراً مستطيراً ومن جملة هذه ، الشهوات مزخرفات الأقاويل وتموهات الأباطيل.

قالها الطبري والفخر الرازي والألوسي: وهذه تحمل معنى الغرائز.  
(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ....) سورة هود آية (١٢٠).  
تشير أيضاً إلى معنى يحوم حول العواطف.

الظاهرة السادسة :

الفؤاد يأتي في معاني تشير إلى الذاكرة (مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفندقم هواء) سورة إبراهيم آية (٤٣)  
طارت الذكريات الممتعة التي اكتسبوها من شهواتهم ، طارت من أفندقم وهذه إشارة إلى أن الفؤاد مكان للذاكرة .

(وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) إشارة إلى أن الفؤاد له علاقة بالذاكرة.  
أحاديث جاء فيها ذكر الفؤاد والقلب

في مسند أحمد عن أبي هريرة قال :

أنه مات ميت من أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجتمع النساء يبكين عليه ، فقام عمر بن الخطاب ينهاهن ، ويطردهن فقال صلى الله عليه وسلم (دعهن يا ابن الخطاب فإن العين دامعة والفؤاد مصاب وأن العهد حديث) .

وفي مسند أحمد ج ٤

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى :

(يا ملك الموت قبضت ولد عبيد قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده قال : نعم قال فما قال . قال : حمدك واسترجع . قال : ابنو له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد) .

وفي مسند أحمد ج ٦

عن السيدة عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع ثم أمرهم فحسوا منه ثم يقول.

(أنه يعني ليرتو فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسروا إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها).

وفي مسند أحمد ج ٤

يقول صلى الله عليه وسلم :

" أهل اليمن أرق قلوباً وألين أفئدة"

وفي مسند أحمد ج ١



عن علي رضي الله عنه قال :

"بعثني النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً إلى اليمن فذكر الحديث قال : إن الله مثبت قلبك وهاد فؤادك" .

الفؤاد كما جاء في كتب اللغة

أولاً معجم مقاييس اللغة :

فأد : الفاء والألف والذال أصل صحيح يدل على حمى وشدة حرارة - ومن ذلك فأدت اللحم : شويته .

ومما هو من قياس الباب عندنا : الفؤاد سمي بذلك لحرارته والفأد . مصدر فأدته إذا أصيب فؤاده .

ثانياً في تاج العروس :

فأد الخير : جعله في الرماد الحار لينضج

فأد اللحم : شواه .

يقال : رجل مفؤد : جبان ضعيف الفؤاد ، رجل مفؤد مفئيد لا فؤاد له ولا فعل له .

التفؤد : التوقد و سمي الفؤاد لتوقده .

وقيل أصل الفؤاد الحركة والتحرك ومنه اشتق الفؤاد لأنه ينبض ويتحرك كثيراً .

وقيل إنما يقال للقلب الفؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي التوقد ويكون ذلك لنوع الإنسان وغيره من أنواع الحيوان.

كمثل أتان الوحش أما فؤادهما فصعب وأما ظهرها فركوب.

أو الفؤاد ما يتعلق بالمرئ من كبد ورئة وقلب وفي الكفاية ما يقتضي أن الفؤاد والقلب مترادفان والأكثر على التفرقة ، فقال الأزهري : القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط ، وقيل الفؤاد وعاء القلب أو داخله أو غشاء والقلب حبته .

وقيل القلب أحص من الفؤاد ومنه حديث (أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوباً والين أفئدة) فوصف صلى الله عليه وسلم القلوب بالركة والأفئدة باللين.

ثالثاً- لسان العرب<sup>(١)</sup> :

الفؤاد : القلب ، وقيل وسطه وقيل غشاء القلب ، والقلب حبته وسويداؤه وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم عاد سعداً وقال : (إنك رجل مفؤود) المفؤود الذي أصيب فؤاده بوجع.

ورجل مفؤود : جبان الفؤاد وضعيف الفؤاد .

القلب كما جاء في كتب اللغة

أولاً- معجم مقاييس اللغة :

القاف واللام والباء أصلان صحيحان

أ- أحدهما يدل على خالص شيء وشريفه .

ب- والأخر على رد شيء من جهة إلى جهة .

والأول القلب: قلب الإنسان وغيره سمي لأنه أخلص شيء فيه وخالص كل شيء وأشرفه قلبه .

والأصل الآخر قلبت الثوب قلباً . . . وقلبت الشيء كيبته ، وقلبته بيدي تقليياً .

ثانياً - في لسان العرب :

القلب مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط . . . وقد يعبر بالقلب عن العقل قال الفراء في تفسيره (إن في ذلك

تذكري لمن كان له قلب ) أي عقل وقال بأنه جائز في العربية أن يسمى العقل بالقلب .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال (أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوباً وألين أفئدة) فوصف صلى الله

عنه وسلم القلوب بالركة والأفئدة باللين وكان القلب أخص من الفؤاد في الاستعمال .

قلب كل شيء : ليه ، وخالصة ومحضه وفي الحديث (أن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس ) .

ثالثاً - في القاموس المحيط <sup>(١)</sup> :

القلب : الفؤاد أو أخص منه والعقل محيط كل شيء .

بعد هذه الجولة فيكتب التفسير وأحاديث الرسول ومعاجم اللغة حول قضية الفؤاد نصل إلى ما يأتي :

١- الفؤاد غير القلب وإن كان هناك ثمة علاقة تربطهم وذلك للأسباب الآتية :

١- الآية العاشرة من سورة القصص تفك الجهة بين القلب والفؤاد .

(وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها . . . ) .

وهذه الآية تشير إلى أنه بينما الفؤاد فارغاً نجد أن القلب يأخذ مركز الصدارة والقيادة .

ب- أحاديث للرسول تفك الجهة بين القلب والفؤاد :

(أهل اليمن أرق قلوباً وألين أفئدة )

فصل بين القلب والفؤاد ونسب الرقة للقلب واللين للفؤاد .

وكذلك دعائه صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه :

(أن الله مثبت قلبك وهاد فؤادك ) .

ج- معاجم اللغة تشير إلى دلائل أصول كلمة القلب تختلف عن دلائل أصل كلمة فؤاد (فالقلب) في اللغة له أصلان صحيحان : أصل يدل على خالص شيء وشريفه ، وأصل يدل على رد شيء من جهة إلى جهة .

(والفؤاد) في اللغة أصل صحيح يدل على : حمى وشدة ، ومن ذلك فأدت اللحم = شويته .

والفؤاد سمي بذلك لحرارته وهو يكون لنوع الإنسان وغيره من أنواع الحيوان قال الشاعر :

كمثل أتان الوحش أما فؤادها فصعب وأما ظهرها فركوب

٢- الفؤاد يشكل علاقة عضوية مع السمع والبصر وله مكان ثابت لا يتغير بعد السمع والبصر في كل القرآن مما يوحي بأنه يأخذ حكم السمع والبصر كأدوات علم ويشير إلى منطقة من مناطق المخ تتكامل مع السمع والبصر في مخ الإنسان المكلف .

القلب إذا جاء مع السمع والبصر لا يأخذ مكان ثابت بل قد يأتي قبل السمع والبصر .

(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة. . .)

وقد يكون بين السمع والبصر :

(و . . . . . وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) الجاثية (٢٣)

وقد يكون بعد السمع والبصر :

(قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم . . . . .) الأنعام (٤٦) .

٤- استخدامات القرآن للفؤاد يوحي بأن منطقة الفؤاد تتعامل مع أحداث تحوم حول العواطف والغرائز والأحاسيس بالألم والاستجابات الوجدانية المختلفة ولها علاقة بالذاكرة ، ولقد بينا في القسم العلمي العقلي أن: المنطقة التي تحط فيها إدراكات السمع تقع في الفص الصدغي من المخ والمنطقة التي تحط فيها إدراكات البصر تقع في آخر المخ في الفص الخلفي ، والمنطقة التي تعتبر مجمع للعواطف والأحاسيس والغرائز ولها علاقة بالذاكرة تقع في قلب المخ .

وقلنا في القسم العلمي الشرعي أن السمع يتقدم البصر في كل القرآن كما أن مركز السمع يتقدم مركز البصر في مخ الإنسان ولأن مركز البصر هو آخر منطقة من الخلف على سطح المخ ليس بعدها إلا الهواء فإلى أي شيء يشير الفؤاد الذي يأتي دائماً بعد السمع والبصر في آيات القرآن الكريم .

(إن السمع والبصر والفؤاد) .

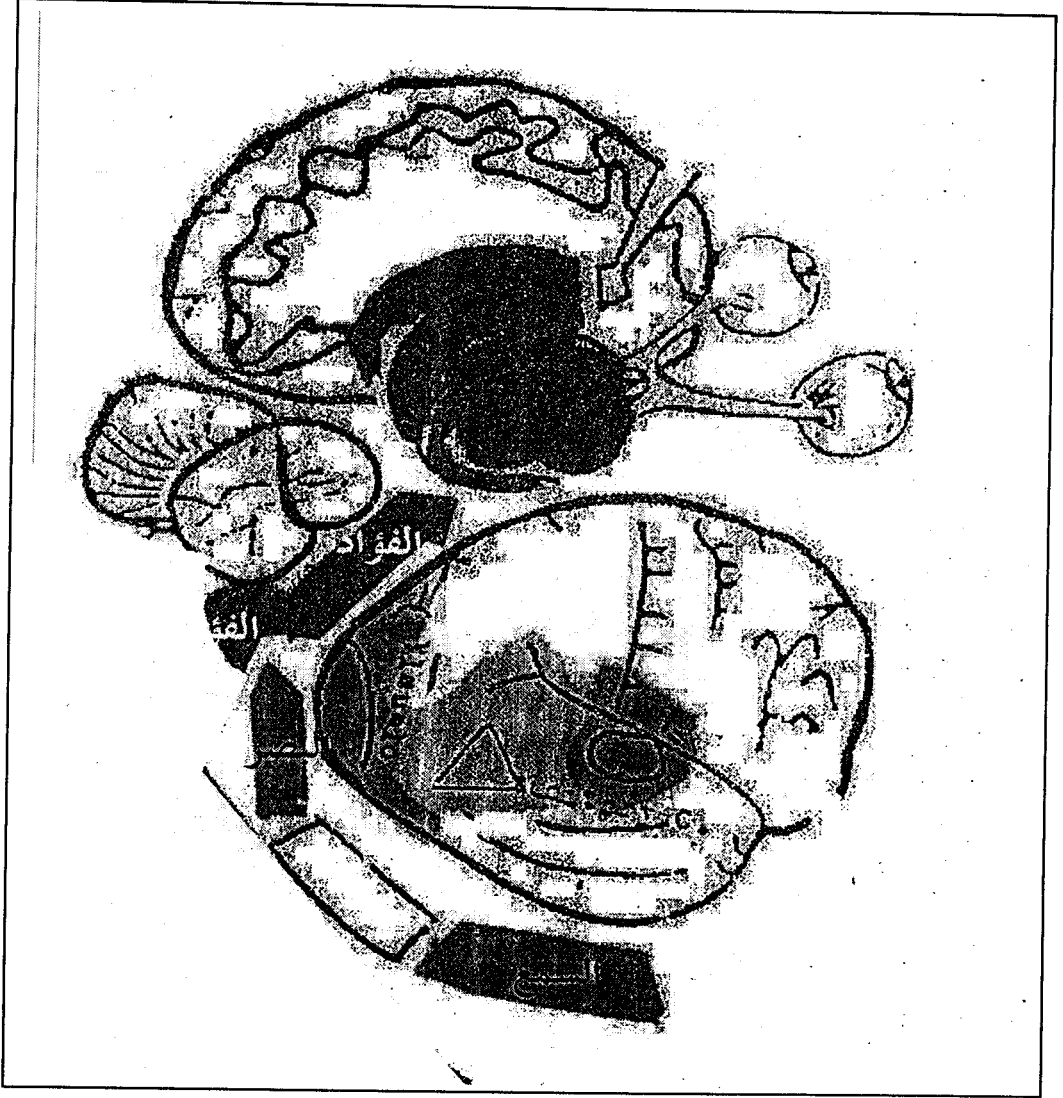
لا يوجد إلا طريق وحيد يمكن أن يشير إليه الفؤاد ألا وهو عمق المخ أو قلب المخ ، أو بمعنى آخر إذا كان السمع في القرآن يشير إلى مركز السمع في المخ والبصر يشير إلى منطقة الإبصار في آخر المخ فإن الفؤاد يشير إلى قلب المخ حيث مجمع العواطف والغرائز والأحاسيس .

وبذلك تكتمل الصورة المجسمة للمخ بمناطقه العقلية المقايسة على قشرته والبصر ومناطقه الوجدانية في قلبه (قلب المخ) المتمثل في الفؤاد. واجتماع العقل والعاطفة في وحدة ولا فيه يشكل قيمة فريدة لن توجد في أدق آلات الذكاء الصناعي. فإذا قلنا كما قال السلف وعلماء التفسير والشريعة من التابعين أن القلب وهو اللطيفة الربانية الذي يتواجد في الصدر ويعتبر أميراً للجوارح فإن السمع والبصر والفؤاد أدوات علم له ومناطقها العاملة تقع في المخ. وبذلك تكتمل الصورة المجسمة للمخ البشري الراقى فهو عقل مقاييس محاسب وأرشيف ذاكرة متعددة الأغراض ويتمثل ذلك في أدوات الحس ومتعلقاتها وأهمها السمع والبصر وهي أدوات علم وتكليف وبالإضافة إلى ذلك يحمل منطقة في قلبه وتضفي إلى الأحاسيس المجردة والمعلومات المبرمجة أحاسيس وعواطف وانفعالات فهو يسمع ويسجل ذلك في ذاكرته وينفعل بما يسمع ويميل إليه أو ينفرد منه وهو يرى ما يرى وينفعل عاطفياً به فهو ليس آلة حاسبة مقايسة أو ذاكرة مبرمجة بل هو أكبر من ذلك أنه عقل وعاطفة ذاكرة وأحاسيس وعواطف تتفاعل لتشكيل جوهر الإنسان المكلف.

ولكن هل تكفي المزوجة بني مدارك الحس كالسمع والبصر وما يتعلق بهما وبين مناطق العواطف في قلب المخ هل يكفي ذلك لتحقيق معنى الإنسان المكلف؟  
قد أقول لا - لماذا؟

لأن المزوجة بني قوى الحس العقلية وقوى العواطف الإنفعالية سيتمخض عن آلية يتم فيه إدراك المحسوسات وتخزينها والاستجابة الإنفعالية لها إقبالاً أو نفوراً ثم التصرف وفقاً لهذا الإنفعال ، وهذا المعنى موجود في الحيوان الذي يحتل مرتبة أدنى من الإنسان ولكن من الملاحظ أن الإنسان فيه معنى زائد على كل هذا إنما الإرادة التي تسبق الفعل فتحدثه والإرادة التي تلي أهم فتمنعه والإرادة التي تختار بين البدائل التي تسبق الفعل فتحدثه والإرادة التي تلي أهم فتمنعه والإرادة التي تختار بين البدائل وهذا المعنى الزائد لا بد وأن يكون له مكان يعمل عليه فكما للبصر مكان وللسمع مكان وللعواطف مكان فللإرادة مكان وأقصد بالإرادة إرادة الاختيار بين البدائل أو إرادة الاختيار من البداية . . فأين مكان ذلك المعنى الزائد أين مكان الإرادة والاختيار بين البدائل ؟ هذا ما سنعرفه في هذه الرحلة الشاقة مع علوم القرآن والمخ البشري فالتستعد أخي المفكر بتصفية الفكر وتنقية الانتباه حتى تستطيع أن تلتقط هذه الجوهرة من بين أمواج بحر القرآن الكريم .

منظر لفلقتي المخ يظهر فيها سطح المخ وقلب المخ



## الفحص الجبهي للمخ والناصية

ملخص لوظائف الفص الجبهي  
في الحالة السوية

- يجعل السلوك موافق للمقام عن طريق المراقبة الواعية والضبط المستمر والخلل في ذلك يؤدي إلى خلل في السلوك .
  - يقوم بوظيفة الرقابة والسيطرة على السلوك الوجداني (تنظيم) من خلال سيطرة على جهاز العواطف.
  - هو قائد ما يستروا الحس الحركة ورقياً عليها ومنظماً لها وفقاً للمواقف الحالية والمتابعة .
  - يقوم بتنفيذ الخطط لتنفيذ أمر مطلوب ويقوم على الإشراف على عملية التنفيذ خطوة خطوة حتى تتم للخطة الموضوعه .
  - يقوم بحل المشكلات التي قد تواجه خطة معينة من خلال الإختبار بين البدائل.
  - أدواته الذاكرة الدائمة والذاكرة الآتية ووسائلها علمها عند الذي أبدعه من العدم .
- ويقول باحث روسي في وظائف الفص الجبهي العليا :
- إضمار النية وتقدير الطرق للوصول إليها والتخطيط لذلك ثم بداية التنفيذ ومتابعته ليأتي وفقاً للمخطط وقد يتدخل بين اللحظة والأخرى لحل العقبات التي قد تعترض مسار الخطوات عن طريق الإختيار بين البدائل.
  - (في حالة تخريب الفص الجبهي ) يحدث تغير في السلوك الإجتماعي والشخص إلى الأسوء ويخل بالتخطيط والتنفيذ للخطط السلوكية وصاحبه يصبح مهملاً في عمله وفي مظهره ولا يستقر في عمل ولا يستطيع أن يقيم علاقة حميمة حتى مع أقرب الناس إليه.
  - يفقد الشخص المرونة مع الأحداث وعدم المقدرة على تغيير الإتجاه وفقاً لتداعي المتطلبات العملية .
  - يفقد الإدراك العالي للمحيط الخارجي ويعاني من هلاوس بصرية وسمعية وحسية وغيرها .
  - عدم المقدرة على اختيار وتقدير وتنفيذ الخطط وأحياناً لا يستطيع المريض حتى تجهيز وجبة غذائية بسيطة له .
  - اختلال عملية رسم الخطط لتنفيذ المطلوب .
  - فقد المقدرة على المبادرة لأي عمل أو حالة ولكن لو دفع إليه فقد يتممه إن لم يقطع حركته أو فعله حدث آخر.

- يختل رد فعل المناسب وفقاً للأحداث والمؤثرات الخارجية المختلفة .
- يعاني من عدم التركيز والانتباه والمتابعة الواعية للأحداث المختلفة (خلل في الانتباه الإرادي).
- عدم المقدرة على التركيز على مهمة أو التركيز فيها .
- يعاني من حالة من الإنشكاح أو اللامبالاة وفقد المقدرة على التقدير ورسم الخطط المسبقة وفقد الإحساس بالخوف أو القلق أو تقدير طبيعة المواقف ومتطلباتها .
- خلل في الإدراكات المجردة والتفكير السديد.
- اختلال المقدرة على تحطّي أو التغلب على المصاعب أو القصور الطارئ .
- صعوبة ضبط النتائج الإجتماعية للأفعال.
- عدم استطاعة إقامة مخطط عمل أو متابعته عند البدئ فيه .
- تبقى ذاكرة الماضي الذكاء .
- يستمر هؤلاء المرضى قادرين على حفظ التعليمات لمجموعة من الأفعال التي يبدو أنهم غير قادرين على إنجازها (شروود الذهن)

وهنا يطرق سؤال :

هل الخصائص السابقة تخص الفص الجبهي وحده ؟

وما هي وظائف الفصوص المخية الأخرى؟

والإجابة على هذا السؤال بنعم فالوظائف العقلية العليا كالتقدير والتدبير والاختيار بين البدائل ووضع الخطط ومطابقة الحال للمقام ميزة يختص بها الفص الجبهي .

والفصوص الأخرى لا تتميز بهذا القدر من الوظائف العقلية العليا التي يتميز بها الفص الجبهي فمثلاً الفص المؤخر له وظيفة تتعلق بالبصر بأشكاله وألوانه والفص الصدغي يتعلق بفهم وإنتاج البيان والفص الجداري يختص بالأحاسيس الأخرى كالأحاسيس بالألم أو اللمس والإحساس بالوضع الفراغي في المكان والأحاسيس بالزمان والعلاقات المكانية بين الأشياء وبالإضافة إلى هذه الفصوص وبالأخص الفص الصدغي من الداخل له علاقة بالذاكرة طويلة الأمد وكمخزن للذكريات فتكون النتيجة أن الفص الجبهي هو المكان الذي يمكن أن يحمل معاني العقل .

وبعد هذه الجولة العلمية تثير سؤالاً:

هل في كتاب الله المعجز إشارات نستخرج منها مكان ووظيفة الفص الجبهي؟

قد نقول نعم . . . . كيف ؟

بالمتابعة وبالدراسة المتأنية للآيات التي جاء فيها ذكر أحداث تحوم حول العقل ومعانيه المختلفة وهذا ما ستقوم به بإذن الله في البحث التالي.

الناصية كما جاءت في معاجم اللغة

وآيات الذكر الحكيم

في معجم مقاييس اللغة لابن فارس جزء ٥ ص ٤٢٣ دار الفكر (نصا) النون والصاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على تخير وخطر في الشيء وعلو ، منه النصية من القوم ومن كل شيء : الخيار ويقال انتصيت الشيء : اخترته ومنه الناصية : سميت لإرتفاع منبتها .

وفي معجم مفردات القرآن للراغب الأصفهاني دار الفكر ص ٥١٧ الناصية : قصاص الشعر ونصوت فلان وانتصيته وناصيته : أخذت بناصيته .

وقوله تعالى : ( ما من دابة في الأرض إلا هو آخذ بناصيتها ) أي متمكن منها وفلان ناصية قومه كقولهم رأسهم وعينهم وفلان ناصية قومه أي خيارهم والنص مرعى من أفضل المراعي .

وفي لسان العرب لابن منظور:

قال الفراء في قوله عز وجل : ( لنسفعا بالناصية ) ناصيته مقدمة رأسه .

وقال الأزهري الناصية عند العرب منبت الشعر في منبت الرأس لا الشعر الذي تسميه العامة الناصية .

وقال الزجاج في قول عز وجل :

( ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ) بمعنى في قبضته تناله ما شاء قدرته وهو سبحانه لا يشاء إلا العدل / ويقال للرؤساء نواصي.

سورة العلق :

(أقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق الإنسان من علق \* اقرأ وربك الأكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الإنسان ما لم يعلم \* كلا إن الإنسان ليطغى \* أن رآه استغنى \* إن إلى ربك الرجعى \* أرايت الذي ينهى عبدا إذا صلى \* أرايت إن كان على الهدى \* أو أمر بالتقوى \* أرايت إن كذب وتولى \* ألم يعلم بأن الله يرى \* كلا لئن لم ينتهي لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة \* فليدع نادية \* سندع الزبانية \* كلا لا تطعه واسجد واقترب) .  
يقول الطبري :

لنسفعا بالناصية : : لناخذن بمقدم رأسه ، فلنضمه ولولته يقال : سفعت بيده إذا أخذت بيده .

وقيل لناخذن بناصيته إلى النار .

وعن (ناصية كاذبة خاطئة) قال أبو جعفر : وصف الناصية بالكذب والخطيئة والمعنى لصاحبها .



ويقول الفخر الرازي :

إن الله سبحانه ذكر في مقدمة السورة دلائل ظاهرة على التوحيد والقدرة والحكمة بحيث يبعد من العاقل أن لا يطلع عليها ولا يقف على حقائقها ثم اتبعها بما هو السبب الأصلي في الغفلة عنها وهو حب الدنيا والإشغال بالمال والجاه ، والثروة والقدرة ، فإنه لا سبب لعمى القلب في الحقيقة إلا ذلك . . . وبعد ذلك ذكر قضية أبو جهل التي بدأت بقوله سبحانه :

(أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى . . . )

وفي معنى هذه الآية يقول الفخر :

أرأيت خطاب للرسول على سبيل التعجب ووجه التعجب فيه أمور منها :

أن أبو جهل كان يلقب بأبي الحكم فكانه تعالى يقول : كيف يليق به هذا اللقب وهو ينهى العبد عن خدمة ربه ، أيوصف بالحكمة من يمنع عن طاعة الرحمن ويسجد للأوثان : (أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى) خطاب لمن ؟ يقول الفخر

فيه وجهان :

أولاً : (خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم : فيكون المعنى : أرأيت إن صار على الهدى وأشتغل بأمر نفسه ، أما كان يليق به ذلك وهو رجل عاقل ذو ثروة كأنه سبحانه يقول : كيف فوت على نفسه المراتب العالية وقنع بالمراتب الدنية .

ثانياً: خطاب للكافر وكأنه سبحانه وهو الحكم العدل بعد أن وجهه خطابه للرسول وجهه للخصم فيكون المعنى : أرأيت أيها الكافر إن كانت صلاته صلى الله عليه وسلم هدى ودعاؤه رحمة انتهاء عن ذلك ؟

وفي قوله : (أرأيت إن كذب وتولى) - ( ألم يعلم بأن الله يرى)

يقول فيها قولان :

الأول : الخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم فيكون المعنى أرأيت يا محمد إن كذب هذا الكافر بتلك الدلائل الواضحة ، وتولى عن خدمة خالقه ، ألم يعلم بعقله أن الله يرى منه هذه الأعمال القبيحة ويعلمها أفلا يزجره ذلك .

والثاني : أنه خطاب للكافر فيكون المعنى : إن كان يا كافر محمداً كاذباً أو متولياً ألا يعلم بأن الله يرى حتى ينهى بل احتاج إلى هيئك .

وبعد ذلك جاء الزجر (كلا) .

وعن (لنسفا) قال الفخر الرازي : فيها وجوه :

- ١- لناخذن بناصيته ولنسحبناه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة .
- ٢- السفع : الضرب
- ٣- التسويد .
- ٤- لنسمنه

وعن الناصية يقول الفخر الرازي :

معرفة : كأنه يقول الناصية المعروفة عندكم ذاتها المجهولة صفاتها وهي ناصية كاذبة قولاً وخاطئة فعلاً وإنما وصف بالكذب لأنه كان كاذباً على الله ورسوله .  
كاذباً على الله بأنه لم يرسل رسول . وعلى رسوله بأنه ساحر كذاب وخاطئة لأن صاحبها متمرد على الله ووصفت الناصية بأنها كاذبة خاطئة كما وصفت الوجوه بأنها ناظرة (إلى رها ناظرة) .

ولالألوسي تفسير جميل في هذه الآيات ، يقول رحمة الله

أرأيت : هنا خطاب لكل من له عقل من جنس المكلفين بمعنى أخبرني يا من له أدنى تمييز أو أيها الإنسان .  
وفي (أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ) يقول : أخبرني عن ذلك الناهي إن كان على الهدى فيما ينهى عنه عن عبادة الله وحاصل المعنى على ما قال الفراء : أرأيت الذي ينهى عبداً يصلى والمنهى على الهدى وأمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من ذا .  
وعن قوله سبحانه (لنسفا بالناصية)

يقول الألوسي : أي لناخذن بناصيته ولنسحبناه بها إلى النار يوم القيامة وقال المبرد السفع : الجذب بشدة .  
وقال مؤرخ السفع : الأخذ بلغة قريش والناصية شعر الجبهة ويطلق على مكان الشعر .  
وعن قوله (ناصية كاذبة خاطئة ) يقول الألوسي : إن وصف الناصية بذلك وهو صفة لصاحبها للمبالغة لشدة كذبه وخاطئة كان كل جزء من أجزائه يكذب ويخطأ .

وفي (واسجد ) يقول : هو السجود على ظاهره أو مجازاً عن الصلاة ولأنه في صحيح مسلم وغيره :  
(أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء) .

وفي الصحيح أيضاً (عليك بكثرة السجود فإنك لا تسجد لله تعالى سجدة إلا رفعك الله تعالى درجة وحط عنك بها خطيئة) .

وفي كاذبة خاطئة يقول ابن عباس :

-كاذبة على الله ، - خاطئة مشرقة بالله

(وفي سورة هود : ٥٠ : ٦٠)

(وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) .  
 (يا قوم لا أسئلكم عليه أجرأ إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون)  
 (يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزيدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) .  
 فكان رد قومه :  
 (قالوا يا هود ما جئنا ببينة وما نحن بتاركي آهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) .  
 (إن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء قال إني أشهد الله وأشهد إني بري مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) .  
 (إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) .  
 قال أبو جعفر : إني توكلت على الله الذي هو مالكين ومالككم والقيم على جميع خلقه . " من أن تصيبوني بشيء " .  
 فإنه ما من شيء يدب على الأرض إلا والله مالكة وهو في قبضته وسلطانه دليل خاضع له .  
 ويقول الإمام الطبري :  
 كيف قيل (هو آخذ بناصيتها) فخص بالأخذ الناصية دون سائر الأماكن . قيل : لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذل والخضوع فتقول :  
 " ما ناصية فلان إلا بيد فلان " أي : إنه له مطيع ، يصرفه كيف يشاء ، وكانوا إذا أسر الأسر فأرادوا إطلاقه والمن عليه جروا ناصيته ، ليعتدوا بذلك عليه فخراً عند المفارقة فخطبهم رهم بما يعرفون في كلامهم .  
 وعن (أن ربي على صراط مستقيم) .  
 إن ربي على طريق الحق يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيئ بإسائته ولا يظلم أحداً منهم شيئاً ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به .  
 وهذه الآيات تدل على أن الناصية هي مركز القيادة للسلوك .  
 ويقول الفخر الرازي :  
 (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) تدل على التوحيد .  
 (وإن ربي على صراط مستقيم) تدل على العدل ، أي إن كان سبحانه وتعالى قادراً عليهم لا يظلمهم .  
 وبعض المفسرين كما جاء في القرطبي يميل إلى الأخذ بظاهر الآية فجاء في تفسير الآية :  
 إن الله تعالى قدر مقادير أعمال العباد ثم نظر إليها ، ثم خلق خلقه ، وقد نفذ بصره في جميع ما هم فيه عاملون قبل أن يخلقهم فلما خلقهم وضع نور تلك النظرة في نواصيتهم لذلك النور آخذ بنواصيتهم يجربهم إلى أعمالهم المقدره عليهم يوم المقادير . . . ولهذا قويت الرسل وصاروا من أولي العزم لأنهم لاحظوا نور النواصي ، وأيقنوا أن جميع خلقه منقادون بتلك الأنوار (ذكره ابن كثير) .

وجاء في الحديث النبوي تأكيداً بأن الناصية فيها مراكز القيادة والتوجيه للسلوك البشري فقال عليه الصلاة والسلام : (ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إن عبد ابن عبدك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضايتك).

رواه أحمد في مسنده .

دل الحديث أن الناصية بيد الله وهو دائم أخذ بها فأفاد هذا المعنى ضمناً أن للناصية دوراً هاماً في قيادة الإنسان وتوجيه سلوكه.

بعد هذه الجولة مع آيات الناصية في كتب التفسير ومعاجم اللغة نقول :

ما جاء عن الناصية في كتاب الله المعجز يحمل سراً علمياً يمكن أن يقودنا إلى معرفة أسرار الفص الجبهي للمخ البشري وذلك من خلال ما يأتي :

١- أشار الحق إلى الناصية إشارة يفهم منها أن للناصية علاقة بالإختيار بين البدائل وقضية التكليف فبعد أن عرض الحق البدائل قيد الخيار أمام عقل مكلف (أبو جهل) وكان من الإيمان والصدق أن يختار أبو جهل الحق ويدعوا إليه ولكنه فعل العكس بعناد الكافر وهو يعلم الحق فاستحق التهديد المخيف (كلا لئن لم ينتهي لنسفعا بالناصية) إنها إشارة إلى التكيل وإيقاع العقاب المهيمن ، وإيقاع العقاب نتيجة لسلوك معين يرتبط بشرط سلامة العقل وحرية الإرادة وهي قضية التكليف.

وتوجيه العقاب للناصية بالذات ثم وصفها بأنها كاذبة خاطئة بصيغة (اسم الفاعل) يعني أنها المستولة عن الإختيار بين البدائل بإرادة حرة ، فقد خيرت أو خير صاحبها (بها) بين الإيمان والكفر فاخترت بإرادته الحرة الكفر وخير بين الصدق والكذب فاخترت الكذب.

٢- أشار الحق إلى الناصية إشارة يفهم منها أنها مكان القيادة للإنسان كله أو فيها مركز القيادة التي من خلالها يتم توجيه أنشطة الإنسان وحالاته يقول سبحانه في سورة هود : (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها). معناها أن من أخذ بناصيته أصبح منقاداً وخاضعاً لمن أخذ بها (هيمن عليها) وهنا إشارة خفية إلى أن في الناصية غرفة القيادة للجسم كله.

٣- بالنسبة لمكان الناصية فقد حددته اللغة وكتب التفسير بأنه (مقدم الرأس). فهل هناك مكان في المخ له علاقة بمقدم الرأس وله قيمة بشرية عليا تتصل بقضية التكليف وفيه غرفة القيادة العليا للإنسان المكلف؟

الإجابة نعم إنه الفص الجبهي للمخ البشري الذي تتجلى فيه الإرادة البشرية الحرة والهيمنة على سائر المناطق والاختيار بين البدائل ومعاني العقل المختلفة ، فالأمور تعرض على الفص الجبهي والاختيار يتم به والإرادة تبدأ فيه والتخطيط والتنفيذ يتم من خلاله ، بل وصحته تعني العقل ومرضه يعني الجنون .  
ومن أهم الأحداث العلمية الجديدة والعجيبة هو تسجيل (تيار النية) وهو موجه كهربائية سلبية تظهر في الفص الجبهي لمخ الإنسان عندما (ينوي) الإنسان إيقاع فعل معين وقبل حدوث ذلك الفعل ، ولقد سجل العلماء بوسائل تقنية متطورة هذا التيار وسموه تيار النية .

## الخلاصة

وهنا يمكن لنا أن نخط الرحال بعد تلك الرحلة المضنية نستعرض الدرر التي حصلنا عليها من بحر القرآن العظيم الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنفذ كنوزه ولا ينتهي إعجازه فنقول وبالله التوفيق:

إن الدراسة المتأنية للآيات التي ذكر فيها السمع والبصر والفؤاد والناصية وما يتعلق بهم رسمت صورة مجسمة شاملة لأدوات التكليف في المخ البشري الذي يعتبر مكان لتلك الأدوات فالسمع والبصر وهم علم لهم مراكزهم في المخ البشري على سطح المخ على قشرته بينما تسكن مناطق العواطف والأحاسيس قلب المخ وبينهما علاقة متبادلة يتحقق منها معنى زائد وهو أن المخ بأدوات إدراكه ليس مجرد آلة حاسبة أو ذاكرة مبرمجة أو آلة مقياسة بل هو أكبر من ذلك إنه يدرك ويقاس ويحسب ويحفظ بالذكريات المختلفة وفي نفس الوقت يتفاعل ويتعاطف ويدخل بوجدانه شريكاً في العمليات العقلية الأخرى ، وليس هذا نهاية المطاف بل هناك ما هو أعلى وأعلى من ذلك إنما الإرادة التي تحكم كل الملكات وتوجهها وتختار بين البدائل من خلال المقارنة والترجيح.

وكما أشار القرآن لمكان ووظيفة السمع والبصر والفؤاد أشار إلى الناصية بأن فيها تتجلى الإرادة ومن خلالها يتم الاختيار بين البدائل وتوجيهها يتم تنظيم السلوك وقيادة حركة الجسم وهذا ما وجده العلماء حديثاً وصدق الحق القائل في محكم آياته:

(سنريهم آياتنا في الأفق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

فماذا تقول أيها العقل المفكر العالم ؟ حتماً ستقول (ذلك الكتاب لا ريب فيه).

إنه كتاب الله الوحيد الخالد الباقي المحفوظ الذي يحمل إعجازه فيه ليدين به الجميع وليكون دستوراً للعالمين لمن شاء منهم أن يستقيم .

وللبحث بقية فأحتفظ بهذا القسم لضمه مع الأجزاء التالية لتحصل في النهاية على صورة شاملة لأسرار المخ البشري نتناول فيها المواضيع التالية :

- (١) علاقات مناطق المخ .
- (٢) قضية العقل والمخ .
- (٣) قضية اللغة .
- (٤) قضية النوم .
- (٥) قضية السحر .

وغيرها من الموضوعات التي لها علاقة بالمخ البشري وأسواره.

د.حسين رضوان سليمان الليبيدي

عضو جمعية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

سوهاج / برديس

٦٩١٤٥٧ برديس

## الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
جمع إحصائي لبعض آيات الفؤاد		المقدمة	
مناقشة الظواهر التي بدت يف آيات الفؤاد		هدف البحث	
أحاديث جاء فيها ذكر الفؤاد والقلب		مفتاح البحث	
الفؤاد كما جاء في كتب اللغة		القسم العلمي (العقلي)	
القلب كما جاء في كتب اللغة		مراكز السمع والبصر والبيان	
الفص الجبهي للمخ والناصية		ملخص القسم العلمي (العقلي)	
الناصية كما جاءت في معاجم اللغة وآيات الذكر الحكيم		ظواهر ملفتة للنظر	
الخلاصة		ظاهرة تقديم السمع وتأخير البصر في القرآن الكريم	
الفهرس		ظاهرة إفرااد السمع وجمع البصر في القرآن الكريم	
		عقلية السمع والبصر يف القرآن الكريم	
		عقلية السمع والبصر في الإنسان	
		ظاهرة بكم بينصم وعمى في القرآن الكريم	
		مكان ووظيفة مركز البيان في المخ البشري	
		قضية الفؤاد في القرآن الكريم	

## الهوامش

\* في الحقيقة تشمل منطقة ورنیکا وما حولها .

(١) تدمير : إتلاف أو تحطيم.

(١) كتاب الأشباه والنظائر في القرآن للأستاذ/ عبد العزيز سيد الأهل - إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٤٠٠هـ . ص ١٢٩ .

(١) صاحب البحث.

(١) تفسير الألوسي المسمى / روح المعاني.

(٢) تفسير الفخر الرازي المسمى / بالنفسو الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام / محمد الرازي فخر الدين.

(١) تفسير القرطبي المسمى : الجامع لأحكام القرآن.

(٢) نقيض الشيء : المخالف له .

(١) كتاب إعراب القرآن وبيانه للأستاذ / محي الدين درويش - دار الإرشاد لشئون الجامعة جزء ١ سورة البقرة آية ٧ صفحة ٢٩ .

(٢) كتاب مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة للأستاذ / علي النحدي ناصف - دار المعارف بين السمع والبصر في القرآن الكريم صفحة ٦١ .

(١) سورة ق آية : ٢٢ .

(١) سورة النحل آية ٧٨ .

(١) القسم العلمي صفحة ١٦ ، ١٧ .

(١) القسم العلمي صفحة ١٦ ، ١٧ ولا نقصد في هذا البحث منطقة (ورنيكا) بمعناها الضيق الذي أشار إليه مكتشفها قديماً ولكن نقصد كل المنطقة ما بين مناطق البصر ومناطق

السمع كما سنعرف في الكتاب التالي لهذا البحث .

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب .

(١) تفسير روح المعاني للألوسي.

(٢) تفسير الفيضاي المسمى / أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام / ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الفيضاي الشافعي.

(١) تفسير النسفي المسمى / مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام / أبي البركات عبد الله بن محمود النسفي.

(١) أنظر القسم العلمي صفحة ١٦ ، ١٧ ، وأنظر أيضاً الجزء الثاني من البحث والذي سيصدر قريباً لمناقشة وظائف مناطق المخ بالتفصيل وعلى ضوء من المعارف الحديثة التي

استخدمت فيها أجهزة (البث البوزترون)

(١) لسان العرب لابن منظور طبعة دار المعارف.

(١) القاموس المحيط : للشيخ مجد الدين بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي.



# **نسبة النوع عند الولادة وكثرة الرجال دون النساء**

**د. كريم حسنين إسماعيل عبد المعبود**



## ملخص البحث:

يذهب الكاتب -والله تعالى أعلم- إلى أن الآية الكريمة تتناول نسبة النوع عند الولادة: قال تعالى (بِأَيِّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) فالعلة هي تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا (مَنْ نَفْسٍ وَاحِدَةً يَعْنِي مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) أي خلق من النفس الواحدة زوجها وهي حواء (وَبَثَّ مِنْهُمَا) الضمير راجع إلى آدم وحواء، والمعبر عنهما بالنفس والزوج، والمعنى أي خَلَقَ وذراً أو فرق ونشر منهما على وجه التناسل والتوالد، فلحظة البث هي وقت الولادة، حيث ينفصل الخلق الجديد كلياً عن الأم ويصبح كائناً محمداً مستقلاً بذاته، (رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) والمراد هو الذكور والإناث مطلقاً تجزئاً وليس الرجال والنساء البالغين والبالغات، وحكمة مفارقة اللفظ هي تأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لميدانية غيره، وأن في صدر الآية أمر بالتقوى، ولذا ذكر الكبار منهم لأنه في معرض المكلفين بالتقوى. وظاهر النص يوضح بجلاء أن كثرة عدد الذكور عن الإناث عند الولادة هي كثرة فعلية وليست ظاهرية أو مجازية، وهي سنة الله تعالى في الخلق، والتي أظهرتها الحقائق العلمية الحديثة، وهي غلبة عدد الذكور على عدد الإناث عند الولادة، وهو ما يعرف بالنسبة الثانوية لنوع الجنس للمواليد، وهي حوالي ١,٠٥ (أي ١٠٥ مولود ذكر لكل ١٠٠ مولود أنثى) ، وفي هذا حكمة إلهية، حيث أن فرصة الإناث في البقاء على قيد الحياة - خاصة في السنة الأولى من العمر- أفضل من مثلتها في الذكور، وبالتالي تصبح النسبة ١ (أي ١٠٠ ذكر لكل ١٠٠ أنثى) أثناء فترة النضج الجنسي والتناسل، وهي أفضل نسبة لضمان بقاء نوع الإنسان، بينما تنعكس النسبة في الأعمار المتقدمة، فالآية الكريمة تبين لنا قانون من قوانين الخلق التي سنها الله سبحانه وتعالى، وهي الكثرة الفعلية لعدد الذكور مقارنة بالإناث عند الولادة، لما في ذلك من حكمة لضمان إعمار الأرض بالإنسان كما قضى الله عز وجل.

**ABSTRACT:**

The author suggests that the Holy Verse (4:1) entails the secondary (at birth) sex (male: female) ratio in a precise and inimitable way: (O mankind! reverence your Guardian-Lord, who created you from a single being) i.e. Adam, (and from it created, of like nature, its mate) i.e. Eve, (and from them twain scattered) all over the Earth via reproduction, with scattering taking place at the moment of birth when the new creature gets fully separated from the mother and becomes independent with a unique identity, (men -a lot thereof- and women) sex -males and females- are meant, rather than the adults -men and women- and the wisdom in using the latter formulation is to affirm abundance as they are the potential source of scattering of others and so on. Moreover, those are also the potential addressees for the order (reverence your Guardian-Lord) stated at the start of the verse. The explicit apparent or 'outer' (zahir) meaning conferred by (men -a lot thereof- and women) is the presence of virtual increased number of males compared to females at the moment of "scattering", i.e. delivery. This fact that about 51 percent of all births are male was only recently discovered in modern science. The ratio of male to female at birth - known as the "secondary sex ratio"- is about 1.05, i.e. 105 male: 100 female. In view of the better survival chances for females -especially in the first year of life- the ratio gradually reverts to be nearly 1 (i.e. 100 males : 100 females) by adolescence and sexual maturity.

**This ratio is the most optimal ratio for human reproduction, assuring substantial inhabitation of the earth and preservation of human species. So, the presence of a single word –adjective- aids to manifest one of the ever-lasting laws of creation decreed by Allah, being only known to scientists nearly 1400 years later.**

## مقدمة:

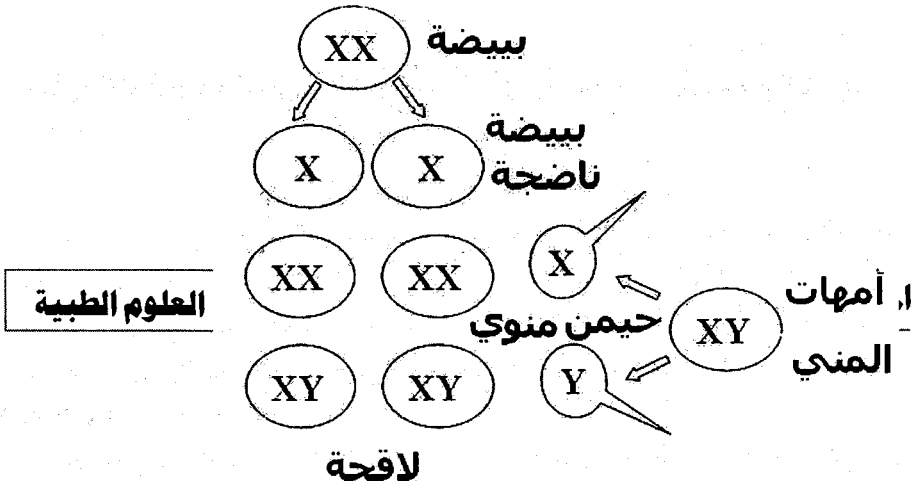
قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>١</sup>. وهذا البحث هو محاولة لفهم ما ورد في الآية الكريمة وعلاقة ذلك بالحقائق العلمية المقررة عن نسبة النوع في خلق الإنسان.

الحقائق العلمية عن نسبة نوع في الإنسان:

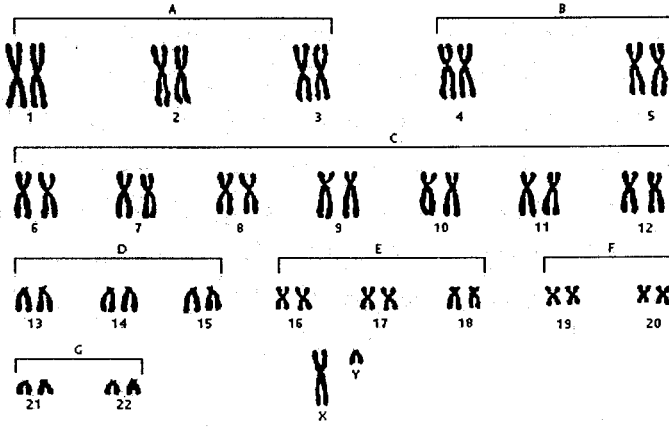
إن نسبة الذكور إلى الإناث في معظم الحيوانات تقارب الواحد الصحيح. وفي معظم هذه الحيوانات - والتي تتساوى فيها تقريباً نسبة نوع الجنس عند الولادة - فإن نوع منهما يصبح أكثر شيوعاً في مرحلة لاحقة من الحياة، ومنها على سبيل المثال الكثير من الطيور الأحادية الزواج (Monogamous) فإن الذكور البالغين أكثر عدداً من الإناث البالغات، ومرجع ذلك -على الأرجح- أن الإناث تتحمل معظم -أو كل في بعض الأنواع- المسئولية في احتضان البيض وتنشئة الصغار، وبالتالي فهن أكثر من الذكور تعرضاً للهلاك، ومن ناحية أخرى فإن الطيور متعددة الزواج (Polygamous Birds) -أي التي يكون للذكر منها أكثر من زوجة- فإن تواجد وانتشار الذكور أكثر صعوبة مقارنة بالإناث، وقد يكون مرجع ذلك -جزئياً- مظهر الريش اللافت للنظر في الذكور وكذلك النمط السلوكي مما يجعلهم أكثر من الإناث عرضة للهلاك. في بعض المفصليات (Arthropods) -وجدير بالذكر براغيث الماء- فإن بعض الأجيال تتكون فحسب من الإناث اللائي يضعن بيض يتطور لاحقاً بالتكاثر العذري (Parthenogenesis)، بينما في أوقات أخرى من العام تواجد الذكور التي تلقح البيض، وفي مجموعة من الحشرات -ومنها النحل والدبور- فإن معظم الأفراد ما هم إلا الشغالات، وهن إناث عقم، وفي الدودة الملعقية (Spoonworm) يكون الجنس غير محدد، ثم تعمل العوامل البيئية على تحديد الجنس، بينما يتغير الجنس مع كبر السن في أنواع أخرى من الديدان البحرية (marine worms)، ومن ناحية أخرى تواجد الأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية في كل فرد من ديدان الأرض والقواقع -بالإضافة إلى قليل من الحيوانات- وهو ما يعرف بالخنوثة (Hermaphroditism)، وهذه بالطبع شائعة في النباتات الزهرية، والتكاثر اللاجنسي شائع في النباتات، ولكن التكاثر الجنسي هو أيضاً القاعدة في جميع النباتات تقريباً، حيث أن قلة منها فقط هي التي يقتصر فيها حدوث التكاثر اللاجنسي<sup>٢</sup>.

إن العامل المحدد للنوع هو التركيب الصبغي للحيمن المنوي المخصب للبيضة، ويقول آخر فإن نوع الجنين يتوقف على ما يساهم به الحيمن المنوي المخصب للبيضة من صبغي (X) أو (Y) (الشكل- ١)، ولأن هذين النوعين من الحيامن المنوية -حاملة شارة الأنوثة (X) أو شارة الذكورة (Y)- نتج بأعداد متساوية من الرجل (الشكل-٢)، فإنه من المنطقي أن تكون نسبة النوع (الجنس) الأولية (Primary Sex Ratio)

-أي عند حدوث الإخصاب- المتوقعة هي ١ (أي ١٠٠ جنين ذكر لكل ١٠٠ جنين أنثى) <sup>iii</sup>، وبرغم ذلك ففي عام ١٩٦٠ تمت دراسة على ٢٤٢ من الأجنة عقب الإجهاض التلقائي وتصنيفها حسب النوع بتعيين الكروماتين الجنسي (sex chromatin) وأظهرت النتائج ازدياد إسقاط الأجنة الذكورية (١٤٩) مقارنة بالأجنة الأنثوية (٩٣)، وفي دراسة لاحقة على الأجنة المستخرجة عقب إنهاء الحمل جراحياً في الأسبوع الخامس إلى الثامن من الحمل أظهرت النتائج أن الأجنة الذكورية تمثل ٧٨ من ١٢٥ جنيناً، مما يعني أن نسبة الذكور إلى الإناث هي ١٦٦ إلى ١٠٠ في تلك المرحلة المبكرة من الحمل <sup>iv</sup>. من ناحية أخرى فإن المشاهد والمعلوم في جميع البلاد أن النسبة ليست كذلك ولكن عدد المواليد من الذكور أعلى من عدد الإناث <sup>v</sup>، ففي أمريكا الشمالية، على سبيل المثال، نجد أن نسبة الجنس الثانوية (Secondary Sex Ratio) -أي عند الولادة- تتراوح بين ١,٠٥ (أي ١٠٥ مولود ذكر لكل ١٠٠ مولود أنثى) <sup>vi</sup> و ١,٠٦ (أي ١٠٥ مولود ذكر لكل ١٠٠ مولود أنثى) <sup>vii</sup>، وفي المجتمعات السكانية الكبيرة يتواجد ذلك الانحراف النسبي تجاه الذكورة على مدار الأعوام مع حالات استثنائية نادرة، وقد تختلف الصورة عند فحص مجموعات سكانية محدودة العدد <sup>viii</sup>، وقد تتغير تلك النسبة إذا ما تدخل الإنسان للتحكم في نوع الوليد <sup>ix</sup>، والموقف الإسلامي حيال مثل هذا التدخل في عملية الخلق قد تم طرحه من قبل <sup>x</sup>.



الشكل-١: تحديد جنس الجنين عند الإخصاب: يتوقف التركيب الصبغي للاقحة وكونها أنثوية (XX) أو ذكورية (XY) على التركيب الصبغي للحيمن المنوي وليست البيضة الناضجة والتي تحتوي أي واحدة منها على الصبغي (X).



الشكل-٢: النمط الصبغي في الإنسان (ذكر): ويوضح ثلاثة وعشرين زوجاً من الصبغيات (الكروموسومات) والزوج الثالث والعشرون هو (XY).

لا يُعرف على وجه اليقين سبب هذا التباين الواضح بين نسبي النوع الأولى والثانوية، وقد تم تعليل ذلك بأن حركة الحيامن المنوية الحاملة لشارة الذكورة (Y) أكثر نشاطاً مما يعطيها ميزة أكبر في القدرة على إخصاب البيضة، ولكن نتيجة لمعدل الفقد الأعلى في الأجنة الذكورية أثناء الحياة الرحمية تنخفض هذه النسبة عند الولادة<sup>xi</sup>، ولكن في عام ١٩٦٧م اقترح بعض الباحثين أن كثرة تواجد الأجنة



الذكرية عن الأنثوية في أوائل الحمل تدعو إلى القول باحتمالية أن عملية الإخصاب تؤدي إلى إنتاج أجنة ذكرية أكثر من نظيرتها الأنثوية أو أن نسبة نجاح الأخيرة في الإنفراس في البطانة الرحمية أقل من الأولى، وحيث أن معظم الدراسات تبين غياب أية فروق في عدد الأجنة الذكرية والأنثوية الناشئة عقب الإخصاب في داخل الجسم أو الإخصاب المعلمي، فإنه يبدو أن نظرية الفشل في الإنفراس هي الأكثر صحة؛ وهناك الكثير من الأبحاث عن الأحداث المناعية المتعلقة بالإنفراس، ومنها زيادة فرص النجاح في الإنفراس في البيضات المخصبة التي تختلف في مولدات المضاد (**antigenically dissimilar**) عن نظيرتها في الأم؛ وهو الوضع القائم في الأجنة الذكرية التي تختلف بما تحمله على الصبغي (Y)، مما يعد عاملاً معضداً لحدوث الإنفراس في الأجنة الذكرية، وهذا الأمر حقيقي في المجتمعات السكانية المتناسلة بصورة طبيعية أو فطرية حيث يصبح تأثير هذا العامل أكثر وضوحاً. إن التباين المناعي قد يشرح أيضاً ارتفاع نسبة النوع (٧، ٥٥ % ذكور) في أطفال الأمهات اللاتي فصيلة الدم بمن (AB) مقارنة بالأخريات ذوات فصائل الدم الأخرى مجتمعة (٩، ٥١ % ذكور)، وكذلك ارتفاع نسبة الذكور في الأطفال ذوي فصيلة الدم (O) <sup>xii</sup>.

وخلاصة الأمر أن نسبة الجنس الثانوية تميل ناحية الذكورة، وعلى الرغم من أن الذكور يمثلون نسبة ٥١ % من المواليد، إلا أن فرصة الإناث في البقاء على قيد الحياة - في المجتمع الغربي الحديث وخاصة في السنة الأولى من العمر - أفضل من مثلتها في الذكور <sup>xiii</sup>، وبالتالي تصبح النسبة ١ (أي ١٠٠ ذكر لكل ١٠٠ أنثى) أثناء فترة النضج الجنسي أو المراهقة، وهي أفضل نسبة لضمان بقاء نوع الإنسان <sup>xiv</sup>، بينما تنعكس النسبة - أي يفوق عدد الإناث عدد الذكور بقليل - في الأفراد الناضجين <sup>xv</sup>.

## مذاهب من سبقوا:

## شروح المفسرين:

اشتملت هذه السورة على أنواع كثيرة من التكاليف ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة <sup>xvi</sup>، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ فالعلة هي تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا <sup>xvii</sup>، والاستعمال جار على أن الوصف الذي علق به الحكم علة موجبة له، أو باعثة عليه داعية

إليه، ولا يخفى أن ما هنا كذلك لأن ما ذكر يدل على القدرة العظيمة أو النعمة الجسيمة، ولا شك أن الأول: يوجب التقوى مطلقاً حذراً عن العقاب العظيم، وأن الثاني: يدعو إليها وفاءً بالشكر الواجب وإيجاب الخلق من أصل واحد للاتقاء على الاحتمال الثاني ظاهر جداً<sup>xviii</sup>، فالأمر بالتقوى معلل بأنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، فقوله تعالى مشتمل على قيدين: أحدهما: أنه تعالى خلقنا، والثاني: كيفية ذلك التخليق، وهو أنه تعالى إنما خلقنا من نفس واحدة، ولكل واحد من هذين القيدين أثر في وجوب التقوى<sup>xix</sup>، والمعنى أنه تعالى يأمر خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبهاً لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة<sup>xx</sup>، ولفظ التماس ينتظم الذكور والإناث حقيقة، وأما صيغة جمع المذكر في قوله تعالى «اتَّقُوا رَبَّكُمْ» فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للإناث عند غير الحنابلة<sup>xxi</sup>، والخطاب يعم المكلفين من لدن نزل إلى يوم القيامة<sup>xxii</sup>.

«الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» يعني من آدم عليه السلام<sup>xxiii</sup>، كما نقل عن السدي<sup>xxiv</sup>، وقناة ومجاهد<sup>xxv</sup>، وقال تعالى «وَاحِدَةً» على تأنيث لفظ النفس<sup>xxvi</sup>، ولفظ النفس يؤنث وإن عني به مذكر<sup>xxvii</sup>، ونظيره<sup>xxviii</sup> في قوله تعالى: «أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ»<sup>xxix</sup>.

«وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا» عطف على «خَلَقَكُمْ» داخل معه في حيز الصلة، وأعيد الفعل لإظهار ما بين الخلقين من التفاوت لأن الأول: بطريق التفريع من الأصل، والثاني: بطريق الإنشاء من المادة<sup>xxx</sup>، وتقديم الجار والجرور للاعتناء ببيان مبدئيه عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر كما مر مراراً، وإيرادها بعنوان الزوجية تمهيداً لما بعده من التناسل<sup>xxxi</sup>، والمعنى: وخلق من النفس الواحدة زوجها يعني بـ (الزوج) الثاني لها وهو فيما قال أهل التأويل: امرأتها<sup>xxxii</sup>، أي حواء<sup>xxxiii</sup>، ونقل ذلك عن مجاهد وقناة والسدي<sup>xxxiv</sup>.

«وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً» الضمير في «مِنْهُمَا» راجع إلى آدم وحواء<sup>xxxv</sup>، والمعبر عنهما بالنفس والزوج<sup>xxxvi</sup>، والذين يقولون: إن جميع البشر كانوا كالذر، وكانوا مجتمعين في صلب آدم عليه السلام، حملوا قوله تعالى «وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً» على ظاهره، والذين أنكروا ذلك قالوا: المراد بث منهما أولادهما ومن أولادهما جمعاً آخرين، فكان الكل مضافاً إليهما على سبيل إجاز<sup>xxxvii</sup>، والمعنى أي خُلق<sup>xxxviii</sup> وذرا<sup>xxxix</sup> أو فرق<sup>xl</sup> ونشر منهما<sup>xli</sup> في أقطار العالم<sup>xlii</sup> في الأرض<sup>xliii</sup> على وجه التناسل والتوالد<sup>xliv</sup> «رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً» على اختلاف أصنافهم وصفاتهم والوالمهم ولغاتهم، ثم إليه بعد ذلك المعاد والحشر<sup>xlv</sup>، ولم يقل: وبث منهما الرجال والنساء لأن ذلك يوجب كونهما مبثوثين عن نفسيهما وذلك محال، فلهذا عدل عن هذا اللفظ إلى قوله: «وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً»<sup>xlvi</sup>.

﴿رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ حَصَرَ ذريتهما في نوعين فاقضى أن الحثى ليس بنوع، لكن له حقيقة تردّه إلى هذين النوعين وهي الآدمية فيلحق بأحدهما<sup>xlvi</sup>، وقيل: وليس المراد بالرجال والنساء البالغين والبالغات، بل الذكور والإناث مطلقاً تجوزاً، ولعل إثارهما على الذكور والإناث لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبتوتة لمبدئية غيره<sup>xlvi</sup>، وقيل: ذكر الكبار منهم لأنه في معرض المكلفين بالتقوى<sup>xlvi</sup>.

﴿كَثِيرًا﴾ نعت لرجالاً مؤكداً لما أفاده التنكير<sup>i</sup>، فهو وصف مؤكداً لما تفيدته صيغة الجمع لكونها من جموع الكثرة<sup>ii</sup>، والإفراد باعتبار معنى الجمع، أو العدد، أو لرعاية صيغة فعيل<sup>iii</sup>، وقيل: أنه نعت لمصدر محذوف أي بئاً كثيراً ولهذا أفرد<sup>iiii</sup>، فإن قيل: لم يقل: وبث منهما رجالاتاً كثيراً ونساء كثيراً؟ ولماذا خصص وصف الكثرة بالرجال دون النساء؟<sup>liv</sup> والجواب: (الوجه الأول) قوله تعالى: ﴿وَنِسَاءً﴾ أي: كثيرة، وترك التصريح به استغناء بالوصف الأول<sup>lv</sup>، (الوجه الثاني) أن شهرة الرجال أتم، فكانت كثرتهم أظهر، فلا جرم خصوا بوصف الكثرة، وهذا كالتبنيح على أن اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز، واللائق بحال النساء الاختفاء والحمول<sup>lvi</sup>، (الوجه الثالث) اكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بما لأن الحكمة تقتضي أن يكن أكثر إذ للرجل أن يزيد في عصمته على واحدة بخلاف المرأة<sup>lvii</sup>.

## مذاهب الباحثين الإسلاميين:

لم يتعرض أحد من الباحثين الإسلاميين -والله تعالى أعلم- من قبل لهذه الآية الكريمة.

### مذهب الكاتب:

يذهب الكاتب -والله تعالى أعلم- إلى أن قوله تعالى ﴿رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ قد خصص وصف الكثرة بالرجال دون النساء تبياناً لسنة الله تعالى في الخلق، وهي غلبة عدد الذكور على عدد الإناث عند الولادة، وهو ما يعرف بالنسبة الثانوية لنوع الجنس للمواليد (Secondary sex ratio)، وهو ما يتفق مع الحقائق العلمية التي تم الكشف عنها حيث وجد أن نسبة الجنس عند الولادة هي حوالي ١,٠٥ (أي ١٠٥ مولود ذكر لكل ١٠٠ مولود أنثى)<sup>lviii</sup>، ويرجع ذلك المذهب ما يلي:

(أولاً) أن لحظة البث في قوله تعالى ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ هي وقت الولادة، حيث ينفصل الخلق الجديد كلياً عن الأم ويصبح كائناً محددًا مستقلاً بذاته، ويؤيد ذلك ما أتى في شروح الآية الكريمة حيث قال المفسرون: المعنى أي خَلَقَ <sup>lix</sup> وذراً <sup>lx</sup> أو فرق <sup>lxi</sup> ونشر منهما <sup>lxii</sup> على وجه التسلسل والتوالد <sup>lxiii</sup>.

(ثانياً) أن المراد من قوله تعالى ﴿رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ هو الذكور والإناث مطلقاً تجوزاً وليس الرجال والنساء البالغين والبالغات <sup>lxiv</sup>، وقيل في حكمة إيثارهما على الذكور والإناث:

١- لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لمبثوية غيره <sup>lxv</sup>.

٢- في صدر الآية، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أمر بالتقوى، ولذا ذكر الكبار منهم لأنه في معرض المكلفين بالتقوى <sup>lxvi</sup>.

(ثالثاً) على الرغم من أن بعض المفسرين الأجلاء قد لجأوا إلى التأويل بصورة واضحة حيث قالوا: قوله تعالى ﴿وَنِسَاءً﴾ أي: كثيرة، وترك التصريح به استغناء بالوصف الأول <sup>lxvii</sup>، أي افترضوا وجود حذف بالآية مع نفي التخصيص بالكثرة للرجال دون النساء، ولكن هناك من أقروا بالتخصيص <sup>lxviii</sup>، وفي محاولتهم لفهم دلالة التخصيص ذهب الألوسي إلى أن الوصف بالكثرة مجازياً حيث برر التخصيص بأن الحكمة تقتضي ذلك إذ للرجل أن يزيد في عصمته على واحدة بخلاف المرأة <sup>lxix</sup>، وفي محاولة لفهم الكثرة على أنها كثرة عددية وليست مجازية ذهب الرازي إلى القول بأن شهرة الرجال أتم، فكانت كثرتهم أظهر، فلا جرم خصوا بوصف الكثرة، وأن هذا كالتبنيح على أن اللاتق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز، واللاتق بحال النساء الاختفاء والخمول <sup>lxx</sup>، أي أن الكثرة العددية هي أمر ظاهري في المجتمع وليس فعلي، وبالتأمل نجد أن هناك تأويلاً في كل من الرأيين، حيث شرحت الكثرة على أنها مجازية أو ظاهرية، وليست كثرة فعلية، وما يذهب إليه الباحث هو أن الكثرة فعلية وأن هذا يتفق بصورة جلية مع الحقيقة العلمية، فقبول ذلك المذهب يستقيم المعنى عند الأخذ بظاهر النص، وهذا يتفق مع القواعد المقررة في التفسير حيث أنه لا يجوز التأويل عندما يفيد المعنى ظاهر النص، وذلك لأنه قول بدون علم على الله تعالى قد يأتى قائله. وبالأخذ بالمذهب المطروح نجد ما يلي:

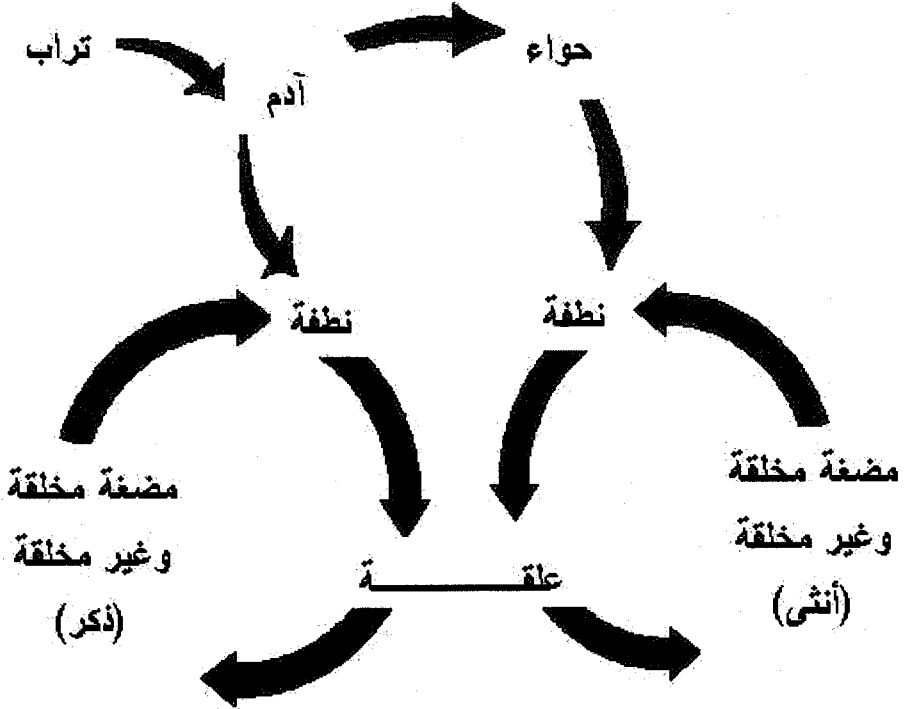
(أولاً) إن في زيادة عدد الذكور عن عدد الإناث حكمة إلهية، حيث أن فرصة الإناث في البقاء على قيد الحياة - في المجتمع الغربي الحديث وخاصة في السنة الأولى من العمر - أفضل من مثلتها في الذكور <sup>lxxi</sup>، فالذكور أكثر عرضة للوفاة، وبالتالي تصبح النسبة ١ (أي ١٠٠ ذكر لكل ١٠٠ أنثى) أثناء فترة النضج الجنسي أو المراهقة، وهي أفضل نسبة لضمان بقاء نوع الإنسان <sup>lxxii</sup>، بينما تنعكس النسبة - أي يفوق عدد الإناث عدد الذكور بقليل - في الأفراد الناضجين <sup>lxxiii</sup>، ثم تنعكس

النسبة في الأعمار المتقدمة نتيجة الوفاة المبكرة للذكور عن الإناث، والآية الكريمة تبين لنا قانون من قوانين الخلق التي سنها الله سبحانه وتعالى، وهي الكثرة الفعلية لعدد الذكور مقارنة بالإناث عند الولادة، لما في ذلك من حكمة لضمان عمار الأرض بالإنسان كما قضى الله عز وجل.

(ثانياً) أغفل عبد الله يوسف على -صاحب أشهر ترجمة لمعاني القرآن الكريم- تخصيص الكثرة للرجال دون النساء، حيث أتى معنى قوله تعالى (رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) في ترجمته "countless men and women"، فجعل صفة الكثرة للنوعين، الرجال والنساء<sup>lxxiv</sup>، وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين -كما سبق بيانه- بالنحو إلى التأويل<sup>lxxv</sup>، والترجمة الأكثر دقة - من وجهة نظر الكاتب- هي: "men (a lot thereof) and women" فهي تبين بوضوح قصر صفة الكثرة على الرجال.

(ثالثاً) من الأمور التي تستحق التوقف والتأمل -حيث أفما تحمل أسراراً كثيرة- ما أشار إليه الرازي في شرح قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ<sup>lxxvi</sup>)، حيث قال: "أنه تعالى جعل هذا المطلق مطعماً لسورتين في القرآن: إحداهما: هذه السورة وهي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن. والثانية: سورة الحج، قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾<sup>lxxvii</sup>، وهي أيضاً السورة الرابعة من النصف الثاني من القرآن، ثم إنه تعالى علل الأمر بالتقوى في هذه السورة بما يدل على معرفة المبدأ، وهو أنه تعالى خلق الخلق من نفس واحدة، وهذا يدل على كمال قدرة الخالق وكمال علمه وكمال حكمته وجلاله، وعلل الأمر بالتقوى في سورة الحج بما يدل على كمال معرفة المعاد، وهو قوله ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، فجعل صدر هاتين السورتين دلالة على معرفة المبدأ ومعرفة المعاد، ثم قدم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد، وتحت هذا البحث أسرار كثيرة<sup>lxxviii</sup>. والكاتب يود أن يشير أيضاً إلى علاقة أخرى بين هاتين السورتين، ففي سورة النساء إشارة موجزة إلى مبدأ الخلق من نفس واحدة وما تلاه من (بث) لسبي آدم في الأرض، قوله تعالى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾<sup>lxxix</sup>، بينما في سورة الحج، قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُتُوبَكُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بَهِيحٍ﴾<sup>lxxx</sup> ورد مبدأ خلق النفس الواحدة -وهو من تراب- وما أعقب

ذلك من كيفية (البث) من الزوجين -الذكر والأنثى- بصورة تفصيلية، ومن أنه يحدث خلال دورة الحياة لجنس الإنسان -والتي لم تعرفها البشرية إلا في مطلع القرن العشرين- وأنها تمر بثلاثة مراحل محددة (الشكل-٣)، وقد أتت الآية الكريمة بوصف هذه السنة الكونية في صورة معجزة في إيجازها ودقتها وجاها<sup>lxxxix</sup>، هذا والله تعالى أعلم.



الشكل-٣: رسم توضيحي لدورة الحياة: منظور قرآني.

## المراجع:

- [١] القرآن الكريم.
- [٢] أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة مصطفى باي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.
- [٣] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر.
- [٤] فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- [٥] أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار التراث العربي، القاهرة، مصر.
- [٦] محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار الفكر، بيروت، لبنان.
- [٧] أبو السعود محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- [٨] أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- Abdullah Yusuf Ali: THE HOLY QUR`AN Text, Translation [٩] and Commentary, Amana Corporation, Maryland, USA, 1409 AH/1989 AC.**
- [١٠] دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨.
- [١١] كارم السيد غنيم: الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص. ٣٠٦-٣١٤.

- [١٢] كريم حسنين: محاولة لفهم وبيان أوجه الإعجاز في قوله تعالى ﴿مُضَعَّفَةٌ مُمَلَّقَةٌ وَغَيْرِ مُمَلَّقَةٍ﴾: دراسة علمية موضوعية جديدة. مجلة طب الأسرة والمجتمع السعودية، مارس ١٩٩٥م، ٢(١): ٧٩-٨٤.
- [١٣] كريم حسنين: دورة حياة الإنسان في القرآن الكريم (١): محاولة لفهم وبيان الإعجاز في الآية الخامسة من سورة الحج. في كريم حسنين: دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن. نهضة مصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، يناير ٢٠٠٠م، الباب الخامس، ص. ١٣٨-١٧١.
- Bernstein, M.E.: Genetic control of secondary sex ratio. [١٤] Human Reproduction, Vol.10, No.10, Oct. 1995, p.2531-2532.
- Peter Bromwich: The sex ratio, and ways of manipulating it. [١٥] In John Studd (ed.) Progress in Obstetrics & Gynaecology, Volum 7. Churchill Livingstone, Edinbutgh, UK, 1989, chap.14, pp. 217-231.
- Sir Norman Jeffcoate: Principles of Gynaecology. [١٦] Butterworth & Co Ltd, London, England, 4<sup>th</sup> edition, 1975, , p.127-133, 155-186
- Johnson LA & Welch GR: Sex preselection in mammals by [١٧] DNA: A method for flow separation of X and Y spermatozoa in humans. In T Rabe, K Diedrich & B Runnbaum (Eds.) Manual of assisted reproduction. Springer-Verlag, Berlin, Germany, 1997, p.337-349.
- Moore, K.L.: The Developing Human: Clinically Oriented [١٨] Embryology, with Islamic Additions: Correlation Studies with Qur'an and Hadith by Azzindani A.A., Dar Al-Qiblah, Jeddah, Saudi Arabia, 1983, pp.23, 255-297.
- Serour, G.I., Aboulghar, M.A., & Mansour, R.T.: Bioethics in [١٩] medically assisted conception in the Muslim World. J Assist Reprod Genet, 1995, 12(9): 559-565.



## الهوامش

- <sup>i</sup> الآية (١) من سورة النساء.
- <sup>ii</sup> دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨.
- <sup>iii</sup> Peter Bromwich, Sir Norman Jeffcoate. و Bernstein, M.E. و K. L. Moore & A. A. Azzindani
- <sup>iv</sup> Peter Bromwich.
- <sup>v</sup> Sir Norman Jeffcoate. و Bernstein; M.E. و K. L. Moore & A. A. Azzindani
- <sup>vi</sup> K. L. Moore & A. A. Azzindani
- <sup>vii</sup> Sir Norman Jeffcoate
- <sup>viii</sup> Bernstein, M.E.
- <sup>ix</sup> Johnson LA & Welch GR, Serour et al., K. Moore. و Peter Bromwich و كارم غنيم.
- <sup>x</sup> Serour et al. و كارم غنيم
- <sup>xi</sup> Sir Norman Jeffcoate
- <sup>xii</sup> Peter Bromwich.
- <sup>xiii</sup> دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨.
- <sup>xiv</sup> دائرة للمعارف البريطانية ١٩٩٨، و Bernstein, M.E
- <sup>xv</sup> دائرة للمعارف البريطانية ١٩٩٨.
- <sup>xvi</sup> تفسير الرازي.
- <sup>xvii</sup> تفسير الرازي والألوسي.
- <sup>xviii</sup> تفسير الألوسي.
- <sup>xix</sup> تفسير الرازي.
- <sup>xx</sup> تفسير الطبري وابن كثير.
- <sup>xxi</sup> تفسير أبي السعود والألوسي.
- <sup>xxii</sup> تفاسير الرازي وأبي السعود والشوكاني والألوسي.
- <sup>xxiii</sup> تفاسير الطبري والقرطبي والرازي وابن كثير والشوكاني والألوسي.
- <sup>xxiv</sup> تفسير الطبري.
- <sup>xxv</sup> تفسير الطبري والقرطبي.
- <sup>xxvi</sup> تفاسير الطبري والقرطبي والرازي والشوكاني.
- <sup>xxvii</sup> تفسير ابن كثير.

- xxviii تفسیر الرازی .
- xxix الآية (٧٤) من سورة الكهف .
- xxx تفسیری أبي السعود والأوسی .
- xxxi تفسیر أبي السعود .
- xxxii تفسیر الطبري .
- xxxiii تفسیر الطبري والرازی وابن كثير والشوكاني والأوسی .
- xxxiv تفسیر الطبري .
- xxxv تفسیر الطبري والقرطبي والرازی وابن كثير وأبي السعود والشوكاني والأوسی .
- xxxvi تفسیر الشوكاني .
- xxxvii تفسیر الرازی .
- xxxviii تفسیر الطبري .
- xxxix تفسیر ابن كثير .
- xl تفسیر القرطبي والرازی والأوسی .
- xli تفسیر الطبري والقرطبي والرازی وابن كثير وأبي السعود والأوسی .
- xlII تفسیر ابن كثير .
- xlIII تفسیری القرطبي والرازی .
- xliv تفسیری أبي السعود والأوسی .
- xlv تفسیر ابن كثير .
- xlvi تفسیر الرازی .
- xlvii تفسیر القرطبي .
- xlVIII تفسیری أبي السعود والأوسی .
- xlIX تفسیر الأوسی .
- I تفسیری أبي السعود والأوسی .
- II تفسیر الشوكاني .
- li تفسیری أبي السعود والأوسی .
- liii تفسیر أبي السعود والشوكاني والأوسی .
- liv تفسیر الرازی .
- lv تفسیری أبي السعود والشوكاني .
- lvi تفسیر الرازی .
- lvii تفسیر الأوسی .

- K. L. Moore and A. A. Azzindani: The Developing Human: Clinically Oriented Embryology, with Islamic Additions: Correlation Studies with Qur'an and Hadith. lvi
- تفسير الطبري. lxx
- تفسير ابن كثير. lxxi
- تفاسير القرطبي والرازي والألوسي. lxxii
- تفاسير الطبري والقرطبي والرازي وابن كثير وأبي السعود والألوسي. lxxiii
- تفسيري أبي السعود والألوسي. lxxiv
- تفسيري أبي السعود والألوسي. lxxv
- تفسيري أبي السعود والألوسي. lxxvi
- تفسير الألوسي. lxxvii
- تفسيري أبي السعود والشوكاني. lxxviii
- تفسيري الرازي والألوسي. lxxix
- تفسير الألوسي. lxxx
- تفسير الرازي. lxxxi
- دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨. lxxxii
- دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨، و Bernstein, M.E. lxxxiii
- دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨. lxxxiv
- Abdullah Yusuf Ali: THE HOLY QUR'AN Text, Translation and Commentary lxxxv
- تفسيري أبي السعود والشوكاني. lxxxvi
- الآية (١) من سورة النساء. lxxxvii
- الآية (١) من سورة الحج. lxxxviii
- تفسير الرازي. lxxxix
- الآية (١) من سورة النساء. lxxx
- الآية (٥) من سورة الحج. lxxx
- القرآن الكريم (١): محاولة فهم وبيان الإعجاز في قوله تعالى (مُضْتَفًةٌ مُخْلَقَةً وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ): دراسة علمية موضوعية جديدة. ودورة حياة الإنسان في القرآن الكريم (١): محاولة فهم وبيان الإعجاز في الآية الخامسة من سورة الحج. lxxxii

## الشرائح والأشكال التفصيلية:

قال تعالى "يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي  
 خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا  
 زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ  
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ وَقِيًّا" النساء (١).

## قوله تعالى "وَبَثَّ مِنْهُمَا"

لحظة البث في هي وقت الولادة حيث ينفصل الخلق  
الحديد كلياً عن الأم ويصبح كائناً محمداً مستقلاً  
بداله، ويؤيد ذلك ما أتى في شروح الآية الكريمة  
حيث قال المفسرون: المعنى أي خلق وذراً أو فرق  
ونشر منهما على وجه التناسل والتوالد.

## قوله تعالى "رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً"

المراد الذكور والإناث مطلقاً تجوزاً وليس الرجال والنساء البالغين والبالغات، وقيل في حكمة إيثارهما على الذكور والإناث:

(أ) لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد الميؤنة لمبدئية غيره.

(ب) في صدر الآية، قوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ" أمر بالتقوى، ولذا ذكر الكبار منهم لأنه في معرض المكلفين بالتقوى.

تخصيص وصف الكثرة للرجال دون النساء في

قوله تعالى "رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً"

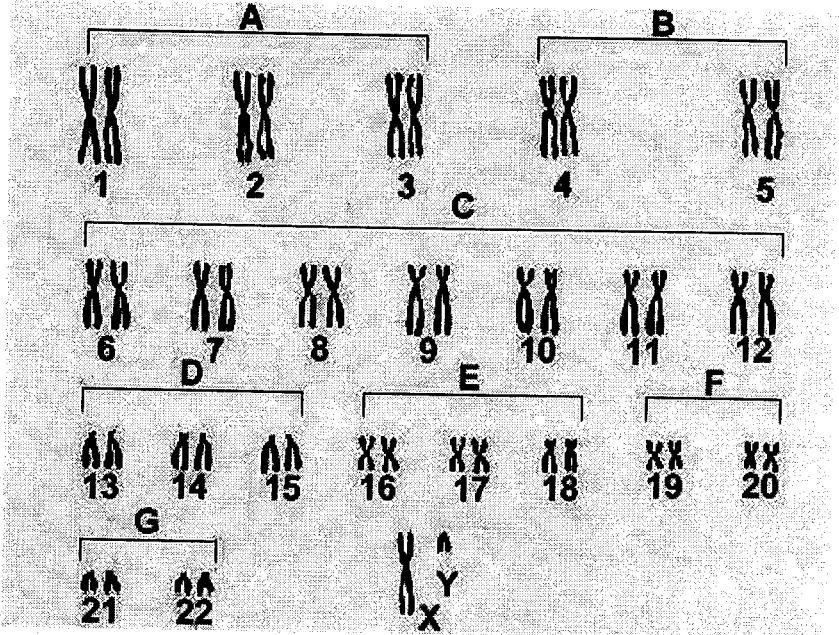
□ سفة الله تعالى في الخلق: وهي غلبة عدد الذكور على عدد الإناث عند الولادة.

□ هو ما يعرف علمياً بالنسبة الثانوية لنوع الجنس للمواليد، (Secondary sex ratio) وهي حوالي ١.٠٥ (أي ١.٠٥ - ١.٠٦ مولود ذكر لكل ١.٠٥ مولود أنثى).

## الدليل

إن شروح المفسرين لجأت إلى التأويل بصورة واضحة بينما تذهب الدلالة المطروحة إلى أنها ككرة فعلية، وهو ما يتفق بصورة جلية مع الحقيقة العلمية، فقبول ذلك المذهب يستقيم المعنى عند الأخذ بظاهر النص، وهذا يتفق مع القواعد المقررة في التفسير حيث أنه لا يجوز التأويل عندما يفيد المعنى ظاهر النص، وذلك لأنه قول بدون علم على الله تعالى قد يأتيه قائله.





## من أسرار القرآن

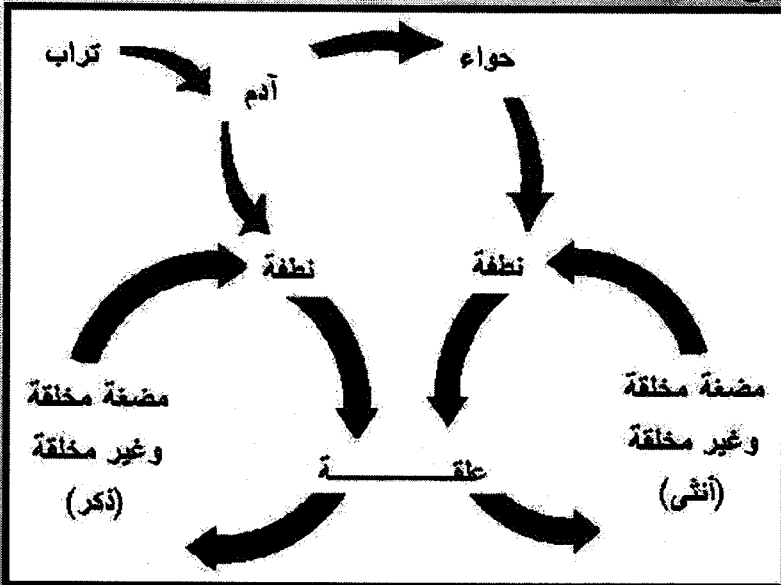
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ النساء (١)

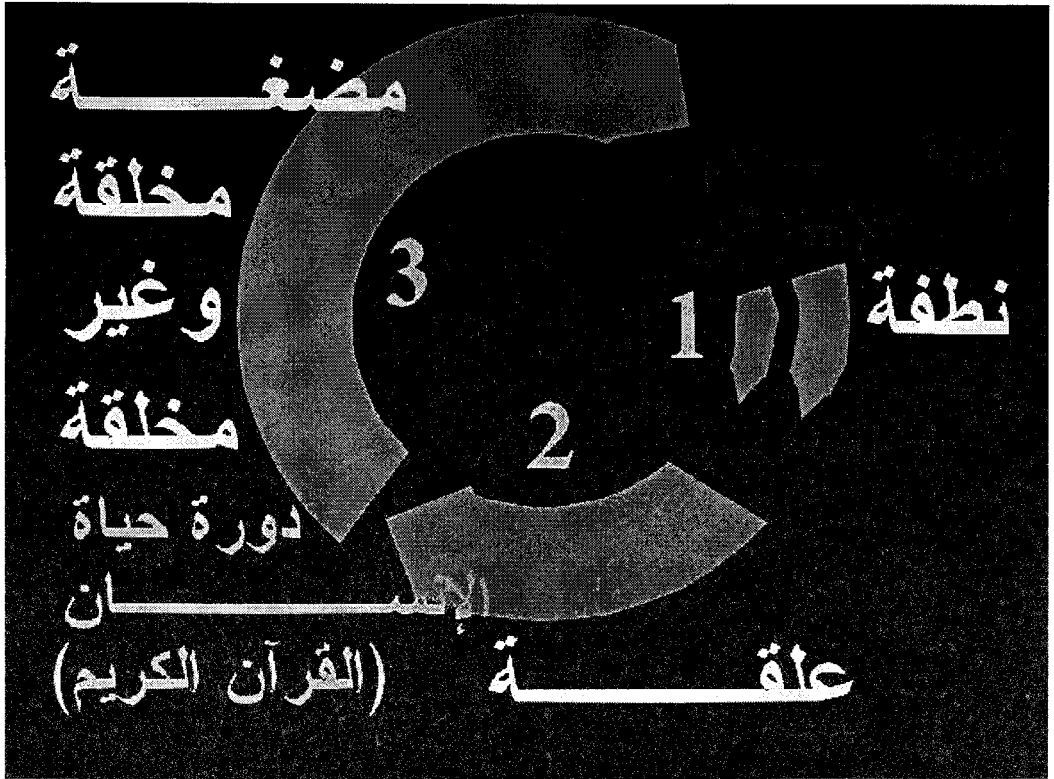
- السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن .
- علة الأمر بالتقوى بما يدل على معرفة المبدأ .

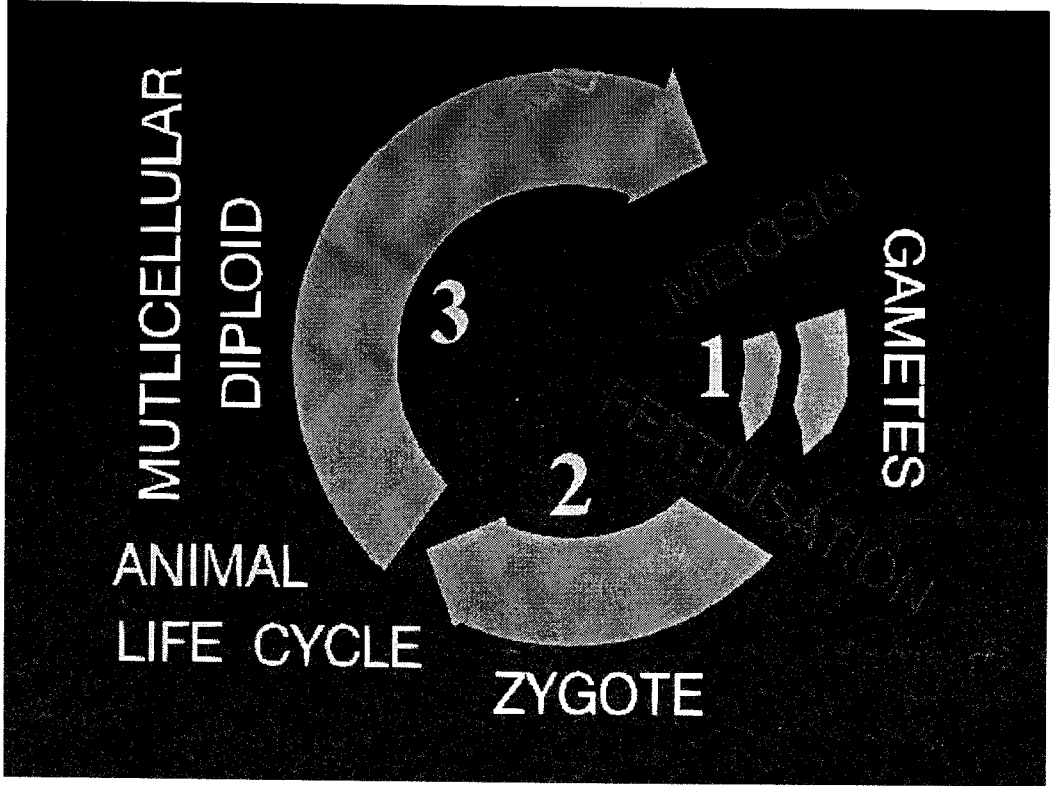
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ الحج (١)

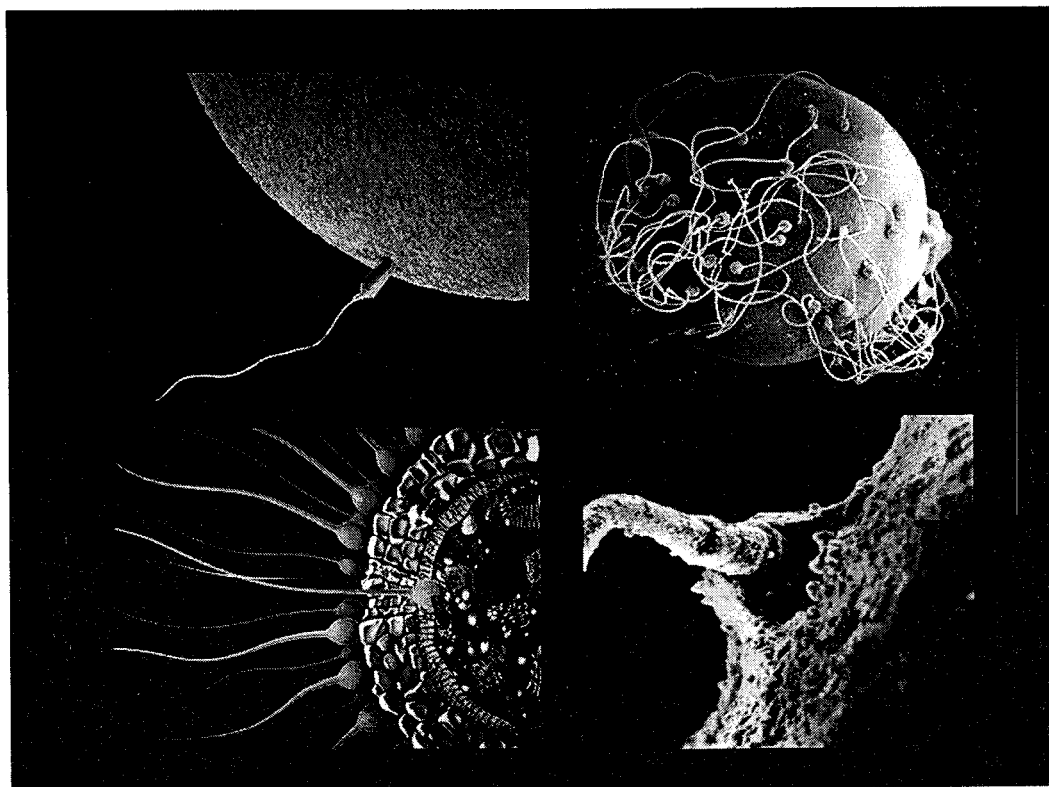
- السورة الرابعة من النصف الثاني من القرآن .
- علة الأمر بالتقوى بما يدل على كمال معرفة المقادير .

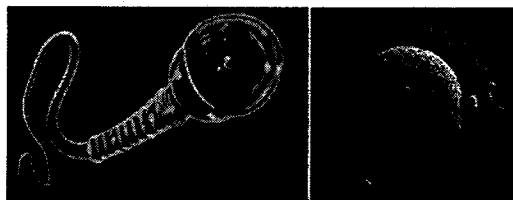
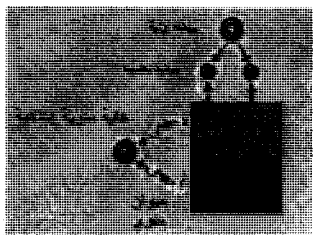
النساء: مبدأ الخلق: نفس واحدة خلق منها زوجها ثم البث .  
الحج: الكيفية التفصيلية للبث خلال دورة الحياة .

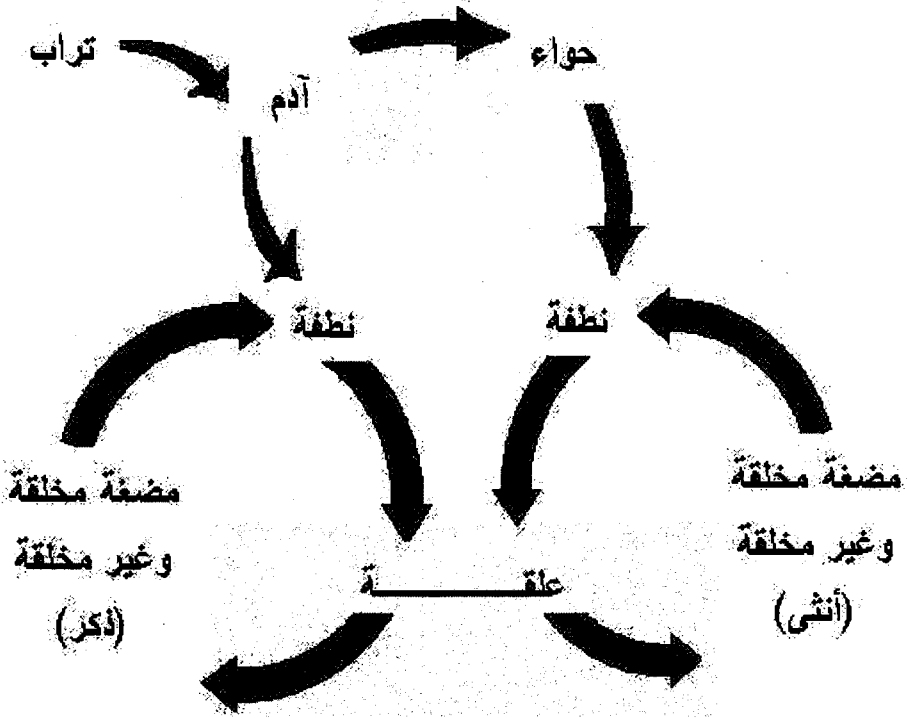




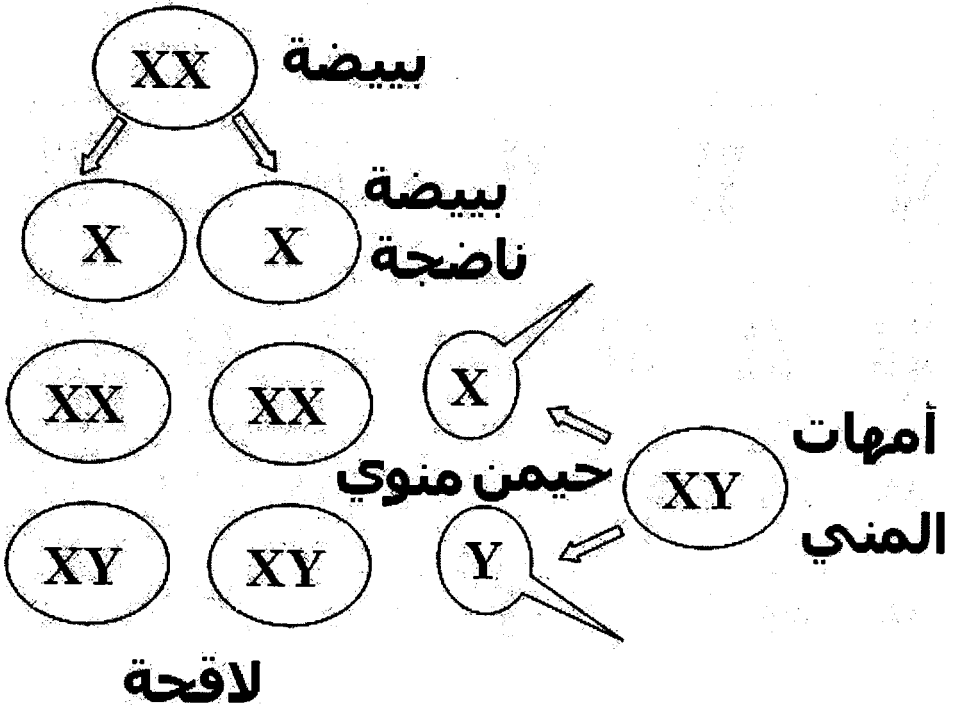


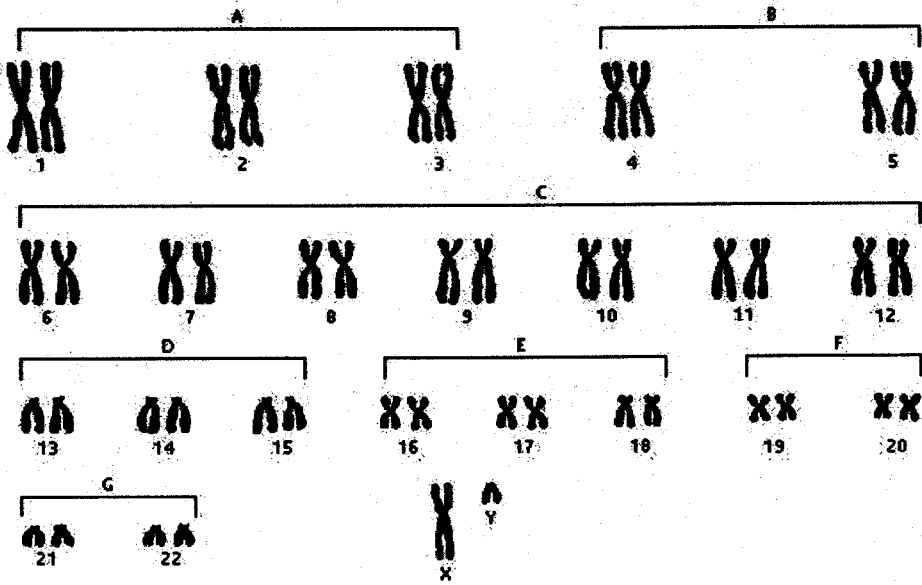


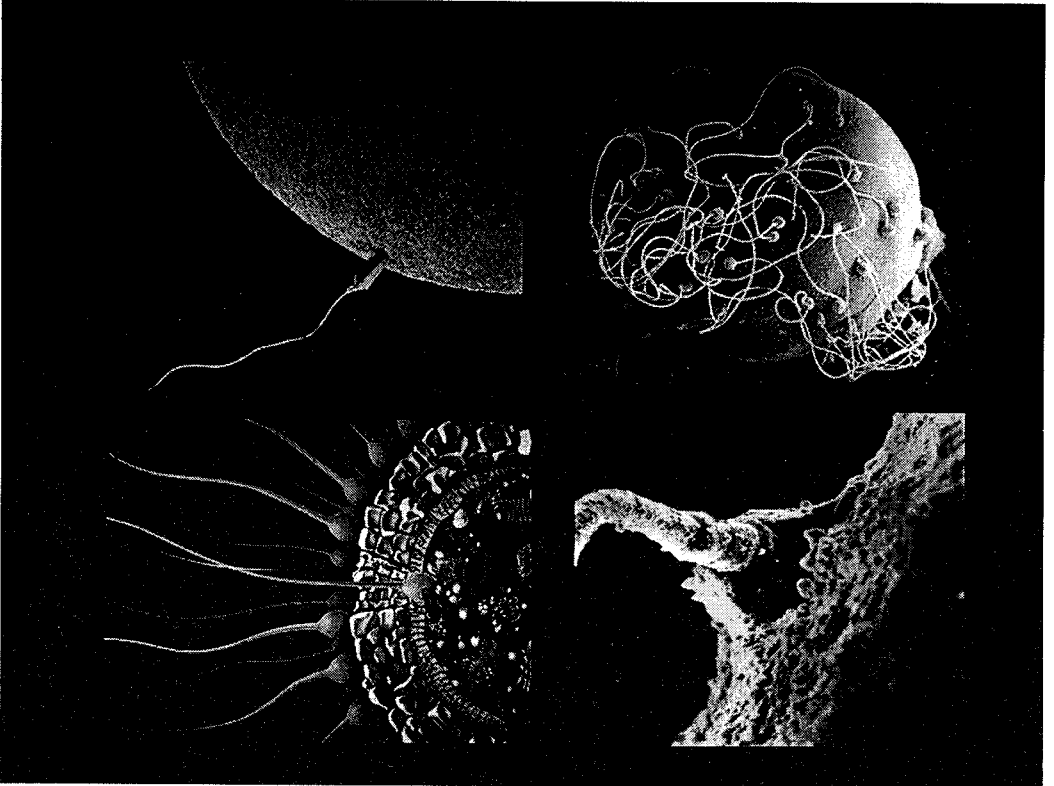


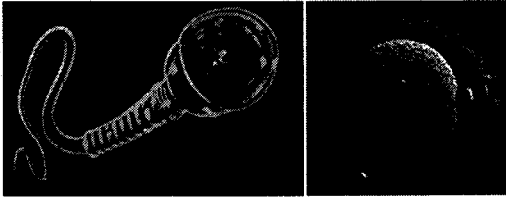
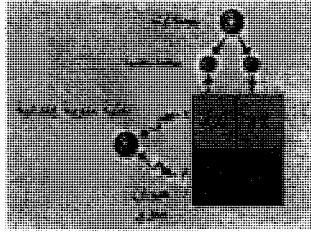


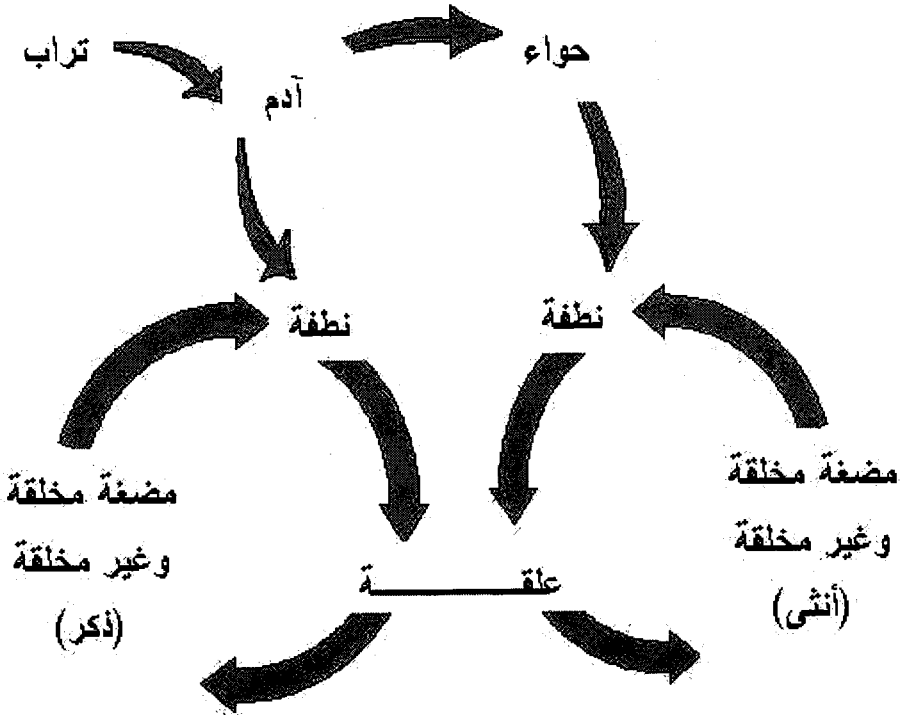


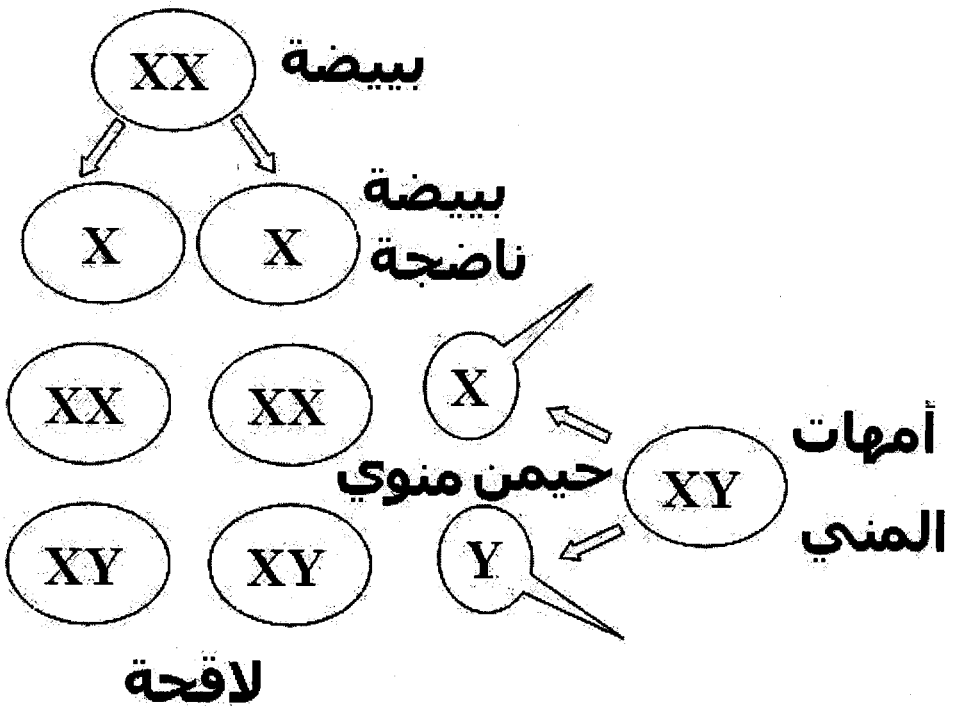


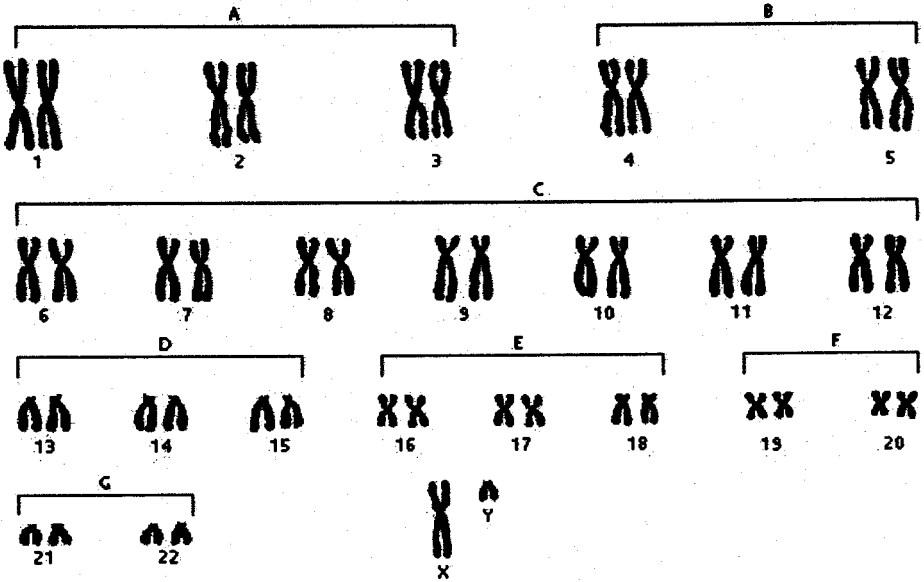


















# الإعجاز الطبي في أحاديث الرسول عن عجب الذنب

د. محمد علي البار



لقد أوضحت أحاديث المصطفى ﷺ قضايا كثيرة في جسم الإنسان وفيما سواه من الأمور التي لم يكشف عنها اللثام إلا في الآونة الأخيرة ، كما لا يزال بعضها يحتاج إلى المزيد من التقدم في العلوم الكونية حتى تتضح كل أبعاد حقائقها الرائعة البعيدة الغور الصعبة المنال مصداقاً لقول الله تعالى : { سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق } ( فصلت : ٥٣ ) .  
ومن جملة هذه الأحاديث تلك الأحاديث المتعلقة بعجب الذنب والتي أوضحت أن جسم الإنسان كله يركب منه عند تكوين الجنين ، كما أن ما يبقى منه في التراب هو الذي يعاد تركيبه يوم القيامة بأمر الله تعالى .

## بعض الأحاديث الواردة في عجب الذنب :

- ١- أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما بين النفتين أربعون ، قال : أربعون يوماً ؟ قال أبو هريرة : أبيت ، قال : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، قال : أربعون سنة ؟ قال : أبيت ، أي أن أبا هريرة أي أن يحدد الأربعين هل هي يوماً أو شهراً أو سنة ) قال : ( أي أبو هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ ) : " ثم ينزل الله من السماء ماءً ، فينبتون كما ينبت البقل ، ليس من الإنسان شئ إلا يبلي إلا عظماً واحداً ، وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة " ( صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الزمر الآية ٨٦ ج ٥٥١/٨ وسورة النبا الآية ١٨ ج ٦٨٩/٨ الطبعة السلفية بمصر تصوير دار المعرفة بيروت ) .
- ٢- أخرج الإمام مسلم في صحيحه مثله عن أبي هريرة وجاء فيه : " كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق ومنه يركب " ، وفي لفظ آخر له : " وليس من الإنسان شئ إلا يبلي إلا عظماً واحداً هو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة " ( صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الفكر ، بيروت ، كتاب الفتن ج ٩١/١٨ ، ٩٢ ) .  
وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً : " إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب يوم القيامة . قالوا : أي عظم هو يا رسول الله ؟ قال : عجب الذنب " .
- ٣- وأخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة بلفظ : " كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب " ( سنن أبي داود ج ٤ الحديث رقم ٤٧٤٣ ، كتاب السنة ، ذكر البعث والصور ، ترقيم وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ) .
- ٤- وأخرجه الإمام مالك في الموطأ : باللفظ السابق ( تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للإمام السيوطي ، كتاب الجنائز ج ٢٣٨/١ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ) .

- ٥- وأخرجه الإمام النسائي في كتاب الجنائز من السنن الكبرى .
- ٦- وأخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب الزهد (مسند الإمام أحمد ج ٢/٢١٥، و ٣٢٢، ج ٣/٢٨).
- ٧- وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في عدة مواضع .
- ٨- وأخرجه ابن حبان في صحيحه في مواضع متعددة بنفس الألفاظ السابقة (صحيح ابن حبان ج ٥/٥٥، ٥٦ ، الأحاديث رقم ٣١٢٨-٣١٣٠) وكلها عن أبي هريرة إلا حديثاً واحداً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ : " يأكل التراب كل شئ من الإنسان إلا عجب ذنبه . قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : مثل حبة خردل منه ينشأ " .

### عجب الذنب في علم الأجنة ( الشريط الأولي ) :

أوضح علم الأجنة الحديث أن عجب الذنب هو الشريط الأولي **Primitive Streak** حيث إن هذا الشريط الأولي هو الذي يتكون إثر ظهوره الجنين بكافة طبقاته وخاصة الجهاز العصبي ، ثم ينسدر هذا الشريط ولا يبقى منه إلا أثر فيما يسمى عظم العصعصي ( عجب الذنب).

### تكوين الشريط الأولي :

بعد أن تعلق الكرة الجرثومية ( الأريمة ) ( جرثومة الشيء أصله ، وكذلك أرومته أي أصله ، وهذه الكرة الجرثومية تتكون من النطفة الأمشاج ( الزيجوت ) بعد أن يلحق الحيوان المنوي البيضة ، ثم يبدأ في الانقسامات المتتالية حتى تصبح مثل التوتة وهي مصمتة من الداخل ثم تصبح مثل الكرة حيث يتكون بداخلها سائل ويصير لها جوف ولهذا تدعى الكرة الجرثومية أو الأريمة ( تصغيراً ) ثم تعلق بجدار الرحم في اليوم السابع أو السادس منذ التلقيح **Blastula** في الرحم تنغرز فيه ثم تتمايز إلى كتلتين من الخلايا هما :

- أ- الكتلة الخارجية : وهي تحتوي على الخلايا الأكلة **Cytotrophoblasts** التي تقضم جدار الرحم وتثبت الكرة الجرثومية فيه ، كما أنها تسمح بتغذية الكرة الجرثومية مما يتكون حولها من الدماء والإفرازات الموجودة في غدد الرحم .
- ب- الكتلة الداخلية : التي منها يتكون الجنين بإذن الله تعالى ، وهذه بدورها تنقسم إلى ورتين :

- ١- خارجية وتدعي الاكتودرم **Ectoderm** .
  - ٢- داخلية تدعي الانتودرم **Entoderm** .
- وتظهر طبقة الانتودرم الداخلية في اليوم الثامن منذ التلقيح ، ويظهر شق صغير أعلى الطبقة الاكتودرمية الخارجية مكوناً بداية تجويف الأميون ( السلي ) ، ويكون سقف تجويف السلي من الخلايا الأكلة بينما قاعدته من خلايا الاكتودرم .
- وفي اليوم التاسع يمتد من خلايا الطبقة بخلايا " الانتودرم " شريط من الخلايا ويتصل بخلايا الميزودم الخارجية **Extra Embryonic Mesoderm** مكوناً كيس المخ الأولى **primary Yolk Sac** .
- وفي اليوم الثالث عشر تنمو من الخلايا الأكلة الخارجية **Cytotrophoblasts** نساءات تعرف بمجملات الغشاء المشيمي **Chorionic Villi** التي تثبت كيس الجنين بالرحم ، ثم تتفرع بعد ذلك مثل فروع الشجرة .
- كما تنمو الخلايا الانتودرم الداخلية مكونة كيس المخ الثاني والذي يصغر الكيس الأولى بكثير
- وفي نهاية الأسبوع الثاني يكون الجنين ممثلاً بقرصين متلاحقين :
- ١- القرص الخارجي ( الاكتودرم ) ويكون قاع تجويف الأميون .
  - ٢- القرص الداخلي ( الانتودرم ) الذي يكون سقف تجويف كيس المخ .
- ويلتصق القرصان في الجزء الأمامي أو ما سيعرف لاحقاً بجهة الرأس **Cephalic Portion** نتيجة ثخانة خلايا الانتودرم ، وتعرف هذه المنطقة باسم الصفيحة سالفة القلب **Prochordal Plate** .
- وكذلك يلتصق القرصان في المنطقة المؤخرية ( الذيلية ) **Caudal Portion** مكونة صفيحة المزرق مستقبلاً **Cloacal Plate** .
- وفي اليوم الرابع عشر يستطيل القرصان حتى يأخذ شكل الكمثري فيكون الجزء العريض هو الجزء الأمامي بينما يدق الجزء المؤخري ، وتنشط خلايا الاكتودرم في الجزء المؤخري مكونة الشريط الأولى **Primitive Streak** الذي يظهر لأول مرة في اليوم الخامس عشر منذ بدء التلقيح .
- ويظهر انقسام سريع ونمو متكاثر في الشريط الأولى وتهاجر الخلايا يمنة ويسرة بين طبقة الاكتودرم الخارجية وطبقة الانتودرم الداخلية مكونة طبقة جديدة هي الطبقة المتوسطة ( الميزودم ) **Mesoderm** .

ونتيجة لظهور الشريط الأولي يبدأ تكون الجهاز العصبي والنوتوكورد ( سائلة العمود الفقري ) كما تتكون الطبقة المتوسطة ( الميزودرم ) ويشهد الجنين بداية تكوين الأعضاء ن أما عند غياب أو عدم تكون الشريط الأولي فإن هذه الأعضاء لا تتكون وبالتالي لا يتحول القرص الجنيني البدائي إلى مرحلة تكون الأعضاء بما فيها الجهاز العصبي .

ولأهمية هذا الشريط الأولي فقد جعلته لجنة وارنك البريطانية ( المختصة بالتلقيح الإنساني والأجنة ) العلامة الفاصلة بين الوقت الذي يسمح فيه للأطباء والباحثين بإجراء التجارب على الأجنة المبكرة الناتجة عن فائض التلقيح الصناعي في الأنابيب ( الأطباق ) ، فقد سمحت اللجنة بإجراء هذه التجارب قبل ظهور الشريط الأولي ومنعت منعاً باتاً بعد ظهوره على اعتبار أن ظهور هذا الشريط يعقبه البدايات الأولي للجهاز العصبي .

وعند ظهور الشريط الأولي ونتيجة نشاطه الجرم الغزير يظهر الآتي :

- ١- النوتوكورد ( أو الحبل الظهري أو سائلة العمود الفقري ) ويمتد إلى جهة الرأس من العقدة الأولية **Primitive node** والتي تعرف أيضاً بعقدة هانسن .
- ٢- يتحول القرص الجنيني المستدير بظهور الشريط الأولي إلى شكل كمثري ، بحيث يمكن تمييز طرفيه ويدعي الطرف العريض الجهة الرأسية .. والطرف الدقيق الجهة الذيلية أو الذنبية .
- ٣- تظهر بداية الجهاز العصبي من الطبقة الخارجية ( الاكتودرم ) في نهاية الأسبوع الثالث ( ٢٠-٢١ يوماً ) مكونة الصفيحة العصبية **Neural Plate** التي تمتد من جهة الرأي إلى الشريط الأولي وتستطيل هذه الصفيحة وتنثني مكونة الانثناء أو الالتفاف العصبي **Neural Folds** ، وتكون الجهة المنخفضة ما يعرف باسم الميزاب العصبي **Neural groove** . وسرعان ما يتلف هذا الميزاب ليقفل مكوناً أنبوبة تدعي الأنبوبة العصبية **Neural tube** ، وتكون فتحة هذا الأنبوب في طرفية : الرأسية والذيلية .
- وتدعي الفتحة الرأسية : الفتحة الأمامية العصبية **Anterior Neural Pore** أو الفتحة المنقارية **Rostral Neuro Pore** .. وتقفل الفتحة العصبية الأمامية في اليوم الخامس والعشرين بينما تقفل الفتحة الخلفية في اليوم السابع والعشرين . وهذا يقفل الأنبوب العصبي ، ويشكل أغلبية الأنبوب الدماغ بينما يشكل الجزء الأخير ( الذنب ) النخاع الشوكي .
- وفي الوقت الذي يقفل فيه الأنبوب العصبي تظهر الصفيحة السمعية **Otic Placode** والصفيحة العدية **Lens Placode** .

ويتكون الدماغ في الثلثين العلويين للأنتوب العصبي بينما يتكون النخاع الشوكي في الثلث الأسفل وذلك من مستوي الكتلة (الرابعة - الخامسة) .

4- حيث إن الكتلة البدنية **Somites** الأربع الأولى تكون جزءاً من قاع الجمجمة. تتكون طبقة الميزودرم التي تتكثف حول المحور الجنيني مكونة الكتل البدنية **Somites** والتي تشكل العمود الفقري والعضلات كما يخرج منها بدايات الأطراف العليا والسفلى .. وهي التي تكون الجهاز الهيكلي والعضلي .

وتنقسم طبقة الميزودرم إلى ثلاثة أقسام :

### القسم الأول :

الميزودرم بجانب المحور وهو الجزء الملامس لمحور الجنين حيث الحبل الظهرى والميزاب العصبي ومنه تتكون الكتل البدنية **Somites** والتي تكون أبرز ما في الجنين فيما بين الأسبوع الثالث إلى الخامس ، ومنها يتكون الجهاز الهيكلي والعضلي كما يبرز من تلك الكتل البدنية الطرف العلوي والطرف السفلي .

### القسم الثاني :

وهو الجزء المتوسط من هذه الطبقة ويعرف بالميزودرم المتوسط **Intermediate Mesoderm** ، ومنها يخلق الله سبحانه وتعالى الجهاز البولي والتناسلي .

### القسم الثالث :

وهو الميزودرم الحشوي **Lateal Mesoderm** وينقسم هذا أيضاً إلى قسمين جداري وحشوي وبينهما تجويف يعرف بالتجويف الجنيني الداخلي **Intra Embryonic Coelom** ويخلق الله سبحانه وتعالى منه أغشية البيروتون والبلورا والتمور ( غشاء البطن الداخلي وغشاء الرئتين وغشاء القلب على التوالي ) ، كما يخلق الله سبحانه وتعالى الأوعية الدموية والقلب وعضلات الجهاز الهضمي من القسم الحشوي.

وهكذا فإن تكون الشريط الأولي علامة هامة على بداية تمايز أنسجة الجنين وتكون الطبقات المختلفة ومنها الأعضاء ، والواقع أن ما يعرف بمرحلة تكون الأعضاء **Organogenesis** لا تبدأ إلا بعد تكون الشريط الأولي والميزاب العصبي والكتل البدنية وتستمر من بداية الأسبوع الرابع إلى نهاية الأسبوع الثامن بحيث يكون الجنين في نهاية هذه الفترة قد استكمل وجود جميع الأجهزة الأساسية فيه ، وتكونت أعضاؤه ولم يبق إلا التفاصيل الدقيقة والنمو .

المراحل التي بينها شكل (٤) :

- ١- القرص الجنيني في نهاية الأسبوع الثاني ( في مرحلة العلقه ) وقد ظهر الشريط البدائي ( الأولي ) والعددة الأولية .. وقد أصبح القرص كمثري الشكل . وتدعي الجهة المتسعة الجهة الرأسية ، والجهة الضيقة " الجهة الذنبية " وبظهور الشريط الأولي يبدأ ظهور الحبل الظهرى ( النوتوكورد ) ثم يتبعه سريعاً ظهور الكتلة البدنية والأنبوب العصبي .
- ٢- بداية ظهور الكتل البدنية وتكون الصفيحة العصبية والتي تنسفي مكونة الانثناء العصبي **Neural Fold** والميزاب العصبي ( يبلغ عمر هذا الجنين ٢٠ يوماً ) .
- ٣- تبدو سبعة أزواج من الكتل البدنية ويبدأ الميزاب العصبي يقفل جهة الكتل البدنية مكوناً الأنبوب العصبي ، الذي تجري في وسطه قناة تعرف باسم القناة العصبية **Neural Canal** .. ولكن هذه القناة لا تزال مفتوحة من الجهتين الرأسية والذنبية . تبدأ الصفيحة العصبية في الجهة الرأسية في النمو السريع وتكون أكبر حجماً من بقية الصفيحة ( يبلغ عمر هذا الجنين ٢٢ يوماً ) .
- ٤- تبدو " المضغة " وبسها عشرة أزواج من الكتل البدنية ( يبلغ عمر الجنين ٢٣ يوماً " ) . ويقفل الأنبوب العصبي ما عدا الفتحة الرأسية والفتحة الذنبية وينمو الأنبوب العصبي وخاصة في الجهة الرأسية مكوناً انبعاثاً وفي أعلى الجهة الرأسية يظهر نحو يسمى المنقار ( العصبي ) **Rostrum** .



٥- تبدو " المضغة " من أحد جانبيها وبها ١٩ زوجاً من الكتل البدنية ( ٢٥ يوماً ) ويبدو واضحاً الانثناء الرأسي للأنيوب العصبي مكوناً انبعاثاً في هذه الجهة .  
ويبدأ الأنيوب العصبي في قفل الفتحات الراسية ، وتقفل الفتحة الأمامية العصبية Anterior Neuro Pore في اليوم الخامس والعشرين من عمر الجنين بينما تقفل الفتحة الخلفية العصبية في اليوم السابع والعشرين .  
وبذلك يقفل الأنيوب العصبي وتتكون القناة العصبية داخل الأنيوب وتتحوّل هذه القناة فيما بعد في الدماغ إلى بطينات الدماغ **Ventricles Of the Brain** أما في النخاع الشوكي فتسمى القناة الشوكية **Spinal Canal** ويجري فيها سائل مخ شوكي له أهمية خاصة في وقاية الدماغ والنخاع الشوكي .

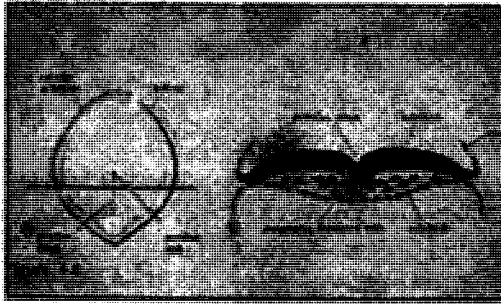
### مصير الشريط الأولي : Primitive Streak :

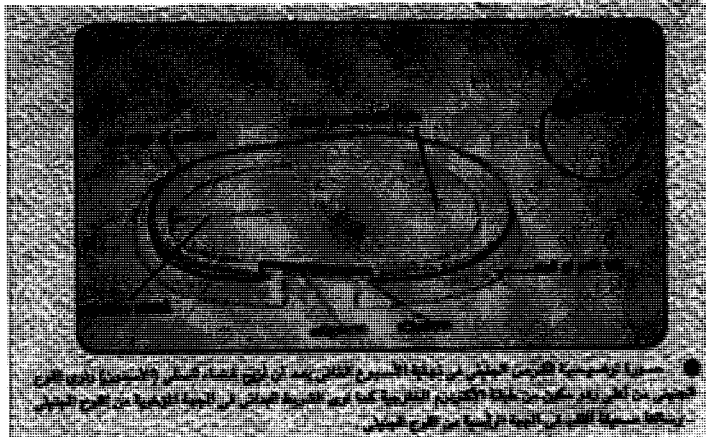
إن الشريط الأولي كما أسلفنا ذو أهمية بالغة لأن نشاطه الجرم يؤدي إلى تكون التوتوكورد ( سألقة العمود الفقري ) ، وإلى تكون الطبقة المتوسطة الداخلية (الميزودرم **Mesoderm** ) التي يكاد ينتهي الشريط الأولي من مهمته تلك في الأسبوع الرابع حتى يبدأ في الاندثار ويبقى كامناً في المنطقة العجزية - العصبية - في الجنين ثم في المولود ، ويندثر ما عدا ذلك الأثر الضئيل الذي لا يري بالعين المجردة .  
وقد أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه لا يبقى من الإنسان إلا عجب الذنب فإذا أراد الله بعث الأجساد أنزل عليها مطراً من السماء كمنى الرجال فنبت الإنسان من بقايا ذلك الشريط الأولي الكامن في عجب الذنب ( المنطقة العصبية ) .

### الخلاصة :

إن أحاديث عجب الذنب من معجزاته صلى الله عليه وسلم . فقد أوضح علم الأجنة الحديث ، أن الإنسان يتكون ، وينشأ من عجب الذنب هذا (يدعونه الشريط الأولي **Primitive Streak** ) ، وهو الذي يحفز الخلايا على الانقسام ، والتخصص ، والتمايز ، وعلى أثره مباشرة يظهر الجهاز العصبي في صورته الأولية (الميزاب العصبي ، ثم الأنيوب العصبي ثم الجهاز العصبي بأكمله ) ، ويندثر هذا الشريط الأولي إلا جزءاً يسيراً منه يبقى في المنطقة العصبية التي يتكون فيها عظم الذنب ( عظم العصص ) ، ومنه يعاد تركيب خلق الإنسان يوم القيامة كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق ﷺ .

شرائح البحث:





● حصى الرضعية تظهر من العنق من خلف الأذن بعد أن لوح إلتصاق كسائر الألتصاقات الأخرى  
التي من الكلى والى ذلك من الألتصاقات الأخرى كما ظهر العنق العنق من الجهة الأخرى من العنق العنق  
من خلف حصى الرضعية من الجهة الأخرى من العنق العنق



شكل (١) - صور توضح مراحل مختلفة في نمو الجهاز العصبي من المرحلة المبكرة من حياة الجنين  
بعد تكوين الشريط الأمامي (البنكرياس)



# الاستنساخ البشري محاذيره وفوائده

أ.د. سالم نجم



تمهيد:

## الاستنساخ النباتي:

ظاهرة انتشرت منذ بداية الحياة وهي تعنى انشطار الخلية النباتية دون اتصال جنسي (بمعنى اندماج خلية أنثوية بخلية ذكورية وهذا لا يحدث في هذه الظاهرة. ونضرب مثلاً لذلك: شجر العنب أو التوت أو قصب السكر حيث تنمو شجرة كاملة بعد غرس جزء من فرع الشجرة في الأرض لتصبح شجرة كاملة طبق الأصل للشجرة الكاملة التي أخذ منها الفرع.

الاستنساخ الحيواني البسيط:

يحدث في بعض أنواع الديدان إذا قطعت إلى أقسام ينمو كل قسم ليصبح دودة كاملة مثل الدودة الأصلية (الدودة الشريطية) مثال لذلك.

الاستنساخ الحيواني المعلمي:

منذ أكثر من نصف قرن نجح العلماء (بيرجن وكنج وجوردون وغيرهم) في استنساخ الضفادع والفئران والقردة. ثم تطورت التقنيات البيولوجية وفي عام ١٩٩٨ تمكن د. ويلموت الاسكتلندي من استنساخ النعجة (دوللي) بالطريقة اللاجنسية بالخطوات التالية:

- ١- أخذت نواة خلية جسدية بالغة النضج وبها ٦٤ كروموزوم من ضرع النعجة (أ).
- ٢- ثم أخذت بويضة جنينية نزعت نواتها من النعجة (ب) ولكن بقيت في هذه البويضة مادة السيتوبلازم وبه بعض المكونات الوراثية وليس بها كروموزومات.
- ٣- وضعت النواة الجسدية من النعجة (أ) بجوار البويضة المعروعة النواة وسلطت عليها شحنة كهربائية قوية حفزت الاندماج بين النواة وبين البويضة.
- ٤- أخذت هذه الخلية المتدمجة وزرعت في رحم نعجة ثالثة (ج) وبعد انتهاء فترة الحمل ولدت النعجة المستنسخة (دوللي) شبيهة بالنعجة الأولى صاحبة النواة الجسدية. لقد نجحت هذه التجربة بإذن الله بعد فشل حوالي ٢٨٠ محاولة على مدى سنين طويلة. ولم يتكرر هذا النجاح حتى الآن على المستوى العالمي.

## الاستنساخ البشري:

بعد نجاح تجربة النعجة دوللي أقدم العلماء على تطبيق هذه النظرية على الاستنساخ البشري وذلك بأخذ نواة خلية جسدية بالغة من أي مكان في الجسم بما ٤٦ كروموزوم. ثم تؤخذ بويضة جنينية مزروعة النواة من امرأة - ثم توضع النواة الأولى بجانب البويضة ويسلط عليهما محفز اندماج (كهربائي أو كيميائي) ليحدث اندماجهما. ثم تزرع الخلية المندمجة في رحم امرأة. وتقضي فترة الحمل ثم يولد الجنين بشراً وحتى الآن لم ينجح الباحثون في استنساخ إنسان ولكن المحاولات مستمرة رغم تحريمها وتجرمها دولياً.

البرعم (الجنين المستنسخ) ليس نسخة طبق الأصل:

١- تنتقل الصفات الوراثية من الأباء والأجداد عن طريق الكروموزومات والموروثات إلى الأبناء والأحفاد من جانب الأب والأم بعد لقائهما الجنسي.

٢- كما تنتقل الصفات الوراثية عن طريق المؤثرات البيئية التي يعيش فيها الإنسان مثل (المتغيرات الطقسية والإشعاعات الكونية والطعام والشراب والثقافة والدين والمهارات المكتسبة والمناعات المكتسبة... إلخ). مثلاً لو قدر للعلماء أن يستنسخوا بشراً فلن يكون الوليد مطابقاً لصاحب النواة الجسدية من الوالد ولن يصبح طبيياً إذا كان أبوه طبيياً ولكن يقتصر الشبه بينهما على المظهر الخارجي من حيث لون البشرة والعينين والشعر وتقاسيم الوجه والجسم فقط لاغير.

٣- هناك أمر آخر في غاية الأهمية ألا وهي الروح التي تنفخ في الجنين فلا تنتقل الروح عن طريق الخلية أو عن أي طريق آخر لأن كل إنسان له روح مستقلة عن غيره من البشر ولا تنسخ في الأرواح والروح سر إلهي لا يدري كنهه إلا الله تعالى . بقوله سبحانه :  
﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (الإسراء : ٨٥).

أطوار الروح ومرآحلتها:

تمر الروح بالأطوار والحالات الست التالية: في عالم الذر ثم عالم الأضلاب ثم عالم الأجنة ثم عالم الحياة الدنيا ثم عالم البرزخ وأخيراً عالم الحياة الآخرة.



## الفرق بين الخلق والاستنساخ:-

الفرق كبير وهائل: فالخلق إيجاد أصل الشيء من لا شيء (من العدم) في حين أن الاكتشاف هو التعرف على خصائص ذلك الأصل وما ينجم عنه من فروع. وهذا هو دور العلم النافع الذي يهبه الله لمن يشاء من عباده ليستعين به في إعمار الأرض ومن عليها وما فيها وفقاً للسنن والقوانين الإلهية الميثوقة في الكون والتي لا تتبدل ولا تتغير .. مما سبق يتبين لنا أن د. ويلمون صاحب النعجة (دوللي) لم يخلق شيئاً من العدم فالنواة والبويضة والنجاج الثلاث والشحنة الكهربائية المحفزة والخلية والأمشاج المندمجة التي زرعت في رحم النعجة الثالثة واستوفت مراحل نمو الجنين فيها ثم ولادتها طبقاً للسنن الإلهية ثم حياتها بعد ذلك. جميع هذه المكونات من صنع الله تعالى وطبقاً لنواميس ربانية ثابتة تعطي كل من استخدمها بأصولها ثمرتها المرجوة منها. ولا فرق في ذلك بين باحث مسلم وآخر غير مسلم وسنة المولى تعالى أن من يجتهد يعطى أجره في هذه الحياة. وبناء على ما تقدم ذكره فإن تقنية الاستنساخ ليست خلقاً من عدم ولكن استخدمت مفردات العملية كلها من خلق الله وبمشيئة سبحانه وبجزء من العلم الذي وضعه الله في صلب آدم (وعلم آدم الأسماء كلها) (البقرة : ٣١).

## مخاطر تقنية الاستنساخ في الحيوان والإنسان:-

مخاطر الأم:

في أحيان كثيرة يكبر الجنين داخل بطن أمه ويعرض الرحم للانفجار والتهابات وقد تنتهي بوفاة الأم. وأحياناً أخرى تكبر المشيمة لتبلغ حجماً يسبب خنق الجنين ويلحق أضرار بالأم وقد ينتج من ذلك الإجهاض أ، الزيف الرحمي وقل مثل ذلك في السائل الأمنيوي النخطي فغالباً ما تكون كميته عظيمة ويتسبب في موت الأم أو الجنين كليهما.

مخاطر الجنين:

تموت الأجنة المستنسخة بنسبة تزيد عن ٩٥% من حالات الحمل في مراحلها المتعددة ونسبة نجاح استكمال الحمل والولادة لا تتعدى ١% كما أن معظم الأجنة تموت بعد أيام قليلة من الولادة. تشوهات خطيرة تحدث في الكبد والقلب والجهاز المناعي. كما يحدث خلل جسمي متعدد يهدد حياة الجنين بكثير من الأمراض وغالباً ينتهي الأمر بملاكه بعد ولادته ولكي يتجنب الباحثون هذه المخاطر فلا مناص من متابعة دقيقة ودائمة منذ اللحظة الأولى لتقنية الاستنساخ وأثناء الحمل والولادة وأسابيع بعدها ويتعين على الباحث الإشراف والمتابعة على المستوى الخلوي (كل خلية في الجنين) وذلك مستحيل نظرياً وتطبيقياً.

مخاطر الاستنساخ البشري على الأم الحاضنة والجنين:

إن ما ذكر آنفاً من المخاطر ينطبق على التجارب على الأجنة البشرية وبصورة أكبر وأشنع نظراً لدقة تكوين الجنين البشري وحساسية خلاياه الجينية وضعف مقاومتها للمستغبرات البيولوجية والجدير بالذكر أن نعلم أنه لم يستطيع أي عالم بيولوجي حتى الآن ولن يستطيع في المستقبل أن يخلق خلية واحدة يجرى عليها أبحاثه ويرضى طموحاته فما بالك بما هو أكبر من ذلك وأكثر تعقيداً (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) (الحج : ٧٣).

## استنساخ الخلايا الجينية الأصلية:-

مصادرها:

- ١- تؤخذ من الأجنة المبكرة مباشرة حيث أن لها القدرة على التحول إلى كافة أنواع خلايا الإنسان.
  - ٢- تؤخذ من نخاع المريض نفسه ثم تتحول إلى خلايا كبدية أو قلبية ... إلخ. وهذه الطريقة لتعويض المرض عن أعضائهم التالفة ولها ميزة أن الجسم لا يرفضها حيث أن هذه الخلية هي من المريض نفسه وليست غريبة عنه لتقوم أجهزته المناعية برفضها وطردها من الجسم فهي من المريض واليه وتستخدم هذه التقنية في علاج مرض السكر وسرطان الدم والشلل وتحلل الأنسجة في أطوار الشيخوخة.
  - ٣- تؤخذ من خلايا الدم الموجود بالحبلى السري للجنين وقت الولادة وتؤدي نفس الوظيفة مثل المثالين ١ ، ٢.
  - ٤- استطاع فريق بريطاني زرع خلايا كبدية من متبرعين إلى أكباد أطفال مصابين بأمراض وراثية خلال الشهور الأولى بعد الولادة وقد انقسمت هذه الخلايا ونمت وقامت بوظائف الكبد بصورة طبيعية. هذه التغذية تبشر بفتح آفاق جديدة للوقاية والعلاج لكثير من الأمراض.
- والاستنساخ لا يعدو كونه صورة متقدمة من تقنية أطفال الأنابيب وتتشابهان في كثير من المراحل العلمية والتي تسمى (تكنولوجيا البيولوجية الجزئية).
- ولقد استقرت تقنية الإخصاب خارج الرحم ثم زرع البويضة المخصبة في رحم الأنثى بما يعرف بأطفال الأنابيب. هذه التقنية حازت قبولاً عالمياً وقانونياً وشعبياً بل ودينياً ويتنبأ علماء الاستنساخ البشري بأن الطريق مهيأ أمامهم بالمضى قدماً في هذا السبيل رغم التحذيرات والنسداءات الدينية والأخلاقية والمهنية والقانونية بتحريم هذه التجارب.

وما يزيد على ذلك بأن هناك أصواتاً قد ارتفعت تعبر عن طموحات علمية خبيثة وربما ترقسي إلى الخيال العلمي. بعض هذه الأصوات تنادي بتقنين هذه التقنية والسماح بإجراء تجارب على الأجنة بغية تحقيق أهداف خيالية ومنكرة. نذكر منها:

- ١- الدعو إلى اليوجينية ومعناها (تحسين النسل البشري) والتخلص من ذوي الأمراض الوراثية والأبضية ولا يسمح لهم بالإنجاب لتحقيق النقاء العنصري كما فعل هتلر سابقاً.
- ٢- إنتاج أطفال حسب الطلب بمواصفات جسدية مثل ( لون البشرة والعينين والشعر وتقاطيع الوجه والقامة ... إلخ وكذلك تزويد هؤلاء الأطفال بقدرة عقلية كبيرة وذكاء ومواهب إلى غير ذلك من الخيالات الشيطانية للوصول إلى إنتاج السوبر مان - الرجل الذي لا يقهر.
- ٣- إنتاج أطفال (قطع غيار) بعضهم لانتاج الكلي أو الكبد أو القلب ... وهناك تسعيرة لكل طفل طبقاً لحاجة المشتري والعرض والطلب (سوق حرة لتجارة الطفل التفصيل).
- ٤- إنتاج أجيال من الذكور الأقوياء الأذكاء القادرين على التنفس تحت الماء أو الطيران في الهواء أو المقاوم للحرارة والبرودة والآفات والأمراض ... إلخ لتشكيل جيش لا يقهر.
- ٥- ليست هناك حاجة للرجل حيث أن الأنثى المتزوجة من أنثى تستطيع الانجاب دون الحاجة إلى الحيوان المنوي من الرجل وتسمى الطريقة هذه (الوراثية التناسلية).
- ٦- ليست هناك حاجة للمرأة إذ يستطيع الرجل أن يحمل طفلاً في تجويف بطنه مثل الذي حدث مع الرجل (لي) حيث أجريت عملية إخصاب مخبري لبويضة - كما شرحنا الطريقة أعلاه ثم زرعت البويضة المخصبة في تجويف البطن وبعد تمام الحمل ولد الطفل بعملية قيصرية أجراها الدكتور اكونيوس سارين. وسميت الطريقة (التوالد البكري).
- ٧- تخليق كروموزوم صناعي قادر على حمل كميات كبيرة من الحمض النووي DNA . ويستخدم هذا الكروموزوم مستقبلاً في العلاج الجيني.

## فوائد الاستنساخ البشري:

ينتبأ علماء تقنية البيولوجيا الاستنساخية بحدوث إنقلاب طبي جذري في مفاهيم وأساليب الوقاية والعلاج نذكر منها:

- ١- تنمية الخلية الجذعية الجنينية وتوجيهها في خطوط إنتاج أنسجة متخصصة مثل أنسجة قلب - كلي - كبد - رئة - أنسجة عصبية مركزية و طرفية - أنسجة عضلية وجلدية ... إلخ ويستفاد بهذه الأنسجة في تعويض المرض عما استهلك وهلك من أعضائه إما بصورة جزئية

- لمساعدة العضو المنهك وإما باستبدال العضو بالكامل. بديلاً عن تقنية زراعة الأعضاء في الوقت الحاضر لأن تكاليفها باهظة وغير مضمونة النتائج وينتج عنها مشاكل مناعية كبيرة.
- ٢- الأنسجة المستنسخة من القلب مثلاً قد تعالج الذبحة الصدرية القلبية بمحقن هذه الخلايا المنسجية في العضلة القلبية المصابة لتنمو وتعمل محل النالف منها وتقوم بوظائفها وتعيد الحياة للقلب المريض وتنفذ صاحبه من الموت المحقق ... ومما يذكر أن أمراض القلب على المستوى العالمي تعتبر السبب الأول للوفاة على الإطلاق.
- ٣- يتنبأ العلماء أن تقنية الاستنساخ سوف تقلل أو تمنع أمراض الشيخوخة وذلك عن طريق تعويض الأنسجة التالفة في الأعضاء الحيوية في كبار السن وبالتالي تحسن الوظائف الفسيولوجية وتطول أعمارهم وتقل أمراضهم.
- ٤- علاج العقم تساهم تقنية الاستنساخ في إنتاج خلايا المبيض أو الخصية وحقنها في الأنثى أو الذكر لتقوم بوظائف إنتاج البويضات والحيوانات الذكرية المنوية بتكلفة قليلة وبنتيجة مضمونة.
- ٥- علاج أمراض داء البول السكري والرعاش ومرض الزهيمر والأمراض الوراثية وأمراض ضعف المناعة والسرطانات ... إلخ عن طريق تعويض الأنسجة التالفة بأخرى مستنسخة من خلايا تؤخذ من المرض المعينين.
- ٦- عمليات التجميل مثل: تشوهات الحروق والكسور والتدخين ... إلخ عن طريق زراعة الأنسجة وإحلالها محل النالف منها.
- ٧- في حالات خاصة حينما يفقد الأبوان طفلاً بسبب مرض وراثي أو حادث عرض ولا يستطيعون الانجاب فتقنية الاستنساخ توفر لهما الابن عوض عن فقدوه.
- ٨- هذه التقنية للعلاج أو للوقاية تعتبر عملية ورخيصة ومضمونة النتائج وفوائدها محققة في نظر علماء التقنية الاستنساخية. إن ما سبق ذكره لا يعدو أن يكون من التمنيات والخيال العلمي المبني على تجارب قابلة للتنفيذ لكنه حتى الآن لا يعدو أن يكون من قبيل الظن - (إن بعض الظن إثم) (الحجرات: ١٢).

## فتاوي الفقهاء في الاستنساخ:-

الشيخ عبد الله البسام: عضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة يقول: ( إن استنساخ البشر محرم شرعاً ولا يجوز بأي حال إذ أنه يؤدي إلى اختلاط الأنساب وهذه الأفعال تؤدي إلى ضياع الأمم وزوالها بسبب سوء أخلاقها ومعاصيها لله سبحانه ولا بد من قتل هذه التجارب في مهدها قبل أن تستفحل.

الشيخ محمد الغزالي يرحم الله يقول: ( إذا تمت الاستجابة لأهواء الناس وجرى تسخير الطب لما تشتهي الأهواء فإن هذا نذير بملاك العالم. إن اللعب في الجينات والتجارب على الأجنة تعد تغيير في خلق الله وهو عمل محرم وأناشد العالم الذي يجري وراء الهندسة الوراثية أن يتقن هندسة الأخلاق.

الشيخ يوسف القرضاوي: يقول نرحب بالعلم في حزمة الإيمان والأخلاق والقيم وما يفيد البشرية ولا يتسبب في إفسادها ولا يدمر ويحرب كما حدث مع الأسلحة النووية والكيميائية والجرثومية ولا مانع من الاستفادة من هذه التقنية بما يعود على البشرية بالنفع وتشخيص الأمراض والوقاية منها وعلاجها ... والقاعدة الشرعية (سد الذرائع) وهو ترك المباح خوفاً من أن يؤدي إلى أمور منكرة ومفاسد للناس.

والأسر أساس المجتمع وجعل الله الزواج أساس حياة المجتمع الإنساني والاستنساخ يؤدي إلى إختفاء الأسرة وإفساد المجتمع ويصبح الناس حيوانات في ظل غياب الأسرة وغياب الأبوة والأمومة والله تعالى خلق الكون كله أزواجاً (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) ويتساءل أين يتربي الطفل المستنسخ في غير عالم الأسرة أبوة وأمومة وحنان ورعاية وخاصة أن الطفولة البشرية هي أطول أنواع الطفولة في الحيوانات. وهل تستطيع دور الأيتام والمحاضن القيام بهذه المهام؟ ويقوم الأب والأم بمهمة تعليم الأطفال اللغة والتوحيد والسلوكيات القويمية ويغرسان فيه حب الوطن والولاء لله ولأمه ... إلخ فمن غير الوالدين من يقوم بذلك في جو الأسرة والعشيرة والأخوة والأخوان والأعمام والأخوال والعمات والحالات؟

هذا المستنسخ كيف يعيش ويكبر ويتعلم ويتزوج وينجب وكيف يؤدي الحقوق الاجتماعية والقومية والقانونية؟ ولأية جهة يكون ولاؤه؟ وما علاقته بصاحب النواة أو صاحبة البويضة أو الحاضنة؟ أسئلة حائرة تحتاج إلى إجراء قانوني عالمي ملزم لكافة الدول والمؤسسات العلمية والأفراد. وعلى الرأى العام وجمعيات البيئة وحقوق الإنسان وحقوق الطفل وحقوق الجنين أو يؤدوا ما عليهم من واجب تجاه هذا الخطر القادم الذي يهدد مستقبل الجنس البشري والحياة على هذا الكوكب.

الدكتور عبد المتجلي خليفة : أستاذ الفقه وعضو لجنة الفتاوى بالأزهر يقول: ( العيث بالبويضات محرم شرعاً تحريماً باتاً لأنه العلة الأصلية في تحريم الزنا واختلاط الأنساب. واتفقت الشرائع على حرمة الكليات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال والنسل) أما ما يسمى بالتناسخ البيولوجي فهو تغيير خلق الله سبحانه وهو العيث بعينه وإن العدوان على حياة الإنسان يعد من أكبر الكبائر.

الشيخ نصر فريد واصل: مفتي الجمهورية العربية المصرية يقول: الاستنساخ البشري منهى عنه شرعاً إذ أنه يؤدي إلى اختفاء الأسر واختفاء العلاقات الاجتماعية والفردية وضياع الحقوق والواجبات والاخلال بالعلاقات الإنسانية من حيث الأب والأم والزوج والزوجة والأخ والأخت وصلة الأرحام في عمومها حيث تنشأ وتنمو المشاعر الإنسانية والعلاقات الاجتماعية ... ويجب أن يكون الانجاب بالطرق الطبيعية والعلاقة المشروعة بين الذكر والأنثى سنة إلهية وخلق الله تعالى من كل زوجين اثنين حتى في الحيوان والنبات والجماد. وغير ذلك هو كفر واضح وصريح وتغيير في خلق الله تعالى ويجب أن نغلق الباب أمام الاستنساخ البشري.

الدكتور إبراهيم يحيى الشهابي - دمشق:

الإنسان لم يخلق شيئاً غير أن الله سبحانه يسر له اكتشاف القانون الإلهي واستخدمه. والواجب أن يستخدمه للإعمار والبناء انطلاقاً من إيمانه بالله وتنفيذ مهمة استخلافه في الأرض. ومن يفعل غير ذلك فهو يخرّب البيئة ويدمر نفسه وبيئته وربما الكون من حوله. إن تفجير الذرة (النواة) أوصل الإنسان إلى العلوم النووية ولكنه استخدمها في تدمير مدن بأكملها. وكذلك الاستنساخ يمكن استخدامه للتخلص من الأمراض لخدمة البشرية وهذا ما يشجع عليه الدين وتحت عليه الأخلاق التزاماً بمهمة الأعمار التي كلف الله بها الإنسان تعزيراً لإقامة مجتمع إنساني حضاري تربطه المحبة والوئام ويسوده الأمن والسلام.

الدكتور محمد رأفت عثمان: أستاذ الفقه المقارن كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر يقول: (اتباعاً لمنهج السلف فيما يعرف بالفقه الفرض فقد قسم الاستنساخ البشري إلى ست صور: الأربع الأولى محرمة بإجماع الفقهاء والخامسة والسادسة تركهما الباحث للنظر فيهما إما للإباحة أو التحريم طبقاً لمعطيات المحاولتين وتفصيل ذلك.

## الاستنساخ البشري المحرم بالإجماع: التقنيات

نواة خلية جسدية توضع في بويضة أنثى أخرى معروعة النواة وعلّة التحريم أنّها تشبه الزني وتأخذ حكمه.

نواة من خلية أنثوية بالغة توضع في بويضة نفس الأنثى ثم تزرع في رحمها وعلّة التحريم مثل المثال الأول (السحاق).

نواة من خلية ذكورية بالغة توضع في بويضة امرأة ثم تزرع في رحمها وعلّة التحريم أنّ هذا الفعل عبث وتشويه للفطرة.

نواة خلية ذكر بالغة ليس زوجاً للمرأة ثم تزرع في رحمها - وعلّة التحريم أنّ ذلك يأخذ حكم الزنا.

الاستنساخ يتوقف فيه الحكم إما بالإباحة أو التحريم (التقنية)

٥- نواة خلية بالغة من ذكر زوج لصاحبة البويضة ثم تزرع في رحمها أثناء حياته ويسمى (الانجاب اللاجنسي بين الزوجين) وتشبه تقنية أطفال الأنابيب المباحة شرعاً. ولكن بسبب فشل محاولات سابقة في إخصاب بويضة الزوجة بالحيوان المنوي من زوجها ربما يلجأ الزوجان لهذه الطريقة.

٦- محاولة لولادة أكثر من مولود لانتاج ما يسمى بالتوائم المتطابقة حيث يستخدم الحيوان المنوي من الزوج والبويضة من الزوجة ثم تخصب خارج الرحم في أنبوبة. وبعد انقسام البويضة إلى أربع أقسام تفصل ثم تزرع هذه الأربع داخل رحم الزوجة حيث ينتج توائم أربعة والتقنية ليست استنساخاً حقيقياً.

النموذجان الخامس والسادس متروكان لنظر الفقهاء والأطباء المسلمين العدول.

هل يمكن استنساخ الموتى؟ الإجابة مستحيل

حينما يموت الكائن الحي أو الإنسان وتفارق الروح الجسد تموت كل خلاياه وتذوب وتفتي في التراب. ولو وجد هذا الجسد بعد الوفاة مباشرة لانطبقت عليه نفس النهاية وهي الفناء أن الخلايا التي ماتت لا تعود إلى الحياة ربما يستفاد من المادة الوراثية (مادة جامدة) لإثبات شخصية الإنسان أو تركيبه الكيماوي والوراثي ولا شيء غير ذلك. والخلية بعد الموت لا تتكاثر ولا تنمو ولا تستنسخ.

وبذلك فإن ما يقال عن استنساخ عبقرى مثل آينشتاين أو دكتاتور مثل هتلر هو مجرد تخاريف مرجفة لا أصل لها ولا سند علمي يدعمها.

خلق الله الإنسان من روح وجسد والأصل في الإنسان الروح وهي لا تفتي ولا تموت ولقد ذكرت مراحلها الست في صور هذا البحث. أما الجسد فهو قالب صنع من مادة ترابية قابلة للفناء ونختم بالقول بأن الروح خارجة عن القدرة البشرية وعن العلم البشري والتجارب المادية لا تجرى على الروح.  
الأبحاث الجائزة شرعاً:

تحسين تقنيات الإنجاب والكشف عن الأمراض الوراثية وغيرها وعلاجها جينياً أثناء الحمل وبعد الولادة.

التعرف قبل الولادة على العيوب الخلقية وأسبابها والوقاية منها.

استنساخ أنسجة وأعضاء بشرية عن طريق الخلايا الجذعية المأخوذة من المرض أنفسهم بقية تعويض التالف من أعضائهم.

استنساخ جينات تساهم في صناعة هرمونات وأجسام مضادة وأمصال للوقاية من الأمراض وحماء ضد التخثرات الدموية أو أنسجة عصبية لعلاج أمراض الجهاز العصبي المركزي أو الطرفي والشلل والرعاش والشلل النصفي ... إلخ.

أطفال الأنابيب بشرط أن تكون البويضة من الزوجة والحيوان المنوي من الزوج وفي حالة استمرارية الزوج وأثناء حياة الزوج. ويحظر تجميد خلاياهم أو الاحتفاظ بها للمستقبل.

الأبحاث التي توصف بالعلم النافع للإنسان وتقديس العقيدة ومبادئ الأخلاق واحترام كرامة الإنسان.



## الأبحاث المحرمة شرعاً:

- ١- كل التجارب التي قد تؤدي إلى تشوهات أو أمراض جسدية أو نفسية.
  - ٢- كل التجارب التي تحدث خللاً للتوازن البيئي.
  - ٣- كل التجارب التي قد تؤدي إلى إلغاء دور الأسرة ومؤسسة الزواج والمتمثل في الزوجين الذكر والأنثى. واحترام قانون (ومن كل شيء خلقنا زوجين).
  - ٤- كافة بنوك البويضات الملحقة وغير الملحقة والحيوانات المنوية من أي مصدر مجمدة وغير مجمدة.
  - ٥- كل الأبحاث التي تعالج بالجينات البشرية وتنتج لحوماً أو أليافاً أو غير ذلك ممن يدخل تحت قائمة الاستهلاك البشري مثل اللحوم البقرية البشرية وما شابهها.
  - ٦- كافة تقنيات أطفال الأنابيب التي تخالف ما ذكر في رقم ٥ في الأبحاث الجائزة شرعياً.
  - ٧- الأبحاث التي تنتج أنسجة الاستنساخ بقصد المتاجرة وحبس الأرباح.
  - ٨- أو تلك التي تؤدي إلى قتل الأجنة بعد استخدام أنسجته لأغراض طبية أو غير ذلك.
  - ٩- أو تلك الأبحاث التي تمتهن كرامة الإنسان وحقوقه وتمس العقيدة الإسلامية أو الأخلاق الفاضلة أو اغتيال المبادئ المهنية.
  - ١٠- الأبحاث التي تؤدي إلى تلوث البيئة واختلال التوازن البيئي والأضرار بالمخلوقات البشرية والحيوانية والنباتية بل والجمادية أو المساس بالجمال الفطري والبيئة النقية.
- موقف ديني وأخلاقي وقانوني عالمي موحد:
- اتفقت كل المؤسسات الدينية والجامع الفقهية والمرجعيات الإسلامية والمسيحية واليهودية وكثير من المنظمات المعنية على الفتوى بتحريم الاستنساخ البشري خاصة في ظل التراجع الديني والأخلاقي وانتشار البث مع ضعف الرقابة وغياب القانون. ولقد أوصى مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة بتطبيق حد الحرابة على من يطبقون تقنية استنساخ البشر.

## مبادرات دولية حول الاستنساخ البشري:

- ١- وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٩٩م على البيان العالمي للجينون البشري وحقوق الإنسان هذا نصه (عدم السماح بأية ممارسات تنقص من كرامة الإنسان مثل التكاثر البشري عن طريق الاستنساخ).
  - ٢- كما أصدرت منظمة الصحة العالمية بالاشتراك مع الأمم المتحدة قرارات في عامي ٩٧ ، ١٩٩٨ وتنص (أن عمليات الاستنساخ البشرية غير مقبولة أخلاقياً كما أنها تناقض مبادئ الفضيلة لدى الإنسان) غير أن هذه القرارات غير ملزمة للأعضاء مع شديد الأسف.
  - ٣- عرضت فرنسا وألمانيا على الأمم المتحدة مبادرة لميثاق دولي يمنع القيام بعمليات الاستنساخ البشرية في جميع مراحلها) وستبدأ المفاوضات في عام ٢٠٠٣ الجاري.
- ولكن بريطانيا أعلنت عن قانون يبيح الاستنساخ غير الكامل ولكن هذا القانون يعتبر سابقة خطيرة إذ يفتح الباب أمام هذه التقنية السيئة.
- ولقد أصدر رئيس الولايات المتحدة قراراً يمنع الاستنساخ البشري الكامل مثل بريطانيا والبلدان أجازوا أبحاث الخلايا الجذعية للأغراض العلاجية كما بينا سابقاً (في حالات أمراض داء البول السكري الفشل الكبدي والكلوي ... إلخ) ومن الممكن الحصول على هذه الخلايا من المرضى أنفسهم أو من الحبل السري للأجنة دون الأضرار إلى أخذ هذه الخلايا من الأجنة ثم قتلها بعد ذلك (وهذا هو المحرم دولياً).
- مجموعة الدول الصناعية الثمانية:
- الولايات المتحدة - بريطانيا - كندا - روسيا - فرنسا - ألمانيا - إيطاليا - اليابان

إن اهتمام هذه المجموعة هذه المجموعة هو الاستفادة التجارية من سلعة التكنولوجيا الحيوية إذ أن حجم السوق الدولية لها يقدر بحوالي ١١٠ بليون دولار للعام الواحد. وهناك مقترحات أولية لتنظيم بحوث الجينات وتطوير إنتاج الأطعمة والأشربة المعالجة وراثياً خوفاً من انصراف المستهلكين عن هذه السلع والعودة إلى المواد الغذائية المنتجة بصورة طبيعية. والواقع أن هذا الانصراف الجماهيري عن الأطعمة المعالجة وراثياً واتجاه المستهلكين إلى الأطعمة الطبيعية (بدون معالجة وراثية أو أسمدة أو مبيدات حشرية أو مواد حافظة أو ملونة أو نكهة أو هرمونات أو أي مواد كيميائية أخرى) أصبح مؤثراً وأن جمعيات حماية المستهلكين أوصت بذلك وبالعودة إلى الأطعمة والأشربة الطبيعية.

## الاستنساخ البشري من الخلايا الجذعية: والأسعار المعلنة

من المعروف أن هناك حوالي ٦٠ (ستون) مجموعة من الخلايا الجذعية في الولايات المتحدة صالحة لاستنساخ الأطفال تمتلكها شركة كلونيد وشركة تزا فوس انتبوري. ولقد أعلنت الشركة الأولى أن ثمن الجنين البشري الموثق هو ٢٠٠,٠٠٠ من ألف دولار والمقصود بكلمة موثق أن هناك ملف بيانات عن صاحبة البويضة يحتوي على ثقافتها مؤهلها الدراسي مركزها الاجتماعي والوظيفي درجة الذكاء خلوها من الأمراض لون البشرة والعينين والشعر وملامح الوجه وأوصاف الجسم... إلخ. وكذلك بيانات عن الرجل وكذلك عن الأم الحاضنة. وهناك اليوم لصور الأجنة يختار الزبون ما يعجبه ويرغبه. أما الشركة الثانية فأسعارها أرخص ولكن توثيقها للطفل المطلوب دون المستوى. وهناك مراكز أخرى في أمريكا وأوروبا تعرض أطفالاً بسعر مغري يصل إلى ٢٠,٠٠٠ عشرين ألف دولار فقط لاغير شاملاً أتعاب الحامي والتكاليف والرسوم القانونية.

## إنتاج الأعضاء البشرية من الخلايا الجذعية:

توجه الخلايا الجذعية وتربي لإنتاج أنسجة متخصصة مثل (أنسجة كبد - كلي - قلب - جلد ثم تزرع هذه الأنسجة بجوار الأعضاء التالفة حيث تنمو وتقوم بوظائفها بصورة طبيعية. التقنية بالطريقة الاستنساخية والتي تسمى (الجينية اللاجنسية) التي تشبه تلك التي انتجت النعجة (دلي) وسبق وصفها.

ومن الممكن نظرياً أن يتم إنتاج أنسجة تعويضية مثل (جلد - عظام - كلي... إلخ) وجميع هذه الطرق والمحاولات التطبيقية لم يكتب لها النجاح ولم يتم الاعتراف بها ولا زالت حبيسة المعامل ولم تر النور في عالم الطب حتى الآن.

بقيت كلمة وهي أن أساس هذه الفرقعة والضجة جاءت بعد نجاح تجربة النعجة (دوللي) والتي تحوم حولها الشبهات والكثير من العلماء يشككون في حقيقة أمرها وأنها لم تتم بالصورة التي أعلنها د. ويلمون. ولم ينجح غيره في تأكيد هذه التجربة المثيرة التي شغلت الشعوب قبل الجهات المعنية لعدة سنوات دون طائل. وهذا يدعونا إلى السؤال؟ النعجة دوللي؟ هل هي كذبة بريطانية كبرى؟ وبناء عليه؟ هل الاستنساخ البشري كذلك كذبة عظيمة؟

والله تعالى أعلم،،،

## المراجع

العربية:

عبدالله البسام - يوسف القرضاوي - محمد الغزالي وآخرون. ملف الاستنساخ. مجلة المجتمع ١٩٩٧/٤/١.

- ١- طارق قابيل اسلام اون لاين ماذا بعد الاستنساخ ١٣/١٢/٢٠٠١م.
- ٢- طارق قابيل اسلام اون لاين ماذا بعد الاستنساخ ٨/٨/٢٠٠٢م.
- ٣- نادية العوضي: اسلام اون لاين بريطانيا تجيز صناعة آدميين في المعمل الجزيرة نت.
- ٤- نادية العوضي: اسلام اون لاين الاستنساخ قادم من المريخ ١٤/٨/٢٠٠١.
- ٥- ندوة نقابة الأطباء اسلام اون لاين استنساخ البشر على مائدة الحوار ٢٣/١١/٢٠٠٢.
- ٦- حسام تمام اسلام اون لاين الاستنساخ البشري بين الرفض والقبول.
- ٧- مجلة التقدم الطبي اين يقع الاستنساخ من الدين الإسلامي عدد ٢٦ إبريل/ يوليو ١٩٩٩.
- ٨- انترنت الاستنساخ البشري ما له وما عليه ٢٣/١١/٢٠٠٢.
- ٩- مجلة التقدم العلمي عدد ١٨ إبريل/ يونيو ١٩٩٧م ملف الاستنساخ.
- ١٠- المجلة الثقافية بالمكتب الثقافي السعودي (لندت) عدد ١٩ ذو الحجة ١٤١٧هـ.
- ١١- مجلة المجتمع عدد ١٢٤٤، ١٩٩٧/٤/١ ملف الاستنساخ.
- ١٢- فريق بريطاني يزرع خلايا كبدية في أطفال رضع اسلام اون لاين ١٢/٥/٢٠٠٣.
- ١٣- القدس العربية عدد (٨٦٤) ١٩٩٧/٤/٥ انجازات طبية وجدل أخلاقي واجتماعي.

الأجنبية:

14- Stock, G. The Reproductive cloning Net work

15- Simon smith Human cloning org. www. Net.

16- Naveen Garg clone Rights united front. Why not clone net.



**(وحملہ وفضالہ ثلاثون شهراً)**

**د. فواز صادق المزيني**





## تأملات في الآية (وحمله وفضاله ثلاثون شهراً)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد....

فهذه تأملات في جزء من آية كريمة من كتاب الله "وحمله وفضاله ثلاثون شهراً" الاصحاح ١٥

نستعرض فيها أقوال كبار المفسرين والفقهاء ثم نتعرض لما وصل إليه العلم الحديث في هذا الشأن ومدى التوافق بينهما ، موضحين ما نعتقده الأبعاد الأشمل والأوسع لهذا الجزء اليسير من الآية.

أحاول من خلال جهدي البسيط أن استعرضها معكم أيها السادة الكرام وكلكم أعلم وأفقه مني وإن لي الشرف الكبير أن أتلقى نصيحتكم وانتقاداتكم لعلنا في نهاية المطاف نخرج باستنتاجات جديدة...

قبل أن أبدأ محاولتي هذه فإنني أؤكد أنني من أكثر المؤمنين بأن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة فوق كل علم لأنهما من عند علام الغيوب الذي أحصى كل شيء عدداً كما وأنا أقر بهذه الحقيقة فإنني أسعى إلى إعطاء بعد أوسع لهذا الجزء من الآية فيما يتماشى مع ما توصل إليه العلم الحديث.

والآن لنستعرض أقوال كبار المفسرين والفقهاء في قوله سبحانه وتعالى "وحمله وفضاله ثلاثون شهراً"

## أقوال المفسرين

شيخ المفسرين الطبري

أخبرنا ابن وهب ثنى قال ابن أبي ذئب عن أبي قسيط عن بعجة بن زيد الجهني أن امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم أيضاً فولدت له في ستة أشهر فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بها أن ترحم فدخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقال (وفصاله في عامين) قال فوالله ما لبث عثمان أن بعث إليها ترد.<sup>١</sup>

ابن كثير

قال ها هنا (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) قال مجاهد: مشقة وهن الولد، وقال قتادة: جهداً على جهد، وقال عطاء الخرساني: ضعفاً على ضعف وقوله (وفصاله في عامين) أي إرضاعه بعد وضعه في عامين كما قال تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) الآية ومن ها هنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه قال في الآية الأخرى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً).<sup>٢</sup>

وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب حدثني ابن أبي ذئب عن أبي قسيط عن بعجة بن بدر الجهني أن امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم أيضاً فولدت له في ستة أشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بها أن ترحم فدخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال إن الله تعالى يقول في كتابه (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً).<sup>٣</sup>

## القرطبي

قوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) قال ابن عباس إذا حملت تسعة أشهر أرضعت واحداً وعشرين شهراً وإن حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً وروي أن عثمان قد أتى بامرأة قد ولدت لسته أشهر فأراد أن يقضي عليها بالحد فقال له علي رضي الله عنه ليس ذلك عليها قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهراً وقال تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين، فالرضاع أربعة وعشرون شهراً والحمل ستة أشهر فرجع عثمان عن قوله ولم يجدها.<sup>٤</sup>

## أحكام القرآن للجصاص

قوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) روي أن عثمان أمر برجم امرأة قد ولدت لسته أشهر فقال له علي قال الله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقال (وفصاله في عامين)، وروي أن عثمان سأل الناس عن ذلك فقال له ابن عباس مثل ذلك وأن عثمان رجع إلى قول علي وابن عباس.<sup>٥</sup>

## أحكام القرآن لابن العربي

قوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الآية ١٥ روي أن امرأة تزوجت فولدت لسته أشهر من يوم تزوجت فأتي بها عثمان فأراد أن يرحمها فقال ابن عباس لعثمان إنما إن تخصمكم بكتاب الله تخصمكم قال الله عز وجل (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقال (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) الآية ٢٣٣ فالحمل ستة أشهر والفصال أربعة وعشرون شهراً فخالف في سبيلها. وفي رواية أن علي بن أبي طالب قال له ذلك وهو استنباط بديع.<sup>٦</sup>

## فتح القدير

بين سبحانه مدة حمله وفصاله فقال (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) أي مدتها هذه المدة من عند ابتداء حمله إلى أن يفصل من الرضاع أي يفطم عنه وقد استدلل بهذه الآية على أن أقل الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع سنتان أي مدة الرضاع الكامل كما قوله (حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) فذكر سبحانه في هذه الآية أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع.<sup>٧</sup>

روح المعاني للألوسي والتفسير الكبير للفخر الرازي

واستدل بها علي رضي الله عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وجماعة من العلماء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وبه قوله في قوله تعالى "والأطباء". قال جالينوس: كنت شديد الفحص عن مقدار زمن الحمل فرأيت امرأة ولدت لمائة وأربعة وثمانين ليلة "١٨٤ ليلة = ٢٧ أسبوعاً + ٢ يوم" وادّعى ابن سينا أنه شاهد ذلك. وتحقق ارتباط حكم النسب بأقل مدة الحمل حتى لو وضعت فيما دونه لم يثبت نسبه منه وبعده يثبت وتبرأ من الزنا.<sup>٨٩</sup>

أضواء البيان للشنقيطي

وقوله تعالى "والمولود يرضع أولادهن حولين كاملين" (وفي قوله في قوله "والمولود يرضع أولادهن حولين كاملين") بين أن أمد الفصال عامان وهما أربعة وعشرون شهراً فإذا طرحتها من الثلاثين بقي ستة أشهر فتعين كونها أمداً للحمل وهي أقله ولا خلاف في ذلك بين العلماء.<sup>٩٠</sup>

## آراء الفقهاء

المفتي لابن قدامة

إن الله تعالى قيده بالحولين فقال تعالى (والمولود يرضع أولادهن حولين كاملين) البقرة ٢٣٣ وقال سبحانه (وفصاله في عامين) لقمان ١٤ وقال (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الأحقاف ١٥ ولم يبين مدة الحمل هاهنا والفصال فحمل على ما فسرت الآية الأخرى وجعل الفصال عامين والحمل ستة أشهر.<sup>٩١</sup> فإذا وطئ الرجل أمته فأتت بولد بعد وطئه ستة أشهر فصاعداً لحقه نسبه وصارت له بذلك أم ولد وإن أتت بولد تام لأقل من ستة أشهر لم يلحقه نسبه لأن أقل مدة الحمل ستة أشهر بدليل ما روى الحسن أن امرأة ولدت لستة أشهر فأبى بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهمم بربحها فقال له علي رضي الله عنه ليس لك ذلك إن الله يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الأحقاف ١٥ فقد يكون في البطن ستة أشهر والرضاعة أربعة وعشرون شهراً فذلك تمام ما قال الله تعالى (ثلاثون شهراً) فحلى عنها عمر.<sup>٩٢</sup>

شيخ الإسلام ابن تيمية

(وسئل رحمه الله تعالى) عن رجل تزوج بنتاً بكرةً بالغاً ودخل بها فوجدها بكرةً ثم إنهما ولدت ولداً بعد مضي ستة أشهر بعد دخوله بها فهل يلحق به الولد أم لا؟ وأن الزوج حلف في الطلاق منها ان الولد ولده من صلبه فهل يقع به الطلاق أم لا والولد ابن سوي كامل الخلقه وعمّر سنين أفتونا مأجورين فأجاب رضي الله عنه الحمد لله إذا ولدت لأكثر من ستة أشهر من حين دخل بها ولو بلحظة لحقه الولد باتفاق الأئمة ومثل هذه القصة وقعت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستدل الصحابة على إمكان كون الولد لسته أشهر بقوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) مع قوله (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) فإذا كان مدة الرضاع من الثلاثين حولين يكون الحمل ستة أشهر فجمع في الآية أقل الحمل وتمام الرضاع ولو لم يستلحقه فكيف إذا استلحقه وأقرّ به بل لو استلحق مجهول النسب وقال أنه ابني لحقه باتفاق المسلمين إذا كان ذلك ممكناً ولم يدع أحد أنه ابنه كان باراً في يمينه ولا حنث عليه والله أعلم.<sup>١٣</sup>

شرح الزرقاني

روى مالك أنه بلغه أن عثمان بن عفان أتى بضم أوله (بامرأة) تزوجت (قد ولدت في ستة أشهر) من زواجها (فأمر بها أن ترجم) لأن الغالب الكثير أن الحمل تسعة أشهر (فقال له علي بن أبي طالب ليس ذلك) الرجم (عليها إن الله تعالى يقول في كتابه وحمله وفصاله) من الرضاع (ثلاثون شهراً) ستة أقل مدة الحمل والبراقى أكثر مدة الرضاع.  
وروى ابن أبي حاتم عن بعجة بن عبد الله الجهني قال تزوج رجل منا امرأة فولدت له تماماً لسته أشهر فانطلق إلى عثمان فأمر برجمها فقال له علي أما سمعت الله يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الاصحاح ١٥ وقال (وفصاله في عامين) نعمان ١٤ فلم نجد بقي إلا ستة أشهر فقال عثمان والله ما فطنست لهذا.  
وروى عبد الرزاق في المصنف عن أبي الأسود الدؤلي قال رفع إلى عمر امرأة ولدت لسته أشهر فسأل عنها أصحاب النبي فقال علي ألا ترى أنه يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقال (وفصاله في عامين) فكان الحمل هاهنا ستة أشهر فتركها عمر فلعل عثمان رضي الله عنه لم يحضر هذه القصة في زمن عمر ولم يبلغه.<sup>١٤</sup>

## موطأ مالك

وحدثني مالك أنه بلغه أن عثمان بن عفان أتى بامرأة قد ولدت في ستة أشهر فأمر بما أن ترجم فقال له علي بن أبي طالب ليس ذلك عليها إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقال (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) فالحمل يكون ستة أشهر فلا رجم عليها فبعث عثمان بن عفان في أثرها فوجدتها قد رجمت.<sup>١٥</sup>

## الاستدكار

وحدثني مالك أنه بلغه أن عثمان بن عفان أتى بامرأة قد ولدت في ستة أشهر فأمر بما أن ترجم فقال له علي بن أبي طالب ليس ذلك عليها إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الأحقاد ١٥ وقال (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة ٢٣٣ فالحمل يكون ستة أشهر فلا رجم عليها فبعث عثمان بن عفان في أثرها فوجدتها قد رجمت. قال أبو عمر رواه بن أبي ذئب وذكره في (موطنه) عن زيد بن عبد الله بن قسيط عن نعة الجهيني قال تزوج رجل منا امرأة فولدت لسته أشهر فأتى عثمان فذكر ذلك له فأمر برجمها فاتاه علي فقال أن الله تعالى يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الأحقاد ١٥ وقال عز وجل (وفصاله في عامين) لقمان ١٤<sup>١٦</sup>

## إعلام الموقعين

وهذا كما فهم بن عباس من قوله (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) مع قوله (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) أن المرأة قد تلد لسته أشهر وكما فهم الصديق من آية الفرائض في أول السورة وآخرها أن الكلاية من لا ولد له ولا والد.<sup>١٧</sup>

## الدر المنثور

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن بعة بن عبد الله الجهني قال تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له تماماً لسته أشهر فانطلق زوجها إلى عثمان بن عفان فأمر برجمها فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فاتاه فقال ما تصنع قال ولدت تماماً لسته أشهر وهل يكون ذلك قال علي رضي الله عنه أما سمعت الله تعالى يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقال (حولين كاملين) البقرة ٢٣٣ فكم تجده بقي إلا ستة أشهر فقال عثمان رضي الله عنه والله ما فطنت لهذا علي بالمرأة فوجدوها قد فرغ منها.

وكان من قولها لأختها يا أخيه لا تحزني فوالله ما كشف فرجي أحد قط غيره.

قال فشب الغلام بعد فاعترف الرجل به وكان أشبه الناس به.

قال فرأيت الرجل بعد يتساقط عضواً عضواً على فراشه.<sup>١٨</sup>

## الخلاصة

• من خلال هذا العرض لأقوال المفسرين والفقهاء يتبين لنا أن هناك اتفاقاً على أن أقل مدة الحمل هي ستة أشهر وأنه لا يمكن أن يولد حياً لأقل من ذلك .. فهل هذا الاستنباط هو المعنى المراد من الآية أم أن هناك استنباطات أخرى ؟

• قبل أن نعرض ما توصل إليه العلم الحديث في هذا المجال لا بد من بعض الإيضاحات ...

## إيضاحات

أولاً: أن الأشهر عند رب العالمين هي أشهر قمرية وليست ميلادية كما جاء في الآية الكريمة (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم.... وأعلموا أن الله مع المتقين) النوبة ٣٦

ثانياً: أن عدد أيام السنة الهجرية (القمرية) هو ٣٥٤ يوم وبالتالي عدد أيام ستة أشهر  $2 \div 354 = 177$  يوم ويتقسمها على ٧ نحصل على عدد ٢٥ أسبوع ويومين.

ثالثاً: الحسابات العلمية لمدة الحمل تعتمد على طول الحمل بالأسابيع وليس بالأشهر وذلك لمزيد من الدقة.

رابعاً: جلّ المفسرين والفقهاء اعتمدوا قصة المرأة التي وضعت بعد زواجها بستة أشهر بالتمام. خامساً: قد يكون حصل الاخصاب أي الحمل لهذه السيدة المذكورة في كتب التفسير في أول يوم من الزواج أو خلال الأربعة عشر يوماً الأولى من الزواج إذا لم تكن في فترة الإباضة، وعلى ضوء ذلك يكون أكثر تقدير هو ٦ أشهر قمرية أي ٢٥ أسبوع + ٢ يوم وأقل تقدير هو ٢٥ أسبوع + ٢ يوم - ١٤ يوم = ٢٣ أسبوع + ٢ يوم.

سادساً: أن العلم الحديث برغم تقدمه الهائل لم يتمكن من معرفة متى يحصل الحمل (الاخصاب) بدقة فإن الحسابات الطبية تعتمد طول فترة الحمل بالأسابيع ابتداء من أول يوم لآخر دورة شهرية قبل الحمل حتى وضع الجنين.

سابعاً: على ضوء السابق فإن السيدة المذكورة في التفسير القرآنية وكتب الفقه وحسب العرف الطبي تكون مدة حملها حسب ما هو متعارف عليه طبيًا هو على الأكثر ٢٥ أسبوع + ٢ يوم + ٢ أسبوع (الفترة من بداية أول يوم للدورة لحين فترة الاخصاب) أي ٢٧ أسبوع و ٢ يوم وعلى أقل تقدير ٢٣ أسبوع + ٢ أسبوع أي ٢٥ أسبوع.

نستنتج مما سبق أن حمل ستة أشهر قمرية وحسب العرف الطبي السائد يتراوح بين ٢٥ إلى ٢٧ أسبوع (أي متوسط ٢٦ أسبوع).



## نماء وتطور الجنين

يمتد الحمل عند المرأة حوالي ٤٠ أسبوع (من اليوم الأول لآخر دورة شهرية) أو ٣٨ أسبوع منذ لحظة تلقيح النطفة للبويضة وحتى تشكل الجنين الكامل الذي سيولد طفلاً.

التطور الجسدي:

### الفترة المضغية Embryonic:

تتألف المضغة بعد ستة أيام من الإخصاب - ومع بدء التعشش، ويكون في المضغة طبقتان متميزتان، هما الأديم الباطن والأديم الظاهر، ويبدأ الغشاء الأمنيوسي بالتشكل. وبحلول الأسبوع الثالث تظهر الطبقة المنتشة البدئية الثالثة (الأديم المتوسط)، مع الأنبوب العصبي البدئي والأوعية الدموية. وتبدأ الأنايب القلبية المزدوجة بضخ الدم.

يظهر خلال الفترة من الأسبوع الرابع إلى الثامن شكل شبيه بالإنساني من خلال الانطواء الجانبي للصفائح المضغية، يتبعه نمو الطرفين الرأسي والذليلي وترعم الذراعين والساقين. تظهر بداءات العضلات الهيكلية والفقرات (الجسيدات) مع القوسين الغلصميين اللذين سيشكلان الفك السفلي والفك العلوي والحنك والأذن الخارجية وبقية بنى الرأس والعنق. تظهر الصفحتان العدسيتان مما يميز موضع ظهور العينين مستقبلاً، كما ينمو الدماغ بسرعة. وفي نهاية الأسبوع الثامن ومع انتهاء المرحلة المضغية، تكون بداءات جميع الأجهزة العضوية الأساسية قد تطورت، ويبلغ الوزن الوسطي للمضغة ٩ جرام والطول من الرأس إلى الإلية ٥ سم.

## الفترة الجنينية Fetal:

تتكون التغيرات الجسدية في الجنين بدءاً من الأسبوع التاسع (وهو بداية الفترة الجنينية) من ازدياد حجم الخلايا وإعدادها وإعادة التشكيل البنائي للعديد من الأجهزة العضوية.. وبحلول الأسبوع العاشر يصبح شكل الوجه إنسانياً، ويعود المعى المتوسط من الحبل السري إلى البطن، ويدور عكس عقارب الساعة ليضع المعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة في وضعها الطبيعي. وتصبح الأعضاء التناسلية الظاهرة بحلول الأسبوع الثاني عشر قابلة للتمييز بوضوح. يتسارع تطور الرئة بتبرعم القصبات والقصيبات والتقسيمات الأصغر بالترتيب. وبحلول الأسبوع ٢٠-٢٤ تكون الأسناخ البدئية قد تشكلت وبدأ إنتاج سورفاكتانت، وقبل هذا الوقت فإن غياب الأسناخ يجعل الرئة عديمة الفعالية كعضو للتبادل الغازي.

يتضاعف وزن الجسم ٣ مرات وطوله مرتين خلال الثلث الثالث من الحمل أي بعد ٢٦ أسبوع، وذلك بازدياد مخزون الجسم من البروتين والدهم والحديد والكلس. يمكن أن ينتج نقص وزن الولادة عن الخداج أو نقص النمو داخل الرحم (صغر الوزن نسبة للعمر الحملي) أو كليهما.

تطور الجنين العصبي:

تظهر خلال الأسبوع الثالث صفيحة عصبية على سطح الأديم الظاهر للمضغة ثلاثية الطبقات. ويؤدي انثاؤها إلى تشكيل أنبوب عصبي سوف يصبح الجهاز العصبي المركزي وتشكيل عرف عصبي سوف يصبح الجهاز العصبي المحيطي. تمايز الخلايا العصبية للأديم الظاهر إلى العصبونات والخلايا النجمية والخلايا قليلة التغصنات وخلايا البطانة العصبية، أما الخلايا الدقيقة الصغيرة، فتشتق من الأديم المتوسط. وبحلول الأسبوع الخامس تصبح الأجزاء الفرعية الرئيسية لمقدم الدماغ والدماغ المتوسط ومؤخر الدماغ واضحة. وتكون قرون النخاع الشوكي البطنية والظهرية قد بدأت بالتشكل مع أعصابها الحسية والحركية المحيطية. ويبدأ التغمّد بالنخاعين في منتصف الحمل ويستمر خلال السنتين الأوليتين من العمر.

يكتمل تشكل البنى العيانية في الجهاز العصبي في نهاية الفترة المضغية (الأسابيع ١-٨). ويستمر على المستوى الخلوي نمو المحاور الأسطوانية والتغصنات وتطور الروابط المشبكية العصبية بمعدل سريع مما يجعل الجهاز العصبي المركزي حساساً لتأثيرات نقص الأكسجة والعوامل الماسخة خلال الحمل، والكولسترول (مؤشر على التغمد بالنخاعين). وتعكس ذروة الازدياد في DNA قبل الولادة والذروة الأخرى بعد الولادة، النمو السريع للعصبونات والدبق على الترتيب.<sup>١٩</sup>

يمكن تلخيص نمو الأجهزة الجنينية كالآتي:

- الجهاز العصبي المركزي: يبدأ في الأسبوع الرابع وتكتمل البنية الأساسية له في الأسبوع الثاني عشر.
- الجهاز القلبي الوعائي: مع نهاية الأسبوع الثالث بعد الإخصاب (أي الخامس من بداية الدورة) يكتمل نمو هذا الجهاز تقريباً ويبدأ القلب بالإنقباض.
- الجهاز الهضمي وملحقاته من الكبد والطحال والبنكرياس يكتمل نموهم وعملهم الوظيفي مع نهاية الأسبوع السادس عشر.
- الجهاز الكلوي: يكتمل نموه مع نهاية الأسبوع الثاني عشر.

ونظراً لأهمية الجهاز التنفسي في بحثنا فإننا سنتطرق بالتفصيل إلى مراحل نمائه ونضجه...

#### نماء ونضج الرئة

الرئة هي أهم أعضاء الجنين التي تحدد معدل بقاؤه على قيد الحياة وقصور عملها يؤدي إلى وفاة كثير من الخدج.. ولهذا تركزت جلّ الأبحاث العلمية على تحسين عمل الرئة من خلال تقييم الأداء الوظيفي لها وتأخير الولادة المبكرة بالعقاقير واستعمال عقاريّ الكورتيزون وسارفاكتانت وكذلك التنفس الإصطناعي وهذا كله أدى إلى تحسّن ملحوظ في بقاء الخدج على قيد الحياة.

مراحل نماء الجهاز التنفسي:

المرحلة الأولى: تبدأ من اليوم ٢٦ لبداية الحمل

حيث تظهر الرئة ككتوء في وسط الجسم وفي اليوم ٣٣ تكبر وتتشعب، في اليوم ٣٧ تتكون القصبة الهوائية وفي اليوم ٤٢ تتكون تشعبات القصبات الهوائية إلى جميع أجزاء الرئتين.

المرحلة الثانية: من ٧ أسابيع إلى ٢٠ أسبوع

تتميز بوجود ١٥ إلى ٢٠ تفرع لمجرى الهواء.

المرحلة الثالثة: من ٢٠ إلى ٢٤ أسبوع

تنحول فيه الرئتين من جهاز لا يقدر على تبادل الغازات إلى جهاز له إمكانية تبادل الغازات مع بداية تكوين السارفاكانت.

المرحلة الرابعة: تبدأ من ٢٥ أسبوع حتى تمام الشهر التاسع

حيث يتم النضج التدريجي ويظهر خلالها التفرعات النهائية للمسالك الهوائية.

## نضج الرئتين

سارفاكتانت (مهمة لانتفاخ الحويصلات الهوائية) يبدأ في التكوّن من الأسبوع ٢٠ إلى الأسبوع ٢٤ وتزداد كميته بشكل تدريجي حتى ٤٠ أسبوع (تمام الحمل) ويظهر هذه المادة مبكراً يتماشى مع الخبرة الإكلينيكية فبعض الخدّج لأربع وعشرين أسبوعاً يعانون من قصور بسيط بعمل الرئتين.

لقد أجريت الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية لتحسين أداء الرئتين والتي أثبتت أن عقار الكورتيزون إذا أعطي للأم الحامل بعد ٢٤ أسبوع يسبب انخفاض بمقدار ٥٠% في إصابة الخدّج بمرض متلازمة الضائقة التنفسية وأن المصابين بالمتلازمة تكون معاناتهم أقل.

الأجثة المولودون بتمام الأربعين أسبوعاً يتم نضوج الرئتين لديهم عند حوالي الأسبوع ال ٣٦ ولكن ولسبب غير معروف إن ٥٠% فقط من الخدّج ل ٣٠ أسبوع يعانون من متلازمة الضائقة التنفسية.

برغم أن نسبة حدوث متلازمة الضائقة التنفسية تزداد مع انخفاض مدة الحمل فإنه وجد أن بعض الخدّج ما بين ٢٠-٢٥ أسبوع لديهم نضوج شبه كامل للرئتين ويعتقد أن هذا النضوج التلقائي والمبكر قد يكون بسبب ضيق أو شدة تتعرض له الأم الحامل أو المشيمة أو الجنين.<sup>٢٠</sup>

## أمثلة من التاريخ

عرف منذ قديم الزمان أن مواليد ستة أشهر تكتب لهم الحياة أحياناً بدون أي مساعدة طبية ولكن لا توجد دراسات لتقدير هذه النسبة حيث أن كل الدراسات الحديثة تعتمد على نتائج الرعاية الطبية المكثفة هؤلاء الخدج في وحدة العناية المركزة لحديثي الولادة.

ولقد سبق سيدنا علي رضي الله عنه وكبار الصحابة العلم بأكثر من أربعة عشر قرناً عندما استشفوا من القرآن الكريم أن الجنين إذا ولد لسته أشهر أو أكثر تكتب له الحياة أحياناً بمشيئة الله. وهنا بعض الأمثلة لمشاهير عاشوا رغم قصر مدة الحمل بهم وقلة وزنهم ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

- نبي الله "موسى عليه السلام" والذي كما ذكر في كتب العهد القديم أنه ولد لحمل مدته ستة أشهر ويوم وخبى لمدة ثلاثة أشهر حتى لا يتمكن فرعون من قتله والله أعلم.
- "بيكاسو" الفنان المعروف الذي ولد صغيراً جداً واهمل لاعتقادهم بموته ولكن عمه الطيب "دون سلفادور" تمكن من إسعافه.
- الفنان "فولاتير" أيضاً ولد مبسراً وسمي (الطفل الصغير السقيم) ولم يتوقع له الحياة حتى أنهم وضعوه في العليّة لإبقائه دافئاً.
- الممثل الشهير "سيدني بوتير" ولد لسته أشهر وكان صغيراً جداً حيث أن والده وضعه في صندوق حذاء وكانت جدته تقول أنه قوي برغم ضآلة حجمه ويستطيع المشي مع الملوك وقد فعل ذلك حين أصبح سفيراً لبلاده الباهاما في اليابان.
- "نيوتن" عند ولادته كان مخلوقاً صغيراً جداً لدرجة أنه أمكن وضعه في قدح سعته لتر.<sup>٢١</sup>

إن جلّ الدراسات العلمية والخاصة بالمتابعة الطويلة المدى لهؤلاء الخدّج تعتمد على الوزن أكثر من اعتمادها على العمر الجنيني بالأسابيع، فلا بد من معرفة متوسط أوزان هؤلاء الخدّج من خمسة أشهر قمرية

متوسط وزن الجنين بالجرام<sup>٢٢</sup>

متوسط الوزن	العمر بالأسابيع
٤٣٣	٢١
٤٩٦	٢٢
٥٨٢	٢٣
٦٧٤	٢٤
٧٧٩	٢٥
٨٩٩	٢٦
١٠٣٥	٢٧

الفترة المبينة بالجدول هي الحمل من خمسة أشهر إلى أكثر من ستة أشهر قمرية

من أجل ذلك لا بد من ذكر بعض التوضيحات الضرورية ...

معدل البقاء على قيد الحياة حسب وزن الجنين<sup>٢٣</sup>

وزن الجنين	فرصة الحياة
٥٠٠ - ٤٠١	%١١
٦٠٠ - ٥٠١	%٢٩
٧٠٠ - ٦٠١	%٦٢
٨٠٠ - ٧٠١	%٧٥
٩٠٠ - ٨٠١	%٨٨
١٠٠٠ - ٩٠١	%٩٠

معدل البقاء على قيد الحياة حسب العمر الجنيني بالأسابيع

العمر الجنيني بالأسابيع	معدل البقاء <sup>٢٤</sup> ١٩٨٨-١٩٧٠	معدل البقاء <sup>٢٥</sup> ٢٠٠١
٢٢	%٠	%٢١
٢٣	%١٨	%٣٠
٢٤	%٤٠	%٥٠
٢٥	%٥١	%٧٥
٢٦	%٦١	%٨٠
٢٧	%٧٢	%٩٠



نلاحظ التحسن الكبير في معدل البقاء على قيد الحياة بالعشر سنوات الأخيرة وخاصة بالنسبة للمواليد من ٢٢ إلى ٢٥ أسبوع والذي ينتظر أن يتحسن أكثر خلال المستقبل القريب.

ومن خلال الإطلاع على الجدولين السابقين يتبين لنا أن معدل البقاء على قيد الحياة حسب العمر الجنيني هي أدق من حسابها حسب وزن الجنين (لأن وزن الجنين غالباً ما ينقص وخاصة بالنسبة للمواليد المتسرين حتى في هذه المرحلة المبكرة من الحمل) ، فمثلاً معدل البقاء على قيد الحياة للأسبوع السادس والعشرين هو ٨٠% بينما معدل البقاء لوزن ٩٠٠ جرام (متوسط الوزن لستة وعشرين أسبوع) فإن المعدل يكون ٨٨% وهذا ما أقره رب العزة في قوله: (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) ولم يتطرق لذكر أي وزن، واكتشف العلم الحديث ذلك عندما أقروا أن معدل البقاء يعتمد على طول فترة الحمل ونضوجه أكثر من اعتماده على وزن الجنين.<sup>٢٦</sup>

متابعة الخدج على المدى القصير

معدل البقاء على قيد الحياة حسب وزن الجنين

ومعدل المرضية (المراضة)<sup>٢٧</sup>

الأحياء	٧٥٠-٥٠١ جرام	٧٥١-١٠٠٠ جرام
الإجمالي	٥٤٠ (٥٣,٩%)	٩٣٥ (٨٦,٣%)
الأحياء بدون مرضية	١٩٩ (٣٦,٩%)	٥٤٠ (٥٧,٨%)
الأحياء مع مرضية	٣٤١ (٦٣,١%)	٣٩٥ (٤٢,٢%)

\* المرضية: أهمها أمراض الرئة المزمنة والالتهاب المعوي القولوني الناخر ونزف داخل البطنين

في أحدث وأكبر دراسة للخدج ذوي الوزن المنخفض جداً عند الولادة  
(دون ١٥٠٠ جرام)

من المعهد القومي لصحة الطفل ونماء الإنسان بالولايات المتحدة الأمريكية **NICHD**  
لتقييم معدل البقاء على قيد الحياة ومعدل المرضية وتأثير بعض العقاقير  
أغسطس/آب ٢٠٠٣  
معدل البقاء على قيد الحياة للخدج دون ١٥٠٠ جرام<sup>٢٨</sup>

٢٠٠٠-١٩٩٩	١٩٩٤-١٩٩٣	١٩٨٨-١٩٨٧
%٨٦	%٨٣	%٧٧

معدل البقاء للخدج دون ١٥٠٠ جرام لثلاث فترات زمنية  
الأولى (١٩٨٨ - ١٩٨٧): بدون استعمال عقار سارفاكتانت  
الثانية (١٩٩٤ - ١٩٩٣): مع استعمال سارفاكتانت والكورتيزون باعتدال  
الثالثة (٢٠٠٠ - ١٩٩٩): مع استعمال سارفاكتانت والكورتيزون بكثرة

معدل البقاء للخدج حسب الوزن<sup>٢٨</sup>

٢٠٠٠-١٩٩٩	١٩٨٨-١٩٨٧	الوزن بالجرام
%٥٥	%٣٤	٧٥٠ - ٥٠٠
%٨٨	%٦٦	١٠٠٠ - ٧٥١
%٩٨	%٨٧	١٥٠٠ - ١٠٠١

## الخلاصة:

- أن إعطاء عقاري الكورتيزون وسارفاكتانت ساهما بشكل ملحوظ في تحسن معدل البقاء.
- أن المواليد الإناث أقل عرضة للوفاة من أقرانهم الذكور.
- أن الإصابة بالمرضية (أمراض الرئة المزمنة، الالتهاب المعوي القولوني الناخر، نزيف داخل المخ من الدرجة الثالثة والرابعة) لم تتحسن بشكل ملحوظ خلال الخمسة عشر سنة الأخيرة (فترة الدراسة).
- هناك حاجة إلى تطور طبي أكثر حتى تقل نسبة الإصابة بالمرضية لدى أولئك الخدج.<sup>٢٨</sup>

## متابعة الخدج على المدى الطويل

والآن لنستعرض أحدث وأكبر وأطول الدراسات التي عنيت بتقييم هذه الفئة من الخدج وما يصيبهم من عاهات وإعاقات مستديمة حتى سن العشرين عاماً وما بعد وذلك في أكثر دول العالم تقدماً.

الدراسة الأولى: الخدج حتى عمر السنتين

في دراسة حديثة جداً من فنلندا (وهي من أكثر دول العالم تقدماً في الطب) لمتابعة جميع الخدج ذوا الوزن البالغ الانخفاض عند الولادة والذين ولدوا في العامين ١٩٩٦ و ١٩٩٧ وبعد متابعتهم لمدة سنتين تبين ما يلي:

- ١١% منهم يعانون من الشلل المخي.
- ٢٤% يعانون من الضعف الحركي.
- ٢٣% يعانون من مشاكل في الجهاز البصري.
- ٤٢% يعانون من تأخر في النطق.

## مجمل الدراسة:

٤٢% فقط من هؤلاء الخدج لا يعانون من أى مشاكل صحية أي أن ٥٨% يعانون من مشاكل صحية مختلفة.<sup>٢٩</sup>

الدراسة الثانية: الخدج حتى عمر الستين في ثلاث فترات زمنية

وفي دراسة تفصيلية ومطوّلة لهؤلاء الخدج لثلاث فترات زمنية الأولى لعامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠ والثانية بين الأعوام ١٩٨٥ و ١٩٨٧ والثالثة لعامي ١٩٩١ و ١٩٩٢ من فيكتوريا لمعرفة مدى الإصابة في الجهاز العصبي الحسي تين الآتي:

- أن معدل البقاء على قيد الحياة تحسّن من ٢٥% في الفترة الأولى إلى ٣٨% في الفترة الثانية ثم إلى ٥٦% في الفترة الثالثة.
- أن معدل الإعاقات الشديدة في الفترة الأولى كان ١٢,٤% المنخفض إلى ٦,٦% ٦,٨% في الفترتين الثانية والثالثة على التوالي.
- رغم أن نسبة الإعاقات قد انخفض بشكل ملحوظ في الفترة الثالثة فإنه لا يزال أعلى بكثير منه لدى أقرانهم مكتملي الوزن.
- أن نسبة الإعاقات في الجهاز العصبي الحسي للمواليد دون ٧٥٠ جرام لم تتحسن في الفترتين الثانية والثالثة.
- ورغم أن معدل البقاء على قيد الحياة تحسّن بشكل مطّرد من أواخر السبعينيات إلى بداية التسعينيات إلا أن هذا لم يصاحبه تحسّن في نسبة الإصابات في الجهاز السمع الحسي في التسعينيات عنه في الثمانينيات وأن معدل المراضة عند هذه الفئة من الخدج هي أعلى بكثير من أقرانهم مكتملي الوزن.<sup>٣٠</sup>

وقد نشرت المجلة الطبية السعودية (مايو ١٩٩٣) أن أحد مستشفيات عسير بالمملكة العربية السعودية للفترة ١٩٨٦-١٩٩٢ كان معدل البقاء على قيد الحياة لهؤلاء الخدج ذوا الوزن البالغ الإنخفاض هو ٣٣% وهذا ليس بعيد عن نتائج هذه الدراسة.

#### الدراسة الثالثة: الخدج حتى عمر الستين والنصف

عند تقييم ٢٨٣ (٩٢%) من الخدج الذين بقوا على قيد الحياة من أصل ٣٠٨ ومتابعتهم لمدة ثلاثين شهراً تبين الآتي:

- ١٩% يعانون من تأخر شديد في التطور والنمو.
  - ١١% يعانون من تأخر متوسط في التطور والنمو.
  - ١٠% يعانون من عجز في الجهاز العصبي الحركي.
  - ٢% أصيبوا بضعف شديد أو فقدان البصر.
  - ٣% أصيبوا بفقدان السمع التام الذي لا يمكن علاجه أو يحتاج سماعات طبية.
  - إجمالاً فإن ٤٩% يعانون من إعاقات شديدة.
- الخلاصة: الإعاقة الشديدة شائعة بين الخدج ذوا الوزن البالغ الإنخفاض.<sup>٣١</sup>**

#### الدراسة الرابعة: الخدج حتى عمر الخمس سنوات

- ٢٥% منهم يحتاجون للمعالجة بالأوكسجين لغاية ستة أشهر.
  - نسبة الإصابة في شبكية العين والتي كانت قد تدنت نسبتها بدأت الآن في ازدياد.
  - ٥% يعانون من فقدان السمع العصبي الحسي الشديد.
  - ١٦% يعانون من شلل مخي بكافة أنواعه.
  - ٣٥% يعانون من انخفاض متوسط لمعدل الذكاء
- الخلاصة: هؤلاء الأطفال هم أصغر بنية من حيث الطول والوزن ومحيط الرأس وأكثر نحافة من أقرانهم مكتملي الوزن..<sup>٣٢</sup>

## الدراسة الخامسة: الخدج حتى عمر الثمان سنوات

- وفي دراسة خامسة لمتابعة الخدج دون ال ١٥٠٠ جرام حتى عمر ٨ سنوات لمعرفة قدراتهم الفكرية والتعليمية والسلوكية كانت النتيجة كالآتي:
- نسبة عالية منهم تعاني من المشاكل الصحية وأداء وظيفي منخفض وهذه الفروقات تبقى موجودة حتى بعد الأخذ في عين الاعتبار الاختلافات في الحياة الأسرية والاجتماعية.
  - أن الخدج ذووا الوزن البالغ الإنخفاض عانوا من المشاكل والصعوبات أكثر من أقرانهم ذوو الوزن المنخفض جداً.

هذه النتيجة تؤيدها الأبحاث الكثيرة التي دلت على أن الخدج أكثر عرضة للعايات المستديمة وضعف الأداء حتى منتصف الطفولة.<sup>٣٣</sup>

## الدراسة السادسة: الخدج حتى سن المراهقة

- تبين التقارير على الخدج دون ال ١٥٠٠ جرام عند بداية دراستهم الثانوية (سن المراهقة) والتي بدأت تظهر نتائجها الآن أنهم يعانون من صعوبات سلوكية وحتى الذين لا يعانون من أمراض بالجهاز العصبي فإن تحصيلهم العلمي والإدراكي أقل بكثير من أقرانهم مكتملي النمو.
- الخدج الأقل من ١٠٠٠ جرام أداؤهم أسوأ على جميع الأصعدة وخاصة في مادة الرياضيات، وأن ٣٠-٥٥% يلزمهم مساعدة علاجية أو رسبوا في إحدى السنوات الدراسية.<sup>٣٤</sup>

الدراسة السابعة: الخدج حتى سن الرابعة عشر

وفي دراسة سابعة لتابعة هؤلاء الخدج حتى سن الرابعة عشر تبين الآتي:

■ ١٤% يعانون من إعاقة شديدة.

■ ١٥% يعانون من إعاقة متوسطة.

■ ٢٥% يعانون من إعاقة بسيطة.

■ ٤٦% لا يعانون من أي عجز.

الخلاصة أن أكثر من النصف (٥٤%) يعانون من إعاقات مختلفة.

وبالمقارنة بالمكتملي النمو فإن ٢% يعانون من إعاقة شديدة، ١٤% يعانون من إعاقة بسيطة، والغالبية العظمى ٨٤% كانوا معافين.

نستنتج أن الخدج الأقل من ١٠٠٠ جرام لديهم نسب عجز عصبي حسي أعلى بكثير من مكتملي النمو.<sup>٣٥</sup>

## الدراسة الثامنة: الخدج حتى العشرين عاماً

- لا توجد دراسة للمتابعة الطويلة المدى للخدج دون ال ١٠٠٠ جرام، والدراسة الوحيدة هي لمتابعة الخدج دون ١٥٠٠ جرام حتى عشرون عاماً نستخلص منها الآتي:
- أن عدداً أقل من هؤلاء الخدج عندما أصبحوا شباباً بالغين تمكنوا من إتمام الدراسة الثانوية مقارنة بأقرانهم الذين ولدوا مكتملي الوزن.
  - أن معدل الذكاء لديهم يقل بنسبة ١٠% عن أقرانهم مكتملي النمو.
  - معدل تحصيلهم العلمي أقل من أقرانهم.
  - ١٠% منهم لديهم نقص وضعف في الجهاز السمعي الحسي.
  - أنهم أقصر قامة من أقرانهم.
  - نسبة الحمل لديهم أقل من أقرانهم.
- وهذه الإصابات موجودة أيضاً عند الخدج الذين لا يعانون من قصور في الجهاز العصبي الحسي.

الخلاصة: ضعف التحصيل العلمي عند الخدج حتى سن الرشد المبكر.<sup>٣٦</sup>

## الدراسة التاسعة: متابعة الخدج بعد العشرين

أن معدل إصابة الخدج بعد البلوغ وفي العقدين الثالث والرابع بأمراض تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم والأمراض الرئوية المزمنة بالإضافة إلى التخلف العقلي والشلل الرعاش هي أكثر من أقرانهم مكتملي الوزن وهذا المعدل يزداد أكثر كلما نقص وزن المولود.<sup>٣٧</sup>



## النتائج

أولاً:

٢٠%	معدل البقاء على قيد الحياة ٢٢ أسبوعاً (٥ أشهر)
٥٠%	معدل البقاء على قيد الحياة ٢٤ أسبوعاً (٥ أشهر ونصف)
٨٠%	معدل البقاء على قيد الحياة ٢٦ أسبوعاً (٦ أشهر)

وبحسب التطور الطبي يتوقع أن يستمر هذا التحسن وهذا يتطلب منا إعادة النظر فيما ذكره المفسرون والفقهاء بأن أقل مدة حمل تكب له الحياة هو ستة أشهر حيث يظهر أن واحداً من كل اثنين ممن يولدون لأقل من ذلك يبقى على قيد الحياة.

ثانياً: بناءً على ما تقدم فإن المرأة إذا وضعت طفلاً مدة حملها أقل من ستة أشهر فهذا لا يعني أنه ابن زنا كما قال بعض المفسرين والفقهاء.

ثالثاً: معدل المرضية (الإعاقات والتخلف) لهذه الفئة من الخدج تزيد عن النصف وهي أقرب إلى الثلثين إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذه الدراسات تشمل مواليد مدة حملهم أكثر من ٢٦ أسبوعاً.. ولا ينتظر أن يقل معدل المرضية بشكل ملحوظ، وبناءً على ذلك فقد يكون المراد من الحياة بعد الأشهر الستة الحياة السليمة المعافاة لا مطلق الحياة.

رابعاً: إن احتساب معدل البقاء بحسب العمر الجنيني أدق من احتسابه بحسب وزن الجنين وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم.

## الخاتمة

ثمانية أشهر وأنا أبحث في هذه الكلمات الأربع وكلما ازددت بحثاً كلما ازددت يقيناً بإعجاز هذه الكلمات ولا يسعني إلا أن اعترف بأنني لم أوف هذه الكلمات حقها ولكنني أرجو الله عز وجل أن أكون قد وفقت في إضافة بعض المدلولات الجديدة لما سبق أن فهمه سيدنا علي وابن عباس رضي الله عنهما وكثير من الصحابة والمفسرين والفقهاء.

وإنني أعدكم إن شاء الله أن أتابع البحث في هذه الآية لعلي وبمساعدتكم جميعاً أتوصل إلى إضافات أخرى...

## تعريفات طبية

Low-birth weight baby (below 2500 g)	الخدج ذووا الوزن المنخفض عند الولادة (دون ٢٥٠٠ جرام)
Very low-birth weight (below 1500g)	الخدج ذووا الوزن المنخفض جداً عند الولادة (دون ١٥٠٠ جرام)
Extremely low-birth weight (below 1000 g)	الخدج ذووا الوزن البالغ الإنخفاض عند الولادة (دون ١٠٠٠ جرام)
Respiratory Distress Syndrome RDS	متلازمة الصائقة التنفسية
Intraventricular Hemorrhage Necrotizing Enterocolitis Morbidity	نزف داخل البطينيات (المخ) الالتهاب المعوي القولوني الناخر مرضية أو مرضية
Central Nervous System CNS	الجهاز العصبي المركزي

## المراجع

- ١ شيخ المفسرين الطبري / جزء ٢٥ صفحة ١٠٢
- ٢ ابن كثير / جزء ٣ صفحة
- ٣ ابن كثير / جزء ٤ صفحة ١٣٧
- ٤ القرطبي / جزء ١٦ صفحة ١٩٣
- ٥ أحكام القرآن للجصاص / جزء ٥ صفحة ٢٦٧
- ٦ أحكام القرآن لابن العربي / جزء ٤ صفحة ١٢٦
- ٧ فتح القدير / جزء ٥ صفحة ٨
- ٨ روح المعاني للألوسي / جزء ٢٦ صفحة ١٨
- ٩ التفسير الكبير للفخر الرازي / جزء ٢٨ صفحة ١٥
- ١٠ أضواء البيان للشنقيطي / جزء ٧ صفحة ٣٨٦
- ١١ المغني / جزء ٧ صفحة ٢٥٥
- ١٢ المغني - كتاب عتق أمهات الأولاد / جزء ١٠ صفحة ٤١١
- ١٣ شيخ الإسلام ابن تيمية - باب ما يلحق بالنسب / جزء ٣٤ صفحة ١٠
- ١٤ شرح الزرقاني / جزء ٤ صفحة ١٧٩
- ١٥ موطأ مالك / جزء ٢ صفحة ٨٢٥
- ١٦ الاستذكار / جزء ٧ صفحة ٤٩١
- ١٧ إعلام الموقعين / جزء ١ صفحة ٣٥٤
- ١٨ الدر المنثور / جزء ٧ صفحة ٤٤١
- ١٩ <http://www.childclinic.net/pain/fetus.html>
- ٢٠ Neonatal-Perinatal Medicine, Fanaroff & Martin, Chapter 42, 7<sup>th</sup> edition, 2002

- ٢١ Neonatal-Perinatal Medicine, Fanaroff & Martin, 7<sup>th</sup> edition,  
page 14, 2002
- ٢٢ Alexander GR, et al, A United States national reference for  
fetal growth. Obstet Gynecol 87:163, 1996
- ٢٣ Modified data from Lemon, et al. Very low birth weight  
outcome of the National Institute of Child Health and  
Human Development Neonatal Research Network, January  
1995 through December 1996. NCHD Neonatal Research  
Network Pediatrics 2001
- ٢٤ Hack M. Schluchter M. Cartar L. Rahman M. Cuttler L.  
Borawski E.  
Pediatrics. 112(1 Pt 1):E30-8, July 2003
- ٢٥ Modified data from Lemon, et al. Very low birth weight  
outcome of the National Institute of Child Health and  
Human Development Neonatal Research Network, January  
1995 through December 1996. NCHD Neonatal Research  
Network Pediatrics 2001
- ٢٦ Ginsberg HG, et al 380g infant. N Engl J Med 322:1753,  
1990
- ٢٧ NICDH Neonatal Research Network, Neonatal-Perinatal  
Medicine, Fanaroff & Martin, 7th edition, Page 59, 2002
- ٢٨ The NICHD neonatal research network: changes in practice  
and outcomes during the first 15 years. Modified from  
Fanaroff AA, Hack M, Walsh MC.  
Semin Perinatol. 2003 Aug;27(4):281-7

- ٢٩ . Tammela O. Pokela ML. Kero P. Heinonen K. Tommiska V .Fellman V. Virtanen M. Salokorpi T. Jarvenpaa AL Hospital for Children and Adolescents, University of Helsinki, Finland.  
A national two year follow up study of extremely low birthweight infants born in 1996-1997. Archives of Disease in Childhood Fetal & Neonatal Edition. 88(1):F29-35, 2003 Jan.
- ٣٠ Improved outcome into the 1990s for infants weighing 500 - 999 g at birth.  
The Victorian Infant Collaborative Study Group. Archives of Disease in Childhood Fetal & Neonatal Edition. 77(2):F91-4, 1997 Sep
- ٣١ Wood NS. Marlow N. Costeloe K. Gibson AT. Wilkinson AR. School of Human Development, University of Nottingham, United Kingdom.  
Neurologic and developmental disability after extremely preterm birth. EPICure Study Group.[comment]. Comment in: N Engl J Med. 2000 Aug 10;343(6):429-30; PMID: 10933743  
New England Journal of Medicine. 343(6):378-84, 2000 Aug 10
- ٣٢ M bracewell and n.marlow current obs.&gyn(2003) 13,142-150

٣٣

.Darlow BA. Mogridge N. Horwood LJ  
Christchurch Health and Development Study, Christchurch  
School of Medicine, New Zealand. Jhorwood@chmeds.ac.nz  
Cognitive, educational, and behavioural outcomes at 7 to 8  
years in a national very low birthweight cohort.[comment].  
Archives of Disease in Childhood Fetal & Neonatal Edition.  
79(1):F12-20, 1998 Jul.

٣٤

Saigal S. Department of Pediatrics, McMaster University,  
Hamilton, Ontario, Canada.  
[saigal@fhs.mcmaster.ca](mailto:saigal@fhs.mcmaster.ca)

Follow-up of very low birthweight babies to adolescence.  
[Review] [63 refs]

٣٥

Seminars in Neonatology. 5(2):107-18, 2000 May  
Victorian Infant Collaborative Study . Casalaz D. Doyle LW  
.Group  
The Royal Women's Hospital, Melbourne, Australia.  
[wd@unimelb.edu.au](mailto:wd@unimelb.edu.au)  
Outcome at 14 years of extremely low birthweight infants: a  
regional study.  
Archives of Disease in Childhood Fetal & Neonatal Edition.  
85(3):F159-64, 2001 Nov

٣٦

. Borawski E. Cartar L. Schluchter M. Flannery DJ. Hack M  
.Klein N

Department of Pediatrics, Case Western Reserve University,  
Cleveland, USA. mxh7@po.cwru.edu

Outcomes in young adulthood for very-low-birth-weight  
infants.[comment].

new England Journal of Medicine. 346(3):149-57, 2002 Jan  
17

٣٧

High Risk pregnancy, Second edition 1999, Page 1010,  
James, Steer, Weiner, Gonik, Publisher: W.B. Eitors  
Saunders



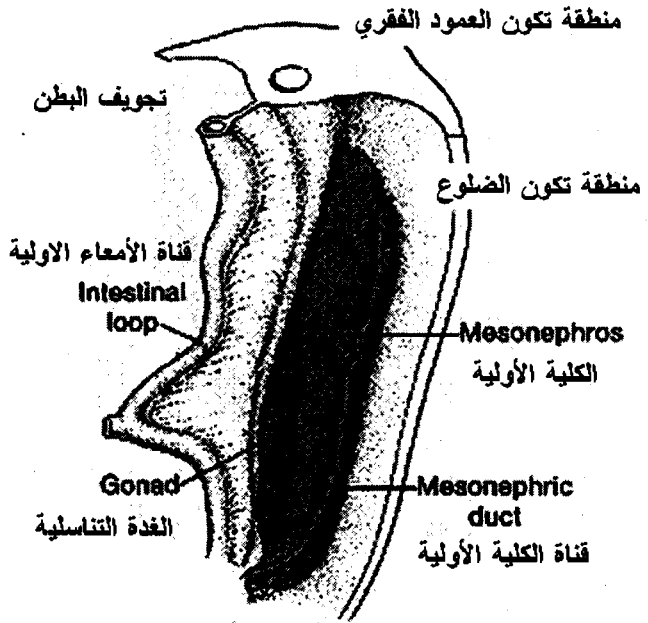
# **أصول نشأة الإنسان من معجزات القرآن**

د. محمد دودح



## أصول نشأة الإنسان

في مشاهد بلغت أسمى درجات الإحكام في البيان يكشف القرآن جملةً من أسرار نشأة الإنسان، ويأخذه في رحلة طويلة تعدد فيها مشاهدٌ ماضيه لتبلغ به نشأة أجيال تسبقه يتنقل مُقَدَّرًا في عالم لا تدركه عين سموه "عالم الذر"، وقيل أن يصبح إنساناً ذي فكرٍ لم يوظفه لمعرفة خالقه بل طغى غافلاً عن قدرة الله على البعث والحساب كان كائناً أشبه ما يكون بقطيرة ماء؛ نظفه لا ترى إلا أنها حية تسعى دافقة تتحرك ذاتياً بتوجيه وتجسد مقدار النقلة الهائلة، وفي تحدٍّ صارخ قبل أن ينشأ علم الأجنة بقرون ويتحقق البشر بيقين يجاهر القرآن ويكشف العلم بمنشأ مصانع إنتاج الذرية مع نشأة أعضاء البدن قبل أن تتحول عن موضعها وتستقر، يقول العلمي القدير: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الطارق ٥-١٠، نقلات ضخمة في تاريخ نشأة الإنسان حيرت أعلام المفسرين للقرآن الكريم، فالتقوا في بيان المغزى، وقيل أن تكشف العلوم التجريبية الكيفيات برعوا في تصورها حتى كادوا يصيبروا بضربات المعاول عين النبع، فلما أضاعت الكشوف الساحة تآزرت المعاول وفاض النهر، والمعلوم أن المني يُقذف مدفوقاً في دفعات، لكن السر المبهر بوصف المني فاعلاً يوافق تدافع الحويئات المنوية تحت المجهر مفطورةً على التسابق، والقرآن يقرر أن أعضاء إنتاج الذرية تنشأ في الصلب أو الظهر وتخرج من بين الصلب والترائب لتتفصل وتميز، يقول تعالى: ﴿وَحَلَّلَ لِمَنْ أَرْبَابَكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَسْلَابِكُمْ﴾ النساء ٢٣، وفي بيان تصويري يكشف فطرية الإيمان وأصل نشأة الذرية يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُمْ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ الأعراف ١٧٢، وذلك هو ما يقرره اليوم علم الأجنة من أن أعضاء إنتاج الذرية تجتمع أصولها بالفعل في الظهر ثم تخرج وتتفصل وتميز بين أصول العمود الفقري والضلع بجوار الكلية، وفي البالغ تظل الأوعية الدموية واللمفاوية والأعصاب ممتدة إلى منطقة الكلية حيث تنشأ الخصية أو المبيض، والسؤال أمام كل تقدير: لأي غرض؟ العالون يجيبون: الرحم في الحوض ولا تنتج الخصية إلا في كيس الصفن حيث الحرارة أقل، ولك أن تدبش؛ من أدراهما؛ أمي حنكة الثوب المحبوك بمهارة أم الحائك!، ومع كل تلك المشاهد المتجددة والتفديرات المبدعة والقدرة المفرعة هل يرد مجرد هاجس على الخاطر: أنبعث حقاً ونحاسب!.



تقع بداية الغدة التناسلية مع الكلية في الجنين بين بدايات العمود الفقري والضلوع في الجنين

## الجوانب العلمية

(١) نبذة تاريخية:



عاش أرسطو Aristotle معلم الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد (٣٨٤-٣٢٢ ق.م)، وقد أصاب شهرة واسعة نتيجة لتأملاته في كثير من الظواهر الطبيعية قبل اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر، وله مساهمات تجريبية في وصف تطور جنين الدجاجة وغيرها بالعين المجردة حتى أن البعض يعتبره واضع أساس علم الأجنة، ومع ذلك فقد جاءت الثورة العلمية الحديثة ابتداء من القرن السابع عشر بمكتشفات نقضت معتقداته، ومن ذلك اعتقاده بتخلق الجنين من دم الحيض نتيجة للاتحاد مع السائل المنوي، وليس هو أول من وصف تطور جنين الدجاجة من الإغريق فقد سبقه أبو قراط Hippocrates بموالي قرن عدا كثير من اجتهاداته في الطب

حتى أن كثير ممن يحاول من الغربيين قصر تاريخ العلوم على الإغريق يعتبره أبو الطب، وربما كان جانن Galen الذي عاش بعد أرسطو بقرنين أكثر دقة منه في كثير من أوصاف أجنة الحيوان بالعين المجردة، وفي العصور الوسطى قبل النهضة عاشت أوروبا في كساد علمي لم يتجاوز كثيرا ترديد أفكار القدامى، ولذا يتعجب البروفيسور كيث مور Keith Moore (رئيس قسم التشرييح وعلم الأجنة بجامعة تورنتو في كندا) في كتابه (تخلق الجنين البشري The Developing Human) من وفرة وتأزر الحقائق العلمية المتعلقة بتخلق الجنين في القرآن، فيقول: "لم تُضف في العصور الوسطى معلومات ذات قيمة في مجال تخلق الجنين، ومع ذلك قد سجل القرآن في القرن السابع وهو الكتاب المقدس عند المسلمين أن الجنين البشري يتخلق من أخلاط تركيبية من الذكر والأنثى، مع بيان تخلق الجنين في أطوار ابتداءً مما يماثل في التركيب قطيرة أو نقطة تنغرس وتتمو في الرحم كالبندرة.. ومع وصف الجنين في أول مرحلة بما يماثل العلقة Leech التي تعيش على مص دماء الغير ثم مما يماثل كتلة ممسوخة بما فيها من علامات أسنان والبعاجات وهو ما يتفق تماما مع تطور الأعضاء في تلك المرحلة بالفعل، وإذا أردت مزيدا من الأوصاف العلمية في القرآن في مجال علم الأجنة فإني أحيلك إلى كتابي طبعة ١٩٨٦.."

مع العلم أن أول من درس جنين الدجاجة باستخدام عدسة بسيطة هو هارفي **Harvey** عام ١٦٥١، ودرس كذلك جنين الأيل **Deer** ولصعوبة معاينة المراحل الأولى للحمل استنتج أن الأجنة ليست إلا إفرازات رحمية، وفي عام ١٦٧٢ اكتشف جراف **Graaf** حويصلات في المبايض ما زالت تسمى باسمه **Graafian Follicles** وعين حجيرات في أرحام الأرناب الحوامل تماثلها فاستنتج أن الأجنة إفرازات من المبايض، ولم تكن تلك التكوينات الدقيقة سوى تجاوزيف في كتل الخلايا الجنينية الأولية **Blastocysts**، وفي عام ١٦٧٥ عين مالبيجي **Malpighi** أجنة في بيض دجاج ظنه غير محتاج لعناصر تخصيب من الذكر واعتقد أنه يحتوي على كائن مصغر ينمو ولا يتخلق في أطوار، وباستخدام مجهر أكثر تطوراً عين هام **Hamm** وليفنهوك **Leeuwenhoek** الحوين المنوي للإنسان للمرة الأولى في التاريخ عام ١٦٧٧، ولكنهما لم يدركا دوره الحقيقي في الإنجاب وظنا أيضاً أنه يحتوي على الإنسان مصغراً لينمو في الرحم بلا أطوار تخليق، وفي عام ١٧٥٩ افترض وولف **Wolff** تطور الجنين من كتل أولية التكوين ليس لها هيئة الكائن المكتمل، وحوالي العام ١٧٧٥ انتهى الجدل حول فرضية الخلق المكتمل ابتداءً واستقرت فهائيا حقيقة التخليق في أطوار وأكدت تجارب إسبالانزاني **Spallanzani** على الكلاب على أهمية الحويصلات المنوية في عملية التخليق.. وقبله سادت الفكرة بأن الحويصلات المنوية كائنات غريبة متطفلة ولذا سميت بحيوانات المنى **Semen Animals**، وفي عام ١٨٢٧ بعد حوالي ١٥٠ سنة من اكتشاف الحوين المنوي عين فون بير **von Baer** البويضة في حويصلة مبيض إحدى الكلاب، وفي عام ١٨٣٩ تحقق شليدن **Schleiden** وشوان **Schwann** من تكون الجسم البشري من وحدات بنائية أساسية حية ونواتجها وسميت تلك الوحدات بالخلايا **Cells** وأصبح من اليسير لاحقاً تفهم حقيقة التخلق في أطوار من خلية مخصصة ناتجة عن الإتحاد بين الحوين المنوي والبويضة.. وفي عام ١٨٧٨ اكتشف فليمنج **Flemming** القتائل الوراثية داخل الخلايا البدنية، وفي عام ١٨٨٣ اكتشف بينيدن **Beneden** اختزال عددها في الخلايا التناسلية، وفي القرن العشرين تم التحقق فهائيا من احتواء الخلية البشرية الأولى **Zygot** على العدد الكامل من تلك الأخلط الوراثية من الذكر ومن الأنثى<sup>١</sup>.

**٢) أطوار تخليق الجنين Embryo Developmental Periods:**

يحدث الإخصاب قرب الطرف الخارجي لقناة الرحم ثم تبدأ البويضة الملقحة في الانقسام لتتحول إلى ما يشبه التوتة **Morula**، ويظهر بداخلها تجويف ليقسم الخلايا إلى طبقة خارجية وكتلة خلوية داخلية **Inner Cell Mass** ينشأ منها الجنين، فتتحول التوتة إلى كيس الأرومة **Blastocyst** الذي ينغرس في جدار الرحم في نهاية الأسبوع الأول، وينتهي الإنفراس بنهاية الأسبوع الثاني وخلالها تتحول الكتلة الداخلية إلى هيئة قرص ثنائي الطبقات، وفي الأسبوع الثالث تكون هيئة قرص ثلاثي الطبقات **Trilaminar Embryonic Disc**، ومع بداية الرابع تنضج الكتل الظهرية **Somites** التي تنشأ منها فقرات الظهر ويبدأ القلب في ضخ الدم ويستمر تكوين كل الأعضاء الأولية للجسم لتتكامل مع نهاية الأسبوع الثامن ولذا تسمى بالفترة الجنينية **Embryonic Period**، ويبدأ التكامل وتعديل الهيئة من بداية التاسع إلى الولادة بعد تسعة أشهر (٢٦٦ يوماً) وتسمى بالفترة الحملية **Fetal Period**.

**٣) تقدير جنس الجنين Sex Determination of the Embryo:**

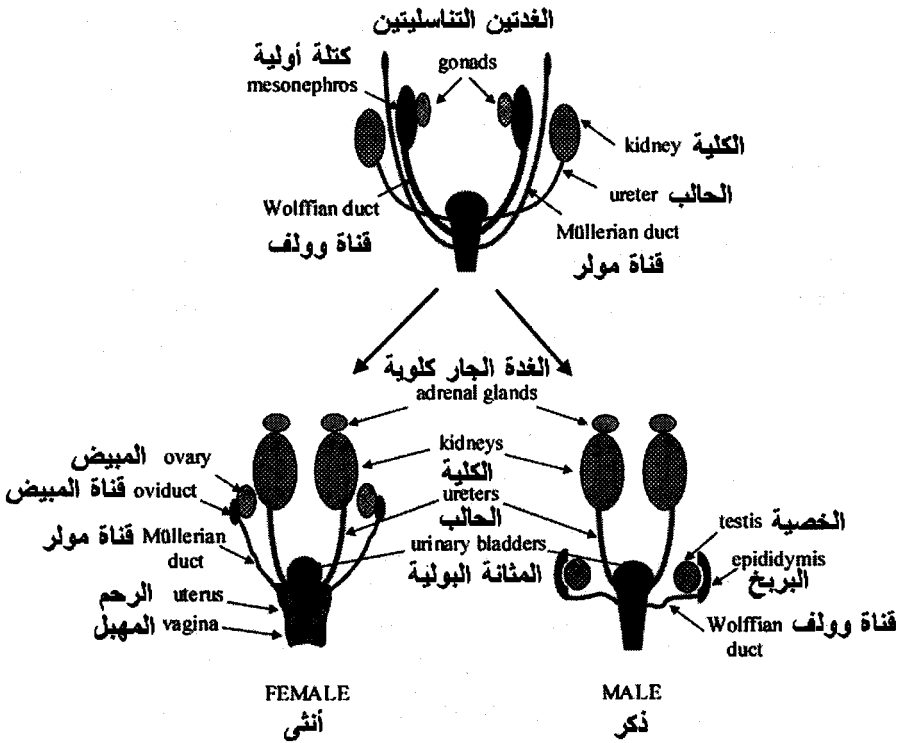
يبدأ تاريخ الإنسان بالإخصاب **Fertilization** بتحاد البويضة **Ovum** التي تحتوي على ٢٢ فتيلة وراثية **Chromosome** بدنية تحمل المعلومات التوجيهية اللازمة لتنفيذ مشروع الجنين المقبل بالإضافة إلى فتيل وراثي جنسي يحمل شارة الأنوثة هيئة (X) مع حوين منوي **Sperm** يحتوي على ٢٢ فتيلة بدنية بالإضافة إلى فتيلة جنسية تحمل إما شارة الذكورة هيئة (Y) أو شارة الأنوثة هيئة (X) كالبويضة، وليس للبويضة أعضاء حرمة بينما يحتوي المني المتدفق عند القذف **Ejaculation** على ملايين الحويونات النشطة الحرة ليتنخب أحدها ويتحد بالبويضة فتتكون أول خلية بشرية **Zygot** ويكتمل عدد الفتائل الوراثية هيئة أزواج متماثلة **Matched pairs** خلاط من الأبوين، وتتسابق الحويونات وتعلو في المجارى التناسلية للأُنثى، فإذا سبق الحوين الذي يحتوي على نصف الفتائل البدنية بالإضافة إلى الفتيلة الجنسية ذات شارة الذكورة هيئة (Y) واتحد مع البويضة ذات النصف المكمل من الفتائل البدنية بالإضافة إلى فتيلة جنسية تحمل شارة الأنوثة (X) كان الجنين ذكراً تحوي خلاياه على فتيلتين وراثيتين هيئة (XY) بالإضافة إلى ٢٢ زوجاً بدنياً متماثلاً، وإذا سبق الحوين ذو الشارة (X) مثل البويضة كان الجنين وراثياً أنثى فتائله الجنسية هيئة (XX).

ويتكون البرنامج الوراثي لتحديد جميع الصفات البدنية ويتحدد جنس الجنين، وبعدهذا يبدأ انقسام الخلية الأولى ويبدأ التزايد في عدد الخلايا وكتلة الجنين ويبدأ التمايز وفق المشروع الخلقي المسجل بهيئة ترتيبات جزيئية محددة الخطوات، وقبل ذلك خلال مرحلة غور السائل المنوي في المجارى التناسلية للأنتى والانقباضات الرحمية التي تسجبه نحو البويضة لا يمكن التنبؤ بشيء.

#### (٤) تمييز جنس الجنين Sex Differentiation of the Embryo:

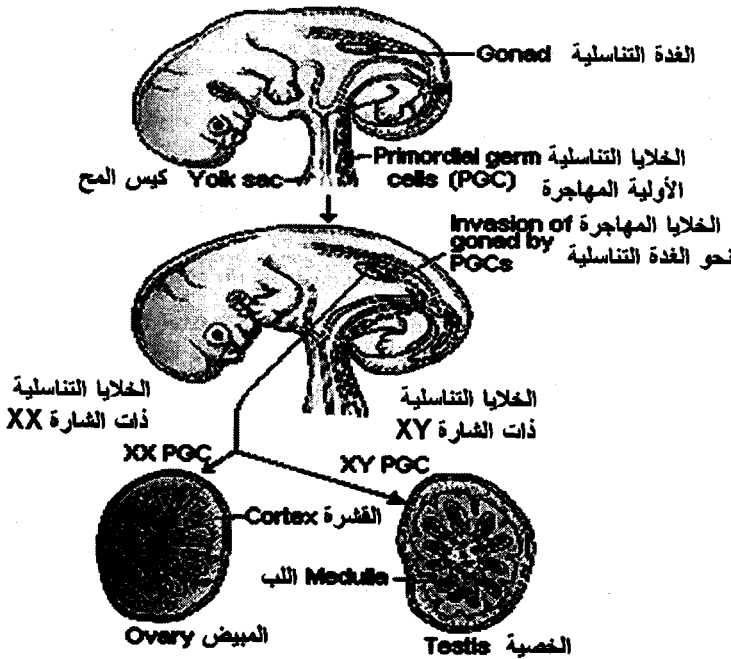
يتقرر جنس أجنة الثدييات عموماً عند الإخصاب بتوريث فتيلة وراثية من الذكر إما بهيئة (Y) فينتج ذكراً أو بهيئة (X) فينتج أنثى، ولكن لا تتميز الأعضاء الجنسية الداخلية إلا في الأسبوع السابع ولا تتميز الأعضاء الجنسية الخارجية إلا في الثامن، وفي البداية تماثل أجنة الجنسين وتوجد أعضاء أولية لتكوين أي من الأعضاء الجنسية الداخلية للنوعين هيئة قناتين في كل جانب من تجويف البطن في مقدمة كتلة الظهر؛ قناة وولف **Wolffian duct** تتكون منها الأعضاء الجنسية الداخلية في الذكور وتشمل الحويصلات المنوية **Seminal Vesicles** والبربخ **Epididymis** والوعاء الناقل **Vas Deference**، وقناة مولر **Mullerian Duct** تتكون منها الأعضاء الجنسية الداخلية في الإناث وتشمل الرحم وقناتيهِ وعنقه والمنطقة أعلى المهبل، ويكون الجنين واحد الهيئة في الجنسين كحالة تشمل كل نفس، ولذا تسمى فترة التنفس الواحدة تلك من حياة الجنين بمرحلة عدم التمايز **Indifferent stage**.





تميز الغدة التناسلية إلى خصية في الذكر ومبيض في الأنثى مع نشأة الأعضاء التناسلية الداخلية من قناتي وولف ومولر.

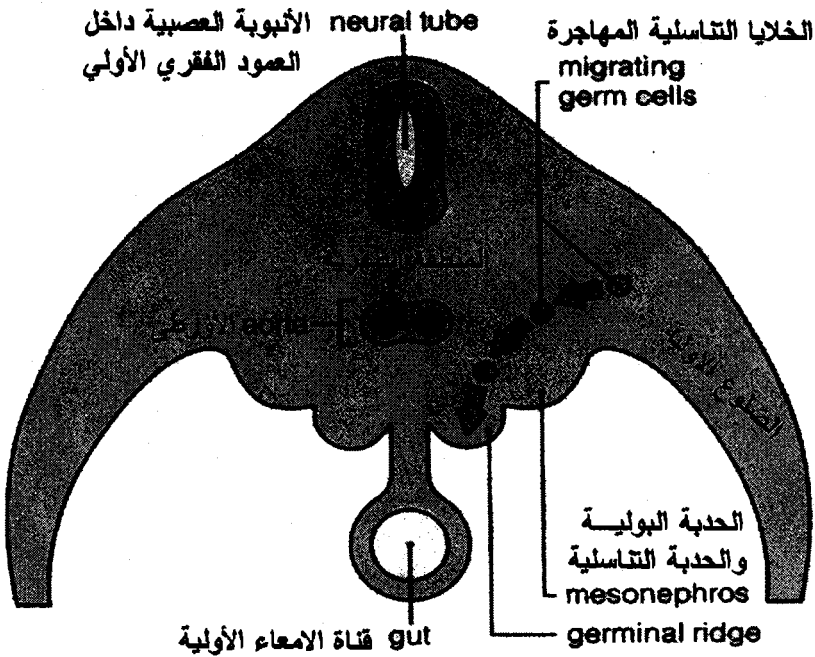
وتحتوي كل فتيلة وراثية على عدد هائل من الوحدات الوراثية تسمى جينات **Genes**، ويحتوي كل منها على توجيهات وراثية نحو صفات محددة كلون الشعر أو طول الجسم، والجين المسئول عن تحديد الذكورة سائد **Dominant** ويقع على طرف الذراع القصير للفتيلة الجنسية المميزة للذكر (Y)، وتسمى بمنطقة تحديد الجنس (**Sex Determining Region of Y Chromosome (SRY)**)، ومهمته تحويل الغدة التناسلية في كل جانب إلى خصية تنتج هورمون الذكورة **Testosterone** وهورمون مثبط لقناة مولر (**Anti-Mullerian Hormone (AMH)**)، ويُعتقد حالياً بوجود جينات مساندة في الإنسان على نفس ذراع الفتيلة الجنسية (Y)، ومهمة هورمون الذكورة تشكيل الأعضاء التناسلية الذكرية الداخلية، بالإضافة إلى منع تطور الأنداء فتبقى ضامرة في الذكور كشاهد على مرحلة النفس الواحدة، ونتيجة لنشاط إنزيم خاص ينشأ من هورمون الذكورة هورمون أكثر فعالية اسمه داي هيدرو تستوستيرون (**Dihydrotestosterone (DHT)**) مهمته تشكيل الأعضاء التناسلية الخارجية في الذكور، وفي الثدييات إذا لم تنشأ الخصية يحدث العكس وتتكون الأعضاء التناسلية الأنثوية تلقائياً **Default Pathway** وتضم قناة وولف، وينتج البيض هورمون الأنوثة **Estrogen** ومهمته تكميل تطور قناة مولر والخصائص الأنثوية الثانوية كضجج الثدي عند البلوغ.



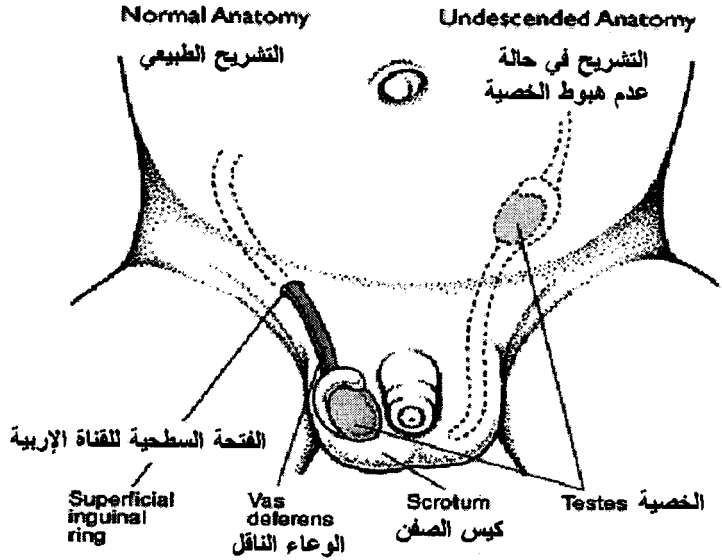
مراحل تكون الغدد التناسلية وتميزها

### (٥) تكون الغدد التناسلية **Gonadogenesis**:

الخصية **Testis** هي عضو إنتاج الذرية في الذكر وفي الأنثى المبيض **Ovary**، ومهمتهما هي إنتاج الهرمونات الجنسية وخلايا الإنجاب **Gametes** التي يختزل في كل منها عدد الفتائل الوراثية خلال الانقسام الاختزالي **Meiosis** إلى النصف، وينشأ مع الكلية والغدة الجار-كلوية خلال الحياة الجنينية في فترة تكون الأعضاء مما يسمى الحدبة البولية-التناسلية **Uro-genital Ridge** وهي بروز في تجويف البطن يمتد من الظهر ويتكون من ثلاثة مناطق؛ في الأمامية تنشأ الغدة الجار-كلوية، وفي الخلفية تنشأ الكلية، وفي الوسطى تنشأ الغدة التناسلية **Gonad** ولذا تسمى الحدبة التناسلية **Genital Ridge**، ويبدأ ظهور الغدة التناسلية في الأسبوع الخامس من عمر الجنين ويبدأ تمايزها إلى خصية أو مبيض وتفرز الهرمونات الجنسية في الأسبوع السابع، وتستمد الأصول الخلوية للغدة التناسلية في كل جانب من مصليين أساسيين: (أولاً) الخلايا التناسلية الأولية **Primordial Germ Cells** وتنشأ في جدار كيس المح **Yolk Sac** قرب الطرف الخلفي للجنين ثم تهاجر خلال المنطقة الظهرية نحو الحدبة التناسلية وهي التي تتطور لاحقاً إلى خلايا منتجة لخلايا الإنجاب، (ثانياً) بقية العناصر وتستمد من الطبقة الجنينية الوسطى **Mesoderm**، وتجتمع الأصول الخلوية في الظهر في الحدبة التناسلية لتخرج وتفصل في كل جانب مع الغدة التناسلية بين موضع بداية تكون العمود الفقري وبداية تكون الصلوع ثم يتميز الجنس وتهاجر الخصية نحو كيس الصفن **Scrotum** والمبيض نحو بوق قناة الرحم **Fallopian Tube**، ولذا تظل الأوعية الدموية واللمفاوية والأعصاب سواء للخصية أو المبيض في الشخص البالغ مرتبطة بالمنشأ في منطقة الكلية.



قطاع عرضي يبين نشأة الغدة التناسلية في المنطقة الظهرية للجنين البشري وهجرة أصولها الخلوية بين العمود الفقري والضلع قبل انفصالها وتميزها.



مقارنة تشريحية بين الحالة الطبيعية والمرضية  
 حين تفشل الخصية في الوصول إلى كيس الصفن.

ويبدأ هبوط الخصية **Testicular Descent** في الأسبوع الثاني عشر من الحمل لتبلغ القناة الإربية **Inguinal Canal** في منتصف الحمل وفي آخر شهرين تبلغ الخصية كيس الصفن، والعوامل الدافعة لتلك الهجرة المبرمجة **Programmed Migration** لم تتضح كاملاً بعد، وتجري حالياً محاولات لتحديد الجينات الموجهة لسير الهجرة في مسار سابق التقدير **Predestinated pathway**، وأي تعطل لآليات تلك الخطة المدبرة الخطوات لهجرة الخلايا وتكاثرها قد يؤدي إلى العقم، وإذا تعطلت الخصية عن بلوغ كيس الصفن حيث الحرارة أقل لن تستطيع إنتاج خلايا تناسلية ويمكن أن تتحول إلى خلايا سرطانية وينبغي إزالتها جراحياً<sup>v, iv, iii, ii</sup>.

## الدراسة الدلالية

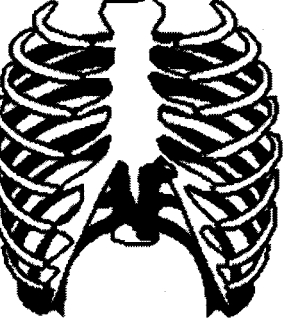
أمام عجيبة بيانية بهرت الأساطين بسمو أغراضها وصدق دلالتها وفصاحة تركيبها وإحكام نظمها وحسن إيقاعها لا يملك من يعاين مشاهدتها سوى العجب، وبديهي أن يحار الفطاحل في دلالاتها العلمية حتى يعاينوا كيفياتها، ومع ذلك فصل القرآن ما أجل فيسر إدراكها، تأمل قول العلي القدير: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الطارق ٥-١٠، تركيب عجيب فريد كأنه "سمط اللآليء"؛ مشرق مثل حبات عقد الجواهر النفيس، دعنا إذا نتأمله عن قرب مستأنسين بجهود أجيال مختلفي المشارب، ونعمل بالقواعد مع الحقائق في تمييز المختلط وتحرير الدلالة، والقاعدة لتحقيق الغاية في الفهم يوجزها لك فقهاء البيان العالمون بأساليب القرآن وتميز تركيبه بكلمة واحدة هي: السياق، فينبغي الانتباه لأن الصورة ليست كظاهر اللفظ، والألفاظ كالأمثال مستمدة من بيئة التريل لكنها مميزة الدلالة تخصصها قرائن السياق، وكل التركيب بمفرداته وأساليبه وإيقاعه متأزر متساق متناسق الوجهة بلا اختلاف؛ في سياق موحد الاتجاه لا يناقض الحقائق، والحقيقة العلمية إذا استوثقت أنها كذلك وبلغت اليقين فهي شهادة الواقع ومفتاح الحل أو الترجيح لأن كلام الخالق لا يعارض فعله.

(أولاً) لماذا خرج القرآن عن المعهود ووصف المني بالماء الدافق بدلا عن المدفوق؟:

وصف القرآن الماء المعبر عن المني بالدافق مما يعني أنه حي التكوين فاعل تتسابق مكوناته في نشاط، وجرده من صفة البشرية يجعله مادة أولية يتخلق منها الإنسان، وهذا ما يطابق الحقيقة العلمية لأن الخلية البشرية الأولى التي تحتوي على العدد الكامل من الفئات الوراثية المستمدة من الأبوين هي "البويضة الملقحة" في المصطلح الطبي الحديث أو "النفطة الأمشاج" في مصطلح القرآن، ولكن تلك الحقيقة العلمية كانت خفية طيلة قرون عديدة بعد نزول القرآن مما جعل المفسرين في حيرة أمام وصف المني ذاته بالفاعل، قال ابن تيمية: "لفظ الماء عند الإطلاق لا يتناول المني وإن كان يسمى ماء مع التقييد كقوله تعالى ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾<sup>vi</sup>، وقال ابن كثير: (خلق من ماء دافق) يعني المني<sup>vii</sup>، وقال النيسابوري: "يحتمل أن يقال: أريد به ماء الرجل فقط؛ إما بناء على حكم التغليب وإما بناء على مذهب من لا يرى للمرأة ماء (أصل) ولا سيما دافقا<sup>viii</sup>، وقال الثعالبي: ﴿دَافِقٍ﴾ قال كثير من المفسرين هو بمعنى مدفوق<sup>ix</sup>، وقال النسفي: "والدفق صب فيه

دفع والدفق في الحقيقة لصاحبه والإسناد إلى الماء مجاز<sup>x</sup>، وقال ابن القيم: "أخبر سبحانه أنه خلقه من ماء دافق، والدفق صب الماء يقال دفقت الماء فهو مدفوق ودافق.. فالمدفوق الذي وقع عليه فعلك.. والدافق قيل إنه فاعل بمعنى مفعول.. وقيل.. أي ذي دفق..، وقيل وهو الصواب انه اسم فاعل<sup>xi</sup>، وقال أيضاً: "الدافق على بابهِ ليس فاعلاً بمعنى مفعول كما يظنه بعضهم<sup>xii</sup>، وقال الشوكاني: "﴿خَلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾.. الماء هو المني، والدفق الصب يقال دفقت الماء أي صببته، يقال ماء دافق أي مدفوق مثل عيشة راضية أي مرضية، قال الفراء والأخفش ماء دافق أي مصبوب في الرحم، قال الفراء وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم، كقولهم سر كاتم أي مكتوم وهم ناصب أي منصوب وليل نائم ونحو ذلك، وقال الزجاج من ماء ذي اندفاق<sup>xiii</sup>، وقال القرطبي: "﴿مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ أي من المني، والدفق صب الماء، دفقت الماء أدفقه دفقا صببته فهو ماء دافق.. وقال<sup>xiv</sup> ﴿الزجاج من ماء ذي إندفاق.. وهذا مذهب سيبويه فالدافق هو المندفق بشدة قوته<sup>xiv</sup>، وقوله تعالى ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِي يُمْنِي﴾ القيامة ٣٧؛ أي من قطرة ماء تمنى في الرحم أي تراق فيه ولذلك سميت منى (مبيت الحجاج بمكة) لإراقة الدماء.. والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء إذا قطر<sup>xv</sup>، وقال أبو السعود: "وقوله تعالى ﴿مَّاءٍ دَافِقٍ﴾.. ذي دفق وهو صَبَّ فيه دفع وسيلان بسرعة.. (و) قالوا أن النطفة.. مقرها عروق ملتف بعضها ببعض عند البيضتين<sup>xvi</sup>، وقال ابن الجوزي: "قال الزجاج ومذهب سيبويه وأصحابه أن معناه النسب إلى الإندفاق، أي صفة تكوينه الإندفاق، والمعنى من ماء ذي اندفاق<sup>xvii</sup>، وفي تفسير الجلالين: "ذي اندفاق<sup>xviii</sup>، وقال الألويسي: "الدفق صب فيه دفع وسيلان بسرعة وأريد بالماء الدافق المني، ودافق قيل بمعنى مدفوق على تأويل اسم الفاعل بالمفعول.. وقال الخليل وسيبويه هو على النسب.. أي ذي دفق، وهو صادق على الفاعل والمفعول، وقيل هو اسم فاعل وإسناده إلى الماء مجاز، وأسند إليه ما لصاحبه مبالغة، أو هو استعارة.. كما ذهب إليه السكاكي.. يجعله دافقا لأنه لتتابع قطراته كأنه يدفق أي يدفع بعضه بعضا، وقد فسر ابن عطية الدفق بالدفع فقال الدفق دفع الماء بعضه ببعض يقال تدفق الوادي والسييل إذا جاء يركب بعضه بعضا، ويصح أن يكون الماء دافقا لأن بعضه يدفع بعضاً، فمنه دافق ومنه مدفوق<sup>xix</sup>، وقال ابن عاشور: "معنى (دافق) خارج بقوة وسرعة والأشهر أنه يقال على نطف الرجل، وصيغة دافق اسم فاعل.. وهو قول فريق من اللغويين، وقال الجمهور.. دافقا بمعنى اسم المفعول.. وسيبويه جعله من صيغ النسب.. ففسر دافق بذئ دفق، والأحسن أن يكون اسم فاعل..، وأطنب العجاج في وصف هذا الماء الدافق لإدماج التعليم والعبارة بدقائق التكوين ليستيقظ الجاهل الكافر ويزداد المؤمن علما ويقينا<sup>xx</sup>، ها أنت ترى كم كانت حيرة المفسرين أمام هذا السر الدفين وهو الحركة الذاتية لعناصر حية في المني ومع ذلك بلغوه بترك تعبير القرآن (ماء دافق) على ظاهره حتى كشفت الأيام تأويله.

(ثانياً) ما هو الصلب وما هي الترائب؟:



لفظ «الترائب» اسم صفة لا اسم ذات يدل بأصل اشتقاقه على التماثل والتناظر فيصدق على الأضلاع التي تكون عظام الصدر، وقد يصرفه السياق إلى بعض هذا الإطلاق كما نقلت معاجم اللغة، والدلالات المعجمية مقيدة بقرائن السياق التي تحدها وتخير منها الأنسب للمقام، ومن اشتقاق اللفظ (أتراب) أي لدآت يعني تماثلات، وقد يجعل السياق التماثل في الحسن والجمال والبهاء وفيض الأنوثة ونضارة الشباب كما في تصوير حال زوجات الجنة في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثْرَابٌ﴾ ص ٥٢، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. غُرُبًا أَثْرَابًا﴾ الواقعة ٣٥-٣٧، وقوله

تعالى: ﴿وَكَوَّعِبَ أَثْرَابًا﴾ النبا ٣٣، قال الجوهري: "والترب بالكسر اللذة وجمعه أتراب، والتربية واحدة التراب وهي عظام الصدر"xxi، ولفظ «الصلب» بالمثل اسم صفة لا اسم ذات يدل بأصل اشتقاقه على قائم أمثى كتلة وأمكن يُصلب عليه الشيء ويُشد محمولاً عليه فيصدق على العمود الفقري الذي يحمل معظم بدن الإنسان القائم، وفي قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾؛ يتعلق السياق ببداية انفصال وتميز عضو إنتاج الذرية وتكونه مع بقية أعضاء الجسم، والمقابلة بين لفظي (الصلب و الترائب) تميز دلالة كل منهما لتعيين منطقة تقع بين بدايات الفقرات والأضلاع حيث تتميز الغدة التناسلية بالفعل وتمتد في منتصف المنطقة الظهرية بجوار الكلية في كل جانب، وكان القرآن يصف قطاع عرضي تحت المجهر تتميز فيه مناطق الأعضاء الثلاث بوضوح، ولفظي «الصلب و الترائب» تعبيران وصفيان والتعريف فيهما يبين أن مسمى كل منهما عضو بدني مألوف أحدهما مفرد والآخر جمع، وتعبير الخروج الدال على موضع بدء الهجرة في غاية الدقة حيث لا يدل بالضرورة على موضع النشأة لأن الغدة التناسلية تنشأ في الكتلة الظهرية أو الأضلاع قبل أن تنفصل وتمتاز مع تمايز بقية أعضاء الجسم، والعجيب أن القرآن ينسب بداية تكوين الذرية إلى الظهر أو الصلب بالفعل حيث تجتمع الأصول الخلوية لتكون الغدة التناسلية قبل انفصالها وتمايزها، وذلك عند بيان فطرية الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ الأعراف ١٧٢؛ وهذا التصوير يبين تحقق الإيمان لو استخدم الإنسان أدوات العلم والفكر التي تميز بها عن الحيوان، وعند بيان محرمات الزواج مع التمييز بين الأبناء حقيقة والأبناء بالتبني في قوله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَانِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ النساء ٢٣، وللوجدان أن يقشع من تلك الدقة المتناهية التي ميزت بين موضع تكون أعضاء إنتاج الذرية في الظهور وموضع خروجها على طريق هجرتها!



(ثالثاً) هل الوصف بالإخراج والإرجاع يخص الإنسان أم الماء؟:

يتعلق السياق بالإنسان ذكوراً وإناثاً، وإليه يُوجَّه الحديث بدلالة الاستهلال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، وفيه استدلال بالأصل علي غفلة الناكر للبعث، وذلك لحيء التعبير بالغبية إعرافاً بما يفيد أن المراد من جنس الإنسان من كذب حديث القرآن وأنكر قدرة الخالق وتشكك في البعث خاصة؛ بدلالة التذييل ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ والظرف الذي يتم فيه إرجاع الإنسان حياً ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ وهو يوم الحساب، ودل فعل (الخلق) على ضرورة وجود الخالق، واستشهاداً بالنقلة الواسعة على الاقتدار قدمت البيئنة بالإنسان الشاخص متكامل البناء، وأفادت (من) في (مِمَّ) الابتداء وأفادت (ما) إهمام ما عادت إليه بيئناً لضالة الأصل إلى حد الخفاء، والاستدلال بقوله ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يتوغل أكثر نحو ماضي الإنسان ويدل على مرحلة أسبق ذات ابتداء أدق ولها نفس مزية النقلة الهائلة، وفعل (الإخراج) يفيد الانتقال ويجعل (من) لابتداء انفصال وتميز عضو الإنجاب على طريق الهجرة، ويتعلق السياق إذاً بوصف مرحلة تتكون فيها أعضاء تماثل الصلب والترائب وتختص بالإنجاب وليس مجرد بيان لمصدر الماء، إنما ولا شك بداية أبعد في تاريخ الإنسان تماثل في البعد النقلة الكبيرة من قطرة من سائل كالماء لا بشرية فيه إلى إنسان مفكر، وتلمس في كلام الأعلام - رحمهم الله - أن النقلة الأبعد منذ الابتداء الأول بلوغاً إلى الإنسان لا إلى الماء فحسب أعظم في الاستدلال على البعث لذا قصروا نسبة الابتداء على الإنسان، وتعبير القرطبي: "أول أمره وستته الأولى" <sup>xxii</sup>، وتعبير ابن الجوزي: "أول حاله" <sup>xxiii</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾؛ الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ يعود على فاعل غير مذكور إعلاماً بأن فعله المتجسد في ذلك الإنسان الشاخص يغني عن الدلالة عليه باسمه أو صفته، تقديره (الله الخالق القادر) بدلالة اسم الفاعل الدال على لزوم الصفة ﴿لَقَادِرٌ﴾ والمؤكد للشاك بأداتين (السلام) و(إن)، بالإضافة إلى الفعل المبني للمجهول ﴿خُلِقَ﴾ العائد قطعاً إلى ﴿الإنسان﴾، والمعنى يتعلق إذاً بالخالق والمخلوق أما الماء فمرحلة عابرة، ولذا يقصر السياق عود الضمائر إلى جنس الإنسان في التعابير ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ و﴿خُلِقَ﴾ و﴿رَجْعِهِ﴾ و﴿فَمَا لَهُ﴾ والفعل ﴿يَخْرُجُ﴾ وبذلك يتسع الوصف للذكر والأنثى، وفي كليهما تنشأ بالفعل أعضاء إنتاج الذرية مع الكليتين من بين أصول العمود الفقري والصلوع في الجهتين.

قال ابن عاشور: ضمير ﴿إِنَّهُ﴾ عائد إلى الله تعالى وإن لم يسبق ذكر مُعاد ولكن بناء الفعل للمجهول في قوله ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ يؤذن بأن الخالق معروف لا يحتاج إلى ذكر اسمه وأسند الرجوع إلى ضميره.. لأن المقام مقام إيضاح وتصريح بأن الله هو فاعل ذلك، وضمير ﴿رَجَعَهُ﴾ عائد إلى ﴿الإنسان﴾.. و﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَاتِرُ﴾ متعلق برجعه أي يرجعه يوم القيامة، والسراير جمع سريرة وهي ما يسره الإنسان ويخفيه من نواياه وعقائده.. ولما كان بلو السراير مؤذنا بأن الله عليم بما يستره الناس من الجرائم وكان قوله ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَاتِرُ﴾ مشعرا بالمؤاخذة.. فَرُع عليه قوله ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾، فالضمير عائد على الإنسان والمقصود المشركون من الناس لأنهم المسوق لأجلهم هذا التهديد، أي فما للإنسان المشرك من قوة يدفع بها عن نفسه وما له من ناصر يدافع عنه<sup>xxiv</sup>.

ودفعاً لتوهم الخروج من صلب الرجل وترايب المرأة في قوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ كما أدى إليه اجتهاد البعض باعتبار نشأة الجنين من نطفة أمشاج خلاط من الجنسين؛ قال الألوسي: "وظاهر الآية أن أحد طرفين البينية (التوسط) الصلب والآخر الترائب.. فكان الصلب والترايب لشخص واحد فلا تغفل.. قال الحسن وروي عن قتادة أيضا أن المعنى يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترايب كل منهما.. (و) الترائب.. الأشهر أنها عظام الصدر.. (و) المني.. مستقره عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين وتسمى أوعية المني..، وقوله سبحانه ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ عبارة مختصرة جامعة.. وقيل ابتداء الخروج منه كما أن انتهاءه بالأحليل.. وزعم بعضهم جواز كون الصلب والترايب للرجل أي يخرج من بين صلب كل رجل وترايبه<sup>xxv</sup>، ومعنى البينية بين شيئين التوسط، قال الأصفهاني: "(بين) ظرف لا يضاف إلا إلى متعدد لفظاً أو معنى وهو يفيد الخلاله والتوسط"<sup>xxvi</sup>، ودفعاً لتوهم الخروج من الصلب والترايب لا من منطقة بينهما وتوهم عدم اختصاص الماء الدافق بالذكر؛ قال ابن القيم: "سبحانه قال ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ ولم يقل يخرج من الصلب والترايب، فلا بد أن يكون ماء الرجل خارجاً من بين هذين المختلفين، كما قال في اللين ﴿نَسْتَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ النحل ٦٦، وأيضاً فإنه سبحانه أخبر أنه خلقه من نطفة في غير موضع، والنطفة هي ماء الرجل كذلك.. قال الجوهري والنطفة الماء الصافي قل أو كثر والنطفة ماء الرجل والجمع نطف، وأيضاً فإن الذي يوصف بالدفق والنضح إنما هو ماء الرجل، ولا يقال نضحت المرأة الماء ولا دفتته، والذي أوجب لأصحاب القول الآخر ذلك أنهم رأوا أهل اللغة قالوا الترائب موضع القلادة من الصدر، قال الزجاج أهل اللغة مجمعون على ذلك وأنشدوا لامرئ القيس (مهفهفة يبيضاء غير مفاضة ترايبها مصقولة كالسجنجل)، وهذا لا يدل على اختصاص الترائب بالمرأة بل يطلق على الرجل والمرأة<sup>xxvii</sup>، وإذا شلها الإخراج فلا بد من عودة ضمير ﴿يَخْرُجُ﴾ على الإنسان لا على الماء الدافق المقصور على الرجل وحده.

وقد شغل موضوع عود الضمائر المحققين فحرروه استناداً للسياق يجعلها عائدة إلى المذكور الأبعد ﴿الإنسان﴾ لامتناع عودها على الأقرب وهو الماء، ومن شواهد عود الضمير إلى المذكور الأبعد في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾ الجمعة ١١، أي إلى التجارة، وقوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُضُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ الحديد ٧، أي جعلكم الله مستخلفين فيه، قال ابن تيمية: "عود الضمير إلى الأقرب أولى إلا إذا كان هناك دليل يقتضي (عوده إلى) البعيد" <sup>xxviii</sup>، وقال الزركشي: "وإن كانت القاعدة عود الضمير إلى الأقرب ولكن قد يعود إلى.. غير الأقرب" <sup>xxix</sup>، وقال السيوطي: "قد يدل عليه السياق فيضمرة ثقة بفهم السامع نحو ﴿كل من عليها فان﴾ الرحمن ٢٦، (و) ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾ فاطر ٤٥ أي الأرض أو الدنيا... وقد يعود على بعض ما تقدم" <sup>xxx</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾؛ يتعلق الحديث ببيان الاقتدار على بعث الإنسان الفرد استدلالاً بنشأته، فالحديث إذاً كما ترى يتعلق بالإنسان بداية ومصيراً والماء مرحلة عارضة في ثانيا قصة ممتدة الأحداث عبر أجيال، ولذا الأولوية أن تعود إلى الإنسان كل الضمائر بلا تشييت باعتباره محور الحديث والمذكور الرئيس، قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أي ابن آدم.. توصية للإنسان بالنظر في أول أمره وسنته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الإعادة والجزاء" <sup>xxxix</sup>.

وفي قوله تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾؛ قال الطبري: "يقول تعالى ذكره فلينظر الإنسان المكذب بالبعث بعد الممات المنكر قدرة الله على إحيائه بعد مماته، ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ يقول من أي شيء خلقه ربه" <sup>xxxii</sup>، وقال البغوي: أي فليضكر من أي شيء خلقه ربه أي فلينظر نظر المضكر" <sup>xxxiii</sup>، وقال ابن القيم: "لقد دعا سبحانه الإنسان إلى النظر في مبدأ خلقه.. فقال تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، وقال ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لَّيْسَ لَكُمْ وَثِقِرٌ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْسِرُكُمْ ثُمَّ نُنشِئُكُمْ ثُمَّ لِنَبِّئَنَّ أَشَدُّكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْضِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ الحج ٥، وقال ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ النازيات ٢٠ و٢١، وهذا في القرآن كثير لمن تدبره وعقله وهو شاهد منك عليك فمن أين للطبيعة.. هذا الخلق والإيمان والإبداع" <sup>xxxiv</sup>، وقال أيضاً: "نبه سبحانه الإنسان على دليل المعاد بما يشاهده من حال مبدئه على طريقة القرآن في الاستدلال على المعاد بالمبدأ فقال ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، أي فلينظر نظر الفكر والاستدلال ليعلم أن الذي ابتداء أول خلقه.. قادر على إعادته" <sup>xxxv</sup>.

وقال ابن كثير: "قوله تعالى ﴿فَلْيَنْظِرِ الْإِنْسَانَ مِمَّ خُلِقَ﴾ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد لأن من قدر على البداء فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم ٢٧<sup>xxxvi</sup>، وقال أيضاً: "قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم الذين أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلاً عليهم بالبداء التي الإعادة أهون منها وهم معترفون بما فقال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ المعارج ٣٩، أي من المني الضعيف كما قال تعالى ﴿أَلَسْمُ تَخْلُقَكُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ المرسلات ٢٠، وقال ﴿فَلْيَنْظِرِ الْإِنْسَانَ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ...﴾ وتقدير الكلام ليس الأمر كما يزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة...، ولهذا قال تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ غافر ٥٧، وقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَغْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ الأحقاف ٣٣، وقال تعالى... ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس ٨١ و٨٢، وقال... ﴿فَلَا أَسْمُ بَرِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ. عَلَىٰ أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ المعارج ٤٠ و٤١، أي يوم القيامة نعيدهم<sup>xxxvii</sup>.

وقال الشوكاني: "قوله ﴿فَلْيَنْظِرِ الْإِنْسَانَ مِمَّ خُلِقَ﴾... يوجب على الإنسان أن يفكر في مبتدأ خلقه ليعلم قدره الله على ما هو دون ذلك من البعث، قال مقاتل يعني المكذب بالبعث، ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء خلقه الله، والمعنى فلينظر نظر التفكير والاستدلال حتى يعرف أن الذي ابتدأه من نطفة قادر على إعادته<sup>xxxviii</sup>، وقال التعالبي: "قوله تعالى ﴿فَلْيَنْظِرِ الْإِنْسَانَ مِمَّ خُلِقَ﴾ توقيف لمكربي البعث على أصل الحلقة الدال على أن البعث جائز ممكن ثم بادر اللفظ إلى الجواب اقتضاباً وإسراعاً إلى إقامة الحججة فقال ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾<sup>xxxix</sup>، فكما ترى يتعلق الحديث بالإنسان، والخلق من ماء والإخراج من بين الصلب والترائب بدياتان، آيتان منفصلتان، حجتان، وحملهما على سعة النقلة بيانا لقدرة الله تعالى أولى لأن المقام يتضمن وجوب الامتنان لسعة الفضل والإنعام، ولم يوصف المني في القرآن كثرة يتجلى بها الاقتدار بل وُصف بالقلّة والمهانة، وعود الضمير في (يخرج) على الماء سيجعل الوصف تشريحيّاً في البالغ وسيناقض الواقع لأن المني يخرج فعلياً من الخصية وليس من بين العمود الفقري والصلوع، والتعبير بالخروج لا يجمعه مع خبر الخلق من ماء اتصال في آية واحدة ليعلق به وإنما ورد مستقلاً عنه متصلاً بأصل الحديث عن الإنسان، وحيث أن يتسع بيان سبق التقدير ليشمل سلسلة الأجيال، وبهذا تكون النقلة أكبر والمفارقة أعظم وبيان سبق التقدير أتم والدلالة على قدرة الله أظهر.

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَاتِرُ. فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾؛ قال الطبري: "يقول تعالى ذكره إن هذا الذي خلقكم أيها الناس من هذا الماء الدافق فجعلكم بشرا سويا.. ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، واختلف أهل التأويل في الماء التي في قوله ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾ على ما هي عائدة؟ فقال بعضهم هي عائدة على الماء، وقالوا معنى الكلام إن الله على رد النطفة في الموضع التي خرجت منه لقادر.. عن عكرمة.. قال إنه على رده في صلبه لقادر.. (و) عن عكرمة.. قال للصلب.. (و) عن مجاهد.. قال على أن يرد الماء في الإحليل.. (وفي رواية) قال على رد النطفة في الإحليل.. (وفي رواية أخرى) قال في الإحليل.. وقال آخرون بل معنى ذلك إنه على رد الإنسان ماء كما كان قبل أن يخلقه منه.. (عن الضحاك يقول.. إن شئت رددته كما خلقته من ماء، وقال آخرون بل معنى ذلك إنه على حبس ذلك الماء لقادر.. قال ابن زيد.. على رجوع ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج كما قدر على أن يخلق منه ما خلق قادر على أن يرجعه، وقال آخرون بل معنى ذلك أنه قادر على رجوع الإنسان من حال الكبر إلى حال الصغر.. عن الضحاك.. يقول إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة، وعلى هذا التأويل تكون الماء في قوله ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾ من ذكر الإنسان، وقال آخرون ممن زعم أن الماء للإنسان معنى ذلك أنه على إحيائه بعد مماته لقادر.. عن قتادة.. (قال) إن الله تعالى ذكره على بعثه وإعادته قادر، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك إن الله على رد الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيا كهيبته قبل مماته لقادر، وإنما قلت هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب لقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَاتِرُ﴾ فكان في اتباعه قوله ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ نبأ من أنباء القيامة دلالة على أن السابق قبلها أيضا منه.. يقول تعالى ذكره إنه على إحيائه بعد مماته لقادر يوم تبلى السراتر، فالיום من صفة الرجوع لأن المعنى إنه على رجعه يوم تبلى السراتر لقادر، وعني بقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَاتِرُ﴾ يوم تختبر سراتر العباد فيظهر منها يومئذ ما كان في الدنيا مستخفياً<sup>xl</sup>.

وقال ابن كثير: "وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: على رجوع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك، قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما، والقول الثاني: إنه على رجوع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر، لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة، وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير، ولهذا قال تعالى ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَاتِرُ﴾، أي يوم القيامة تبلى فيه السراتر، أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا..، وقوله تعالى ﴿فَمَا لَهُ﴾ أي الإنسان يوم القيامة ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ أي في نفسه ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ أي من خارج منه أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك<sup>xli</sup>.

وقال أبو السعود: "إِنَّهُ: الضمير للخالق تعالى فإن قوله ﴿خُلِقَ﴾ يدل عليه، أي أن ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه، أي على إعادته بعد موته، لقادر.. ﴿فَمَا لَهُ﴾ أي للإنسان ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ في نفسه يتمتع بها ﴿وَلَا نَاصِرَ﴾ ينتصر به<sup>xliii</sup>، وقال الشوكاني: "الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ يرجع إلى الله سبحانه لدلالة قوله ﴿خُلِقَ﴾ عليه، فإن الذي خلقه هو الله سبحانه والضمير في ﴿رَجَعَهُ﴾ عائد إلى الإنسان، والمعنى أن الله سبحانه على رجوع الإنسان أي إعادته بالبعث بعد الموت لقادر، هكذا قال جماعة من المفسرين، وقال مجاهد على أن يرد الماء في الإحليل، وقال عكرمة والضحاك على أن يرد الماء في الصلب، وقال مقاتل ابن حيان يقول إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة، وقال ابن زيد إنه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر، والأول أظهر ورجحه ابن جرير والتعليق والقرطبي...، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرَ﴾ أي فما للإنسان من قوة في نفسه يتمتع بها عن عذاب الله ولا ناصر ينصره مما نزل به<sup>xliiii</sup>، وقال البغوي: "قال قتادة إن الله تعالى على بعث الإنسان وإعادته بعد الموت قادر، وهذا أولى الأقاويل لقوله ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ وذلك يوم القيامة...، فما له من قوة ولا ناصر أي ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يتمتع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله<sup>xliv</sup>، والحاصل كما ترى بجلاء هو إجماع المحققين على إعادة الضمائر إلى الإنسان وإن كان هو المذكور الأبعد ذكراً من الماء، وليس عود الضمير إذا في الفعل (يخرج) إلى الماء بأولى من عوده للإنسان مثلاً، ولا توجد قرينه لتشيت مرجع الضمائر، قال السيوطي: "الأصل توافق الضمائر في المرجع حذراً من التشيت ولهذا لما جوز بعضهم في ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي آلِهِ﴾ طه ٣٩ أن الضمير في الثاني للتابوت وفي الأول لموسى عابه الزمخشري وجعله تنافراً مجزاً للقرآن عن إعجازه، فقال: والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجته لما يؤدي إليه من تنافر النظم الذي هو أم إعجاز القرآن ومراعاته أهم ما يجب على المفسر، وقال في ﴿كُتُبْنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّزُوا وَتَوَقَّروُا وَتَسَبَّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الفتح ٩: الضمائر لله تعالى والمراد بتعزيره تعزيره دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعده<sup>xlv</sup>.

وقال ابن القيم: "وقوله ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الصحيح أن الضمير يرجع على الإنسان، أي أن الله على رده إليه لقادر يوم القيامة وهو اليوم الذي تبلى فيه السرائر، ومن قال أن الضمير يرجع على الماء؛ أي إن الله على رجعه في الإحليل أو في الصدر أو حبسه عن الخروج لقادر فقد أبعده، وإن كان الله سبحانه قادراً على ذلك، ولكن السياق ياباه، وطريقة القرآن وهي الاستدلال بالمبدأ والنشأة الأولى على المعاد والرجوع إليه، وأيضا فإنه قيده بالظرف وهو ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾، والمقصود أنه سبحانه دعا الإنسان أن ينظر في مبدأ خلقه ورزقه فإن ذلك يدل دلالة ظاهرة على معاده ورجوعه إلى ربه، وقال

تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَلَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعَبْنَا وَقَضْبًا. وَرَزَقْنَاهَا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ عيس ٢٤-٣١، فجعل سبحانه نظيره في إخراج طعامه من الأرض دليلاً على إخراجه هو منها بعد موته، استدلالاً بالنظر على النظر، ومن ذلك قوله سبحانه رداً على الذين قالوا "إذا كنا عظاماً ورفاتا إنا لمبعوثون خلقاً جديداً": ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ الإسراء ٩٩، أي مثل هؤلاء المكذبين، والمراد به النشأة الثانية وهي الخلق الجديد، وهي المثل المذكور في غير موضع، وهم هم بأعيانهم فلا تنافي في شيء من ذلك بل هو الحق الذي دل عليه العقل والسمع ومن لم يفهم ذلك حق فهمه تحبط عليه أمر المعاد وبقي منه في أمر مريح، والمقصود أنه دهم سبحانه بخلق السموات والأرض على الإعادة والبعث وأكد هذا القياس بضرب من الأولى وهو أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس فالقادر على خلق ما هو أكبر وأعظم منكم أقدر على خلقكم، وليس أول الخلق بأهون عليه من إعادته، فليس مع المكذبين بالقيامة إلا مجرد تكذيب الله ورسوله وتعميز قدرته ونسبة علمه إلى القصور والقدح في حكمته، ولهذا يجبر الله سبحانه عن أنكر ذلك بأنه كافر بربه جاحد له لم يقر برب العالمين فاطر السموات والأرض، كما قال تعالى ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ يَلْمِ خَلْقَ جَدِيدٍ أَوْلَيْتَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ﴾ الرعد ٥، وقال المؤمن للكافر الذي قال ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنْ رُدَّتْ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجْدَنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ الكهف ٣٦، فقال له ﴿كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ الكهف ٣٧، فمنكر المعاد كافر برب العالمين وإن زعم أنه مقر به، ومنه قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ العنكبوت ٢٠، يقول تعالى انظروا كيف بدأت الخلق فاعتبروا بالإعادة بالابتداء، ومنه قوله تعالى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَيِّمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ مِنَ الرُّومِ ١٩﴾ وقوله تعالى ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُخَيِّمٌ مَوْتِي وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الروم ٥٠، وقوله ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالتَّخْلُفَ بَاسْقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ق ٩-١١، وقال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تَعِيدُهُ وَعُدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء ١٠٤، والسجل الورق المكتوب فيه، والكتاب نفس المكتوب، واللام بمرحلة على، أي نظوي السماء كطوي الدرج على ما فيه من السطور المكتوبة، ثم استدلت على النظر بالنظر فقال ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تَعِيدُهُ﴾<sup>xlvi</sup>.

وقال ابن القيم أيضاً: "ذكر الأمر المستدل عليه (هو) المعاد بقوله ﴿إِنَّهُ عَلَيَّ رَجَعَهُ لَقَادِرٌ﴾ أي على رجعه (يعني الإنسان) إليه يوم القيامة كما هو قادر على خلقه.. هذا هو الصحيح في معنى الآية، وفيها قولان ضعيفان أحدهما قول مجاهد على رد الماء في الإحليل لقادر، والثاني قول عكرمة والضحاك على رد الماء في الصلب، وفيه قول ثالث قال مقاتل إن شئت رددته (يعني الإنسان) من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا إلى النطفة، والقول الصواب هو الأول لوجوه: (أحدهما) أنه هو المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ على المعاد، (الثاني) أن ذلك أدل على المطلوب من القدرة على رد الماء في الإحليل، (الثالث) أنه لم يأت لهذا المعنى في القرآن نظير في موضع واحد ولا أنكره أحد حتى يقيم سبحانه الدليل عليه، (الرابع) أنه قيد الفعل بالظرف وهو قوله ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَاتِرُ﴾ وهو يوم القيامة أي أن الله قادر على رجعه إليه حيا في ذلك اليوم، (الخامس) أن الضمير في ﴿رَجَعَهُ﴾ هو الضمير في قوله ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ وهذا للإنسان قطعاً لا للماء، (السادس) أنه لا ذكر للإحليل حتى يتعين كون المرجع إليه، فلو قال قائل على رجعه إلى الفرج الذي صب فيه لم يكن فرق بينه وبين هذا القول ولم يكن أولى منه، (السابع) أن رد الماء إلى الإحليل أو الصلب بعد خروجه منه غير معروف ولا هو أمر معتاد جرت به القدرة وإن كان مقدوراً للرب تعالى، ولكن هو لم يجره ولم تجر به العادة ولا هو مما تكلم الناس فيه نفيًا أو إثباتًا، ومثل هذا لا يقرره الرب ولا يستدل عليه وينبه على منكره، وهو سبحانه إنما يستدل على أمر واقع ولا بد إما قد وقع ووجد أو سيقع،... (الثامن) أنه سبحانه دعا الإنسان إلى النظر فيما خلق منه ليرده عن تكذيبه بما أخبر به وهو لم يخبره بقدرة خالقه على رد الماء في إحليله بعد مفارقتة له حتى يدعوه إلى النظر فيما خلق منه ليستقبح منه صحة إمكان رد الماء، (التاسع) أنه لا ارتباط بين النظر في مبدأ خلقه ورد الماء في الإحليل بعد خروجه ولا تلازم بينهما حتى يجعل أحدهما دليلاً على إمكان الآخر بخلاف الارتباط الذي بين المبدأ والمعاد والخلق الأول والخلق الثاني والنشأة الأولى والنشأة الثانية فإنه ارتباط من وجوه عديدة ويلزم من إمكان أحدهما إمكان الآخر ومن وقوعه صحة وقوع الآخر فحسن الاستدلال بأحدهما على الآخر، (العاشر) أنه سبحانه.. نبه بقوله ﴿إِنَّهُ عَلَيَّ رَجَعَهُ لَقَادِرٌ﴾ على بعته جزائه على العمل الذي حفظ وأحصى عليه فذكر شأن مبدأ عمله ونهايته فمبدؤه محفوظ عليه ونهايته الجزاء عليه ونبه على هذا بقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَاتِرُ﴾ أي تختبر.. والسرائر جمع سريرة<sup>xlvi</sup>.



وبغض النظر عن الاجتهادات الواسعة لتفهم الكيفيات قبل أن يكشفها العلم لا صارف عن عود ضمير ﴿يُخْرِجُ﴾ إلى الأصل وهو ﴿الإنسان﴾ وإن شاركه (الماء) في الاحتمال، قال ابن عطية: "والضمير في يخرج يحتمل أن يكون للإنسان ويحتمل أن يكون للماء"<sup>xlvi</sup>، وقال القرطبي: "من جعل المني يخرج من بين صلب الرجل وترايبه فالضمير في يخرج للماء ومن جعله من بين صلب الرجل وترايب المرأة فالضمير للإنسان"<sup>xlix</sup>، ولك أن تستفزع القول بخروج المني من بين صلب الرجل وترايبه وأنت تعلم بتكونه في الخصية إلا إذا اعتبرت تكون أصل الأصل عند النشأة، ولكن لا تتوهم أنهم يعتقدون بخروج مني الرجل من ترايب المرأة، لأنهم يعلمون كما لو كانوا أبناء عصر العلم مثلي ومثلك باحتياجه لنظير أنثوي ليتخلق الجنين، فجعلوا للمرأة دوراً وقدموا فروضاً لأصل المني النظير مجتهدين في استمداد المعرفة من القرآن في غياب حقائق العلم، يقول العلي القدير: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَطْفَةٍ أََمْشَاجٍ﴾ الإنسان ٢، قال الشوكاني: "وأَمْشَاجٌ صفة لنطفة وهي جمع مشج أو مشيج وهي الأخلاط والمراد نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما"<sup>i</sup>، وقال ابن القيم: "الجنين يخلق من ماء الرجل وماء المرأة خلافاً لمن يزعم من الطبائعين أنه إنما يخلق من ماء الرجل وحده"<sup>ii</sup>، ويقول عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الحجرات ١٣، قال القرطبي: "بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى... وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ مِنَ الْأَوَائِلِ إِلَى أَنَّ الْجَنِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ وَيَتَرَبَّى فِي رَحِمِ الْأُمِّ وَيَسْتَمِدُّ مِنَ الدَّمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ.. وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْخَلْقَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ لِهَذِهِ الْآيَةِ فَإِنَّمَا نَصُّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ"<sup>iii</sup>، والاقصص إذاً على جنس الذكر بقربية الماء الدافق يفسره اعتبار المعلوم وسبق المني للنطفة الأمشاج التي يبدأ منها الخلق، ولكن ها أنت ترى أنهم يعرفون بتكون الجنين من الأبوين ويدخلونهما في تفسير الإخراج مما يجعل الأولوية في عود ضمير ﴿يُخْرِجُ﴾ إلى الإنسان فيصدق الوصف على الجنسين، وبإغفال دلالة السياق على أن ﴿الإنسان﴾ محور الحديث والموضوع الرئيس؛ يستقيم عود الضمير في ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ إلى الماء، وباعتبار الأصل هو علمياً معنى صحيح لخروج الخصية من ذلك الموضع، ومن الأعلام من احتمله وإن قصر ذلك الاجتهاد الوصف على الذكر واستبعد الأنثى معارضاً دلالة لفظ ﴿الإنسان﴾ على الجنس بنوعيه من الذكر والأنثى.

(رابعاً) ما معنى الخروج من بين الصلب والترائب؟:

يكشف القرآن أن بدء خلق الإنسان مما يماثل نطفة من ماء، ويستدل بتلك النقلة الهائلة على الاقتدار، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا هُوَ خَصِيمٌ مَبِينٌ﴾ النحل ٤، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا هُوَ خَصِيمٌ مَبِينٌ﴾ يس ٧٧، وقال تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مَنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ عيس ١٧-٢٠، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يُمْتَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ القيامة ٣٦-٤٠، ولو تأملت الحقائق التي كشفها العلم فستدهش من ذلك اليقين الصارم على خلق الإنسان من مكون للمني يماثل أقل وحدة تركيب من الماء؛ نطفة، لأنه يستحيل أن يدرك هذا بشر قبل اكتشاف المجهر بعشرة قرون واكتشاف تلقيح البويضة بجوين منوى واحد منتخب من نخة من ملايين الحيوانات، والتعبير الوصفي "نطفة" يكاد ينطق بالمصطلح الحديث "خلية" وهي أقل وحدة تركيب، وبالمثل يقول العلي القدير: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَاقِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، وتلك النقلة الأبعد الممتدة في مرأى العين إلى العدم حيث لم يبلغ الإنسان حتى أن يكون مجرد ماء هي دليل القرآن على بالغ الاقتدار، يقول العلي القدير: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتْ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا. أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ مريم ٦٦ و٦٧، وهو مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنثِيَ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا. إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ الإنسان ٢١، فقبل أن يصبح إنساناً كان كنطفة من ماء منها كان بدء خلقه، وقبلها في جيل أسبق لم يكن شيئاً بينما الماء في مرأى العين شيء، ولا يليق مع تلك النقلة الهائلة مما يماثل نطفة ماء إلى إنسان والتي استوعبت قصة خلق إنسان من الجنسين إلا أن يكون ما يسبقها نقلة مماثلة تنقله إلى ما قبل خلقه لتستوعب قصة خلق جيل يسبقه من الجنسين، وحينذاك لم يكن له في مرأى العين وجود يذكر إلا تقديره كذرية لاحقة، وبهذا الامتداد يحكي فعل (يخرج) قصة خلق جيل وجيل يسبقه من جيل أسبق فتجلى غاية الاقتدار، والعدول إلى المضارع يجعل المشهد نموذجاً للبدء والإعادة يشمل كل الأجيال من الجنسين، ولكن مع التوهم يعود ضمير (يخرج) إلى الماء يضعف أداء الغرض، أنت إذا أمام وصف لتاريخ ضارب في القدم مر فيه الإنسان بمرحلتين أشبه ما يكونا بالولادة، انتهت الأولى به وكذلك الثانية، قال المناوي: "إن للإنسان ولادتين أحدهما الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام وهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم، وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوارا من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها حتى يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم"<sup>liv</sup>، وقال ابن الجوزي: "قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ الأعراف ١١ فيه.. أقوال أحدها.. خلقناكم.. (من بين) أصلاب.. وترائب..، ثم صورناكم عند اجتماع النطف في الأرحام، قاله ابن السائب..، قال ابن قتيبة.. معناه خلقنا أصلكم.. كهية النر"<sup>liv</sup>.

والعجيب في القرآن أنه لا يتركك نمياً للتصورات أمام الحقيقة الخفية التي يدخرها للعالمين ويعلمها بتلطف لا يلفت عن الغرض، فترى "مثانية النبأ" التي قد تبلغ حد الإسهاب تحجبك عن الزلل خاصة إذا كنت من الحقيقة في يقين، وتعبير ﴿ماء دافق﴾ يعني أنه دافق حقيقة لا مجازاً يعني ذو حركة ذاتية زيادة على أنه مدفوق كما هو معلوم، ولذا ينطوي التعبير على وصف المني بالحياة، وتتصافر الأوصاف في القرآن على قصر الماء بالذكر وحده تشبيهاً للسائل المنوي المعلوم لدى المخاطبين بالماء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ المعارج ٣٩، وقوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ الرسائل ٢٠، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ النور ٤٥، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ. أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ الواقعة ٥٨ و٥٩، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكْ نُطْفِئْهُ مِنْ مَنِيِّ يَمِينٍ﴾ القيامة ٣٦ و٣٧، وإذا صدق وصف البشرية على "النفطة الأمشاج" التي تمثل بدء خلق الإنسان فلا يصدق على "الماء الدافق" الذي يمثل مرحلة أسبق، ولذا يدل حصر ابتداء فعل الخلق بالنفطة على المرحلة قبيل خلق الإنسان وأما الوصف أمشاج فيلزم بضرورة وجود النفطة النظر، وقوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يبين موضع خروج عضو انتاج الذرية قبل هجرته لمستقره في الجنين، والخروج من بينهما يجعل الظهور أو الأصلاب موضع نشأة الذرية واجتماع أصولها الخلوية، وهو ما صرح به قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف ١٧٢، وهذا يدفع وهم عود ضمير (يخرج) إلى الماء وينسبه للإنسان، والمفسرون يجعلون أخذ الذرية لأفراد جنس الإنسان بمعنى إخراجهم للذرية لمفطورين على الإيمان، قال القرطبي: "قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.. (وفي قراءة ذرياتهم)؛ قال قوم معنى الآية أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض قالوا، ومعنى ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، دهم بخلقه على توحده، لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له ربا واحدا، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي قال، فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم والإقرار منهم (أي فطهم على الإيمان والطاعة)، كما قال تعالى في السماوات والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت ١١<sup>١٧</sup>، وقال الألوسي: "﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادة الله تعالى الزاجرة عن عبادة غيره عز وجل فكانه استعارة لإقامة البراهين"<sup>١٧١</sup>، وقال ابن الجوزي: "وجماعة أهل العلم.. من أنه استنطق الذر وركب فيهم عقولا وأفهاما عرفوا بها ما عرض عليهم، وقد ذكر بعضهم أن معنى أخذ الذرية إخراجهم إلى الدنيا بعد كونهم نطفة ومعنى إشهادهم على أنفسهم اضطرارهم إلى العلم بأنه خالقهم بما أظهر لهم من الآيات والبراهين ولما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق كانوا بمرلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته، كما قال ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ التوبة ١٧، يريدهم بمرلة الشاهدين وإن لم يقولوا نحن كفرة، كما يقول الرجل قد شهدت جوارحي بصدقك أي قد عرفته، ومن هذا الباب قوله ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ آل عمران ١٨،

أي بين وأعلم <sup>lvii</sup>، وقال الواحدي: "أخرج الله تعالى ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الأباء <sup>lviii</sup>، وقال البغوي: "فلا تقوم الساعة حتى تولد كل ذريتهم" <sup>lix</sup>، وفي التبيان في تفسير غريب القرآن: "الذرية أولاد وأولاد الأولاد، قال بعض النحويين ذرية تقديرها فعلية من الذر" <sup>lx</sup>، قال القرطبي: ذكر بعض أهل اللغة أن الذر أن يضرب الرجل بيده على الأرض فما علق بها من التراب فهو الذر، وكذا قال ابن عباس إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحد مما لرق به من التراب ذرة" <sup>lxi</sup>، وقال: "قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ النساء ٤٠، أي لا يبخسهم ولا ينقصهم من ثواب عملهم وزن ذرة بل يجازيهم بما ويشيهم عليها، والمراد من الكلام أن الله تعالى لا يظلم قليلا ولا كثيرا، كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ يونس ٤٤، والذرة النملة الحمراء عن ابن عباس وغيره وهي أصغر النمل، وعنه أيضا رأس النملة، وقال يزيد بن هارون زعموا أن الذرة ليس لها وزن... قلت والقرآن والسنة يدلان على أن للذرة وزنا...، وقيل الذرة الخردلة، كما قال تعالى ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء ٤٧، وقيل غير هذا، وهي في الجملة عبارة عن أقل الأشياء وأصغرها" <sup>lxii</sup>، وقال ابن الجوزي: "قوله تعالى ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ آتَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ. وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ يس ٤١ و٤٢، قال المفسرون أراد في سفينة نوح فنسب الذرية (وفي قراءة ذريتهم) إلى المخاطبين لأنهم من جنسهم، كأنه قال ذرية الناس، وقال الفراء أي ذرية من هو منهم فجعلها ذرية لهم وقد سبقتهم، وقال غيره هو حمل الأنبياء في أصلاب الآباء حين ركبو السفينة" <sup>lxiii</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿وَحَلَّلَلِمْ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ النساء ٢٣؛ قال ابن كثير: "أي وحرمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم، يحتز بذلك عن الأدعياء الذين كانوا يتبنوهم في الجاهلية" <sup>lxiv</sup>، وقال الأصفهاني: "تنبية أن الولد جزء من الأب" <sup>lxv</sup>، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بِغَضِّهَا مِنْ بَعْضِ آلِ عِمْرَانَ ٣٤﴾ وقال تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ آل عمران ١٩٥، قال ابن الجوزي: "أخرج بعضهم من ظهور بعض" <sup>lxvi</sup>، وفي تفسير الجلالين: "نسلا بعد نسل" <sup>lxvii</sup>، والاستدلال إذا على بعث الإنسان بأصل خلقه وامتداد تقديره إلى جبل أسبق من الجنسين حين خلقه في القرآن كثير، قال القرطبي: "الإنسان اسم للجنس" <sup>lxviii</sup>، وقال أيضا مساويا في الدلالة بين تعبيرين: "قال تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ وقال ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ النحل ٧٢" <sup>lxix</sup>، وتعير ﴿مَنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ يدل على عناصر وراثية تنشأ منها الذرية وتمتد لتشمل الأحفاد يصدق على كل من الجنسين؛ الذكر والأنثى، وقال العالبي: "قوله تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ ذَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ توقيف لمنكري البعث على أصل الخلقة... قال الحسن وغيره معناه من بين صلب كـ صلب واحد من الرجل والمرأة وتوابعه" <sup>lxx</sup>،

وقال الألوسي: "روي عن قتادة أيضا أن المعنى يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائب كل منهما" <sup>lxxi</sup>، فالقرآن إذن يحدد موضع اجتماع أصول تكوين عضو إنتاج الذرية من الجنسين بالظهور أو الأصلاب ويكشف موضع انفصاله وتمييزه على طريق هجرته.

وقد يعبر القرآن عن المني ضمناً كما في قوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ عيس ١٧ و١٨، وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ المعارج ٣٩، وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، أو يصرح به بلفظ (مني) كما في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ. أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ الواقعة ٥٨ و٥٩، أو يصف تكوينه الفاعل حتى يصبح مشبيهاً بالقطيرة الضئيلة من الماء بلفظ (نطفة) كما في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ القيامة ٣٦-٣٨، وقوله: ﴿وَأَوْلَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ إِذَا خَلَقْتَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ يس ٧٧، وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ النحل ٤، وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ الإنسان ٢، أو يصفه تشبيهاً بلفظ (ماء)، كما في قوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ المرسلات ٢٠ و٢١، ومثله قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ النور ٤٥، وكما ترى يعبر القرآن بلا استثناء عن ابتداء خلق الفرد من السائل المنوي حين تكون النطفة الأمشاج بفعل (الخلق) وما بعده بفعل (الجعل)، وبالمثل يصف ابتداء الحياة من الطين بفعل (الخلق) ويعبر عما بعده كذلك بفعل (الجعل)، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ السجدة ٧ و٨، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ المؤمنون ١٢ و١٣، وهكذا لم يرد في القرآن فعل (الإخراج) متعلقاً بالسائل المنوي، وإنما ورد التعبير عن مرحلة المني في تاريخ نشأة الإنسان إما بفعل (الخلق) أو فعل (الجعل)، بينما فاض التعبير بفعل (الإخراج) متعلقاً بالإنسان للدلالة على معانٍ منها الإنبات تشبيهاً بالنبات والانتقال والإحياء والبعث والولادة.

وينطوي التعبير بفعل (الإخراج) بدلالته على البروز والظهور على معنى التحول لشيء غير موجود أو خفي ليصبح منظورا تتامله العين، وأظهر مثال هو النبات فأصله بذور ضئيلة خالطت الماء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ يونس ٢٤، وقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ الكهف ٤٥، ولذا يرد فعل (الإخراج) بمعنى فعل (الإنبات) كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَتْرًا كَثِيرًا﴾ الأنعام ٩٩، وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ البقرة ٢٢، وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النمل ٢٥، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى. فَجَعَلَ عُنُقًا وَخَوَىٰ﴾ الأعلى ١-٥، وبهذا يؤدي فعل (الإخراج) وظيفة فعل (الإنبات) في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا وَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا وَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا وَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا﴾ النمل ٦٠، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبْرُكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا وَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا وَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا وَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا﴾ ق ٩، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ لقمان ١٠، وقوله تعالى: ﴿يَبْتَئِنُّ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ النحل ١١، ويشترك الإنسان مع بقية الأحياء في الأصل الميت وهو الطين أو مكوناته؛ الماء أو التراب، ولذا يوحدهما القرآن في الأصل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ الأنبياء ٣٠، وقد يمد التعبير النقلة لتبلغ الأصل الأول لمزيد من بيان الاقتدار والعظمة كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ الفرقان ٥٤، قال الأوسى: "المراد بالماء الماء المعروف وتعريفه للجنس" <sup>lxxii</sup>، وليان الاقتدار في نشأة الحيوان دون بقية الأحياء التي تتناسل بطرق غير المني يقصر القرآن دلالة لفظ الماء على المني بإيراده بالتكثير الدال على التعدد بياناً للعلم بتميز كل حيوان بمني يخصه؛ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ النور ٤٥، قال السيوطي: قوله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ أي كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع الماء وكل فرد من أفراد الدواب من فرد من أفراد النطف <sup>lxxiii</sup>، وقد بلغ التماثل في تعبير القرآن بين الإنسان والنبات في الأصل الأول إلى حد وصف نشأة الإنسان بفعلي (الإنبات) و(الإخراج) كما لو كان نباتاً حقيقة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ نوح ١٧ و١٨، ولذا بياناً لوحدة الأصل الميت من الطين أو مكوناته الأصلية وتماثل الإنشاء جعل القرآن إنشاء النبات مثلاً لبعث الإنسان حياً يوم قيامة الأموات كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْجَوْنَ وَالزُّحْرَفَ﴾ الزحرف ١١، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فصلت ٣٩، وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بِغَدِّ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْجَوْنَ وَالزُّحْرَفَ﴾ الروم ١٩،

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرَىٰ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَا لَهُ لَبَدًا مَّيِّتًا فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف ٥٧؛ تلاحظ أن فعل (الإخراج) يتضمن تمثيل الإنسان بالنبات ويعبر عن نشأة كل منهما ويعمله نظيراً للثمرات، وتلمس تشبيه وليد الإنسان والحيوان الولود مع الثمرات في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُخْرِجُ مِنَ ثَمَرَاتٍ مَّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا نُحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا نَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ فصلت ٤٧، بينما لا تجد أي من تلك الأوصاف المميزة للإنسان منسوبة للمني.

ويرد فعل (الإخراج) في القرآن في سياق الهجرة للدلالة على الانتقال متعلقاً بالإنسان كما في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ آل عمران ١٩٥، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ النساء ١٠٠، ويرد للدلالة على الإحياء والبعث متعلقاً بالإنسان كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ النمل ٦٧، وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَالَّذِينَ جَرَّدَتْ مَنَشِرُ﴾ القمر ٧، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ الأعراف ٢٥، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ النمل ٦٧، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَذْنِي﴾ المائدة ١١٠، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ مريم ٦٦، وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ طه ٥٥، ويرد للدلالة على الولادة متعلقاً بالإنسان كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ النحل ٧٨، وقوله تعالى: ﴿وَوُثِّقَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ الحج ٥، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ غافر ٦٧، وكما ترى يرد فعل (الإخراج) متعلقاً بالإنسان في مواضع كثيرة بينما لم يرد ولا مرة واحدة متعلقاً بالمني، وهكذا تتأزر الشواهد العديدة مؤكدة على تعلق فعل (الإخراج) في القرآن بالإنسان لا المني.

(خامساً) استفادة القدامى والمعاصرون من معارف عصورهم في التفسير:

في اجتهادات متفاوتة الخطوات لمطابقة الدلالات العلمية العميقة الغور؛ قال الشوكاني: "قيل إن ماء الرجل يزل من الدماغ، ولا يخالف هذا ما في الآية لأنه إذا نزل من الدماغ نزل من بين الصلب والترائب، وقيل إن المعنى يخرج من جميع أجزاء البدن، ولا يخالف هذا ما في الآية لأن نسبة خروجه إلى بين الصلب والترائب باعتبار أن أكثر أجزاء البدن هي الصلب والترائب"<sup>lxxiv</sup>، وقال السيوطي: "عن الأعمش قال يخلق العظام والعصب من ماء الرجل ويخلق اللحم والدم من ماء المرأة"<sup>lxxv</sup>، وقال ابن كثير: "عن معمر بن أبي حبيبة المدني أنه بلغه في قول الله عز وجل ﴿يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد"<sup>lxxvi</sup>، وقال القاسمي: "ومعنى الآية أن المني باعتبار أصله وهو الدم يخرج من شيء ممتد بين الصلب أي فقرات الظهر في الرجل والترائب أي عظام صدره، وذلك الشيء الممتد بينهما هو الأهر (الأورطي) وهو أكبر شريان في الجسم يخرج من القلب خلف الترائب ويمتد إلى آخر الصلب تقريبا، ومنه تخرج عدة شرايين عظيمة، ومنها شريانان طويلان يخرجان منه بعد شرياني الكلبيين، ويترلان إلى أسفل البطن حتى يصلا إلى الخصيتين فيغذيانهما، ومن دمهما يتكون المني في الخصيتين ويسميان شرياني الخصيتين أو الشريانين المنويين، فلذا قال تعالى عن المني ﴿يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ لأنه يخرج من مكان بينهما وهو الأورطي أو الأهر، وهذه الآية على هذا التفسير تعتبر من معجزات القرآن العلمية"<sup>lxxvii</sup>، وقال ابن عاشور: "الخروج مستعمل في ابتداء التنقل من مكان إلى مكان... والصلب العمود العظمي الكائن في وسط الظهر وهو ذو الفقرات... والترائب جمع تربية.. تصاف إلى الرجل وإلى المرأة ولكن أكثر وقوعها في كلامهم في أوصاف النساء... وقوله ﴿يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الضمير عائد على ماء دافق وهو المتبادر.. أي يمر ذلك الماء بعد أن يفرز من بين صلب الرجل وترائبه، وبهذا قال سفيان والحسن.. (ولكن المراد) أن أصل تكون ذلك الماء وتنقله من بين الصلب والترائب، وليس المعنى أنه يمر بين الصلب والترائب إذ لا يتصور ممر بين الصلب والترائب لأن الذي بينهما هو ما يحويه باطن الصدر والضلوع من قلب ورئتين... ولا شك أن النسل يتكون من الرجل والمرأة فيتكون من ماء الرجل وهو سائل فيه أجسام صغيرة تسمى في الطب الحيوانات المنوية.. مقرها الأثنيان وهما الخصيتان.. ومن ماء هو للمرأة كالمني للرجل.. وهو بويضات دقيقة.. يشتمل عليها مبيضان للمرأة وهما بمزلة الأثنيين للرجل فهما غدتان تكونان في جانبي رحم المرأة، (و) الحبل المنوي.. ينتهي إلى الأثنيين وهما الغدتان اللذان تفرزان المني... وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن الذي لم يكن علم به للذين نزل بينهم"<sup>lxxviii</sup>، وقال سيد قطب: "فليظن الإنسان من أي شيء خلق وإلى أي شيء صار.. إنه خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب، خلق من هذا الماء الذي يجتمع من صلب الرجل وهو عظام ظهره الفقارية وممن ترائب المـــــــرأة وهـــــــي عـــــــظام صـــــــدرها..



ولقد كان هذا سرا مكنونا في علم الله لا يعلمه البشر حتى كان نصف القرن الأخير حيث اطلع العلم الحديث على هذه الحقيقة بطريقته؛ وعرف أنه في عظام الظهر الفقارية يتكون ماء الرجل، وفي عظام الصدر العلوية يتكون ماء المرأة حيث يلتقيان في قرار مكين فينشأ منهما الإنسان! والمسافة الهائلة بين المنشأ والمصير. . بين الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب وبين الإنسان المدرك العاقل المعقد التركيب العضوي والعصبي والعقلي والنفسي. . هذه المسافة الهائلة التي يعبرها الماء الدافق<sup>lxxix</sup>.

وذكر الدكتور محمد وصفي في كتاب "القرآن والطب" أنه نقل ما كتبه في مجلة "هدى الإسلام" عام ١٣٥٤هـ - (١٩٣٦م) فقال: "الماء الدافق هو السائل المنوي الذي يحتوي على الحيوانات المنوية الحية، وسمي دافقاً لأنه يصب.. بوساطة الانقباضات الخاصة التي تدفع بها القناة الناقلة والحويصلة المنوية هذا السائل..، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِي يُمْنَى﴾ القيامة ٣٧، ويقول القاموس المحيط ودققه ويدققه صبه، وهذا ما يجعل الماء الدافق خاصاً بالذكر وحده دون الأنثى، إذ ليس للمرأة ماء يصب ويتدفق بشدة كماء الرجل، بل إن ماء المرأة إفران يسيل مجرد تليين الجهاز التناسلي وترطيبه، مثل سيلان اللعاب والعرق، وبذلك يكون قوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ أي يخرج من بين صلب الرجل وترائبه ولا دخل هنا لصلب المرأة وترائبها مطلقاً..، والصلب هو السلسلة الفقرية.. والترائب هي عظام الصدر..، (و) النطفة.. تتكون حقيقة في القناة المنوية في الأنثيين (الخصيتين) ولا تتكون في الصلب ولا تتكون كذلك من الترائب، فقوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ ليس معناه أنه يخرج منهما ولكن معناه أنه يخرج بينهما، أي يخرج من مكان يقع بينهما، وهذا من عظيم أسرار الإسلام في الطب..، (و) في الذكر والأنثى.. مكان الغدة التناسلية يكون في أول الأمر في الفراغ البطني.. (و) يقع تماماً بين الصلب والترائب..، فالآية الكريمة ترشدنا بذلك إلى أصل تكوين الغدة التناسلية في الإنسان وتدلنا على مكان وجودها الأولي فيه.. (و) يخرج باعتبار نشأته الأولى وأصل وجوده في الجنين<sup>lxxx</sup>.

وقال المِراغِي (تُوفِّي عام ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م): "﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أي فلينظر بعقله وليتدبر في مبدأ خلقه ليتضح له قدرة واهبه وأنه.. على إعادته أقرر.. ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾.. حقائق علمية تأخر العلم بها والكشف عن معرفتها وإثباتها ثلاثة عشر قرناً، بيان هذا أن صلب الإنسان هو عموده الفقري (سلسلة ظهره) وترائبه هي عظام صدره.. وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا هذه الآيات التي حيرت الألباب.. فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريبا ومقابل أسفل الضلوع..، فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتهما وفي إمدادهما بالدم الشرياني وفي ضبط شتوئهما بالأعصاب قد اعتمدتا في ذلك كله على مكان في الجسم يقع بين الصلب والترائب فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم وجاء به رب العالمين ولم يكشفه العلم إلا حديثا بعد ثلاثة عشر قرناً من نزول ذلك الكتاب، هذا وكل من الخصية والمبيض بعد كمال نموه يأخذ في الهبوط إلى مكانه المعروف فتتهبط الخصية حتى تأخذ مكانها في الصفن ويهبط المبيض حتى يأخذ مكانه في الحوض بجوار بوق الرحم، وقد يحدث في بعض الأحيان ألا تتم عملية الهبوط هذه فتقف الخصية في طريقها ولا تزل إلى الصفن فتحتاج إلى عملية جراحية..، وإذا هدي الفكر إلى كل هذا في مبدأ خلق الإنسان سهل أن نصدق بما جاء به الشرع وهو البعث في اليوم الآخر.. ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، أي إن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء.. قادر أن يرده حيا بعد أن يموت" <sup>lxxxii</sup>.

ويقول الدكتور محمد علي البار في كتاب "خلق الإنسان بين الطب والقرآن": "لنبق قليلا مع الآية الكريمة التي نتحدث عن الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب لتملي معانيها المعجزة الباهرة.. والآية الكريمة تحثنا على النظر في الإنسان الذي خلق من هذا الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب، وسبب تدفقه.. هو تقلصات جدار الحويصلة المنوية والقناة القاذفة للمني.. تقول الآية الكريمة أن الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب، ونحن قد قلنا أن هذا الماء (المني) إنما يتكون في الخصية وملحقاتها، كما تتكون البويضة في المبيض لدى المرأة، فكيف تتطابق الحقيقة العلمية مع الحقيقة القرآنية؟: إن الخصية والمبيض إنما يتكونان من الحذبة التناسلية بين صلب الجنين وترائبه، والصلب هو العمود الفقري والترائب هي الأضلاع، وتتكون الخصية والمبيض في هذه المنطقة بالضبط أي بين الصلب والترائب، ثم تزل الخصية تدريجيا حتى تصل إلى كيس الصفن (خارج تجويف البطن) في أواخر الشهر السابع من الحمل بينما يزل المبيض إلى حوض المرأة..، ومع هذا فإن تغذية الخصية والمبيض بالدماء والأعصاب واللمف تبقى من حيث أصلها أي من بين الصلب والترائب، فشريان الخصية أو المبيض يأتي من الشريان الأهمر (الأورطي

البطني) من بين الصلب والترائب، كما أن وريد الخصية يصب في نفس المنطقة أي بين الصلب والترائب، كما أن الأعصاب المغذية للخصية أو للمبيض تأتي من المجموعة العصبية الموجودة تحت المعدة من بين الصلب والترائب، وكذلك الأوعية اللمفاوية تصب في نفس المنطقة أي بين الصلب والترائب، فهل يبقى بعد كل هذا شك أن الخصية أو المبيض إنما تأخذ تغذيتها ودماها وأعصابها من بين الصلب والترائب؟، فالحيوانات المنوية لدى الرجل أو البويضة لدى المرأة إنما تستقي مواد تكوينها من بين الصلب والترائب، كما أن منشأها ومبدأها هو من بين الصلب والترائب، والآية الكريمة إعجاز كامل حيث تقول: ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، ولم تقل من الصلب والترائب، فكلمة ﴿بَيْنِ﴾ ليست بلاغية فحسب وإنما تعطي الدقة العلمية المتناهية.. والعلم الحديث يقرر أن الماء الذي لا يقذف ولا يتدفع وإنما يسيل.. إنما هو إفرازات المهبل وغدد بارثولين المتصلة به وأن هذه الإفرازات ليس لها دخل في تكوين الجنين وإنما وظيفتها ترطيب المهبل.. ولكن العلم الحديث يكشف شيئاً مذهلاً؛ أن الحيوانات المنوية يحملها ماء دافق هو ماء المني، كذلك البويضة في المبيض تكون في حويصلة جراف محاطة بالماء فإذا انفجرت الحويصلة تدفق الماء.. وتلقفت أهداب البوق البويضة لتدخلها إلى قناة الرحم حيث تلتقي بالحيوان المنوي لتكون النطفة الأمشاج.. هذا الماء يحمل البويضة تماماً كما يحمل ماء الرجل الحيوانات المنوية، كلاهما يتدفق، وكلاهما يخرج من بين الصلب والترائب: من الغدة التناسلية؛ الخصية أو المبيض.. وتتضح مرة أخرى معاني الآية الكريمة في إعجازها العلمي الرائع: ماء دافق من الخصية يحمل الحيوانات المنوية، وماء دافق من حويصلة جراف بالمبيض يحمل البويضة<sup>lxxxiii</sup>.

ويقول الدكتور مأمون شقفة في كتاب "القرار المكين": "الذرية هي النسل، واشتقاق كلمة الذرية من الذرة يدل على أن النسل يحصل بعناصر صغيرة جدا تبين الآن أنها الخلايا الجنسية.. ولكن ما يهمني هو أن الإشهاد هذا إنما حصل للذرية بني آدم من بعده كما فسر الحسن البصري إذ قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ ولم يقل من آدم ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهره..، وإنما يأخذ الميثاق من البشر كأفراد قبل أن يخرجوا من عالم الذر إلى عالم الجسومات، وهذا الميثاق من نعم الله علينا فقد فطرنا على الشعور بحاجة ماسة إلى الإيمان بالخالق العظيم.. ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لقمان ٢٥.. المهم أننا نشعر ببدء الفطرة هذا في أعماقنا يشدنا إلى الله عز وجل ويذكرنا كلما ألم بنا طائف.. ولقد حيرت آية الصلب والترائب الألباب وذهب فيها المفسرون مذاهب شتى على قدر ما أوتي كل منهم من علم.. تحير المفسرون في خروج الماء من بين الصلب والترائب.. لعدم وجود معلومات طبية تشريحية بين

أيديهم تدهم.. منشأ الغدد التناسلية ليس في الواقع بين الصلب والترائب ولكن في الأصلاب بالذات (وإنما الخروج من بينهما)..، إن القرآن لا يقول أبدا: يخرج الماء الدافق من بين الصلب والترائب، ولكنه يقول ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾.. وهذه الآية مثل آيات الله تعالى الأخرى تشير إلى قدرة الله تعالى المتجلية في أمر عظيم هو الولادة أي إخراج الإنسان من بين الصلب والترائب.. فالضامتر هنا تتعلق بالإنسان رغم كون الماء أقرب.. لأن المعنى يحتل ولا يستقيم إذا تعلققت هذه الضامتر بالماء.. وفي قواعد اللغة أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور له في الكلام، وقد يعود إلى البعيد بقريضة دالة عليه..، أما وقد وجدت القريضة القوية بما عندنا من علم حديث فلم يبق شك في أن هذا الضمير (في يخرج) يعود للإنسان، فما هي هذه القريضة؟ إن هذه القريضة هي أن الجنين (أي الإنسان) يكون أثناء الحمل وفي تمامه وحين يخرج (أي أثناء الولادة) بالضبط بين الصلب والترائب، ويكون الخط الواصل بين الصلب والترائب منطبقا على محور الجنين في أكثر من ٩٧% من الحالات في المجينات الطولانية الرأسية أو المقعدية.. ولا يخرج جنين واحد أبدا عن مدلول الآية الكريمة، إذن لم يعد هناك شك في أن ضمير ﴿يَخْرُجُ﴾ عائد إلى الإنسان، وفي أن الله تعالى يلفت نظرنا إلى عملية الولادة المعقدة<sup>lxxxiii</sup>.

#### (سادساً) موجز الدراسة الدلالية:

في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾؛ الماء الدافق تعبير وصفي للمني لأنه سائل تركيبه مماثل قطرات الماء إلا أنه حي تتدفق تكويناته وتتحرك بنشاط ويصدق عليها الوصف بصيغة اسم الفاعل (دافق) لدلالته على الحركة الذاتية، وجميع الأوصاف عدا وصف الماء بالدافق تتعلق بالإنسان لأن بدء خلقه هو محور الحديث والموضوع الرئيس، وهو المستدل به على إمكان الإرجاع، وضمير (له) في قوله تعالى ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ لا يستقيم عوده إلى الماء وإنما الإنسان، وضمير (رجعه) في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الأظهر عوده إلى الإنسان والإرجاع هو إعادة الخلق للحساب بقريضة وقت الإرجاع ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾، ولا توجد ضرورة لتشتيت مرجع الضامتر في ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ و﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ﴾ و﴿رجعه﴾ في ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ و﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ ولذا الأولى عود ضمير (يخرج) في ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ إلى الإنسان كذلك مثلها، خاصة أن المني لا يخرج بذاته كذلك وإنما من الخصية، والوصف بالإخراج آية مستقلة كيان متصل بأصل الحديث عن الإنسان، وبيان القدرة الإلهية وسبق التقدير أجلى والاستدلال على إمكان إعادة أوثق في إخراج الذرية من ظهور الأسلاف، والتلازم قائم بين (إخراج) الإنسان للعالم ولذا (إرجاعه) حياً بينما لا تلازم بين (إخراج) المني

و(إرجاع) الإنسان، والخروج من الظهور مُبَيَّن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الأعراف ١٧٢،، وقوله: ﴿أَبْنَاكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ النساء ٢٣، ولم يرد في القرآن فعل (الإخراج) متعلقا بالمني بينما ورد كثيرا متعلقا بالإنسان لبيان خروجه للعالم ولبدأ وخروجه حياً للحساب.

والحقيقة العلمية هي أن الأصول الخلوية للخصية في الذكر أو المبيض في الأنثى تجتمع في ظهر الأبوين خلال نشأتهما الجنينية ثم تخرج من الظهر من منطقة بين بدايات العمود الفقري وبدايات الضلع ليهاجر المبيض إلى الحوض بجانب الرحم وتهاجر الخصية إلى كيس الصفن حيث الحرارة أقل وإلا فشلت في إنتاج الحيوانات المنوية وتصبح معرضة للتحويل إلى ورم سرطاني إذا لم تكمل رحلتها، والتعبير ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يفيد بوصف تاريخ نشأة الذرية ويستوعب كافة الأحداث الدالة على سبق التقدير وبالغ الاقتدار والإتقان والإحكام في الخلق منذ تكوين البدايات في الأصلاب وهجرتها خلف أحشاء البطن ابتداءً من المنطقة بين الصلب والترائب إلى المستقر، وحتى يولد الأبناء ويبلغان ويتزاوجان وتخلق الذرية مما يمثل نطفة ماء في التركيب عديمة البشرية من المني لكنها حية تتدفق ذاتياً لتندمج مع نطفة نظير فتكون النطفة الأمشاج من الجنسين، ويستمر فعل الإخراج ساري المفعول ليحكى قصة جيل آخر لجنين يتخلق ليخرج للعالم ولبدأ وينمو فيفعل عن قدرة مبدعه، وكل هذا الإتقان المتجدد في الخلق ليشمل تاريخ كل إنسان عبر عنه العليم الحكيم بلفظة واحدة تستوعب دلالاتها كل الأحداث: ﴿يَخْرُجُ﴾، فأى اقتدار وتمكن في الخلق والتعبير!

## إحكام في البيان

وردت في القرآن ٤٢ مفردة عدا اللفظ ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ تماثله في البناء هي: فَلَقُمْ (مرة) فَلَنَاتِيَنَّكَ (مرة) فَلَنَاتِيَهُمْ (مرة) فَلَنَحْيِيَنَّهٗ (مرة) فَلَنَذِيقَنَّ (مرة) فَلَنَسْأَلَنَّ (مرة) فَلَنَنْقِصَنَّ (مرة) فَلَنَنْبِتَنَّ (مرة) فَلَنُوْتِيَنَّكَ (مرة) فَلْيَأْتِكُمْ (مرة) فَلْيَأْتِنَا (مرة) فَلْيَأْتُوا (مرتين) فَلْيُؤَدِّ (مرة) فَلْيَأْكُلْ (مرة) فَلْيُؤْمِنْ (مرة) فَلْيَتَّكِنْ (مرة) فَلْيَتَّقُوا (مرة) فَلْيَتَّأَسِّسْ (مرة) فَلْيَتَوَكَّلْ (تسع مرات) فَلْيَحْذَرِ (مرة) فَلْيَدْعُ (مرة) فَلْيَذُوقُوْهُ (مرة) فَلْيَرْتَقُوا (مرة) فَلْيَسْتَأْذِنُوا (مرة) فَلْيَسْتَجِيبُوا (مرتين) فَلْيَسْتَعْفِفْ (مرة) فَلْيُصَلُّوا (مرة) فَلْيُصِمُّهُ (مرة) فَلْيُضْحَكُوا (مرة) فَلْيُعْبُدُوا (مرة) فَلْيُعَلِّمَنَّ (مرة) فَلْيَعْمَلْ (مرتين) فَلْيَغَيِّرَنَّ (مرة) فَلْيَفْرَحُوا (مرة) فَلْيَقَاتِلْ (مرة) فَلْيَكْتَسِبْ (مرة) فَلْيَكْفُرْ (مرة) فَلْيَكُونُوا (مرة) فَلْيَلْقِهْ (مرة) فَلْيَمْدُدْ (مرتين) فَلْيَمْلَأْ (مرة) فَلْيُفِيقْ (مرة)، ويستقيم فيها جميعاً أن تكون (اللام) للأمر و(الفاء) تفصح عن محذوف بأصل دلالتها على التعقيب إن لم يسبقها ما لا يحتاج معه إلى تقدير محذوف، ولذا تسمى فاء الفصيحة في اصطلاح النحاة، وورد اللفظ ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ في أربعة مواضع؛ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف ١٩، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ الحج ١٥، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ عبس ٢٤، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ الطارق ٥، وفي تلك المواضع الأربعة جميعاً يتبع اللفظ (فَلْيَنْظُرْ) نتيجة حسية معاينة مؤكدة تلزمها مقدمات وردت بالتصريح في حالتين لفظاً مما يقتضي في البقية ورودها ضمناً ويلزم تقديرها، وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ جواب لسؤال تفرضه حالة المنكرين الغافلين عن تقدير النعمة قبل إيجاد التمتع عليه، وكانهم يتساءلون مستكبرين فلزمهم الإسهاب في بيان سبق الإعداد في قوله تعالى: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَبْأًا وَقَضَبًا وَرَزَقْنَا وَنَخْلًا وَحَدَاتٍ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَعْمَامِكُمْ﴾ عبس ٢٥-٣٢، وكشف حالة الكفر بالنعمة التصريح بها في التذييل: ﴿أَوَلَسْنَا لَهُمُ الْكُفْرَةَ الْفَجْرَةَ﴾ عبس ٤٢، وبالمثل جاء قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ جواباً لسؤال تطرحه حالة منكري البعث الغافلين عن المصير، وكشف التصريح بالإعادة حالة الإنكار مؤكداً لقدرة الله تعالى بدهائه على إرجاع الإنسان وذلك في التذييل: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.

وصيغة الفعل (يُخْرِجُ) بضم الياء تُصْرَحُ بخروج الشيء بتدبير فاعل غيره بينما الصيغة (يَخْرُجُ) بفتحها تصف الشيء نفسه فتعني أنه المُؤَدِّي للفعل ولا تصرح بفاعل التدبير؛ هل هو الشيء نفسه أم فاعل غيره؟، ولكن الفعل المبني للمجهول ﴿خُلِقَ﴾ والعاثد على الإنسان يصح بضرورة وجود الخالق، وكأنه قال (يُخْرِجُهُ اللهُ من بين الصلب والترائب)، وبهذا الاحتياط يقطع التركيب في قصر تدبير (الإخراج) على الخالق وحده، وصيغة المضارع ﴿يَخْرُجُ﴾ تدل على تجدد الفعل ودوامه دفعا للصدفة وبيانا للتقدير، واقتدار الخالق شاخص في كل العرض بينما يتملى الخيال مشاهد أعرضت عن الإنسان فعبرت عنه بالغائب في ومضات تُعْرِيه من الخيلاء وتفاجئته بأصله ومصيره طاوية حياته ومماته وكأنه لم يكن، في مقابل مشهد استكباره في تبجح صارخ يعلنه الاحتجاج المستهل بحرف (فاء) ليفصح بأصل دلالة على التعقيب عن محذوف يكشف ما يجول في طوية نفسه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، كأنه صيحة مدوية مؤنية تقول: ألم تحدثك نفسك؟، وليس للإنسان في تلك المحاكمة إلا حضورا باهتا داخل قفص الالقام في زاوية من المخيلة بينما تشخص عياناً أدلة التجريم؛ وكأنه تعالى يقول: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّمَ الْمَوْتَىٰ﴾ القيامة ٤٠، وهذا المشهد الأصغر لتعري السرائر مثال لمشهد يوم عظيم ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾، فأمل الاتساق في عرض المشاهد، تصوير عجيب يكشف ما قبل فتح الستار وحتى بعد ضمه تبقى في خاطر شتى صور العقاب وتآز في المسامع نيران تشوق لمن يشك لحظة في قدرة الخالق سبحانه!

وتجاوياً مع الإعراض عن الإنسان الغافل عن مبتداه الناكر لمصيره لم يستفته التعبير ولم ينتظر منه جواباً بل يجرده من الأعدار، فعدل عن أداة الاستفهام (مما؟) إلى الأداة ﴿مِمَّ﴾ بغير ألف لأن المقام هنا لا يتعلق بالاستفهام وإنما بالتقرير، ومثله قول العلمي القدير: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ النبأ ١، وقوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ النازعات ٤٣، وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة ٩١، ويصلح فيها التقرير مع التمييز بين ﴿مَا﴾ الاستفهامية والخبرية بحذف الألف والاكتفاء بالميم مع حرف الجر<sup>lxxxiv</sup> وأصل تركيب ﴿مِمَّ﴾: (من) للابتداء (وما) بمعنى (الذي) لكن الإهام زاد بداية الإنسان إيفالاً في الضالة إلى حد العلم في مرأى العين، ودليل البدء حجة دامغة لذا فاضت به محاكمات القرآن لتجريم الغافلين عن البعث وأداهم مراراً سؤاله: (كيف بدأ الخلق؟)، مثل قول العلمي القدير: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ فَاذًا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ يس ٧٧، وقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ مريم ٦٧، وقوله: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الدُّهُرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ الإنسان ١،

وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِي يَمْتَنِي﴾ القيامة ٣٧، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ. أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ الواقعة ٥٨ و ٥٩، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ المعارج ٣٩، وقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ نوح ١٣ و ١٤، وقوله: ﴿بِأَيِّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ الانفطار ٧٦ و ٧٧، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ. بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَيْنَا أَنْ نَسْوِيَّ بَنَانَهُ﴾ القيامة ٣ و ٤، وكذلك قوله: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ عبس ١٧ و ١٨، وهو كقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لِقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾، وكأنه يقول: كيف يجزؤ أحد أن يتنكر للقرآن ويتنكر البعث! ألم ير كيف كان وجوده قبل خلقه ويدرك تلاحق الذرية من الأسلاف! فالظاهر السؤال والمعنى التقرير وإقامة الحججة للإفحام مع تعجب وإعراض في إيقاع غلبة واستعلاء كأنه يقرع الطبول بالتبكيك والتقريع كما لو كانت قاعة المحاكمة ساحة حرب، فلا يملك المعاند إلا أن يسمع الحكم الغير قابل للنقض مأخوذاً ذليلاً مستسلماً هليدري دلائل التجريم، وهذا أسلوب عجيب فريد جامع لا يبلغه اليوم أي كتاب ينسب للوحي قد بلغ الذروة في التصوير وثراء المعنى مع الغاية في إعجاز اللفظ.

قال ابن عاشور: "التقدير: إن رأيتم البعث محالاً ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ليعلم أن الخلق الثاني ليس بأبعد من الخلق الأول، فهذه الفاء مفيدة مفاد فاء الفصيحة، والنظر نظر العقل وهو التفكير المؤدي إلى علم شيء بالاستدلال، فالأمور به نظر المنكر للبعث في أدلة إثباته<sup>١٠٠٠٧</sup>، وقال ابن القيم: "والتفكير في القرآن نوعان: تفكير فيه ليقع على مراد الرب تعالى منه وتفكير في معاني ما دعا عباده إلى التفكير فيه، فالأول تفكير في الدليل القرآني والثاني تفكير في الدليل العياني، الأول تفكير في آياته المسموعة والثاني تفكير في آياته المشهودة، ولهذا أنزل الله القرآن ليتدبر ويفكر فيه ويعمل به..، قال تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِي يَمْتَنِي. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَىٰ. فَجَعَلَ مِنْهُ السَّرْوَجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَيْنَا أَنْ يُخَيِّسِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ القيامة ٣٦-٤٠، وقال تعالى ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ الرسائل ٢٠-٢٣، وقال ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ يس ٧٧، وقال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا التُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون ١٢-١٤، وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى النظر والتفكير في مبدأ خلقه.. إذ نفسه وخلقها من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على



عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وهو غافل عنه معرض عن التفكير فيه، ولو تفكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقه عن كفره، قال الله تعالى ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ تَطْفَةِ خَلْقِهِ فَقَدَرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ. ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ عبس ١٧-٢٢، فلم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراب ولا لتكلم بما فقط ولا مجرد تعريفنا بذلك، بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب وإليه جرى ذلك الحديث، فانظر الآن إلى النطفة (الأمشاج) بعين البصيرة وهي (مثل) قطرة من ماء.. كيف استخراجها رب الأرباب العليم القدير ﴿من بين الصلب والترائب﴾ منقادة لقدرته مطيعة لمشيئته مذللة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها (في أصلاب الأسلاف) إلى أن ساقها إلى مستقرها! "lxxxvi، ولا يملك أحد أن يستوعب كل تفصيلات الإبداع في هذا الوجود والتي أجملها قول العلي القدير: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾! القيامة ٤٠، وأما التفاصيل العلمية التي يستحيل أن يدركها بشر زمن التزييل فهي بعض دلائل النبوة الخاتمة التي تسطع اليوم أمام الناheim.

## الهوامش

- <sup>i</sup> The Developing Human, Keith L. Moore, Fourth ed., 1988, Saunders Comp., Toronto, P: 7-11, 14.  
<sup>ii</sup> Obstetrics and Gynaecology for Postgraduates, Charles Whitfield, 5<sup>th</sup> ed., 1995.  
<sup>iii</sup> Obstetrics and Gynaecology, Tim Chard, 4<sup>th</sup> ed., 1995.  
<sup>iv</sup> Medical Embryology, Jan Langman, 4<sup>th</sup> ed., 1981.  
<sup>v</sup> Human Male Fertility and Semen Analysis, Glover, Barratt, Tyler, Hennessey, 1990.

- vi مجموع الفتاوى ج: ٣٢ ص: ٣٠٥.  
vii تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٩٩.  
viii تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ج٦ ص٤٨٠.  
ix تفسير الثعالبي ج: ٤ ص: ٤٠٣.  
x تفسير النسفي ج: ٤ ص: ٣٣١.  
xi التبيان في أقسام القرآن ج: ١ ص: ٦٤.  
xii إعلام الموقعين لابن القيم ج: ١ ص: ١٤٨-١٤٥.  
xiii فتح القدير ج: ٥ ص: ٤٢٠.  
xiv تفسير القرطبي ج: ٢٠ ص: ٦.  
xv تفسير القرطبي ج: ١٩ ص: ١١٧.  
xvi تفسير أبي السعود ج: ٩ ص: ١٤٢.  
xvii زاد المسير ج: ٩ ص: ٨٤.  
xviii تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٨٠٢.  
xix روح المعاني ج٣٠ ص٩٩.  
xx تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ج٣٠ ص٢٦١.  
xxi مختار الصحاح ج: ١ ص: ٣٢.  
xxii تفسير القرطبي ج: ٢٠ ص: ٦.  
xxiii زاد المسير ج: ٩ ص: ٨٤.  
xxiv تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ج٣٠ ص٢٦١.  
xxv روح المعاني ج: ٣٠ ص: ٩٩.  
xxvi المفردات في غريب القرآن ص٦٧.  
xxvii إعلام الموقعين لابن القيم ج: ١ ص: ١٤٨-١٤٥.  
xxviii كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ج: ١٧ ص: ٥١٢.  
xxix البرهان في علوم القرآن ج: ١ ص: ١٢٤.  
xxx الإيقان ج: ١ ص: ٥٤٨.  
xxxi تفسير القرطبي ج: ٢٠ ص: ٦.  
xxxii تفسير الطبري ج: ٣٠ ص: ١٤٧.  
xxxiii تفسير البغوي ج: ٤ ص: ٤٧٣.  
xxxiv تحفة المولود ج: ١ ص: ٢٧٢.  
xxxv التبيان في أقسام القرآن ج: ١ ص: ٦٤.  
xxxvi تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٩٩.  
xxxvii تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٢٤.  
xxxviii فتح القدير ج: ٥ ص: ٤٢٠.

- xxxix تفسير الثعالبي ج: ٤ ص: ٤٠٣.  
 xl تفسير الطبري ج: ٣٠ ص: ١٤٧.  
 xli تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٩٩.  
 xlii تفسير أبي السعود ج: ٩ ص: ١٤٢.  
 xliii فتح القدير ج: ٥ ص: ٤٢٠.  
 xliv تفسير البغوي ج: ٤ ص: ٤٧٣.  
 xlv الإقتان ج: ١ ص: ٥٤٨.  
 xlvi إعلام الموقعين لابن القيم ج: ١ ص: ١٤٥-١٤٨.  
 xlvi التبيان في أقسام القرآن ج: ١ ص: ٦٦-٦٤.  
 xlviii المحرر الوجيز ج: ١ ص: ٣٩٩.  
 xlix تفسير القرطبي ج: ٢٠ ص: ٧٠٦.  
 l افتتاح القدير ج: ٥ ص: ٣٤٥.  
 li تحفة المولود ج: ١ ص: ٢٧٢.  
 lii تفسير القرطبي ج: ١٦ ص: ٣٤٢ و ٣٤٣.  
 liii فيض القدير ج: ٥ ص: ٣.  
 liv زاد المسير ج: ٣ ص: ١٧٣.  
 lv تفسير القرطبي ج: ٧ ص: ٣١٤.  
 lvi روح المعاني ج: ٢٣ ص: ٤٠.  
 lvii زاد المسير ج: ٣ ص: ٢٨٦.  
 lviii تفسير الواحدي ج: ١ ص: ٤٢٠.  
 lix تفسير البغوي ج: ٢ ص: ٢١٢.  
 lx التبيان في تفسير غريب القرآن ج: ١ ص: ١٠٧.  
 lxi تفسير القرطبي ج: ٢٠ ص: ١٥١.  
 lxii تفسير القرطبي ج: ٥ ص: ١٩٥.  
 lxiii زاد المسير ج: ٧ ص: ٢٢.  
 lxiv تفسير ابن كثير ج: ٢ ص: ٢١٦.  
 lxv المفردات في غريب القرآن ج: ١ ص: ٢٨٤.  
 lxvi زاد المسير ج: ٣ ص: ٢٨٤.  
 lxvii الجلائين ج: ١ ص: ٢٢٠.  
 lxviii تفسير القرطبي ج: ١٠ ص: ٦٨.  
 lxix تفسير القرطبي ج: ١٠ ص: ١٢٥.  
 lxx الثعالبي ج: ٤ ص: ٤٠٢.  
 lxxi الألويسي ٩٧/٣٠.  
 lxxii روح المعاني ج: ١٩ ص: ٣٥.  
 lxxiii الإقتان ج: ١ ص: ٥٥٦.  
 lxxiv فتح القدير ج: ٥ ص: ٤٢٠.  
 lxxv الدر المنثور ج: ٨ ص: ٤٧٦.  
 lxxvi تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٩٩.  
 lxxvii محاسن التأويل للقاسمي ج: ١ ص: ١٢٠.  
 lxxviii تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ج: ٣٠ ص: ٢٦١.  
 lxxix الظلال ص: ٣٨٧٨.

- lxxx القرآن والطب، ط١، ١٤١٦هـ - (١٩٩٥م)، ص٥٧.
- lxxxi تفسير المراغي ج١٠ ص١١٢.
- lxxxii خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ط٥، ١٩٨٤، ص١١٤-١٢٤،  
(الطبعة الأولى عام: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- lxxxiii القرار المكين، ط١، ١٤٠٦هـ - (١٩٨٥)،  
ص١٥٤-١٥٩ و ٢٧٦-٢٨٥.
- lxxxiv البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٢١٣.
- lxxxv تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ج٣٠ ص٢٦١.
- lxxxvi مفتاح دار السعادة ج: ١ ص: ١٩٠.

# حاسة السمع بين القرآن الكريم والعلم الحديث

د. محمود محمد الشورى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

اهتم القرآن الكريم كثيرا بالسمع وقدمه على باقي الحواس وامتن به على الإنسان وفيما يلي بعض مظاهر الاهتمام وملامح الإعجاز في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

### معنى السمع في القرآن الكريم:

تتضمن كلمة السمع في القرآن مدى واسعا من المعاني كما يلي:

٠١ الإحساس بمجرد الصوت بلا فهم كقوله تعالى:

{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ  
عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٣١)}

٠٢ الإحساس بالصوت مع الفهم كما في قوله جل وعلا:

{أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ  
مُحَرِّفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٦٧)}

٣٠٣ الإحساس بالصوت مع الفهم بالإضافة إلى الاقتناع والإيمان والطاعة:

{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٠٣﴾}

{وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِقَائِلَتِنَا فَهُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿٣٠٤﴾}

وهذه المعاني الثلاثة لكلمة السمع تتوافق مع ما هو معروف في علم وظائف الأعضاء من مراحل التعرف على الصوت والتي تتضمن الإحساس *sound perception* والتمييز *sound discrimination* ثم الوظائف العليا الأخرى للمخ والتي تتضمن العواطف والإرادة و التصرفات.

كما فرق القرآن الكريم بين السمع والاستماع والإنصات فالسمع قد يكون بقصد أو بدون قصد أما الاستماع فهو قصد السماع بغية فهم المسموع أو الاستفادة منه وأما الإنصات فهو السكوت والسكون وترك الأشغال بقصد الاستماع. قال تعالى:

{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٠٤﴾}

السمع في الآخرة

يعد سماع التسليم والتحية من الفضل نعيم المؤمنين كقول الله تعالى.

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٣٠٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٣٠٦﴾}



و كما في قول النبي ﷺ عن نعيم أهل الجنة فيما يرويه عن ربه عز وجل:

"أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ"  
 {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ٧

بينما يعد الحرمان من السمع من أنواع العذاب المعدة للكافرين كما في قول الله تعالى:

{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} ٨

## أهمية السمع

ذكر القرآن الكريم وسائل العلم والمعرفة فجعل في مقدمتها السمع ثم البصر ثم العقل

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ  
 وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ٩

وقد ورد ذكر كلمة سمع ومشتقاتها مائة وخمسة وثمانون مرة في القرآن الكريم.

وقد تكرر تقديم السمع على البصر في جميع الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان، بل اكتفت بعض الآيات بذكر السمع والعقل عند الحديث عن وسائل الهداية مثل قوله تعالى:

{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۗ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ بَلْ هُمْ  
 أَضَلُّ سَبِيلًا} ١٠

واكفى البعض الآخر من الآيات بذكر السمع فقط كقوله جل وعلا:

{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿١١٠﴾}

وقد امتن الله تبارك وتعالى على عباده بتعمة السمع بعد نعمة الخلق لعله يشكر نعمة ربه ولا يكفرها

{قُلْ هُوَ الَّذِي أَدْنَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ

١٢ { ١٣ }

وهذا التقديم لذكر السمع على بقية الحواس له دلالة ولا شك في كتاب الله، وقد كان النبي ﷺ يقدم ما قدم الله ذكره في كتابه فبدأ في سعيه بين الصفا والمروة بالوصفا قائلاً "أبدأ بما بدأ الله به" (١٣).

ولعل تقديم ذكر السمع على البصر لكونه أهم منه في عملية التعلم وكم رأينا من كيفية وصل إلى أعلى مراتب العلم أما من ولد أصم لا يسمع فإنه لا يتعلم الكلام ومن ثم لا يكاد يتعلم شيئاً يذكر.

ومن أجل أهمية السمع كان النبي ﷺ يدعو بالمعافاة في بدنه وسمعه وبصره عند نومه واستيقاظه فعن عبد الرحمن بن أبي أنه قال لأبيه: "يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة: اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت، تعيدها ثلاثاً حين تصبح وثلاثاً حين تمسي فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن، فأنا أحب أن أسنن بسنته" 14

كذلك كان من دعائه ﷺ "اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا" 15.

ومع كون المعافاة في البدن تتضمن المعافاة في السمع والبصر إلا أن تخصيص السمع والبصر بالذكر بعد التعميم يدل على الأهمية الزائدة لهاتين الحاستين.

و لعنا نفهم من قوله ﷺ " و اجعله الوارث منا " إشارة إلى أن بعض الناس يصابون بضعف السمع نتيجة التقدم في السن الأمر الذي أشار إليه قوله تعالى:

{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾}

والمعروف علميا أنه يحدث ضعف سمع عصبي مضطرب متماثل في كلتي الأذنين في بعض الناس فوق سن ٦٠ سنة، وهذا الضعف يحدث في أكثر من ثلث البشر فوق ٧٥ سنة.

ولذلك دعا النبي ﷺ الله أن يحفظ عليه سمعه وبصره ويمتعه بما حتى يكون هو الوارث منه أي ألا يفقد حواسه قبل موته بل يموت وهو مكتمل لجميع الحواس.

## نشأة حاسة السمع وتطورها

أما من حيث مراحل النشأة والتكوين فمن المعلوم أن أول حاسة من حواس الإنسان تبدأ و تكتمل في التكون هي حاسة السمع<sup>١٧</sup> حيث يحدثنا علم الأجنة أن بداية تخلق الأذن الداخلية يكون في اليوم الثاني والعشرين من عمر الجنين بينما يكون طوله ١,٥ إلى ٢ ملليمتر فقط وتستمر هذه في النمو حتى تصل إلى كمالها وحجمها النهائي كما هو عند البالغين في منتصف فترة الحمل تقريبا وذلك في الأسبوع ٢٠-٢٢. وبذلك تكون الحاسة الأولى في ابتداء الخلق وفي كمال الخلق.

أما عن كيفية الخلق ففي صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا سجد قال: "اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسَلْتُ. سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَّرَهُ. تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"<sup>(١٨)</sup>

وفي رواية الإمام أحمد "اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسَلْتُ ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ فَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صَوْرَهُ فَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَّرَهُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"

وليس هناك ما هو أبلغ وأخصر من هذه الكلمة (شق) في وصف تخلق الأذن بجميع أقسامها الداخلية والوسطى والخارجية حيث يبدأ الأمر بتكوين صحيفة ثخينة من الأديم الظاهر -الصحيفة السمعية- (*Otic placode*) ما تلبث أن تغطس تحت السطح لتكون الحويصلة الأذنية التي تفقد اتصالها بالسطح لتتمدد وتشكل على هيئة الأذن الداخلية ثم تتم إحاطة هذه الأذن الغشائية بغلاف غضروفي من اللحمية المتوسطة في الأسبوع الثامن عشر وينمو هذا ويتحول إلى عظام حتى يصل إلى حجمه الطبيعي عند البالغين في نهاية الأسبوع الواحد والعشرين. ومن ثم تبدو الأذن الداخلية في النهاية كمجموعة من الشقوق المغفورة بإحكام وعناية في العظم الصخري (*Petrous bone*).

أما الأذن الوسطى فتبدأ بامتداد من الرذب النفيري الطبلي (*Tubotympanic recess*) في قاع البلعوم، ويتمدد هذا الشق مكونا بذلك قناة النفير (*Eustachian tube*) ثم تنفطح نهايته حول عظيما الأذن الوسطى مكونة تجويف الأذن الوسطى.

وأما الأذن الخارجية فهي تتطور من الأخدود البلعومي الأول (*First pharyngeal groove*) وتعمق بتكاثر الأديم الظاهر (*ectodermal plug*) وهذه الكتلة الخلوية تنفتح على هيئة شق لتكون تجويف قناة الأذن الخارجية ويلتقي هذا الشق الخارجي مع الشق الداخلي ويفصل بينهما غشاء الطبلة.

ومن هنا يكون عالم الأجنة عالما صاخبا يسمع فيه الجنين دقات قلب أمه وسريان الدم في عروقه ومرور الطعام في أمعائها ويتعرف على صوتها بل يتعرف على الأصوات الخارجية وإذا تعودت الأم سماع القرآن الكريم أثناء فترة حملها فإن ابنها يستكين وينصت لسماعه بعد ولادته. وقد أمكن تسجيل الإشارات العصبية السمعية المتولدة في الأذن الداخلية والعصب السمعي والمنطقة السمعية في مخ الجنين بآلات التسجيل المخبرية. بل اكتشف العلماء حديثا أن الجنين في بطن أمه يستجيب للموجات فوق الصوتية إذا تعرضت الأم لهذا الفحص أثناء فترة الحمل وذلك بزيادة حركته.

وكذلك تنمو المنطقة السمعية المخية وتتطور وتتكامل وظائفها قبل ميلتها البصرية: لذلك يكون التعلم في المرحلة الأولى من حياة الطفل معتمدا على المعلومات المسموعة فهو يفهم الكلام الذي يسمعه ويدركه ويعبه ثم يحاكيه فيتعلم الكلام في وقت مبكر جدا بالنسبة لتعلمه القراءة والكتابة. (٢٠)

## الأذان في أذن المولود ودلالته العلمية:

ولكون الأذن تكون مكتملة التكوين عند الولادة فقد كان من سنة النبي ﷺ أن يؤذن في أذن الوليد عند ولادته فعن أبي رافع قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة رضي الله عنها. (٢١)

يقول ابن القيم رحمه الله: وسر التأذين - والله أعلم -: أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلحق كلمة التوحيد عند خروجه منها ٢٢، والملفت للنظر في هذا الحديث أمران:

الأول هو التبكير في تلقين الوليد الأذان الذي هو نشيد المؤمن. ليس الوقت مبكرا جدا لهذا التعليم!!!

يولد الطفل بأقل من ثلث قدرة المخ التي يمتلكها الكبير ويعتمد نمو ونضوج الجهاز العصبي في ٧٥% على البرمجة الجينية التي تخلق بها ويبقى ٢٥% من هذا النضج يعتمد على الخبرات المكتسبة بالتعلم ولذلك ينصح العلماء بإحاطة الوليد بيئة غنية بالمؤثرات بداية من الولادة حتى سن السادسة، ففي هذه الفترة يمكن تعديل الخلايا العصبية تركيبيا ووظيفيا اعتمادا على عمرها وكيفية استخدامها.

ومن المعروف أن المخ يتكون من شبكة من الخلايا العصبية. هذه الخلايا تكون فيما بينها شبكة من الاتصالات، وفي كل مرة يتم تنبيه المخ تتكون صلات جديدة بين الخلايا وكلما زادت الصلات زاد التكامل بين الخلايا وهذا يحدد ويؤثر في الذكاء والمهارات الاجتماعية والعاطفية.

وقد بدأت الدراسات الحديثة تركز على البداية المبكرة جدا في تعليم الطفل حتى قبل ولادته في بعض الدراسات. إذن هذا هو الوقت المناسب. وأي شيء هو أهم وأولى من الأذان ليكون أولي مؤثر يدخل هذا الرأس الصغير يقول ابن القيم رحمه الله: " وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر به، مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فليسمع شيطانه ما يضعفه ويفيظه أول أوقات تعلقه به.

وفيه معنى آخر:

وهو أن تكون في دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر عليها سابقة على تخيير الشيطان لها ونقله عنها، وغير ذلك من الحكم.

والأمر الآخر اللافت للنظر في الحديث هو أنه ﷺ أذن في أذن الوليد!!! لماذا لم يؤذن في المكان الذي يوجد به الوليد فيسمعه كما يسمعه الآخرون!!؟

والجواب أنه ومع أن أذن الوليد الآن هي مكتملة النمو إلا أن الجنين في بطن أمه يكون مغمورا في سائل السلي (*Amniotic fluid*) وهذا السائل يوجد في كل تجايف جسمه، بما في ذلك الأذن الوسطى والخارجية مما يؤدي إلى حالة مشابهة للحالة المعروفة بالتهاب الأذن الوسطى الإفرازي والتي تمتلئ فيها الأذن الوسطى بإفرازات مخاطية تؤدي إلى ضعف سمع توصيلي يقدر بحوالي ٢٠-٤٠ ديسيبل ويحتاج الأمر إلى بضعة أيام لتتخلص الأذن من هذه الإفرازات، فيصبح حاد السمع بعد أيام قلائل من ولادته. لذلك فلو أذن المؤذن بعيدا عن أذن الوليد ربما لم يسمعه جيدا فيفقد الأمر معناه.

### حاسة السمع أثناء النوم:

تبقى حاسة السمع تعمل أثناء النوم. وقد دلت الدراسات أن الصوت الأعلى من ٣٥ ديسيبل<sup>٢٣</sup> يمكن أن يوقظ النائم وحتى لو لم يستيقظ النائم بالصوت فإن نشاط المخ الكهربائي يظهر تغييرا في موجات ألفا.

وهناك عوامل أخرى كثيرة تؤثر في إيقاف النائم خلاف الضوضاء منها الحافز والعمر والجنس ووقت دورة النوم ومعنى الصوت نفسه مثل بكاء الطفل أو رنين الجرس<sup>٢٤</sup>.

وهذا يعني أن هناك مستوى من مستويات الوعي يظل موجودا في النوم حيث يتم تفسير الصوت و يستيقظ النائم أو لا يستيقظ تبعاً لأهمية المعنى المسموع.

لذلك لما طعن أمير المؤمنين سيدنا عمر<sup>رضي</sup> غشي عليه فقال بعضهم لبعض إنكم لن تزعموه بشيء مثل الصلاة فنودي: الصلاة الصلاة" فأفاق رضي الله عنه وقال: هاه هاه الصلاة!!! لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة فصلى<sup>رضي</sup> وجرحه يتعب دما<sup>٢٥</sup>. وهذا دليل على أهمية الصلاة عند الصحابة<sup>رضي</sup> وعلى أن عمر<sup>رضي</sup> أفاق من غشيته لما نودي بالصلاة مما يدل على أن الأذن تظل تعمل أثناء النوم والغيوبة وأن المخ يتأثر بالمعنى الذي يسمعه فيستيقظ من النوم أو يفيق من الغيوبة حسب أهمية المعنى المسموع.

لذلك حين أراد الله تبارك وتعالى أن يجعل أصحاب الكهف ينامون ثلاثمائة وتسع سنين ضرب على آذانهم كيلا يستيقظوا.

{ فَضَرَّتْنَا عَلَيَّ إِذْ أَنبَهُم فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٢٦﴾ }

### أثر الضوضاء على الأذن والبدن:

من أدب الحديث خفض الصوت كما في قوله تعالى

{ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ..... ﴿٢٧﴾ }

وربما كان في هذا إشارة إلى الأثر الضار لرفع الصوت على الأذن.

وفي آية أخرى يسمى الله تعالى يوم القيامة بالصاخة حيث قال تعالى:

{ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ ﴿٢٨﴾ }

وهذه الكلمة ذات الحروف الأربعة تدل على أربعة معان: الأول على يوم القيامة عن ابن عباس قال: الصاخة من أسماء يوم القيامة. والثاني كون يوم القيامة يبدأ بصوت والثالث كون هذا الصوت مرتفعا والأخير هو أثر هذا الصوت في أذن من يسمعه وأنه يذهب بسمعة قال القرطبي: و الصاخة: الصيحة التي تكون عنها القيامة، وهي النفخة الثانية، تصخ الأسماع: أي تصمها فلا تسمع إلا ما يدعى به للأحياء. قال الخليل: الصاخة: صيحة تصخ الآذان صخا أي تصمها بشدة وقعها. و أصل الكلمة في اللغة: الصك الشديد.

وربما كانت هذه الآية أول ما عرفه الإنسان عن أثر الضوضاء في الذهاب بسمع الإنسان.

والمعروف أن التعرض للضوضاء يؤدي إلى التعود (*Adaptation*) ثم إذا زاد التعرض في المدة أو الشدة حدث ضعف مؤقت في السمع (*Temporary threshold shifts*) فإن زاد أكثر أدى إلى ضعف مستديم في السمع (*Permanent threshold shifts*).

ومن الناحية التشريحية فإن التعرض للضوضاء يؤدي إلى فقد بعض الخلايا الشعرية المسؤولة عن السمع في الأذن الداخلية وتغيرات في الإمداد الدموي للقوقعة بالأذن الداخلية<sup>٢٩</sup>.

### الإهلاك بالصيحة:

المعروف أن الصوت ما هو إلا شكل من أشكال الطاقة فهو عبارة عن تضاعفات وتخلخلات في الهواء وتستجيب الأذن الطبيعية للصوت طالما كان في مدى معين من الترددات (من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية) و مدى معين من شدة الصوت (من -١٠ حتى ١١٠ ديسيبل) فإذا خرج الصوت عن المدى السمعي للأذن فإنها قد لا تدركه إذا كان في غير الترددات التي تدركها الأذن البشرية وهي المعروفة بالموجات فوق الصوتية أو كان خافتا جدا أو تتضرر منه إذا كان عاليا جدا فتصاب بضعف سمع عصبي كما أن الضوضاء لها تأثيرات على أجهزة الجسم الأخرى مثل الجهاز العصبي فيصاب الإنسان بالإجهاد والضييق والتوتر العصبي وعدم التركيز ويؤثر على القلب والجهاز الدوري فيصاب الإنسان بسرعة النبض وارتفاع ضغط الدم وتزايد هذه التأثيرات بتزايد شدة الصوت ومدة التعرض له حتى تصل إلى ذروتها في الانفجارات المصاحبة للقبائل الكبيرة حيث يؤدي الصوت الشديد إلى معظم الإصابات وذلك لما يطلقه من طاقة عظيمة جدا في وقت قصير جدا يتبدد جزء من هذه الطاقة على صورة حرارة عالية جدا يمكن أن تصل إلى ٤٠٠ درجة مئوية والجزء الآخر يطلق على هيئة زيادة في الضغط يمكن أن يصل إلى بضع مئات من الضغط الجوي، حتى إن هذا الضغط الشديد والمتنشر خلال الأرض يمكنه أن يحدث رجفة مشابهة للزلازل ذات المدة القصيرة ومن هنا عبر القرآن العظيم هنا تارة بالصيحة وتارة بالرجفة، هذه الطاقة الهائلة يمكن أن تدمر الأعضاء الرئيسية والأوعية الدموية وإلى انفجار في الرئتين يصاحبه توقف للقلب والدورة الدموية مما يؤدي إلى وفاة الإنسان والقرآن الكريم قد سبق كل المعارف البشرية - حين قرر إهلاك بعض الأمم بالصيحة كما في قوله تعالى:

{ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ }<sup>٣٠</sup>



والتأمل في الآيات التي ذكرت هلاك بعض الأقوام بالصيحة يعجب من دقة الوصف لوسيلة العذاب ولأثرها على المعذبين.

أذن الخير ﷺ:

ويبقى الشرف العظيم للأذن حين وصف الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بأذن الخير عندما أراد المنافقون أن يؤذوا رسول الله ﷺ فقالوا عنه: هو أذن أي سماع لكل قول يجوز عليه الكذب والخداع ولا يفتن إلى غش القول وزوره، من حلف له صدقه ومن دس عليه قولاً قبله فأخذ الله كلامهم ليجعل منه رداً عليهم:

{ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلٌّ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ

بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ

هُمُ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٣١﴾

نعم هو أذن الخير للناس يستمع إلى الوحي ثم يبلغه لكم وفيه خيركم وصلاحكم، وأذن خير يستمع إليكم في أدب ولا يجبهكم بنفاقكم ولا يرميكم بخداعكم ولا يأخذكم بريائكم.

يؤمن بالله فيصدق كل ما يخبره به ويؤمن للمؤمنين فيطمئن إليهم ويتق بهم، لأنه يعلم منهم صدق الإيمان الذي يعصمهم من الكذب والالتواء والرياء ورحمة للذين آمنوا منكم يأخذ بيدهم إلى الخير ويبعدهم عن الشر والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وهي غيرة من الله على رسوله ﷺ أن يؤذى<sup>٣٢</sup>.

## الهوامش

- 1 (سورة البقرة ١٧١)
- 2 (سورة البقرة ٧٥)
- 3 (سورة الأنعام ٣٦)
- 4 (سورة الروم ٥٣)
- 5 سورة الأعراف ٢٠٤
- 6 (سورة الواقعة ٢٥-٢٦)
- 7 (متفق عليه)
- 8 (سورة الأنبياء ١٠٠)
- 9 (سورة النحل ٧٨)
- 10 (سورة الفرقان ٤٤)
- 11 (سورة الأنعام ٣٦)
- 12 (سورة الملك ٢٣)
- 13 (أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه)
- 14 (رواه أبو داود والحاكم في المستدرک وصححه السيوطي.)
- 15 (رواه الترمذي وقال حديث حسن)
- 16 (سورة يس ٦٨)
- 17 (Wright 1997)
- 18 (Moore 1988)
- 19 (أخرجه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه وأحمد وأصحاب السنن.)
- 20 (أ.د. صادق الهلالي مقال بعنوان "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر والفؤاد" مجلة الإعجاز العلمي العدد ٩ ص ٦)

- 21 (رواه أبو داود و الترمذي و قال حديث صحيح)
- 22 (ابن القيم تحفة المودود بأحكام المولود ص ٣٨ ط المكتبة العصرية)
- 23 (وحدة شدة قياس الصوت)
- 24 (Cantrell 1975)
- 25 (صحيح رواه مالك في الموطأ ورواه عبد الرزاق عن المسور بن مخرمة ورواه المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة.)
- 26 (سورة الكهف ١١)
- 27 ( سورة لقمان ١٩ )
- 28 (سورة عبس ٣٣)
- 29 (Alberti 1987)
- 30 (سورة يس ٢٩)
- 31 ( سورة التوبة ٦١ )
- 32 (سيد قطب في ظلال القرآن ج٣ ص ١٦٧٠ ط دار الشروق.)



# المعجزة العلمية في:

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى). آل عمران ٣٦

د. عبد الوهاب الراوي



هذا البحث جديد في محتواه والمراجع التي استندت إليه. كان المعتقد ماضياً بأن عدم المساواة بين المرأة والرجل يعود إلى اللا تماثل في بدنهما؛ في حين اكتشف العلم الحديث بأن اللا تماثل قائم بين دماغيهما أيضاً!

يتصل البحث مبدئياً في المعجزة العلمية في الآية الكريمة: .. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى. آل عمران ٣٦؛ على حين يمكن أن تنسحب على هذه المعجزة معجزتين أخريين: لشهادة امرأتين أساس علمي بيولوجي، لتعدد الزوجات أساس علمي بيولوجي.

### فاتحة:

لثلاث السنين لم يكن للمرأة حظاً كبيراً لمشاركة الرجل في العمل؛ ولكن في القرن الثامن عشر ميلادي تبلورت حركة الديمقراطية وحركة مساواة المرأة بالرجل في أوروبا وأمريكا. فتصاعدت صيحات واسعة النطاق بأن موقع المرأة ليس البيت لإدارة الأسرة حسب؛ إنما في مواقع أخرى من المجتمع تشترك فيها مع الرجل على حد سواء، بحيث اشتدت تلك المناذاة في دول أوروبية إلى درجة حلت المرأة محل الرجل في العمل، فانعكست الصورة فصار موقع بعض الرجال البيت وموقع غالبية النساء العمل! ولست أتحدث في هذا المقام عن معالجة مسألة مساواة المرأة بالرجل من حيث الواجبات والحقوق؛ إنما أقدم ثوابت علمية حديثة العهد على أن المرأة كائن آدمي من نوع الرجل كائن آدمي من نوع آخر. وتبين نتيجة الدراسات الحديثة بأن المرأة تختلف عن الرجل ليس في بنية الجسد؛ إنما في بنية الدماغ أيضاً؛ وعليه، لا يمكن إحلال المرأة مكان الرجل في أي عمل كان؛ بل للمرأة مقدرات واستعدادات تؤهلها للقيام بدور في الحياة خاص بها، وللرجل مقدرات واستعدادات تؤهله للقيام بدور آخر في الحياة خاص به: فمطلب مساواة المرأة بالرجل كذبة بيولوجية!

لعلك تجد في عدة دراسات وبحوث تفاصيل اختلاف الجنسين في الخصائص الجسدية، لأنها اختلافات موجودة وليس لأحد إنكارها. ورغم الاختلافات الجسدية الواضحة بين الجنسين، ظلت صيحات المساواة بين المرأة والرجل جارية بل متقدمة يوماً بعد يوم، ينادي بها خاصة سياسيون واجتماعيون كورقة رابحة لمواقفهم. على حين كشف لنا البحث العلمي مؤخراً حقيقة ناصعة جديدة هي أن الذكر

والأنثى من الناحية البيولوجية غير متساويين، حيث أحدث هذا المكتشف طفرة نوعية حول التباين بين الرجل والمرأة: فتبين أنهما ليسا مختلفان في الخصائص البيولوجية الجسدية حسب؛ إنما في الخصائص البيولوجية العقلية أيضاً، والتي من شأنها تقرير أنماط سلوك كل من الجنسين في مختلف مجالات الحياة، حتى أن المكتشفات العلمية الحديثة أظهرت أن دماغ الأنثى أقل وزناً من دماغ الذكر، حيث يزن دماغ الأنثى في المتوسط ٤٤ أونس، أو ما يعادل ١٢٤٥٢٢ غرام؛ بينما يزن دماغ الذكر في المتوسط ٤٩ أونس، أي ما يعادل ١٣٨٦٧ غرام: هذه البحوث المتطورة حديثة العهد لم تظهر إلى الوجود سوى في العقود الثلاثة الأخيرة: فباحثون أطباء، علماء، نفسانيون، اجتماعيون، عملوا على تقديم مجموعة نتائج كونت معاً صورة متساوقة لافتة النظر عن اللاتماثل بين الجنسين من حيث بنية الدماغ: فأفرزت بجهودهم أدلة قوية على الاختلاف الحاصل بين بنية دماغ المرأة وبنية دماغ الرجل من ناحية، وبين عمليات تفاعل الهرمونات مع دماغ المرأة وعمليات تفاعل الهرمونات مع دماغ الرجل من ناحية أخرى، حيث يأخذ هذا الاختلاف مأخذه من بداية حياة الإنسان، في الجنين وهو في رحم أمه. وبكلمة مقتضبة، تبين أن دماغ الرجل مصمم للتعامل مع معلومات بصرية ومكانية وللتعليل في الرياضيات أي في التحليل والتنظير، ويتميز بالتركيز في وقت ما على أمر واحد؛ أما دماغ المرأة فمصمم للتعامل مع مهارات متضمنة تفاصيل، طلاقة شفوية، نشاطات تعاقبية متوالية، نشاطات اجتماعية أليفة، ويتميز بالتفكير في وقت ما على عدة أمور، أي التشتت في التفكير. فلا تلم أصحاب دعوة المساواة بين المرأة والرجل لأنهم لا يعرفون السر البيولوجي مسبب التباين بين المرأة والرجل: إن

الهرمون المسمى هرمون الذكورة التستوسترون **Testosterone**، هو المسبب الرئيس للاختلافات البيولوجية بين الجنسين: فالرجل خلق ليحمل هرمون التستوسترون عشرة أضعاف الذي تحمله المرأة! واعلم أن هذا المكتشف العلمي الباهر كان نتيجة دراسات علمية عديدة؛ على حين جاء متأخراً طويلاً عما أخبرنا به الله تبارك وتعالى في قرآنه العظيم قبل ثلاثة عشر قرن وبإيجاز شديد بكلمات ثلاث فقط حول هذا التباين بين الجنسين في الآية ٣٦ من سورة آل عمران، حيث سيأتيك معنى هذه الآية الكريمة في هذا البحث:

.. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى. آل عمران ٣٦



إن هذا الحدث العلمي المدهش من شأنه أن يُغضب الداعين إلى المساواة بين المرأة والرجل، فيتذرعون بكون الفوارق من نتائج مؤثرات اجتماعية متخلفة طالما تذرعوها بها. ولكن فليعلم أولئك بأن الفوارق البيولوجية بين الجنسين جبلية سَلِيقِيَّة، حتى أنه في الساعات الأولى بعد الولادة تختلف حركات طفلة عن حركات طفل. إذن تأثير المجتمع على سلوك كل من الطفلين ليس بهذه السرعة من الحضور. وليس المجتمع هو الذي يجعل من أبصار امرأة أكثر حساسية لموجات الطيف الطويلة؛ وليس المجتمع الذي يَمَكِّن أنثى بعمر أسبوع (وليس ذكر) من تمييز صوت صُراخ طفل أو ضوضاء بنفس الجهارة: وإجمالاً من جهة الحواس، ليس المجتمع الذي يجعل المرأة أكثر حساسية من الرجل إلى الأبصار، الصوت، المذاق، اللمس. ولم يكن المجتمع حاضراً لجعل الأطفال الذكور عكس الإناث يفضلون الاتصال بأشياء عن الاتصال بأفراد. وفوارق بيولوجية عديدة أخرى سيجيء سردها، أوجدها تعالى في كلا الجنسين لحكمة عميقة لا يستوعبها أحد سوى أولو الألباب.

### تباين الذكر والأنثى بحسب العلم الحديث:

وأظنك مستعجلاً لتعرف الاستنتاج الأخير الذي توصل إليه العلماء في هذا المقام؛ فمن جراء التباين الجوهري في الدماغ وعمليات الهرمونات لكل جنس، يمكن القول في مطلع هذا البحث بأن الفوارق بين الذكر والأنثى تبدأ في رحم الأم وتظهر للعالم منذ الولادة: فتأمل إذاً كيف تطرح الباحثة آن موا التفاوت بين الذكر والأنثى في كتابها الحديث "جنس الدماغ Brainsex":

"إنها إحدى القصص الأسرة للحياة والخلق؛ قصة مطوية على نطاق واسع؛ ولكن الآن وأخيراً بدأت تتجلى في كليتها .. نحن نعرف أن الجينات تحمل مخططاً مرموزاً لخصائصنا في الحمض النووي D.N.A، التي تجعل منا ذكراً أو أنثى. فأي خلية مجهرية من جسم رجل تختلف عن أي خلية مجهرية من جسم امرأة؛ لأن كل خلية من كياننا لها مجموعة مختلفة من الكرموزومات من داخلها، متوقفاً على كوننا ذكراً أم أنثى."

فالذكر والأنثى مختلفان في كل خلية من كياننا: فمن البحوث العلمية الحديثة في هذا المقام بحث في غاية الأهمية ورد في الفصل الخامس عشر بعنوان "التفاوت بين الذكورة والأنوثة" من كتاب أريك جنسين **Eric Jensen** لسنة ١٩٩٥، والذي استند في بحثه بالإضافة إلى معارفه الشخصية، إلى عدد غير قليل من خبراء علم الوراثة، علماء الجهاز العصبي، اختصاصيين في طب الجهاز العصبي، ونحوهم. وبحث آخر بعنوان "الفوارق بين الجنسين" في الفصل السادس من وضع أليانور ماكوي **Eleanor Maccoby** في كتابها التطور الاجتماعي **Social Development** لسنة ١٩٨٠ – كلا الباحثين أساتذة في جامعات أمريكية. أضف إلى ذلك، بحثان رائعان قدمتهما آن موان **Anne Moir** وهي معروفة بشغفها في البحث عن الفوارق بين الجنسين، حيث قدمت بالاشتراك مع ديفيد جيسيل كتاباً في هذا الشأن سنة ١٩٩١ بعنوان "جنس الدماغ **Brainsex**"، وفي سنة ١٩٩٩ ألقت كتاباً جديداً آخر بعنوان "لماذا الرجال لا يكونون **Why Men Don't Iron**" الذي يبحث أيضاً في حقائق الفوارق بين الجنسين.

وأقدم لك هنا الذي توصل إليه أريك جنسين بشأن الفوارق بين الذكر والأنثى، مع تعزيزات مناسبة مما طرحه مؤلفون آخرون. فبعد بحث مجهد طويل مع الاستعانة بأراء عدة علماء في الوراثة والأعصاب، تمكن أريك جنسين من تنظيم وتقديم سبعة فوارق تفاضلية مركزية بين ذكر وأنثى من حيث تركيب الدماغ البيوي وعملياته:

## الفوارق بين الذكر والأنثى

Male Hormones Bias on Sexuality	١. تعيين الهرمون الذكري الأستوستورن لجنس الدماغ
Male & Female Brains Develop Differently	٢. التفاوت بين تطور دماغ الذكر والأنثى
Male & Female Brains Structurally Different	٣. دماغ الذكر والأنثى مختلفان بنيوياً
Males & Females Process Input Differently	٤. تباين تعامل دماغ الجنسين مع المعارف المستلمة
Males & Females Differ in Jobs Performance	٥. اختلاف مقدرة الجنسين لتأدية الأعمال
Female Brains Built for Multi-Tasking	٦. دماغ الإناث مبني لأعمال متعددة في آن واحد
Optimal Monthly Learning Cycle	٧. تقلب نشاط ومزاج المرأة خلال دورة الطمث

## ١ - الهرمون الذكري التستوسترون وتعيين جنس الدماغ:

الهرمون الذكري التستوسترون **Testosterone** أو هرمون منشط الذكورة هو المؤثر الأكبر على الدماغ وبقية الجهاز العصبي المركزي: فيقوم بدور تحديد جنس الدماغ ابتداء من طور الجنين في رحم أمه وحتى تدفق هرمونات الحلم في سن البلوغ. تتحدد مستويات الجنس لدماغ الجنين نسبة إلى كمية هذا الهرمون في الرحم، والذي أصلاً تفرزه الخصية، وبهذا تلاحظ مرة أخرى أولوية الرجل على المرأة في تحديد نمط جنس الدماغ والبدن للجنين. وبالتالي تتحدد الاختلافات في السمات العقلية بين الجنسين: كمنط الإدراك، القابلية والاستعداد، الاهتمام والولوع، ونحو ذلك<sup>٥</sup>. قام عالمي الوراثة موا **Moir** و **Jessel** بإجراء ٦٥ دراسة حول الدور الذي يقوم به هرمون التستوسترون في تحديد الجنس، إذ أعطت تلك الدراسات برهاناً حاسماً على أن هذا الهرمون هو المفتاح في تطور جنس الدماغ إلى ذكري أو أنثوي. ففي الأسبوع السادس الذي يلي الحمل، يتحدد نهائياً نوع الجنس بكمية الهرمون الذكري التستوسترون في الرحم. فإذا كانت المضغة أنثى (**XX**) ولا تتعرض لكمية كبيرة من هذا الهرمون في الرحم، فسيكون الجنين أنثى من حيث المظهر والدماغ معاً. أما إذا تعرضت المضغة الأنثوية إلى كمية قليلة من هذا الهرمون، فستكون النتيجة بدن أنثوي بدماغ ذكري. على حين يؤدي تعرض المضغة إلى كمية كبيرة من الهرمون الذكري إلى أن يكون بدن الجنين ذكراً ودماغه ذكراً أيضاً حتى ولو كانت الكروموسومات أصلاً أنثوية **XX**، ذلك بإطلاق هذا الهرمون "تعليمات" إلى بدن الجنين بعدم تطوير جهاز تناسلي أنثوي.

وينسحب على هذه الظاهرة حال الشاذ جنسياً من الرجال والنساء، حيث يتباينون في السلوك من جراء مقادير الهرمونات التي تؤثر على الجنين: فتلاحظ من سلوك رجل شاذ، أي مشتهه النظر أو اللواط، والذي يحمل مستوى أقل من هرمون التستوسترون، ميال إلى أو مشابه لسلوك الإناث أكثر من الذكور: فسلكه أقل عدوانية ومغامرة، دماغه مهيباً لأداء أعمال متعددة، نزاع لاكتساب مهارات التآلف الاجتماعي وتنشئة ورعاية الآخرين، كما هو الحال في نزعات و ميول الإناث. وعلى العكس، فتلاحظ من سلوك امرأة شاذة، أي المساحقة أو مشتهية النظر، والتي تحمل مستوى أعلى من التستوسترون، ميالة إلى أو مشابه لسلوك الذكور أكثر من الإناث: فيميل هذا النوع من النساء إلى القيام بأعمال بدنية، سلطوية، تقنية، ونحو ذلك من ميول الرجال في الأعمال.

فهرمون التستوسترون المفتاح في تطور دماغ أي من الجنسين إلى دماغ ذكري أو دماغ أنثوي أو ما بين الجنسين: فتجد نساء ذوات دماغ ذكري لارتفاع هذا الهرمون عندهن عن المستوى المعتدل. فكانت هناك حالات محدودة من نساء من هذا الطراز ممن تفوقن استثنائياً على الرجال في بروزهن في مناصب الإدارة العليا، أو على المسرح السياسي ثم قيادتهن دول ذات شأن؛ ولكن كانت نسبة هذه الحالة في التاريخ الحديث جزئية استثنائية إلى نسبة الرجال: فيوجود استثناء يثبت وجود القاعدة، والمنطق القياسي لا يسمح باستخراج قاعدة من حالات استثنائية جزئية، أو تعليل حالات عادية باستخدام حالات فوق عادية. فمن أمثلة النساء اللاتي برزن استثنائياً على المسرح السياسي في التاريخ: نفرتيقي (١٣٨٠-١٣٦٦ ق م) التي تمتعت بتفوق سلطوي استثنائي وراء زوجها الفرعون إخناتون، والتي ساهمت بنشاط متميز في حركة الإصلاح الديني الذي فرضه زوجها؛ جان دارك (١٤١٢-١٤٣١ م) بطلة قديسة فرنسية زادت عن بلادها ضد الإنكليز خلال حرب المائة سنة، أتمت أخيراً بالهرطقة فأحرقت على وتد في روان؛ بينازير بوتو ترأست دولة باكستان سنة ١٩٨٨؛ مارجريت ثاشر رئيسة وزراء المملكة المتحدة لثلاث دورات من سنة ١٩٧٩ لغاية ١٩٩٠، **HAUGHTON: 4, 11**. فليس من المنطق القياسي إذن القول من الممكن رئاسة امرأة لأي دولة لأن السيدة ثاشر ترأست حكومة بريطانيا. على حين الولايات المتحدة الأمريكية وهي دولة عظمى متميزة في التحرر والديموقراطية وأبواب مسرحها السياسي مفتوحة لأفضل الفرص أمام كلا الجنسين، كان رؤساؤها الـ ٤٣ رجالاً على مدى تاريخها المائتين سنة!

في بداية الملاحظة العلمية للدور الذي يقوم به الهرمون الذكري التستوسترون في تحديد جنس الجهاز التناسلي للجنين، كان العلماء في حيرة يتساءلون: لماذا الأسبقية العالية المعطاة إلى تنظيم وتطوير الجهاز التناسلي في الدور الجنيني؟ مع إن الجهاز التناسلي لا يقوم بوظيفة التناسل إلا بعد سنين عديدة. ولكن تبين لعلماء الأجنة أخيراً بأن العجالة في تكوين واكتمال الجهاز التناسلي في الدور الجنيني ببساطة ليس الهدف النهائي؛ إنما للجهاز ذاته وظيفة أخرى تبدأ مباشرة بعد ولادة الجنين الذكر، الذي يحمل دماغ

(أفئدة) غير متطور: فيباشر الجهاز التناسلي ذاته للطفل الذكر بإنتاج كميات كبيرة من الهرمون الذكري التسببوترون لدفع عجلة تطوير دماغه إلى دماغ ذكري، ويستمر إنتاج الهرمون الذكري في أطوار الطفولة فالصبا فالراهقة، من أجل اكتمال تطور الدماغ أو القوى العقلية أو "الأفئدة" تسمية القرآن الكريم. "وتدفع الهرمونات في النهاية الرجال إلى سلوكية العدوانية والمغامرة وإعطائهم مزيداً من الثقة والتركيز والعزم، وتدفع النساء إلى سلوكية ومزاج لا عقلائي متأرجح وإلى تنظيم وإدامة علاقات قوية مع الناس حولهن". Moir & Jessel 180-181.

٢ - التفاوت بين تطور دماغ الذكر والأنثى:

أظهر البحث العلمي الحديث التفاوت في تطور الدماغ بين الجنسين خلال السنين الأولى من عمر الطفل (من الأشهر الأولى وحتى سن الخامسة): فتبين في تجربة أجريت على ٢٠٠ طفل أن دماغ البنين يتطور أسرع من دماغ البنات في التخصص وفي القدرة على إنجاز أعمال ذات طابع مكاني spatial ability. وأظهرت التجربة فيما يتعلق باللغة أن البنات تتفوق على البنين في تعلمها، كما تتعلم البنات اللغة أبكر من البنين. وعلى وجه العموم، البنين أبطأ من البنات في فهم اللغة واستعمالها Maccoby 210. وأظهرت دراسة أخرى أن البنات أقل استعداداً من البنين في تعلم واستيعاب الرياضيات في مستويات عليا من الدراسة، لذلك وجد المعدل ١٣ ذكور إلى ١ إناث في صفوف الدراسات العليا للرياضيات الأمريكية. والتباين ليس في تطور الدماغ بين الجنسين حسب؛ إنما في التحلل خلاياه أيضاً: فدماغ الإناث يمتد أطول عمراً من الذكور في المطاوعة أو اللبونة Plasticity، أي بقاء دماغ الإناث مفتوحاً للنمو والتغير لسنين أكثر في النساء من الرجال. ويسبق الذكور الإناث في التحلل أو تفسخ الخلايا العصبية بعشرين سنة، على الرغم من أن معدل فقدان تلك الخلايا أعظم في الإناث منه في الذكور Jensen 285.

والبنون المراهقون أكثر بدانة من البنات، ذلك لأن الجزء المعني من دماغ البنين أكثر تطوراً آتخذ منه في البنات؛ على حين جزء الدماغ المعني بمهارات التفاعل الاجتماعي هو أكثر تطوراً في البنات من البنين، حيث يقوم ذلك بدور هام من حياة المراهقات. ولذلك لوحظ نتيجة ملاحظات تجريبية أن الأطفال الإناث يفضلون اللعب مع رفيقائهم؛ بينما الأطفال الذكور تفضل اللعب مع أشياء. أضف إلى ذلك الذي

أثبتته تجارب نفسانية بالملاحظة، تبين أنماط العلاقة مع الوالدين بين البنين والبنات: فالبنين أكثر مقاومة وتحدي لأساليب الوالدين للتربية والتشئة، وهم أكثر إلحاحاً في مطالبهم من الوالدين، لذلك يسود غالباً أسلوب الضبط والتأديب على علاقتهم مع الوالدين؛ بينما لوحظ أن البنات أكثر مطاوعة لتربية وتنشئة الوالدين، وأكثر قناعة بعباء الوالدين، لذلك تتصف علاقتهن مع الوالدين بالتفاعل المتبادل وبالمشاركة في النشاطات بخاصة مع الأم **Maccoy 222**.

٣ - دماغ الذكر والأنثى مختلفان بنيوياً:

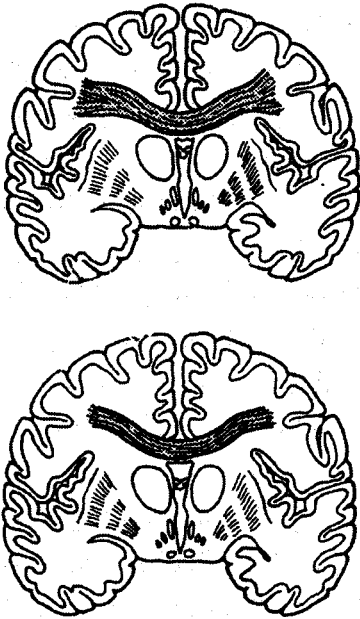
تمكنت مجموعة من علماء الجهاز العصبي في أمريكا بعد سنين من البحث من التوصل إلى استنتاجات عميقة: فتبين أن دماغ الذكر ودماغ الأنثى مختلفان ليس من حيث أداء عمليات عقلية حسب؛ إنما هما مختلفان بوضوح أيضاً من حيث بنيتهما. وأضيفت إلى بحوث أمريكيان للجهاز العصبي بحوث كنسدين أمثالاً ستيوارت من جامعة كونكورديا بمونتريال وكولب من جامعة ليبريدج في ألبرتا، جميعهم اتفقوا على أن بنية الدماغ تأخذ خطوطاً متباينة بين الذكر والأنثى منذ الأيام الأولى من حياتهما، إلى أن تظهر بكل وضوح عند بلوغ سن الرشد **Jensen 288**. فتفسر هذه الفوارق البيولوجية بجلاء العمليات المنهجية المختلفة التي يقوم بها كل من دماغ الذكر والأنثى. فدرجة التركيز **Concentration** أو عكسه التشتت **Dispersion** في التفكير للدماغ المرأة والرجل مختلفين فيما يتعلق بأداء عمل ما: فالرجال يركزون على أداء عمل معين، ولا يصرف انتباههم عن ذلك معلومات طارئة أو زائدة؛ عكس النساء، فقابلية التركيز أقل منها في الرجال، فيغلب التشتت على تفكيرهن. وثبت لعدة باحثين نفسانيين أن الرجال يفوقون النساء في القابلية المكانية، أي المكان جزء هام من أداء الأعمال، فتبين لهم أيضاً أن هذه القابلية عند النساء يسيطر عليها جانبي الدماغ معاً مما يزيد درجة التشتت ويقلل من درجة التركيز مما يزيد من درجة النسيان، لذا تجد مثلاً مهندسات معماريات أقل من الرجال! فاخلاصة إذن دماغ الرجل يعطيه قابلية متميزة على المرأة في التركيز على الشيء المراد إنجازَه؛ بينما دماغ المرأة لا يساعدها كثيراً على التركيز بل التشتت في الأفكار!

دماغ الرجل أكثر تخصصاً من دماغ المرأة: فيختص الجانب الأيسر من دماغ الرجل كلياً في السيطرة على قدرات الفعل؛ بينما يختص الجانب الأيمن في السيطرة على قدرات الأبصار. أما المرأة، فكلتا الجانبين من دماغها ينشغلان في التعامل مع كافة المسائل. وبتعبير آخر، تتصف عمليات دماغ الرجل بالتخصص والتركيز؛ مقابل عمليات دماغ المرأة تتصف بالتنوع والانتشار أو التشتت. ومن الجدير بالذكر مكتشف العالمة النفسانية دورين كيميورا والذي أيده علماء آخرون، ذلك بأن وظائف الدماغ ذات العلاقة بميكانيكية اللغة من قواعد وقهجنة وتلفظ، يختلف تنظيمها في الرجل عن المرأة: فموقع هذه الوظائف عند الرجل في أمام وخلف الجانب الأيسر من الدماغ؛ بينما موقعها عند المرأة منحصر ومتمركز في أمام الجانب الأيسر من الدماغ حسب: ولذلك تعلق هذه الحقيقة العلمية تفوق النساء على الرجال في ميدان إتقان اللغة وقواعدها. وأيد هذه النتيجة دكتور سالي شايويتز بتجاربه في جامعة ييل Yale بأمریکا<sup>١١</sup> Moir & jessel 43-45,120. ومن الفوارق البنيوية بين دماغ الذكر والأنثى الوزن: فيزن دماغ الذكر في المتوسط ٤٩ أونس، أي ما يعادل ١٣٨٦٫٧ غرام؛ بينما يزن دماغ الأنثى في المتوسط ٤٤ أونس، أو ما يعادل ١٢٤٥٫٢ غرام Jensen 286.



## الجسم الجاسئ:

وثمة فرق بنيوي أساس آخر اكتشف بعد اختبارات على ١٤ امرأة أجراها علماء أعصاب، يتعلق بالجسم الجاسئ Corpus Callosum، وهو كتلة ألياف عصبية موصلة تربط شطري الدماغ نصف الكرويين: فتبين اختلاف واضح في هذا الجسم الموصل عند دماغي الجنسين: ففي الإناث (الصورة المقابلة العليا) هو أوسع وأكثر انتفاخاً ووزناً وبصلي الشكل منه في الذكور (الصورة المقابلة السفلية)، حيث يعمل على نقل وتبادل معلومات مروراً بين نصفي الدماغ بكميات أكبر في الإناث مما في الذكور. هذا الفرق البنيوي بين دماغي الإناث والذكور من شأنه أن يمد قدرات واستعدادات إضافية للإناث، وينقصها قدرات أخرى: فيجعل هذا الفارق الأساس المرأة أكثر طلاقة ووضوحاً من الرجل في التعبير الملفوظ، يساعدها في أعمال تتطلب التقريب بين يديها والتنسيق بينهما كما في الحياكة والتطريز وأعمال



الجسم الجاسئ (في الأنثى أعلى) والذكر (أسفل)

مرلية. على حين ينقصها القدرة على التركيز في الأداء، الذي يُعزى إلى الانتشار والتشتت في أفكارها. كما يعزز ازدياد سمك ووزن الجسم الجاسئ قابلية المرأة على الربط الذهني بين الأشياء والأفكار، وعلى الإدراك والتواصل بصيغ ملفوظة ممزوجة بانفعالات ومشاعر: هذا الفرق ربما يدلنا على مفتاح سر غامض للمرأة هو تفوقها على الرجل في الحدس أو البديهة! ولما كان الجسم الجاسئ أشبه بجسر يحمل

معلومات مارة بين شطري الدماغ، فيجعل هذا الجسر دماغ المرأة وكأنها "يتكلم مع ذاته **Talk to itself**" بدرجة أعلى من دماغ الرجل، حيث يحدث التحوار التلقائي لدماغ المرأة خلفية مشوشة لا سيطرة لها عليها، مما يجعل الانتشار أو التشتت خاصة لتفكيرها، ويعيقها من التركيز على تأدية عمل واحد في آن واحد. وهناك فوارق بنيوية أخرى بين دماغي الذكر والأنثى عبرت عنها عالمة الأعصاب كيميورا **Kimura** بقولها: "عند اعتبار الفوارق مجتمعة، تعطينا بيناتنا بأن أدمغة الرجال والنساء كانت انتظمت على خطوط مختلفة منذ السنين الأولى من العمر."<sup>4</sup>

٤ - تباين تعامل دماغ الجنسين مع المعارف المستلمة:

يتعامل الدماغ مع معارف مستلمة بواسطة الإدراك الحسي والذي مصدره الحواس الخمس: فتبين للباحثين أمثال جاريه **Garai**، شينفيلد **Sheinfield** ومكجي **McGee** أن دماغ الأنثى مختلف تماماً عن دماغ الذكر من حيث الإدراك الحسي **Sensory perception**: وإليك موجز للفوارق بين الذكر والأنثى عن هذا الجانب: السمع: تتفوق الإناث على الذكور في حاسة السمع، بما يعادل الضعف تقريباً. ولذلك تجد الأطفال الإناث يتعلمن النطق قبل الذكور. كما تتعلم الإناث اللغات أسرع من الذكور بسبب تفوقهن في السمع وفي الذاكرة اللفظية **Verbal memory**، لذلك ثلاث أرباع طلاب اللغات الأجنبية في جامعات أمريكا هم من الإناث. الإبصار: يتفوق الذكور على الإناث في الإبصار لمسافات بعيدة وفي الإدراك البصري العميق. إبصار الذكور في النهار أفضل من الليل؛ وإبصار الإناث في الليل أفضل من النهار. وتتفوق الإناث في "الأبصار الحولي أو المحيطي **Peripheral vision**، أي الإبصار ما حول الشيء المرئي، الذي يعينها على تقدير المسافات بدقة. ومن ذلك يمكن القول أن هذا التفوق في الإبصار الليلي والحولي يعين الأم على رعاية أطفالها ليلاً. وتتفوق الإناث على الذكور في الذاكرة التصويرية، لذلك هن أعلى قابلية في التعرف على وجوه وأسماء الآخرين **291 : Jensen**. اللمس: اللمس اليدوي عند الإناث أكثر حساسية وانتشاراً من الذكور، ويظهر ذلك منذ الولادة، لذلك يتفوقن على الذكور حدقاً وبراعة في إنجاز أعمال يدوية دقيقة **208 Maccoby**. ويشعرن بالألم أسرع من الذكور؛ ويتحملن لمدة أطول منهم. الشم والنذوق: للنساء حاسة شم أقوى من الرجال، وهن أكثر حساسية للرائحة والعبير ولأي تغير رقيق فيهما. إذن يظهر من هذا الفوارق الحسية أن الذكور في عالم والإناث في عالم آخر، والله سبحانه خلق المرأة وزودها بحواس أقوى نسبياً من حواس الرجل، لتمكنها من أداء وظائف الأمومة وأخرى مولية رقيقة دقيقة.

٥ - اختلاف مقدرة الجنسين لتأدية الأعمال:

الباحثة كيمورا Kimura رائدة منذ عدة سنين في البحث عن الاختلافات البنيوية والوظيفية بين الجنسين. ومن بحوثها الفوارق التي تجعل أحد الجنسين قادرًا على تأدية أعمال أكثر تفوقاً من الجنس الآخر. فوجدت كيمورا ان الإناث يتفوقن على الذكور في الإنجاز في المجالات التالية: الأعمال الدقيقة والتنسيق الحركي الدقيق **Fine-motor co-ordination**؛ الطلاقة التصورية؛ نشاط البحث عن أشياء؛ الاستعانة بعلامات دالة على مواقع مطلوبة وفي استعمال الخرائط؛ وعلى هذا الأساس تتفوق الإناث على الذكور في أداء الأعمال التالية: أعمال التجميع، أشغال الإبرة بخاصة التطريز، حَرْف يدوية تتطلب غاية الدقة والإتقان، الإنتاج الجهري، أشغال شبكات الاتصال، الخياطة، التمريض، الصيدلة، الفنون الجميلة. أما الذكور، فوجدت كيمورا أنهم يتفوقون على الإناث في المجالات التالية: مهارات بدنية مهدف والتي تتطلب التركيز، كما في ألعاب الرياضة البدنية، مثل الرماية بالسهم، كرة القدم، لعبة المضرب **Cricket**، لعبة السهام المُرِيشة **Darts**، ونحوها؛ نشاطات ترتبط بمكان وبمسافة؛ التركيز على أجسام دَوَّارة؛ أشكال ومخططات متداخلة؛ الحاجة والاستنتاج في الرياضيات؛ أشغال جسمانية ثقيلة. وعلى هذا الأساس تبين أن الذكور يتفوقوا على الإناث في أداء الأعمال التالية: النشاطات الحركية المُجهدَة، الميكانيكا، المحاسبة، الهندسة، الرياضيات، البناء والإنشاء، النحت.

نسب تفوق الرجال والنساء لبعض المهن في بريطانية	
نسبة تفوق الرجال	نسبة تفوق النساء
١٠٠٪ من البنّاعين	٩٩٪ من كاتبات الآلة الطابعة
١٠٠٪ من الكاسيين بالسجاد	٩٨٪ من عاملي الاستقبال والاستعلامات

فهل هذه الفوارق في المقدرة بين الجنسين لأداء أعمال متباينة ناتجة من مؤثرات جينية وراثية أم من مؤثرات بيئية؟ تستخلص الباحثة كيمورا بقولها: "الاتفاق الجماعي في الرأي هو أن المؤثر الجيني الوراثي يأتي أولاً

ثم المؤثر البيئي بعده، فالمؤثران يقومان بالتتابع بتحديد تلك الفوارق " Jensen 293. وتضيف آن موا نقلاً عن نتائج بحوث البروفيسور ماركمان زوكerman **Marvin Zukerman** إلى استنتاجات كيميورا الآتي: الرجال يفوقون النساء في السعي لممارسة نشاطات محفوفة بالإثارة والمخاطر، مثل ألعاب الرياضة الخطرة والهبوط بالباراشوت؛ النساء أقل تأثراً بالسأم من الرجال من جراء ممارسة أعمال رتيبة؛ الفرق معدوم تقريباً بين النساء والرجال في السعي لاكتساب خبرات مثيرة الإحساس كالموسيقى والفنون والسفر. وتبين لك اللوحة بعض الإحصاءات التي قدمتها آن موا في نسبة الرجال والنساء لبعض المهن في بريطانيا، والتي تعزز النتائج أدناه التي توصل إليها البحث العلمي في هذا الخصوص، أضف إلى ذلك، آخر إحصاءات الأمم المتحدة عن منظمة العمل الدولية التابعة لها تبين النسبة الضئيلة جداً للنساء اللاتي يشغلن مناصب الإدارة العليا للشركات في أوروبا ودول أخرى: ففي مجالس إدارة الشركات في أوروبا نسبتهن فقط ٥٥%، وفي المناصب العليا لإدارة الشركات: أستراليا ١٣%؛ فرنسا ٢%؛ إنكلترا ٣٦% **BBC Teletext 10.07.2001**.

٦ - دماغ الأنثى مبني لأداء أعمال متعددة في آن واحد:

من الباحثين في المقام الأول في عمليات شطري الدماغ الأيمن والأيسر دكتور جير ليفي **Jerre Levy** من جامعة شيكاغو، الذي أظهرت دراساته الخاصة بالجسم الجاسي **Corpus Callosum** الذي تحدثت عنه في الفقرة-٣ بأن دماغ الأنثى أكبر وأسمك وأكثر وزناً منه في الذكر، حيث يوضّح تفوق كل منهما على الآخر في إنجاز نشاطات معينة: فتتفوق النساء على الرجال في الحدس وسرعة البديهة والقابلية على إنجاز نشاطات متعددة في آن واحد؛ بينما يتفوق الرجال في الميكانيكا، المحاسبة، الهندسة والرياضيات ونحوها. إن الجسم الجاسي له خاصيته عند المرأة إذ يجعل من دماغ المرأة "يتكلم مع ذاته **Talk to itself**" أكثر تكراراً من دماغ الرجل، مما يساعدها على التوحيد بين والتفسير لكافة التفاصيل والفوارق الدقيقة لوضعية ما.

ومن الأمثلة التي يوردها دكتور ليفي على تفوق المرأة على الرجل في تأدية عدة نشاطات في آن واحد، يتعلق بنشاطات منزلية تمارسها في الغالب امرأة نموذجية 94 Jensen:

تصور حالة عندما تعود امرأة من العمل إلى بيتها، وزوجها منشغل بمشاهدة برنامج تلفازي. تذهب الزوجة إلى المطبخ، وبينما ترتب الأواني تتكلم على الهاتف مع صديقتها. وتعود ابتها من المدرسة فتحدث أمها عن المدرسة ومشاكلها: وأثناء انشغال الزوجة بكل ذلك، تسأل زوجها: "ماذا تفضل تناوله للعشاء؟"، والزوج مركز على مشاهدة برنامج تلفازي، يجيبها: "أنني منشغل، هل يمكنك الانتظار إلى نهاية البرنامج؟" فيظهر من هذه الحالة قابلية النساء على أداء أعمال متعددة في آن واحد، وتفضيل الرجال التركيز على عمل واحد في آن واحد.

#### ٧ - تقلب نشاط ومزاج المرأة خلال دورة الطمث:

أثبتت عدة بحوث تخصص التأثير الهرموني على دماغ المرأة خلال ٢٨ يوم لدورة طمثها، منها بحوث فريق الباحثة كيميورا وإليزابيث هامبسون: فتبين أن المرأة تختلف عن الرجل تماماً في تحديد نشاطها بتأثيرات هرمونية سببها دورة الطمث، حيث أثبتت تلك البحوث بأن المرأة أكثر نشاطاً وحيوية خلال الأربعة عشر يوماً الأولى من دورة الطمث، أو النصف الأول من الدورة، ذلك لتواجد هرمون ستروجين **Estrogen** بمفرده، فهو هرمون مثير للدورة الروية ويرفع من نشاط خلايا الدماغ فيزيد من يقظته ويقظة الحواس معاً: فتدقق هذا الهرمون إلى دماغ المرأة في فترة الطمث الأولى، يشعرها بالابتهاج، الإثارة الجنسية، الحماس، الغرور؛ على عكس النصف الثاني لفترة الطمث. فلما كان سلوك المرأة في النصف الأول من دورة الطمث يتصف بالنشاط والإيجابية، ففي النصف الثاني من دورة الطمث يتصف بالركود والسلبية. ويُعزى هذا الانعكاس في سلوك المرأة إلى إفراز هرمون آخر هو الجسترون **Progesterone** علاوة على هرمون ستروجين: الوظيفة الأساسية للهرمون المضاف قيمة الرحم لقبول البويضة الملقحة؛ ولكن يعمل الهرمون المضاف أيضاً على خفض تدفق الدم إلى الدماغ واستهلاك الأكسجين والجلوكوز، مما يسبب سلوكاً راكداً غير متحفظاً عند المرأة. ويدعو الهرمون المضاف المرأة إلى

الإحساس بوضعية سكون وهدوء واستسلام، بعد وضعية الشعور بالحماس والغرور والسعادة في النصف الأول من الطمث. وفي الأيام الخمسة الأخيرة قبل بدء الحمل، ينخفض مستوي الهرمونين فيقل تأثيرهما على سلوك المرأة. والمصطلح "الأعراض المتزامنة قبل الطمث (PMS) Pre-menstrual Syndrome" صار اليوم متعارفاً عليه في دوائر الطب والصيدلة: والبحوث جارية للتوصل إلى علاج يخفف من الأعراض السلبية التي تعاني المرأة منها في النصف الثاني من دورة الطمث. ونتيجة لهذه الحقيقة التي أقرها وقضاها سبحانه للنصف الآخر من خلقه، تجد مزاجية المرأة غالباً متارجحة متقلبة من حالة إلى أخرى: من نشاط إلى ركود، من حماس إلى انسحاب، من تعاون إلى عدوانية، من ابتهاج إلى كآبة، من غرور إلى استسلام، ونحو ذلك. إذن يعمل المزاج الإيجابي على رفع مستويات التعلم والأداء؛ بينما يعمل المزاج السلبي على خفض تلك المستويات.

تباين الذكر والأنثى بحسب القرآن الكريم:

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى: وردت هذه الآية المقتضية البليغة من بين آيات أخرى في قوله تعالى:  
 إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.  
 فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ -  
 وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى.

وَأُنثَى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ<sup>II</sup>. آل عمران ٣٥-٣٦  
 مجمل رأي المفسر القرطبي مثلاً في هاتين الآيتين الكريميتين قوله: لما أسنت حنة امرأة عمران واشتاتت للولد، دعت ربما أن تجعل عتيقاً خالصاً ما تحمل في بطنها لخدمة بيت الله المقدس، ولكنها ولدت أنثى. فقالت معذرة: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى. وكانت ترجو أن يكون غلاماً إذ لم يكن يُحرر إلا الغلمان. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ: جملة اعتراض، الله عالم بما في الأرحام. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى: ويقول القرطبي لهذا المقطع الذي هو موضع الاهتمام في هذا البحث: "الأنثى لا تصلح للخدمة لضعفها وعورتها وما يعتربها من الحيض ونحوه." ويفسر سيد قطب هذه الآية بقوله: "لقد كانت (زوجة عمران) تنتظر ولداً ذكراً؛ فالنذر للمعابد لم يكن معروفاً إلا للصبيا لخدموا الهيكل وينقطعوا للعبادة والتبتل .. ولا تنهض الأنثى بما ينهض به الذكر في هذا المجال."

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى: ففي هذا المقطع يجبرنا سبحانه وتعالى بحقيقة خلقية يكون الذكر بكليته عقلاً وبدناً متفاوت أو مختلف عن الأنثى بكليتها عقلاً وبدناً. إن معنى هذه الآية الكريمة واضح جلي: الذكر والأنثى غير متساويين .. الذكر لا يتماثل مع الأنثى، والأنثى لا تتماثل مع الذكر .. هذه الحقيقة الإلهية تنسجم مع قاعدة إلهية أخرى تتعلق بالخلق: وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. السذاريات ٤٩. هذه الحقيقة أقرها وثبتها القرآن العظيم منذ أربعة عشر قرن؛ على حين ظل المنادون بالمساواة بين المرأة والرجل ماضين في دعواهم بغض النظر عن الفوارق البيولوجية في الدماغ والبدن بينهما. والإسلام في الحقيقة لم يفرق بين الجنسين من حيث ما عليهما من واجبات وما لهما من حقوق، حسب تقرير القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ إنما الإسلام يعلن في كتابه العظيم بأن الجنسين متفاوتين في المقدرات: فلكي تجري الحياة في سبيل سليم مستقيم، فكل من الجنسين يكمل أو يتكامل مع الجنس الآخر. كل من الجنسين له دوره المخصص له في أداء المتطلبات المتكاملة للحياة. وقلت لك سلفاً، التفاوت بين مقدرات الجنسين ضرورة لقيام كل منهما بدور يختلف عن الآخر حسب متطلبات الحياة: إذن الفرق كبير بين القول: المرأة تتساوى مع الرجل، والقول: المرأة تتكامل مع الرجل.

### من الاهتمامات القرآنية بالمرأة:

تقرأ في القرآن الكريم آيات تعطيك فكرة واضحة بأن للمرأة مكانة مرموقة في الإسلام. فحسب ما يسمح به نطاق هذا البحث، أستعرض لك سريعاً الآيات الكريمة حول اهتمامات القرآن الكريم بالمرأة، حيث يظهر أن مكانتها لا تقل عن مكانة الرجل:

- كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ. المذثر ٣٨: ومشاهدة هذه الآية: كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ. الطور ٢١، فكل نفس (أو كل امرئ) مأخوذة بعملها، سواء كانت النفس ذكراً أو أنثى.
- فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ. آل عمران ١٩٥: فالله تعالى لا يضيع عمل عامل من الناس؛ بل يوفي كل عامل بقسط عمله إن كان ذكراً أو أنثى. بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، أي جميعكم في ثوابي سواء. ومشاهدة هذه الآية الكريمة: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا. النساء ١٢٤. مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً النَّحْل ٩٧؛ .. وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ. غافر ٤٠.

- وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ. البقرة ٢٢٨: "وللمطلقات من الحقوق مثل الذي عليهن من الواجبات .. وأزواجهن مكلفون بأن تكون نيتهم في الرجعة طيبة لا ضرر فيها عليهن .. وقد جعل هذا الحق (الرجعة) في يد الرجل لأنه هو الذي طلق .. وهي درجة مقيدة في هذا الموقع، وليس مطلقة الدلالة كما يفهمها الكثيرون .." سيد قطب.
- وَيَجْعَلُونَ لِّلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. النحل ٥٧-٥٩: هذه صورة منكّرة يرفضها الإسلام، سواء ما كانت عليه في الجاهلية أو حتى ما عليه اليوم: إذا أخبر أحدهم بولادة بنت، ظل وجهه متغيراً تغير مغمم ممتلى من الغم، يجتني من القوم تستراً عن العار، أم الإبقاء على المولود في ذل وهوان أم ينده، بنس ما قالوا وبنس ما حكموا بأن البنات لله تعالى ولهم البنين، حيث كان عرب الجاهلية يزعمون أن الله بنات هن الملائكة، فله البنات ولهم البنين. إن قاعدة الحياة التي قضاها الله تعالى أن تنشأ الحياة من زوجين ذكر وأنثى: والأنثى أصيلة في الإسلام أصالة الذكر؛ بل أشد أصالة لأنها المستقر. فمن يغتم بولادة أنثى ينحرف عن العقيدة الإسلامية، إذ الأنثى شطر النفس الإنسانية فلا تفاضل بين الشطرين الكريمين على الله تعالى. وهكذا تظهر قيمة الإسلام في تصحيح المواقف المنحرفة تجاه المرأة.
- وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا. الأحقاف ١٥: ووصينا الإنسان حسناً بوالديه على حد سواء دون أي تمييز بين الأب والأم. لما خص تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع. وقول الرسول ﷺ في هذا المقام كما يخبرنا به النووي: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك." النووي ١١٧
- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. الروم ٢١: وثبتت هذه الآية الكريمة وتؤكد أن شطري النفس الإنسانية الذكر والأنثى متوافقان يكمل أحدهما الآخر، ولا يمكن أن يعيش أحدهما بدون الآخر: بهذا التعبير الرقيق يصور القرآن الكريم أن يد الله اللطيف الودود خلقت من أنفسهم أزواجاً وأودعت الرفق والمحبة بينهما لكي تكون الصلة بين الجنسين سكناً للنفس وراحة للجسم واستقراراً واستمراراً للحياة.



## الذكر والأنثى في التوراة والإنجيل:

في التوراة:

ورد في كتاب تكوين عن خلق المرأة: "فاوقع الرب الإله سيأتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلعه وملاً مكافئاً لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم." تكوين ٣: ٢١، ٢٢. هذا كلام أسطوري يصور كاتبه الرب وكأنه جراح، خنثر آدم بتنويمه، فقلع ضلعاً بعد فتح صدره واضعاً مكانه لحماً! فكون الرب من الضلع امرأة لآدم سماها كتبه هذا النص حواء. ولكن ما هو أصل التسمية حواء، التي لا وجود لذكرها في القرآن الكريم؟ بعد بحث مُضني وجدت الآتي: نن-خرساج إلهة ترمز إلى الأمومة لدى البابليين وهي سيدة الحياة وعنوان الإنجاب الأول للأم الكبرى. وهي أيضاً الأم البديل التي ولدت حواء أي حياة **Ava/Eve** بعد إخصابها من أنكي إله المياه العذبة لدى البابليين أيضاً. وسيدة الحياة هذه عند السومريين نن-تي (نن = سيدة، تي = حياة). وتسمية أخرى عند السومريين تسي بياء ممتدة تعني ضلع. وربما اختلط الأمر على كهان اليهود الكتبة، فخلطوا بين تي وتسي بياء ممتدة بحيث ارتبطت حواء خطأ بضلع آدم. ومن جراء ذلك اختلط الأمر أيضاً على بعض مفسري القرآن الكريم للأسف، مثل بن كثير الذي فسّر الآية: **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**، بما قصّه كتبه اليهود بجعل زوج آدم أصلاً من ضلع من أضلعه (بن كثير: قصص الأنبياء). وبالمقابل في القرآن الكريم خلقت الأنثى من الذكر دون بيان الطريقة التي تم بها هذا الخلق، كما في قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. النساء ١

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا. الأعراف ١٨٩

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا .. الزمر ٦

## في الإنجيل:

رسالة بطرس الأولى: "كذلكم أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإنساء النسائي كالأضعف معطين إياهن كرامة كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة لكي لا تُعاق صلواتكم." ٣: لا حظ التمييز بين الرجل والمرأة في قول بطرس باعتبار المرأة الجنس الأضعف؛ على حين لم يرد في القرآن الكريم مثل هذا التمييز؛ إنما في آية واحدة يُوصف الإنسان بأنه ضعيفا سواء كان رجلاً أم امرأة: يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا. النساء ٢٨: وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا: أي أن هواه يستميله وشهوته وغضبه يستخفانه، وهذا أشد الضعف.

## خلاصة:

إذا كان مطلب بعض السياسيين والاجتماعيين بمعاملة النساء والرجال بالتساوي باعتبارهما متساويين في الخلق، فالحقائق العلمية أثبتت العكس: وإذا تجاهلنا الثوابت العلمية في هذا الخصوص، فيصبح المطلب إذن بمثابة كذبة بيولوجية، أي صرف النظر عن ثوابت تتعلق بخلق كل من الجنسين. فإلى متى التظاهر بتساوي النساء مع الرجال رغم اختلافهما بيولوجياً؟ فالوقت حان لمراجعة الموقف التقليدي القديم حول مساواة المرأة بالرجل الذي عم أرجاء من العالم. وحين الوقت لتصفية الخرافة الاجتماعية القائلة: الرجال والنساء متعاوضون، أي يمكن قيام أحدهم بدور الآخر. ولكن اعلم أن الرجل يختلف عن المرأة، مهما تحمست الدعوة إلى المساواة بينهما. في حين هما متساويان فقط باعتبارهما من نفس الجنس، الجنس البشري. فكل من يدعو إلى تساوي المرأة والرجل في المدرات، المهارات، الاستعدادات، السلوك، فهو يدعو دون أن يدرك إلى بناء مجتمع على أساس كذب بيولوجي (أحيائي) وعلمي. وبتعبير بسيط: الجنسان متباينان لأن دماغ كل منهما متباينان: فكما للمرأة جسد أنثوي فلها دماغ أنثوي، وكما للرجل جسد ذكري فله دماغ ذكري. فُيَصَّغ دماغ الجنين الذكر إلى بنية ذكويه لتعرضه في الرحم إلى جرعات كبيرة من هرمونات منشطة الذكورة، التستوسترون، حيث تقدر عموماً كمية تلك الهرمونات عند الذكر في سن البلوغ عشرة أضعاف الكمية عند الأنثى، أو ١٠٠٠% مما في المرأة. فمن أنثى تتصرف تصرف الرجال، كان دماغها تعرض في الرحم إلى كميات غير اعتيادية من هرمونات الذكورة.

والدماغ هو الجهاز الإداري والعاطفي المركزي لحياة الإنسان، وتختلف بنيته في الرجال عن النساء من الفطرة، فنتج اختلافات بين الجنسين في العمليات العقلية والقدرات الفكرية وفي المهارات والاستعدادات؛ ويتعامل الدماغ مع المعارف المستلمة بطريقة مختلفة بين الجنسين، مما يؤدي إلى اختلاف في المدركات، ترتيب الأسبقيات، السلوك، ونحو ذلك. فدعوى المساواة بين الجنسين تتعارض مع الفطرة ومع العلم.

وتأمل في حالة متعارف عليها تفرق الرجال عن النساء: فأبرز خصال سلوكية تميز الرجال عن النساء العدوانية والمغامرة، المخاطرة، المنافسة، الجرم والإصرار والزعم، الولوع إلى السلطوية، هي خصال جُبلية غير مكتسبة: وإلى هذه الخصال تُعلل هيمنة الرجال بدرجة كبيرة على مدار التاريخ. فالرجال لم يكتسبوا سلوكية المغامرة مثلاً عن طريق التعليم أو الممارسة أو نتيجة مؤثرات اجتماعية أو بيئية؛ وليس في مدرسة درس يعلم المغامرة وتكتيكها؛ بل حتى العلماء المختصين في مجال الفوارق بين الجنسين، يقرون بأن هذه الخصال متميزة عند الرجال لأن نسبة هرمون التستوسترون عندهم عشرة أضعاف ما عند النساء 15 Moir □.

فحتى هذه المرحلة من البحث العلمي في فوارق بنية الدماغ بين الذكر والأنثى، ذلك يدعو إلى التفكير والتأمل في مسألة إعادة النظر في الأنظمة والسياسات التربوية المعتمدة في المدارس في الوقت الحاضر وفي أوصاف الأعمال التي تليق لكل من الجنسين وبطريقة تقرر وتعتمد تلك الفوارق البيولوجية. أو بعبارة صريحة، هل نترك أنظمة الدراسة المختلطة بين الجنسين وتوفير فرص عمل متساوية للجنسين على حالها الحاضر من دون تغيير رغم ظهور ثوابت علمية عن الفوارق بينهما؟ رأي بعض علماء الأعصاب أن يوماً سيأتي لمراجعة الأنظمة والسياسات التربوية الحالية، حتى لو اقتضى الأمر مثلاً التخلي عن المدارس المختلطة وإنشاء مدارس خاصة بالذكور وأخرى خاصة بالإناث على ضوء الفوارق الفطرية في دماغ كل منهما، بجانب تحديد أعمال تليق بالذكر وأعمال تليق بالأنثى على ضوء الفوارق العقلية والبدنية بينهما. وإليك دراسة حديثة في المملكة المتحدة مما يعزز خيار التعليم في مدارس جنس منفرد وأفضليته

على مدارس تعليم مختلط: أجريت الدراسة على ١٠٠ مدرسة نموذجية ذات ١٢ درجة، ١٠ منها فقط ذات تعليم مختلط و ٩٠ ذات تعليم منفرد (منها للذكور وأخرى للإناث). وبعد تفحص نتائج الاختبار السنوي، ظهر أن النتائج لمدارس جنس منفرد للبنين ٢٠% أفضل من نتائج بنين في مدارس مختلطة، وذات الحال بالنسبة للإناث في مدارس للإناث مقارنة بنظيرتهن في مدارس مختلطة. وفي سنة ١٩٩٦ أجريت مراجعة لنتائج اختبار سنوية لمدارس ثانوية للبنات، فأظهرت تفوقهن على نظيراتهن لمدارس ثانوية مختلطة!

لعلك أدركت أن المرأة بيولوجياً تتميز على الرجل في نواحي تعددها لأداء الدور اللاحق بها: الرعة نحو مجالات ذات طابع اجتماعي وشخصي، أقل تقيداً بالقواعد من الرجل، ونحو ذلك: كل ذلك ضروري لأداء متطلبات البيت المتشابكة من ضمنها التربية والرعاية المباشرة للأطفال بخاصة تعلقهم الفطري الحاسم بالأم أكثر من الأب، بالإضافة إلى ممارسة نشاطات ذات طابع اجتماعي أو شخصي، أو ذات طابع إنساني وخيري خارج قيود القواعد، أو القيام بأعمال مكتنية رتيبة.

إن الإنسان بجنسيه يجني فوائد عظيمة من حياته إذا أدرك العالم كما هو مخلوق؛ وليس بمحاولة منه إنشاء عالم حسب مشيئته ورغباته من أسس ومفاهيم يجهلها. فالرجال والنساء بإمكانهم العيش معاً بسعادة أكثر، بفهم وحب بعضهم البعض بدرجة أعلا، بتنظيم العالم إلى مصير أفضل، إذا أقر كل من الجنسين فوارقه عن الجنس الآخر. وبذلك يتمكن الجنس البشري من بناء حياته على دعامين ثنائيتين متميزتين من حيث الهوية الجنسية. لقد آن الأوان لإيقاف الجدلية العقيمة غير المجدية بأن الرجال والنساء خلقوا متمثلان؛ فهم لم يُخلقوا هكذا، ولا يمكن لأي مثالي أو مناد بإصلاح أن يغير هذه الحقيقة الفطرية الناصعة التي قضاه سبحانه لعباده الذكور والإناث. وعلينا أن نقر ونتقبل بأن الرجال أقوياء وضعفاء في مجالات، حيثما النساء قويات وضعيفات في مجالات.

مايكل ليفن Michael Levin بروفييسور فلسفة في جامعة المدينة بنيويورك كتب يقول Moir :190

"أدركت أن معظم النساء يجدن في الأمومة رضاء تاماً، ومعظمهن كأمهات لا يتمتعن بالوا لدية أكثر من الآباء حسب؛ إنما بالأحرى هن أفضل في أدائها، أي هن أكثر ملائمة للوالدية من الآباء. فوقوف المرأة الأم على إطعام الجيل الخلف وكساءهم وتربيتهم وتعليمهم هي مهمة رفيعة نبيلة ترقى على مهمة كسب المال من خلال العمل".

### لشهادة امرأتين حجة علمية بيولوجية:

لاحظت من الحث أعلاه بأن دماغ الذكر والأنثى مختلفان بيولوجيا بكل وضوح، ليس من حيث أداء العمليات العقلية حسب؛ إنما أيضاً من حيث بنيتهما! فتبين أن دماغي الجنسين مختلفان من حيث درجة التركيز والانتشار أو التشتت في عمليات التفكير وأداء الأعمال: فمن الخواص البيولوجية للدماغ الرجل القدرة على التركيز على أداء عمل واحد في آن واحد؛ فعندما يركز الرجل على أداء عمل معين، لا تصرف انتباهه عن ذلك العمل معلومات طارئة أو زائدة عليه. كما ظهر لهم أن دماغ الرجل أكثر تخصصاً من دماغ المرأة: فيختص الجانب الأيسر من دماغ الرجل كلياً في السيطرة على قدرات الفعل؛ بينما يختص الجانب الأيمن في السيطرة على قدرات الأبصار. أما المرأة، فكلتا الجانبين من دماغها ينشغلان في التعامل مع كافة المسائل. وبتعبير آخر، تتصف عمليات دماغ الرجل بالتخصص والتركيز؛ مقابل عمليات دماغ المرأة تتصف بالتنوع والانتشار أو التشتت. <sup>43</sup> - Moir & jessel 45,120. والتركيز في التفكير يجعل من استرجاع الأفكار والمعارف المكتسبة فيما بعد أسهل مما لو كان التفكير منتشراً إلى عدة أفكار أو عدة أشياء. أي الانتشار أو التشتت في التفكير يؤدي بصاحبه إلى نسيان بعض أفكاره ومعارفه المكتسبة مسبقاً.

وذكرت لك فرق بنيوي أساس آخر اكتشف بعد اختبارات على ١٤ امرأة أجراها علماء أعصاب، يتعلق بالجسم الجاسي Corpus Callosum، وهو كتلة ألياف عصبية موصلة تربط شطري الدماغ نصف الكرويين؛ فتبين اختلاف واضح في هذا الجسم الموصل بين دماغي الجنسين، فهو أسمك وأكثر وزناً وانفتاحاً وبصلي الشكل في الإناث منه في الذكور، حيث يعمل على نقل وتبادل معلومات مروريا بين نصفي الدماغ بكميات أكبر في الإناث مما في الذكور. وأظهرت بحوث دكتور جير لفي من

جامعة شيكاغو كما أسلفت، أن الجسم الجاسى بكونه أكبر حجماً ووزناً عند المرأة يجعلها تتفوق على الرجال في إنجاز نشاطات متعددة في آن واحد؛ بخلاف الرجل الذي يركز على أداء عمل واحد في آن واحد. كما إن الجسم الجاسى أشبه بجسر يحمل معلومات مارة بين شطري الدماغ الأيسر والأيمن، فيجعل هذا الجسر دماغ المرأة "يتكلم مع ذاته Talk to itself"، حيث يُحدث التحوار التلقائي لدماغ المرأة خلفية مشوشة لا سيطرة لها عليها، قد تعيق المرأة من التركيز على فكرة واحدة أو عمل واحد في آن واحد، مما يخفف من كفاءة أدائها. ويؤدي الجسم الجاسى بتفكير المرأة علاوة على الانتشار أو التشتت إلى الإدراك والتواصل مع الغير بصيغ ملفوظة ممزوجة بانفعالية وعاطفية ووجدانية. فهل خاصية الانتشار أو التشتت في تفكير المرأة وضعف قدرتها على التركيز على شيء واحد في آن واحد يجعلها تنسى بعض المعارف المشتتة التي اكتسبتها مسبقاً، وعليه يتطلب شهادة امرأتين على العقد، كما في قوله سبحانه؟

وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى. البقرة ٢٨٢

أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى: يقرر القرآن الكريم شاهدين على العقد: رجلين أو رجل وامرأتين: لماذا امرأتان؟ في كراس بالإنكليزية بعنوان **Why Two Women Witnesses?** (لماذا شهادة امرأتين؟ لشامشاد خان ١٩٩٢) يقول: "السبب لشرط شهادة امرأتين لأنها ليست بوضع لتحكم موضوعياً بدون تأثير من عاطفتها .. والنساء أقل اطلاعاً من الرجال بإجراءات الأعمال، لأن أعمالهن عادة في البيت. لذا فهن معرضات لارتكاب أخطاء في هذا المجال .. كما أن المرأة قد لا تستطيع التعبير بوضوح (عن الشهادة)، فرفيقتها في الشهادة قد تساعدها للتغلب على هذه الصعوبة." **Shamshad 2**. هذا التعليل لا يمكن قبوله، حيث أن المرأة أخذت في الوقت الحاضر تمارس مختلف فروع الأعمال كالرجل. أضف إلى ذلك، اتضح أن المرأة من دراسات بيولوجية لدماغها أنها أكثر تضلعاً من الرجل في اللغة وتتفوق عليه في اللياقة.

ولكن دعني أطرح لك رأي المفسر القرطبي في الآية الكريمة: أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا: فالمرأة تُضِل، أي تنسى كما يقول القرطبي: "معنى تضل تنسى، والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء." وابن كثير يفسر: "وقوله تعالى: أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا يعني المرأتين إذا نسيت الشهادة فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأخرى. فتضل تعني تنسى. فمن اتصف بتفكيره بالانتشار أو التشتت على عدة أفكار وأشياء كدماغ

المرأة بحسب البحوث البيولوجية الحديثة، فتكون عرضة إلى نسيان بعض أو معظم المعارف التي استلمتها في بادئ الأمر؛ وعكس ذلك، من اتصف تفكيره بالتركيز على فكرة أو شيء واحد في آن واحد كما عند الرجل، يكون له أمل أكبر لاسترجاع ما ركز عليه أولاً. أضف إلى ذلك الشخصية التي فطرت عليها المرأة، فهي بطبيعتها كما أسلفت في عدة مواضع تفوق الرجل في الانفعالية والعاطفية والوجدانية، خصائص ضرورية في مقام تربية الطفل؛ على حين يتطلب الشهادة على عقد تجرداً ملموساً من الانفعالية والعاطفية.

### معجزة: لتعدد الزوجات حجة علمية بيولوجية:

ومعجزة علمية أخرى تنسحب على معجزة "وليس ال ١ كرا كالأني" تتصل بتعدد الزوجات لغاية أربع كما أجازها القرآن الكريم: ففي سورة النساء أعطى الله العليم الخبير المسلمين رخصة النكاح بأكثر من امرأة واحدة لغاية أربع، مع التحفظ عند العجز عن العدل، فامرأة واحدة:

وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَقُولُوا. النساء ٣

قبل الدخول إلى عرض مكتشفات العلم الحديث الذي يعزز الزواج بأكثر من امرأة، ينبغي التعرف بإيجاز على تفسير هذه الآية الكريمة: فلما استعرضت تفاسير القرطبي وابن كثير وسيد قطب، وجدتها متقاربة في الخطوط العريضة؛ عدا إضافات حديثة لسيد قطب: وسأجتزئ تفسير سيد قطب فقط فيما يخص المقطع المرتبط بموضوع البحث:

فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً.

نقلت ثلاث روايات لأشخاص كان تحت كل منهم قبل إسلامهم عدة نساء، فجاءوا إلى الرسول ﷺ يستفتونه في ذلك: غيلان بن سلمة الثقفي، أسلم وتحتة عشر نساء، فقال له النبي ﷺ: اختر منهن أربعاً. عميرة الأسدي قال: أسلمت وعندي ثمان نساء، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: اختر منهن أربعاً. نوفل بن معاوية الديلمي، قال: أسلمت وعندي خمس نساء، فقال لي رسول الله ﷺ: اختر أربعاً أيتهن شئت وفارق الأخرى.

جاء الإسلام إذن وتحت رجال عشر نسوة أو أكثر أو أقل، بدون حد ولا قيد. فجاء الدين الحنيف لا ليقطع؛ إنما ليحدد: فلا يتجاوز مسلم أربع زوجات بشرط إمكان العدل؛ وإلا فواحدة. والإسلام منهج حياة الإنسان، "يتوافق مع فطرته وتكوينه". وهو منهج يرمي إلى خلق الإنسان ونظافة المجتمع. هناك حالات تبدو فيها زيادة عدد النساء الصالحات للزواج على عدد الرجال الصالحين للزواج؛ فالزواج بامرأة واحدة يُبقي أخرى أو أكثر بدون زواج، وهذا مضاد للفطرة؛ الزواج بواحدة مع محادثة أخرى أو أكثر في الحرام، وهذا مضاد لكرامة المرأة ولا اتجاه الإسلام النظيف؛ الزواج بأكثر من واحدة في الحلال ينسجم مع الفطرة ويرعى مجتمع نظيف وهو خيار الإسلام - هذا مقتضب التفسير لسيد قطب<sup>١</sup>.

## فما هو موقف العلم الحديث؟

الغريزة الجنسية التي تجذب أحد الجنسين إلى الآخر تتأثر بعوامل تتعلق بمظهرهما وسلوكهما، إضافة إلى مؤثرات بيئية. وفي العقدين الأخيرين أخذ البحث العلمي في حقل الجنس يتقدم، إلى مرحلة أوصل هذا الحقل إلى علم اكتسب تسمية علم الجنس **SEX SCIENCE**. فمن بين المكتشفات العلمية الحديثة في هذا المضمار، فعلاوة على المؤثرات المذكورة للجذب الجنسي بين رجل وامرأة، هناك عامل بيولوجي ذو تأثير مباشر على الغريزة الجنسية، يعمل بفاعلية على إثارة غريزة الجنس نحو الاتصال الجنسي: هو نسبة هرمون الذكورة التستوسترون **TESTOSTORONE**. فكلما ارتفع مستوى هذا الهرمون كلما اشتد التهيج الجنسي: فأظهر علم الجنس حديثاً أن نسبة هرمون التستوسترون لدى الرجال ١٠٠٠% منه لدى النساء، أي مقدار تستوسترون الرجال عشرة أضعاف مقدار تستوسترون النساء! فيستخلص من هذه الحقيقة البيولوجية المدهشة بأن التهيج الجنسي أو مطلب الاتصال الجنسي عند الرجال أشد إلحاحاً منه عند النساء. على حين مقدار التستوسترون لدى المرأة يبلغ ذروته وبالتالي يشتد تهيجها الجنسي في وقت محدد أثناء دورة الطمث، مباشرة بعد إفراز المبيض البويضة. ولكن بحسب الواقع البيولوجي، عامة الرجال لديهم تستوسترون أعلى بكثير من عامة النساء، ولو استثناءً يزداد مستوى هذا الهرمون لدى بعض النساء فيشتد مطلبهن للاتصال الجنسي.



وتمكن علم الجنس من ضبط ارتباط مقدار التستوسترون بمدى العدوان أو الانقراض الجنسي: فأظهرت البحوث أن الاغتصاب الجنسي من جانب الرجال يبلغ ذروته بين سن ١٧ - ٢٥ سنة؛ ثم يأخذ مستواه بالتناقص تدريجياً لانخفاض مستوى التستوسترون مع العمر. وتبين أيضاً من إحصاءات في أوروبا، زيادة الاغتصاب الجنسي في موسم الخريف حينما يبلغ هرمون الذكورة هذا ذروته. وفي حين اعتبار الاغتصاب الجنسي جريمة يعاقب عليها القانون في غالبية الدول، فهو من الوجهة العلمية البيولوجية ذو ارتباط بمستويات التستوسترون: وكلما ازداد مستوى هذا الهرمون لدى المُغتصب كلما صاحب الاغتصاب العنف الجسدي. لذلك أصبح من المعتاد في بعض الدول معالجة رجال من هذا الصنف بعقاقير تعمل على إيقاف إفراز التستوسترون وهرمونات ذكورة أخرى **ANDROGENS**. واتجاه مقلق هذه الأيام مجتمع ولحكومات الدول الأوروبية وأمريكا، هو شيوع تناول هرمون الذكورة الاصطناعي ستيرويد ابتنائي **ANABOLIC STERIODS** لدى المراهقين، والذي دفعهم إلى مزيد من العنف الجنسي: ففي أمريكا وحدها ما يقارب نصف مليون مراهق يتناول هذا العقار. وحتى لا ننسى، فظاهرة الإقدام على الاغتصاب الجنسي شائعة بين الرجال؛ ونادراً ما تسمع امرأة أقدمت على اغتصاب رجل (في السويد مثلاً)، فيرد ذلك إلى إلحاح بيولوجي يتفوق التستوسترون.

وتفاوت مستوى هرمون التستوسترون لدى الجنسين ليس بمفرده المسؤول عن تفاوت درجة التهيح الجنسي؛ إنما تفاوت كتلة وشكل خلايا وطاء الدماغ **HYPOTHALAMUS**، الذي يسيطر أساساً على معظم الانفعالات بضمنها الحافز الجنسي، له الأثر في ذلك أيضاً. فأظهرت البحوث الحديثة بوجود في وطاء الدماغ الفاسوبرسين **VASOPRESSIN** هو بمثابة مُرسل كيميائي عصبي، هو المفتاح للسلوك الجنسي، بخاصة درجة الإلحاح في مطلب الاتصال الجنسي: واعلم أن هذا المُرسل الكيميائي متوفر بمستوى أعلى في الذكور كما في مستوى التستوسترون! أضف إلى ذلك، هناك بحوث مستجدة قليلة يُستدل منها على أن مواقع إيقاظ الشهوة الجنسية من دماغ وبدن كلا الجنسين مختلفة. فإذن هذه المؤثرات البيولوجية مجتمعة تجعل من الرجل بحكم الفطرة أشد إثارة وتهيجاً جنسياً من المرأة بدون شك.

أضف إلى ذلك، التركيب السكاني من حيث نسبة الإناث إلى الذكور يؤدي في النهاية إلى زيادة نسبية لعدد الإناث على عدد الذكور: فمن حيث مجموع الولادات، يُلاحظ أن عدد ولادات الإناث تقريباً

مساوٍ لعدد ولادات الذكور: لكل ١٠٠ أنثى ١٠٥ ذكر؛ ولكن الشائع هو معدل الوفيات بين الذكور أعلى بعد الولادة وفي كافة الأعمار لأسباب بيولوجية. فبتقدم العمر، تزداد نسبة النساء إلى الرجال، وفي مرحلة متقدمة من العمر يصبح عدد النساء أكثر من عدد الرجال: فمثلاً أظهرت دراسة سنة ١٩٨٥، في أوروبا وأمريكا أشخاص بعمر ٧٠ سنة، لكل ١٠٠ امرأة ٦٦ رجل فقط، أي عدد النساء ضعف عدد الرجال تقريباً "فالاختلال في نسبة الإناث إلى الذكور في سكان ما له الأثر على تعويق الزواج: فقلة الذكور في فئة عمر الزواج يضغط على نسب زواج الإناث في نفس فئة العمر أو أصغر، مما يؤدي بالإناث إلى بقائهن من دون الزواج وإلى التناقص المثير للإحصاب، حتى يصلن إلى عمر لا يؤهلن للزواج." EBCD '99.

وتخبرنا آن موا عن دراسة جديدة في هذا الصدد، فتقول: "في دراسة طويلة الأمد أجريت في أمريكا استغرقت خمسين سنة من ١٩٣٩ لغاية ١٩٨٩ كان هدفها التعرف على الخاصية التي يفضلها أحد الجنسين في الجنس الآخر: ففي كافة الحالات المدروسة ظهر للباحثين أن الرجال يعدون فتنة بنية المرأة وجمال مظهرها أكثر أهمية ورغبة عندهم؛ بينما الأولوية عند النساء في الرجل مقدرته على تدبير وضمان الموارد المالية: فعلى الرجال إذن التنافس وعلى النساء التزين." ANNE & BILL MOIR 221-225, 228.

"فالذي يريده الرجال، طبعاً، عدد وافر من النساء، إلا أن هذه الرغبة لمعظمهم يعبر عنها الرجال في أحلامهم اليقظة حسب .. هذه الرغبة تبقى في عقل الرجال أكثر مما تجود به الحياة عليهم، فهي مكبوحه في واقع الحياة. فالرجال يفرقون في أحلام اليقظة بالنساء؛ والنساء يقاومون ذلك " هذه كلمات قالتها آن وبيل موا استنتاجاً من بحوث علمية ذكرت لك بعضها حول تفوق الرجل على المرأة في مطلب الاتصال الجنسي. ويضيفان آن وبيل موا: "فلإرضاء نوبة هوى جنسية جامحة، لا تتوفر مجالات مناسبة لإشباعها، نجد الرجال غالباً يمارسون ذلك التهيج الجنسي في "أدمغتهم" التي يعدونها المكان المناسب لاستيعابه .. فحتى في حالة أسعد رجل متزوج مضاد لإغراء نساء غير زوجته، فهذه حالة إدمان ينبغي عليه مقاومتها بتكلف واصطناع .. ومثل رجل في هذه الحالة، يُقنع ذاته بأن مقاومته المتكلفة لإغراء

نساء أخريات غير زوجته، هو فعل نبيل لا أناني. ففي إنكار وحرمان الزوج نفسه من ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج (يالحاح فيض التستوسترون)، يقوم بتضحية بيولوجية لا مفر منها. " ANNE & BILL MOIR 229-230

## ارتباط البغاء بالحرمان الجنسي للرجال:

هل أن ظاهرة البغاء Prostitution وأدبيات وأفلام الدعارة Pornography ذات ارتباط بحرمان الرجال من تلبية قهيجهم الجنسي البيولوجي بما فيه الكفاية؟ ستري هنا إحصاءات عالمية عن التوسع الرهيب للبغاء وأدبيات وأفلام إباحية: فاعلم أن ستة من بين عشرة رجال متزوجين في أمريكا يمارسون الزنى. وصلت قيمة صناعة الجنس في العالم، ضمنها البغاء وأدبيات وأفلام إباحية، أكثر من ٢٠ مليار دولار في السنة الواحدة. أصبح سوق الإصدارات من أدبيات وأفلام إباحية ضخماً جداً بحيث تصدر في أمريكا سنوياً معدل ٥٠٠٠ فلم إباحي، تعداد آخذ بتوسع مطرد مُخيف، بحيث عُرف في سنة ٢٠٠٠ أن ١٠٠٠٠ فلم من هذا الصنف صدر من مدينة لوس إنجليس وحدها! في أواسط سنة ١٩٩٠ في أمريكا وحدها بلغ الاستثمار في إصدارات أفلام إباحية ٢٥ مليار دولار سنوياً، في حين تعادل هذه الأفلام على الفيديو ٢٥% من مجموع أفلام الفيديو المنتجة في أمريكا. أما سوق "بيع متعة الجنس" بتوفير نساء الهوى، فتندر على سمارتها أرباحاً خيالية، كما عمّت هذه الأسواق معظم أرجاء العالم.

وفي الصين الشيوعية، شاعت ممارسة واسعة الانتشار أو التشتت بين الرجال لإقامتهم موقتاً مع خلياتهم علاوة على زواجهم الشرعيات. فنتيجة لذلك، أقدمت السلطات مؤخراً على إحداث تغيرات جذرية شاملة في قوانين الزواج للحد من ظاهرة الزنا المخيفة التي عمّت الرجال المتزوجين: فموجب القوانين الجديدة، يُعتبر فعلٌ جرميٌ لرجل متزوج يقيم مع أي امرأة غير زوجته. فالسلطات الصينية تأمل من التغيير في القانون الحد من إشاعة الزنا والاعتصاب اللذين عما البلاد. وكانت وكالة الأنباء الصينية الرسمية عقبّت على القوانين الجديدة بقولها: "تعدد الزوجات وإعالة خليات من شأنه أن يُحبط المُثُل الأخلاقية الاجتماعية." فظاهرة مزاوله رجال في الصين الجنس مع أكثر من امرأة إضافة إلى زواجهم، ألا يمكن رده إلى الإحباط البيولوجي للشهوة الجنسية الملحة عندهم، مما يدعوهم إلى البحث عن متنفس لها، حتى بوسائل غير شرعية؟ BBC Teletext: 26.04.2001

فما هو موقف النساء عموماً من هذه الحركة العالمية المخيفة لإغراق الأسواق بأدبيات وأفلام الإباحية؟ موقف النساء موقف معارض! ففي سنة ١٩٩٦ أظهر استفتاء ١٠% فقط من النساء حسبن أدبيات وأفلام الإباحية غير مؤذية، و ٤٥% اعتقدنها فعلة خطأ ولكن غير مؤذية، و ٤١% اعتقدنها إثم جرمي. ورجال الدين يُحالفون النساء في ذلك بطبيعة الحال.

إذن بيولوجياً أو فطرياً الرجال أشد تمهيجاً جنسياً من النساء بسبب تفوقهم على النساء بمقدار هرمون التستوستورون بعشرة أضعاف، وبفوقهم في جوانب جنسية بيولوجية أخرى: فهذه حقيقة خلقية فطرها الله العليم الحكيم، ربما أراد بها ترخيص النكاح بأكثر من امرأة واحدة إلى حد أربعة مع شرط العدالة بين الزوجات، للحد من اقتراف إثم الزنى وشيوع الفساد والمرض في الأرض من ناحية، ولضمان التناسل الحلال فاستمرار الجنس البشري من ناحية أخرى، وهو الله سبحانه أعلم بما يريد. إذن النقد الذي طالما وجهه العالم الغربي ضد تعدد الزوجات في الإسلام يصير ضعيف الأساس على ضوء المكتشفات البيولوجية الحديثة. أضف إلى ذلك، فنقد العالم الغربي هذا يرافقه حقيقة شيوع الإباحية الجنسية فيه بمختلف الأنماط وعلى نطاق متصاعد بوتائر مطردة مخيفة، سواء كانت ممارسة الإباحية الجنسية من متزوجين أو خلافهم. وفي هذا المقام، ينطبق على النقاد الغربيين لشريعة تعدد الزوجات المثل القائل: إذا كان بيتك من زجاج، فلا ترمي الحجارة على بيت آخر!

حدث طريف: توم جرين مواطن في ولاية يوتا بأمريكا أحيل مؤخراً للمحاكمة بتهمة زواجه من أربع: هذه حالة لم تحدث مثلها هناك لأكثر من ٥٠ سنة، وربما يواجه توم حبساً لحد ٥ سنوات. يقيم توم وزوجاته الأربع مع ٢٩ بنينه في عربة مقطورة (بيت متحرك) في صحراء يوتا. وكان توم صرح بأنه يمارس تعدد الزوجات في العلانية في حين الكثير يمارسونه في الخفاء. ويُقدر معدد الزوجات في أمريكا ٣٠ ألف متزوج. وترجع ظاهرة تعدد الزوجات هذه إلى مذهب مورمون الذي تأسس عام ١٨٣٠م والذي أباح تعدد الزوجات<sup>١</sup> BBC Teletext 14.05.2001

إذن نشوء علم جديد باسم "علم الجنس" ساعد على إزاحة الستار عن سر من أسرار الآية الكريمة التي رخصت تعدد الزوجات، بعد ١٤ قرن من توثقها، وبهذا يظهر الحق كما ظهر في آيات علمية أخرى، فيبقى القرآن الكريم سباق للزمن ويبقى أزلي إلى يوم القيامة، فافقرأ قوله سبحانه وتعالى:

٥٣ فصلت ٥٣ سَتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَلِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .. فصلت ٥٣ سيكشف الله عالم الغيب للناس جيل بعد جيل في أقطار السماوات والأرض وفي أنفسهم علامات الصنعة وبتدبير الحكمة الدالة على وحدته وقدرته وعزته، ليتبين للناس جميعاً أن القرآن العظيم هو الحق وقوله تبارك وتعالى: **إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ.** ص ٨٧-٨٨

في اختتام سورة ص كما في افتتاحها (ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ) يذكر سبحانه العالمين بأن القرآن نبأ عظيم، فإن لم يلقون بأهم إليه اليوم، فليعلمن نبأه بعد حين جيل بعد جيل: في الكون وفي الإنسان.

## خلاصة معجزة: **وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنثَى**

إذا كان مطلب بعض السياسيين والاجتماعيين بمعاملة النساء والرجال بالتساوي باعتبارهما متساويين في الخلق؛ على حين أثبتت الحقائق العلمية العكس: وإذا تجاهلنا الثوابت العلمية في هذا الخصوص، فيصبح المطلب إذن بمثابة كذبة بيولوجية، أي صرف النظر عن ثوابت علمية تتصل بخلق الجسد والدماغ لكل من الجنسين. فإلى متى التظاهر بتساوي النساء مع الرجال رغم اختلافهما بيولوجياً؟ فالوقت حان لمراجعة الموقف التقليدي القديم حول مساواة المرأة بالرجل الذي عم أرجاء من العالم. وحيان الوقت لتصفية الحرافة الاجتماعية القائلة: الرجال والنساء متعاوضون، أي يمكن قيام أحدهم بدور الآخر. ولكن اعلم أن الرجل يختلف عن المرأة، مهما تحمست الدعوة إلى المساواة بينهما. في حين هما متساويان فقط باعتبارهما من نفس الجنس، الجنس البشري. فكل من يدعو إلى تساوي المرأة والرجل في المدرات، المهارات، الاستعدادات، السلوك، فهو يدعو دون أن يدرك إلى بناء مجتمع على أساس كذب بيولوجي (أحيائي) وعلمي. وبتعبير بسيط: الجنسان متباينان لأن دماغ كل منهما متباينان: فكما للمرأة جسد أنثوي فلها دماغ أنثوي، وكما للرجل جسد ذكري فله دماغ ذكري. فيصاغ دماغ الجنين الذكر إلى بنية ذكرية لتعرضه في الرحم إلى جرعات كبيرة من هرمونات منشطة الذكورة، التستوسترون،

حيث تقدر عموماً كمية تلك الهرمونات عند الذكر في سن البلوغ عشرة أضعاف الكمية عند الأنثى، أو ١٠٠٠% مما في المرأة. فمن أنثى تتصرف تصرف الرجال، كان دماغها تعرض في الرحم إلى كميات غير اعتيادية من هرمونات الذكورة. والدماغ هو الجهاز الإداري والعاطفي المركزي لحياة الإنسان، وتختلف بنيته في الرجال عن النساء من الفطرة، فنتج اختلافات بين الجنسين في العمليات العقلية والقدرات الفكرية وفي المهارات والاستعدادات؛ ويتعامل الدماغ مع المعارف المستلمة بطريقة مختلفة بين الجنسين، مما يؤدي إلى اختلاف في المدركات، ترتيب الأسبقيات، السلوك، ونحو ذلك. فدعوى المساواة بين الجنسين تتعارض مع الفطرة ومع العلم.

وتأمل في حالة متعارف عليها تفرّق الرجال عن النساء: فأبرز خصال سلوكية تميز الرجال عن النساء العدوانية والمغامرة، المخاطرة، المنافسة، الجزم والإصرار والزعيم، الولوع إلى السلطوية، هي خصال جُبلية غير مكتسبة: وإلى هذه الخصال تُعلّل هيمنة الرجال بدرجة كبيرة على مدار التاريخ. فالرجال لم يكتسبوا سلوكية المغامرة مثلاً عن طريق التعليم أو الممارسة أو نتيجة مؤثرات اجتماعية أو بيئية؛ وليس في مدرسة درس يعلم المغامرة وتكتيكها؛ بل حتى العلماء المختصين في مجال الفوارق بين الجنسين، يقرون بأن هذه الخصال متميزة عند الرجال لأن نسبة هرمون التستوسترون عندهم عشرة أضعاف ما عند النساء 15 Moir □.

فحتى هذه المرحلة من البحث العلمي في فوارق بنية الدماغ بين الذكر والأنثى، ذلك يدعو إلى التفكير والتأمل في مسألة إعادة النظر في الأنظمة والسياسات التربوية المعتمدة في المدارس في الوقت الحاضر وفي أوصاف الأعمال التي تليق لكل من الجنسين وبطريقة تفر وتعمد تلك الفوارق البيولوجية. أو بعبارة صريحة، هل نترك أنظمة الدراسة المختلطة بين الجنسين وتوفّر فرص عمل متساوية للجنسين على حالها الحاضر من دون تغيير رغم ظهور ثوابت علمية عن الفوارق بينهما؟ رأي بعض علماء الأعصاب أن يوماً سيأتي لمراجعة الأنظمة والسياسات التربوية الحالية، حتى لو اقتضى الأمر مثلاً التخلي عن المدارس المختلطة وإنشاء مدارس خاصة بالذكور وأخرى خاصة بالإناث على ضوء الفوارق الفطرية في دماغ

كل منهما، بجانب تحديد أعمال تليق بالذكر وأعمال تليق بالأنثى على ضوء الفوارق العقلية والبدنية بينهما. وإليك دراسة حديثة في المملكة المتحدة مما يعزز خيار التعليم في مدارس جنس منفرد وأفضليته على مدارس تعليم مختلط: أجريت الدراسة على ١٠٠ مدرسة نموذجية ذات ١٢ درجة، ١٠ منها فقط ذات تعليم مختلط و ٩٠ ذات تعليم منفرد (منها للذكور وأخرى للإناث). وبعد تفحص نتائج الاختبار السنوي، ظهر أن النتائج لمدارس جنس منفرد للبنين ٢٠% أفضل من نتائج بنين في مدارس مختلطة، وذات الحال بالنسبة للإناث في مدارس للإناث مقارنة بنظيرتهن في مدارس مختلطة. وفي سنة ١٩٩٦ أجريت مراجعة لنتائج اختبار سنوية لمدارس ثانوية للبنات، فأظهرت تفوقهن على نظيرتهن لمدارس ثانوية مختلطة!

لعلك أدركت أن المرأة بيولوجياً تتميز على الرجل في نواحي تعدها لأداء الدور اللائق بها: فهي مثلاً تتميز في الإبصار الخيطي، في الأبصار ليلاً، السمع والتذوق واللمس، الحدس، مهارات اللغة واللباقة، المقدرة على أداء أعمال متعددة، التفاعل مع أفراد أعلى عن التفاعل مع أشياء، العرعة نحو مجالات ذات طابع اجتماعي وشخصي، أقل تقيداً بالقواعد من الرجل، ونحو ذلك: كل ذلك ضروري لأداء متطلبات البيت المتشابكة من ضمنها التربية والرعاية المباشرة للأطفال بخاصة تعلقهم الفطري الحاسم بالأُم أكثر من الأب، بالإضافة إلى ممارسة نشاطات ذات طابع اجتماعي أو شخصي، أو ذات طابع إنساني وخيري خارج قيود القواعد، أو القيام بأعمال مكتبية رتيبة.

إن الإنسان بجنسيه يجني فوائد عظيمة من حياته إذا أدرك العالم كما هو مخلوق؛ وليس بمحاولة منه إنشاء عالم حسب مشيئته ورغباته من أسس ومفاهيم يجهلها. فالرجال والنساء يماكثهم العيش معاً بسعادة أكثر، بتفهم وحب بعضهم البعض بدرجة أعلا، بتنظيم العالم إلى مصر أفضل، إذا أقر كل من الجنسين فوارقه عن الجنس الآخر. وبذلك يتمكن الجنس البشري من بناء حياته على دعامتين ثنائيتين متميزتين من حيث الهوية الجنسية. لقد آن الأوان لإيقاف الجدلية العقيمة غير المجدية بأن الرجال والنساء خُلِقوا متماثلان؛ فهم لم يُخلَقوا هكذا، ولا يمكن لأي مثالي أو مناد بإصلاح أن يغير هذه الحقيقة الفطرية الناصعة التي قضاه سبحانه لعباده الذكور والإناث. وعلينا أن نفر ونتقبل بأن الرجال أقوياء وضعفاء في مجالات، حيثما النساء قويات وضعيفات في مجالات: فتمكنت أن موا مثلاً من جمع إحصاءات من مختلف المصادر حول نسبة الرجال والنساء في ممارسة أعمال مختلفة، حيث تبين أن مقابل امرأة واحدة تسعة

رجال في مناصب سلطوية عليا<sup>④</sup>. والأمل هو النهاية لشعارات مصطنعة زائفة لمساواة المرأة بالرجل في كافة المجالات، والبديل الصائب الحكيم هو الإقرار بالفوارق البيولوجية بينهما ثم قيامهما بالدور اللائق لكل منهما من أجل أداء متكامل لمختلف نشاطات الحياة. فدعنا نسلّم بحقيقة بيولوجية هي أن الرجل والمرأة لم يُخلقا متساويان؛ إنما خُلقا متكاملان، فنستمر على الحياة على هذا المنوال. مايكل ليفن **Michael Levin** بروفيسور فلسفة في جامعة المدينة بنيويورك كتب يقول **Moir 190**:

"أدركت أن معظم النساء يجدن في الأمومة رضاء تاماً، ومعظمهن كأمهات لا يتمتعن بالوالدية أكثر من الآباء حسب؛ إنما بالأحرى هن أفضل في أدائها، أي هن أكثر ملائمة للوالدية من الآباء. فوقوف المرأة الأم على إطعام الجيل الخلف وكسائهم وتربيتهم وتعليمهم هي مهمة رفيعة نبيلة ترقى على مهمة كسب المال من خلال العمل".

المراجع:

1. **Baggott, Linda M, Human Reproduction, University of Cambridge 1997.**
2. **Haughton, Emma, Equality of the Sexes, Franklin Watts Londn 1997.**
3. **Jensen, Eric, The Learning Brain, Turning Point Publishing, USA 1995.**
4. **Maccoby, Eleanor, Social Development: Psychological Groth and the Parent-Child Relationship,**
5. **Moir, Anne & Bill, Why Men Don't Iron? HarperCollins Publishers UK1999.**
6. **Moir, Anne & Jessel, David, Brainsex, Mandarin Paperback UK 1991.**



## الهوامش

٩ لكل من الخصية والمبيض وظيفتين رئيسيتين: إنتاج الخلية المشيجية (الحي والبيضة) وإنتاج الهرمونات: هرمونات الذكورة أو منشطات الذكورة Androgenes أهمها هرمون التستوسترون، وهرمونات الأنوثة ستروجين Oestrogenes والجسترون Progesterone. إنتاج هرمونات الذكورة من الخصية وهرمونات الأنوثة من المبيض تتحكم فيه هرمونات تناسلية يفرزها الغص الأمامي للغدة النخامية Pituitary Gland الموجودة تحت وطاء الدماغ Hypothalamus، التي ذاتها تسيطر على هذه الغدة، حيث توجه الهرمونات المفردة لكل من الجنسين في الدورة الدموية حتى بلوغها العضو التناسلي المعني 13 Baggott!

١٠ أجريت تجربة في هذا المجال بأن طلب من رجل معالجة مشكلة بصرية باستعمال العين اليسرى فقط والتي تغذي المشكلة إلى الجانب الأيمن من دماغه، وطلبت من امرأة معالجة ذات المشكلة باستعمال كلا العينين، فكان إنجاز الرجل أفضل!

١١ ويدرج علماء الأعصاب فوارق بنيوية أخرى بين دماغ الذكر ودماغ الأنثى، حيث بدا لهم أن التأثيرات الهرمونية هي الصانع الرئيس لهذه الفوارق. فمخاض الذكر متباين عن دماغ الأنثى في الجوانب التالية من الدماغ: Jensen 288-289 طول وتشعبات الموصلات بين خلايا الدماغ العصبية (العصبونات) Neurons، التي من خلالها تمر رسائل كيميائية تطلقها الهرمونات إلى مختلف مواقع الدماغ. كثلة وشكل خلايا وطاء الدماغ Hypothalamus، الذي يسيطر أساساً على السلوك الجنسي، كذلك شكل النواة في وطاء الدماغ.

الطرق التي تسلكها الناقلات العصبية. كثافة جذائل العصبونات، في الذكر أكثر من الأنثى؛ وخلايا العصبونات لدماغ الذكر ثمان مرات أكبر من الأنثى. سمك الجانب الأيسر والأيمن لمراكز القشرة المسيطرة في الدماغ Cerebral Cortex، الذي يتحكم في السلوك المعقد. عدد عصبونات الفازوبريسين (عصبونات مقيتات الأوعية) Vasopressin في وطاء الدماغ. سمك ووزن الجسم الجاسي Corpus Callosum (كثلة ألياف عصبية تصل بين الجسمين نصف الكرويين للدماغ).

١٢ معنى لفظة مريم في اللغة السريانية مرتفع وجمعها مريمات أي مرتفعات. ولو كانت امرأة عمران في دعائها تنتظر مولوداً ذكراً؛ ولكنه سبحانه وتعالى أراد المولود أنثى، هي مريم الطاهرة العابدة سيدة نساء أهل الجنة، ولكي تلد عيسى على غير مثال من ولادة البشر.

١٣ من تجارب أحد الباحثين في هذا المجال أن حاول كبت سلوكية المغامرة لدى أحد الأطفال بتزويده لعبة تتألف من مجموعة أشخاص مدنيين ومدرسين بدلاً عن مجموعة جنود. وأثناء مراقبة الطفل عدة مرات، وجدته الباحث ينظم معركة بين مجموعة المدنيين ومجموعة المدرسين، لذا لم يتمكن الباحث من تغيير سلوك المغامرة الفطري لدى الطفل & Moir Jessel: 8

١٤ أجريت تجربة في هذا المجال بأن طلب من رجل معالجة مشكلة بصرية باستعمال العين اليسرى فقط والتي تغذي المشكلة إلى الجانب الأيمن من دماغه، وطلبت من امرأة معالجة ذات المشكلة باستعمال كلا العينين، فكان إنجاز الرجل أفضل!

ل مرة أخرى في ذات السورة يصرح القرآن الكريم بما هو كامن في نفس الإنسان من ازدواج، فيوجهها إلى سبيل التقوى: "وَأَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْلَمُوا بَيْنَ النَّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُتَعَلِّقَةِ وَإِنْ تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. النَّسَاءُ ١٢٩: فكلام الله تعالى هنا حول فطرة نفس الإنسان وميلها إلى ما ليس له عليها سيطرة: فقلب زوج قد يميل إلى زوجة أكثر من زوجته الأخريات، فيفضلها عليهن ظاهراً في المعاملة: هذا الميل نابع من فطرة الإنسان التي لا حيلة له بها، ولا يحاسبه الإسلام عليه؛ إلا إذا كان ميله كلياً ظاهراً إلى درجة يُشعر كل من بقية الزوجات بالإهمال، فلا تكن زوجة ولا تكن مطلقة: فهذا مئهى عنه وهو الميل الملموس في المعاملة. والرسول الكريم ﷺ كان رمزاً للعدل بين نساته الكريمات؛ ولكن رغم ذلك، نجده يلتمس ربه الأعلى بالعفو عند الميل، بقوله: "اللهم هذا قسمي فيما أملك. فلا تلمني فيما تملك ولا أملك."

ل المورمونيون Mormons: طائفة دينية أمريكية أنشأها جوزيف سميث عام ١٨٣٠ في نيويورك: ادعى سميث أن ملكاً لاح عليه فمنحه لوحة ذهبية منقوشة بتعاليم من السماء، فترجم النقوش إلى الإنكليزية ثم أصدرها كتاباً سماه "كتاب مورمون". وبموجب الكتاب أنشأ كنيسة خاصة سماها "كنيسة عيسى المسيح للقسيسين الختاميين"، مركزها حالياً في ولاية يوتا بأمريكا: يُقدر عدد التابعين إلى هذه الكنيسة تسعة ملايين وسبعمئة ألف مورموني، نصفهم في الولايات المتحدة والبقية في أمريكا اللاتينية، كندا، أوريا، ويقع أخرى من العالم بتعاليم هذا المذهب الأساسية: الملكية الجماعية؛ يااحة تعدد الزوجات، إذ تزوج سميث نفسه ومعظم قادة الطائفة بأكثر من زوجة واحدة ولكن تخلت الطائفة عن ذلك نتيجة ضغط الحكومة الفدرالية الأمريكية؛ الاعتقاد بعودة عيسى المسيح ثانية إلى الأرض لتحقيق العدل والسعادة فيها ولفترة ١٠٠٠ سنة، تسمى هذا المعتقد "العصر الألفي السعيد Millinery".

من تجارب أحد الباحثين في هذا المجال أن حاول كبت سلوكية المغامرة لدى أحد الأطفال بتزويده لعبة تتألف من مجموعة أشخاص مدنبيين ومدرسين بدلاً عن مجموعة جنود. وأثناء مراقبة الطفل عدة مرات، وجدته الباحث ينظم معركة بين مجموعة المدنبيين ومجموعة المدرسين، لذا لم يتمكن الباحث من تغيير سلوك المغامرة الفطري لدى الطفل Moir & Jessel: 8

تمكنت أن موا من جمع إحصاءات من مختلف المصادر حول نسبة الرجال والنساء في ممارسة أعمال مختلفة، أوردتها لك هنا لقيمتها في هذا البحث Moir 189: ٨٩% من السياسيين في العالم رجال؛ ٩٤% من وزراء المجالس الوزارية في العالم رجال؛ ٨٩% من المديرين في العالم رجال؛ ١٠٠% من مشاهير المهندسين المعماريين في العالم رجال؛ ٩٨% من المديرين الأعضاء في مجالس إدارة في ٧٠.٠٠٠ شركة ألمانية رجال؛ ٨٦% من الـ ١٠٠٠ شركة عظمى في بريطانيا ليس في مجالس إدارتها عضو نسوي؛ ٩٦% من أعضاء مجالس إدارات كل الشركات في بريطانيا رجال؛ ١٠٠% من الشركاء لشركات قانونية في لندن رجال، و ٨٤% من الشركاء لذات الشركات في بريطانيا رجال؛ ٩٢% من أساتذة الجامعات البريطانية (بروفيسور) رجال، والنسبة المتبقية نساء في حقول الطب والتربية والمكبات؛ ٩٦% من مديري شركات الإعلان في بريطانيا رجال؛ ٩١% من المديرين المتقدمين في الخدمة المدنية الحكومية في بريطانيا رجال؛ ٩٤% من قضاة المحاكم العليا في بريطانيا رجال؛ فقط ٢٠% من الكتبة رجال و ٨٠% نساء؛ ٩٩% من براءات الاختراع مسجلة من رجال؛ فتؤشر هذه الإحصاءات على أن مقابل امرأة واحدة تسعة رجال في المناصب السلطوية العليا!

# الإعجاز العلمي في عجب الذنب

د. عثمان جيلان



## مقدمة :

لقد جننا من عالم وسنتقل إلي عالم الغيب مرة أخرى ، ولكل عالم سننه الخاصة به والانتقال من عالم إلي عالم يصحبه تحول في السنن التي تحكمنا أثناء ذلك الانتقال.

ألا تري أن السنن التي تحكمنا ونحن أجنة في بطون أمهاتنا تختلف عن السنن التي تنتظرنا خارج الرحم ، بل إن السنن التي تحكم سكان الأرض على سطحها تختلف عن السنن التي تحكم رواد الفضاء خارج الأرض ، فكيف بالسنن التي تنتظرنا بعد موتنا وخروجنا من الحياة الدنيا ولايستطيع أحد أن يخبرنا خيراً يقينا قاطعاً عن مستقبلنا الذي نسير إليه إلا الذي ينقلنا إليه وهو الله سبحانه وتعالى عن طريق رسوله محمد صلي الله عليه وسلم الذي أرسله الله تعالى لآخبارنا عن مستقبلنا وطبيعة الحياة والسنن التي ستواجهنا في تلك المرحلة من الحياة بعد الموت .، قال الله تعالى " يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفي على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار " ( ١٥-١٦ ) سورة غافر .وقد اتفقت دعوة الرسل جميعاً على أن هناك حياة أخرى غير هذه الحياة ، وأن الله تعالى قد جعلها دار جزاء على الأعمال الصالحة والأعمال السيئة.

والإيمان يرسل الله عليهم الصلاة والسلام يتبعه الايمان بكل ما جاؤا به واهم ماجاءوا به الدعوة إلي الإيما ن بالبعث وما يتبعه من حساب وجزاء وعلى هذا فالإنكار لليوم الآخر تكذيب لرسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين شهد الله بصدقهم ،بل هو تكذيب لله عز وجل وهذا كفر والعياذ بالله وقد اثبت الله عز وجل حقيقة البعث والنشور في آيات كثيرة لا يحتاج الإنسان معها إلي حجة وبيان ، إذا جاء فيها من تفاصيل البعث والنشور والحساب والجزاء وبيان أحوال المؤمنين والكافرين في اليوم الآخر الشيء الكثير . ومن أهم ما جاء في هذا الشأن إقامة البراهين الكافية لإثبات البعث بما يدفع كل لبس وشبهة ويسقط معها كل جدل وافتراء .

وهذه البراهين التي جاءت من الكتاب الحكيم أغلبها رداً على منكري البعث من المشركين في عهد خاتم الرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وهي كافية في الرد على كل مرتاب ، وقد كان منشأ استبعادهم إعادة الحياة إلي الإنسان مرة أخرى هو صورته التآكل للبدن والتحلل إلي غازات وماء وعظام وتراب ، وهو استبعاد ناشئ عن قصور العقل وعدم سلامة تفكيره في هذه القضية وغياب الأدلة المادية ، حيث غاب عن عقولهم قدرة الله سبحانه وتعالى التي لا يعجزها شيء، وغاب عن عقولهم كذلك الربط بين البدء والإعادة فالذي قدر على الإيجاد للإنسان من العدم على غير مثال سابق يحتذي قادر على إعادته إلي الحياة مرة أخرى ، إذا أن إيجاد الإنسان ابتداءً أدعي إلي التفكير فيه والتعجب من دقة صنعه ومافيه من آيات " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " الذاريات

ومن هنا أقام الله سبحانه وتعالى براهين متعددة في كتابه العزيز لتقرير حقيقة البعث ودفع ما نشأ عند الانسان من لبس وإشكال.

ومن البراهين والأدلة على اليوم الآخر الاخبار عنه في القرآن والسنة قال تعالى " ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور " الحج (٦-٧). وقال تعالى " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلا وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما علمتم وذلك على الله يسير " التغابن ٧

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن اليوم الآخر وهو الذي زار الجنة ورأى النار ليلة الإسراء والمعراج فهو شاهد العيان الصادق الذي لا ينطق عن الهوى فقال صلى الله عليه وسلم عندما سأله جبريل عن الإيمان " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره " ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم " تحشرون حفاة عراة غرلا " أخرجه البخارى ومسلم والنسائي والترمذي. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب " رواه البخاري والنسائي والترمذي ومالك في الموطأ.

والأدلة النقلية والعقلية على البعث واليوم الآخر كثيرة جداً ونحن في بحثنا هذا وبفضل وتوفيق من الله تعالى أتينا بالدليل العلمي والمادي على البعث والنشور في زمن طال فيه ليل الكفر والإلحاد فنسال الله تعالى أن يجعل هذا البحث نوراً يجلي تلك الظلمات انه هو البر الرحيم.

## موضوع البحث :

موضوع البحث هو عجب الذنب ( آخر عظمة في أسفل العمود الفقري - العصص) جاء ذكره في الأحاديث النبوية الشريفة والتي نصت على أنه هو أصل الإنسان والبذرة التي يبعث منها يوم القيامة وأن هذا الجزء لا يبلى ولا تأكله الأرض .

ماهو عجب الذنب وماهي الأحاديث الشريفة التي تحدثت عنه

الأحاديث الشريفة :

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ثم يزل من السماء ماء فينبتون كما تنبت البقل وليس في الإنسان شيء إلا بلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب " أخرجه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي "

٢- وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب " أخرجه البخاري والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد في المسند ومالك في الموطأ .

٣- عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " وإن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب يوم القيامة قالوا أي عظم يارسل الله ؟ قال عجب الذنب . رواه البخاري والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد في المسند وأخرجه مالك .

فالأحاديث الصحيحة السابقة واضحة المعنى وتحتوي على الحقائق التالية :

١- أن الإنسان يخلق من عجب الذنب.

٢- عجب الذنب لا يبلى.

٣- فيه يركب الخلق يوم القيامة.

وفي بحثنا هذا وبتوفيق من الله تعالى الحميد المجيد جمعنا ما يثبت تلك الحقائق السابقة الذكر من خلال ماجاء به الطب الحديث وما توصل إليه العلم من اكتشافات طبية تدل على صدق كل ما قاله المصطفى صلى الله عليه وسلم مصداقاً لما وعدنا الله به " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " وسوف نشرح بمشيئة الله كل عنصر من العناصر الثلاثة السابقة على حده ونأتي بالأدلة العلمية على صدق ذلك " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " .

١- منه خلق :

لقد أخبرنا المصطفى عليه الصلاة والسلام أن أول ما يخلق في الإنسان هو عجب الذنب وبمعنى آخر أن أول ما يخلق ويتكون في الجنين هو عجب الذنب وبعد ذلك يتكون منه الإنسان وجميع أعضائه وأنسجته ولقد ثبت في كتب الأجنة أن أول ما يخلق في الإنسان هو عجب الذنب في مراحل الجنين المبكرة وبعد ذلك تخلق منه جميع أنسجة أعضاء الجنين وبعد ذلك يتراجع إلي الوراء ويصغر حجمه ويستقر في منطقة العصعص .

فمتى يتكون عجب الذنب في الجنين ؟ وكيف يخلق منه جميع أعضاء وأنسجة الجنين ؟ ومتى يحدث له تراجع ويستقر في منطقة العصعص ؟

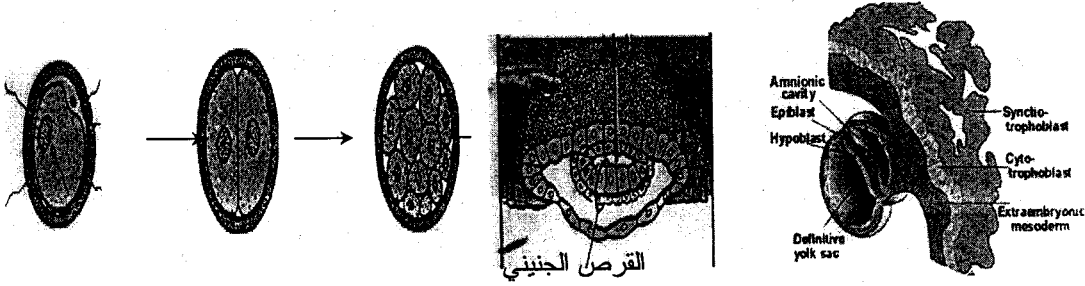
وللإجابة على ذلك تعالوا بنا نتابع تطور الجنين في الإنسان حتى نصل إلي مرحلة تكوين عجب الذنب ونتابع كذلك كيفية خلق الإنسان منه واستقراره بعد ذلك في منطقة العصعص ليكون عجب الذنب الذي أخبر عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام والذي ستركب الخلق منه يوم القيامة .

### Stages of Embryonic Development

مراحل تكوين الجنين :

يبدأ تكون الجنين عندما يحدث تلقيح البويضة بحيوان منوي ، حيث يدخل الحيوان المنوي إلي البويضة وتصبح مخصبة ويتكون نتيجة لذلك الزيجوت ، ينقسم الزيجوت إلي خليتين وكل خلية تنقسم إلي خليتين وهكذا يستمر الانقسام وتكاثر الخلايا في الجنين حتى يصبح الجنين عبارة عن قرص **embryonic disc** مكون من طبقتين طبقة ظهرية تسمى الأيبلاست **Epiblast** وطبقة داخلية تسمى الهيبوبلاست **Hypoblast**





وإلى اليوم الرابع عشر والجنين عبارة عن قرص مكون من طبقتين اليبيلات والهيبوبات ولا يوجد له أي علامات مميزة فلا يعرف مقدمته من مؤخرته ولا يمينه من شماله.

في اليوم الخامس عشر يظهر في مؤخرة الجنين الطبقة الظهرية خيط يسمى الخيط الأولي **primitive streak** نهايته مدببة تسمى العقدة الأولية وبمجرد ظهور هذا الخيط يعرف أن هذه المنطقة هي مؤخرة القرص الجنيني ومن هذا الخيط الأولي والعقدة الأولية **primitive node** تتكون جميع طبقات وأنسجة وأعضاء الجنين وبعد ذلك يحدث له انكوص وتراجع إلى الخلف (المؤخرة) ويستقر في منطقة العصص ليكون عجب الذنب الذي أخبرنا عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام أن الإنسان يخلق منه. وبعد ذلك يتراجع ويستقر في آخر فقرة في العصص ليكون البذرة التي يعاد تركيب الإنسان منها يوم القيامة. إذن الخيط الأولي وعقدته الأولية يمثلان عجب الذنب الذي أخبرنا عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم. فما هو الخيط الأولي وعقدته الأولية؟ ومتى يتكون؟ ومن أين ينشأ؟ وكيف يخلق منه الجنين؟ ومتى يحدث له تراجع واستقرار في العصص؟ وما هي خصائصه؟ وما تأثير العوامل البيئية الفيزيائية والكيميائية عليه من حرق وسحق وغلbian وسحق؟  
ولمعرفة الإجابة على كل ذلك تابعوا معنا الصفحات التالية:

### :Primitive streak

الخيط الأولي

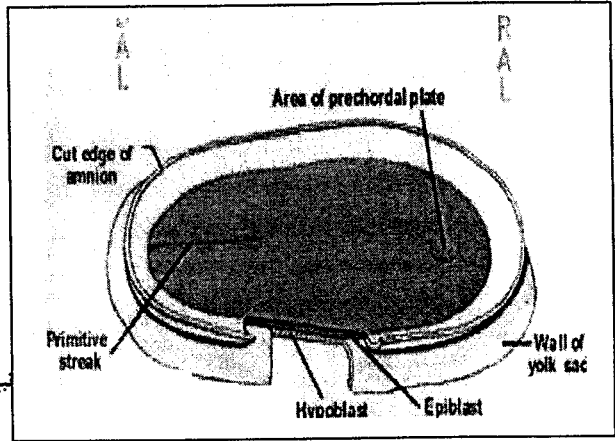
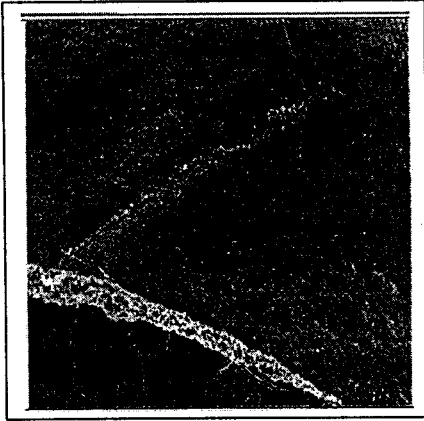
During the development usually on day 15, a thickened linear band of epiblast known as the primitive streak appears caudal in the midline of the dorsal aspect of the embryonic disc. It is clearly visible as a narrow groove with slightly bulging regions on either side.

KEITH. L. Moore. The Developing Human, page 54.

Human embryology 4<sup>th</sup> edition, page 69.

أثناء التطور دائماً في اليوم الخامس عشر يظهر شريط خيطي متشخن في طبقة الأيبلاست يعرف بالخيط الأولي يظهر في المؤخرة في الناحية الظهرية والقرص الجنيني. إنه يبدو واضحاً كأخدود ضيق منبعج الحواف قليلاً في كلا الجانبين.

في هذه الرسمة يظهر القرص الجنيني مكون من طبقة الالبيلات والميوللات ويظهر الخيط الأولي في مؤخرة القرص الجنيني في الطبقة الظهرية ( الالبيلات ) :  
المصدر : Lang man Page54

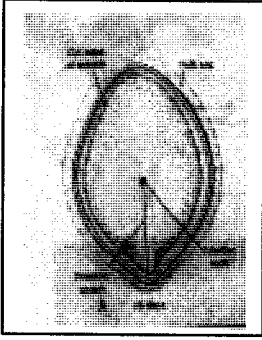


إذن الخيط الأولي يظهر في مؤخرة القرص الجنيني في اليوم الخامس عشر هذا الخيط يكون نهايته الأمامية مدببة تسمى العقدة الأولية

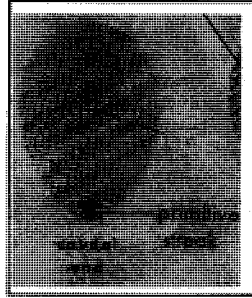
The cranial end of the Primitive streak is Known as primitive node or Hensens node, it is athicken area at the tip of the primitive streak.

K.L. Moor the Developing Human 3 red edition54

تقول الفقرة السابقة : النهاية الرأسية للخيط الأولي تسمى بالعقدة الأولية أو عقدة هensen أو هي منطقة متشخنة في النهاية الرأسية للخيط الأولي .



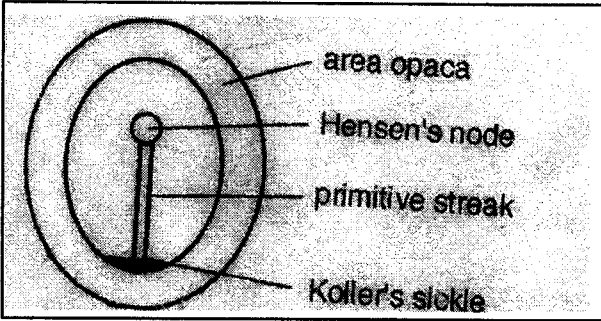
في هذه الصورة يظهر الخيط الأعلى ونهايته مدببة تسمى العقدة الأولية ( القرص الجنيني عمره ١٦ يوماً المصدر : Long Man



هذه رسمة للقرص الجنيني ويظهر الخيط الأولي في مؤخرة القرص الجنيني المصدر : K.I.m

إذا عرفنا متى يتكون الخيط الأولي والعقدة الأولية والرأس بقي سؤال وهو من أين ينشأ الخيط الأولي والعقدة الأولية . قلنا سابقاً إن الخيط الأولي ينشأ في مؤخرة القرص الجنيني وللإجابة عن مصدر نشأته .

توجد في حافة مؤخرة الجنين منطقة تسمى منطقة كولر الهلالية تحتوي على خلايا هذه الخلايا تكون على شكل هلالي أو منجلي وهي كما ذكرنا تقع على حافة مؤخرة القرص الجنيني هذه الخلايا ينشأ منها الخيط الأولي والعقدة الأولية بحيث تستطيل أمامياً فالجزء الأمامي يكون العقدة الأولية والجزء الخلفي يكون الخيط الأولي إذن الخيط الأولي والعقدة الأولية منشأهما هي خلايا تقع في حافة مؤخرة الجنين في منطقة تسمى كولر الهلالية .



نلاحظ في الرسمة على اليمين أن الخيط الأولي والعقدة الأولية ينشآن من مؤخرة القرص الجنيني من خلايا في حافة المؤخرة في منطقة تسمى كولر الهلالية

**Formation of the primitive streak occurs frist of the future  
posterior end of the empryo (Kollers sickle cell)  
south at gustrulation.html / [www.cofc.edu](http://www.cofc.edu) Gastrulation http:**

المرجع

العبارة السابقة تقول : تكوين الخيط الأولي يحدث أولاً في منطقة تسمى منطقة كولر الهلالية وهي النهاية الخلفية للجنين مستقبلاً والنهاية الخلفية للجنين في المستقبل هي آخر فقرة في العصعص

**Derivatives of Kollers Sickles: The anterior Portion becomes the  
Hensens node while the posterior portion forms the primitive  
streak**

File: // A: mesainduction. Htm

تقول العبارة السابقة إن مشتقات منطقة كولر الهلالية أن الجزء الأمامي منها يصبح العقدة الأولية ( هنسن) والجزء الخلفي يصبح الخيط الأولي وهو ما ذكرنا سابقاً .  
إذن ينشأ الخيط الأولي بالعقدة الأولية من خلايا كولر الهلالية التي تقع في حافة المؤخرة للقرص الجنيني .  
والآن بعد أن عرفنا من أين ينشأ الخيط الأولي والعقد الأولية تعالوا بنا نتعرف مادور الخيط الأولي والعقدة الأولية في تكوين الجنين .

إن الدور الأساسي للخيط الأولي والعقدة الأولية هو تكوين جميع طبقات وأعضاء وأنسجة الجنين وبعد ذلك يحدث له تكوّن ويتراجع للخلف ويستقر في منطقة العصعص ( آخر فقره منه ) ليكون عجب الذنب الذي أخبر عنه المصطفى صلي الله عليه وسلم تسليماً كثيراً أن الانسان يخلق منه ولا يبلي وأنه يركب منه الخلق يوم القيامة . وهذا يثبت قول النبي صلي الله عليه وسلم .

والآن تعالوا بنا نأتي لاثبات الجزء الأول من الحديث النبوي الشريف أن الإنسان يخلق من عجب الذنب ( الخيط الأولي والعقدة الأولية ).

١ - منه خلق

يبدأ تكوين طبقات الجنين وأعضاؤه في الأسبوع الثالث أي بعد تكوين الخيط الأولي وتسمى مرحلة تكوين طبقات وأعضاء وأنسجة الجنين بـ **gastrulation** ( المعيدات ) أو تكوين المعيدات .  
والآن نأتي بالأدلة من الكتب الأجنبية التي تثبت أهمية عجب الذنب ( الخيط الأولي ) في تكوين الجنين .

**When the Primitive streak appears it is possible to identify the embryonic cranio caudal axis its cranial and caudal end its dorsal and ventral surface and its right and left sides.**

**K.L.M. Developin humans 3rd edition 54**

عندما يظهر الخيط الأولي يكون من الممكن تحديد ومعرفة محور الأمامي الخلفي ونهايته الأمامية والخلفية وسطحه البطني والظهري ويمينه من يساره وقبل ذلك كان الجنين عبارة عن قرص مكون من طبقتين ليس به أي مميزات .

**Human embryology 4<sup>th</sup> edition page 54**

**The 3<sup>rd</sup> week is characterized by the formation of the primitive streak from which all tissues and organs of the embryo develop.**

**K- L.Moore The developing Human 3<sup>rd</sup> edition Page 53**

يتميز هذا الأسبوع الثالث بتكوين الخيط الأولي والذي منه تنشأ جميع أنسجة وأعضاء الجنين .  
وهذا دليل واضح على خلق الجنين من الخيط الأولي ( عجب الذنب ) .

**- Gastrulation begins with the formation of the Primitive streak on the surface of the epiblast.**

**Lang man page.53**

يبدأ تكوين طبقات الجنين بتكوين الخيط الأولي على سطح طبقة الأيبيلات ( الطبقة الظهرية )  
والآن نأتي إلي شرح تكوين طبقات الجنين من الخيط الأولي ( عجب الذنب ) .  
من المعروف أن عدد الطبقات الأولية التي يتكون منها الجنين هي ٣ طبقات :

Ectoderm	الخارجية	-	الاكودرم
Mesoderm	الوسطى	-	الميزودرم
Endoderm	الداخلية	-	الاندردم

وكل طبقة يتكون منها عدد من الأعضاء والأجهزة وكلها في مجموعها يتكون منها جسم الإنسان كاملاً .

فكيف تتكون هذه الطبقات الثلاث من الخيط الأولي وماهي الأعضاء والأجهزة التي تنشأ من كل طبقة

تكوين طبقات الجنين من الخيط الأولي

قلنا أنه حتى اليوم الرابع عشر يكون الجنين عبارة عن قرص مكون من طبقتين ظهرية تسمى الأبيلاست وطبقة داخلية تسمى الهيوبلاست .

وفي اليوم الخامس عشر يظهر الخيط الأولي في مؤخرة الجنين في طبقة الأبيلاست الظاهرية . وبمجرد ظهور الخيط الأولي يبدأ تحرك وهجرة خلايا طبقة الأبيلاست الظاهرية باتجاهه بحيث تدخل من خلاله إلى داخل القرص الجنيني بحيث يحدث لها تغير في حجمها وشكلها في أخذود الخيط الأولي وتصبح شكلها محروطي ثم تتجه إلى داخل القرص الجنيني بحيث يقوم بعضها بتكوين طبقة وسطي تسمى الميزودرم والآخر يقوم بإزاحة طبقة الهيوبلاست الداخلية ويكون بدلاً منها طبقة الأندودرم الداخلية

**Gastrulation begins with the formation of the primitive streak on the surface of the epiblast . cells of the epiblast migrate in the direction of the primitive streak to form mesoderm and intraembryonic endoderm . on arrival in the region of the streak they become flask shape detach from the epiblast and slip beneath it . some displace the hypoblast thereby creating the embryonic endoderm while some come to lie between the epiblast and newly created endoderm to form mesoderm . cell remaining in the epiblast form ectoderm .**

**K.L. Moore Developing human 3<sup>rd</sup> edition page 53.**

## الترجمة

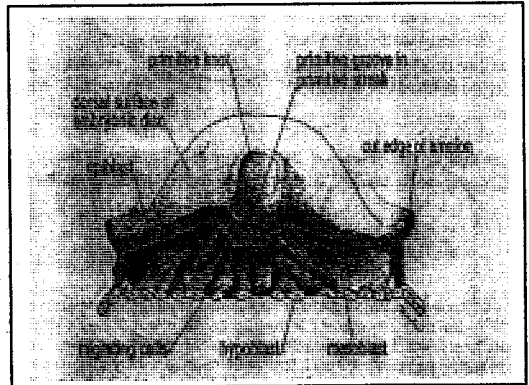
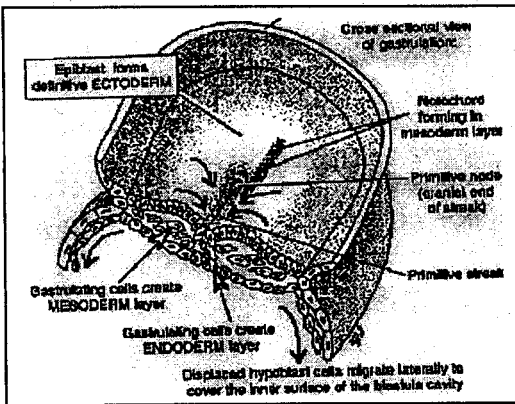
مرحلة تكوين طبقات الجنين تبدأ بتكوين الخيط الأولي على سطح طبقة الايبلاست الظهرية. الخلايا الموجودة في طبقة الايبلاست الظهرية ترح وتتحرك مهاجرة إلى الخيط الأولي لتكون طبقة الاندودرم ( الداخلية ) والميزودرم (الوسطي) وعند وصولها إلى منطقة الخيط الأولي يصبح شكلها مخروطي وتنفصل من طبقة الايبلاست وتنحدر تحتها بعض الخلايا لتزيج طبقة الهيبوبلاست وتكون بدل منها طبقة الاندودرم ( الداخلية) والبعض تأتي لتستقر بين طبقة الايبلاست وطبقة الاندودرم المتكونة الجديدة وتكون طبقة الميزودرم ( الوسطي).

والخلايا المهاجرة التي بقيت في طبقة الايبلاست تكون طبقة الاكتودرم.

The three germ layers are formed by ingression of epiblast cells through the primitive streak.

( [http:// www. Brynmarr edu/ biology /dev biology, flatgast.hotmail](http://www.Brynmarr.edu/biology/dev_biology_flatgast.hotmail)

الطبقات البدائية الأولية الثلاث تتكون بدخول خلايا طبقة الايبلاست خلال الخيط الأولي .  
 إذن الطبقات الثلاث الأولية البدائية ( الاندودرم والميزودرم والاكتودرم) تتكون من الخيط الأولي





Endoderm  
Mesoderm  
Ectoderm

إذن وبحمد الله أثبتنا أن الخيط الأولي تتكون منه  
١- طبقة الاندودرم (الداخلية)  
٢- طبقة الميزودرم (الوسطى)  
٣- طبقة الاكتودرم (الخارجية)

وبقي لدينا العقدة الأولية ما ذا يتكون منها ؟  
يتكون من العقدة الأولية Primitive Note الجهاز العصبي المركزي والعمود الفقري والجمجمة

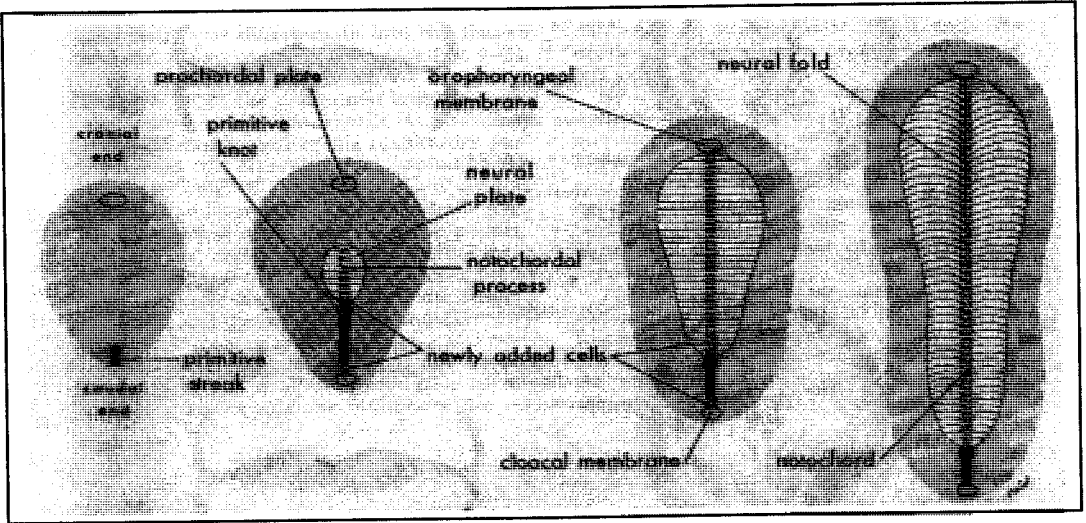
كيف يحدث ذلك :  
الخلايا المهاجرة خلال العقدة الأولية يتكون منها الحبل الظهري Notochord ( انظر الصورة السابقة)  
وهذا الحبل الظهري يتكون منه العمود الفقري والجهاز العصبي المركزي وبذلك يكون الجنين قد اكتمل  
خلقه ( ٣ طبقات بدائية اولية بالإضافة إلي العمود الفقري والجهاز العصبي ) .  
كيف ذلك

**In the midline of the embryonic disc a cord of cells migrate forward from the Hensens node between ectoderm and endoderm this cord is known as notochord process. The notochordal process lengthens by migration of cells from the primitive note.**  
**K.L. Moore Developing human 3<sup>rd</sup> edition page 56.**

في الخط الأوسط للقرص الجنيني حبل من الخلايا يرح وبرتحل إلى الأمام من عقدة هنسن ( الأولية )  
( بين طبقة الاكتودرم والميزودرم ، هذا الحبل يسمى برعم الحبل الظهري ، والذي يستطيل بروح الخلايا  
من العقدة الأولية  
إذن منشأ الحبل الظهري من العقدة الأولية

The notochord is the structure around which the vertebral column forms . the notochord also induces the overlying ectoderm to form the neural plate The primordium of the C.N.S .  
K.L. Moore Developing human 3<sup>rd</sup> edition page 61.

الحبل الظهري هو الجزء الذي يتكون حوله العمود الفقري وهو الذي يؤثر على طبقة الاكتودرم التي أعلاه لتكون الجهاز العصبي المركزي.  
عندما يظهر الحبل الظهري فإنه يؤثر وينظم طبقة اليبلاست بحيث يحول مصيرها وبدل أن تكون الجلد يجعلها تكون الجهاز العصبي المركزي



نلاحظ في الصورة أعلى كيف يستطيل الحبل الظهري **notochord prouss** باضافة خلايا من العقد الأولية وكيف يتكون العمود الفقري والجهاز العصبي المركزي.  
إذن وصلنا إلى الآن إلا مايلي

الخيوط الأولى تتكون من الطبقات الأولية الثلاث ، والعقدة الأولية الجهاز العصبي والعمود الفقري ، والآن نأتي لنذكر الأجهزة الأعضاء التي تتكون من كل طبقة من الطبقات الأولية الثلاث

## ١- طبقة الاكتودرم : Ectoderm

الجلد والجهاز العصبي المركزي بتأثير من الحبل الظهرى .

## ٢- طبقة الميزودرم Mesoderm

ينشأ منها العضلات الملساء المغطية للجهاز العضوى ، والعضلات المخططه المرتبطة بالعظام كذلك ينشأ منها الجهاز الدورى والقلب والعظام والغضاريف والجهاز التناسلى والبولى ( عدا المثانة) والأنسجة تحت الجلد والجهاز اللمفاوى والطحال والغدة الكظرية فوق الكلوية.

## ٣- طبقة الاندودرم : Endoderm

يتكون منها النسيج الطلاىى البطن للجهاز الهضمى والتنفسى وملحقات الجهاز الهضمى ( الكبد والبنكرياس ) والمثانة البولية والغدة الدرقية والجار درقية والقناة السمعية .  
إذن فالخيط الأوىى والعقدة الأوىى واللذان يمثلان عجب الذنب يتكون منهما ويخلق منهما الجنين مصداق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( منه خلق ) .  
وبعد أن يخلق الجنين من الخيط الأوىى والعقدة الأوىى (عجب الذنب ) أين يكون مصيرهما .

**Fate of the primitive streak: The primitive streak quickly diminish in Relatively size and Regresses toward the posterior end and become an insignificant structure in the sacrococcygeal region ( at the tip of the coccyx )**

- K.L. Moore Pag 54

- [Htt:/ www. Cofc .edu/ southget, gastrulat.html.](http://www.Cofc.edu/southget_gastrulat.html)

الخيط الأوىى بسرعة يصغر حجمه نسبياً ويتحرك إلى الخلف ويصبح مركب أو جزء غير مهم فى منطقة العصعص ( آخر فقره ) .

إذن بعد أن خلق منه الجنين تراجع إلى الوراء يستقر فى العصعص ليكون عجب الذنب الذى أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ( منه خلق ) فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والآن نأتى إلى إثبات

٢- منه يركب .

٣- لا يبلى .

وإي قد استقر بنا المطاف على أن الخيط الأولي والعقدة الأولية بعد أن يخلق منهما الجنين يستقران في العصعص فيما ترى في أي فقرة من العصعص ، هل يستقران في آخر فقرة في العصعص ؟ إذا كانت الإجابة بنعم بأنه يكون عجب الذنب هو آخر فقرة في العصعص؟  
الإجابة هو أن الخيط الأولي والعقدة الأولية يستقران في عظمة العصعص في آخر فقرة منه ولسنوق الأدلة على ذلك إن شاء الله فسنأل الله العون والتوفيق.

دعونا قبل ذلك نتابع الخيط الأولي والعقدة الأولية بعد استقرارهما في عظم العصعص ماذا يحدث لهما ، هل حدث لهما إعادة نمو بعد استقرارهما في منطقة العصعص ؟ وإذا حدث لهما نمو في طفل مولود أو شخص بالغ بفعل مؤشر ما ( سرطاني مثلا) ماذا يكون نتيجة النمو هل ينمو مخلوق آخر؟ بمعنى آخر اذا حدث نمو ورم سرطاني في عجب الذنب فهل ينمو نموا سرطانيا أو ينمو كنمو الجنين على أساس انه بذره الانسان اذا نما مره اخري يخلق منه انسان .

نعم ربما يحدث مؤثر ما على خلايا الخيط الأولي والعقدة الأولية في العصعص وينتج عن ذلك سرطان يسمى الجنين المشوه أوالمسخي Teratoma حيث ينمو الخيط الأولي والعقدة الأولية ويكونا أولا الطبقات الأولية الثلاث وينمو الورم كنمو الجنين ويكبر الورم محتويًا على أنسجة وأعضاء جنين وتخرج أعضاء من الورم ( يد أو رجل ) وكأنه إنسان نمت داخل إنسان أو جنين داخل جنين .  
إذن إذا حدث وان نما عجب الذنب ( الخيط الأولي ) في إنسان فإنه يؤدي إلي تكوين ورم مسخي أو ورم الجنين المشوه ، أي يؤدي إلي نمو جنين مشوه من العصعص .  
وتعالوا نبحر سويا في تفاصيل الورم المسمي المسخي في العصعص

## Teratoma

Sacrococcygeul الورم المسخي

### Sacrococcygeal Teratoma:

Some time primitive streak Remnant persist and gives Rise to atumour Know as Sacrococcygeal teratoma. As these cells are derived from pleuripotent Pritive streek cells. The tumours often contain Various types of tissues derivered from all germ layers.

- K.L. Moor page 57.
- Lang Mans 7<sup>th</sup> edition page 61.

أحياناً بقايا الخيط الأولي تظهر وتكون ورماً يسمى المسخي البحر عصعص ولأن هذه الخلايا منشأها من خلايا الخيط الأولي ذات المقدرة الكلية أو الشاملة فإن الورم المسخي غالباً يحتوي على أنسجة متنوعة متعددة ،منشأها من الطبقات البدائية الثلاث .

أى أنه إذا حدث نمو خلايا الخيط الأولي الموجودة في العصعص فإن هذه الخلايا تنقسم وتتكاثر لتكاثرها في الرحم فتكون اولا الطبقات الأولية الثلاث وكل طبقة ينشأ منها مايقابلها من الأنسجة الناشئة منها فيكون الورم المكتوب من هذه الخلايا يشبه الجنين وفي حالات كثيرة يشاهد عضو كامل يبرز من هذه الورمه مثل يد بأظافرها وأصابعها أو رجل بأصابع أظافر قدم ( ولذلك تعبر الورمه جنيناً مشوهاً ومعنى كلمة Teratoma الجنين المشوه أنظر الصور تحت .



FIG. 52.—This sacrococcygeal teratoma had taken the shape of a leg (a third leg!) It had rudimentary toes and nails. It was successfully operated on.

(A. C. Bose, MS, FACS, Senior Consultant (Surgery) Armed Forces, India.)



Fig. 3.1.— Sacrococcygeal teratoma usually presents since birth. Rudimentary hand is seen in the tumour which develops from the totipotent cells.

**Teratoma :-** Containing Representative cells from all three embryonic Layers ( ectoderm, Mesoderm, endoderm) and containing hair, teeth, muscle, glands,...

The precise origin of teratoma probably from migrating totipotential cells found in proximity to the hensens node in the early embryo the peak incidence is in the second and third decades.

1- Sho practice of surgery page102

2- Sabiston text book of surgery 16<sup>th</sup> edition page

الورم المسخي يحتوي على خلايا ممثلة من كل الطبقات الأولية الثلاث والاكودرم والاندودرم الميزودرم ويحتوي على ستة أسنان عضلات /غدد ... ومنشأ الورم المسخي من الخلايا ذات المقدرة الكلية المهاجرة بالقرب من العقدة الأولية في مراحل الجنين المبكرة ، أعلى معدل لحدوثه في العقد الثاني والثالث من العمر.

إذن منشأ جميع الأورام المسخية من خلايا المهاجرة الواقعة بالقرب من العقدة الأولية ، وهذا بالنسبة للورم المسخي كنظرة عامة.

**Sacrococcygeal teratoma** والآن سوف نركز على الورم المسخي في العصعص قلنا أن الخيط الأولي وعقدته الأولية بعد تكوين الجنين منهما يتراجعان للوراء ويستقران في العصعص وإذا حدث هما مؤثر ما وثمرت الخلايا الموجودة في العصعص والتي مصدرها الخيط الأولي وعقدته الأولية ينشأ من ذلك الورم المسخي العجز عصصي .  
ولزيد من المعلومات نتابع الآتي

**An unusual type s the sacrococcygeal teratoma which can be considered as fetus in fetus.**

Sho practice of surgery page102

النوع الغير المعتاد هو الورم المسخي العجز عصصي والذي يعتبر طفل داخل طفل .

**The Frequency of the precoccygeal region for the development of a teratoma is explained by the fact that this area is the site of the primitive knot, a group of totipotent cells that retain their totipotentiality longer than any others save the sex anlage. It is present as a mass protruding between the coccyx and the rectum. Nearly always arising from the tip of the coccyx. Management. by surgical including removal of the coccyx.**

**Failure to remove coccyx Result in 30- 40% Recurrence.**

**1- Short Practice of surgery.**

**2- [http:// www.neonatology.org/syllabus/ teratoma.html](http://www.neonatology.org/syllabus/teratoma.html)**

تقول الفقرات السابقة :

أن تكرار تعرض منطقة العصعص لنمو الورم المسخي العجز عصعص يفسر بالحقيقة التي مفادها أن منطقة العصعص هي مكان استقرار العقدة الأولية وهي مجموعة من الخلايا ذات المقدرة الشاملة الكلية والتي تحتفظ بمقدرتها الكلية أطول من أي خلايا في الجسم تحفظ وتدخر وتنفذ البداية البشرية أو الجنس البشري. ويكون الورم المسخي العصعصي عبارة عن كتلة تبرز بين العصعص والمستقيم وتقريباً دائماً منشأه من آخر فقره في العصعصي ( حافة العصعص ) وعلاجه بالاستئصال الذي يشمل استئصال العصعص وإذا بقيت بقايا من العصعص لم تستئصل فإن ذلك ربما يحدث نمو للورم مرة أخرى بنسبة تتراوح ما بين ٣٠ - ٤٠% الورم المسخي العجز عصعصي ودلالة الإعجاز

## ( تلخيص ماسبق ) :

بعد تكوين وخلق الجنين من الخيط الأولي والعقدة الأولية يتراجعان ويستقران في العصص وفي آخر فقرة منه وتبقى موجودة في العصص محتفظة بخصائصها ومقدرتها الكلية الشاملة وإذا حدث لها مؤثر وثمت مرة أخرى فإنها تنمو نمواً يشبه نمو الجنين مكونة ورماً مسخياً يشبه الجنين المشوه وتخرج بعض الأعضاء كاملة ( قدم أو يد ) بأصابع وأظافر ووجود هذه الخلايا في منطقة العصص لكي تحفظ البداية البشرية ويمكن الاستدلال بهذا على صحة الحديث الذي يقول ان الإنسان يركب من عجب الذنب يوم القيامة فمنطقة عجب الذنب تحتوي على خلايا الخيط الأولي والعقدة الأولية وهي ذات مقدرة شاملة كلية بحيث لو ثمت خلية فإنها تنمو نمواً بحيث تكون جنيناً حيث تبدأ في تكون الطبقات الأولية الثلاث الكتودرم والميزودرم والاندودرم تماماً مثل نمو الجنين ، وينمو ورماً مسخياً ، يشبه الجنين بحيث تبرز بعض الأعضاء كالقدم واليد والأعضاء الباقية تكون داخل الورمه بحيث عندما يفتح الورم بعد استئصاله يفتح فيجد الجراح الأعضاء الباقية والأجهزة داخل الورمه فيجد الأسنان والأمعاء والعظام والشعر والغدد .

وهذا يستدل به على إمكانية إعادة تركيبه يوم القيامة ( تركيب الانسان ) من عجب الذنب الذي يحوي خلايا الخيط الأولي والعقدة الأولية ذات المقدرة الكلية الشاملة .

صورة للورمين.

الورم المسخي العجزي العصصي ودلالة الإعجاز

(تلخيص لما سبق)

بعد تكوين وخلق الجنين من الخيط الأولي والعقدة الأولية يتراجعان ويستقران في العصص في آخر فقرة منه وتبقى خلايا الخيط الأولي والعقدة الأولية في العصص محتفظة بخصائصها ومقدرتها الكلية الشاملة وإذا حدث لها مؤثر وثمت مرة أخرى فإنها تنمو مكونة ورماً مسخياً يشبه الجنين المشوه وتخرج بعض الأعضاء من الورم (قدم أو يد) بأصابع وأظافر ووجود هذه الخلايا في منطقة العصص لكي تحفظ البداية البشرية ويمكن الاستدلال بهذا على صحة الحديث الشريف الذي يقول أن الإنسان يركب من عجب الذنب يوم القيامة فمنطقة عجب الذنب تحتوي على خلايا الخيط الأولي والعقدة الأولية وهي ذات مقدرة شاملة كليه بحيث لو ثمت خلية واحدة فإنها تنمو نمواً مثل نمو الجنين حيث تبدأ في تكوين الطبقات الأولية (الأكتودرم والميزودرم والاندودرم) تماماً مثل نمو الجنين وينمو مكوناً ورماً مسخياً يشبه الجنين بحيث تبرز بعض الأعضاء كالقدم واليد. والأعضاء الباقية تكون داخل الورم بحيث عندما يفتح الجراح الورم بعد استئصاله فيجد الجراح الأعضاء الباقية والأجهزة داخل الورم (الأمعاء والأسنان والعظام والشعر والأعصاب والغدد... الخ) وهذا يستدل به على إمكانية إعادة تركيبه يوم القيامة من أعجب الذنب (العصص) الذي يحوي خلايا الخيط الأولي والعقدة الأولية ذات المقدرة الشاملة.

التشريح والأجنة



## خصائص عجب الذنب الخيط الأولي والقعد الأوليه

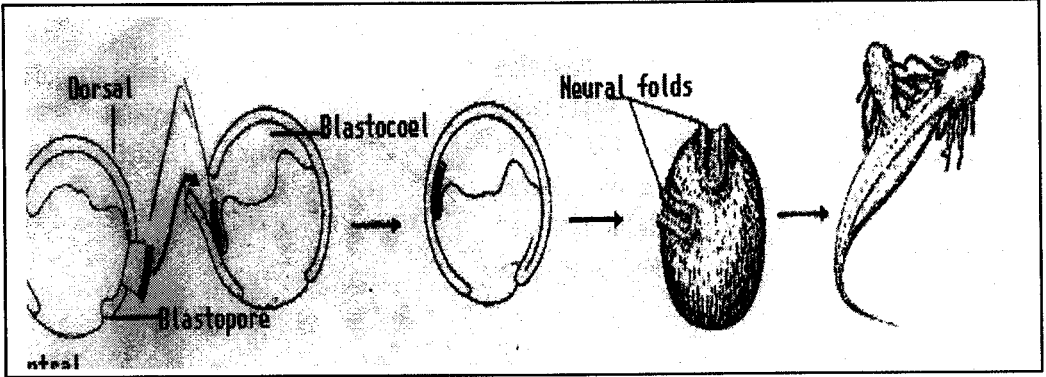
### Nature Of primitive Streak and primitive Node

عندما يحدث تلقيح للويضة بحيوان منوي ويتكون الزيجوت فإن الزيجوت ينقسم عدة مرات ويمر الجنين بمراحل انقسام وتكاثر حتى يصبح الجنين عبارة عن قرص مكون من طبقتين ظهرية تسمى الإيبلاست وداخلية تسمى الهيبوبلاست وإلى اليوم الرابع عشر والجنين عبارة عن قرص مكون من طبقتين ليس بها أي تمايز أو صفات مميزة. ما الذي يجعل هذه الخلايا الغير مميزة والمتشابهة تكون أجهزة مختلفة (جهاز هضمي، جهاز عصبي... الخ) ما الذي يوجهها وينظمها ويجعلها تتخلق إلى أنواع عديدة مختلفة من الخلايا لكل منها وظيفة معينة بحيث تكون في مجموعها الجسم الإنساني.

إن الذي يقوم بهذا التخليق والتنظيم لجميع خلايا الجنين هو الخيط الأولي والعقدة الأولية وقبل أن يتكونا لم يكن هناك أي تمايز أو تحديد لمصدر خلايا الجنين فقط عبارة عن طبقتين لكن بمجرد ظهور الخيط الأولي والعقدة الأولية يعرف أولاً أن مكان ظهورهما هو مؤخرة الجنين ويبدأ الخيط الأولي والعقدة الأولية في تنظيم وتخليق أعضاء وأجهزة الجنين حيث تبدأ خلايا طبقة الأيبلاست الظهرية للجنين للتحرك والروح نحو الخيط الأولي والعقدة الأولية حيث تدخل وتنفرس فيه وهو بدورة يوجهها إلى مصيرها ويتغير شكلها ويعطيها التعليمات لتخليق طبقات الجنين الأولية (الميزودرم، الأكتودرم، الأندودرم) ويوجه بعضها لتخليق الجهاز العصبي من خلال مرورها عبر العقدة الأولية ولقد أهتم علماء وباحثوا الأجنة بهذه الظاهرة وقاموا بتجارب عديدة لمعرفة كيفية حدوث هذا التنظيم والتخليق وقاموا بالتجارب خاصة على الخيط الأولي والعقدة الأولية لمعرفة الآلية التي يقوم بها الخيط الأولي لتنظيم خلق الجنين من خلايا أولية بدائية.

ومن أهم العلماء العالم الألماني الشهير (هانس سييمان) حيث قام بدراسات وتجارب على الخيط الأولي والعقدة الأولية واكتشف أن الخيط الأولي والعقدة الأولية هما اللذان ينظمان خلق الجنين وأطلق عليهما اسم (المنظم الأولي أو المخلق الأولي) (Primary Organizer) وقام بقطع هذا الجزء (الخيط الأولي والعقدة الأولية) وزرعه في جنين آخر في المراحل الجنينية المبكرة في الأسبوع الثالث والرابع فأدى ذلك إلى نمو جنين ثانوي من هذه القطعة المزروعة في الجنين المضيف حيث تقوم هذه القطعة المزروعة بالتأثير على البيئة التي حولها والمكونة من خلايا الجنين المضيف بحيث تؤثر عليها وتنظمها ويتخلق منها جنين ثانوي مغروساً في جسد الجنين المضيف.

وقد بدأ العالم الألماني تجاربه على البرمائيات بحيث قام بأخذ المنظم الأولي (فتحت المعى الخلفي) وزرعه في جنين آخر أدى إلى نمو جنين ثانوي.



ملاحظة: الخيط الأولي والعقدة الأولية في الحيوانات الشدية مرادفهما في البرمائيات هو فتحت المعى الخلفي.  
**Primitive streak and primitive node in mammal=blastopore in amphibian.**

والزراعة تكون بقطع المنظم الأولي ( الخيط الاولي والعقدة الأولية ) ووضعه في جنين آخر في نفس العمر وتحت طبقة الإبيلاست فيؤدي ذلك إلى نمو محور جنين ثانوي ولقد قام العالم الألماني (سييمان) عام ١٩٣١م بسحق المنظم الأولي وزرعه مرة أخرى فلم يؤثر السحق حيث نما مرة أخرى وكون محورا جنينياً ثانوياً رغم سحقه ولم تتأثر خلاياه وفي عام ١٩٣٣م قام هذا العالم وعلما آخرون بغلي المنظم الأولي وزراعته بعد غليه فشاهدوا أنه يؤدي إلى نمو محور جنين ثانوي بعد غليه ولم تتأثر خلاياه بالغليان ولقد نال العالم الألماني (سييمان) جائزة نوبل عام ١٩٣٥م على اكتشافه للمنظم الأولي.  
 وإليك الأدلة:

**In some experiments, the transplantation of the dorsal lip to a foreign site in host embryo, may result in the development of almost an entire secondary embryo this portion is called primary organizer.**

Human embryology, 4<sup>th</sup> edition page 196. المرجع

في بعض التجارب زراعة الشفة الظهرية لفتحت المعي الخلفي في مكان آخر غريب في الجنين المضيف يمكن أن ينتج عنه نمو جنين ثانوي كامل وقد أطلق على هذا الجزء المزروع أسم المنظم الأولي. وكما أسلفنا العقدة الأولية والخيطة الأولى هما مرادف فتحة المعي الخلفي في البرمائيات (blastopore)

**The primitive streak originates from the posterior marginal zone. And marks the posterior axis of the embryo.**

**Transplantation of the posterior marginal zone from one chick blastoderm into another some time result in the formation of a second primitive streak and a second embryo. This "again of function" evidence support the conclusion that the posterior marginal zone is an organizing centre for the entire embryo.**

**Mammalian embryos, undergo gastrulation using morphogenetic cell movement very similar to those observed in birds.**

**[http; // www.brynmawr.edu/biology / flatgast.html](http://www.brynmawr.edu/biology/flatgast.html).**

الخيطة الأولى ينشأ من حافة المنطقة الخلفية للجنين وإذا أخذت هذه المنطقة وزرعت في جنين آخر كالطيور فإنه يؤدي إلى نمو خيطة أولى ثانوي و جنين ثانوي وهذه الظاهرة ماثلة جداً في الحيوانات الثديية وهذا يدل على أن حافة مؤخرة الجنين هي المنظم والمخلق للجنين كاملاً . إذا المنطقة الخلفية المحتوية على الخيطة الأولى والعقدة الأولية هي المنظم والمخلق الأولي للجنين ويقابله في البرمائيات فتحات المعي الخلفي (blastopore) .

وكما أسلفنا أن العالم الألماني سيمان هو الذي أطلق على هذا الجزء إسم المنظم الأولي أو المخلق الأولي للعظام ، وقد قام بعملية زراعته في جنين آخر فأنبت جنيناً ثانوياً وفي عام ١٩٣١م قام بسحقه وزراعته بعد سحقه فلا حظ انه لازال يؤدي إلى نمو محور جنيني ثانوي ، وفي عام ١٩٣٣م قام بغليه وزراعته بعد غليه فأدي إلى نمو جنين ثانوي ولم يتأثر بالغليان .

It has been demonstrated that after crushing of its cells, the dorsal lip region could still induce an eural plate formation ( Speman1931).

- Human embryology 4<sup>th</sup> edition page 197

فقول الفقرة السابقة ثبت أنه بعد سحق الشفة الظهرية لفتحة المعى الخلفي ( المنظم الأولي ) لا يزال يؤدي إلى تكوين جهاز عصبي بعد زراعته ( سبيمان ١٩٣١ )  
أى أن العامل المنظم الأولي لا يؤثر فيه السحق وأن خلايا لا تزال حية وتؤدي عملها مع السحق .

Later, Spemann (1933) and other investigatorf shower that induction by organizer region was still passible of it had been boild.

المصدر السابق: ١٩٧

تقول الفقرة السابقة أنه فيما بعد أثبت العالم سبيمان عام ١٩٣٣ وباحثين آخرين أن المنظم الأولي لا يزال يؤدي إلى نمو جنين ثانوي بعد غليه ( أى أن الغليان لا يؤثر في خلايا المنظم الأولي ) وفي عام ١٩٣٥ نال العالم الألماني سبيمان جائزة نوبل على اكتشافه المنظم الأولي وزراعته له بينما محمد صلي الله عليه وسلم أخبر عنه أنه منه يخلق الإنسان ولا يبلي قبل أربعة عشر قرناً من الزمن فمن أخبر نبينا محمد صلي الله عليه وسلم انه الله سبحانه وتعالى ( وما ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحى ) .

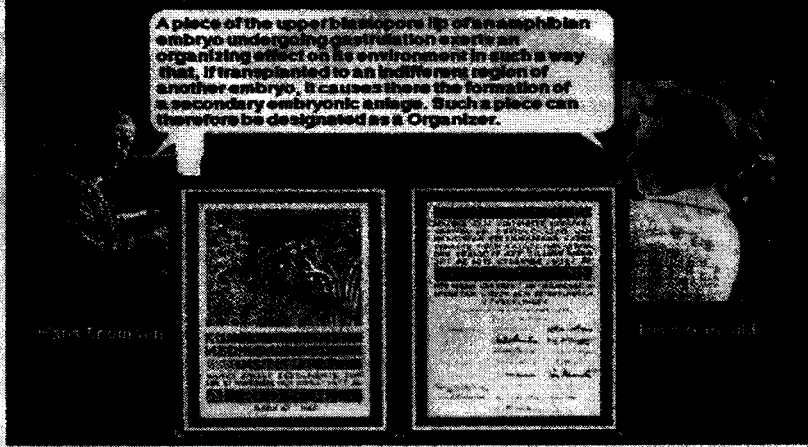


Figure 3. Spemann and Mangold and the Nobel prize awarded to Spemann. (Mangold died the year of her publication. Nobel prizes are not given posthumously.)

صورة للعالم سيمان وتلميذته مانجولد ويظهر فيها جائزة نوبل لاكتشافه وزراعته للمنظم

الاولي (عجب الذنب) في البرمائيات

الصورة السابقة للعالم سيمان وتلميذته مانجولد عام ١٩٣٥ وقد كتب أعلى مايلي " قطعة من فتحة المعى الخلفي للبرمائيات في مرحلة تكوين الطبقات الأولية تحدث تأثيراً منظماً على البيئة من حولها بحيث لو زرعت في أماكن مختلفة في جنين آخر فإنها تؤدي إلي تكوين جنين ثانوي من نفس جنس القطعة المرزوعة هذه القطعة تسمى المنظم أو الخلق للإعضاء .

وأخيراً في رمضان ١٤٢٤هـ قمنا بتجربة على العصعص حيث قمنا بالتعاون مع الشيخ عبد المجيد الزنداني وفي مرله في صنعاء وتحت تصوير تلفزيوني قمنا بأخذ أحد فقرتين لخمس عصاعص للأغنام وقمنا بإحراقها بمسدس غاز فوق أحجار ولمدة عشرة دقائق ( حتى احمرت وتاكدنا من احراقها التام بحيث أصبحت حمراء وبعد ذلك أصبحت سوداء متفحمة فوضنا القطع في علب معقمة وأعطيناها لأشهر مختبر في صنعاء ( مختبر العولقي ) وقام الدكتور / صالح العولقي استاذ علم الانسجة والامراض في جامعة صنعاء بفحصها نسيجياً وكانت النتيجة مبهرة حيث وجد خلايا عظمة العصعص لم تتأثر ولا زالت حية وكأنها لم تحرق ( فقط احترقت العضلات والأنسجة الدهنية وخلايا نخاع العظم المصنعة للدم . أما خلايا عظمة العصعص فلم تتأثر .

## ملخص :

- ١- إذا حدث مؤثر على العصعص وحدث نمو سرطاني في العصعص فإن الخلايا الموجودة فيه والتي مصدرها الخيط الأولي والعقدة الأولية تنمو نمواً يشبه نمو الجنين بحيث يخرج عضو ( يد قدم) . وهذا يستدل على إمكانية إعادة تركيبه يوم القيامة كما أخبرنا نبينا محمد صلي الله عليه وسلم .
- ٢- وكذلك زراعة المنظم الأولي والخيط الأولي والعقدة الأولية في جنين آخر ونمو جنين ثانوي يستدل على إمكانية إعادة تركيبه يوم القيامة .
- ٣- عدم تأثير الخيط الأولي والعقدة الأولية ( المنظم الأولي ) بالسحق والغليان يمكننا أن نستدل على قول النبي صلي الله عليه وسلم ( لا يبلي ) .
- ٤- وكذلك احراق العصعص وعدم تأثير خلاياه وبقائها حية نستدل على صدق قول النبي صلي الله عليه وسلم ( لا يبلي )

# **THE ISLAMIC VIEW ON HUMAN CLONING**

**Dr. Malik S. Khan  
and  
Dr. Habib Ullah Khan**





Allah (S.W.T.) says, "It is He Who has created man from water; then He has made for him blood-relationship and marriage-relationship. And your Lord is ever Powerful.." (Ayah 54, Surah 25, Al-Furqan, page 581 of Qur'an translation by Abu'l A'la Maududi.)

Mr. Chairman, Your Excellencies, and distinguished guests:

I am very thankful to be given this opportunity to present you my paper regarding human cloning. I present my humble appreciation to H.E. Dr. Abdullah Al-Mohsin Al-Turki, Secretary-General of Muslim World League, H.E. Sheikh Abdullah Muslah, Secretary-General of The Commission of Scientific Signs of Quran and Sunnah, and H.E. Dr. Abdullah bin Omar Nasseef, President of World Muslim Congress, for providing me the opportunity to present this paper.

Cloning is different from the natural way of reproduction. Matrimonial relationship, including sex, is a sacred and private activity according to the Qur'an. Allah (S.W.T.) says, "They (wives) are (like) a garment to you, and you are like a garment to them." (Ayah 187, Surah 2, Al-Baqarah). When Allah (S.W.T.) cursed Satan, Satan said, "I will most surely take due share from thy servants and will mislead them; I will entice them by vain desires; I will command them and they will slit the ears of the cattle by my order, and I will command them and they will make alterations and corrupt Allah's creation." (Ayahs 118 and 119, Surah 4, Al-Nisa, page 143.) Therefore, cloning is haram and it has no provision in Islam. It is a misguidance ordered by Satan, though it appears to be a use of an advanced human knowledge. No doubt, it is a misuse of knowledge and technology, like use of mathematics in gambling, art of photography for pornographic pictures and indecent activities, etc.

As Muslims it is our belief that Allah (S.W.T.) is All-Wise and Rasulallah (S.A.W.S.) had prophetic wisdom given by Allah (S.W.T.).

Therefore, every order of Allah has wisdom and every order of Rasulallah (S.A.W.S.) has wisdom. Allah's orders and the Prophet's orders are for our own good. Rasulallah (S.A.W.S.) cursed the women who practice tattooing, who remove hair from the eyebrows (it is to be noted that artificial eyebrows were nonexistent during that period; just trimming of eyebrows was a fashion) and making an artificial gap between their teeth, referring to these ayahs of Surah Al-Nisa (using the three words of the second ayah, meaning to alter the creation of Allah). For your convenience copies from the Quran and Hadith are attached. You can imagine that if the change in appearance was cursed, then where is the question of cloning?

The world today is encountering a new Pandora's box. This Pandora's box is about to open its lid to a billion-dollar industry for doctors and lawyers. But unfortunately it is going to destroy the fabric of the family, resulting in criminal and ethical chaos. 191 nations at the United Nations all are also debating which side of the coin they are on as to whether to support or prohibit human cloning and its applications, such as stem-cell research for curing diseases and repairing defective human parts. But it all boils down to haram and halal, which we have to look at from the Islamic perspective. Unfortunately, under the umbrella of fertility the big semen banks are geared to make the so-called supermen with pre-designed gene structure. The semen bank will provide semen for women to choose the father's side of the offspring. The woman may or may not use her own egg. It will be very dangerous for those who will wipe out races from the world.

The idea behind it is to choose the color of the skin, the color of the eye, the color of the hair, the height, and everyone to have a macho generation, a sportsman-type creature to be produced. It is like reproduction by group sex (combining genes of a few or many persons). It is fornication in the laboratory.

Probably, it may be permissible in a non-Islamic society. However, this misuse of knowledge and technology can create new social and legal problems. There is a case, for instance, where a woman took the stored semen of her deceased husband and made herself pregnant to claim inheritance. The surrogate mother and the biological mother fighting for custody of the baby is another case. Who is the mother of the baby in society? By cloning, there would be no biological father or mother. Custom designing from a legitimate married couple is also a Satanic and sinful activity. Handling of semen and eggs, genes, etc. by others in a laboratory can never be reliable, and there is always a risk of intentional and unintentional errors (change of labels, etc.) There has been an incident in the U.S.A. that a doctor used his own semen for eight eggs of different women, and he admitted that. (This incident was published in a newspaper.) The clone of a human creating a copy of himself to carry on his inheritance will create conflict of the children with his wife. Now the emergent phenomenon of cloning will produce all same-looking humans, which will create new chaos. One aspect of the issue is stem-cell research, and another is using adult cells to produce embryos for harvesting body parts.

There is Allah's wisdom in the individuality of humans' facial features, physical features, voice, fingerprints, skills, knowledge, etc. If Allah (S.W.T.) willed, He would have created all human beings alike and with the same skills or level of skills, but He did not. Otherwise, the world affairs would not run. There is His wisdom. Allah (S.W.T.) says, "Glorified is He Who created in pairs all species that the earth produces, as well as of their own (humankind) (male and female), and of those which they know not." (Ayah 36, Surah 36, Ya-Sin).

True cloning is still not possible because, though they may produce a clone specimen in physical looks, but with spirituality, emotions, personality, and other features it may always lack. At the time of conception, the conditioning process, the feeling of the mother and father, passes on to the baby, giving it its personality and behavior in life, as mentioned by Imam Ghazali and confirmed by today's scientific evidence. Contrary to that, the cloned baby will be machine-made with the traits to be a druggie, alcoholic, gambler, adulterer, or other.

Therapeutic cell treatment is the name for the scientific research involved in curing diseases or making the defective organ workable again. We have to look from the perspective of using the technology to repair the organ by growing cells in the laboratory. For instance, creating for a diabetic person a pancreas in the laboratory and injecting the cells of that healthy pancreas into the diabetic's defective pancreas to repair the pancreas so the person will no longer be diabetic. It can be halal only if the person is given from the fair and square means of this laboratory growth.

In the Western world today mother, grandmother and grandchild are producing babies and parts for each other. In the Islamic sense it will be zina for a woman to carry her daughter's fertilized egg. That will be an illegal conception. At the same time, it is not allowed in Islam to make an abortion of a baby in order to use the organ or tissues for another person, though a therapeutic abortion to save the life of the expectant mother is permitted in Islam. Islam allows saving the life, but the concept of haram and halal prevails. At the same time, Islam does not allow trade in human organs. Nuclear somatic cell transfer is prohibited in Islam.

Islam also does not allow the taking of any part of, or tissue of, any human embryo for someone else. The halal and haram concept restricts the tissues and body parts, semen and egg, to be utilized between husband and wife and for the baby, but cannot take to the grandparents and to the grandchildren in any form. Simultaneously, it is the matter of shariah to point out to you that in Islam a baby who drinks the milk of a woman other than his biological mother is considered to be the brother or sister of the milk mother's children and cannot marry his or her milk siblings.

Organ transplants among family members are often successful because the genetic similarity reduces the chances of the organ being rejected. But at the same time, if the organs or the therapeutic cells are produced, we are limited only by the haram and halal concept. Shariah will allow only to a certain extent. To create tissue or organs by a non-sexual process from the cells of a body for the same body's benefit may be allowed. But shariah will not allow the creation of stem cells by sexual reproduction for other members of the family or other persons, because it will be a violation.

Cracking the human genetic code is the most advanced scientific progress the human race has achieved. It might or might not result in a breakthrough against AIDS, Alzheimer's disease, cancer, and other diseases. But the advancement in biomedical technology has come at the expense of the human conscience. Science has set before us decisions with immense consequences. We can pursue medical research with a clear sense of moral purpose, and we can travel only through the ethical and moral process that we have to live by as for thousands of years the human family has survived on Planet Earth and must keep the sanctity of the sacred bond between husband and wife. Today the West has used its cloning methods to achieve and put genetic material from a donor into a woman's egg which has had its nucleus removed. As a result, the new or cloned embryo is an identical copy of only the donor. Human cloning has moved from science fiction to scientific possibility. It has no place in Muslim society.

Some of this bio-tech mishmash play with embryonic human clone and animal eggs mixing has given rise to antibiotic-resistant diseases.

Cloning is an area that needs more research under the auspices of haram and halal. We may be able to draw our lines to ascertain how far and in what way we will be able to cure certain diseases or treat certain diseases. As you know, Islam allows the reproduction of human beings through the marriage concept where the limitations are very well defined, and our Muslim medical practitioners have achieved and marked their boundaries not to cross. They produce positive results. Today we are involved in an arena where people are trying to create human beings through human cloning. They have no morals. They will create monsters.

They will create their own so-called supermen. Then the world will go into criminal chaos. It will be difficult to control the identity of human beings. Remaining with Islam in the haram and halal concept, the Islamic nations are blessed today by not having AIDS at a chaotic rate as compared to all others, who are on a disaster course. Soon many will be wiped out. It is my opinion that the `ulema and scientists must work together in a team and teach each other and bring the benefits by creating positive, productive, saleh, nek, God-fearing, law-abiding, gambling-free, AIDS-free, adultery-free, crime-free, divorce-free individuals for our society by practicing the Islamic method.

The Quran orders that a child should be called by his or her father's name. Even an adopted child cannot have the name of the adoptive father as Islam protects the rights of the child and the child's parents. Islam also requires a Muslim woman after the divorce or death of her husband to wait an `iddat (waiting period) to remarry, in order to determine if she had gotten pregnant during her marriage. In case of death, the `iddat is four months and ten days and in case of divorce, three months or three menstrual periods, in order to protect the identity and inheritance of the child.

The twenty-first century legacy of Islam will continue. We must research and look for scientific evidence and read it inside the Qur'an and enforce it in our way of life to make the `ummah receive its maximum benefit. Also, Islamic da`wah and irshad in the world through scientific evidence and the scientific method will provide an opportunity for non-Muslims to seek guidance and govern themselves and their behavior in a manner in which they will seek their own salvation.

I am pleased to present to this Assembly that H.E. Dr. Abdullah bin Omar Nasseef, President of World Muslim Congress, H.E. Dr. Abdullah Al-Mohsin Al-Turki, Secretary-General of Muslim World League, H.E. Sheikh Abdullah Muslah, Secretary-General of The Commission on Scientific Signs of Quran and Sunnah, the Fiqh Council of the Islamic world, the Organization of the Islamic Conference (OIC) and the Islamic countries of the world jointly and unanimously have condemned human cloning and would like to see a ban on human cloning. Simultaneously, they are postponing at the United Nations any resolutions regarding cloning.

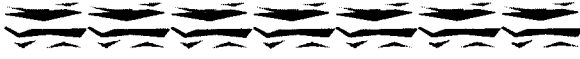
We will present documentation on cloning research from different sources in the form of a CD, pamphlets, magazines, documents, newspaper articles, and Internet articles as a Powerpoint presentation for any questions to give the pros and cons from different parties.



# المحور الثاني



## الإعجاز التشريعي



- (١) الإعجاز التشريعي في الإسلام بين الشورى والديمقراطية.
- (٢) إعجاز المنهج الوجداني في القرآن وقضايا الإيمان بالغيب.
- (٣) إعجاز القرآن الكريم في الميراث.
- (٤) الإعجاز التشريعي في سعر زكاة عروض التجارة.
- (٥) الحقيقة : نقطة اللقاء بين القرآن والعلم.
- (٦) اختلاف المطالع تحليل فلكي لحديث كريب.



# **الإعجاز التشريعي في الإسلام بين الشورى والديمقراطية**

د. عودة الله منيع القيسي



## ملخص البحث الإعجاز التشريعي في الإسلام بين الشورى والديمقراطية

### تعريف الشورى :

يقول لسان العرب : شرت الدابة والامة أشورها شوراً : اذا قلبتها. والشورى.. هي تقليب الرأي مع اخر واخرين. والرباط بين تقليب الدابة والامة وبين تقليب الرأي هو الانتقال من المعنى الحسي الى المعنى المعنوي المجازي.

### الشورى أو الديمقراطية:

معظم الذين كتبوا في الشورى في العصر الحاضر، متأثرون بالديمقراطية الغربية، ولذلك ساد في الوطن العربي والاسلامي مصطلح الديمقراطية، والديمقراطية لها ثمار حلوة وأخرى مرة في الغرب، ولكن ثمارها في بلادنا كلها مرة، لأنها لم تشع الحرية بين الناس، ولم تجعلنا نتقبل الرأي الاخر، انما أفرزت مجالس نيابية شكلية، همها التنسيق مع الحكومات من أجل اقتسام الغنائم، ناسين هؤلاء الفقراء الذين انتخبوا هذه المجالس.

### الشورى في الإسلام:

يقررها قول الله تعالى: "وأمرهم شورى بينهم". (الشورى-٣٨) وقوله تعالى، بعد معركة أحد "فبما رحمة من الله لنت لهم. ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك. فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر. فاذا عزمت فتوكل على الله. ان الله يحب المتوكلين". (ال عمران-١٥٩).

وقد شاور الرسول صلى الله عليه وسلم- أصحابه في أمور شتى، ومن بدء البعثة، أما شاور المسلمين في الهجرة الأولى الى الحبشة، والهجرة الثانية، وترك لكل منهم حرية الاختيار؟.. له أن يهاجر وله أن يظل في مكة المكرمة، أما شاورهم في معركة بدرهم: "كما أخرجك من ربك من بيتك بالحق، وان فريقاً من المؤمنين لكارهون، يجادلونك في الحق بعدما تبين" (الأنفال-٦)؟ فالجدل كان نتيجة المشورة، واستشارهم في أسرى بدر وقبل معركة أحد، وفي أمور شتى.

واستشار أبو بكر في حروب الردة، واستشار عمر في أراضي العراق، واستشار علي في صفين. ولكن المشورة قلت منذ أيام معاوية حتى اليوم.

### مشورة الامام:

مشورة الامام لأهل الحل والعقد أو لجميع الشعب.. واجبة، ولكن الأخذ بما يثيرون به.. ليس واجباً، بل أخذ برأي الأغلبية أو الأقلية أو الواحد أو يأخذ برأيه. ولكل ذلك أمثلة في حياة الرسول الكريم المهم أنه يأخذ بالرأي يستقر عنده أنه الصواب. وتبعه في ذلك الخلفاء الراشدون.

### مشورة الولاة:

أما الولاة فاستشارتهم لأهل ولايتهم، (استشارة الصفوة أو استشارة الجميع).. فواجبة. وأخذهم برأي الأغلبية واجب. والا.. اضطربت أحوال الناس، ومضت كل فرقة برأيها كالابل الشاردة.

### نقض رأي سيد قطب في الشورى:

يكفي أن نقول: ان الشهيد سيد قطب يرى أن الله تعالى أمر نبيه بالشورى على الرغم من أن الشورى هي التي أدت الى هزيمة المسلمين أو ما يشبه الهزيمة في أحد. وأقول: الحق أن الشورى التي سبقت المعركة هي التي انقذت المسلمين من أن تستأصل شجرتهم، الشورى "قادت الى الخروج لملاقاة العدو.. ولو لم يأخذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما رجح عنده وهو الخروج.. لأطبقت قريش على المسلمين من الخرج وطعنهم من خلفهم المنافقون - على رأسهم عبدالله ابن أبي ابن سلول - والى صفهم اليهود، فيستأصلون شجرتهم".

رأي المودودي: يرى في كتابه "نظرية السياسة في الاسلام" المطبوع سنة- ١٩٥١ - أن الامام يستشير ثم يأخذ بما يستقر عليه رأيه. ثم عدل عن ذلك في كتابه "الخلافة والملك" المطبوع في سنة ١٩٦٦ أن على الامام أن يأخذ برأي الأغلبية.



وأنا أرى رأيه الاول - لأن الامام خليفة الرسول الكريم، والرسول الكريم أخذ برأي الجميع والائنين والواحد، ولان الامام ليس كحكام هذا الزمان، بل هو امام في الدين وفي الورع والتقوى، يصعب أن نتصور أنه يغلب هواه.

## لا شورى في النصوص القطعية:

سواء أكانت من القرآن الكريم أم الحديث الشريف كالقصاص وحد الزنى وحد شارب الخمر... الخ. وانما يستشار في انطباق حقيقتها على الشخص أو عدم انطباقها، كان يستشار في القتل: أوقع عمداً أم لم يكن عمداً؟ عندئذ... فلا قصاص اذا لم يثبت.

رايان متعارضان: رأي يرى أن الشورى ملزمة، واجر يرى أنها معلمة. وأنا أرى رأياً ثالثاً.. فهي واجبة وغير ملزمة لامام المسلمين. بيد أنها واجبة وملزمة لكل من دونه. والأدلة على ذلك كله في البحث.

## الانتخاب:

يجب أن ينتخب امام المسلمين انتخاباً، اما من مجلس الشورى السياسي أو من جميع الشعب حسب الظروف، وأن تكون له مدة محددة.. أربعة أعوام مثلاً، ولا يجوز أن ينتخب أكثر من مرتين. ولا يعزله الا الشعب باستفتاء يصوت ضده الثلثان أو الأغلبية.

أما حكام الولايات فينتخبون انتخاباً، كل من ولايته، وله مدة محددة، ست سنوات مثلاً، ولا يعزله الا الامام خلال مدته، بعد أن يقدم مذكرة مسببة فيه الى المجلس الشورى السياسي، ويقرها الأغلبية المطلقة. ولا ينتخب حاكم الولاية أكثر من مرتين.

انه لا حرية حقيقة بغير هذه الخطوات التي لا تجعل الامام طول الحياة، ولا تجعل حاكم الاقليم كذلك. بل لا تجعل الولاية ألعوبة في يد الامام، مع تقاه.

ولكل اقليم أمنه وموظفوه من شعبه أصلاً. أما الجيش والخارجية والممل العام للدولة.. فييد الامام، ولكن لا يقطع بشيء دون مشورة مجلس الشورى السياسي والمجالس المختصة.

## مقارنة بين الشورى والديمقراطية:

قارنت بينهما في عشرين نقطة.. كلها لصالح الشورى. ما عدى النقطة الأخيرة وهي أن الديمقراطية لها شيء من التطبيق الواقعي، وليس كذلك الشورى، فهي غير مطبقة. وأهم فرق بينهما أن الشورى عبادة من العبادات يثاب فاعلها ويعاقب تاركها. ولهذا.. فهي جزء من الدين، متصلة بأمر الله تعالى: "أمرهم شورى بينهم" ثم "وشاورهم في الأمر".

أما الديمقراطية فليست من الدين، أي: ليست مرتبطة بأمر رباني، بل هي انبثاق عن النظام الرأسمالي المتفول الذي هو من صنع البشر الضعفاء: "وخلق الانسان ضعيفاً" صدق الله العظيم. ولذا.. فهي ذات ثمار يختلط فيها المر بالخلو، لتحكم أهواء البشر فيها.

## ملخص البحث

الإعجاز التشريعي في الإسلام

بين الشورى والديمقراطية

تناولت في هذا البحث.. تعريف الشورى لغوياً واصطلاحياً. والفرق الكبير بين الشورى الهادية إلى الحق، والديمقراطية الغربية المألوفة بالنقائص، ثم.. صورها الشائنة في العالم الإسلامي. وقد ضربت مثلاً على هذه الصورة الشائنة تقصير مجلس النواب الأردني في ثلاثة مجالس من ١٩٨٩-٢٠٠١م

ثم عرضت الشورى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم - وأوضحت أن الرسول الكريم استشار الواحد والإثنين والجماعة. وكان يأخذ بالرأي الذي يستقر عليه، سواءً أكان رأيه الشخصي أم رأي فرد أم إثنين أم جماعة، فإذا عزم على رأي توكل على الله تعالى ومضى في تنفيذه. وقد ضربت مثلاً على كل حالة. وكما فعل الرسول الكريم في الشورى.. فعل الخلفاء الراشدين.

ثم خرجت من هذا كله بأن رئيس الدولة الإسلامية -يوم تقوم دولته- يجب عليه أن يفعل كالخلفاء الراشدين.

أما سائر الحكام والولاة فيجب عليهم أن يستشيروا، وأن يتقبلوا المشورة، وأن يأخذوا برأي الأغلبية ولا تستقيم أمور الناس إذا نفذ كل فريق رأيه، في كثير من أمور الحياة، هذا.. يعني أن الشورى "واجبة" على الجميع؛ ولكنها "غير ملزمة" للرسول الكريم ولرئيس الدولة الإسلامية، ولكنها "ملزمة" بالأخذ برأي الأغلبية، لكل مسؤول آخر.

ثم.. أكذتُ أن لا شورى في النصوص القطعية الدلالة من القرآن الكريم والسنة الشريفة.  
ثم بينت أن السياسة الخارجية وتنظيم المال العام وسياسة بناء الجيش—أمور تابعة لرئيس الدولة.  
ولكن يستشير أولي الشأن.  
ثم.. عرضت لرأيين متعارضين: أحدهما سيرى الوجوب والإلزام في الشورى. والآخر يرى الندب وعدم الإلزام. وخرجت—بعد هذا— برأي جديد أسلفت ذكره.  
وأجريت—بعد هذا— مناقشة لبعض آراء الأستاذ سيد قطب، في العلاقة بين الشورى، وبما كان من نتائج خطيرة لمعركة "أحد"، ومناقشة أخرى لآراء الشيخ محمد أبو فارس حول الشورى في كتابه (النظام السياسي في الإسلام).  
بعد هذا أجرينا مقارنة بين الشورى والديمقراطية.. بيّنا فيها أن الشورى كمنهج أصولي أصح وأصوب من الديمقراطية، بحيث يُعتبر تشريع الشورى منهجاً معجزاً يتقاصر دونه منهج الديمقراطية.  
ثم.. أنهينا بالخطبة التي أوجزتُ فيها ما توصلنا إليه من نتائج.

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ورسولنا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. وبعد:

فهذا بحث عن (الشورى والديمقراطية)، باعتبار الشورى ركيزة من ركائز التشريع الإسلامي. والذين كتبوا في الشورى كثير، وقد انقسموا فريقين: فريق يرى أن الشورى واجبة وملزمة، وله أدلته، وفريق يرى أن الشورى مندوبة ليس أكثر وغير ملزمة، وله أدلته.<sup>(١)</sup>

يَبْدَأُ أَنِّي آتَيْتُ بِرَأْيِي ثَالِثٌ؛ وَهُوَ أَنَّ الشُّورَى وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ وَالْأَحْوَالِ، كَاسْتِشَارَةِ مَنْ الْمَسْئُولِينَ لِلْمُؤَسَّسَاتِ وَالتَّنْظِيمَاتِ وَالتَّجْمِيعَاتِ وَالْأَفْرَادِ. وَكَمَشُورَةٍ تَوَجَّهَهَا لِلْمَسْئُولِينَ الْمُسَّسَاتِ وَالتَّنْظِيمَاتِ وَالتَّجْمِيعَاتِ وَالْأَفْرَادِ، بِمَبَادِرَةٍ مِنْهُمْ. وَهَذَا.. قَالَ رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَنْ سَأَلَهُ عَنِ أَفْضَلِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: "كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانِ جَانِثٍ"، وَكَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانِ جَانِثٍ هِيَ مَشُورَةٌ بِأَدْبَارِهَا الْمُسْلِمُ السُّلْطَانِ الْجَانِثِ، بَرغم أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلِ الْمَشُورَةَ، أَي: لَمْ يَسْتَشِرْهُ.

ولكن الشورى غير "ملزمة" لرئيس الدولة، وأتينا على ذلك بأدلة من فعل رسولنا الكريم، ومن أفعال الخلفاء الراشدين؛ فقد شاور الرسول الكريم، ثم أمضى ما استقرَّ عليه، ومثل ذلك الخلفاء الراشدون.<sup>(٢)</sup>

غيرَ أَنَّهُ "ملزمة" لكل حاكم أو مسؤول غير رئيس الدولة، إذ يجب عليه أن يأخذ برأي "الأغلبية" لكي تستقيم أمور الناس، لأن الآراء المتعارضة - إذا أمضيت كلها - تؤدي إلى تناقض وتعطيل مجرى الحياة في أكثر الأمور، فلا مندوحة عن الأخذ برأي أغلبية المستشارين والمشيرين. ولهذا.. فليس صحيحاً أن الشورى واجبة وملزمة دائماً أو مندوبة وغير ملزمة دائماً. وهذا.. رأي جديد.

وبعد هذا علقت على رأيين متعارضين في مجال الشورى، وقررت فيهما رأيي السابق، مخالفاً هؤلاء، ثم بينت أن السياسة الخارجية وتنظيم المال العام، والجيش إنما هي من اختصاصات رئيس الدولة. والجيش هو الذي يعين أفرادها تعييناً، مع المشورة في التوجهات التي تخصه، وفي تعيين كبار الضباط.

بعد ذلك رددت على آراء للأستاذ سيد قطب حول الشورى، فهو يرى مثلاً أن الرسول الكريم كان يعلم نتيجة معركة "أخذ" بناءً على رؤيا رآها. وهذا.. ليس صحيحاً لأمرين: - الأول - أنه لا يُعقل أن يعلم الرسول الكريم نتيجة المعركة ثم يمضي في الخروج إليها، إلا إذا نزل عليه وحى يأمره بالخروج، وهذا لم يكن، والثاني - أن الرؤيا هي علم "ظني" حتى رؤيا الرسول الكريم: و "إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً." (يونس -

وردت على آراء أوردها الشيخ محمد أبو فارس في فصل (الشورى) من كتابه (النظام السياسي في الإسلام). ومن آرائه مثلاً أنه يزعم أن المرأة لا يجوز لها أن تكون عضواً في مجلس النواب أو مجلس الشورى، وهذا.. غير دقيق. فقد وظّف الخليفة عُمر "الشقاء" على الحسبة، وقد كان لها -لايُد- أعوان من الرجال، وقوامه الرجل في البيت تختلف عن تولّي الرجل أو المرأة أمراً عاماً، يتولاه الأكفأ، وهو غالباً الرجل، وليس دائماً.

ثم.. أجريت مقارنة بين الشورى -كمهج أصولي- منبثق من الإيمان وبين الديمقراطية، بكونها إفرزاً للفلسفة المادية المبتوتة الصلة بالسماء. وقد بدا جلياً أن الشورى -ذات المصدر الرباني- تفوق الديمقراطية فوقاً ووضوحاً، بحيث لا نجازف عندما نقول: إن منهج الشورى منهج "معجز يعجز عن تنظيم مثله البشر.

وأخيراً.. كانت الخاتمة تركيزاً لما انتهينا إليه من نتائج.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## تعريف الشورى

يقول معجم (لسان العرب) لابن منظور: (قال الأصمعي: شارَ الدابة وهو يشورها شوراً إذا عرضها... وشارها يشورها شوراً وشواراً وشورها وأشارها - عن ثعلب - قال: وهي قليلة. كل ذلك.. راضها أو ركبها عند العرض على مشتريها... وقيل: بلاها<sup>(٣)</sup> ينظر ما عندها، وقيل: قلبها، وكذلك الأمة. يقال: شرتُ الدابة والأمة أشورها شوراً.. إذا قلبتهما، (والأمة غير الحرة) والشورة الجمال الرائع... ويقال: شاورته بالأمر واستشرته<sup>(٤)</sup> بمعنى... وشاروه مشاوراً وشواراً واستشاره: طلب منه المشورة).

ما الرابط بين المعنى الأول والمعنى الثاني؟ الرابط بينهما هو نقل المعنى من المجاز إلى الحقيقة، فالأصل في اللغة عادةً هو المعنى المحسوس، أي: إن (شار الدابة والأمة) سابق على معنى: شاره في الأمر، إذا أخذ رأيه فيه، ولذلك (فشاره في الأمر) استعارة مكنية، لأن القائل حذف المشبه به مع بقاء بعض لوازمه (والمشبه به هو الدابة، وبعض لوازمه هو: شار)، ومثل هذا التشكيل يسمى -استعارة مكنية.

فعندما تقول: أشار الدابة، معناها -كما سبق-: بلاها ينظر ما عندها، وأنت في المشورة (أو الشورى) تطلب المستشار (أو المستشارين) تنظر ما عنده. ومثلها: أشار الدابة أو الأمة.. إذا قلبهما، وأنت عندما تشور الرجل (أو المرأة) فأنت تقلب في عقلك ونفسك رأيه، فتخرج بالرأي الحسن.

ومن مادة (شار) كلمة -الشورى- التي وردت في القرآن الكريم مرتين؛ مرة في سورة (آل عمران - ١٥٩) ومرة في سورة (الشورى-٣٨).

فالشورى -إذن- هي تقليب الأمر على جميع وجوهه، مع واحد أو اثنين أو ثلاثة فما فوقهم حتى يتبين لرئيس الدولة وجه الصواب أو حتى يأخذ من دونه من المسؤولين برأي "الأغلبية". فإذا تبين وجه الحق لرئيس الدولة مضى في إنفاذه لقوله تعالى: "وشاورهم في الأمر، فإذا عزم فتوكل على الله" (آل عمران- ١٥٩). وإذا بان<sup>(٥)</sup> رأي الأغلبية، وجب على كل مسؤول دون رئيس الدولة، المضى في إنفاذه لقوله تعالى: "وأمرهم شورى بينهم". (الشورى-٣٨).

## تمهيد:

معظم الذين كتبوا في (الشورى) في العصر الحاضر إنما كانوا متأثرين بصورة الديمقراطية في الغرب ويافرازاها مؤسسات ديمقراطية، وخاصة المجالس النيابية. مع أن الشورى في الإسلام تختلف اختلافاً كبيراً عن المجالس النيابية في الغرب. لأن فلسفة الغرب هي فلسفة (مادية فردية). وهذا يعني أنها لا تؤمن إلا بالمصلحة الفردية أو قل: باللذة الفردية الدنيوية التي لا ترتبط بالأخرة أدنى ارتباط. ومن هذه الفلسفة انبثقت المجالس النيابية، وما يتصل بها من حرية للفرد لا يوقفها إلا تصادمها مع الحرية المباشرة لشخص آخر. وكان قد رافق ذلك النظام (الرأسمالي) الذي أدى إلى أن يتجمع المال في أيدي قليلة من أفراد ومؤسسات، وأن تنتهي الأثرية العظمى إلى الفقر، تعيش على التقسيط المستمر أو إلى البطالة بنسبة عشرين بالمئة تقريباً. فالمادية قادت إلى الأمراض الجنسية الفتاكة وأعظمها خطراً (الإيدز) الذي لا بُرء منه، وإلى نوادي العرارة، وإلى الاعتراف بممارسة (الزنى بين الرجل والمرأة ما داما غير متزوجين، وقد يستمر ذلك ثلاثين عاماً أو حولها مما يقود الغالبية من الرجال إلى ممارسة الجنس مع العشرات من النساء، وأحياناً مع المئات. بل مع الآلاف عند الذواقين. ويقود الغالبية من النساء إلى قريب من ذلك. وهيهات أن يعف الرجل الذي (ضرى) على النساء.. أن يعف بعد الزواج، وأن تعف المرأة كذلك في حياة (مفتوحة) لا يسأل فيها الرجل زوجته أين أمضت وقتها؟ ولا تسأل الزوجة زوجها كذلك: أين أمضى وقته؟.

والمجالس النيابية في الغرب لا تخلو من فائدة دنيوية لأنها جزء من شبكة من الحريات الفردية والصحافية والقضائية، بحيث تمكنت (هذه الحريات) من أن تحاكم الرئيس الأمريكي السابق (بل كلنتون) الذي يتسّم أعلى منصب في العالم. لأن رئيس أمريكا -الآن- هو رئيس العالم غير المعلن رسمياً عن رئاسته للعالم.

أما في البلاد العربية والإسلامية الملحقة بذيل حمار الديمقراطية الغربية فليس للبرلمانات فيها أدنى "منفعة" للشعب بعمومه، وإنما هي تقوم على منافع شخصية للنواب وأقاربهم، أما الفقراء فهم مطرودون من رحمة الدنيا، من منافع هذه الدنيا: ولتأخذ مثلاً على ذلك البرلمان الأردني - برلمان بلادنا- وعلى مدى ثلاثة مجالس برلمانية فقط. بدأت سنة: ١٩٨٩م وانتهت سنة ٢٠٠١م، إن هذه المجالس البرلمانية الثلاثة قد ضحّت بصراخها قاعة البرلمان وشاشة التلفاز الأردني، ولكنها لم تقدم أي منفعة لعامة الناس، ولكي ندلل على ذلك نقدم لك خمسة مجالات لم يستطع أي مجلس من المجالس أن يتقدم فيها خطوة واحدة إلى الأمام بل تراجعته كلها، وهي: الحريات العامة، والبطالة والفقر والواسطة<sup>(١)</sup> وقرارات الحكومة الصعبة.

فالحريات العامة تراجعت ما بين المجلس الأول والمجلس الثالث بين عشرين بالمئة (٢٠%) إلى ثلاثين بالمئة (٣٠%).. فقد مُنعت المظاهرات السلمية والتجمّعات غير المرخصة، وقانون حرية الصحافة كان تكتيلاً لحرية الصحافة بحيث لا تستطيع أن تعبر عن رأيها حول كثير من القضايا الساخنة ولو رأت خللاً في أداء مقاسم عسكرية فإنها لا تستطيع أن تكشف ذلك، فكيف بما هو أكثر منه؟ كالفارق الهائل مثلاً بين راتب الدرجة الخاصة المدنيّ وقاعده وبين راتب من يعادل هذه الدرجة في الجيش وقاعده!

إن الحرية يجب ألا تكون حرية النائب وحده.. يفضض عن نفسه تحت قبة البرلمان ثم يردّ عليه (وعلى زملائه الآخرين) الوزير المختصّ أو رئيس الوزراء رداً ناعماً يبرر كثيراً مما أخذه النائب على الوزير أو على مجلس الوزراء. وهل ثمة انتقاد لا يمكن تبريره بنسبة خمسين إلى ثمانين بالمئة؟ (إنّ الناس "يتأولون" نصوص القرآن لتبرير سلوكهم)! ثم.. يعدّ الوزير المبرر بتلبية بعض الطلبات للنائب التي ما كان للحكومة أن تقوم بها حتى لو لم يكن مجلس نواب! بلى.. إن الحرية يجب أن تكون حرية كلّ فرد في المجتمع ما دام لم يستعمل القوة ولم يُشهر سلاحاً في وجه الحكومة. يجب أن يكون لحملة الأقلام أن يعبروا عن آرائهم حتى أقصى الشوط، وللمثقفين مثل ذلك. وللتجار والمزارعين والمهنيين والحرفيين بل والعاطلين عن العمل مثل ذلك، لا يجوز أن يضارّ امرؤ برأيه حتى وإن خرج على (الثوابت) لأنّ من يُنكر عليه رأيه يستطيع أن يردّ عليه وأن يقرع الحجّة بالحجّة وأن ينقض الرأي بالرأي. ثم يأخذ الجمهور أو معضمه بما يراه أدنى إلى الصواب.

إن حرية البرلمان وحده لا تقدّم بل قد تؤخر، وإنما الحرية هي حرية الشعب بأسره، لأنه، بهذه الحرية، يستطيع أن ينتقد البرلمان.. جماعة وأفراداً وبذلك.. يستطيع أن يحدّ من (تجاوزات) كثير من النواب التي لا حدود لها. لأن النواب عندئذ يصبحون أحراراً في مجتمع حرّ له الحق أن ينتقد وأن يصبّ وأن يُعريّ الذين لا تُخفي أخطاءهم وتجاوزاتهم إلا ورقة توت سرعان ما تسقط. ويستطيعون أن يفعلوا مثل ذلك تجاه الحكومة فلا يستطيع أن يبقّي في عمله (من الوزراء أو من دونهم) مرتشٍ أو محتلسٍ أو خائن للأمة.

أما البطالة فقد ازدادت حتى أدركت حملة الدكتوراة الذين يمكن حلّ مشكلتهم بتقديمهم على نظرائهم ممن يفدون إلى الأردن من خارجه. لأن مجلس الوزراء ومجلس النواب مسؤولان عن حلّ مشكلة المواطنين قبل حلّ مشكلة الوافدين، حتى لو كان الأردن إقليماً من دولة عربية مترامية الأطراف.

أما من هم دون خطّ الفقر فقد كانت نسبتهم عشرين بالمئة قبل أوّل مجلس مستأنف فأصبحت ثلاثين بالمئة بعد المجلس الثالث.. الأخير.



أما الوساطة فقد كان يمارسها مَنْ ليس لهم سلطة على الوزراء .. مما يجعل الوزير مالِكاً لأمره يلبي قليلاً من الطلبات ويعتذر عن كثير، أما في عهد المجالس الثلاثة فقد تضاعفت الوساطة أربعة أضعاف على الأقل، لأنَّ النائب الوساطة له سلطة على الوزير.. فإنَّ لم يُلبَّ له طلباته أو معظمها حتى يرضى فسيف الأسئلة التي تتطلب أجوبة "صعبة" مُصَلت على رقبته:

.. وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعَذْرِ وَحِجَةٍ - وَسَيْفُ الْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتْ؟

إنَّ الفلسفة "المادية" الغربية التي عَمَّتْ بلواها بلاد الإسلام في هذه العقود الأخيرة قد فتحت البطون على احتياز المال ولو بالحرام، لكي يكون سبيلاً إلى "اللذة" معبود هذا العصر الماديِّ مما يجعل كثيراً من خلق الله لا يعبدون الله وإما يعبدون المال وربيته اللذة.

أما قرارات الحكومة الصعبة.. فكانت إرادة المجلس (وليس صُراخُهُمْ) مشلولةٌ تُجاهها. ويكفي أنْ نذكر قرار رفع أسعار الخبز.. هذا القرار المشؤوم الذي ضاعف ثمن الرغيف ثلاثة أضعاف مما زاد نسبة مَنْ هم تحت خطِّ الفقر، زاد الشحاذين عشرين بالمئة تقريباً. كان يجب على المجلس أنْ يُجبرَ الحكومة على العدول عنه أو يسحب ثقتها بها فيسقطها.

أمام كَلِّ هذا.. ما قيمة مجلس النواب؟ ما قيمة أنْ تُعطي حُرِّيَّةَ لمة شخص ويجرم منها الملايين؟ وهل صحيح أنْ هذه الصورة "الشائنة" للمشورة هي الصورة التي تنبثق عن النظام الإسلامي الذي يؤمن أن الحياة.. مُقَدَّمةٌ إلى الآخرة وأنَّ المصلحة والمنفعة واللذة.. كُلُّها محرمة ما لم تتفقْ خطوطها مع خطوط الآخرة: "وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا" (القصص-٧٧). وما لم تكن فيها عبادة الله هدفاً: "وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون" (الذاريات-٥٦). لأنَّ العمل الذي يقصد به وجهُ الله تعالى هو عبادة الله تعالى. وأخيراً.. ما لم يكن فيها رضى الله تعالى الذي يُدْخِلُ الجنة: "وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السمواتُ والأرضُ أعدت للمتقين" (آل عمران:١٣٣). وهذا لا يعني أننا ندعو إلى إلغاء مجلس النواب، وإما ندعو إلى أن يبدأ المجلس الرابع عشر صفحة جديدة، يعيد بها للإسلام عدله وحيويته وشوراه الهادية.

## الشورى في الإسلام:

في ضوء ما تقدّم.. نستطيع أن نقول: إن الشورى في الإسلام تختلف عن النظام البرلماني في الغرب. لأن الشورى في الإسلام لا تقوم على مجلس نواب لا يقوم على اختصاص معين وإنما الشورى هي حالة متحركة.. فمرة يُستشار الجميع ومرة يُستشار من بينهم الأمر وثلاثة يُستشار أهل الحل والعقد ورابعه يستشار أصحاب الاختصاص من أطباء ومهندسين وزراعيين ومن تجارٍ وحرفيين وعمّال.

فالرسول صلى الله عليه وسلم- استشار جميع الصحابة في الهجرة الأولى إلى الحبشة والهجرة الثانية إليها عندما أعلن عن رغبته في أن يهاجر إلى الحبشة كل من يرى في ذلك مصلحة له وتجنباً لأذى قريش الكافرة. ذلك كله في إطار مقاصد الإسلام. ثم ترك إلى كل فرد الحرية الكاملة في أن يهاجر أو لا يهاجر. وهذا.. بمثابة مشورة للجميع وترك الحرية لمن يريد الهجرة أن يهاجر.

قال ابن إسحاق: (فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم- ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء- قال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه"، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم- إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام<sup>(٧)</sup>. أي: خرج من رأى في الهجرة خيراً له.

واستشار كل المقاتلين في معركة بدر، وخاصةً الأنصار منهم، قال ابن هشام: (ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "اشيروا عليّ أيها الناس" وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس... فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- ذلك، قال له سعد بن معاذ: والله، لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: "أجل". قال: فقد آمنت بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق... فامض، يا رسول الله، لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء)<sup>(٨)</sup>.

ثم استشار جميع المسلمين في المدينة، شيباً وشباناً، قبيل معركة (أحد)<sup>(٩)</sup>. وقيل مشورة واحد، وهو الحباب ابن المنذر، في معركة "بدر". قال ابن إسحاق: (فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب ابن المنذر ابن الجموح، قال: يا رسول الله: رأيت هذا الملول، أمراً أنزلك الله، ليس لنا أن نتقدمه،

ولا أن نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: "بل هو الرأي والحرب المكيدة". فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمثل، فأنهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء فملأوه ماءً، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لقد أشرت بالرأي"<sup>(١٠)</sup>.

واستشار اثنين في الصلح مع غطفان في غزوة الخندق، وهما سعد ابن معاذ وسعد ابن عباد، وهما من الأنصار<sup>(١١)</sup>. وتراجع عن رأيه في تأبير النخل، أمام مخالفة الواقع، لما رآه في الكف عن تأبير النخل، وقال: "أنتم أعلم بشؤون دنياكم"<sup>(١٢)</sup>. فقبل رأي المختصين بتأبير النخل، أو قل: أصحاب التجربة العملية. وقال - صلى الله عليه وسلم - مرة ثانية: "ما كان من أمر دينكم فإلئى، وما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به"<sup>(١٣)</sup>.

نعم، الشورى في الإسلام تنبثق عن دين، أحد ركائزه "العدل"، لأن عمل الدنيا موصول فيه بالشوق إلى جنة الآخرة، فالعدل هو جوهر الشورى.

أما الديمقراطية في الغرب.. فيحد من فاعليتها النظرة المادية التي لا صلة لها بالآخرة، والتي لا تحسب للعدل حساباً، وإنما تحسب حساباً للمصلحة الفردية. فإذا عرفت أن حملة الرئاسة في أمريكا تكلف المليارات (تدفعها الشركات الكبرى) أدركت أن الحرية منقوصة جداً، وأن الديمقراطية جسم بلا روح، لأن هذا المال الذي ينفق في الحملات الانتخابية يشتري وسائل الإعلام، الإعلام الذي ينتهي إلى تضليل الشعب، فليس الأكفأ هو الذي يفوز وإنما الذي تتبنت حملته شركات عملاقة تصرف على الحملة.. المليارات.

#### شورى رئيس الدولة

والشورى.. ليست ملزمة لرئيس الدولة المسلمة.. يدل على ذلك شيثان، الأول - الآية التي أوردناها آنفاً فالله تعالى يأمر رسوله أن يشاور المؤمنين في الأمور المهمة كأمر الحرب، ولكنه تعالى يأمره أن يمشي بإنفاذ الرأي الذي يعزم عليه، متوكلاً على الله. وعزيمة الرسول الكريم هو الرأي الذي يستقر عليه ويرتاح له بعد المشورة، بغض النظر عن مصدره.

والشيء الثاني - عمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد شاور كل المؤمنين وشاور بعضهم وشاور الإثنين والواحد وشاور أصحاب الاختصاص كما أسلفنا تحت العنوان السابق (الشورى في الإسلام)، ولو كان ملزماً بأخذ رأي الأغلبية من المسلمين لما استشار إلا جماعة المسلمين كلهم، ولأخذ برأي الأغلبية.. لا يعذوه. أما وقد استشار الكثير في حالات والقليل في حالات أخرى.. فذلك يعني بوضوح أنه غير ملزم بالأخذ بالشورى، وإن أخذ بها كلما استقر عقله ووجدانه أنها الأولى بالتقديم.

والرسول الكريم (لا يرول) على رأي فرد أو جماعة أو أقلية أو أكثرية وإنما (ياخذ) بالرأي الذي يستقيم في عقله وينشرح له صدره، سواءً أكان رأيه هو أم رأي فرد أم جماعة. وهذا.. شأن القادة العظام في السلم وفي الحرب.. فهم يستشيرون لا من باب الضعف وإنما من باب الثقة بالنفس: وبعد تقليب الآراء على وجوهها يأخذون بالرأي الذي يستقيم في عقولهم ويستقر في وجدانهم بغض النظر عن مصدره، أكان القائد نفسه أم أتباعه. فإذا كان القادة العظام يفعلون ذلك.. فما بالك بأعظم العظماء على طول التاريخ، المهدي من ربه محمد -صلى الله عليه وسلم-؟

إن هناك مَنْ يرى أن الرسول الكريم قد (نزل) على رأي الشباب في معركة أحد. وليس ذلك بصحيح، ولكني نوضح الأمر نورد النص في مشورة الرسول الكريم لأهل المدينة المسلمين، مهاجرين وأنصاراً، قبل معركة أحد كما ورد في سيرة الرسول العطرة لابن هشام ثم نعلق عليه ليتبين لك أن الرسول الكريم (أخذ) بالرأي الذي رجح عنده (ولم يرول) على رأي الشباب كما يُزعم. قال ابن هشام نقلًا عن ابن إسحاق: (فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة (المتحدث هو الرسول الكريم) وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا فبشر مقيم، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها. وكان رأي عبدالله بن أبي سلول<sup>(١٤)</sup> مع رأي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرى رأيه في ذلك: ألا يخرج إليهم. وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكره الخروج. فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان فاته شهود بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرونا أننا جئنا عنهم وضعفنا، فقال عبدالله بن أبي سلول: يا رسول الله، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا فبشر مخبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائين كما جاءوا". ثم قال ابن هشام: "فلم يزل الناس برسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذين كان من أمرهم حُب لقاء العدو.. حتى دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيته، فلبس لأمته، وذلك.. يوم الجمعة حين فرغ الناس من الصلاة وقالوا: استكرهنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد، صلى الله عليك، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما ينبغي لني إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل". فخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ألف من أصحابه).<sup>(١٥)</sup>

فأنت ترى من النص السابق أن لا ذكر للشباب أبداً. ولكن هناك ذكر لمن فاقم شرف الجهاد في معركة بدر. وأنت ترى أن رأي الرسول الكريم الذي بدأ به الناس إنما هو البقاء بالمدينة، ولكن ذلك لا يمنع أن الرسول الكريم عندما سمع الرأيين.. مال إلى رأي الذين يرون الخروج، خاصة أن رأي البقاء في المدينة كان يناصر الرسول الكريم عليه.. رأس الفتنة عبد الله ابن أبي سلول. وإذن، ما يُدريك أن لو لم يعدل الرسول الكريم عن رأيه الأوّل (البقاء في المدينة).. فإن عبد الله ابن أبي هذا سيثير المنافقين واليهود ليعملوا السيف في نساء المسلمين وذريتهم وليضربوا قوّة المسلمين من الخلف فتتهار معنويات المقاتلين من المسلمين فيأخذهم السيف من أمام ومن خلف فلا تقوم لهم قائمة بعدها. ولكن الله تعالى لا يريد هذه الفئة المسلمة أن تبيد: "يريدون أن يطفئوا نورَ الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره". (التوبة-٣٢) ولذلك.. جعل الله تعالى الرسول الكريم يفكر في هذه العاقبة ويقدر وقوعها ولا سيما أن النصيحة بالبقاء أتت من منافق والمنافق عدو، ولذلك قال تعالى: "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار." (النساء-١٤٥).. فعَدَل (ولم يتنازل) عن رأيه الأوّل إلى هذا الرأي الثاني (وهو الخروج) كما عدَل عن رأيه في عقد الصلح مع غطفان لاقتناعه برأي الرجلين الأنصارين السالف ذكرهما. وكما عدل عن موقع الجيش في معركة بدر بعد مشورة الحباب ابن المنذر. الذي كانت نتيجته خسائر ليست بالقليلة، ولكنها لم تكن كافية للقضاء على هذا الدين الجديد، بل ظل المسلمون على قوّة حتى بعد أن استشهد منهم سبعون رجلاً. يدل على ذلك أن الرسول الكريم جمع الصفوف ثم عسكر في (جواء الأسد) خشية أن يلحق بهم العدو إلى المدينة. وبذلك.. لم يُسرغ إلى دخول المدينة إلا بعد أن ولى العدو صوب مكة ولم يبق له أثر، وإلا بعد أن عادت للجيش معنوياته.

والدليل على أن الرسول الكريم أخذ برأي الخروج لملاقاة العدو إذ وجده الأصوب.. أن الله تعالى لم يذكّر له بأن الخروج كان غلطة وأن البقاء في المدينة كان أولى، بل أقرّه على ذلك بقوله تعالى: "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين\* إن يحسنكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله. وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين\* وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين\* أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين\* ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه، فقد رأيتموه وأنتم تنظرون." (آل عمران: ١٣٩-١٤٣).

فالله تعالى يذكركم بأنهم -برغم ما قُتل منهم- هم الأغلوان والمستقبل لهم. ويذكرهم أيضاً بأن كفار قريش قد قُتل منهم سبعون رجلاً في معركة بدر كما قُتل منكم سبعون في هذه المعركة. وهذه طبيعة الحياة،

مدافعة بين المؤمنين والكافرين ومع ذلك فمن قُتل منكم فهو شهيد ومن قتل من الكفار فهو في النار، وإن القتال تمحيص للمؤمنين ليُعلم من هو عميق الإيمان فمن هو قلق الإيمان. ثم يسأل المؤمنين سؤال فهي "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة<sup>(١٦)</sup>؟...؟" أي: لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة.. دون أن تُبدوا ما في أنفسكم بالجهاد فبين منكم من جاهد مخلصاً طالباً النصر أو الشهادة، وصبر على ملاقات العدو.. فمن كان غير ذلك.

دروس عميقة وعظيمة وجَّهها الله تعالى للمؤمنين بعد هذه المعركة، فلا تُنال الجنة بلا نية صادقة وجهاد. ولكن لم يوجه تعالى كلمة (عَتَب) واحدة للرسول الكريم بسبب الخروج، مما يدل على رضى الله تعالى عن هذا الخروج، وأنه الوجه الأصوب.

ثم قال تعالى بعد ذلك: "لما رحمة من الله لنت لهم. ولو كنتَ فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فعف عنهم واستغفر لهم - وشاورهم في الأمر". (آل عمران: ١٥٩). أما تعني عبارة "وشاورهم في الأمر" أن المشورة بالخروج التي استقر عليها رأيك يا محمد إنما هي التي أنقذت المسلمين من أن يُمنحوا ويُستأصل شأفتهم.. فامض في مثل هذه المشورة كلما حزب أمر؟ وامضِ آخذاً بالرأي الذي استقر عندك أنه الأصوب: "فإذا عزمت فتوكل على الله".

ولو لم يكن الخروج خير الرايين لصحَّح الله تعالى للرسول هذا الرأي كما كان في أسرى معركة بدر إذ أشعره بأن قتل الأسرى هو.. الأولى في هذا الظرف: "ما كان لني أن يكو له أسرى حتى يُشخن في الأرض، تُريدون عَرْضَ الدنيا والله يُريد الآخرة والله عزيز حكيم". (الأنفال: ٦٧). ففي هذه الآية تذكير للرسول الكريم بأن قتل هؤلاء الأسرى أولى من استيقانهم في هذه المعركة.

وقول ابن هشام: "فلم يزل الناس برسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذين كان من أمرهم حُب لقاء العدو.. حتى دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيته فليس لأمته" لا يعني أنهم "استكروه" على ذلك، بل يعني أن الرسول الكريم الذي لا تلين شخصيته أمام أعق الضغوط عندما لا يقتنع بموضوع هذه الضغوط اقتنع اقتناعاً حراً بوجهة هذا الرأي.. رأي الخروج.

أما قول هؤلاء الناس الراغبين في الخروج: "وقد ندم الناس وقالوا: (استكرونا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد، صلى الله عليك). فليس الإكراه إلا مجرد ظن منهم لأنهم أَلحوا في أمر الخروج. وما دروا أن الرسول الكريم لم يلبس لأمته للخروج إلا لأنه وجد رأيهم هو الأولى،

والآ.. فلماذا لم يُكرهه معظم الصحابة وجنّتهم في أن لا يعقد صلح الحديبية مع قريش وفي مقدمتهم عمر ابن الخطاب الذي راجع الرسول الكريم في أمر الصلح؟<sup>(١٧)</sup>

أما قول الرسول الكريم لهم: "ما ينبغي لنيّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقائل.." فلا يفهم منه الإكراه للرسول، بل يفهم منه شيان: الأول -تعليمي، وهو أن الأنبياء لا يلبسون لباس الحرب ثم تضعف عزائمهم فلا يجارون، فهم أمضى عزماً من أن يُغيروا رأيهم بعد أن يلبسوا للحرب لبوسها. والثاني -هو إعلانه عن استقراره على الخروج لملاقاة العدو، وليس على البقاء في المدينة، دون أن يكون (الإكراه) أمراً وارداً في حسابه، ولولا ذلك.. لتكرر الإكراه مرات أخرى!

وبالمثل فالذين يظنون أن سعد ابن معاذ قد محا ما في صحيفة الصلح مع غطفان في غزوة الخندق دون إذن الرسول.. إنما هم شديدو البعد عن الحقيقة، في غزوة الخندق كما هو معروف رمى العربُ من مكة ومن حولها، المسلمين عن قوس واحدة، فأراد الرسول الكريم أن يُخدَل عن المسلمين ويُفَلَّ جمع الأعداء، فالتقى بعُيَيْنَةَ ابن حصن والحارث ابن عوف، وهما سيّدا قبيلة غطفان، ففاوضهما على أن يعودوا إلى ديارهم ولهم ثلث ثمار المدينة وكتبوا بذلك كتاباً لم يُوقَعْ، وعندئذ.. استدعى الرسول الكريم سيّدين من الأنصار وهما سعد ابن عباد وسعد ابن معاذ فأشارا بعدم إمضاء الكتاب عندما عرفوا من الرسول الكريم أن ليس ذلك أمراً من الله وإنما هو شيء يريد الرسول الكريم أن يُخدَل به عن المسلمين. عندئذ.. قال له سعدُ ابنُ معاذ: "يا رسول الله، قد كُنّا نحنُ وهؤلاء القومُ على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبُدُ الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً إلا قرى أو يبيعوا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة، ولا نُعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (فأنت وذاك.) فتناول سعد ابن معاذ الصحيفة.. فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال ليجهدوا جهدهم." (٢٢٣/٢). لاحظ قول الرسول الكريم لسعد: "فأنت وذاك". أي: أذن لسعد بمحو الكتاب.

ولاحظ أن رأي الرسول الكريم الذي اتفق فيه مع زعيميّ غطفان ليس رأياً ضعيفاً، بل هو رأي قوي؛ فإذا تركت غطفان الحصار وعادوا إلى ديارهم فذلك مُضعف من قوّة التحالف، ولعلّ قبائل أخرى تتبعهم في مفاوضة الرسول الكريم على ثلث آخر من ثمار المدينة أو أقلّ ثم يتكون التحالف فتكون النتيجة انفضاض هذا التحالف، ونجاء المسلمين من القتل على يد تجمّع كبير من قبائل العرب بقيادة قريش. هذا.. رأي قوي، ولكن الرسول الكريم عدل عنه للذي هو أقوى منه.

ثم لاحظ أن الرسول الكريم استدعى رجلين عظيمين من الأنصار كما كان فاوض رجلين عظيمين من غطفان.. لتكافأ الآراء، وأنه عندما اقتنع بحجة سعد ابن معاذ، فالمسلم أقوى من المشرك. والأنصار وهم على الشرك لم يُعطوا غطفان وغيرها من قبائل العرب ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعة.. فكيف وهم على الإسلام هازم الشرك، ومُدْخِل مَنْ يُقْتَل من المسلمين الجنة.. يعطوهم ثلث ثمار المدينة لينفضوا عن الحلف؟ نعم، عندما اقتنع بحجة سعد وافقه عليها بعد أن رأى أن هذا الرأي أقوى للمسلمين من الرأي الأول على قوته وهذا من العظمة حقاً: ألا تتعصب لرأيك وإنما تأخذ بالرأي الأصوب وإن جاء من غيرك، فالحكمة ضالة المؤمن، حيث وجدها أخذها، وافق الرسول الكريم سعداً على حجته، فأذن له أن يمحو الكتاب قال له: "فأنت وذاك" فسعد لم يحم الكتاب إلا بعد أن تبين الرسول الكريم رأيه وبعد أن أذن له بذلك، وهل يصح -شريعياً- لأحد أن يخالف رأي الرسول الكريم أو أمره، إلا إذا عدل عن الرأي؟ والله تعالى يقول: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول" (المائدة - ٩٢)؟.

وبهذا يتبدى عدم الدقة في قول الشيخ الأكبر محمود شلتوت ترتيباً على هذه الحادثة: (وهذه الحادثة تضع تقليدياً دستورياً هاماً، وهو أن الحاكم -ولو كان رسولاً معصوماً- يجب عليه ألا يستبد بأمر المسلمين، ولا أن يقطع برأي في شأن هام، ولا أن يعقد معاهدة تلزم المسلمين بأي التزام دون مشورتهم، وأخذ آرائهم، فإن فعل.. كان للأمة حق إلغاء كل ما استبد به من دولهم، وتمزيق كل معاهدة لم يكن لهم فيها رأي)<sup>(١٨)</sup> وأقول: أولاً -الرسول الكريم لم يستشر في هذه الحادثة جميع المسلمين في المدينة بل استشار اثنين، فكيف نُعمم من هذه الحادثة وجوب استشارة كل المسلمين؟ إن هذه الحادثة تصلح أن يُستنتج منها وجوب الشورى على التعميم، وقد تكون الاستشارة لاثنتين أو أكثر أو أقل، تبعاً لمقتضى الحال.

ثانياً- لا يمكن الاستنتاج من (هذه الحادثة) أن للأمة حق "تمزيق كل معاهدة لم يكن لهم -فيها رأي" لأن الرسول الكريم لم يستبد برأيه وإنما استشار رجلين. ولأن الرجلين لم يمزقا (أو يمحوا) الكتاب بغير إذن الرسول الكريم بل محواه أو محاه سعد ابن معاذ بعد أن وافق الرسول الكريم على رأيه فقال له: "فأنت وذاك" أي: فأنت مأذون لك بإلغاء ما ورد في هذه الكتاب أو مأذون لك بمحوه، إن عبارة الشيخ شلتوت تشعر -والعياذ بالله- أن سعداً محاً الكتاب دون إذن الرسول الكريم بل برغم عدم موافقته على المحو وهل يُتصور مثل ذلك مع ملك أو رئيس؟ فكيف مع الرسول؟ يصح ما قاله الشيخ شلتوت لو أن سعداً -والعياذ بالله- محاً الصحيفة دون إذن الرسول الكريم. وهذا.. ما لم يكن.

إن الحادثة التي تصلح مثلاً على استشارة الرسول الكريم للأمة هو ما كان في غزوة أحد كما عرفنا سابقاً أو غزوة الخندق من حيث حفر خندق حول المدينة أم عدم حفره،



وأنت رأيت أن الرسول الكريم يستشير في الأمور المهمة، ولكنه غير ملزم برأي الأكثرية بل غير ملزم بأي رأي، وإنما هو يُقَلَّب الآراء على وجوها مع أصحابه ثم يعتمد منها ما يراه صواباً أو أقرب من غيره إلى الصواب. وإلا.. أصبح الملك أو الرئيس (ولا نقول الرسول حاشاه) سكرتيراً لأكثرية الأمة.. ينفذ رأياها، وليس رئيساً لها.

يقول تفسير المنار: (الآية صريحة في وجوب إمضاء العزيمة المستكملة لشروطها - وأهمها في الأمور العامة، حربية كانت أو سياسية أو إدارية.. "المشاورة" وذلك أن نقض العزيمة ضعف في النفس وزلزال في الأخلاق، لا يوثق بمن اعتاده، في قول أو عمل.)<sup>(١٩)</sup>

وهذا كلام.. في الغاية من الصواب، فليس يقع من رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - (وكُلَّ رسول) أن يعزم على أمر ثم ينكَل عنه - حاشاه - ومن ذلك قوله عندما دخل بيته وليس لأمة: "ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمة أن يضعها حتى يقاتل".

وقال قتادة في التفسير المنير: (أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذَا عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ أَنْ يَمْضِيَ فِيهِ، وَيَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ، لَا عَلَى مَشَاوِرِهِمْ)<sup>(٢٠)</sup>. معنى هذا أن نتائج المشورة ليست ملزمة للنبى، لأن الناس يختلفون، فبرأي مَنْ يأخذ؟ فإذا قيل: يأخذ برأي الأكثرية، قيل ليس رأي الأكثرية ملزماً للرسول الكريم، ولو كان ملزماً لما عاتبه ربه على مُفَادَاةِ أُسْرَى بَدْرٍ، لَا نَقُولُ: وَقَدْ أَخَذَ بِرَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ، وَإِنَّمَا نَقُولُ: لِأَنَّ رَأْيَ الْأَكْثَرِ وَافِقَ رَأْيِهِ، وَالْأُسْرَى فِيهِمْ عَمَهُ الْعَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَفِيهِمُ الْقَرِيبُ وَالصَّدِيقُ غَيْرُ الْعَبَّاسِ. فَكَيْفَ لَا يَرِقُ قَلْبُهُ الشَّرِيفُ لَهُمْ، وَيَرْتَاحُ إِلَى رَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ الَّذِي وَافِقَ رَأْيَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال أبو الأعلى المودودي: (فالأمير له الحق أن يوافق الأقلية أو الأغلبية في رأياها، وكذلك له أن يخالف أعضاء المجلس كلهم، ويقضي برأيه).<sup>(٢١)</sup> ذلك في كتابه (نظرية الإسلام السياسية).

توضيح

ولكن المودودي في كتاب له لاحق، عنوانه "الخلافة والملك" طبع سنة ١٩٦٦م (بينما طبع كتابه "نظرية الإسلام السياسية" في سنة ١٩٥١م). يرى أن الأمير يجب عليه أن يحترم رأي الأغلبية وأن يأخذ به، وليس له الحق في أن يخرج عليه.<sup>(٢٢)</sup>

وأنا أرى أن رأيه الأول هو الصواب، للأدلة التي أسلفنا ذكرها. والذي جعل المودودي يعود عن الرأي الصواب، إنما هي ظروف السياسة، في بلده وفي العالم الإسلامي كله الآن، فالحكام يجمعون كل الخيوط بأيديهم، ولا يستشيرون، بل يظلمون ويتجرون على شعوبهم، ففداة ذلك إلى أن يعتبر رأي الأغلبية مُلزماً للحاكم، لكي يخفف ذلك من ظلم هؤلاء الحكام. والأمر مختلف مع كل من كان دون الحاكم الأعلى، كما سنين .

ولكن سَحَبَ سلوك حكام العصر للأمة الإسلامية على الحاكم المسلم الذي يخشى الله -عندما يوجد- ويُطبق شرع الله - خطأً صُراح. بل إن الشورى نفسها لا نفع فيها إذا تحولت إلى ديمقراطية، أي: إلى منهج شكلي.. توجهه الأهواء الفردية والرغبات الفردية، التي لا تعترف بحلال أو حرام، ولا تؤمن بالله تعالى، ولا باليوم الآخر، ويلجم هذا المنهج ويشل حركته النظام الاقتصادي الرأسمالي.. الذي أصبح نظاماً عالمياً، والذي تبذل الشركات من أمواله بسخاء، لا لإنجاح الأكفأ، سواء على مستوى الرئاسة العليا، أو على مستوى المجالس النيابية، بل لإنجاح الذي الذي يوفر لها فرصاً أكبر لامتناس ما في جيوب الأفراد، بل لامتناس ما في جيوب الدول الصغيرة. لكي ينعم أصحاب هذه الشركات بنعيم الدنيا ولذائدها، محرمة وغير محرمة، نعيم الدنيا الذي توفره هذه الأموال الطائلة التي تُعتبر ثروةً قارونَ بالقياس إليها ملاليم.

-أما الحديث الذي يقول: "لو اجتمعنا في مشورة لما خالفنا" وجّه الرسول، -صلى الله عليه وسلم- هذا الحديث إلى أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- فهذا حديث ليس تفسيره أن الرسول الكريم لن يخرج على ما يقرانه، وإنما معناه أن أمرَ عَدَم مخالفتها لو اجتمعا (يُحْمَل.. على الإشارة إلى رفعة قدرهما، وعلوّ شأنهما، وأن اجتماعهما على أمر لا يكون إلاً موافقاً لما عند الله تعالى، وهو الذي عليه المعول وبه العمل).<sup>(٢٣)</sup>

أما الحديث الآخر الذي يُفسّر معنى (العزم) في الآية بقول مزعوم على الرسول الكريم: "العزم: مشاورّة أهل الرأي ثم اتباعهم.."<sup>(٢٤)</sup> فقد ضغفه ابن حزم في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام)<sup>(٢٥)</sup> فذكر أن أهل الرأي قد يتفقون وقد يختلفون.. فرأي من يتبع المستشار؟ ثم ضغفه في العصر الحاضر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فجعله في (سلسلة الأحاديث الضعيفة)<sup>(٢٦)</sup>

## شورى الخلفاء الراشدين

وبعد الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- استشار أبو بكر -رضي الله عنه- بعض الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين- في حروب الردّة، فمنهم من وافق، ومنهم من لم يرَ الحرب، كأبي هريرة السدي راجع الخليفة قائلاً: (علامَ تقاتل الناس وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها") فقال أبو بكر: (والله لو منعوني عناقاً -وفي رواية.. عقلاً- كانوا يؤدونها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال. والله، لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة). فقال عمر: (فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال.. فعرفت أنه الحق). وكان عمر ممن عارض الحرب، عندما استشاره أبو بكر بدءاً: فقال له أبو بكر -رافضاً رأيه-: (أبطأش في الجاهلية خوآز في الإسلام) (٢٧)؟

وهذا يعني أن الخليفة أبا بكر استشار أصحاب الرأي، ثم.. لا أقول: أصرّ على رأيه، وإنما انتهى إلى ترجيح رأيه الشخصي على الآراء الأخرى، فعزم وتوكل على الله، وأنفذ الجيوش مخاربة المرتدين حتى أعادهم إلى نور الإسلام.

ثم.. استشار عمر -رضي الله عنه- بعض الصحابة في أمر أراضي العراق بعد أن فتحت العراق، وكان رأي كثيرين أن يعتبرها غنائم، وأن يقسمها بين الجند. ولكن عمر، ومعه قلّة من الصحابة، قد رأى إبقاءها في أيدي أصحابها، على أن يدفعوا نسبة معينة من غلتها لبيت المال. ولم يرَ تقسيمها على الجند حتى لا ينصرفوا عن الجهاد أو إذا مضوا بالجهاد.. تعطل الأرض ولا تستثمر، وأنفذ هذا الرأي. وكان عين الصواب، كما أثبتت الأيام. (٢٨)

واستشار علي ابن أبي طالب -كرم الله وجهه- الصحابة في صفين: أيقبل بالتحكيم بينه وبين معاوية أم لا يقبل؟ فاختلف جماعته بين موافق ومعارض، ثم عزم هو على التحكيم وأمضاه، وانتهى التحكيم إلى الإخفاق، كما هو معروف في التاريخ. وكان من نتائج التحكيم أن انفصل الخوارج عن علي.

## النتيجة

كل ما سبق يؤكد أن الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- استشار أصحابه؛ استشار الواحد والإثنين والجماعة الكثيرة، ولم يُمضِ رأيٍ أيُّ فرد أو فريق لأنه فلان أو لأن الفريق أكثرية، وإنما كان يمضي الرأي الذي يستقرّ عليه، سواء أكان رأي واحداً أو اثنين أو جماعة، أو كان رأيه الشخصي. والحق أن النتيجة أن كل رأي يُمضيه إنما هو رأيه الشخصي، بمعنى أنه ليس نتيجة الضغط والإكراه، وإنما هو نتيجة "القناعة" العقلية والنفسية -الحرّة.

والحاكم الأعلى للمسلمين -يوم تكون حكومة إسلامية- يجب عليه أن يستشير في الأمور الجسام كإعلان الحرب أو عقد سلام، أو طريقة استثمار الأموال، أو ما يأخذه من مال -في ظروف الأزمات والجماعات- سواء من أرباح أموال الأغنياء أو من رأس المال -حسب الظروف<sup>(٢٩)</sup>- يجب عليه وجوباً أن يستشير، كما استشار الرسول الكريم، وكما استشار الخلفاء -كما عرفنا سابقاً-

ولكن يُمضى الحاكم ما يستقر عليه من رأي، بعد تقليب الآراء على وجوهها المختلفة، كما فعل أبو بكر وعمرُ وعليّ -رضي الله عنهم- قد يقال: ولكنّ الحاكم الأعلى قد يجوز وقد يظلم وقد يتبع هواه، فكيف يباح له أن يأخذ بما يستقرّ عليه رأيه الشخصي، ولو خالف رأي الأغلبية؟

وأجيب بسبعة أشياء: الأول- أن الحاكم المسلم ليس كأني حاكم في الأرض يتعامل بالربا ويرتكب المحرمات ولا ينظر إلا إلى المنفعة الدنيوية، وإنما من الشروط التي يجب أن تتوافر فيه: أن يكون عاملاً بالإسلام، مُتبعاً للحق والعدل، واصلماً بين الدنيا والآخرة، بحيث لا يُنسيه نعيم الدنيا نعيم الآخرة، فيضعف جداً -لذلك- أن يعمل بهواه.

الثاني- أن الشورى موصولة -بالحرية والعدل- ولهذا.. فمن مقتضيات الشورى أن يتم تولى رئيس الدولة لمنصبه -بالانتخاب- سواءً بانتخاب من مجلس نواب أو بانتخاب مباشر من الأمة الإسلامية وهو الأولى. وكما يتولى منصبه بالانتخاب فيصح عزله -إذا أساء وجار وبَدَل- بالانتخاب، سواءً من قِبَل مجلس سياسي كمجلس النواب أو من الأمة مباشرة، على أن يكون لذلك ضوابط شرعية، كأن يتمّ عزله إذا وافق على عزله ثلثاً أعضاء المجلس السياسي، مع تقديم أسباب يقنع بها الشعب، إذا كان العزل من المجلس. والأفضل أن يكون العزل من عموم الشعب.

والثالث- أن من الشورى إطلاق الحريات العامة، في الصحافة والتلفازات والإذاعات، بحيث يستطيع كل فرد أن يقول رأيه -بأسلوب مهذب- من غير أن يُضارَ، إذا لم يلجأ إلى القوة. وإطلاق حرية الرأي هو لون من ألوان الشورى، لأنك كفرد إذا ناقشت أمراً يتعلق بإدارة رئيس الدولة ككل، أو في موضوع من الموضوعات، أو ناقشت أمراً يتعلق بعمل من دولته -إنما أنت تشير على المسؤول مشورة غير ملزمة، ولكنها مُعلّمة، وتفتح بذلك آفاقاً للجماهير لتفكّر وتدبّر وتتصرف، سواء تصرفت مع رأيك أو ضده.

والرابع- أن مدة رئيس الدولة يجب أن تكون محدّدة ومحدودة، أي: محدّدة ببضع سنوات، ومحدودة بدورة أو دورتين ليس أكثر. لأن من طبائع النفوس أن الشخص الذي يستقرّ عنده أنه باق في منصبه إلى أن تحين وفاته- يداخله بعض العُجب، وبعض الشعور بأنه نسيحٌ وحده وفريد عصره، مما يجعله يرتجل ولا يفكر، ويضرب بآراء الآخرين عُرض الحائط. وعكسه الذي يعرف أن مدة حكمه محدّدة ومحدودة، وأنه محاسب على ما يفعل.

إن حمس الخلفاء في الدولة الأموية، ثم في الدولة العباسية -قتلوا قتلاً، لأن الناس كانوا يستبطنون موت الحاكم الجائر أو الأهووج أو الغارق في اللذائذ إلى أذنيه -فتكون نتيجة هذا الاستبطاء أن ينقصوا عليه ويقتلوه، أو يسلموا عينيه، يتركونه يتكفّف الناس لكي يأكل الخبز وبغير إدام. واضح أن الدليل هنا هو "فقه" الواقع التاريخي الذي حشنا الله تعالى على الاعتبار به: "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب" (يوسف- ١١١).

الخامس- إن إمام المسلمين (رئيس الدولة) ليس نائباً عن المسلمين في تصريف شؤون البلاد، لأن ذلك يخالف الشورى، فالشورى تعني حرية المجالس واللجان، الفنية منها والإدارية، في أن تشير على رئيس الدولة وعلى غيره من الحكام والمسؤولين، وأن تنتقد ما يستدعي الانتقاد، وأن تضع البديل. على هذا... فإمام المسلمين لا يستقل بشيء عن الشعب؛ عن المجالس واللجان، فالشعب مسؤول من جهته مسؤولية فردية تعني أن كل فرد يُنمّي نفسه ويقوم بواجبه ويطالب بحقوقه وينصح ويوجه ويرشد. ثم.. الفرد -كل فرد- متكافل مع المجتمع متكامل معه، من أجل مصلحة الجميع، بمن فيهم الإمام، قال تعالى: "فلنسالن الذين أرسل إليهم، ولنسالن المرسلين"<sup>(٣٠)</sup> (الأعراف- ٦٠).

والسادس: أن الإسلام لا يقبل ولاية العهد. لأن ذلك يخالف الحرية التي تتمشى في مفاصل الشورى. وما كان في العهد الأموي والعهد العباسي من ولاية العهد إنما جاء عن طريق السلطان القاهر، لا عن طريق الشورى. لأن تسمية الخليفة لابنه أو أخيه، ولياً للعهد، إنما كان يأخذ البيعة له بالقوة. أما اختطرت أحد الرجال سيفه عندما جلس معاوية لكي يأخذ البيعة لابنه يزيد، وهدد الجميع قائلاً: ولاية العهد لهذا (وأشار إلى يزيد) وإلا.. فهذا (وأشار إلى السيف)؟

والسابع- لا يجوز أن يرشح لرئاسة الدولة رجل واحد، وإنما يُرشح اثنان على الأقل إلى جمع من الرجال، لأن ترشيح واحد إنما هو انتزاعٌ ببيعة، وليس ترشيحاً وانتخاباً، فأين الحرية الممنوحة، والشورى المطروحة، إذا رُشح رجل واحد فقط فإن ذلك تعين يلبس قبعة الشورى، أو شكل للشورى قد نخره السوس، فأصبح مُجوّفاً هواءً.

وإننا نجزم في العصر الحاضر بأنه يجب أن ينتخب إمام المسلمين انتخاباً، إنما عن طريق المجالس السياسية والتشريعية، وإما عن طريق الشعب مباشرة وهو الأولى، ذلك.. لأن تنصيب الخلفاء الراشدين الأربعة أخذ أشكالاً مختلفة، حسب الأشخاص والأحوال، فأبو بكر -أول خليفة- نُصّب عن طريق الشورى بموافقة أغلبية أصحاب الحل والعقد الذين اجتمعوا في سقيفة بين ساعدة. وعمر ابن الخطاب -الخليفة الثاني- نُصّب بتعيين من قبل أبي بكر بعد أن استشار، وعثمان ابن عفان -الخليفة الثالث- نُصّب باختياره من بين ستة رشحهم عُمر للخلافة بعد استشارة عبدالرحمن ابن عوف، لأهل المدينة المنورة، وهم أهل الحل والعقد في ذلك الزمان، وعليّ ابن أبي طالب -الخليفة الرابع- نصب باختيار أهل المدينة -جُلّههم- له، وكان كلٌّ من الخلفاء أهلاً للخلافة في زمانه: أبو بكر كان صديق الرسول الكريم، وصاحبه في الغار وفي الهجرة إلى المدينة، وصهره إذ تزوج الرسول الكريم عائشة -أمّ المؤمنين، وابنة أبي بكر، ثم انتدبه الرسول الكريم إلى الصلاة عندما أُنقذه المرض، فمن أولى منه بإمامة المسلمين؟

وعمر.. كان الحقّ على لسانه في أغلب الأحوال. أما أشار على الرسول الكريم أن يقتل أسرى بدر، وجاء القرآن مؤيداً لرأيه؟ قال تعالى: "ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض." (الأنفال-٦٧)

وعثمان.. هو ذو النورين، إذ تزوج ابنتين من بنات الرسول الكريم؛ ماتت الأولى فتزوج الثانية. وهو الذي جهز معظم جيش "العُسرة" في السنة التاسعة للهجرة. وهو الذي وافق عبدالرحمن ابن عوف (السذي) وكلّ إليه أمر استشارة أهل المدينة واختيار الخليفة بعد ذلك) وافقه على أن يسير كسيرة الشيعين: أبي بكر وعمر.

وعليّ.. هو أول من أسلم من الصبيان، وصهر الرسول الكريم على ابنة الرسول فاطمة الزهراء. وهو الذي نام في فراشه ليلة هجرة الرسول الكريم، وهو الذي كان لا تردّ فتواه. وهو قاتل عمّ ابن ودّ العامري<sup>(٣١)</sup> الشجاع البطل الذي يضاها عنترة العسبي، يوم الخندق، وعمّ عليّ ثمانية عشر عاماً. فمن أحقّ منه بالخلافة في أيامه؟ إن معاوية ليس قرناً له ولا نظيراً.

-وعلى هذا.. فلم توضع صورة "مظية" لتنصيب الخليفة أو الإمام، لكي تتغير أشكالها، تبعاً لتغير الظروف والأحوال والأشخاص، مع الاحتفاظ بمبدأ وجوب الشورى، ووجوب العدل في التعامل معها، بعيداً عن الأهواء الشخصية والمصلحة الذاتية.

لم توضع لها صورة مظية لأن شأنها في ذلك شأن التشريع في المعاملات، إذ وضعت صوراً قليلة ثابتة، كالتقصص في القتل العمد، وكحد الزنى والسرقه والحراية، وشرب الخمر، ثم.. اكتفي بعدها بالمبادئ العامة، كالالتزام بالحق والعدل. ذلك.. لتناسب الأحكام تغير الأزمان. وقد قال الفقهاء: الحكم يدور مع علته، وجوداً وعدماً، وأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان والظروف والأحوال.

## استشارة الحكام والولاة للناس

الولاة والحكام الذين هم دون رئيس الدولة، معرلة، ويتوبون عنه في تصريف شؤون الحياة اليومية، في التعليم والأمن والصناعة والزراعة... إلخ. (وليسوا مسؤولين عن القرارات العليا المنوطة (برئيس الدولة) - يصرفون شؤون الحياة اليومية بناءً على خطوط عريضة للسياسة العامة التي تصدر عن الحكومة المركزية، بعد مشورة حكام الأقاليم ولجان فنية مكونة من مواطني الأقاليم.

- هؤلاء الحكام وكل من كان دونهم، حتى على مستوى رئيس القسم أو رئيس الجمعية، ومثلهم المؤسسات والشركات الخاصة ينطبق عليهم في المشورة قول الله تعالى، في سورة (الشورى): "وأمرهم شورى بينهم" (الآية-٣٨).

وهذه الآية توجب الشورى على كل مسؤول، مهما كبرت مسؤوليته أو صغرت، وتوجب أيضاً الالتزام برأي الأكثرية. إذ لو لم يلتزم برأي الأكثرية.. فإن الأمور تتحول إلى فوضى، وينفطر عقد النظام الاجتماعي، وتفسد الحياة- إذا أخذت كل فرقة برأيها، فالحياة، في النهاية وبعد المشورة، لا بُدَّ من أن تأخذ، كثيراً، اتجاهها واحداً، حتى لا يحدث تضارب في المصالح والأفعال.

ولو كانت شورى الولاة والمسؤولين ليست واجبة، من ناحية، وليس رأي الأكثرية ملزماً من الناحية العملية، لورد في القرآن ما يشير إلى ذلك، أو في حديث الرسول الكريم.

وإن ورود الكلام عن الشورى في القرآن بعد الإشارة إلى رأس العقيدة "والذين استجابوا لربهم" فالاستجابة لله تعالى تنبثق عن الإيمان به، والإيمان بالله تعالى هو رأس العقيدة، ولذلك قال تعالى: "إن الله لا يغفر أن يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (النساء-٤٨) وبعد الإشارة إلى الله تعالى جاء ذكر إقامة الصلاة: "وأقاموا الصلاة". ليدل على أهمية الشورى في الإسلام، وأنها ركيزة من ركائز السياسة الإسلامية التي تنبثق عن التشريع الذي ينبثق عن العقيدة.

فإذا أضفت إلى ذلك أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد عمل بالشورى في الأمور العامة -كما عرفنا سابقاً- وقد دعا إليها بالقول؛ عن علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله، الأمرُ يزل بنا بعدك لم يزل فيه قرآن، ولم يُسمع منك فيه شيء، قال: "اجمعوا له العابد من أمتي، واجعلوه بينكم شورى، ولا تقضوه برأي واحد" (٣٢).

ويعضد هذا الحديث قولُ رسول الله في حديث آخر صحيح؛ عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "من أراد أمراً فشاور فيه وقضى -هُدًى إلى أرشد الأمور." (٣٣). وحديث ثانٍ صحيح هو: ما شقي قطَّ عبد بمشورة، وما سعد باستغناء رأي" (٣٤).

نستخلص من هذه الأحاديث الثلاثة (وكثير غيرها) أن الشورى مبدأ رئيسي في السياسة الإسلامية، كما عرفنا ذلك تواتراً.

ومن لوازم الشورى الإيمان بالرأي الآخر، وتتعدَّد الفرق أو الأحزاب التي تنطلق من مبادئ الإسلام، وتوسعي إلى الغايات نفسها التي أمر بها الإسلام، من أجل السعادة في الدارين -الدنيا والآخرة. فالخلاف بينها لن يكون خلافاً في الجوهر وإنما يكون خلافاً في الاجتهادات في الفروع، وفي الوسائل والأساليب. والخلاف بينها -إذا وقع- وبين الحكومة إنما هو مثل الاختلاف بينها، بعضها وبعضها الآخر. في الاجتهادات في الفروع، وفي الوسائل والأساليب.



ومن الأولى والأقرب إلى الشورى أن يُنتخب حكام الأقاليم انتخاباً كلٌّ من قِبَلِ شعب إقليمه. على أن يكون للإمام الحق في إقالة من يَضَعُف عن أداء مهامه، ولكن بعد تقديم أسباب مجلس شورى الدولة كلها، والحصول على الأغلبية المطلقة، وهذا.. أفضل من أن يُعرض أمره على مجلس شورى الإقليم الذي قد يتعصّب لحاكم إقليمه الذي انتخبه هذا المجلس.

لا شورى في النصوص القطعية الدلالة

ومما يجدر تقريره أنه لا شورى في النصوص القطعية الدلالة كفروض الصلاة والزكاة والصيام والحج على المستطيع. وكتحريم الربا والزنى والسرقه والقتل العمد... ولكن الاجتهاد يكون في أساليب التطبيق، أما النصوص القابلة لأن يُجتهدَ فيها فلا يُوكل أمرها إلى مجلس نواب غير متخصص، وإنما يوكل أمرها إلى مجالس تشريعية فقهية، نصفها من الفقهاء، ونصفها من أصحاب الاختصاصات الفنية كالطب والهندسة والتجارة والزراعة والسياسة، والإدارة والتربية وعلم الاجتماع وعلم النفس... إلخ. لكي يُوَضَّحَ الفنيون الجوانب الفنية الدقيقة التي تكون غامضة على الفقهاء.

أما الوسائل والأساليب الفنية فهي موكولة إلى أصحاب الاختصاص ما لم تتعارض مع نص شرعي، أو مع التصور العام للإسلام الذي يصل بين الدنيا والآخرة، فلا يجوز أن تتعارض غايات الدنيا مع الغايات التي تُوصل إلى نعيم الآخرة.  
رأيان متعارضان

الأول- يرى أن الشورى واجبة وملزمة، والآخر يرى أن الشورى مندوبة وغير ملزمة. وكلا الفريقين يستدل بنفس الأدلة من القرآن والسنة:

الفريق الأول- يفسر قوله تعالى: "وشاروهم في الأمر" (الأنعام-١٥٩) أن الأمر فيه للوجوب، فليس من دليل يصرّفه عن ظاهره، خاصة أنه نزل بعد معركة "أحد" وما كان لها من نتائج خطيرة.. جعلت الرسول الكريم يستاء من الرّماة الذين أمرهم بالألّا يتركوا الجبل مهما كانت النتائج "لنا أو علينا"<sup>(٣٥)</sup>.

ويفسر هذا الفريق قوله تعالى: "وأمرهم شورى بينهم" (الشورى-٣٨) أنه للوجوب، لأنه جاء بجملة اسمية مؤداهها الثبوت والاستقرار، خاصة أنها جاءت بين الصلاة كأهم عبادة، والزكاة كأهم فرض اجتماعي، قال تعالى واصفاً المؤمنين: "...وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم يُنفقون".

ومن السنة: (عن عليّ رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، الأمرُ يول بنا بعدك، لم يول فيه قرآن، ولم يُسمع منك فيه شيء. قال: "اجعوا له العابد من أمتي، واجعلوه بينكم شورى. ولا تقضوه برأي واحد"<sup>(٣٦)</sup>). وأحاديثُ أخرى... وهذا الفريق الأول يعتبر قوله صلى الله عليه وسلم: "واجعلوه بينكم شورى"، أمراً للوجوب، والإلزام.

أما الفريق الثاني فيرى أن الرسول الكريم ليس في حاجة إلى مشورة الآخرين، لأنه كان يول عليه الوحي، فالطلب منه أن يشارو الصحابة.. إنما هو لتطبيب أنفسهم، ومعرفة قُدْرَتهم على تقديم الآراء الجيدة. أمّا قوله تعالى: "وأمرهم شورى بينهم" فالفريق الثاني يرى أمّا جملة خيرية لا تحمل معنى الأمر، لأن الأمر يكون باستعمال فعل الأمر.<sup>(٣٧)</sup>

وأقول: ما أسلفنا قوله في الصفحات السابقة، تحت عنوان: (الشورى في الإسلام) و (شورى الخلفاء الراشدين) يدلّ على أن تعميم "الإلزام" على شورى الرسول الكريم، وشورى رئيس الدولة - بعدة - لا يستقيم مع الحق. لأن الله تعالى قال: "إذا عزم فتوكل" بعد الأمر بالشورى، فالشورى - في الأمور العظام - واجبة. ولكن عبارة "إذا عزم فتوكل" تُوضّح أن الرسول الكريم (ومثلهُ رئيس الدولة المسلمة) إذا استقرّ على رأي (= عزم) واجب أن يُنفّذه (= فتوكل).

أمّا شورى المسلمين - بعد رئيس الدولة - فهي واجبة وملزمة برأي "الأغلبية" وإلا.. حدث تعارض بين أنواع الأداء المختلفة.. كثيراً. وعلى استمرار التعارض وتشعبه يُفسد بعضُ الأفعال بعضاً، وتضيع الجهود في التصادم بينها.

أما الفريق الثاني الذي يرى أن الأمر في قوله تعالى: "وشاورهم في الأمر" للندب، فليس لديه دليل عقلي أو نقلي على خروج الأمر عن معنى الوجوب إلى معنى الندب. أمّا أنه غير ملزم فهو صحيح في حق الرسول الكريم، ومن بعده من رؤساء الدولة الإسلامية، وإلا.. تحول رئيس الدولة إلى سكرتيراً لمجلس الشورى.

ولكنه مُلزم لكل مسؤول دون رئيس الدولة، للسبب الذي ذكرناه آنفاً عند عرض رأي الفريق الأول.

## تذكير

- ومن الأمور البديهية<sup>(٣٨)</sup> أن السياسة الخارجية، وتنظيم المال العام، من خلال خطوط عريضة ومبادئ وسياسات اقتصادية تتماشى مع مبادئ الشريعة والتصور العام للإسلام. وكذلك الجيش - أمور تابعة إلى رئيس الدولة بعد عرضها ومناقشتها، كسياسات عامة، مع مجلس الشورى. أما حكام الأقاليم فيجتهدون بتطبيق السياسات المالية، متروكاً لهم أمر التخطيط التفريعي وأمر الوسائل والأساليب في التنفيذ، أما السياسة الخارجية والجيش فهما خاضعان لرئيس الدولة، أي: للحكومة المركزية، ويفضل أن يكون حكام الأقاليم ممن يستشارون - إلى جانب مجلس الشورى - في هذه الأمور الثلاثة المهمة، بالطريقة التي تناسب العصر، فقد تكون الاستشارة عن طريق انضمامهم إلى مجلس الشورى أو استكثابهم - بعد أن يُزودوا بإخطاط - وكل منهم عليه أن يأخذ رأي مجلس شورى الإقليم والفنيين المعنيين.

والجيش - طبعاً - يعين أفراده من قبل الأجهزة المعنية التابعة للحكومة المركزية - تعييناً، وليس انتخاباً، ولا ينافي ذلك أن يأخذ رئيس الدولة آراء مجلس الشورى والمجالس الفنية في التوجهات العامة لتنظيم الجيش، وفي توليه كبار الضباط.

أما حكام الأقاليم فيساعدهم على حفظ الأمن.. الشرطة. ولا بد أن يأخذ حاكم كل إقليم برأي الأغلبية في مجال التوجهات العامة لحفظ الأمن، وفي توليه كبار الضباط، على أن يكون كل ذلك.. قائماً على أسباب وحيثيات مقنعة.

- أما مجلس شورى الدولة، ومجالس شورى الأقاليم.. فليس لرئيس الدولة أن يُقبل أيّاً منها، وليس لكل حاكم إقليم أن يقبل مجلس شورى الإقليم. وإنما يضبط إيقاع هذه المجالس أن كلاً منها ذو مدة محدودة ومحددة، فغير المناسب يمضي دورته ثم لا يُعاد انتخابه. اللهم إلا إذا ارتكب جرائم أو أخطاء واضحة، عندئذ.. يُحاكم ويأخذ عقوبته العادلة، كأى مواطن، فلا حصانة لشخص ما أمام القانون.

مناقشة

نتناول في هذه المناقشة كتابين هما: المجلد الثاني من كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب، نتناول ما يخص الشورى فيه، والثاني هو كتاب (النظام السياسي في الإسلام) لعمد عبدالقادر أبو فارس، نتناول ما يخص الشورى فيه. <sup>(٣٩)</sup>

-يقول سيد قطب في ظلال القرآن جـ ٢: (لقد جاء هذا [أي: وشاروهم في الأمر] عقب وقوع نتائج للشورى تبدو في ظاهرها خطيرة مريرة، فقد كان من جرّائها ظاهرياً وقوع خلل في وحدة الصف المسلم! اختلفت الآراء فرأت مجموعة أن يبقى المسلمون في المدينة، محتمين بها، حتى إذا هاجم العدو قاتلوه على أفواه الأزقة. وتحمست مجموعة أخرى، فرأت الخروج للقاء المشركين).<sup>(٤٠)</sup>

وأقول: إن الخلل لم يكن نتيجة الشورى، لا ظاهرياً ولا جوهرياً، وإنما كان سببهُ خلافٌ عميق متّصل بين المسلمين وبين المنافقين وعلى رأسهم رأس النفاق -عبدالله ابن أبي سلول. ولذلك.. فالمسلمون المخلصون مضواً إلى المعركة وقاتلوا جميعاً، فاستشهد من كتب الله تعالى له الشهادة، سواءً منهم من كان رأيهُ البقاء في المدينة، ومن كان رأيهُ هو الخروج لملاقاة العدو. أما المنافقون، وهم ثلث الجيش المكوّن من ألف مقاتل، فقد رجعوا بعد أن خرجوا مع المسلمون. وأنا أرجح أن خروجهم عن تدبير، فهم يدركون أن خروجهم في الجيش ثم انفصالهم عنه ورجوعهم -يضعف معنويات المخلصين. أليس هذا شيئاً بقول طائفة من أهل الكتاب: "آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجاه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون"؟ (آل عمران-٧٢)، "لعلهم يرجعون" لأن المتوقع أن تضعف معنويات الذين آمنوا، فيرجعوا عن الإسلام.

-ويقول: (ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم- يجهل النتائج الخطيرة التي تنتظر الصف المسلم، من جرّاء الخروج، فقد كان لديه الإرهاص من رؤياه الصادقة التي رآها، والتي يعرف صدقها، وقد تأولها قتيلاً من أهل بيته، وقتلى من صحابته، وأول المدينة درعاً حصينة. وكان من حقه أن يُلغى ما استقرّ عليه الأمر نتيجة الشورى. ولكنه أمضاها وهو يدرك ما وراءها من الآلام والخسائر والتضحيات. لأن إقرار المبدأ، وتعليم الجماعة، وتربية الأمة.. أكبر من الخسائر الوقتية).<sup>(٤١)</sup>

وأقول: لم يقل الرسول الكريم يوماً أن رؤياه صادقة كالوحي، وإنما قالت عائشة: (أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم- الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)<sup>(٤٢)</sup> ولذلك.. فهو.. لا أقول: لا يعرف النتائج، وإنما أقول: إن تأويله لرؤياه هو نوع من الظن: و"إن الظن لا يُغني من الحق شيئاً". (يونس-٣٦)، لأن الرسول الكريم لا يعلم الغيب، والرؤيا ليست من الغيب: "ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء" (الأعراف-١٨٨) يقول الرسول الكريم ذلك، بأمر من الله تعالى. ولو كان يعرف النتائج الخطيرة من الخروج، ثم خرج.. لكان حاشأه- غاشاً لأصحابه. ثم لاحظ أن الرسول الكريم قال: "تأولتها" أي: فسرها. والتفسير ليس يقيناً.

أما أن هذا الدرس الخطير كان ضرورياً لتربية المسلمين وترسيخ مبدأ الشورى - فكلام غير دقيق، أولاً- لأن المسلمين، والصحابة خاصة، يأتمرون بأمر الله تعالى دون دروس مريرة، وما أكثر الأوامر الإلهية التي نفذها المسلمون دون دروس مريرة. قياساً على رأي المؤلف فإنه يجب -مثلاً- أن يصاب المسلم بالكساح والتهاب المفاصل إذا لم يتم بأداء إحدى الصلوات، فلا ينجو من ذلك إلا بعد شهر لا يُخَلَّ فيه ولا بأداء صلاة واحدة قاعداً. وأنه يجب أن يعقد لسان المسلم إذا لم يقرأ في القرآن يوماً، فلا تنحل عقده إلا بعد أن يعكف على قراءة القرآن قراءةً صامتةً شهراً كاملاً... إذا كان لا يقع الاعتاض إلا بالدروس الخطيرة!

ثم.. لو صحّ كلام المؤلف.. لكان واقع المسلمين، منذ أن تنقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، إلى يوم الناس هذا.. قائماً على الشورى التي لم يطبقها المسلمون إلا في عهد الخلفاء الراشدين، وأحياناً أخرى قليلة. لأن عظم الخطورة يجب أن يقابلها عظم الاعتاض والاعتبار.

وثانياً- لأن مؤدّى: "وشاورهم في الأمر" كما شاورهم في هذه المعركة، ثم أمضيت ما عزمت عليه فيها. ثم.. يجدر ألا يُعَدَّك عن الشورى غضبك على الرماة الذين نزلوا عن الجبل، برغم أمرك لهم أن لا يغادروا مواقعهم. فقد قال الرسول الكريم لرئيس الرماة: "انضح الخيل عنا بالتبّل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا يُؤتَيْن من قبلك"<sup>(٤٣)</sup>.. ولولا هذه الشورى والخروج لفنيت هذه الجماعة. وهذا.. تأكيد على أن الشورى واجبة، ولكن لا يختلطن به ادعاء أن الرسول الكريم كان يعرف النتيجة، ولكنه لم يُعلم أصحابه بها، معاذ الله!

-ويقول: (ومن حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة، أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف، وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة).<sup>(٤٤)</sup>

وأقول: هذا كلام عجيب غريب! كيف يكون من حق القيادة النبوية أن تنتبذ الشورى، والله تعالى يقول لنبيه: "وشاورهم في الأمر". مؤدّى هذا الكلام أن الرسول الكريم -حاشاه- يعصي ربه وينبذ أوامره؟! وقد سبق أن بيّنا أن الشورى ليست سبب انقسام الصف، ولا سبب النتائج الخطيرة.

-ويقول: (وأن تُخطئ الأمة- مهما يكن الخطأ جسيماً وذا نتائج مريرة- لتعرف كيف تصحح خطأها، وكيف تحتل تبعات رأيها وتصرفها، فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ)...<sup>(٤٥)</sup>

وأقول -مرة أخرى- هذا كلام عجيب غريب!! كيف لا تتعلم الأمة الإسلامية الصواب إلا إذا زاولت الخطأ؟ إن ذلك يصح في المجتمعات التي لا مبادئ دينية لها تعصمها من الخطأ، وإنما تعتمد "التجريب" فتخطئ أحياناً وتتعلم من أخطائها، ففي المجتمعات الغربية -مثلاً- يمارس الشباب -اللسواط- لحاظ التجريب، فإذا استمتع كل من اللاتط والملوط استمر، وإلا توقف من لم يستمتع منهما أما الأمة التي أنزل الله تعالى عليها كتاباً من السماء، فيه كل المبادئ التي تعصم الإنسان -إذا أحلص لها- من الخطأ: "ما فرطنا في الكتاب من شيء." (الأنعام-٣٨)، فما حاجتها إلى أن تتخذ منهج التجريب في معظم المجالات، وعندها -مبادئ- هي أدق في حقائقتها من معظم نتائج التجريب. إن التجريب منهج معتبر في مجال العلوم المادية، ولكنه ليس النهج الأمثل في مجال الأخلاق والمبادئ السلوكية العامة.

بل إن كثيراً من المربين يرون أن من الخطأ أن يعرض المعلم على الطلاب الخطأ، ثم يُنحِيه ويعرض مكانه الصواب، لأنهم يرون أن الخطأ قد يعلق بالذهن. ومع أي لست مع هذا الرأي إلى نهاية الشوط، وإنما أنا أرى أن الصواب، دون عرض الخطأ قبله، أسلوب أجود -فحسب- من الأسلوب الأول، فبإذا كان الأول نسبة الصواب فيه ثمانين بالمئة، فهي تسعون بالمئة في الرأي الثاني. مع العلم أن هذا موضوع يصح التجريب فيه، بتطبيقه على فئتين من الطلاب، الأولى تُطبق عليها فكرة الرأي الأول، والثانية تطبق عليها فكرة الرأي الثاني، ثم يُخرج من التجربة بنتائج تقريبية، وليست دقيقة دقة عالية. ولكن التجريب في المارك أمر في الغاية من التشتت والخطورة، وإلى ذلك.. فلا يجوز أن يعرف القائد النتيجة مسبقاً ثم يغامر بجيشه، من أجل تقرير مبدأ. وهنا المبدأ هو الشورى التي لم يطبقها حكام المسلمين -للأسف- بعد عهد الخلفاء الراشدين إلا قليلاً!

-ويقول: (ولكن وجود محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومعه الوحي الإلهي، ووقوع تلك الأحداث، ووجود تلك الملابس.. لم يبلغ هذا الحق<sup>(٤٦)</sup>).

وأقول: الوحي الإلهي ليس مع الرسول الكريم في تفاصيل هذه المعركة (وكل المارك)، وإلا.. لزل الوحي يقول للرسول الكريم: (اخرج إلى قتال العدو، أو لا تخرج وتحصن في المدينة)، لأن الوحي أذن بالقتال للذين ظلموا<sup>(٤٧)</sup>، ووضع مبادئ عامة للقتال، كتراص الصفوف، وعدم التولي يوم الزحف. شأن الوحي، في هذا، شائئ في كل جوانب الحياة التي وضع لها مبادئ عامة، وترك التفاصيل، لكي يتعامل بالتفاصيل مع كل معركة، حسب ظروفها.. البشرية والمادية والجغرافية، بل مع كل جانب من جوانب الحياة تُركت التفاصيل إلا في أمور قليلة.

ويكفي أن نتذكر مشورة الحباب ابن المنذر على الرسول الكريم في معركة بدر.. لكي ندرك أن تفاصيل أي معركة هي متروكة للاجتهاد البشري. ومن هنا.. تلزم الشورى بين القائد وأهل الحل والعقد، لاتباع أجدد التفاصيل في سير المعركة.

ويذكر على أن الشورى.. مبدأ لا يرتبط بمعركة ما، وإن نزل قوله تعالى، لرسوله الكريم "وشاورهم في الأمر" في مناسبة مُجريات معركة "أحد" -يدللك على ذلك أن الآية الثانية التي وردت في الشورى، وهي: "وأمرهم شورى بينهم" قد نزلت قبل معركة أحد بقراءة ثلاثة عشر عاماً. أي: في السنة الثانية للبعثة. فالشورى.. ركيزة أساسية من ركائز التشريع الإسلامي، ومن ركائز نظام الحكم في الإسلام، وليست مرتبطة بمحادثة أو معركة، فخصوص السبب لا يلغي عموم الدلالة.

## النظام السياسي في الإسلام/ الشورى منه

أ- يقول الدكتور محمد أبو فارس: (ويمكننا أن نستدل لما ذهبنا إليه بأن النبي صلى الله عليه وسلم- كان يستشير الصحابة ويأخذ برأي الأغلبية، وإن خالف رأيه في حوادث كثيرة).<sup>(٤٨)</sup>، ويذكر منها: المشورة في غزوة أحد. وقد أوردنا سابقاً نص تلك الشورى.. فلم يرذ فيه إشارة إلى الأغلبية، ولا ما يدل عليها. فقد عرفت أن المغاربيين انقسموا قسمين: قسم يرى البقاء في المدينة، وقسم يرى الخروج.. فَرَجَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم- الرأي بالخروج، ولم يكن أغلبية ولا إكراه؛ لم يُشِرِ النص إلى شيء من ذلك أبداً.

ب- ويذكر أيضاً استشارة الرسول الكريم، في غزوة الخندق، رجلين من الأنصار هما: سعد ابن معاذ وسعد ابن عباد. ص: ٩٥ وأقول: إذا كان الأمر في مشورة أحد.. ملتبساً، فلا يعرف: أكان الفريقان متساويين أم كانت الأغلبية مع الخروج أم كانت مع البقاء في المدينة.. فإن الأمر في غزوة الخندق كان واضحاً وضوح الشمس: فلم يستشر الرسول الكريم في الصلح مع غطفان سوى رجلين، وهما الرجلان هما الأغلبية! والمغاربة أكثر من ألف؟: إن مشورة حفر الخندق كانت جماعية. وليس كذلك مشورة السعديين:

..وليس يصح في الأذهان شيء - إذا احتاج النهار على دليل!

ت- المشورة في أسرى بدر: يرى الكاتب أن الرسول الكريم أخذ برأي الأغلبية وهو فداء الأسرى لا قتلهم، وقد يكون هذا صحيحاً لمكان حديث الرسول الكريم الذي يدل على أن الأغلبية ستهلك لسوا رحمة الله "لو أنزل من السماء عذاب لما نجا منه غير عمر ابن الخطاب وسعد ابن معاذ..."<sup>(٤٩)</sup>

وأقول أيضاً: لم ينتبه الكاتب إلى أن الحق تعالى قد (أبطل) هنا رأي الأغلبية! وهذا... تعليم للرسول الكريم ولمن يأتي من بعده أن الصواب ليس دائماً في ركاب الأكثرية بل قد يكون في ركاب الأقلية. وهذا... يدعم رأينا أن الله تعالى لم يطلب من رسوله أن يتبع رأي الأكثرية. وإلا.. فكيف يطلب منه ذلك ثم يخالف ما طلب في هذه الآية؟ بل طلب منه أن يتبع الرأي الذي يستقر عليه سواء أكان رأيه البدئي أم رأي الأكثرية أم رأي الأقلية. وقد دللنا عليه تحت عنوان: (الشورى ليست ملزمة). وذلك.. خاص برئيس الدولة، لا من دونه بل ن الآية تبطل تمسك النبي برأي الأغلبية، لكي يأخذ بالرأي الذي يستقر عليه.

ويقول: (وبناءً عليه.. فإن العمل العقل يعيل إلى استخدام الوسائل الحديثة في كيفية الشورى، وأعضاء مجلس الشورى، فيكون عن طريق الاقتراع السري يسهم فيه جميع المسلمين البالغين العاقلين).<sup>(٥٠)</sup>

وأقول: عرفت من رأينا أن مجلس الشورى يكون أحد المجالس ويختص بالأمر العلي كالسياسة العامة وإعلان الحرب وعقد المعاهدات... ولكن مشورته، لكلا الفريقين، الأغلبية أو الأقلية، ليست ملزمة لرأس الدولة، وإنما هي مهمة استشارية يأخذ بها أو بواحد من الآراء التي يعرضها المجلس أو لا يأخذ. ومع أنني لا أميل إلى ضرب الأمثلة من الحضارة الغربية التي تختلف -جوهرياً- عن حضارتنا التي تمزج بين المادة والروح.. غير أنني -هنا- مضطر أن أشير إلى أن رئيس الولايات المتحدة يستطيع أن يشن حرباً حتى لو خالفه مجلس النواب (الكنجرس) كما فعل (جورج بوش الأب) في شن الحرب على العراق في سنة: ١٩٩١م من دون موافقة هذا المجلس. لأن أغلبية المجلس لم توافق على شن هذه الحرب، وبغير هذا.. يعود بوش سكرتيراً للأغلبية.

أيكون لحاكم يعيش فلسفة الغرب المادية أن يشن حرباً مدمرة على مسؤوليته دون موافقة مجلس النواب ولا يكون ذلك للحاكم المسلم الذي قومه الآخرة أكثر مما قومه الدنيا؟ "وابغ فيما أتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا." (القصص-٧٧) وبهمة رضى الله تعالى قبل كل شيء وبعد كل شيء؟ ونحن بذلك.. نتبع هج الإسلام ولا نتبع هج الغرب. وبهذا يكون مجلس النواب وغيره من مجالس النواب وغيره من مجالس الاختصاص والاجتهاد.. منتخبا أو معيناً، حسب الظروف والأحوال. (وإن كنت أميل إلى الانتخاب، ليس للمجالس الاستشارية فحسب بل لحكام المناطق والأقاليم أيضاً. ولكن لا بُد من



وَضَعُ معاييرَ دقيقةَ للمرشحين لكلِّ مجلسٍ حتى لا يدخله إلا أصحاب الكفاءة القادرون على معالجة المواضيع المشكلة وتقديم حلول لها. مثلاً.. لا يجوز أن يُقبَل ترشيح أحلِّ لمجلس (الإفتاء) إلا من كان له مؤلفات، ولو واحداً قَدِمَ فيه اقتراحات فقهية معترة، لا تخلو من الجدَّة).

ويقول: (فأهل الشورى هم أولو الأمر وأصحاب الروية الذين يقدرّون على إبداء الرأي، وحلّ المشكلات.. فإنهم يرجع الأمر).<sup>(٥١)</sup>

وأقول: إن أهل الشورى ليسوا هم أولي الأمر. فألوا الأمر هُمُ رأسُ الدولة المسلمة، وأعوانه من حكام الأقاليم، سواء عُيِّنوا تعييناً أم انتخبوا انتخاباً، أمّا أهل الشورى فهم يقدمون مشورات ويناقشون بها أولي الأمر أو يعرضونها عليهم ثم يأخذ أولو الأمر (ما عدا رئيس الدولة) برأي الأغلبية، ولذلك.. فهم لا (يحلّون المشكلات) وإنما يقدمون مقترحات لحلّها. رئيسُ الدولة يأخذ بما يستقرّ عليه رأيه. ما أعوانه من حكام أقاليمٍ ومناطقٍ فإنما يأخذون باقتراح الأغلبية لحلّ المشكلة. وهم (لا يرجع إليهم الأمر) وإنما يرجع الأمر إليهم للمشورة أما تنفيذ الأمر فيرجع إلى الحكام، آخذين برأي الأغلبية.

—ويقول: (استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم— أن يستفيد من هؤلاء جميعاً، فيجمع المهاجرين الأولين والأنصار السابقين الذين أوّوا ونصروا، والقادة والأمراء وأهل الخبرة والتجربة.. ويستشيرهم. فكانوا هم أهل الشورى في عهده صلى الله عليه وسلم—)<sup>(٥٢)</sup>.

وأقول: يجدر التوضيح: وهو أنّ الرسول الكريم لم يكن يجمع هؤلاء جميعاً في كلّ أمر، ولو كان أمراً مهماً، وإنما كان يستشيرهم جميعاً أحياناً.. ثم يستشيرهم أشتاتاً أحياناً أخرى. وقد مرّت بنا أمثلة لذلك كلّها.

—ويقول: (إن الذي يمكن أن يُستنبط في هذا المجال أن المقصود بأهل الشورى هم أهل الحلّ والعقد: هم أصحاب الرأي وقادة الفكر وأرباب السياسة وأمراء الجيش. هم أصحاب الاختصاص والخبرة في كلّ فنّ من الفنون، كالزراعة والصناعة والتجارة والاقتصاد وشؤون الحرب).<sup>(٥٣)</sup>

وأقول: هذا كلام جيد وفهم مقبول لأهل الحلّ والعقد. ولكن مع توضيحين: أحدهما— أنّ هؤلاء يتكوّن منهم مجالسٌ متخصصة وليس مجالساً واحداً.. عن طريق الانتخاب أو التعيين أو عن طريق كليهما معاً، حسب نوع الظروف والأحوال. ثم يتكوّن مجلس لغير أصحاب الاختصاص الفني يعني بالسياسة العامة للدولة وهذا المجلس يكون فيه ممثلون لجميع أطراف المجتمع. وقد يكون في كل إقليم مثل هذه المجالس جميعها.

وثانيهما- أن الشورى يمكن أن تُوجَّه أحياناً إلى جميع الشعب، وذلك في الأمور العظيمة كسياسة الدولة العامة أو إعلان الحرب أو عقد الصلح. فلا يجوز أن يُهمل دور الشعب الذي هو رصيد الدولة الكبير وهو "مادتها" في السلم والحرب. بل إن للشعب -في الإسلام- دوراً لا ينكر فهو الذي يراقب الحكام ويمدح أو يذم أفعالهم، وهو الذي يراقب أيضاً هذه المجالس الكثيرة المؤلفة من أصحاب الاختصاص. نعم، يُستشار جمهور الشعب أحياناً، خاصة أن الاتصالات الحديثة سهلت إجراء الاستفتاءات العامة. وهنا - فحسب- يرل رئيس الدولة على رأي عموم الشعب.

ويقول: (فلا تكون المرأة من أهل الشورى، لأن الرجال أكفأ من النساء فكانت القوامة لهم<sup>(٥٤)</sup>) قال تعالى: "الرجال قوَامون على النساء". (النساء: ٣٤) فلا تُقدِّم المرأة على الرجل ولا تُؤمَرُ ثم يورد الكاتب حديث الرسول الكريم: "...ولن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة" (كما ورد في البخاري<sup>(٥٥)</sup>).

وأقول: في هذا الكلام خلط بين الرئاسة في البيت وبين الرئاسة في المجالس واللجان. في البيت الرئاسة للرجل في الأصل.. لمزايا في الرجل: "الرجال قوَامون على النساء" بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم". (النساء: ٣٤). ولكن يحدث في كلِّ ألف بيت بيت تقوم عليه المرأة -عملياً- لأنها ذات مزايا تفوق فيها زوجها بوضوح، ومن البديهي من ناحية عملية لا شرعية أن الأكثر مزايا والأكثر تفوقاً هو الذي يقود ويسود، وأنا أرى أن قوله تعالى السابق لا يخلو من شبه شرعي مع قوله تعالى: "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك". وحرم ذلك على المؤمنين". (النور: ٣)، فهذا... حكم شرعي يُطبَّق على الذين يُعرف منهم الزنى. ولكن ما أكثر الرجال الذين سبقوا أن زنوا، ولكن سرّاً ثم تزوجوا من حرائر طاهرات! أما تعتقد أن ثمانين بالمئة -أو حولها- من أبناء العرب الذين يذهبون للدراسة أو العمل في الغرب قد جرّبوا الزنى.. قليلاً أو كثيراً؟ ثم يعودون إلى بلادهم فيتزوجون حرائر طاهرات؟ ثم.. لا يخلو الأمر من أن نسبة قليلة من نساء المسلمين قد جرّبن الزنى، ثم يقيّن زوجات لرجال طاهرين.<sup>(٥٦)</sup>

إذن.. الأصل الشرعي.. القوامة في البيت للرجل، ولكن الواقع العملي يُمكن قلة من النساء من رئاسة بيوتهم. وعلى هذا.. نقيس الرئاسة في المجالس واللجان؛ الأصل أن يرأس المجلس أو اللجنة رجل، أما من باب الاستثناء فإذا وجدت امرأة في أحد المجالس تتفوق بقدراتها الخاصة في مجلس.. ما، على جميع من فيه من الرجال.. جاز لها أن تتولى رئاسة المجلس. أما كانت الشفاء تقوم على الحسبة زمن عمر -رضي الله عنهما-؟ ولا بُدَّ أنها كان لها أعوان ومساعدون من الرجال.<sup>(٥٧)</sup>

أما حديثُ الرسول الكريم السابق.. فهو -والله أعلم- خاصُّ برئاسة الدولة. لأنَّ مناسبة قول الرسول الكريم للحديث إنما كانت عندما تُوْفِّي كسرى.. ملكُ الفرس، وخلفتهُ ابنته في الحكم، فترئاسة الدولة المسلمة مقصورة على الذكور، وما دونهما يجوز أن تحلَّ فيه.. أتنى على شرطنا السابق.

وإذا كان يجوز للمرأة -في حالات استثنائية- أن تكون رئيسة مجلس أو لجنة.. فإنه يجوز لها -من باب أولى- أن تكون عضوة<sup>(٥٨)</sup> في أيِّ مجلس أو لجنة مما يوافق اختصاصها وقدراتها، لأنَّ العمل يمثل "جوهر" الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، أما قال تعالى: "وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون؟" (الذاريات: ٥٦) والعبادة نوعان: عبادة مباشرة كالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج. ومع أنها موجهة أصلاً لله تعالى فإنَّ لها أثراً في تهذيب الإنسان وتحسين تعامله مع الإنسان أولاً، وسائر المخلوقات ثانياً، ومن المخلوقات البيئة والطبيعة والحيوان.

وعبادة غير مباشرة وهي العمل بأنواعه المختلفة، في البيت أو خارجه، وهي العمل.. الذي يُراد به رضی الله والذي يُعدُّ المؤمن إلى دخول الجنة، إن شاء الله.

وكلُّ ما يطلب من المرأة تجنبه في العمل العامَّ ألا تختلط بالرجال اختلاطَ خلوة أو شبه خلوة، وأن تكون محتشمة في لباسها وفي حديثها وفي تعاملها مع الرجال. قال تعالى: "يا أيها النبي، قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين.. يُذنبنَ عليهنَّ من جلابيبهنَّ، ذلك أدنى أن يُعرفنَ فلا يُؤذبنَ." (الأحزاب: ٥٩) وقال تعالى لنساء النبي الكريم في مجال الحديث مع الرجال: "يا نساء النبي، لستنَّ كأحد من النساء، إن اتقيتنَّ.. فلا تخضعنَّ بالقول فيطمع الذي في قلبه مرضٌ، وقلنَّ قولاً معروفاً." (الأحزاب: ٣٢)، ومع أنَّ الحديث موجّه -أصلاً- لنساء النبي الكريم.. غير أنه موجّه -فرعاً- لنساء المسلمين عامة. إنَّ عدم الخضوع بالقول والاكتفاء بالقول المعروف عند مخاطبة الرجال إنما هو مطلوب من نساء المسلمين كافة، وحكمٌ شرعي يندرج عليهنَّ.. جميعاً.

ثم.. ليس في الإسلام نصٌّ يمنع المرأة من العمل خارج بيتها، وكيف وقد أباح لها الفقهاء أن تتجر بما لها أو تُدير الاتجار بما لها كما كان شأن السيدة خديجة -رضي الله عنها- قبل الإسلام وبعده؟ اللهم.. إنَّ كُلَّ ذلك مع الاحتشام في اللباس وفي السلوك والكلام، وموافقة الزوج الذي لا تخرج زوجته من بيتها إلا.. بإذنه.

ويقول عن المسلمين في دار الإسلام: (ثم يخوّهم وهدمهم الحقّ في أن ينتخبوا أولي الأمر لهذه الدولة، ويشتركوا في البرلمان -مجلس الشورى- المدبّر لشؤونها. وأن تُوسّد إليهم مناصبها الرئيسيّة لتسير سياسة هذه الدولة الفكرية وفقاً لمبادئها الأساسيّة.)<sup>(٥٩)</sup>

وأقول: إنّ تخويل المسلمين المقيمين في ديار الإسلام حقّ انتخاب رئيس الدولة، وأيضاً حقّ انتخاب أعوانه وحكام الأقاليم كل إقليم ينتخب حاكمه.. أمرٌ ضروريّ جدّاً فما يجوز أن يؤتّى على المسلمين من لا ينتخبونه كلّهم أو بالأكثرية. خاصة أن وسائل الاتصال الحديثة تسهّل ذلك كله.

أمّا قول الكاتب: (وأنّ يشتركوا في البرلمان -مجلس الشورى- المدبّر لشؤونها) فقد سبق أن بيّنا الفرق بين البرلمان.. أحد إفرازات الحضارة الغربية المادية وبين مجلس الشورى في الإسلام (انظر عنوان: الشورى في الإسلام). ومجلس الشورى بعدّ ليس (مدبّراً لشؤون الدولة) وإنما هو مقدّم لشورى غير ملزمة لرئيس الدولة. ولكنّ شورى الأغلبية ملزمة لمن هم دون رئيس الدولة من الحكام والإداريين.. أمّا المدبّر لشؤون الدولة فهم الحكام.. هم التنفيذيون، وليس التشريعيين المراقبين لأداء التنفيذيين.

ويجب ألاّ يخلط بين المجالس واللجان المنتخبة "للشورى" وبين مجالس الحكام التنفيذيين، إذ لا يجوز الخلط بين صلاحيّات المجالس واللجان الاستشارية وبين صلاحيّات الحكام التنفيذيين وما يتبعهم من مجالس حكم كالوزراء. ولو كان الجميع.. منتخباً، أولئك يقترحون وهؤلاء ينفّذون، أمّا أن يكون النائب هو الخصم والحكم، فهذا يناقض الشورى التي تتطلب مشيراً ومشاراً عليه، وليس شخصاً واحداً، أو مستشيراً ومستشاراً. وقد يقترح التنفيذيون ويوافق أو لا يوافق على اقتراحات مجلس الشورى.

وقد جرّبنا في الأردن في المجلسين الأوّل والثاني- بعد استئناف الحياة النيابية -الخلط بين مجلس النواب المقلّد في تكوينه للغرب وبين مجلس الوزراء إذ أصبح بعض النواب وزراء، فكانت النتيجة عدم رضى الجمهور إلى حدّ القرف!!

-فالنواب الذين أصبحوا وزراء كانوا من كتّل نيابية مما جعل أعضاء هذه الكتل يجاملون مجلس الوزراء إلى حدّ ضياع المصلحة العامة بين (حانا ومانا). هذا فضلاً عن أنّ النواب الذين أصبحوا وزراء فقدوا النطق وهم في الوزارة، واستمرّ ذلك بعد الخروج من الوزارة، أمّا قال أحمد شوقي الشاعر الكبير عن إخلاصه لأولاد الخديويّ إسماعيل حتى بعد وفاة الخديويّ، لأنّ الشاعر نشأ وترعرع في قصر إسماعيل..

قال:

..أخون إسماعيل في أبنائه - ولقد ولتُ بياب إسماعيلاً؟

والنائب الوزير يقول: أخطئ الحكومة التي جعلتني وزيراً!! إني ولدت بها، ورضعت من حلابها.

إنها "رشوة": من الحكومة رشت بها مجلس النواب، فلم يَعدْ عندنا مجلس نواب وإنما "مجلس أتباع" للأسف الشديد، ولأن رائحة التواطؤ على مصلحة مُجمل الشعب قد زكمت الآناف" فقد اضطرت الحكومة أن توقف هذه المهزلة على دور المجلس النيابي الثالث.

- وكثير من النواب الذين أصبحوا وزراء كانوا لا يصلحون لأكثر من أن يكونوا رؤساء أقسام في دوائر ومديري مدارس أساسية، وقليلاً مديري مدارس ثانوية. وأعجب بوزير ليس لديه خبرة في الشؤون العامة أكثر من بضع سنوات! وأعجب أيضاً بوزير لم تزد درجته في الدولة قبل النيابة عن الدرجة الخامسة التي يتقلدها معلم في القرى النائية!

وكان هذا الخطأ "الفادح" لأن الانتقاء (على بطلانه من الأساس للتناقض بين مهمة النائب ومهمة الوزير) لم يَقمْ على الكفاءة الشخصية وإنما قام على ترضية الكتل النيابية. (والأعور عند العميان يُشبه زرقاء اليمامة).

إنّ هناك فرقاً هائلاً بين أن يكون الشخص نائباً، كتقليد أعمى لأنظمة الغرب النيابية، وبين أن يكون وزيراً، لأنّ النائب هو من تختاره "جماعته" وإن كان لا يحسن كتابة رسالة أو قراءتها. أمّا الوزير.. فأموره مختلف، إذ يجب أن يكون صاحب تعليم عال، وخبرة طويلة في تقلد مناصب الدولة أو ما يوازيها من أعمال. وفي نظري.. ألا يقلّ عُمره عن خمسين عاماً. لأنّ نضج التجربة والخبرة لا يكون في الشباب، وإنما يكون بين الكهول والشيوخ، أما ترى أنّ الحكمة هي من توليدات الشيوخ؟ إنّ هناك فرقاً بين صاحب العلم الذي يمتح<sup>(١٠)</sup> من عقله فقط، لأنّ حقائق العلم لم تنضج في وجدانه، وبين صاحب العلم الذي يمتح<sup>(١١)</sup> من عقله وقد غدّي بفيض وجدانه، لأنّ حقائق العلم قد نضجت في وجدانه. إنّ الأوّل قد يقول كلاماً صحيحاً ومفهماً، ولكنه لا يقنع -غالباً- ولا يدخل الوجدان، لأنه كلام لم يُبثّ فيه الروح التي يبثها الوجدان في الكلام الذي نضج فيه على طول السنين، وإنّ الثاني -كالأوّل- يقول كلاماً صريحاً ومفهماً، ولكنه في الوقت نفسه "مقنع" لأنه الكلام الذي بثّ فيه الوجدان الروح لطول تغلغله في الوجدان وطبخه فيه على نار هادئة. فما انزلق عن اللسان فلا يتجاوز الآذان، وما فاض عن الوجدان فإنه يتغلغل في الجنان. (ويقي لكل قاعدة استثناء).

ما تنتهي إليه أن المجالس الشورية والاستشارية تختلف عن المجالس التنفيذية؟، ولو كان كل من النوعين.. منتخباً، ويجب ألا يُخلطَ بينهما، لأنه باختلاطهما تضيع حقوق الشعب، كما بيّنا من تجربة الخلط بين النيابة والوزارة في الأردن.

إذن.. لا تُوسدُ إلى المجالس الشورية الاستشارية مناصب رئيسية ولا ثانوية في دولة الإسلام. وهذه المجالس -تبعاً لما سبق- لا تقوم بتسيير شؤون الدولة العملية التنفيذية، لأن مهمتها شورية استشارية ليس أكثر. سواء أكانت هذه المهمة غير ملزمة لرئيس الدولة، أو ملزمة برأي الأكثرية لمن هم دون رئيس الدولة.

ويقول في تعدادها لصلاحيات مجلس الشورى: (عزّل رئيس الدولة أو أيّ موظف يختاره مجلس الشورى: إنّ الذي اختار رئيس الدولة مجلس الشورى، وبايعه بناءً على عقد تمّ بين الطرفين.. بين رئيس الدولة وبين مجلس الشورى الممثل لهذه الأمة، وبناءً على هذا العقد فقد ترتب على رئيس الدولة واجبات وثبت له حقوق، فإذا أُخِلَ رئيس الدولة بواجباته.. تقدّم أهل الشورى بإسداء النصيحة إليه، فإنّ اتعظ بها فنعمت وبه، وإنّ أصرّ على موقفه وتقاوس عن أداء واجباته فإنّ أهل الشورى يعزلونه، ويعلمون ذلك للأمة<sup>(٦١)</sup>)

وأقول: أولاً- في هذا العصر الذي سهّلت فيه الاتصالات حتى أصبح انتخاب رئيس دولة أو مجلس يتمّ في عشرات المدن بل في مناهما في وقت واحد، لا يتجاوز يومين أو ثلاثة.. لم يعدّ مناسباً أن يختار مجلس الشورى رئيس الدولة وإنما يجب أن تختاره الأمة.. قاطبة، لأني أرى أن ذلك من حقّ الأمة، لأنهم هم المتأثرون بالدرجة الأولى بسلوك رئيس الدولة. أمّا المنتقدون كمجلس الشورى فهم قادرون على الوصول إلى حقوقهم وزيادة ولو كان سلوك رئيس الدولة غير مرضٍ. ممّا يجعلهم يتفاوضون عن هفواته إن وقعت، أحياناً.

وثانياً- وإنّ عزّلَ رئيس الدولة يجب أن يكون حقاً للأمة كذلك، وإنّ لمجلس الشورى السياسي بالدرجة الأولى، ولسائر المجالس الفنية، بالدرجة الثانية.. الحقّ في أن يتحدثوا للناس ويكشفوا لهم مطالب هذا الرئيس الذي ضَعَفَ إيمانهُ وانحطّ سلوكه بعد أن تسلّم الرئاسة. والأمة.. قادرة على أن تميز الخبيث من الطيب، لأنّ العقل "الجماعي" قلّما يُخطئ، وبعندئذ.. يجري استفتاء "سريّ" في جماهير الأمة حول هذا الرئيس -استفتاءً مكوّن من جملتين: ١- أوافق علىّ تنحية الرئيس.. ثم.. (٢)- لا أوافق علىّ تنحية الرئيس، وينتهي أمره إلى ما تراه أغلبية الثلثين: عزلاً أم إبقاءً. هذا هو الوجه الأفضل عندي.

وثالثاً- مجلس الشورى هو مجلس سياسي، ولكن يجب أن تكون إلى جانبه مجالسُ وُلجانٌ متعدّدة.. متخصصة، ولا يجوز أن يتحكّم في أمر التشريع -مثلاً- مجلس ليس أعضاؤه فقهاء. التشريع يجب أن يُوكَل لمجلس فقهاء يستعين بالمختصين. والأمور الهندسية مثلاً يجب أن توكل لمجلس فنيّ، ومثل الهندسة الطبُّ والزراعة والتجارة وشؤون العمّال والفنّين.. إلخ. مجلس الشورى يختص بالسياسة العامّة. أمّا الأمور الفنيّة فتوكلُّ إلى ذوي الاختصاص. إنَّ النظر إلى مجلس الشورى على أنه مختص بكل شيء إنما هو تقليد هذه المجالس النيابية في الغرب التي هي إفراز حضارة ماديّة متغوّلة، لا يطمئن فيها الإنسان إلى أقرب أقربائه.

ورابعاً- في اعتقادي أن كلّ مجلس فنيّ يجب أن توضع لعضويّته "معايير" ثم يقوم بالتصويت على المرشحين الفنيّين له.. أصحاب الاختصاص في كلّ ميدان. لأنهم هم الذين يعرفون الكفاءة الفنيّة لكلّ مرشح.

ثم.. لا يجوز لمجلس الشورى أن يُقيل أيّ حاكم أو مجلس وزراء أو أيّ لجنة فنيّة استشارية، وإنما هو يرفع تنسيبات لها أدلة لرئيس الدولة عارضاً عليه إقالة أيّ حاكم أو عضو على أن يكون التنسيب بأغلبية الثلثين، والرئيس هو الذي تكفي عنده هذه الأدلة فيقيل، أو لا تكفي فلا يُقيل، ويجب أن يُعطى الرئيس هذا الحق، وحقاً آخر هو أن ينسب، مع الأسباب، بإقالة أي مسؤول على أن يصوت معه ثلثا أعضاء مجلس النواب. الحكام والمجالس واللجان منتخبة شعبياً، ولكنها لا تُقالُ شعبياً وإنما الذي يُقيلها هو رئيس الدولة.. بتوصية ذات أسباب من أيّ جهة معينة. وبغير ذلك.. فإنه يصبح بلا صلاحيات أو سلطة يشرف بها على الحكام والمجالس واللجان، ولا تستقيم أمور الدولة بذلك، عندئذ.. عندما يكون بدون سلطة ينطبق عليه ما قاله أحد الشعراء عن الخليفة العباسي، في أيام تسلّط الأتراك عليه:

..خليفةٌ في قفصٍ - بين وصيفٍ وبغاً  
يقولُ ما قالاً له - كما تقول البيّغا

فما الذي يدفع حاكم الإقليم أن يستجيب لأوامر رئيس الدولة إذا لم يكن لهذا الرئيس سلطة عليه؟ أي: صلاحيات تمكّنه من أن يعزله إذا أساء؟ بعد موافقة الأغلبية المطلقة في البرلمان؟ إنَّ الخلفاء الأربعة الراشدين هم الذين كانوا يُؤلّون الولاية وهم الذين كانوا يعزلوهم. فإذا كان يجوز -بسبب تغير العصور- أن يُنتخب هؤلاء من قبل الشعب.. فلا يجوز أن يُعزلوا من قبل الشعب، وإلا.. أصبح رئيس الدولة أعزل من السلطة والصلاحيات. وعلى هذا.. لا يستقيم أمر الأمة ولا تصلح حالها.

إنّ الحاكم الوحيد الذي تنتخبه الأمة وتُقبله الأمة إنما هو رأسُ الدولة، إذ ليس من جهة أخرى مُخوّلة حقّ انتخابه أو حقّ إقالته لما لرئيس الدولة من مكانة عظيمة لا يجوز أن يتلاعب بها أيُّ مجلس حتى ولو كان مجلس الشورى. إن الحاكم الذي لم ينتخب من الأمة، وليس للأمة حق إقالته.. قد يظلم ويجوز.

أما القضاء فيتولّى القضايا المدنيّة والجزائيّة والجنايية، ولكن ليس له علاقة في السياسة، ولا يُقبل القاضي إلا حاكمُ الإقليم بعد موافقة مجلس الشورى في الإقليم بأغلبية الثلثين، ويُنتخبُ القاضي.. انتخاباً.

ومثلُ القضاة الجيشُ.. في عدم التدخّل في السياسة -الذي لا ياتمر في الأمور العظيمة إلاّ بأمر رئيس الدولة. أمّا الحاكم.. فيقوم على تنفيذ أوامره الأمنُ وحُدّة، والقضاة ينفذون أحكامهم عن طريق الاتفاق مع الحاكم الذي يأمر الأمن والجيش في منطقتهم، بالتنفيذ فيما هو دون الأمر بالقتال، فأمر القتال لرئيس الدولة، بعد استشارة من تلزم استشارته، من المجالس التي أسلفنا ذكرها.



## مقارنة بين الشورى والديمقراطية

الديمقراطية	الشورى
<p>الديمقراطية تنبثق عن نظام دنيوي لا ارتباط له بالآخرة، مما يجعل اللذة ركناً أساسياً في هذا النظام. وأخذ هذا النظام أساساً من فلسفة (أبيقور) اليوناني في القرن السادس قبل الميلاد، هذه التي تبنى حركة الحياة على اللذة، ثم دَعَمَهَا (دارون) في أن الحياة انبثقت من العدم، ثم من الخلية الواحدة، وأخذت تترقى حتى وصل التطور إلى الإنسان مما يجعل الديمقراطية منهجاً لا أخلاقياً. لأن (اللذة) فيها، بغض النظر عن حلّها أو حُرْمَتِهَا، هي الغاية من الحياة.<sup>(٦٢)</sup></p>	<p>١- الشورى.. تنبثق عن التشريع الإسلامي، فهي ركيزة من ركائزه. والتشريع الإسلامي ينبثق عن العقيدة التي تجعل المبادئ في الدنيا موصولة بالآخرة، مما يجعل الشورى منهجاً أخلاقياً. لأن أمر الحلال والحرام هو الذي يوجه حركته.</p>
<p>الديمقراطية مفصولة فصلاً تاماً عن الآخرة، مما يجعلها نفعية، لا يسري في شرايينها إلا الانغماس في اللذائذ الدنيوية، كلما توفرت.</p>	<p>٢- الشورى تقوم على الإيمان بأن الحياة والآخرة وحدة واحدة، فليست الدنيا إلا جسراً يعبر عليه الإنسان نحو الآخرة. مما يجعل الشورى يسري في شرايينها الطمع في الجنة والخوف من النار.</p>
<p>الديمقراطية تبرّر فيها الغاية الوساطة، حسب ما ورد في كتاب الأمير ليكافلي. ولذلك فهو يستبدل بالفضيلة الأخلاقية المراوغة السياسية. ولذلك فالعتمد لديه ليس العدل والحق، وإنما هو القوة التي تبرر كل وسيلة توصلهما إلى أهدافها وهذا.. هو واقع أمريكا الآن التي خرقت موقف الأغلبية في هيئة الأمم، فغزت العراق دون وجه حق.</p>	<p>٣- الشورى تتوخى العدل والحق لقوله تعالى: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" (النساء- ٥٨). ولذلك كانت حروب الإسلام لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله. ولم يكرهوا أحداً على الإسلام: "لا إكراه في الدين" (البقرة- ٢٥٦).</p>

الديمقراطية	الشورى
<p>الديمقراطية يدعمها نظام اقتصادي رأسمالي جائر، فإذا أنفق على المرشحين للرئاسة أو النيابة لم ينفق لإحقاق الحق بل لتقديم المصالح المادية، فالنظام الرأسمالي يقوّض دعائم الديمقراطية، ويجعلها هشة مَلأى بالعيوب.</p>	<p>٤- الشورى يدعمها نظام اقتصادي عادل، ليس فيه ما يبيح إنفاق المال على تضليل الناس من أجل اختيار حاكم أو نائب، ولا يُنفق عليه حتى لو كان حاكماً عادلاً يسعى إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل، ينهج منهجاً يدعم الشورى.</p>
<p>الديمقراطية.. تؤمن بأن الفرد هو الأساس، وأن الناس يتصارعون في هذه الحياة، ليفوز من يفوز، ويخسر من يخسر، فهي تناقش الأمور من منطلق هذه الخلفية، وذلك جعل القلة أثرياء والكثيرة معوزة.</p>	<p>٥- الشورى تؤمن بأن استثمار الحياة والإفادة منها إنما هو شركة بين الفرد والمجتمع، فإذا تعارضت مصلحة الفرد (وهذا نادر) مع مصلحة الجميع قُدّمت مصلحة الجميع.</p>
<p>الديمقراطية منهج شكلي لا مضمون حقيقياً له، لأن المرء يستخدمه للوصول إلى غاياته المادية، ويتجاهله عندما لا تطوله يد القانون، فهو ليس عقداً بين الإنسان وربه، لكي يخاف الإنسان ربه في السرّ والعلن، وإنما هو عقد بين الإنسان والإنسان، ولذلك.. فهو يخونه كلما غفلت عن الإنسان عين الإنسان الآخر.</p>	<p>٦- الشورى منهج له شكل وله مضمون، له جسم وله روح، لأن الشورى إحدى الركائز التي يتعبد بها المسلم لربه، لأن تصحيح الأخطاء بواسطتها إنما هو تصحيح للسلوك حتى يوصل إلى الجنة، ولأن: اقتراح الأساليب الصحيحة في القول والعمل إنما هي الطرق الموصلة إلى دار الآخرة نحو نعيم الجنة.</p>

<p>٧- الشورى تفصل بين النائب وبين موظف الدولة، وزيراً أو غير وزير. إذ لا يجوز أن يكون المرء خصماً وحكماً في الوقت نفسه، إن ما تضمنه الشورى من حرية يقتضي أن يكون المشير غير المشار عليه. وإلا.. فإن الضعف البشري يجعل الإنسان يوجه الأمور لتخدم أهواءه ومصالحته.</p>	<p>٧- الديمقراطية تسمح -في كثير من البلاد الغربية- بأن يشكلَ الحكومةَ الحزبُ الذي حصل على أكثرية الأصوات كما في بريطانيا، أو الحزب الذي ينتمي إليه رئيس الجمهورية الفائز في الانتخابات كما في أمريكا، وهذا النمط يجعل الخصم حكماً، ولولا أن الحزب الكبير الآخر والأحزاب الصغيرة يراقبون الحزب الفائز، مما يخفف تخفيفاً من هرولة هذا الحزب نحو أهوائه ومطامعه الشخصية لعمل مثل ما يعمل الشيطان، وهذا يخفف طمع النفوس، ولا يُلغيه.</p>
<p>٨- الشورى في الإسلام بُنيت من لبنات بنائه التشريعي، يدل على ذلك أن آية الشورى "وأمرهم شورى بينهم" نزلت في السنة الثانية من العهد المكي قبل أن تتكوّن للإسلام دولة في المدينة. فليست الشورى منهجاً سياسياً فحسب، بل هي منهج ديني واجتماعي أيضاً، يجب أن يُمارس بين كل اثنين فأكثر من المسلمين. استشارة ومشورة.</p>	<p>٨- الديمقراطية في الغرب حديثة العهد، فقد كان نظام الإقطاع يشل حركة الناس. فليس للناس حرية، بل هم أقان وعبيد أمام أصحاب الإقطاع، ثم جاء عهد الملوك المستبدين بعد ذلك. ولم تعرف الديمقراطية (بعد اليونان القديمة) إلا من قرنين أو ثلاثة. وهي مليئة بالعيوب -كما بينا آنفاً- والنظام الرأسمالي يقيد بها بقيد من حديد، بل يجعلها شكلاً لا مضمون له.</p>
<p>٩- الشورى تعتبر العدل صنو الحق ولذلك.. يتعبّد بها المسلم.</p>	<p>٩- الديمقراطية تعتبر الحق للأقوى، كما هي نظرية دارون في تصارع البقاء، ونظرية ميكافلي.</p>
<p>١٠- الشورى تتوسل إلى الحق بوسائل حقانية، فشراف الغاية يقتضي شرف الوسيلة.</p>	<p>١٠- الديمقراطية تعتبر أن الغاية تبرر الوسيلة كما هو رأي -ميكافلي- في كتابه (الأمير)<sup>(١٣)</sup> مما يجعلها لا تتورع عن اتباع أحقر الوسائل.</p>
<p>١١- الشورى والحرية لجميع الناس أو جميع أطراف الدولة التي يشملها الإسلام.</p>	<p>١١- الديمقراطية والحرية هما للشعوب الغربية وليس للدول المستعمرة.</p>

<p>١٢- في الشورى.. الحق لصاحب الحق، حسب منهج الشورى والعدل، فرداً كان أو جماعة.</p>	<p>في الديمقراطية.. الحق للأقوى، وإن كانت قوة غاشمة كقوة أمريكا في غزو العراق وتدميره.</p>
<p>١٣- الشورى تنظر إلى الطبيعة البشرية على أنها، بسبب الدين، يغلب فيها الخير على الشر، عند الأكثرية.</p>	<p>الديمقراطية ترى - كما جاء عند الفيلسوف الإنجليزي "هوبز" أنّ الإنسان شرير بطبعه<sup>(٦٣)</sup>، مما يبرر استعمال العنف معه.</p>
<p>١٤- الشورى ترى أن الحرية مرتبطة بالتكليف، ولذا.. فهي حرية منضبطة تقوم على محددات واضحة.</p>	<p>الديمقراطية ترى الحرية فطرة في الإنسان، ولهذا.. كثيراً ما تنقلب الحرية إلى فوضى وبوهيمية، إذا غاب القانون أو غابت رقابة المجتمع.</p>
<p>١٥- الشورى تنظر إلى رئيس الدولة على أنه مؤمن عادل عفيف صادق إنساني، يستحق أن يُعطى صلاحيات في إطار الاستشارة والمشورة.</p>	<p>الديمقراطية تنظر إلى رئيس الدولة بوصفه (وحشاً أو تينياً أو عملاقاً) أي: يكاد يكون مجرداً من الإيمان والإنسانية، ولا يهيمه العدل بل تحقيق المصلحة لدولته<sup>(٦٤)</sup>.</p>
<p>١٦- الشورى ترى التعاون قائماً بين الروح والجسد، ولذلك يُنظر إلى أعمال الفرد من خلال جانبي الروح والجسد، مما يؤدي إلى "التوازن" في شخصية الفرد والجماعة.</p>	<p>الديمقراطية تفصل بين الروح والجسد، باعتبارها متعارضين - كما جاء عند الفيلسوف الألماني "برغسون"، وبذلك.. يفرق الجسد في اللذائذ المادية، فيضعف من تأثير الروح. فيضيع التوازن</p>
<p>١٧- الشورى تؤمن بحقوق الفرد كما تؤمن بحقوق المجتمع، فإذا تعارض الحقان قُدِّم حق المجتمع. لأن الجماعة أهم من الفرد - على أهمية- ولذلك أفتى الفقهاء أنه إذا كان جماعة في الصحراء، وأشرفوا على الهلاك جوعاً.. جاز أن يأكلوا أسنهم، إذا كان يوصلهم إلى برّ السلامة.</p>	<p>الديمقراطية تبني فلسفتها على أساس أن الفرد هو الأهم. مما أدى إلى تجمع الثروة في أيدي قليلة، وحرمان الجَمِّ الغفير منها. وعكسها الفلسفة الشيوعية التي اعتبرت المجتمع هو الهدف، وأهملت الفرد، فانتهدت إلى اختلال التوازن بين شقّي المجتمع؛ الفرد والجماعة، فانهارت.</p>

الديمقراطية ترى أن ميدان الحياة مفتوح للجميع،  
 فليُثَر من يُثري في نظام مفتوح. ولو على حساب  
 الجوع. ولولا أن الأفكار الشيوعية كانت تضغط  
 على الغرب، لما قدموا القوانين التي تساعد العمال  
 على تحسين وضعهم المعيشي. أما الروح فليس لها  
 حساب.

١٨- الشورى ترى أن الدولة ملزمة بتأمين  
 الحاجات الأساسية للإنسان، سواءً أكانت  
 روحية أو مادية. لقول الرسول الكريم: "وأئما  
 أهل عَرَصَة أصبح فيهم رجلٌ جائعٌ فقد برئت  
 منهم ذمّةُ الله تبارك وتعالى".<sup>(١)</sup>

الديمقراطية ليس لها صفة أخلاقية، مبنية على معتقدات ثابتة، وإنما هي تقبل بما يقبله الذوق الاجتماعي، ولو كان شبه العُري للرجال والنساء. والاختلاط الذي يؤدي إلى الفاحشة غير منكور فيها، ولا سيما بين العُزَّاب والعُزَّبات، مما أدى إلى أمراض جنسية فتاكة أخطرها "الإيدز". ولذلك.. فهي منهج وصفي، وليس بمعاري.

الديمقراطية -على نقائصها- مطبقة إلى حد ما في الغرب، وهي إحدى الركائز التي تمتص التوتر من النفوس، مما يعيد المجتمعات الغربية عن الثورة على أنظمتها. وهذه هي حسنتها الملموسة. إن مجلس النواب يستطيع أن يعارض، وأن الصُخَّفين يستطيعون أن يقولوا رأيهم. وإن القضاء يستطيع أن يقول كلمته. وأكبر مثال على ذلك محاكمة رئيس أمريكا السابق -بل كلنتون- على مدى سنتين.

ولكنَّ ضغط المال وما يسببه من غسيل للدماغ.. يُشوش على انسياب الديمقراطية، يضاف إلى ذلك نقائصها.

١٧- الشورى لها صفة أخلاقية، ولذلك فمفهوم الحرية فيها مرتبط بالتكليف، فلا يجوز لرجل أو امرأة أن يظهر بغير اللباس الذي أقره الشرع. أو يحدث اختلاط بين الرجال والنساء قد يؤدي إلى فاحشة. ولذلك فهي منهج معياري يقبل التنوع.

١٨- الشورى غير مطبقة في واقع المسلمين الآن، مما يؤدي إلى التوتر الذي يؤدي إلى الانقلابات، فلا تنتفس من هذه التوترات إلا بالانقلابات وهذا عيب في واقع المسلمين وليس في الشورى نفسها الحالية من النقائص، بل التي لا يستطيع البشر - كما عرفنا مما سبق - أن يأتوا بمثلها، فهي جانب معجز من التشريع الإسلامي المعجز، بجميع جوانبه.

## خاتمة

من كل ما سبق يتبين أن الشورى منهج رباني، فهي ركيزة من ركائز التشريع الإسلامي الذي يتماشى مع العقيدة الإسلامية، فهي ذات شكل ومضمون، لأن المسلم يعتبر الإخلاص لمنهج الشورى عبادة؛ يعتبره دنيا وديناً. ولهذا.. فالشورى ذات منهج واضح يتماشى مع المقاصد والغايات التي يقوم عليها التشريع الإسلامي، هذا التشريع الذي يُوصل من اتبعه إلى السراط المستقيم ثم إلى نعيم الجنة الذي لا يفنى ولا يزول.

وإذن - فالشورى لا يقف أثرها على المسلم على تحقيق غايات مادية ودنيوية، وإنما يصل أثرها المسلم بنعيم الآخرة، ومن هنا.. فإن المسلم يفترض فيه أن لا يخون منهج الشورى في السرّ، لأنه يعلم أن عين الله الذي يؤمن به تراقبه. فالشورى.. أخذ خطوط التشريع الذي يُزكّي النفس ويُطهرها، ويسمو بها، بحيثُ تصير أحسن عملاً وتعاملاً.

والشورى.. جوهرها العدل في القول والعمل، حتى إنّما لتعتبر - لقيامها على العدل - من أعظم أنواع الجهاد. أما قال رسولنا - صلى الله عليه وسلم - : جواباً لسائل عن أفضل الجهاد قال: "كلمة حقّ عند سلطان جائر"<sup>(٦٥)</sup>؟ وكلمة الحق هذه التي قد تؤدي إلى قطع عنق قائلها هي لون من ألوان الشورى التي يقدمها المؤمن ينصح بها السلطان الجائر، من غير أن يطلبها هذا السلطان. ولهذا.. فنحن - المسلمون - مدعوون إلى الشورى الإيجابية التي تفرضها على السلطان الجائر، كما أننا مدعوون إلى الشورى التي يطلبها الحاكم وغيره من عباد الله التي هي في حقيقتها "استشارة". ولهذا.. قال تعالى وقوله الحق: "وشاورهم في الأمر" ولم يقل: (واستشرهم في الأمر). والاستشارة هي طلب من طرف واحد هو المستشار، أما الشورى.. فهي طلب من المستشار، وهي مبادرة من المشير، أي: لا ينتظر المشير في كل مرة طلب المستشار، وإنما يبادر بإلقاء المشورة، ولهذا.. فالشخص نفسه هو - في الشورى - مُستشار ومُشير، مرة مُستشار، ومرة مُشير.

ومما وَضَحَ من البحث أن رسولنا - صلى الله عليه وسلم - استشار وأشير عليه. ولكنه كان يَمْضي في تنفيذ الرأي الذي كان يستقرّ عليه. وتابعه على ذلك الخلفاء الراشدون. ويجب أن يتابعه رئيس الدولة الإسلامية، عندما تقوم دولة الإسلام. في وجوب الشورى، وتنفيذ الرأي الذي يستقرّ عليه. وأنه يجب على كلِّ مسؤول في الحكومة أو المصالح الخاصة - وإن كان ثالث ثلاثة - أن يستشير وأن يقبل المشورة، وأن يلتزم برأي الأغلبية.

أما الديمقراطية.. فهي إفراز لفلسفة "مادية" مبتوتة الصلة بالسماء، فلا ترى إلا اللذائذ المادية على الأرض. ولذلك.. فالتخلق بأخلاق الديمقراطية يستخدم الديمقراطية كمنهج يوصله إلى لذائذ الدنيا، ولهذا.. فهو يخونها إذا لم تتماشَ مع لذائذه الدنيوية، وخاصة في السرِّ، إذ لا رقيبَ عليه من نفسه، أو من قوّة أعلى.

والنظام الاقتصادي الرأسمالي يهدم المنهج الديمقراطي على الحقيقة، لأن الغاية ليست الديمقراطية إنما هي المال الذي يوصل إلى كثير من اللذائذ المادية. ولهذا.. فأصحاب الأموال الطائلة هم "يشترون" الديمقراطية و "يستبدونها" عن طريق الترويج الإعلامي لمرشح للرئاسة أو للبرلمان الذي لا يكون كثيراً، هو الأجدر والأكفأ. لأن الإعلام "المكثف" قادر على "غسيل الأدمغة" وإظهار الباطل بصورة الحق. فهو إعلام مُضلل مُضلل.

إن الرقيب الداخلي المتصل بالإيمان بالله -الواحد الأحد، الخالق الرازق المدبر- الموجود في الشورى الذي يجعل السرَّ كالعلن لا أثر له في الديمقراطية التي تفرزها فلسفة مادية لا صلة لها بالله تعالى.

وعلى هذا.. فالشورى منهج كامل للقول والعمل، أما الديمقراطية فمنهج يعتوره النقص من كل جانب، ولهذا.. فالشورى -أصولياً- منهج "معجز" أما الديمقراطية فمنهج "ناقص مختل - أصلاً وتطبيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



## المراجع

- ١- أبو الأعلى المودودي: نظرية الإسلام السياسية - الهند/ دار العروبة للدعوة الإسلامية ١٩٥١.
- الخلافة والملك- تعريب: أحمد إدريس - الكويت- ١٩٦٦.
- ٢- الألوسي: محمود الألوسي البغدادي (ت- ١٢٧٠- بيروت/ دار إحياء التراث العربي- ١٩٩٩.
- ٣- البخاري- محمد ابن إسماعيل (ت-٢٥٦) صحيح البخاري- بيروت دار ابن كثير- ١٩٨٧م.
- ٤- ابن حزم: أبو محمد-علي ابن أحمد ابن سعيدات (ت ٤٥٦)- الإحكام في أصول الأحكام - القاهرة/ مطبعة الإمام ١٩٢٦.
- ٥- ابن حنبل: أبو عبدالله- أحمد ابن حنبل الشيباني- مسند الإمام أحمد (ت: ٢٤١) مصر/ مؤسسة قرطبة.د.ت.
- ٦- سيد قطب: في ظلال القرآن (ج٢) - بيروت/ دار إحياء التراث العربي- ١٩٧١م.
- ٧- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١)- الدر المنثور في التفسير بالمأثور- بيروت/ دار الفكر- ١٩٨٣.
- ٨- عبد الحميد إسماعيل الأنصاري: الشورى وأثرها في الديمقراطية- القاهرة/ المطبعة السلفية ومكتبها/ ١٩٨١.
- ٩- عبدالقادر عودة - المال والحكم في الإسلام- جدة/ الدار السعودية للنشر والتوزيع - ١٣٨٩هـ.
- ١٠- فتحي الدريني- دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر بيروت/ دار قتيبية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٨.
- ١١- القرطبي: أبو عبدالله محمد ابن أحمد ابن أبي بكر (ت: ٦٧١) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سالم مصطفى البدري/ بيروت- دار الكتب/ ٢٠٠٠م.
- ١٢- محمد عبدالقادر أبو فارس: النظام السياسي في الإسلام - عمان دار الفرقان- ١٩٨٦، الشورى في الإسلام ونتيجتها - عمان دار الفرقان - ١٩٨٨.

- ١٣- الإمام محمد عبده والشيخ رشيد رضا: تفسير المنار- القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٧٢.
- ١٤- محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة- الرياض/ مكتبة المعارف- ١٩٨٨.
- ١٥- محمود شلتوت - من توجيهات الإسلام- القاهرة/ دار الشروق- ١٩٦٩.
- ١٦- ميكافلي: نيقولو- الأمير- بيروت/ دار الآفاق الجديدة ١٩٩٩.
- ١٧- النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد ابن شعيب (ت: ٣٠٣) - سنن النسائي- حلب/ مكتبة المطبوعات الإسلامية- ١٩٨٦م.
- ١٨- الهيثمي: علي ابن أبي بكر (ت: ٨٠٧) - مجمع الزوائد - بيروت/ دار الكتاب العربي- د.ت.
- ١٩- وهبة الزحيلي: التفسير المنير (في العقيدة والشريعة والمنهج) - دمشق/ دار الفكر - د.ت.

## المواش

- (1) انظر: عبد الحميد إسماعيل الأنصاري - الشورى وأثرها في الديمقراطية - ٥٢-٥٧.
- (2) النسائي - ١٦١/٧ - رقمه - ٤٢٠٩.
- (3) جلاها: أي اختبرها.
- (4) هناك فرق بين (شاوره واستشاره) فاسم الفاعل من الأول "مُشاور" ومن الثانية "مستشار" وأصلها: مُسْتَشِرٌ. واسم المفعول من الأولى "مُشاورٌ" ومن الثانية "مستشار" وأصلها: مُسْتَشِرٌ. فالفعل الأول يوحى بالتشاور، والأخذ والمطاء مرارا، والثاني يوحى بأخذ رأي المستشار، دون أن يكون له حق المعاودة.
- (5) جان: ظهر واتضح.
- (6) هي: واسطة، وليست واسطة، لأن الواسطة تعني المصالحة بين اثنين أو فريقين، أما الواسطة فهي السعي مع المسؤولين لتحصيل منفعة لشخص لا يستحقها.
- (7) -ابن هشام- سيرة الرسول الكريم - ٣٢٢/١.
- (8) -المرجع نفسه- ٦١٥/١.
- (9) -انظر- المرجع السابق - ٦٣/٢، وسيأتي تفصيل لهذه المشورة لاحقا.
- (10) - المرجع السابق - ٦٢٠/١.
- (11) -انظر- المرجع السابق - ٢٢٢/٢.
- (12) -انظر- المرجع السابق - ٢١٧/٢.
- (13) مسند الإمام أحمد - ٣١٤/٢.
- (14) وضعت (ألفا) في أول كلمة (ابن) مع أنها واقعة بين علمين، لأنني لم أجد دليلا عقليا "مقتعا" لعدم إيرادها عندما تقع بين علمين، لأن الصوت لا يتغير بين حذفها وإثباتها. والأصل في الكتابه.. الصوت، أما الحرف فتابع له. بل إن صوتها (أعني الألف) بين علمين لا يختلف عن صوتها في (ال) التعريف -الشمسية منها والقمرية. ومع ذلك لا تسقط في الكتابه، وإنما تسقط في الصوت. ولغتنا من أجود اللغات مطابقة بين الحرف والصوت، ولكن فيها هناك يحسن أن نخلصها منها. أما قال المتنبي:  
ولم أرَ في عيوب الناس عيبا : كتنقص القادرين على التمام؟  
يضاف إلى هذا أننا نسهل على المتعلم إذ نجعل ل(ابن) قاعدة واحدة، هي إثبات الألف أينما وقعت.
- (15) حيرة ابن هشام - ٦٣/٢.
- (16) -إلى جانب النهي في الآية فإن فيها شيئا من التأنيب للمسلمين الذين استنظعوا أن يُقتل منهم سبعون رجلا، فالاستفهام هنا.. خرج إلى معنى النهي والتأنيب معا.
- (17) -انظر: سيرة ابن هشام - ٣١٦/٢.
- (18) الشيخ محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام - ٥٢٢، ٥٢٣.
- (19) الإمام محمد عبده، والشيخ رشيد رضا: تفسير المنار - ١٦٤/٤.
- (20) هوية الزحيلي: التفسير المنير - ١٤٤/٤.
- (21) -أبو الأعلى المودودي: نظرية الإسلام السياسية - ٥٩.
- (22) -أبو الأعلى المودودي: الخلافة والملك - ٤١، ٤٢.
- (23) -الألوسي: محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني - ٤٣٥/٤.
- (24) عبد الحميد إسماعيل الأنصاري: الشورى وأثرها في الديمقراطية. هامش (١) صفحة - ١٩٤.
- (25) -الإمام أحمد ابن حزم: الأحكام - ٧٧١.
- (26) محمد ناصر الدين الألباني: ٤١٥/٢.

(27) حسنة الإمام أحمد- ٦٧/١ - وانظر: عبد الحميد إسماعيل الأنصاري: الشورى وأثرها في الديمقراطية- ١٤٧.

(28) -انظر: المرجع السابق- ١٥٣، ١٥٤.

(29) -انظر: عبد القادر عودة- المال والحكم في الإسلام- ٣٨.

(30) -لاحظ أن الحق تعالى قَمَّ الشعب (أي: الذين أرسل إليهم) على الحاكم (أي: ونسائِلُ المرسلين) أي الأنبياء أولاً، ثم أئمة المسلمين بعد ذلك، وهذا من الإعجاز الترتيبي (أي: الإعجاز بالنظم)، فمع أن الآية لوريت "المرسلين" لكنها قَمَّت عليهم الذين أرسل إليهم، ليفهم منها المتلقي شينين: الأول -أن المرسلين قلما يأتون بخلاف الأولى. ولهذا.. أحر نكرهم، لأنهم ليسوا المعنيين بالدرجة الأولى في هذا المقام، وإنما المعنيون هم الذين أرسل إليهم من البشر الذين تكثر أخطاء جُلهم. والثاني- أن الشعوب المرسل إليهم مطلوب منهم أن يُحْكَمُوا فيما يفعله الرسول وإن يناقشوه فيه، عندما يكون اجتهاداً لا وحياً. أما إذا كان وحياً فيجب عليهم أن يسألوه عن كل ما يغمض حتى يزول غموضه.

فإذا كان هذا أمر الشعب مع رسوله، فكيف يكون أمره مع حاكمه الذي ليس رسولا؟ إن واجب الشعب أن يناقشه في كل عمل من أعماله لا تتضح فائدته لهذا الشعب، وأن يقدموا النصيح والمشورة له، في كل أمر لا يرون (أو لا ترى فئة منهم أو فرد). أنه أجراه على أمثل وجه. أما ترى أن رسولنا الكريم قال لمن سأله عن أفضل الجهاد "كلمة حق عند سلطان جائر"؟

(31) -لا حاجة إلى (واو) تلحق بعمز، لأن ذلك كان إذ لا شك في اللغة، لكي يُفرق بين عمز و عمر. أما اليوم وقد أصبحت تغني فتحة على العين عن (الواو) فما للداعي للواو؟

(32) -السيوطي: الدر المنثور- ٦/١٠

(33) -المرجع السابق- ٦-١٠

(34) تفسير القرطبي- ٤/٢٥١

(35) سيرة ابن هشام- ٢/٦٦

(36) انظر: السيوطي: الدر المنثور- ٦/١٠.

(37) -انظر: عبد الحميد الأنصاري: الشورى وأثرها في الديمقراطية- ٥٢-١٩١.

(38) -الأصل- عند النسبة "بديعي" مثل: سليقي و غريزي و طبيعي، لأن هذه كلمات تدل على الأصل. ولكن يجوز، على ضعف، أن يقال: بدهي و سلق و غريزي و طبيعي.. تعميماً للقاعدة العامة، مثل: ربيعة: رباعي، بوحينية: حنفي. (إلا إذا كان معتل العين أو مضاعفاً فلا يحذف منه شيء؛ مثل: طويلة: طويل، و جليلة: جليلي).

(39) للمؤلف كتاب آخر عن الشورى عنوانه (الشورى في الإسلام ونتيجتها) لا يعرض فيه لصلاحية المجالس الشورية السياسية.

(40) في ظلال القرآن- ١١٩/٢ عمان/دار الفرقان- ١٩٨٨.

(41) -المرجع السابق- ١١٩/٢.

(42) صحيح البخاري- ٤/١ - رقم- ٣

(43) سيرة ابن هشام- ٢/٦٥، ٦٦

(44) في ظلال القرآن- ١١٩/٢

(45) -المرجع السابق- ١٢٠/٢

(46) -المرجع السابق- ١٢٠/٢

(47) -انظر سورة (الحج- ٣٩).

(48) -النظام السياسي في الإسلام- ٩٤ وانظر لمؤلف: حكم الشورى في الإسلام و نتيجتها / ١٣٧، ١٣٨، ١٥٣.

(49) -الألوسي- روح المعاني- ٣٥/١٠

(50) -انظر: عبد القادر عودة- المال والحكم في الإسلام- ٣٨.

(51) -النظام السياسي في الإسلام- ١١٠ / -المرجع السابق- ١١٢

(52) -النظام السياسي في الإسلام- ١١٤.

(53) -المرجع السابق- ١١٦

(54) -المرجع السابق- ١١٦

(55) صحيح البخاري- ٤/١٦١٠

(56) أنا أرى أن آية الزنى هذه تساعدنا على أن نفهم أن حدَّ الزنى إنما هو الجلد مئة جلدة للزانية والزاني. وأن الرجم الوارد في الحديث قد نسخ بهذه الآية. وإلا.. فكيف ينزل الله تعالى حكماً أن الزاني لا ينكح -شريعياً- إلا زانية أو مشركة، وأن الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، إذا كانت عقوبة الزانية والزاني الرجم حتى الموت؟ إن الزاني "الميت" لا يتزوج، ومثله الزانية. وهذا الحكم.. حكم "شرعي" وليس بحكم "طبيعي" بمعنى أن الزاني لا يمضي أبياً إلى الزانية ليتزوجها، وإنما يتزوج الزاني بالزانية -إذا ثبت عليهما حكم الزنى ونقذ فيهما وهو الجلد الذي لا يزهرق، غالباً. الحياة ليظلَّ الزواج ممكناً. وإلا.. فما أكثر الشباب المسلمين الذين يدرسون في الغرب، ويقارفون الزنى، ثم يعودون إلى أوطانهم ويتزوجون من طاهرات ولا بُدَّ من وجود نساء -وإن كنَّ قليلات- يمارسن الزنى وهن متزوجات، وأزواجهن طاهرون.

(57) -انظر: عبد الحميد الأنصاري: اختيار الحكام والولاية - ٢٦٥-٢٩٨

(58) -العضو في الأصل لا يؤنث، فليس في جسم الإنسان أو الحيوان.. عضوة بل هو عضو، فحسب، ولكن المرأة في الحاضر كثير دخولها في اللجان كعضو بل أصبح هناك جمعيات خاصة بالنساء. لذلك.. أصبح جائزاً أن نقول: فلانة عضو أو عضوة، فإذا استعملنا المذكر (عضو) غلبنا الأصل، وإذا استعملنا المؤنث (عضوة) فقد غلبنا المعنى. أما ترى أن الحطينة، الشاعر المخضرم الذي يحتج بشعره في اللغة قد قال:

ثلاثة أنفس، وثلاث توثر : لقد جار الزمان على عيالي؟

فقد أتت العدد مع المعدود (نفس) مع أن (أنفساً) مؤنث، والعدد من (٣-٩) يخالف المعدود، يُنكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر، ذلك لأن الشاعر نظر إلى المعنى. فالأنفس هنا هم عياله الثلاثة الذكور. أو ولدان وبنت فكان "التغليب": أي تغليب الذكور. فالمعنى ثلاثة لولد، أو ولدان وبنت، فغلب الولدين، وهنا يقال أيضاً (ثلاثة) أنفس.

(59) -النظام السياسي في الإسلام- ١٢٢

(٢٤٦٠) -يمتدح الرجل الدلو من البئر: يجذبه، وفي الجنب صعوبة. ويمتدح الرجل الماء بالدلو من البئر: يغرف الماء. وفي الغرف سهولة.

(61) - النظام السياسي في الإسلام- ١٢٨.

(٦٢) انظر فتحي الدريني: دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر - ٣٩٦-٤٠٧.

(٦٣) ميكافلي -الأمير- ١٠٩

(٦٤) انظر: دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر - ٤١٣-٤١٥.

(٦٥) انظر: فتحي الدريني: دراسات وبحوث - ٤١٦.

(65) -النسائي: سنن النسائي- ١٦١/٧- الرقم- ٤٢٠٩



# **إعجاز المنهج الوجداني في القرآن وقضايا الإيمان بالغيب**

أ.د. صلاح الدين الندوي





**تمهيد:**

لعل أول منهج وضع للبحث العلمي وطرق الاستدلال فيه، والاستنباط هو منهج أرسطو الذي سماه (المنطق)، وهو يتحدث فيه عن الكليات الخمس المعروفة: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، ومنها تتألف الحدود والتعاريف، وقد لعبت دورا كبيرا في جميع العلوم عند العرب، وإن أصبح العصر الحديث لا يعنى بها، لأنها كثيرا ما تكون مضللة، وخير منها التقسيم الذي يقوم على تحليل ما يراد تعريفه إلى عناصره وجزئياته وأفراده وأصنافه، والأهم في منطق أرسطو هو اهتداؤه في الاستدلال إلى أنه يتألف من قضايا، فينبغي أن ندرس أشكالها وضروب تركيبها من موجبة كلية وموجبة جزئية، وسالبة كلية وسالبة جزئية. ومن هذه القضايا تتكون مقدمات القياس بحيث إذا كانت صادقة كان صادقا، وإن كانت فاسدة فسد بفسادها.

واهتم العرب بمنطق أرسطو منذ ابن المقفع، فأخذوا يترجمونه أولا، ثم مضوا يشرحونه ويلخصونه في مصنفات كثيرة، واحتكموا إلى هذا المنطق أو استلهموه في وضع علومهم، ونحن نجد ماثلا في علم الفقه وأصوله، إذ يتحدث الفقهاء عن الحدود والتعاريف والكلية والجزئية والخاص والقياس، وبالمثل نجد بارزا في علوم اللغة والنحو، إذ نرى النحاة منذ الخليل (بن أحمد الفراهيدي) يتوسعون في الكلام عن القياس، كما يتوسعون في بيان العلل الأربع: المادية والصورية والفاعلية والغائية. ولكن النحاة والفقهاء وغيرهم من علماء العرب اهتموا مبتكرين إلى أن القياس الأرسطي قياس رياضي، فهو يبدأ من العام الكلي ويطلبه من المفردات الجزئية. وقد تطرد صحة ذلك في العلوم الرياضية، أما في العلوم الطبيعية والإنسانية، فلا بد من الانتقال العكسي أي من الأفراد والمفردات إلى الكلي العام حتى يكون القياس سديدا. وكان لذلك أثر بعيد في العلوم العربية، إذ عد الاستقراء والملاحظة أصلين أساسيين فيها، وضمت إليها في العلوم الطبيعية التجربة، وبذلك أمكن للعلوم العربية أن تنهض فمضتها العظيمة في كل مجال، وهي فمضة أعدت لازدهار علوم الطب والصيدلة بفضل التجارب الكثيرة التي كان يجريها الصيادلة والأطباء، وكذلك في الكيمياء والبصريات وعلم الفلك ومراصده الضخمة.

ويرى د. شوقي ضيف ربما كان أهم بحث أدبي عند العرب يتضح فيه تأثير المنطق الأرسطي والتأثر بمنهجه كتاب (البرهان في وجوه البيان) لابن وهب الذي نشر خطأ باسم (نقد النثر) ونسب إلى قدامة بن جعفر، ونرى مؤلفه يعقد فيه فضلا للقياس يتحدث فيه عن الحد والوصف والمقولات واستخدام هذه الأنواع في العربية، وهو في كل ذلك متأثر بالمنطق الأرسطي مع ما أضاف إليه من بحوث المتكلمين والفقهاء ومواضعاتهم ومقالات الفلاسفة الإسلاميين وأفكارهم.

و وضعت للعلوم الدينية مناهجها التي تعنى بها مباحث علم الأصول، والتي تتناول الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وبالمثل وضعت أصول للنحو واللغة على نحو ما يتضح ذلك في كتاب (الخصائص) لابن جني. (١)

وعلى هذا النحو كان العرب يستضيئون بمنطق أرسطو في بحوثهم الأدبية مع محاولات خفية للعناية بالجزئيات والمفردات واكتمال الاستقراء وصحة الاستنباط، واتسعوا في الملاحظات سعة شديدة، وهي تقابل في البحوث الأدبية التجارب في البحوث العلمية عندهم، وقد ظلوا مع ذلك يحنكون إلى المنطق الأرسطي، مكثرين من القواعد والأقيسة. وهم في كل هذا يختلفون عن علماء العصور الوسطى الغربيين في تعبدهم لمنطق أرسطو، فقد عكسوا بواسطة الاستقراء: الانتقال من العام إلى الخاص، إذ جعلوه الانتقال من الخاص الجزئي إلى العام الكلي، ووقفوا فاعلية منطق أرسطو وأقيسته، إذ أدخلوا عليه التجربة والملاحظة في إثبات الحقيقة بدون حاجة إلى حدود ومقولات وأقيسة. (٢)

#### ١. المنهج الأرسطي وتأثيره في علم الكلام:

إن الإنسان عبارة عن نفس وعقل، وإرادة وتصور. ويتبع الاعتقاد، وبصفة خاصة، عالم المشاعر. وهناك الكثير من الاعتقادات العقلية بجانب الاعتقادات الشعورية. لكن الاعتقادات العقلية تحتوي في مبدئها، على دفعة شعورية، تقويها وتزيد من فعاليتها. وكما قيل إن كلاماً من الانفعال والاعتقاد يعتبر شيئاً واحداً، فإن الشعور يمدد للاعتقاد، وهو يمدد بالطاقة التي تتيح له أن يظل ثابتاً وحياء. ومن جهة أخرى، فإن الاعتقاد شيء، والاستدلال عليه شيء آخر: إننا نعتقد فيما يعتقد الآباء والمجتمع، وتشتهر العادة بأنها عقل، والواقع أنه إذا كان كل اعتقاد في حاجة إلى استدلال لكان عدد المعتقدين أقل مما هو عليه، ولكانت مهمة الرسل والمبشرين أكثر صعوبة. ومع ذلك فإن الاعتقاد يستخدم العقل للتفسير، والدفاع ضد الخصوم. ويوجد إلى جانب المعتقد الأعمى الخالص، العقيدة المتبصرة التي تبحث وتستدل على الأفكار العقلية، وقد كان من البديهي، لدى المتكلمين المسلمين أن يكون العقل من أفضل أسلحة علم الكلام، التي استخدمها، في الأقل، ليحافظ بها على سلطته. (مجلة الثقافة عدد خاص عن ذكرى يوسف السباعي فبراير ١٩٧٩)

ويتجه الدين الإسلامي، مثل سائر الأديان، قبل كل شيء، فإنه ملئ بالآيات التي تبلغ لغة القلب أوج البلاغة والقدرة على الإقناع، تلك اللغة التي أدهشت كبار الخطباء والشعراء العرب بروعتها البيانية وسرها المعجز. وقد أدى هذا تقريباً إلى أن يتهم الرسل صلى الله عليه وسلم، بالسحر والتنجيم، أو بامتلاك قوى أخرى خفية (خرقا للعادة)، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن القرآن كذلك يدعو الناس على التفكير والاعتبار في ظواهر الطبيعة، وهو يقدم لهم أحيانا نماذج من البرهنة على وجود الله تعالى، وقدرته. لكن هذه

البرهنة تعتبر بالأحرى خطابية، لأنها لا تستخدم الوسائل الفنية المعروفة في المنطق، فضلا عن ذلك يشتمل القرآن الكريم على أساس مذهب كلامي مكتمل للإسلام، فهو يصف الله تعالى، بكل خصائص القدرة والعظمة، فهو تعالى، خالق الكائنات كلها، والسلطان المطلق في السماوات والأرض، لا وسيط بينه وبين المخلوقات. هو الأول والآخر والظاهر والباطن. إنه الكائن الخالد والحقيقة الأزلية.

فكوت العقيدة الإسلامية خلال ما يقرب من ثلاثة قرون، وأثرت في تكوينها عوامل مختلفة، داخلية وخارجية، كما شاركت مدارس متنوعة في هذا العمل العظيم. فلم يكد يمضى ثلاثون عاما فقط على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى أدت ضروب النزاع السياسي إلى اختلافات مذهبية. لقد كان كل من الخوارج والمرجئة، في البداية، عبارة عن مجموعات سياسية، لكنها سرعان ما تحولت إلى طوائف دينية. و قد سيطر الإسلام، إثر فتحه العظيم، على مساحات شاسعة، وحل محل معتقدات قديمة، وديانات عتيقة، واكتسح تماما آثار الفكر الديني القديم، فاعتنقه كثير من اليهود والمسيحيين، وانتشر المزدكيون ومتبعو المانوية والسبئية بين المسلمين. وقد حملت هذه العناصر الأجنبية أفكارها ومذاهبها التي أثارت العالم الإسلامي. من بين هذه الأفكار، يمكن الإشارة، في المقام الأول، إلى تلك المشكلة التي تتعلق بحرية الإرادة، والقضاء والقدر، والتي أدت إلى ظهور فرقتين كلاميتين معروفتين جداً هما: القدرية والجزرية.

وقد استمرت القدرية، بصفة خاصة، حتى بداية مدرسة المعتزلة الكبرى، التي كان لها، لأول مرة، شرف وضع الحجر الأساسي لعلم الكلام، والدفاع عن الإسلام بكل حماسة. وقد أقامت هذه المدرسة، بفضل ما ظهر فيها من مواهب وعبقريات عظيمة، ومذاهب عميقة الأصالة في علم الكلام الإسلامي. ويعتبر دفاع المعتزلة ضد الزنادقة والملحدين والمشركين من المزدكية والمانوية والسبئية دفاعا شديداً الحيوية، لانكاد نعرف له مثيلاً قط في تاريخ الفرق الدينية. ونحن هنا لا نهتم بمذهب المعتزلة، وإنما نريد أن نقول كلمة عن منهجهم الدفاعي.

ربما لا يعرف في أي مكان مسرح مثير للإعجاب، وثرى للغاية بدقته ومواهبه الجدلوية، مثل ذلك الذي لمع فيه متكلمو المسلمين في القرن الثامن و التاسع والعاشر الميلادي (الثاني و الثالث والرابع الهجري) إن هذا المسرح يقوم شاهداً على فترة متطورة جداً من الحرية، ومادة وفيرة جداً من علوم الجدل.

و بالنسبة إلى الجدل في مجال العقائد فمدرسة المعتزلة تقدم مجادلين من الطراز الأول، أمثال: واصل بن عطاء (٥١٣٠/ ٧٤٧م) والنظام (٥٢٣١/ ٨٤٥م) والجاحظ (٥٢٥٦/ ٨٦٩م) أولئك الذين برهنوا على موهبة بارزة في الجدل والمناظرة و استطاعوا بها الانتصار على كثير من خصومهم. حتى أطلق على المعتزلة لقب (أهل الجدل) ومع ذلك، فإن الجدل المعتزلي، في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين (الثاني والثالث الهجريين) يعتمد أساساً على البلاغة وعلوم الأدب. و لكنه كان جدلاً بدون منهج أو نظام، الجدل الذي حاول الإقناع و الانتصار بأية وسيلة.

ومع ما نعرفه قليل جداً عن أعمال المعتزلة الأوائل، فإنه من الملاحظ أن (الطرق الفنية) كانت مفقودة من مناقشاتهم، فلم يوجد (تقسيم) ولا (تصنيف) ولا (تعريف) لكثير من المسائل التي تعتمد عليها مسائل أخرى. ولم يكن لديهم إعداد (للأدلة) و لا توضيح (للمقدمات) التي يبنى عليها (القياس) لقد اكتفوا بذلك الجدل الخطابي الذي ترجع قوته كلها إلى تعبيرات مختارة بعناية، وتفسير بعض الأحداث الطبيعية. وهكذا استمر المعتزلة الأوائل في اتباع المنهج القرآني في البرهنة.

ولمعرفة فكرة محددة عن المعتزلة، يمكن أن نرجع إلى كتابات الجاحظ الجدلية، التي تعتبر ذات دلالة في هذا الصدد، حيث نرى فيها (ملاحظات) وهي دقيقة وعميقة جداً، لكنها خالية من المنهج المحدد. فالجاحظ يبرهن على وجود الله وقدرته بواسطة عجائب السماء والأرض. وحين يتحدث بصورة منطقية، فإن الأدلة التي يسوقها لا تكاد ترقى إلى مرتبة البرهان. (مجلة الثقافة عدد خاص عن يوسف السباعي فبراير ١٩٧٩)

وعلى العموم، فإن انتصار المعتزلة يعتبر بالأحرى مذهبياً، و تمثل نظرياتهم في الذرة (الجوهر الفرد)، و الأحوال، و الكون و العدم جزءاً مهماً جداً من فلسفة علم الكلام.

و يعتبر القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) من وجهة نظر تاريخ العقيدة الإسلامية، نقطة تحول بين فترتين متميزتين، و هو معروف بظاهرتين على جانب كبير من الأهمية: الأولى أن مدرسة الأشاعرة تحول محل مدرسة المعتزلة، و الثانية يستبدل الجدل الخطابي بنوع آخر من الجدل العلمي المنظم. و يؤدي ظهور الأشعري (ت: ٩٣٤/٥٣٥م) من الناحية النظرية و المنهجية، إلى تحول جذري في الدراسات الكلامية الإسلامية. فإن هذا المعلم الكبير يقيم مذهباً له منهج جدلي يحدث تأثيراً هائلاً في كل من يليه. لقد طال الجدل طويلاً في (مذهبه) ولكن أحداً لم يتعرض لمنهجه على وجه التقريب. لقد تميز الأشعري بموهبة جدلية فائقة، مثل المعتزلة الأوائل، ثم أضاف إليها (طريقة فنية) لم يعرفها هؤلاء. وقد تلقى فن النقاش من الفلاسفة المعاصرين له، و قرأه في الكتابات الأرسطية و بخاصة (الأورجانون) الذي كان قد ترجم بالفعل إلى اللغة

العربية بأقلام ابن رشد و ابن سينا و الفارابي و الكندي و غيرهم في القديم و عبدالرحمن بدوي في العصر الحديث. و الذي يعرف بالوسيلة أو الأداة في اللغة العربية. وقد استخدمت هذه اللفظة اليونانية كعنوان لمجموعة مؤلفات أرسطو بمعنى الوسيلة إلى التفكير وإلى الحكم على صحته أو فساده بالوسائل المنطقية التي حددها أرسطو في كتبه. (٣)

و الواقع أن المنهج الأرسطي يبدو أنه قد أثر تأثيرا بالغا في الأشعري، الذي أصبح القياس لديه هو الصيغة المألوفة في البرهنة، كما أكثر في وضع قواعد الجدل و نصائح السفسطة. و ما وصل إلينا في الجدل هو رسالته الصغيرة بعنوان (الإبانة) التي توضح لنا منهجه الجدل بصورة كافية. فالأشعري يناقش في هذه الرسالة آراء خصومه من المعتزلة بالكثير من النظام و الوضوح، وهو يعرضها أولا باختصار، ثم يعرج بعد ذلك إلى دحضها، و يستعرض كل وجه من وجوه المسألة الواحدة، مقوما حول كل نقطة البراهين المضادة، و ينتهي بالاختيار بين الإيجاب و النفي. و مما تجدر الإشارة إليه، أن الجدل عند الأشعري يتشابه مع جدل المدرسين اللاتينيين إلى حد كبير، حيث نرى فيه الأشعري يحاول عن طريق (التقسيم) و (التصنيف) أن يقيم شكلا من القياس، و ينادى بالسلطة الدينية. و قد أتاحت له هذه الصيغة : (لإن قال ... قلت) أن يستقصى كل الفروض الممكنة حول المشكلة التي يتناولها، وهذه الصيغة تشبه في عمقها بمنهج المدرسين الأوربيين. و فضلا عن ذلك أنه يتبنى طريقة كانت شائعة لدى الجدل اللاتينيين وهي (تعدد الأدلة) فمثلا عندما يستدل على إمكانية رؤية الله تعالى في الدار الآخرة، يسوق حوالي عشرة أدلة، وفي النهاية، يدحض الأشعري، الجدل الحاذق، خصومه بأدلتهم نفسها، وهو ما يعرف عند العرب: (الإلزام) ثم إلى جانب هذا التكنيك يبرع الأشعري في تحليل الألفاظ، ويتبع المنهج الذي طبقه أرسطو في دراساته عن المترادفات والجناس. (مجلة الثقافة عدد خاص عن يوسف السباعي فبراير ١٩٧٩)

ب. المنطق الأرسطي وتأثيره في العلوم البلاغية:

ازدهرت الحركة العلمية والأدبية في بيئة الأندلس ازدهارا عظيما كما ازدهرت في الشرق العربي و اتسع نطاقها فشملت فيما شملته النواحي العقلية والكلامية، لقد كان هذا نتيجة مباشرة لامتزاج المسلمين بسكان الأندلس ومصاهرةهم ثم دخول كثير من غير العرب الإسلام، فظهرت صلة أخرى غير الاجتماع في بقعة واحدة، وهي صلة الدين، و امتزجت كل هذه الأجناس امتزاجا تسرب في عقولهم كما تسرب في دمائهم، فكانت لهم نزعة عقلية جديدة، و نمت مواهبهم الفطرية، و ترتب على ذلك أن اهتموا بنقل العلوم

و نشرها، و وصلوا إلى البلاد في طلبها، و رحل إليهم كثير من العلماء، فأخذوا عنهم، كما أخذوا عن آثار اليونان و الرومان و الفرس، و لم يكن للعرب إذ ذاك من يراهم، لأن معالم الحضارة كانت قد خفيت، و العالم كان يتطلع إلى من ينقذه من برائن الموت، و يفيض عليه من نور العلم و العرفان، و لقد عرف العرب أن الأمة لا تحيا إلا في ظلال العلم... لذا عملوا على ترقية العقول و نشر العلوم و الفنون، حتى في أسبانيا حيث أدخلوا فيها ما كان منتشرا من فنون الحضارة و مظاهرها في بغداد.

و ظهر أثر ذلك كله في العلوم و الفنون كما ظهر أيضا في أنواع البلاغة من الشعر و النثر مما لم يكن عند سواهم، و ذلك لما كان لهم من النشاط و الجد و المثابرة على البحث و التنقيب و العمل على فهم ما تركه الناس قبلهم من علوم عقلية أو نقلية، فكان لهم أثر في كل شئ اطلعوا عليه، فألفوا و دونوا و اخترعوا، و قد عنوا عناية فائقة بجمع الكتب في كل علم و فن، فقد كان في أسبانيا ستون مكتبة عامة، أنشأها الخلفاء الأمويون و غيرهم أشهرها مكتبة (قرطبة) و كانت تحتوى على الكتب العقلية و النقلية التي ألفها و ترجمها العرب في الزراعة و الفلك و الرياضة و في أصول الدين، و في فنون الأدب كالبلغة و التاريخ و القصص و الرحلات و دواوين الشعراء المختلفة و معاجم اللغة، كان ذلك كله مجموعا جمعا منظما في مكتبة (الحكم) المستنصر (٣٦٦/٣٥٠) واشتدت رغبة (الحكم) في اقتناء الكتب، فكانت فهارس المكتبة أربعة و أربعين، و بلغت الكتب فيها مائة ألف مجلد، جمعها من أفريقيا و فارس و جميع البلدان. (نفع الطيب ج ١ ص: ٢٥٠). (٤)

ثم أتت بعد ذلك حركة التفاعل بين الفكر الأندلسي وما ورد إليه من نتاج الفكر الإسلامي بالشرق العربي الذي كان قد تأثر \_ إلى حد كبير \_ بالفلسفة اليونانية، و خضع للمنطق و مقائيسه حتى أصبحت تعبيرات الفقهاء مصبوغة بهذه الصبغة، و وضعت في مؤلفاتهم قواعد الجدل و البرهان ... حتى البلاغة العربية أثرت فيها البلاغة اليونانية. (٥)

وإذا كان الأندلسيون قد حاكوا المشاركة في النواحي الثقافية و العلمية فقد كانوا كذلك يقيمون حياتهم الأدبية على تلك الأسس و القواعد التي وضعها المشاركة.

يقول (ابن خلدون) : (أصول علم الأدب و أركانها أربعة دواوين : وهي (أدب الكاتب) لابن قتيبة، و كتاب (الكامل) للمبرد، و كتاب (النوادر) لأبي علي القالي البغدادي، و كتاب (البيان و التبيين) للجاحظ. (٦)

فإن بيئة الأندلس بما وعت من ألوان الثقافة و فنون المعرفة، ثم بيئة المغرب بما زحزحت من تقدم في الدراسات البلاغية و النقدية، كان لهما النصيب الأكبر في صقل العلوم البلاغية في تاريخ البيان العربي.

ومن فلاسفة الأندلس الناهمين (ابن رشد) المتوفى عام ٥٩٥ هـ أشهر فلاسفة الإسلام، وأعظمهم تأثيراً في منطلقات التفكير الأوربي، والذي تصدى لشرح كتب المعلم اليوناني (أرسطو)... ولم يوجد من نقاد العرب - منذ عهد قدامة بن جعفر صاحب كتاب (نقد الشعر) من عنى عناية ملحوظة بكتاب (الشعر) لأرسطو، وظلت فكرة (أرسطو) عن (اخفاكة) و فكرته عن أصل الشعر، بعيدتين عن دراسة الشعر العربي على مدى بعيد، بالإضافة إلى أن نظرية (التراجيديا) التي عاجلها أرسطو لم تظهر عند الفلاسفة إلا مؤخراً في شرح (ابن رشد) لكتاب الشعر... (٧)

وعندما اتصل فكر (أرسطو) بالبيان العربي كان ذلك من خلال عقلية (قدامة بن جعفر) التي لم تعن بالجانب الفني والوجداني قدر عنايتها بالجانب العقلي، وما يتصل به من التقسيم والتفريع.

وهذه الحقيقة هي التي دفعت بعض النقاد إلى القول: بأن كتاب قدامة (نقد الشعر) لم يؤثر تأثيراً كبيراً في النقد... وكل ما له من فضل هو وضع عدد من المصطلحات وتحديد بعض الظواهر. (٨)

ثم جاء (حازم القرطاجني) فأفاد من البيئة الأندلسية والمغربية أجل فائدة. (٩)

فاذا ما أردنا تحديد المصادر التي استقى منها (حازم) لقلنا إن أهمها هي ما خلف أرسطو في مبحثه المعروفين في فن (الشعر) و (الخطابة).

والأفكار الإنسانية السليمة في مد وجزر، وتفاعل وتلاطم، يغذى كل منهما الآخر، يؤثر فيه ويتأثر به.

والكيان العلمي والفكري للأمة العربية لن يؤثر فيه ثبوت الإفادة من ثقافة ما من ألوان الثقافة الإنسانية، فإن الأمة العربية لم تعش وحدها على الأرض، وإنما عاشت معها أمم أخرى كانت لها حضارات وكانت لها ثقافات متشعبة في مصر والهند وفارس. ولقد كانت للعرب صلات قريبة أو بعيدة بكثير من هذه الأمم والأجيال. (١٠)

ولقد تأثر (حازم القرطاجني) بأعلام ناهمين في البلاغة والنقد من العرب وغيرهم من أمثال (أرسطو) في كتابه (فن الشعر) وابن سينا في كتابه (الشفاء) وكذلك الخفاجي في كتابه (سر الفصاحة) وقدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) والآمدى في كتابه (الموازنة) و (أبو هلال العسكري) في كتابه (الصناعتين) وابن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) وابن رشيقي القيرواني في كتابه (العمدة) وغيرهم.

ولا شك أن عدداً من المؤلفين في البلاغة والنقد قد أطلعوا على آثار الفكر اليوناني، وقرأوا كتب أرسطو، و في مقدمتهم الجاحظ، وقدامة بن جعفر، وابن وهب صاحب (البرهان) وعبد القاهر الجرجاني وضياء الدين بن الأثير... ولكن هذا الإطلاع عليها أو على ترجماتها أو على النقول التي اقتبست منها لم يستطع أن يطفى على طابعهم العربي الأصيل، في تناول الفن الأدبي.

فكان تأثير الفكر اليوناني واضحا عند هؤلاء العلماء الذين درسوا أو نقلوا عن كتاب حازم القرطاجني (النهاج) كالزركشي في (الرهان)... والسيوطي في كتاب (الاقتراح) والسيكي في كتاب (عروس الأفراح). (مجلة الثقافة عدد خاص عن يوسف السباعي فبراير ١٩٧٩)

#### ١. قضية الإعجاز:

وبعد هذه الخلفيات التاريخية و الحقائق العلمية يجب أن نلقي بعض الضوء على تلك الجهود الضخمة التي بذلت في بيان قضية الإعجاز، فقد تناول كثير من المفكرين والباحثين من القدامى والمحدثين والمتخصصين في العلوم اللسانية من العرب وغيرهم هذا الموضوع في كتاباتهم كالروماني والواسطي والعسكري والجرجاني وغيرهم من المتقدمين، والإمام الرازي (ت: ٦٠٦هـ) الذي لخص كتابي (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) للجرجاني واستخرج منهما كتابه في إعجاز القرآن، والأديب ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤هـ) فقد صنف كتاب (بدائع القرآن) أورد فيه نحو مائة نوع من معاني البلاغة وشرحها، واستخرج أمثلتها من القرآن، وابن القيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) في كتابه (كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) وغيرهم من العلماء المتأخرين. (١١)

وقضية الإعجاز يعني إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب وغيرهم من الأمم والشعوب في معجزته الخالدة - وهي القرآن - وعجز الأجيال اللاحقة بعدهم، فدرس كل منهم معجزة النبي الأمي صلى الله عليه وسلم الكبرى، وهي القرآن، وهي باقية ما بقي الزمان، و محفوظة من غوائل الحدثان، وهي معجزة الإنس والجان.

إن العقل البشري كان في أطوار نموه الأولى، فكان لا يرى شيئا يأخذ بلبه أقوى من المعجزات الحسية، حيث لا يرقى عقله إلى السمو في المعرفة والتفكير، فناسب هذا أن يبعث كل رسول إلى قومه خاصة، وأن تكون معجزته فيما نبغ فيه قومه خارقة لما ألفوه ليتحقق بعجزهم عنها إيمانهم بأنما من قوى السماء، فلما اكتمل العقل البشري ونضجت خصائصه أذن الله بفجر الرسالة المحمدية الخالدة، إلى كافة الأمم والشعوب، وكانت معجزتها معجزة فكرية للعقل البشري في أرقى تطورات نضجه ونموه، فبينما كان تأييد الله لرسوله المرسلين السابقين بآيات كونية تبهر الأبصار، ولا سبيل للعقل في معارضتها: كمعجزة اليد والعصا لموسى، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله لعيسى (عليهما السلام) كانت معجزة النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم معجزة فكرية تحاج العقل البشري وتتحدها إلى الأبد، وهي



معجزة القرآن بعلومه و معارفه و أخباره الماضية و المستقبلية، فالعقل الإنساني لا يعجز عن معارضته، لأنه آية كونية لا قبل له بها، و لكن عجزه كقصوره الذاتي، فيكون هذا اعترافا منه بأنه وحى الله إلى رسوله، و أن حاجته إلى الاهتداء به ماسة ليستقيم عوجه، و ترتقى مواهبه. و هذا المعنى، هو ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، و إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا) "رواه البخارى في صحيحه"

و هكذا كتب الله لمعجزة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم الخلود تأييدا لدينه الحق، فضعفت القدرة الإنسانية مع تراخى الزمن و تقدم العلم عن معارضتها، أما معجزات سائر الأنبياء عليهم السلام فقد انقضت بانقضاء حينها، و امتدت يد العتب بالتحريف و التبديل و الحذف و الزيادة إلى كتبهم و شرائعهم.

إن قضية الإعجاز هي التي كانت سببا رئيسيا لنشأة العلوم البلاغية و علم الكلام في الإسلام، الذى أصدق ما يقال فيه عند البعض: (إنه كلام في كلام، و ليس فيه وميض التفكير يجر متبعه إلى مجاهل من القول بعضها فوق بعض). (١٢)

١. وجوه الإعجاز:

هي تلك الوجوه التي ذكرها العلماء مثل القرطبي، و هي مذكورة في كتب كثيرة مثل: (مناهل العرفان في علوم القرآن) لعبد العظيم الزرقاني على صفحة (١٣)

و حسبما قال الأمدى في (أبكار الأفكار): ذهب أبو اسحاق إبراهيم بن سيار النظام من المعتزلة و المرتضى من الشيعة إلى أن إعجاز القرآن كان بالصرفة. و معنى الصرفة عند النظام: هو أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقا للعادة. و معنى الصرفة عند المرتضى: هو أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها الناس في المعارضة ليحينو بمثل القرآن- وهذا يدل على عجز العرب، فلا يقال فيمن سلب القدرة على شيء، إن الشيء أعجزه مادام في مقدوره أن يأتي به في وقت ما، وإنما المعجز حينئذ هو قدر الله، فلا يكون القرآن بذاته معجزا. و موضوع حديثنا هو اعجاز القرآن بذاته، و ليس الإعجاز بالصرفة من الله. (١٤)

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: (وما يبطل القول بالصرفة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون المنع معجزاً، فلا يتضمن الكلام فضلاً على غيره في نفسه. (١٥)

والقول بالصرفة قول فاسد يرد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ٨٨ - الإسراء) فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم. وقد ذكر العلماء أمثال القرطبي - كما أشرنا إليه - ما يربو على عشرة أوجه من وجوه الإعجاز فنذكر ما أهمها:

- أ. ذهب قوم إلى أن القرآن معجز ببلاغته التي وصلت إلى مرتبة لم يعهد لها مثيل - وهذه النظرة نظرة أهل العربية الذين يولعون لصور المعاني الحية في النسخ الحكيم، والبيان الرائع.
- ب. وقال بعضهم: إن وجه إعجازه في تضمنه البديع الغريب المخالف لما عهد في كلام العرب من الفواصل والمقاطع.
- ج. وقال آخرون: إن إعجازه في الإخبار عن المغيبات المستقبلية التي لا يطلع عليها إلا بالوحي. أو الإخبار عن الأمور التي تقدمت منذ بدأ الخلق بما لا يمكن صدوره من أمي لم يتصل بأهل الكتاب.
- د. وذهب جماعة إلى أن القرآن معجز لما يتضمنه من العلوم المختلفة، والحكم البليغة، وهناك وجوه أخرى للإعجاز تدور في هذا الفلك.
- هـ. والحقيقة أن القرآن معجز بكل ما يتضمنه من الألفاظ والمعاني: فهو معجز في ألفاظه وأسلوبه من حيث تماسك الكلمة وتكوين الجمل وتماسك الآية. وهو معجز في بيانه ونظمه وهو معجز بعلومه ومعارفه، التي أثبت العلم الحديث كثيراً من حقائقها المجهولة. وهو معجز في تشريعه وصيانيته لحقوق الإنسان، وتكوين مجتمع مثالي تسعد الدنيا على يديه.

و. والقرآن أولا وآخرا- هو الذي صير العرب رعاة الشاة والغنم سادة الشعوب وقادة الأمم، وهذا وحده إعجاز. قال الخطابي في كتابه (بيان إعجاز القرآن) : (إن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني، من توحيد الله وتبريئه في صفاته، ودعاء إلى طاعته وبيان لمنهاج عبادته في تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهى عن منكر وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وجزر عن مساوئها، واضعا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيئا منه، لا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه، مودعا أخبار القرون الماضية، وما نزل من مثلثات الله بمن عصى وعانده منه، منبها عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الماضية من الزمان -جامعا في ذلك بين الحججة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وأنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه.

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشناقها حتى تنتظم وتنسق أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرتهم، فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله ( إعجاز القرآن المطبوع في ثلاثة رسائل من مطبعة المعارف وكذلك الزركشي). (١٦)

#### ب. القدر المعجز من القرآن :

١. رأى المعتزلة يقول إن القرآن كله معجز وليس بعضه. أو بكل سورة برأسها.
٢. ورأى آخر يقول إن القرآن معجز سواء كان قليلا أو كثيرا منه دون تقييد بالسورة لقوله تعالى (فليأتوا بحديث مثله) (سورة الطور : ٣٤)
٣. ورأى آخر يقول : إن الإعجاز يتعلق بسورة تامة ولو قصيرة، أو قدرها من الكلام كآية واحدة أو آيات.

٤. ولقد وقع التحدى بالقرآن كله كما في قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) ويعشر سور (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله) (هود) ثم بسورة واحدة (فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) (البقرة). فيتبين مما ذكرناه أن قدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه. ويتبين من رأى المعتزلة أن القرآن كله معجز وليس بعضه، و قال غيرهم أن المعجز هو كل ما يصدق عليه أنه قرآن و لو كان أقل من سورة. و في الحقيقة ليس إعجازه محصورا في قدر معين. لأننا لا نستطيع أن نحدد قدرا معينا من الألحان والأنغام وتأثيرها البالغ المحدد في النفوس، حيث نرى إعجاز تأثيره في أصوات حروفه ووقع كلماته. فالقرآن كله معجز لأنه كلام الله، وكلام رب العالمين الذى لا مثيل له ولا بديل لا يقاس على كلام الآدمي لتحديد القدر المعجز من ناحية إعجاز تأثيره البالغ في النفوس وكفى. والقرآن معجز من ناحية أسلوبه، وناحية علومه ومعارفه، ومن ناحية التأثير الذى أحدثه في العالم وغير به أو من هذه النواحي مجتمعة ونجد إعجازه واضحا جليا.

#### ٢. إعجازه من حيث اللغة:

و قبل أن نتناول إعجاز المنهج الوجداني في القرآن نرى من الضروري أن ندرس بعض جوانب إعجازه من حيث اللغة و الأسلوب، و من حيث النظريات العلمية، لأنها ذات صلة عميقة بالموضوع، فقد نشأت العربية السامية، و مرت بمختلف مراحل تطورها، حتى اكتملت خصائصها، و قدبذت في المجامع العربية و أسواقها، فمارس أهلها فنونها التى ازدهرت وترعرعت، واستظهروا شعرها ونثرها وحكمها البالغة وأمثالها السائرة وطاوعهم البيان في أساليبه الساحرة المتمثلة في الحقيقة والمجاز، والإيجاز والإطناب، والرواية والمقالة، وحين ارتفع شأنها، وبلغت بلاغتها كل مبلغ، ووقفت على عتبة لغة القرآن في إعجازه اللغوي، تنحنى أمام أسلوبه المعجز إجلالا لها، وإعجابا بها، واعترف أعلامها وأساتذتها من فحول اللسان العربي بسمو أسلوبه البياني، إدراكا لأسراره ولا عجب، فتلك إذعانا لعظمتها، و وقف القرآن من أهالى هذه اللغة موقف التحدى في صور شتى، فعجز بيانهم ولسانهم وتحطمت أقلامهم أمام هذا التحدى.

وحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسراراً من الإعجاز اللغوي في نظامه الصوتي البديع يجرس حروفه. حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومدامها، وغنائها، وفواصلها، ومقاطعها، فلا تشيع أذنه من السماع، فتطلب منه المزيد. و في ألفاظه التى تفي بحق كل معنى في موضعه، فلا يقال: إنه زائد أو هنا ناقص يحتاج إلى لفظ. و في أسلوبه الخطابي و ضروبه التى يتقارب فيها أصناف الناس في الفهم حسب طاقات

عقولهم وقدرات مواهبهم من العامة والخاصة. و في إقناع العقل و إمتاع العاطفة، بما يفى بحاجة النفس البشرية تفكيراً و وجدانا في تكافؤ و اتزان، فلا تطفى قوة التفكير على قوة الوجدان، و لا قوة الوجدان على قوة التفكير. و هكذا يجد أمامه حجة القرآن ثابتة في التحدى و الإعجاز. ( الإعجاز اللغوى في (النبأ العظيم) (١٧)

إن القرآن قد عجز العرب عن معارضته، و هو لم يخرج عن أساليب كلامهم ألفاظا و حروفا، و تركيبا و أسلوبا، ولكنه في أشد حروفه و طلاوة عبارته، و حلاوة أسلوبه، و جرس كلماته، و مراعاة مقتضيات الأحوال في ألوان البيان و في الجمل الاسمية و الفعلية، و في النفي و الإثبات، و في الذكر و الحذف، و في التعريف و التوكيد، و في التقديم و التأخير، و في الحقيقة و المجاز، و في الإطناب و الإيجاز، و في العموم و الخصوص، و في الإطلاق و التقييد، و هلم جرا. فالقرآن فيما ذكرناه و أمثله كثيرة قد بلغ ذروة الكمال التي تعجز أمامها القدرات اللغوية لدى كل بشر.

و يحسن بنا أن نذكر هنا قول القاضي أبي بكر الباقلاني: (والذى يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز و جوه: منها ما يرجع إلى الجملة، و ذلك أن نظم القرآن على تصرف و جوهه، و اختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، و مابين للمألوف من ترتيب خطابهم، و له أسلوب يختص به و يتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، و ذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم، تنقسم إلى أعرىض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالا، فتطلب فيه الإصابة و الإفادة و إفهام المعاني المعترضة على وجه بديع، و ترتيب لطيف، و إن لم يكن معتدلا في وزنه، و ذلك شبيهة بجملة الكلام الذى لا يتعمل يتصنع له، و قد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه، مابين لهذه الطرق، فليس من باب السجع، و ليس من قبيل الشعر، و تبين بخروجه عن أصناف كلامهم، و أساليب خطابهم أنه خارج عن العادة. و أنه معجز، و هذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، و تميز حاصل في جميعه....

و ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة و الغرابة و التصرف البديع، و المعاني اللطيفة، و الفوائد الغزيرة، و الحكم الكثيرة، و التناسب في البلاغة، و التشابه في البراعة على هذا الطول — و على هذا القدر، و إنما تنسب إلى حكمهم كلمات معدودة، و ألفاظ قليلة، و إلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الاختلال و الاختلاف، و التكلف و التعسف، و قد جاء القرآن على كثيرته و طوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله عز من قائل: (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى الله — الزمر) (و لو كان من غير عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا — ٨٢ النساء) فأخبر أن كلام آدمي إن امتد وقع فيه التفاوت و بان عليه الاختلال.

و عجب نظم القرآن و بديع تأليفه لا يتفاوت و لا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها — من ذكر قصص و مواظ، و احتجاج و حكم و أحكام، و إذار و إنذار، و وعد و وعيد، و تبشير و تخويف، و أخلاق كريمة، و شيم رفيعة، و سير ماثورة، و غير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها، و نجد كلام البليغ الكامل، و الشاعر المفلق، و الخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور، فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو، و منهم من يقرب في وصف الإبل و الخيل، أو سير الليل، أو وصف الحرب، أو وصف الروض، أو وصف الخمر أو الغزل، أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر و يتداوله الكلام. و لذلك ضرب المثل يامري القيس إذا ركب، و النابغة إذا رهب، و بزهير إذا رغب، و مثل ذلك يختلف في الخطب و الرسائل و سائر أجناس الكلام...

و قد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم، و بديع التأليف و الوصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المروة العليا. فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر (ماخوذ من فصل في جملة وجوه إعجاز القرآن). (١٨)

### ٣. إعجازه من حيث النظريات العلمية:

قد أخطأ كثير من الناس الذين يحرصون دائما على أن يتضمن القرآن كل نظرية علمية، فكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملا في آية يتأولوها بما يوافق هذه النظرية. ويرجع الخطأ في هذا أن العلوم ونظرياتها تتجدد دائما مع الزمن تبعا لسنة التقدم، فلا تزال في نقص دائم يكتشفه الغموض أحيانا، والخطأ أحيانا أخرى، ثم تستمر على هذا النحو حتى تقترب من الصواب وتصل إلى درجة اليقين وكل نظرية منها تبدأ بالحدس والتخمين، وتخضع لتجربة، حتى يثبت يقينها، أو يتضح زيفها وخطأها، ولهذا كانت عرضة للتبديل. ولذلك نرى أن كثيرا من القواعد العلمية التي ظن الناس أنها نهاية المطاف وأصبحت من المسلمات تزج بعد ثبوت، وتتقوض بعد رسوخ، ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها من جديد.

والذين يحاولون أن يفسروا القرآن حسيما يطابق ما ظهر من مسائل العلم، ويحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في عالم العلم، يسيئون إلى القرآن نفسه حيث أنهم يظنون أنهم يحسنون صنعا للنظائر بعقريتهم، وهؤلاء ينسون أن هذه المسائل العلمية التي تخضع دائما لسنة التجديد تبديل، وقد تتقوض من أساسها وتبطل، فإذا فسرنا القرآن بما نجد أنفسنا في تفسيره عرضة للنقائص كلما تبدلت القواعد العلمية أو تابعت الكشوف بمجديد ينقض القديم، أو يقين يبطل التخمين.

والقرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية، يخاطب الضمير والوجدان، فيحیی فيه عوامل النمو والارتقاء وبواعث الخير والفضيلة.

وإعجازه العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتبدل، وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر، وإنما في حثه على التفكير، فهو يحث الإنسان على النظر في الكون وتدبره، ولا يشل حركة العقل في تفكيره أو يحول دون تزود من العلوم والمعارف ما استطاع إلى ذلك سبيلا. وليس ثمة كتاب من كتب الأديان السابقة يكفل هذا بمثل ما يكفله القرآن.

فأى مسألة من مسائل العلم، أو قاعدة من قواعده، يثبت رسوخها، ويتبين يقينها، تكون محققة لما حث عليه القرآن من تفكير سليم، ولا تتعارض معه بحال من الأحوال، وقد تقدمت العلوم وكثرت مسائلها ولم يتعارض شيء ثابت منها مع آية من آيات القرآن، وهذا وحده إعجاز.

والقرآن الكريم يعتبر التفكير السديد والنظر الصائب في الكون وما فيه أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله.

إن القرآن يحث المسلم على التفكير في مخلوقات الله في السماوات والأرض: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار. آل عمران: ١٩٠-١٩١).

و يحث القرآن الإنسان على التفكير في نفسه، و في الأرض التي يعمرها، و في الطبيعة التي تحيط به باعتباره جزءا من عناصرها (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى) (الروم: ٨) (و في الأرض آيات للموقنين، و في أنفسكم أفلا تبصرون؟) (الذاريات: ٢٠-٢١) (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت؟ و إلى السماء كيف رفعت؟ و إلى الجبال كيف نصبت؟ و إلى الأرض كيف سطحت؟) (الغاشية: ١٧-٢٠).

و كذلك يثير فيه الحس العلمي للتفكير و الفهم و التعقل. كما نرى في هذه الآيات :  
 كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تفكرون) (البقرة: ٢١٩) (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلكم تفكرون) (الحشر: ٢١) (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) (يونس: ٢٤) (إن في ذلك لآيات لقوم يفكرون) (الرعد: ٣) (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) (الأنعام: ٩٧) (انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) (الأنعام: ٦٥) (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) (الأنعام: ٩٨).  
 ويرفع القرآن درجات المسلم بفضيلة العلم : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آوتوا العلم درجات) ( المجادلة: ١١).

ولايسوى القرآن بين العالم والجاهل: (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟) (الزمر: ٩) ويأمر المسلم أن يطلب من ربه نعمة العلم: (و قل رب زدني علما) (طه: ١١٤) فالقرآن يحث المسلمين على التفكير، ويفتح لهم أبواب المعرفة ويدعوهم إلى ولوجها، والتقدم فيها، وقبول كل جديد راسخ من العلوم: الفلك والنبات وطبقات الأرض والحيوان، ويجعل ذلك من بواعث خشيته: ( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء أخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء) (فاطر: ٢٧-٢٨).

تلك الإشارات العلمية ونظائرها في القرآن جاءت في سياق الهداية الإلهية، وللعقل البشري أن يبحث فيها ويتدبر، يقول: الأستاذ سيد قطب في تفسير قوله تعالى: (يسألونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج) (البقرة: ١٨٩): (واتجه الجواب إلى واقع حياتهم العملي لا إلى مجرد العلم النظري، وحدثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وحياتهم ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية للقمر، وكيف تتم؟ وهي داخلية في مدلول السؤال... إن القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية، ولم يبغي ليكون كتاب علم فلكي، أو كيمائى أو طبي... كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلتمسوا مخالفاته هذه العلوم.

إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله. إن مجاله هو النفس الإنسانية، والحياة الإنسانية، وإن وظيفته أن ينشئ تصورا عاما للوجود وارتباطه بخالقه، ولوضع الإنسان في هذا الوجود وارتباطه بربه، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاما للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته ومن بينها طاقته العقلية، التي تقوم هي بعد تنشئتها على استقامة، وإطلاق المجال لها لتعمل - بالبحث العلمي - في الحدود المتاحة للإنسان، وبالتجريب والتطبيق، وتصل إلى ما تصل إليه من نتائج، ليست نهائية ولا مطلقة بطبيعة الحال...

و لذلك نرى الأستاذ سيد قطب يتعجب و هو يقول : إنى لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وان يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها كأنها لعظموه بهذا ويكبروه...

إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة. أما ما يصل إليه البحث الإنسانى - أيا كانت الأدوات المتاحة له - فهي حقائق غير نهائية، ولا قاطعة، وهي مقيدة بحدود تجاربه، وظروف هذه التجارب وأدواتها، فمن الخطأ المنهجي - بحكم المنهج العلمي الإنسانى ذاته - أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية.



وكل هذه المحاولات لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة - أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة - تحتوي على خطأ منهجي أساسي لا يليق بجلال القرآن الكريم.

١. وهو يتمثل في الهزيمة النفسية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال له من العلم، على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه، ونهائي في حقائقه، والعلم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبتته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق، لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة.
٢. ويتمثل في سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته. وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتفق - بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية - مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي، حتى لا يضطرم الإنسان بالكون من حوله، بل يصادفه ويعرف بعض أسرارها، ويستخدم بعض نواميسه من خلافته، نوامسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق، وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل، لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة.
٣. ويتمثل في التأويل المستمر - مع التمهّل والتكلف - لنصوص القرآن كما نحملها، ونلث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، وكل يوم يجد فيها جديد (مقتبس من كتاب في ظلال القرآن بتصرف).

#### ٤. إعجاز المنهج الوجداني في القرآن :

قد تناول هذا الموضوع بعض الباحثين في العصر الحديث مثل الأستاذ / سيد قطب في كتابه (التصوير الفني في القرآن) بعنوان (المنطق الوجداني) ليعالج به قضايا الإيمان بالغيب مثل: عقيدة التوحيد أي الإيمان ياله واحد، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لأن الإسلام واجه ما يواجهه كل فكر جديد أو عقيدة غير مألوفة من الإنكار، وجادل عن دعوته من أراد الجدال فيها، ولما كان القرآن كتاب هذه الدعوة فقد تضمن كثيرا من هذا النوع من الجدال، فكيف جادلهم وأي منهج سلك؟ وأي الأدلة والبراهين اختارها؟ فحاول أن يرد على هذه الأسئلة قائلا : إن القرآن الكريم تناول كثيرا من الأدلة والبراهين التي جادل بها خصومه في صورة واضحة جلية يفهما الجميع سواء كان من الخواص أو عامة الناس، وأبطل كل شبهة فاسدة ونقضها بالمعارضة والمنع في أسلوب رائع واضح الدلالة، سليم التركيب لا يحتاج إلى إتعاب الفكر والعقل أو كثير من البحث والتمحيص.

ولم يسلك القرآن في الجدل طريقة المتكلمين المعروفة بمقدماها ونتائجها التي اعتمدوا عليها من الاستدلال بالكلية على الجزئي في قياس الشمول، أو الاستدلال بأحد الجزئين على الآخر في القياس بالمثل (التمثيل) أو الاستدلال بالجزئي على الكل في قياس الاستقراء (كما سبق في بيان تأثير المنطق الأرسطي في البلاغة والبيان).

أ. لأن القرآن جاء بلسان العرب، وخاطبهم بما يعرفونه.

ب. ولأن الاعتماد في الاستدلال على ما فطرت عليه النفس من الإيمان بما تشاهد وتحس دون عمل فكري عميق أقوى أثرا وأبلغ حجة.

ج. لأن ترك التعبير الجلي والأسلوب الواضح من الكلام الفصيح والالتجاء إلى الدقيق الخفي نوع من الغموض والإلغاز لا يفهمه إلا الخواص، وهو على طريقة المناطقة، ليس سليما من كل وجه. لقد جاء القرآن لينشئ عقيدة التوحيد ويعالج قضايا الإيمان بالغيب، وعقيدة التوحيد كانت قضية ضخمة لهؤلاء الذين يشركون بالله آلهة أخرى، وكان من العجب العاجب عندهم أن يقول لهم أحد: إن الله واحد (أجعل الآلهة لها واحدا؟ إن هذا لشيء عجاب، وانطلق الملائ منهم: أن امشوا، واصبروا على أمتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق).

وحين نتناول نحن اليوم هذه القضية ننظر إليها بنظرة أخرى، وربما نسخر من تفكير هذه الطفولة البادية المذكورة في هذه الآية. ولكن يجب ألا نتجاهل كم قرون مضت والإنسانية بدأت تتأدب، لأن هذه القضية كانت قضية مصيرية حاسمة تتعلق بالبقاء والعدم آنذاك، حيث كان التوحيد من العجب العاجب في ذلك الزمان.

وكل من واجههم القرآن بدعوته إلى التوحيد الخالص لم يكونوا من هؤلاء العرب المشركين بالله فحسب، وإنما كان هناك من أهل الكتاب، وهؤلاء كانوا يكرهون أن يأتي دين جديد يقضى على دينهم ويرحل على رجل ليس منهم، ولو كان هذا الدين متفقا مع دينهم في الأساس ( وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا، كفروا به... ) وكذلك يجب أن نلاحظ أن هذا الاتفاق كان في أصول الدين، لا في عقائد أهله حينذاك، فهؤلاء اليهود كانوا يقولون: (عزيز بن الله) وهؤلاء النصارى كانوا يقولون: (المسيح بن الله) وهؤلاء وأولئك كانوا يقولون: (نحن أبناء الله وأحباؤه) أو (لن تمسنا النار إلا أياما معدودات) كما نرى أقوالهم في القرآن في عدة مناسبات وفي شتى الصور.

وعلى الرغم من أن عقيدة التوحيد من الأمور البديهية اليوم إلا أنها لم تكن سهلة على هذه الإنسانية التي عقليتها كانت تمر بمرحلة الطفولة، والتي تعلقت بشقى مظاهر الطبيعة، وشقى أطراف الجاهول، والتي لا بست حياتها آلاف الظواهر الخارقة، و آلاف الوجدانات الباطنة أن تتخلى عن هذا التشبث العميق في ضمائرنا، وأن تفرغ إلى الإيمان ياله واحد له سلطة عليا على هذه القوى ومظاهر الأعمال الخارقة كلها. وفي الواقع أن الأديان كلها قبل الإسلام كانت تنادي بعقيدة التوحيد مثلما ينادى بها الدين الإسلامي الحنيف، لكنها قد وجدت من العنت والتمرد مثلما واجه الإسلام، إلا أن الإسلام يدعو إلى التوحيد الخالص والتبره المطلق، فواجه ولا يزال يواجه معارضة عنيفة لما استقر في النفوس من عناصر التجسيم والتشبيه في العقيدة عند متبعي الديانات كلها، وخاصة الهندوكية والبوذية والنجوسية أو المزدكية واليهودية والنصرانية وغيرها فانحرفت وتسببت في إشراك آلهة متعددة في عبادة الإله الواحد، وكانت دعوة القرآن الكريم إلى عقيدة التوحيد الخالص المجرد والمره من كل الشوائب التجسيم والتمثيل. ومعلوم أن موطن العقيدة هو الضمير والوجدان، وأقرب الطرق إلى الضمير هو البدهة، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس. وما الذهن في هذا المجال سوى منفذ واحد من منافذ كثيرة كما أنه ليس أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقا (التصوير الفني ص: ٢٢٧ - ٢٢٨) بتصرف. (١٩)

وبعض الناس يبالفون من أهمية هذا الذهن في العصر الحديث بعد أن فتن الناس بآثار الذهن في المخترعات والمصنوعات والكشوف، حتى بعض رجال الدين من البسطاء الذين تجههم هذه الفتنة يؤمن بها ويحاول أن يدعم الدين بتطبيق نظرياته على قواعد المنطق الذهني أو التجريب العلمي.

إن هؤلاء - حسب اعتقاد سيد قطب - يرفعون الذهن إلى آفاق فوق آفاقه. فالذهن الإنساني خليق بأن يدع للمجهول حصته، وأن يحسب له حسابه. لا يدعو إلى هذا مجرد القداسة الدينية ولكن يدعو إليه اتساع الآفاق النفسية، وتفتح منافذ المعرفة (فالمعقول) في عالم الذهن و (المحسوس) في تجارب العلم ليسا هما كل (المعروف) في عالم النفس وما العقل الإنساني - لا الذهن وحده - إلا كوة واحدة من كوى النفس الكثيرة ولن يغلق الإنسان هذه المنافذ على نفسه، إلا وفي نفسه ضيق، وفي قواه انحسار، لا يصلح بهما للحكم في هذه الشؤون الكبار (التصوير الفني ص: ٢٢٨) بتصرف.

واستطرد قائلا: (فلندع الذهن يدبر أمر الحياة اليومية الواقعة أو يتناول من المسائل ما هو بسبب من هذه الحياة. فأما العقيدة فهي في أفقها العالی هناك، لا يرقى إليه إلا من يسلك سبيل البدهة، ويهتدى بهدى البصيرة، ويفتح حسه وقلبه لتلقى الأصداء والأضواء.

ولقد آمن بالبداهة والبصيرة - ولا يزال يؤمن - العدد الأكبر من المؤمنين بكل دين وعقيدة في الوجود، ولقد ظل علماء الكلام في الإسلام قرونا كثيرة يبدؤون ويعيدون في الجدل الذهني حول مباحث التوحيد فلم يبلغوا بذلك شيئا مما بلغه منهج القرآن الوجداني في بضع سنين.

لقد عمد القرآن دائما إلى لمس البداهة وإيقاظ الإحساس لينفذ منهما مباشرة إلى البصيرة، ويتخطاهما إلى الوجدان. وكانت مادته هي المشاهد المحسوسة والحوادث المنظورة أو المشاهد المشخصة والمصائر المصورة كما كانت مادته هي الحقائق البديهية الخالدة، التي تتفتح لها البصيرة المستتيرة، والتي تدركها الفطرة المستقيمة.

أما طريقته فكانت هي الطريقة العامة : طريقة التصوير والتشخيص بالتخييل والتجسيم بمعناها الفني لا بمعناها الديني بطبيعة الحال - إذ الإسلام هو دين عقيدة التوحيد -

كان هذا هو منهج القرآن الوجداني الذي جادل به، وناضل، وكسب المعركة في النهاية. وفي هذا المنهج اشتركت الألفاظ المعبرة، والتعبيرات المصورة، والصور الشاخصة، والمشاهد الناطقة، والقصص الكثيرة التي يتحدث عنه القرآن.

وكل ما عرض من مشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب، يعد في جملة هذا المنهج الذي يلمس الحس ويوقظ الخيال فيلمس البصيرة، ويوقظ الوجدان ويهيم النفس للاقتناع والاذعان، ثم سلك القرآن طريق الجدل التصويري في منهجه الوجداني الذي نحن بصدد.

كانت القضية الأولى التي واجهها الإسلام هي قضية التوحيد - كما قلنا - مع جماعة تنكر هذا التوحيد أشد الإنكار وتعدده إحدى الأعاجيب الكبار. فلننظر كيف واجههم القرآن في هذه القضية المعقدة، وكيف استعرضها سيد قطب في (التصوير الفني).

لقد تناووا (على حد قوله) ببساطة ويسر وخاطب البداهة والبصيرة بلا تعقيد كلامي ولا جدل ذهني.

والقضية الثانية من قضايا الإيمان بالغيب التي أراد أن يعالجها القرآن هي قضية البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجزاء، مع هؤلاء الذين يقولون: (إن هي إلا حياتنا الدنيا، نموت ونحيا، وما نحن بمبعوثين) وحكاية البعث كانت من العجب أشد مما كانت حكاية الإيمان بإله واحد. وهؤلاء يظنون أن من يذهب إلى هذه القضايا التي تتعلق بالإيمان بالغيب هو مجنون: (وقال الذين كفروا: هل ندلكم على رجل ينبؤكم - إذا مزقتم كل ممزق - إنكم لفي خلق جديد؟ افترى على الله كذبا، أم به جنة؟ ) فكانوا يتناولون حكاية البعث والنشور بهذا الحد والغرابة، فكيف جادلهم في هذه القضايا الغريبة؟ إن القرآن الكريم عرض عليهم صور الخلق الظاهرة الخفية، وبسط لهم نشأة الحياة في الأرض عامة، وفي الإنسان خاصة ليروا أن الذي بدأ الخلق هو قادر على أن يعيده: (أفبعينا بالخلق الأول، بل هم في لبس من خلق جديد).

فعرض عليهم مشاهد الحياة في الأرض وفي الإنسان بالصور البيانية المعهودة (قتل الإنسان ما أكفره! من أى شيء خلقه؟ من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره، ثم أماته فأقبره، ثم إذا شاء أنشره، كلا لما يقض ما أمره، فلينظر الإنسان إلى طعامه، إن صبينا الماء صبا، ثم شققنا الأرض شقا، فأنبثنا فيها حبا وعبسا وقصبا، وزيتونا ونخلا، وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا، متاعا لكم ولأنعامكم) أو بهذه الصور التي يجد فيها كل من يفكر ويعقل في دنياه آيات دالة على الاقتناع.

(يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى، ويحيى الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون. ومن آياته أن خلقكم من تراب، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، ومن آياته خلق السماوات والأرض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون. ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا، ويول من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون).

فنرى أن القرآن يعرض على هؤلاء دائما مشاهد مألوفة: محسوسة أو معروفة، تطالع حواسهم في كل لحظة، وتواجه بديهتهم في كل نظرة وتتصل بحياتهم ومعاشهم ثم تربط معاشهم بمعادهم، وهكذا تلمس شعورهم ووجدانهم، وتسلك طريقها إلى نفوسهم ببساطة ويسر. وهو يوجههم إلى هذه المشاهد كأنها مشاهد جديدة - وإن مشاهد الطبيعة لجديدة متجددة دائما أبدا عند كل من ينظر إليها بحس مرهف وعيون مفتوحة - دون أن يثير ذلك العرض الجدل الذهني، الذى قد يعتمد على المهارة، أكثر مما يعتمد على الحقيقة - على حد قول سيد قطب في كتابه (التصوير الفنى في القرآن ص: ٢٣٥) ولقد يتخطى القرآن بطريقة التصوير والتمثيل والتخييل كلها حدود منطقة الذهن ومنطقة الحواس جميعها ليتصل مباشرة بمكن العقيدة، حيث تتصل النفس مباشرة بالجهول، وتجد في غموضه وبعده عن الحس والذهن ملاذا ومتاعا مجتمعين. (٢٠)

(ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض، والطير صسافات. كل قد علم صلاته وتسبيحه؟)

(تسبح له السماوات والأرض، ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم).

(الذين يحملون العرش من حوله، يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به، ويستغفرون للذين آمنوا، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك، وقهم عذاب الجحيم. ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم، ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، إنك أنت العزيز الحكيم. وقهم السينات ومن تق السينات يومئذ فقد رحمته، وذلك هو الفوز العظيم).

فترى أنه يوقع هذا التصوير والتخييل في النفس تلك الرهبة التي تحسها أمام مجهول، وتلك اللذة التي تستشعرها وهي تجول في ذلك العالم المجهول. وهكذا نراه يلمس الوجدان ويملأ النفس بالإيمان بالغيب، والغيب هكذا قد يكون محسوسا رغم أنه مجهول:

(إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) فهذا دليل على علمه تعالى بكل خفي. وهو دليل وجداني واقع لا يتعب الذهن في فهمه وتخريجه، ومثل هذا في محيط أوسع ويتصوير أروع.

(وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس، إلا في كتاب مبين).

ففي هذه الكلمات القلائل، تعبير قوى رهيب عن شمول علم الله، اختير أفضل الألفاظ المعبرة والأدوات المصورة للتعبير والتصوير. وهذا التعبير ليس مجرد تعبير عن معنى علم الله الدقيق الواسع، وإنما هي صورة بيانية تخيلية مدهشة، نرى فيها أن الخيال ليرود آفاق الدنيا كلها، ومجاهلها جميعا، ليتبع هذه الأوراق الساقطة، وتلك الحبات المخبوءة المشمولة في مجاها ومخابئها بعلم الله، ثم يرجع إلى النفس، فيغطيها بالجلال والخشوع، ويتوجه بها إلى الله الذي يحيط بعلم هذه الجاهل والآفاق كلها.

ذلك هو المنطق الوجداني والجدل التصويري، وما الذهن إلا قوة صغيرة محدودة. لقد لمس القرآن وجدان الإنسان بطريقة التصوير فبلغ الهدف والغاية، وجمع بين الغرض الديني والغرض الفني من أقرب طريق ومن أرفع طريق.

#### أ. أسلوب القرآن في التعبير والتصوير:

إن للقرآن طريقة موحدة في التعبير يستخدمها في جميع الأغراض على السواء، حتى أغراض البرهنة والجدل. وحين نقوم بتقييم هذه الطريقة والأهداف الدينية التي جاء القرآن لتحقيقها، والموضوعات الإلهية والتشريعية التي تناوها نرى فيها ما من دقة وعظمة وصلحية ومرونة، وإحاطة وشمول، نحسب أن هذه كلها ميزة القرآن الكبرى، وأن طريقة التعبير القرآنية تابعة لها. وأن الإعجاز كله كامن فيها، ورغم ذلك نرى أن بعض الجدلين يفرق بين المعاني وطريقة الأداء، ويتحدث عن إعجاز القرآن في كل منهما على انفراد. ولكننا نحن نزيد من يقول: "إن الطريقة التي اتبعها القرآن في التعبير، هي التي أبرزت هذه الأغراض والموضوعات. وهنا يقول سيد قطب أيضا: فأين منه ذلك الجدل الذهني الذي ظل علماء الكلام يبدئون فيه ويعيدون قرونا من الزمان؟ وقد تناول سيد قطب في هذا الصدد جهود النقاد العرب من البلاغيين بالنقد

الشديد واعتبرها المباحث العقيمة حول اللفظ والمعنى قائلاً: "وقد استغرقت من النقاد العرب ما استغرقت منذ أن أثارها الجاحظ، الذي قال: إن المعاني مطروحة في الطريق، ثم تابعه في البحث ابن قتيبة، وقدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري وغيرهم مخالفين ومؤيدين.

ولكنه يحسب أن عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) قد وصل إلى رأى حاسم حين انتهى إلى القول إن اللفظ وحده، لا يتصور عاقل أن يدور البحث حوله من حيث كونه لفظاً منفرداً، وإنما يدور البحث فيه من حيث دلالاته على المعنى. وإن المعنى وحده لا يتصور عاقل أن يدور البحث حوله من حيث هو خاطر في الضمير. إنما يدور البحث فيه من حيث أنه يتمثل في لفظ. وأن المعنى مقيد في تحديده بالنظم الذي يؤدي به. فلا يمكن أن يختلف النظمان، ثم يتحد المعنى تمام الاتحاد، ورغم أنه يحسب أسلوب عبد القاهر في قضية اللفظ والمعنى أسلوباً معقداً إلا أنه يعترف بفضل العظيم في تقرير هذه القضية، ويقول: (ولو خطأ خطوة واحدة في التعبير الحاسم عنها، بلغ الذروة في النقد الفني) فتقول (إن طريقة الأداء حاسمة في تصوير المعنى، وإنه حينما اختلفت طريقتان للتعبير عن المعنى الواحد اختلفت صورتا هذا المعنى في النفس والذهن. وبذلك تربط المعاني وطرق الأداء ربطاً لا يجوز الحديث بعده عن المعاني والألفاظ كل على انفراد. فيجب أن نلتفت إلى فضل الطريقة التصويرية في القرآن. فهذه الطريقة هي التي جعلت للمعاني والأغراض والموضوعات القرآنية صورتها التي نراها في ثوبها. ومن هذه الصورة البيانية كانت قيمتها الكبرى.

#### ب. سمات القرآن في التعبير والتصوير:

إن سمات التعبير والتصوير في القرآن عديدة، وقد تناولها كثير من الأدباء والباحثين مثل الأستاذ سيد قطب الذي تناول هذه السمات بشئ من التفصيل في (التصوير الفني في القرآن).

١. يقول سيد قطب: (لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية، وإبرازها في صور حسية، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية، والحوادث الماضية، والقصص المروية، والأمثال القصصية، ومشاهد القيامة، وصور النعيم والعذاب، والنماذج الإنسانية. كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخييل الحسي الذي ينعمها بالحركة المتخيلة.

بهذه الطريقة يخاطب القرآن الحس والوجدان، ويصل إلى النفس من منافذ شتى من الحواس بالتخييل. ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداغ والأضواء، ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها إلى النفس لا منفذاً المفرد الوحيد. ولهذا الطريقة فضلها، ولا شك في أداء الدعوة لكل عقيدة، ولكننا نحن الآن نتحدث من الوجهة الفنية، وإن لها لشأن عظيم في

القرآن. فوظيفة الفن الأولى هي إثارة الانفعالات الوجدانية، وإشاعة اللذة الفنية بهذه الإثارة، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات، وتغذية الخيال بالصور لتحقيق هذا جميعه.. وكل أولئك تكفله طريقة التصوير والتشخيص للفن الجميل.

٢. إن المعاني الذهنية والحالات المعنوية، لم تستبدل بما صور فحسب، ولكن أختيرت لها صور حية، وقيست بمقاييس حية ومرت من خلال وسط حي.

فهول الساعة العظيم يصور في ذهول المرضعات عما أرضعن وتغلى الحاملات عن حملهن، و ترنح السكارى وما هم بسكارى، ويقاس بمدى فعل الهول في هذه النفوس الآدمية لا بالألفاظ والأوصاف التجريدية أو يصور في فرار المرء من أخيه وأمه وأبيه، وفصيلته التي تؤويه حيث يكون (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) فهو يقاس بأثره في النفس الإنسانية لا بالمقاييس الأخرى الوصفية. فإذا اشتركت الجوامد في تصوير هذا الهول خلعت عليها الحياة أو أشرك معها الأحياء: (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) فهي حية ترجف كالآدميين. أو (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا. والسماء منفطر به) فالسماء المنفطرة بجوارها الأطفال الشيب...

وهول الطوفان يصور في الطبيعة، وإلى جانبها يصور في والد وولده: (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وإن الهول هنا ليكاد يكون أعظم من الهول في الطبيعة: (وهي تجرى بهم في موج كالجبال) فما كان الموج في المشهد إلا إطارا للهول النفسى الذى يفرق بين الابن وأبيه، ويفصم الصلة التي لا تفصمها الأهوال عادة. وهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل في القرآن، تناوها كل من أراد أن يقدم الصور الفنية الساحرة، فيها روح القصة، وفيها تخيل قوي، وهي في حاجة إلى ريشة مبدعة، لو أريد تصويرها بالألوان، وإلى عدسة يقظة، لو أريد تصويرها بالحركات.

٣. و سمة ثالثة هي سمة التعبير في القرآن، إن هذه الريشة المبدعة ما مست جامدا إلا نبض بالحياة، ولا عرضت مألوفاً إلا بدا جديداً. وتلك قدرة قادرة، ومعجزة ساحرة، كسائر معجزات الحياة:

- الصبح مشهد مألوف مكرور، ولكنه في تعبير القرآن حتى لم تشهد من قبل عينان. إنه (الصبح إذا تنفس).
- والليل آن من الزمان معهود، ولكنه في تعبير القرآن حتى جديد (والليل إذا يسر) وهو يطلب النهار في سباق جبار (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً).



- والظل ظاهرة تشهد وتعرف، ولكنه في تعبير القرآن نفس تحس وتتصرف: (وظل من محمود لا بارد ولا كريم).
- والجدار بنية جامدة كالجلمود، ولكنه في تعبير القرآن يحس ويريد: (فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه).
- والطيور بنية حية ولكنها مألوفة لا تلفت الإنسان. أما في تعبير القرآن فمشهد رائع يثير الجنان: (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن. وما يسكنهن إلا الرحمن). والأرض والسماء، والشمس والقمر، والجبال والوديان، والدور العامرة، والآثار الدائرة، والنبات والحيوان، والأشجار والأفنان... كل أولئك أحياء أو مشاهد تخاطب الأحياء. فليس هناك جامد ولا ميت بين الجوامد والأشياء.
- تلك هي طريقة القرآن. وإنما لفن قائم وحده إزاء المعاني والأغراض، وهو في أفقه الرفيع، كفاء تلك المعاني، وصنو هذه الأغراض.
- فأدلة الله على توحيده، وما أخبر به من المعاد، وما نصبه من البراهين لصدق رسله لا تفتقر إلى قياس شمولى أو تمثيلى، بل هي مستلزمة لدلوها عينا، والعلم بما مستلزم للعلم بالمدلول، و انتقال الذهن منها إلى المدلول بين واضح كانتقال الذهن من رؤية شعاع الشمس إلى العلم بطلوها، وهذا النوع من الاستدلال بدهى في إدراكه لكل العقول.

## خاتمة:

و في ختام حديثنا نقول نحن لسنا مع هؤلاء الذين يقولون إن العلوم البلاغية لم تمتلئ بالخطأ والتقصير فحسب، بل هي أخذت وجهة خاطئة منذ بدايتها، فكان من المستحيل أن تنتج شيئا ذا قيمة في تذوق الأدب والكشف عن جماله الحق. هذه العلوم قد دونها في الأغلب رجال من المتكلمين الأعاجم الذين ضعف نصيبهم من السليقة العربية، باقتفاء أثر أرسطو فيما ألف من الشعر والخطابة والمنطق، وتشربوا مما ترجم من الفلسفة اليونانية وما تولد منها، وبنى عليها في الحواضر الإسلامية من الفلسفة والكلام والفقه والأصول وشق فروع الجدل الفكري الخوض في الثقافة الإسلامية الناشئة.

لأننا نرى أن هؤلاء يجعلون تلك الجهود كلها ضائعة، أو يقللون أهميتها سواء كانت تلك الجهود بذلت من الأعاجم أو من العرب لأن العلوم العربية ازدهرت في العصر العباسي بعد أن تمخضت منها الكتب القيمة هؤلاء الذين حددوا أساسا لعقيدة الإسلام أو نظاما محمدا له، ونجحوا في الدفاع ضد الزنادقة والملحدن والمشركين من المزدكية والمانوية والسبئية دفاعا شديدا حيوية، لا نكاد نعرف له مثيلا قط في تاريخ الفرق الدينية. ولا شك أن الإسلام قد سيطر على ساحات شاسعة إثر فتحه العظيم، وحل محل معتقدات قديمة، وديانات عتيقة، واكتسح تماما آثار الفكر القديم، فاعتقه كثيرون من اليهود والمسيحيين، وانتشر المزدكيون واتباعوا المانوية والسبئية بين المسلمين، وقد حملت هذه العناصر الأجنبية أفكارها ومذاهبها التي أثارت العالم الإسلامي. فحاول هؤلاء البلاغيون و علماء الكلام إقناع خصومهم، واستطاعوا بموهبتهم البارزة في الجدل والمناظرة الانتصار عليهم في النهاية.

والحق أن ترجمة الكتب إلى العربية كانت عاملا قويا من العوامل التي دفعت النقد العربي القديم في العصر العباسي إلى الأمام، وذلك لأنه قد انتقلت بترجمتها مظاهر أدبية ونقدية كان لها أثرها في الحركة العقلية للنقد، فوضعت النظريات، واستخدم المنطق في الجدل والحوار، وألفت الكتب النقدية التي تذخر بالمناهج العلمية والعقلية التي أسسها النقاد العرب. وقد ظهر أثر ذلك واضحا أيضا في تطور النقد العربي، وخاصة الأثر اليوناني ( المنطق والفلسفة ) وأول ما ظهر أثرهما كان عند المتكلمين الذين رأوا حاجتهم الملحة للفلسفة حتى يدفعوا المطاعن عن القرآن الكريم، فاستطاع علماء المسلمين عن طريق دراسة المنطق والفلسفة وبصفة خاصة كتابي ( الشعر ) و ( الخطابة ) لأرسطو أن يخرجوا بالنقد العربي من الجو العربي الخالص، إلى آفاق واسعة، فيها كثير من العلل والقياسات العقلية والمنطقية ذات السمات اليونانية، وظهر أثر هذا في القرن الرابع الهجري بوضوح عند قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) و (كتاب نقد النثر) المنسوب إليه، رغم أن مؤلفه هو (ابن وهب) كما ظهر عند الروماني في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) وظهر ذلك عند نقاد القرن الخامس الهجري كالباقلائي في (إعجاز القرآن) وابن سنان الخفاجي في (سر الفصاحة).

ومن أهم العوامل التي أثرت في تطور النقد العربي القديم في العصر العباسي القرآن الكريم، فقد كان له أثرا مباشرا وأثرا غير مباشر، أما الأثر المباشر، فبفضل جهود العلماء الذين تعرضوا لأسلوب القرآن، وبيان جوانبه البيانية، محاولين إعجازه البياني بمقارنة الشعر العربي، وخصائص البيان العربي بصفة عامة، واستخدموا في ذلك الوسائل التي استخدمها نقاد الشعر، بل إن بعض الدراسات القرآنية في القرن الثالث الهجري قد استخدمت من المصطلحات البيانية ما لم يكن شائعا حتى ذلك الوقت في دراسات نقد الشعر مثل كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (أثر القرآن في تطور النقد العربي/ د. محمد زعلول سلام ص: ١٠١ ط. دار المعارف)، واختلطت مقاييس النقد بالدراسات القرآنية، فاستخدم علماء الإعجاز مصطلحات البديع وأبوابه في كشف بديع أسلوب القرآن للتوصل إلى إعجازه ومن هنا أثر القرآن في مناهج النقاد، ودفعهم إلى بيان أوجه الإعجاز، فأقبلوا على إثبات إعجازه، وسمو بيانه على الشعر العربي، وعقدوا لذلك المقارنات، كما فعل الباقلاني الذي عاب تحكيم البديع في بيان القرآن. (٢١)

وأما عن الأثر غير المباشر فقد جاء عن طريق ترفيق القرآن لأذواق النقاد، بما جرى به أسلوبه من الصياغة الرائقة والصور الجميلة ذات التشبيهات والاستعارات الرائعة، مما جعل العلماء يستشهدون بصياغته، وتشبيهاته على كل جيل، وصارت شواهد القرآن في مقدمة الشواهد الأدبية في كتب النقد والبلاغة.

ثم إن المذاهب والنظريات تمثل دائما روح عصرها، فالمذهب الكلاسيكي يمثل روح عصره، وقام المذهب الرومانيكي بعد موته، فلكل عصر منطق، فالنقد الأدبي القديم أو النقد البلاغي العربي يمثل عصره له منطق، والنقد الحديث له منهجه. ولا إنكار أن النقد الأدبي قديما وحديثا قد ازدهر باتصاله بالآداب الغربية كما ازدهرت الآداب العربية باتصالها بالآداب الشرقية، والبحوث الأدبية يجب أن تكون خالية من نزعات الشعوبية والغرور القومي والتعصب الأعمى.

وكذلك نحن لانوافق على من يقول أن الكتب البلاغية أفسدت الأذواق العربية بدلا من تربيته وتتميتها، ونقول له يجب ألا نشك في نية المتقدمين من النقاد البلاغيين الذين أضافوا إلى المكتبة العربية والإسلامية إضافات جديدة قيمة بجهودهم الضخمة، فبدلا من أن نعرف بعقريتهم في هذا المضمار، كيف يمكن أن نلومهم و نضعهم في قفص الاتهام بأنهم استخدموا المنطق الأرسطي، نعم.. استخدموه ليمكنوا من الرد على منطق أعداء الإسلام بلسان منطقهم العقلي، ولأن ذلك العصر كان لا يفهم أى منهج سوى المنطق الأرسطي، وكذلك نحن لا نستسلم لمن يتهم بأن الإسلام بعجزه عن أن يسمع أو يقبل أى عنصر من الحياة المدنية والاجتماعية نزع من أرضه كل بذرة للثقافة العقلية، كما قال (رينان) وتحدث تلميذه (جويتيه)

بنفس الأسلوب، فيؤكد أن (العقيدة الإسلامية أقل قابلية من أى دين آخر لمبادرات العقل الإنساني) فلا شيء أكثر خطأ من ذلك. فقد رأينا العقل يدخل مجال العقائد، مثلما دخل المجال الفقهي في الإسلام. بل إن العقل يتفوق في هذا المجال الأخير لتكوين القياس والاستدلال بالشبه، وفي المجال الأول لتكوين الأدلة البرهانية.

و كذلك نحن لسنا مع هؤلاء الذين يقولون إن الجهود البلاغية مضللة، أو لم تنتج شيئا ذا قيمة، أو جهود ضائعة، ونحن على يقين أن هؤلاء لا يشعرون بخطورة هذه الجمل الصارة الخطيرة للغاية، التي يمكن أن يبتعد بها الدارس المسلم عن كتب المتقدمين القيمة، ولا يلتفت إليها قط إهمالا لتلك الجهود الضخمة التي لم تفقد فاعليتها حتى الآن، لأنها تتناول قضايا الإيمان بالغيب التي كانت ولا تزال قائمة، ولم يقدم المشركون بالله أو الملحدون من الماديين الوجوديين في العصر الحديث - حتى الآن - أى حل مقنع تجاهها سوى إنكار وجود واجب الوجود، كما نرى عند (نيتشة) و (فولتر) و (سارتر) و (كيراكجورد) و (هايدجار) و (كاسبار) و (جبريل مارسل) وغيرهم. ثم هذه الجمل خطيرة جدا، لأنها تقدم بناء الفكر الإسلامي القديم الموروث، ولأنها تتعارض مع هدف المسلمين المنشود الذين يبذلون قصارى جهودهم لإحياء التراث العلمي والثقافي لأجدادهم المسلمين المفكرين العباقرة الذين ساهموا في تأسيس بناء الثقافة الإسلامية بناء محكما.

ويحق القول بأن العالم الإسلامي قد احتوى على تقليديين وأحرار، محافظين ومجددين، لكن هذه العناصر المتعارضة تعتبر ضرورية لكل مجتمع و في كل عصر من عصور تاريخ المجتمعات البشرية.

و الذى يقول اليوم إن الجهود البلاغية هي عقيمة، يجب ألا ينسى مفهوم الأدب في العصر الحديث عند أساتذته الغربيين، الذين قال بعضهم إن الأدب هو: (الجنس والعصر والبيئة) فيجب أن يقوم الأستاذ الناقد بتقييم تلك الجهود البلاغية في عصورها، التي بذلت من قبل علماء البلاغة العربية آنذاك. و كيف نقول إن تلك الجهود عقيمة أو كانت عقيمة و هي ترمى إلى هدف منشود، و هو إغناء العلوم و المعارف و الآداب الإسلامية، بل هي التي تمخضت منها العلوم العربية و الإسلامية و ازدهرت، حتى بدأت تعرف بها تلك العصور بعصور فضائها الزاهية. فللكل عصر منطقه الخاص، و لكل مذهب تعبيره الخاص لتصوير حالسة نفسية معينة لعصر معين.

و لا إنكار من أن الإعجاز ليس منحصرًا في قضية (اللفظ و المعنى) التي أثارها الجاحظ، و جادل فيها كثير من علماء البلاغة العربية لمدة طويلة، و لكن معرفة هذه القضية مهمة جدا لإدراك التأثير الوجداني في الكلام، لأن التأثير الوجداني لا يمكن تصوره من غير أدوات التعبير و التصوير التي تتكون منها الصور البيانية التي فصل فيها عبد القاهر الجرجاني كلامه بعنوان: (باب النظم و النحو) في كتابه (دلائل الإعجاز).

فنحن نشكر هؤلاء العلماء العباقرة و نعترف بفضلهم الذين ساهموا في وضع حجر أساس للفلسفة الإسلامية، و خاصة ابن سينا و الفارابي و الكندي و ابن رشد و قدامة بن جعفر و ابن وهب و الجاحظ و العسكري و الباقلاني و الروماني و الجرجاني و غيرهم من علماء البلاغة و علم الكلام الإسلامي، سواء كانوا من المعتزلة أو من الأشاعرة، الذين انتصروا على خصومهم بمنطقهم العقلي و منهجهم الجدلي، و حافظوا على عقيدة دينهم الإسلامي الحنيف بسلاحهم المنطقي، و كانت لهم مواقف جليلة و بصمات واضحة في حماية كيان دينهم الإسلامي، و الدفاع عن عقيدتهم بكل إخلاص و حماس و أمانة و غيره إيمانية تتجلى من كل كلمة خرجت من ألسنة أعلامهم.

## مراجع البحث:

١. (البحث الأدبي / للدكتور شوقي ضيف ص: ٨١).
٢. (المرجع نفسه ص: ٨٢-٨٣).
٣. (الأدب وفنونه / د. محمد مندور ص: ٦ فضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة).
٤. (مجلة الثقافة عدد ٦٥ فبراير ١٩٧٩ القاهرة).
٥. (ضحى الإسلام ج ١ ص: ٢٧٤).
٦. (المقدمة لابن خلدون ص: ٥٠٠).
٧. (نظرية الجرجاني في أسرار البلاغة ص: ٦٩).
٨. (النقد المنهجي عند العرب ص: ٥٤).
٩. (إلى طه حسين ص: ٨٧).
١٠. (النقد الأدبي عند اليونان ص: ٢٤٦).
١١. (إعجاز القرآن / الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ص: ٢٥٦ دار الكتاب العربي - بيروت عام ١٩٩٠م و١٤١٠هـ).
١٢. (مباحث في علوم القرآن / مناع القطان ص: ٢٦١ من مطبعة منشورات العصر الحديث عام ١٩٧٣م / ٥١٣٩٣).
١٣. (مناهل العرفان في علوم القرآن) لعبد العظيم الزرقاني صفحة (٤١٢ - ٤١٣).
١٤. (إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق / د. حفي محمد شرف ص: ٩-١٠).
١٥. (علوم القرآن / مناع القطان ص: ٢٦٠).
١٦. (البرهان ص: ١٠١ وبعدها، ج. ٢).
١٧. (مباحث في علوم القرآن ص: ٢٦٧ / مناع القطان منشورات العصر الحديث).
١٨. (علوم القرآن للإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ص: ٥٧-٧٢ الطبعة الأولى من مؤسسة الكتب الثقافية عام ١٤١١ - ١٩٩١).
١٩. (التصوير الفني في القرآن للأستاذ سيد قطب ص: ٢٢٧ - ٢٢٨).
٢٠. (المرجع نفسه ص: ٢٣٥).
٢١. (من مظاهر النقد الأدبي عند العرب، د. رفعت زكي محمود عفيفي ص: ١٢٠ دار الطباعة المحمدية ١٩٩٠).

**إعجاز القرآن الكريم في الميراث  
(نموذج للإعجاز القرآني في الاقتصاد)**

د. رفعت السيد العوضى





## استهلال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ )

[النساء: ١٣-١٤]

## المبحث الأول

عن موضوع البحث وتصنيفه الإعجازي  
وأسلوب الدراسة

أولاً: موضوع البحث وأهميته

يخصص هذا البحث لموضوع الميراث. المدخل الذي اختير للحديث عن هذا الموضوع هو اكتشاف أوجه الإعجاز القرآني التي تتضمنها آيات الميراث والتي جاءت في سورة النساء. يستنتج من ذلك أنه وإن كان موضوع البحث هو الميراث إلا أنه لا يوجه لتقديم دراسة عن الأحكام الفقهية المنظمة للميراث. العنوان الذي يحمله البحث هو إعجاز القرآن الكريم في الميراث. وأهمية هذا الموضوع تجمع في العناصر التالية.

١- موضوع الميراث في حد ذاته له أهمية. الميراث هو الفريضة التي ينظم بها الإسلام انتقال الثروة وتوزيعها بعد وفاة صاحبها. انتقال الثروة وتوزيعها موضوع له أهميته الاقتصادية والاجتماعية بل والسياسية.

٢- التعريف بالميراث له أهميته في حد ذاته، وقد ازدادت هذه الأهمية في العصر الحاضر وخاصة مع محاولة فرض العولمة ونظامها الاقتصادي على العالم الإسلامي، إن العولمة تهاجم الإسلام والمسلمين على محاور متعددة، منها محور الميراث. تستهدف العولمة إقصاء نظام الميراث الإسلامي وإحلال نظام آخر يحل محله هو نظام يضعه الإنسان (الغربي أو من ينتهج منهجه). تقتضي الدقة أن نقول إن العولمة تستهدف إقصاء نظام الميراث الإسلامي وأن يحل محله (لا نظام)؛ أي لا نظام ينظم انتقال الثروة ميراثاً. يقوم دليلاً على هذا الذي قلناه من أن العولمة تستهدف إقصاء نظام الميراث الإسلامي، هذه الأقلام التي تهاجم نظام الميراث الإسلامي، والمؤتمرات (المشبوّهة) التي نصبت نفسها لعدائه، وأخطر هذه المؤتمرات هو مؤتمر المرأة في بكين والذي عقد في نهاية القرن العشرين تحت راية الأمم المتحدة حيث جرت محاولة في هذا المؤتمر لاستصدار توصية (ملازمة) ضد نظام الميراث الإسلامي. من أخطر الشواهد على صحة ما نقول من أنه تبذل جهود لإقصاء نظام الميراث الإسلامي ما حدث في بلاد إسلامية من إصدار قوانين تنظم الميراث على خلاف ما جاء به الإسلام.

٣- التعريف بالمراث له أهمياته في حد ذاته، وله أهمياته في التصدى للحملة التي تستهدف إقصاءه، يضاف إلى هذه الأهمية أهمية أخرى هي اكتشاف أوجه الإعجاز التي حملتها آيات القرآن الكريم التي تولت بالمراث. تكشف أوجه الإعجاز عن عناصر تفوق جديدة لنظام المراث الإسلامي. التعريف بالمراث من خلال الإعجاز القرآني في آياته يثرى الدراسات القرآنية ويثرى في نفس الوقت الدراسات الخاصة بالمراث.

٤- من العناصر التي تدخل في أهمية هذا البحث أن التعرف على المراث في منهجه المتكامل كما جاء في القرآن الكريم يمكن من اكتشاف تفوقه كنظام اقتصادي واجتماعي. هذا الجانب يتكامل مع الدراسات الفقهية.

#### ثانياً: موقع هذا البحث في الدراسات عن الإعجاز القرآني

لأجل التعرف على موقع هذا البحث في الدراسات عن الإعجاز القرآني أرى أن تناقش العناصر

الثلاثة التالية:

أوجه الإعجاز التي سبق القول بها في الدراسات القرآنية

- الإعجاز في المنظومة المعرفية التي تتبناها الدراسة

- الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية والتي يدخل فيها المراث

١- أوجه الإعجاز التي قال بها علماء الدراسات القرآنية

في كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز عرض مؤلفه أقوال العلماء في وجوه إعجاز القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

القول الأول: وجه إعجاز القرآن إنما هو الأسلوب فأسلوبه مخالف لسائر الأساليب الواقعة في الكلام كأسلوب الشعر وأسلوب الخطب والرسائل.

القول الثاني: وجه إعجاز القرآن إنما هو خلوه عن المناقضة.

القول الثالث: وجه إعجاز القرآن اشتماله على الأمور الغيبية.

القول الرابع: وجه إعجاز القرآن هو الفصاحة، وفسرت بسلامة الألفاظ عن التعقيد.

- القول الخامس: الوجه في الإعجاز هو اشتماله على الحقائق وتضمنه للأسرار والدقائق التي لا تزال غضة طرية على وجه الدهر ما تنال لها غاية ولا يوقف لها على نهاية.
- القول السادس: الوجه في إعجازه هو البلاغة. وفسرت باشماله على وجوه الاستعارة والتشبيه والفصل والوصل والتقديم والتأخير والإضمار والإظهار إلى غير ذلك.
- القول السابع: الوجه في إعجازه هو النظم، فنظمه وتأليفه هو الوجه الذي تميز به من بين سائر الكلام.
- القول الثامن: وجه إعجازه هو ما تضمنه من المزايا الظاهرة والبدايع الرائقة في الفواتح والمقاصد والخواتيم في كل سورة وفي مبادئ الآيات وفواصلها.
- القول التاسع: وجه إعجاز القرآن هو مجموع هذه الأمور كلها فلا قول من هذه الأقوال إلا هو مختص به<sup>(٧)</sup>.

#### ٢- الإعجاز في المنظومة المعرفية التي تبناها دراستنا

كلما تقدم الإنسان وارتقى في العلوم والمعارف تتكشف له حقائق جديدة في القرآن الكريم. يعنى هذا أن تقدم الإنسان معرفياً يكشف عن أسرار جديدة للقرآن الكريم. على سبيل المثال تقدم الإنسان في العلوم التجريبية مكثه من أن يفهم فهماً جديداً بعض آيات القرآن الكريم التي تتكلم عن مراحل خلق الإنسان وتطوره. وما يقال عن علم الطب يقال عن علم الفلك وغيرهما من العلوم.

في السنوات الأخيرة كان هناك توجه واضح من بعض المتخصصين في العلوم التجريبية لدراسة بعض ما جاء في القرآن من زاوية تخصصهم. لذلك قد يغلب على ذهن أنه عندما يقال إن تقدم الإنسان في العلوم يكشف عن حقائق جديدة في القرآن الكريم فإن هذا القول موجه إلى هذا النوع من العلوم. لكن في حقيقة الأمر إن التقدم في العلوم الإنسانية الاجتماعية يفتح آفاقاً جديدة لفهم بعض أسرار القرآن الكريم في مجالات تخصص هذه العلوم.

«المعرفة» تحقق في دراستها تقدم واضح، والتراكمات المعرفية فيها كثيرة. يمكن توظيف التراكمات المعرفية لمحاولة تقديم فهم جديد عن إعجاز القرآن الكريم. هذه المحاولة الجديدة نقترح أن تكون تحت عنوان المنظومة المعرفية. هذه المنظومة تكون للموضوعات التي عرض لها القرآن الكريم. وحيث أن الموضوع الذي تعمل عليه الدراسة هو الميراث. لهذا فإن موضوع هذه الدراسة هو الإعجاز في المنظومة المعرفية لآيات الميراث في القرآن الكريم.

مصطلح المنظومة المعرفية يسع كل الأقوال التي ذكرت عن إعجاز القرآن الكريم ويضيف إليها جديداً. من الجديد الذي تضيفه الدراسة تحت عنوان المنظومة هو إظهار الارتباطات بين الموضوع محل الدراسة والموضوعات التي أحاطت به. ومن هذا الجديد بيان كيفية صياغة هذه الارتباطات. ومن هذا الجديد تحديد الموضوعات وتحديد درجة ارتباطها بالموضوع محل الدراسة. ومن هذا الجديد الإطار الذي نظمت به هذه الارتباطات. ومن هذا الجديد جعل موضوع ما يمثل المحور الارتكازي ثم إحاطته بأطر ولترتيب هذه الأطر منهجها.

مصطلح «المنظومة» يدخل فيه أيضاً ما يمكن أن يقال عنه الوعاء أو الشكل أو الصيغة التي جاء في إطارها الموضوع محل الدراسة والموضوعات التي ربطت به. الاتساع في مصطلح المنظومة وكذلك المنهجية فيها يتيح توظيف المعارف المكتسبة والمتعلقة بالموضوع محل الدراسة.

### ٣- الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية والتي يدخل فيها الميراث (دعوة للقبول والاهتمام)

موضوعات الإعجاز التي سبق القول بها وقبولها متنوعة وقد أثرت الدراسات القرآنية. كذلك الاتجاهات الحديث في دراسة الإعجاز القرآني في العلوم التجريبية قد أصبحت مقبولة وقد أثرى هذا بدوره الدراسات القرآنية. بل إن هذا النوع من الإعجاز كان سبباً في اهتمام جديد بالدراسات القرآنية حتى من غير المسلمين.

إعجاز القرآن الكريم في العلوم الاجتماعية هو فرع جديد في دراسات الإعجاز القرآني أقرحه وأدعو إلى الاهتمام به ووضعه ضمن دراسات الإعجاز القرآني.

اقترح هذا النوع من الإعجاز والدعوة إليه والدعوة إلى الاهتمام به فإن الحججة قوية وهي إن القرآن كتاب هداية للإنسان، ولذلك فإن ما يتعلق بالإنسان من حيث النظم التي تتعلق به اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها يكون الإعجاز فيها أقرب للقبول. لسنا ضد أى نوع من دراسات الإعجاز القرآني لكننا مع الاهتمام بالإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية.

ثالثاً: الإعجاز في مجيء آيات الميراث في سورة اسمها: سورة النساء.

في إطار الدراسات القرآنية توجد كتابات كثيرة عن أسماء السور. تناولت الدراسات عن هذا الموضوع أموراً كثيرة منها: وضع هذه الأسماء ودلالاتها وملاءمتها... فيما يتعلق بوضع هذه الأسماء نأخذ بالرأى القائل: إن الصحابة رضوان الله عليهم سموا بما حفظوه عن النبي ﷺ.

في هذه الفقرة نعمل على اكتشاف الإعجاز في مجيء الميراث في سورة اسمها: سورة النساء.

مثل الميراث كما جاء في القرآن الكريم ثورة كاملة ضد التقاليد التي كانت سائدة في العالم وقتها وخاصة التقاليد التي كانت لها سيطرتها الكاملة في المنطقة العربية. يمكن القول إن من أبرز عناصر الميراث التي مثلت ثورة ضد التقاليد العربية جعل المرأة وارثة وليست داخلة في الأشياء التي تورث أو على الأقل منعها من الميراث. سورة القرآن الكريم التي جاءت بها آيات الميراث تحمل اسم النساء. هذه التسمية تحمل وجه إعجاز. يتمثل هذا الإعجاز في عناصر متعددة منها:

١- هذه التسمية تحير مسبقاً بأمر هام سوف يجيء في هذه السورة، وهذا الأمر الهام يتعلق بالنساء. هذه التسمية تمثل أكفأ تنبيه للإنسان الذي جاء له تشريع الميراث في هذه السورة، هذه التسمية تقول للإنسان القرآن الكريم إن النساء سوف يكون هن اعتبار خاص في الأحكام التي ستجىء في هذه السورة. نحاول أن نلخص هذا العنصر الإعجازي: إنه يتمثل في تنبيه إنسان القرآن الكريم ليكون مستعداً لجديد بشأن النساء فيما يتعلق بالميراث (وبغيره).

٢- عنصر ثان في هذا الوجه الإعجازي يتعلق بعقلية إنسان القرآن الكريم. تسمية السورة التي جاءت فيها آيات الميراث باسم النساء يعمل على تشكيل عقلية إنسان القرآن الكريم بحيث تصبح هذه العقلية تستجيب تلقائياً لتغيير قادم بشأن المرأة. المسلم الذي يعايش القرآن الكريم يتعامل عقلياً على اعتبار أن النساء عنوان سورة في القرآن الكريم. الانشغال العقلي المستمر بهذا الأمر يعمل على أن يوجد مكاناً في عقل الإنسان لهذه القضية. تسمية السورة التي جاءت فيها آيات الميراث باسم النساء يحقق هذا الأمر؛ أي يجعل أمر النساء يحفر في الذاكرة (حفرًا من طبيعة إيجابية) هذا الأمر مطلوب لتفاعل عقلية المسلم تفاعلاً إيجابياً صحيحاً مع آيات الميراث التي جعلت المرأة وارثة.

٣- البيئة العربية التي نزل فيها القرآن الكريم كان لها تقليد بشأن موقف المرأة في الحياة العامة. ليس من المبالغة أن نقول إن المجتمع العربي كان مجتمع الرجل، هذا قاله كثيرون. مجيء سورة في القرآن الكريم عنوانها سورة النساء، وهذه السورة فيها الميراث الذي يتناقض كلية مع ما كان عليه العربي - هذا الأمر مثل تحدّي الرجل الذي كان محور الحياة العامة. القرآن الكريم جعل هذا التحدي وظيفياً. بعبارة أخرى إنه وظفه لإحداث هزة مطلوبة في الرجل من كل نواحيه بحيث يقبل جديداً في حياته العامة وخاصة في الميراث. الجديد الذي وظفت التسمية لتحقيقه هو أن تعتبر المرأة في الحياة العامة وخاصة في الميراث.

الإصلاح على وجه العموم والإصلاح الاجتماعي على وجه الخصوص يكون التحدي فيه له نتائج الإيجابية. التحدي يصاحبه حالة مراجعة حادة، هذه المراجعة الحادة هي اللحظة الملائمة للتغيير. سورة القرآن الكريم التي جاءت فيها آيات الميراث والتي عنوانها النساء أنتجت هذه الحالة من التحدي ووظفته.

٤- تسمية السورة التي جاءت فيها آيات الميراث باسم النساء لا يقتصر عملها على الرجل وحده وإنما تدخل المرأة أيضاً في هذه المنظومة اعتبار المرأة في هذه المنظومة يحمل وجه إعجاز تتعدد عناصره.

أ- السورة التي تجيء فيها آيات الميراث وعنوان هذه السورة النساء تتضمن رسالة إلى المرأة أنه سيكون لها اعتبارها في التشريعات التي جاءت في السورة ومنها تشريع الميراث. هذه رسالة تتعلمها المرأة من اسم السورة، ومن هذا التعلم تعد عقلياً ووجدانياً لتلقى تشريع الميراث الذي ينصفها به الإسلام.

ب- تسمية السورة باسم النساء لا تقف آثاره أو تفاعلاته الإيجابية بالنسبة للمرأة عند حد الميراث وإنما تمتد هذه الآثار والتفاعلات إلى كل حياة المرأة الاجتماعية وغيرها. لأجل أن نتبين عظمة الرسالة التي وجهت إلى المرأة فإنه يكون مفيداً أن نتذكر ما كانت عليه المرأة قبل الإسلام في كل المجتمعات. عنوان سورة النساء يوجه للمرأة رسالة إيجابية عن مكانتها ودورها في الحياة الجديدة في ظل الإسلام.

ج- أسماء السور في القرآن الكريم لها دلالتها، إن كل اسم يعبر عن حدث في السورة يعطى له القرآن الكريم أهمية خاصة أو درجة أهمية معينة. نزيد هذا الأمر وضوحاً: أسماء السور في القرآن الكريم تعطى دلالة معينة، إنها تشير إلى خصوصية من نوع معين لموضوع هذا الاسم في السورة.

بناء على ذلك فإن تسمية السورة التي جاء فيها الميراث باسم النساء يعطى دلالة خاصة هي أن ما جاء عن ميراث المرأة هو أمر يعطى له القرآن الكريم دلالة خاصة، أو يعطى له درجة أهمية معينة. التسمية هنا رسالة إلى أن ما يتعلق بالمرأة في الميراث هو أمر له أهميته أو له دلالة الخاصة.

٥- الحديث عن تسمية السورة التي جاء فيها الميراث باسم النساء ودلالة ذلك في ميراث المرأة يستدعي أن ندخل في ذلك الآية الأخيرة في هذه السورة.

يقول الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَكْدٌ وَكَهْ أَخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَنْثَىٰ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٧٦).

مجىء هذه الآية باعتبارها الآية الخاتمة لسورة النساء يحمل إعجازاً. الميراث كما جاء في القرآن الكريم له أسرار الكبرى، وهذا الكتاب الذي تقدمه عن الإعجاز القرآني في الميراث محاولة للتعرف على «شيء» من هذه الأسرار. أمر المرأة في الميراث من أسرار القرآن الكبرى. ختام سورة النساء بآية تشريع لحالة خاصة في ميراث المرأة هو أمر معجز في الرسالة التي يحملها. هذه الرسالة هي أن ميراث المرأة أمر يعطى له القرآن الكريم أهمية، ختام السورة التي جاء فيها الميراث بهذه الآية التي تشرع لحالة خاصة في ميراث المرأة هو دليل على هذه الأهمية.

سورة النساء جاءت فيها تشريعات كثيرة تعمل في مجالات متعددة من الحياة. آيات الميراث جاءت في بداياتها، ثم جاءت آيات كثيرة عن موضوعات كثيرة، وأخيراً ختمت السورة بآية عن الميراث، وعن ميراث المرأة على وجه التحديد.

لا شك أن الدراسات القرآنية جاءت فيها آراء تحاول أن تبيح على سؤال: لماذا جاءت هذه الآية مفصلة عن بقية آيات الميراث.

القرآن الكريم يختم سورة النساء بآية تتعلق بميراث المرأة تعليماً لأمة القرآن الكريم أن أمر ميراث المرأة له أهميته. لو جاءت هذه الآية موصولة بآيات الميراث التي جاءت في أول السورة فإنها لا تعطى المعنى الذي أعطته في مجيئها خاتمة لسورة اسمها النساء، وخاتمة لسورة جاء فيها تشريع الميراث الذي يتضمن ثورة كاملة فيما يتعلق بميراث المرأة.

ختم سورة النساء بآية عن ميراث المرأة، وعن حالة خاصة في ميراث المرأة يحمل أسراراً كبرى وما قلناه عن ترتيب هذه الآية في هذه السورة هو محاولة للاقترب من هذه الأسرار.



## رابعاً: أسلوب الدراسة

١- المتعارف عليه في الكتابات البحثية هو الحديث عن المنهج، أى منهج الدراسة، ولكننا استخدمنا مصطلح أسلوب الدراسة حيث نرى أنه أكثر ملاءمة. المنهج يستدعى للحوار أنواع المناهج (على سبيل المثال) وهى: المنهج الاستدلالي (الاستنباط والاستقراء) والمنهج التاريخي والمنهج التجريبي. الذى نقصده بأسلوب الدراسة شىء آخر يختلف عن الحوار حول أنواع المناهج. استدعاء الاستخدام اللغوى لكلمة أسلوب يمكن أن يوضح المعنى الذى أقصده بأسلوب الدراسة. الأسلوب: الطريق. ويقال سلكت أسلوب فلان فى كذا: أى طريقته ومذهبه. والأسلوب: طريقة الكاتب فى كتابته.

هذا الاستدعاء للمعنى اللغوى لمصطلح أسلوب يساعدنا فى التعريف بأسلوب الدراسة الذى نتحدث عنه. لقد افترضت أسلوباً نتعرف به على الميراث وعلى أوجه الإعجاز القرآنى التى تحملها الآيات التى تحدثت عنه، وذلك فى شكل أو إطار منظومة معرفية. ولزيادة الإيضاح: لقد اقترحنا أسلوباً لاكتشاف المنظومة المعرفية لآيات الميراث فى القرآن الكريم.

٢- الأسلوب الذى اختير للكشف عن المنظومة المعرفية لآيات الميراث فى القرآن الكريم اعتمد المنهج التالى: اعتبار الآية أو الآيات التى ذكر فيها الميراث وحدة، ثم درست هذه الآية أو الآيات. وقد امتدت هذه الدراسة بحيث تشمل كل الأبعاد التى رأتها تدخل فى الدراسة.

درست أيضاً الآيات التى جاءت سابقة على آيات الموضوع محل البحث وهو الميراث وكذلك الآيات التى جاءت تالية. ثم حللت باعتبارها أنها تمثل الإطار الذى أحاط بموضوع الميراث. قسم الإطار إلى أطر متعددة بحسب الموضوعات التى ذكرت. ثم ربطت الموضوعات التى جاءت فى الأطر بموضوع الميراث.

بعبارة أخرى يمكن القول إن أسلوب الدراسة اعتبر أن موضوع الميراث هو محور الارتكاز ودرست الآيات السابقة عليه والتالية له على أنها إطار لهذا الموضوع الارتكازى.

٣- فى هذا الصدد تجدر الإشارة إلى ما يلى: بشأن الموضوع الارتكازى فإن أى موضوع جاء فى القرآن الكريم يمكن أن يعتبر محور الارتكاز وتدرس الآيات السابقة عليه والتالية له على أنها تمثل الإطار المحيط به. نرى فى هذا الصدد أن نذكر ما يلى:

أ - بناء الدراسة على أساس وجود الموضوع الارتكازى لن يجعل القرآن الكريم يفهم على أنه مجموعة دوائر مستقلة عن بعضها، بل إن الدوائر متداخلة، ذلك أن الموضوع الارتكازى فى دراسة ما يكون إطاراً أو دائرة لموضوع إرتكازى فى دراسة أخرى.

ب- فكرة الموضوع الارتكازي، أى الموضوع الممثل محور الارتكاز والأطر أو الدوائر المحيطة به له صلته بالدراسات القرآنية المعروفة باسم دراسة السياق. بعبارة أدق إنه تطوير لدراسة السياق. إنه دراسة للسياق في الشكل الجديد الذى نقتصره وهو المنظومة المعرفية.

٤- بشأن تحديد أسلوب الدراسة تجدر الإشارة إلى أنه قد استخدمت اللوحات البيانية كأسلوب للتعبير في هذه الدراسة. استخدام اللوحات البيانية يتيح العرض المركز في لقطة واحدة لكل العناصر الفاعلة في الموضوع، ويساعد هذا في تيسير اكتشاف الارتباطات القائمة بين العناصر بعضها مع بعض وكذلك الارتباطات بين العناصر والموضوع المحورى أى الارتكازي.

٥- يتبين من أسلوب الدراسة الذى سبقت الإشارة إليه أن طبيعة هذه الدراسة أنها تعتبر بشكل ما تطوير لدراسة السياق وهى فرع من الدراسات القرآنية، هذا جانب. وجانب آخر أن هذه الدراسة تتبنى وجود موضوع محورى أو ارتكازي، وأن هذا الموضوع المحورى له منظومته الداخلية، وله أطره المحيطة به، وهذه الأطر لها منظومتها التى تتكامل وتتناسق مع المنظومة الداخلية للموضوع المحورى أو الإرتكازي. وأن هذه المنظومة بشقيها قد جاءت على نحو معجز وهذا الإعجاز له جوانبه المتعددة. إثبات ذلك أى إثبات الإعجاز في المنظومة للموضوع محل الدراسة وهو الميراث يكون إثباتاً في شكل معرفي جديد للإعجاز القرآني.

#### خامساً: ضوابط دراسة الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية

١- عند إجراء بحث علمي يتطلب التعرف العلمى بيان المنهج الذى خضع له البحث. وذلك لأن المنهج يضبط البحث العلمى من حيث مقدماته ومناقشاته ونتائجه.

في هذا البحث عن الإعجاز القرآني في الميراث في استبدال المنهج بضوابط دراسة الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية، وذلك لأن هذه الضوابط تؤدى الوظيفة التى يؤدىها المنهج وتؤدى ما هو أكثر من ذلك.

٢- دراسات الإعجاز القرآني منذ أن بدأت أخضعها العلماء المسلمون لضوابط معينة، ولقيت هذه الضوابط اهتماماً من كل الباحثين في هذا الفرع من الدراسات القرآنية. أهم ضوابط الإعجاز القرآني التى قال بها علماء الدراسات القرآنية هي التالية<sup>(٣)</sup>:

أ - أن يكون صحيحاً من ناحية العلوم العربية وحقاً من جهة الأصول الدينية ومقبولاً من الناحية البلاغية.

ب - قواعد أبحاث الإعجاز العلمي:

- علم الله هو العلم الشامل الخيط الذي لا يعتره خطأ ولا يشوبه نقص وعلم الإنسان محدود يقبل الازدياد ومعرض للخطأ.

- هناك نصوص من الوحي قطعية الدلالة كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية.

- في الوحي نصوص ظنية في دلالتها وفي العلم نظريات ظنية في ثبوتها.

- لا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي. فإن وقع في الظاهر فلا بد أن هناك خللاً في اعتبار قطعية العلم التجريبي.

- عندما يرى الله عبادة آية من آياته في الآفاق أو في الأنفس مصدقة لآية في كتابة أو حديث من أحاديث رسوله ﷺ يتضح المعنى ويكتمل التوافق ويستقر التفسير وتحدد دلالات الألفاظ بما كشف من حقائق علمية وهذا هو الإعجاز.

- إن نصوص الوحي قد نزلت بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضعها التي قد تتتابع في ظهورها جيلاً بعد جيل.

- إذا وقع تعارض بين دلالة قطعية للنص وبين نظرية علمية رفضت هذه النظرية لأن النص وحي من الذي أحاط بكل شيء علماً، وإذا وقع التوافق بينهما تقبل النظرية كوجه من أوجه التفسير العلمي. وإذا كان النص ظنياً والحقيقة العلمية قطعية وأمكن التأويل بضوابطه قبل.

- إذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية وبين حديث ظني في ثبوته فيؤول الظني من الحديث ليتفق مع الحقيقة القطعية وحيث لا يوجد مجال للتوفيق نتوقف.

٣- إعجاز القرآن الكريم في العلوم الاجتماعية فرع جديد في فروع الإعجاز القرآني أقدم هذا البحث كدليل إثبات له. وسوف تراعى الضوابط التي قال بها العلماء قديماً وحديثاً والتي ذكر في الفقرة السابقة بعض منها. العلوم الاجتماعية لها طبيعتها وبسبب هذه الطبيعة فإنني أقترح ضوابط إضافية يؤخذ بها مع الضوابط السابقة، وبحيث تحكم الضوابط كلها ما قال به العلماء وما اقترحه البحث الذي أقدمه عن إعجاز القرآن الكريم في الميراث باعتباره نموذجاً للإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية.

الضوابط الإضافية التي أقترحها هي التالية:

أ - يضع القرآن الكريم النموذج الأمثل للحياة الاجتماعية بكل مناحيها اقتصاد وإدارة وسياسة وتربية وغير ذلك. ولذلك يكون المطلوب هو اكتشاف هذا النموذج بأمله.

ب - الله سبحانه هو خالق الإنسان وهو سبحانه القادر على كشف سلوكياته والإخبار بها. وهذه السلوكيات هي المجالات التي تعمل عليها العلوم الاجتماعية وتصوغها في نظريات. لذلك يكون ما جاء بالقرآن الكريم عن هذه السلوكيات مرشداً وحاكماً ومحدداً للنظريات التي ينظر بها الإنسان هذه السلوكيات.

ج- لا يستهدف البحث عن التطابق بين النظريات التي قال بها علماء العلوم الاجتماعية وما جاء في القرآن الكريم وإنما المستهدف هو إخضاع البحث في العلوم الاجتماعية لما جاء في القرآن الكريم.

د - عدم وجود حقائق قطعية الثبوت في العلوم الاجتماعية سببه قصور في إدراك الإنسان لاكتشاف العوامل التي تحدد سلوكيات الإنسان. هذا القصور ليس وارداً على ما جاء في القرآن الكريم عن الحياة الاجتماعية لأن القرآن الكريم إخبار من الله سبحانه وتعالى، وهو سبحانه خالق الإنسان، ولذلك فما يخبر به القرآن الكريم يكون حقيقة. ويترتب على ذلك أن دراسات الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية سوف ترقى بهذه العلوم بحيث تصبح فيها حقائق ثابتة.

هـ- تكلم القرآن الكريم في كثير من آياته عن السنن الإلهية. وهذه السنن ليست قاصرة على المجالات الكونية وإنما تشمل ما يتعلق بالإنسان من كل جوانبه الاقتصادية والإدارية والتربوية والسياسية وغيرها. هذه السنن الإلهية حاکمة ومحددة للنظريات التي يقول بها الإنسان في هذه العلوم. ولذلك يكون تقويم نظريات هذه العلوم محكوماً بالسنن الإلهية.

## المبحث الثاني أوجه إعجاز القرآن الكريم عند ربط موضوعات الآيات ١ - ٤٢ بالميراث

### تمهيد

جاءت الأحكام التفصيلية لأنصبة الميراث في الآيتين ١١، ١٢ ثم جاءت الآيتان ١٣، ١٤ تبييناً مكافئةً للملتزم بتشريع الميراث وعقوبة المخالف لهذا التشريع. نتعامل مع هذه الآيات الأربع باعتبارها تعالج موضوعاً واحداً هو الأحكام التفصيلية للميراث.

في هذا المبحث نحاول اكتشاف أوجه الإعجاز عند ربط موضوعات الميراث بموضوعات الآيات السابقة عليه والآيات اللاحقة له باعتبار الميراث هو الموضوع الارتكازي أو المحوري في دراستنا. نعيد التذكير بفكرة سبق قولها وهي إن أي متخصص يستطيع أن يأخذ موضوعاً ارتكازياً في الآيات نفسها وهي الآيات ١ - ٤٢ من سورة النساء ويحاول اكتشاف أوجه الإعجاز عند ربط هذا الموضوع الارتكازي بالموضوعات التي جاءت في الآيات. نعيد التذكير بهذه الفكرة لأجل أن ندفع اعتراض قد يرد وهو إننا نجعل الآيات التي ندرسها لا تعمل إلا على التخصص الذي ننتهي إليه وهو الاقتصاد.

الفرع الأول: الإعجاز القرآني في التربية على الربط بين وحدة النوع الإنساني والميراث  
يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١)

النساء

تبدأ سورة النساء والتي جاءت فيها أحكام الميراث بهذه الآية وابتداء السورة بهذه الآية يتضمن وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني. يبين هذا الإعجاز في هذا الموضوع الاقتصادي من التحليل الذي يجيء في الفقرات التالية.

## أولاً: في تفسير الآية

تتضمن الآية نداء للناس جميعاً، هؤلاء الناس ينادون إلى تقوى الله سبحانه الذي هو ربهم جميعاً، هو الرب الذي خلق هؤلاء الناس مسلمهم وغير مسلمهم من نفس واحدة، أى أنهم جميعاً من أصل واحد. ومن هنا تبدأ وحدة النوع الإنساني، بل من هنا تتأسس وحدة النوع الإنساني. وحدة النوع الإنساني لا يقتصر على جنس الرجل وحده وإنما تشمل الجنسين معاً الرجل والمرأة. هؤلاء الناس الذين هم من أصل واحد أصبحوا كثيرين وأصبحوا منتشرين في أماكن كثيرة. تحتم الآية بأمرين جليلين؛ الأول هو الدعوة إلى تقوى الله سبحانه وتعالى الذي وصف بأنه يحتاج إليه الجميع ويظهر احتياجهم في سؤاله، والأمر الثاني هو الإخبار برقابة الله سبحانه وتعالى على كل ما يتعلق بالنوع الإنساني من حيث الأعمال والنيات وغير ذلك ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

## ثانياً: أوجه الإعجاز

نؤمن إيماناً قطعياً بأن كل آية في القرآن الكريم تحدد موضعها بالوحي الإلهي، وأما في الموضع الذي جاءت فيه تعطى المعنى المراد منها. لهذا أقول بأن الآية التي نعيش معها وهي الآية الأولى في سورة النساء لها ارتباطها بآيات الموارث التي جاءت في السورة، تربي هذه الآية المسلم الذي سوف يتلقى الآيات المتضمنة أحكام الميراث على أن الناس جميعاً من أصل واحد، إن النوع الإنساني واحد. هذه الآية بالتربية التي تتضمنها تشكل المسلم عقلياً وقلبياً، تشكله فكراً وعاطفة، تشكله من جميع عناصره على أن الناس جميعاً من أصل واحد ولذلك فإن بينهم رابطة. المسلم بهذه التربية يتلقى أحكام الميراث التي بموجبها تنتقل ثروته إلى أسرته الخاصة به.

لماذا هذه التربية على وحدة النوع الإنساني والتي تؤسسها هذه الآية؟ الإجابة على هذا التساؤل هي أنه قد يقال بأن الميراث يربي الشخص على الأنانية والانغلاق على أسرته الضيقة التي يعمل على نقل ثروته إليها. يجيء القرآن الكريم بالآية التي نعيش معها لينقض هذا الزعم وليبين أن الإسلام يربط بين التربية على وحدة النوع الإنساني والميراث. يترتب على هذا أن المسلم الذي يلتزم بنقل ثروته إلى أسرته الضيقة يكون مبرءاً من الأنانية ضد الآخرين لأنه يؤمن بأن الناس جميعاً من أصل واحد، إنه يؤمن بوحدة النوع الإنساني.

يتأسس الإعجاز القرآني من حيث إنه سبرت أغوار النفس الإنسانية بحيث كان هناك توقع أن الشخص الذي يتلقى أحكام الميراث قد تتشكل عقليته وعواطفه على حب أسرته الضيقة وحدها والانغلاق على مصالحها وحدها - منعاً لوجود مثل هذا الأمر فإن القرآن الكريم سبق إلى تربية هذا الشخص المتلقى لأحكام الميراث على وحدة النوع الإنساني. بهذه التربية يعالج القرآن الكريم الإنسان من الأناية التي تغلقه على أسرته الضيقة.

أوجه الإعجاز القرآني يكتشف فيها دائماً جديد مع تطور حياة النوع الإنساني. نشير بهذا التقديم إلى أن من وجوه الإعجاز القرآني التي اكتشفناها في عصرنا الإعجاز المتضمن في الرد على الذين قد يرفضون الميراث من حيث المبدأ لأنه في رأيهم ضد وحدة النوع الإنساني. يفند القرآن الكريم هذا الفكر بربط الميراث بالإيمان بوحدة النوع الإنساني.

تبين اللوحة (١) أوجه الإعجاز عند الربط بين موضوع الآية الأولى في سورة النساء وهو وحدة النوع الإنساني وموضوع الميراث الذي سوف يجي في آيات تالية.

اللوحة البيانية (١)

أوجه الإعجاز القرآني في الربط بين وحدة النوع الإنساني والميراث

آيات الميراث:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ  
وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ  
الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾  
الآيات : ٧-١٤

آية وحدة النوع الإنساني

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي  
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا  
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ  
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾



أوجه الإعجاز

- ١- الإعجاز في جعل الميراث يقوى وحدة النوع الإنساني وهذا نقيض ما ينتجه الميراث الذي يضعه الإنسان.
- ٢- الإعجاز في الاخبار بالغييب الذي يمكن أن يقال ضد الميراث.
- ٣- الإعجاز في السبق بنوع التربية المطلوبة للمخاطب بالميراث وبمنهجها الكلى.
- ٤- الإعجاز في المنهج الكلى في تربية المخاطب بالميراث تربية عقلية وقلبية.
- ٥- الإعجاز في جعل التربية على وحدة النوع الإنساني مدخلا لموضوعات سورة النساء ومنها الميراث والقتال..



## الفرع الثاني: إعجاز القرآن الكريم عند الربط بين الميراث وحماية الفئات الضعيفة

يقول الله تعالى:

﴿وَأْتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَنْحِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَالْأَكْحَىٰ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَّىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣) وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤) وَلَا تُوْثُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥) وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦)﴾

سورة النساء

أولاً: الإعجاز في الإخبار بالغيب بشأن رأى المتقلدين للميراث

موضوع الآيات الخمس (٢-٦) التي نعيش معها هو حماية بعض الفئات الضعيفة في المجتمع وهذه الآيات جاءت سابقة على آيات الميراث. الأمر على هذا النحو أى بهذا الترتيب يحمل وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم. يتبين هذا الوجه الإعجازى في التحليل التالى. قد يقال بأن معرفة الشخص بأن ثروته التى يمتلكها سوف يكون مضموناً ومؤمناً نقلها إلى ورثته ويفترض أنهم أحب الناس إليه - كون الميراث يتضمن ذلك فإن هذا قد يدفع الشخص أن يحاول جمع الثروة بكل الوسائل، والتي قد تكون غير مشروعة. ليس من المتوقع أن يحصل الشخص على ثروة بوسيلة غير مشروعة من فئة أو شخص أقوى منه، ولكن المحتمل هو أن يفعل ذلك مع فئة أو شخص أضعف منه، يزداد الاحتمال إذا كان لهذا الشخص ولاية أو سلطة من أى نوع على الشخص الآخر الضعيف.

الإعجاز في القرآن الكريم أنه نبه لهذا الأمر. إن الله سبحانه وتعالى هو مول القرآن الكريم، وقد علم سبحانه أنه سوف يجيء زمان بعد نزول القرآن الكريم بقرون وقرون قد فيه الميراث لأنه مظنة أن يؤدي إلى الاعتداء على أموال الفئات الضعيفة - الله سبحانه وتعالى عندما يزل الآيات الخمس التي نعيش معها لتربى متلقيها على حماية الفئات الضعيفة في المجتمع في مالها وفي غيره - الله سبحانه وتعالى بذلك جعل قرآنه يخبرنا بالغييب، وهذا أحد أوجه الإعجاز في هذه الآيات مربوطة إلى آيات الميراث.

#### ثانياً: الإعجاز في جعل الميراث يترتب عليه حماية الفئات الضعيفة (إعجاز في بناء المجتمع)

وجه إعجازي آخر في الآيات الخمس التي نعيش معها نكتشفه عندما نربطها إلى آيات الميراث. يتمثل هذا الوجه من وجوه الإعجاز في الآتي: الميراث في الإسلام إذا أخذ بالتربية التي جاء عليها في القرآن الكريم يكون عاملاً من عوامل حماية الفئات الضعيفة في مالها وفي غيره. بعبارة أخرى إن هذا الوجه الإعجازي يعني الآتي: الميراث في الإسلام وعلى النحو الذي جاء في القرآن الكريم يعمل على حماية الفئات الضعيفة ولا يكون سبباً للاعتداء عليها في مالها. وجه الإعجاز في هذا الأمر هو أن الميراث على النحو الشمولي الذي جاء به في القرآن الكريم متضمناً التربية التي غلفته ينتج آثار خير هي نقيض آثار السوء التي قد ينتقد بها الميراث في المجتمعات التي لا تطبق الإسلام ولا تربى على القرآن الكريم. إننا نعتبر أن هذا الوجه الإعجازي من أقوى أوجه الإعجاز التي نحب أن نعلنها ونعرف بها عن إعجاز قرآنا في تربية الشخص الذي يلتزم بالميراث.

#### ثالثاً: الإعجاز في النوع المتميز لإنسان القرآن الكريم الذي يطبق الميراث (إعجاز في بناء الإنسان)

وجه إعجازي آخر في الآيات الخمس التي نعيش معها نكتشفه عندما نربطها إلى آيات الميراث. يتمثل هذا الوجه في نوعية الإنسان وطبيعته التي يربها القرآن الكريم. إنسان القرآن الكريم ونعني به الإنسان الذي تربى على ما جاء به القرآن الكريم هو إنسان مغاير لأنواع الأناسي الأخرى وذلك من حيث تكوينه القيمي. وهذا التكوين القيمي يجعله في تعامله مع الأحكام ينتج نتائج ليست من نوع النتائج التي ينتجها غيره عندما يتعامل مع نفس الأحكام. إنسان القرآن الكريم لا يأخذ الحكم في حد ذاته وإنما يأخذه كجزء من منظومة شاملة التربية المصاحبة له والنتائج المستهدفة به. إنسان القرآن الكريم بهذه الخصائص هو إحدى معجزات القرآن الكريم.

اللوحة (٢): تجمل أوجه الإعجاز عند الربط بين حماية الفئات الضعيفة والميراث. أما اللوحة (٣) فإنها تصنف أوجه الإعجاز

اللوحة البيانية (٢)

أوجه الإعجاز عند الربط بين حماية الفئات الضعيفة والميراث

الآيات، ٢-٦ حماية الفئات الضعيفة وخاصة

من الجانب الاقتصادي.

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ.....﴾

الآيات ٧-١٤: الميراث

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾

أوجه الإعجاز

- ٥- المجتمع الذي يطبق الميراث كما جاء في القرآن الكريم من حيث انتشار توزيع الشروات تعجز النظم الوضعية أن تأتي بمثله.
- ٦- المجتمع الذي يطبق الميراث بالمنهج الشمولي الذي جاء به القرآن الكريم يتحقق فيه الأمن المطلق لفئاته الضعيفة والقوية.
- ٧- الفئات الضعيفة التي ربي القرآن الكريم على حمايتها توطئة لتشريع الميراث تستوعب كل الضعفاء إذا كان الميراث هو الأمر المعترف.

- ١- الإخبار بالغيب بشأن ما قد ينتقد به الميراث من أنه قد يؤدي إلى الاعتداء على أموال الفئات الضعيفة.
- ٢- الميراث بالتربية التي جاء عليها في القرآن يترتب عليه حماية الفئات الضعيفة وهذا عكس ما يترتب عليه في المجتمعات الأخرى.
- ٣- الإنسان الذي يريه القرآن على الميراث إنسان مغاير لأنواع الأناسي الأخرى من حيث تكوينه القيمي الإيجابي.
- ٤- المجتمع الذي يطبق الميراث كما جاء في القرآن يحقق أمن وسلامة فئاته وهذا نقيض مجتمع ميراث غير قرآني.

اللوحة البيانية (٣)

تصنيف أوجه الإعجاز عند الربط بين حماية الفئات الضعيفة والميراث

الآيات ٧-١٤: الميراث

الآيات ٢-٦: حماية الفئات الضعيفة

وخاصة من الجانب الاقتصادي

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾

أوجه الإعجاز (مصنفة) عند الربط بين موضوعي الآيات:

- ١- الإعجاز في الإخبار بالغيب:
- ٢- الإعجاز في التكوين القيمي الإيجابي لإنسان الميراث في القرآن الكريم.
- ٣- الإعجاز في التكوين الإيجابي لمجتمع الميراث في القرآن الكريم.
- ٤- الإعجاز في التكوين الاقتصادي الإيجابي لمجتمع الميراث في القرآن الكريم.

## الفرع الثالث: الإعجاز عند ربط القواعد الكلية للميراث (الآيات ٧ - ١٠) بالأحكام التفصيلية للميراث (الآيات ١١ - ١٤)

يقول الله تعالى:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقَرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)﴾

سورة النساء

أولاً: الإعجاز في مجي قواعد الميراث قبل أحكامه

عاشنا أربع آيات في كتاب الله تعالى، وهي الآيات التي تحمل الأرقام ٧، ٨، ٩، ١٠ في سورة النساء. وهذه الآيات تحدد قواعد الميراث. الآيات التي تحمل الأرقام ١١، ١٢، ١٣، ١٤ من نفس السورة تحدد نصيب كل وارث. المعاشة الإجمالية للآيات تكشف عن أن الآيات الأربع الأولى حددت قواعد الميراث أما الآيات الأربع الثانية فإنها تناولت أنصبة الميراث بالتفصيل. مجيء الموضوعات بهذا الترتيب فيه إعجاز.

ثانياً: الإعجاز في تشكيل عقلية المخاطب بالميراث التشكيل المنهجي الصحيح لتلقى تشريع الميراث

القرآن الكريم جاء أولاً بالقواعد التي تحكم الأحكام التفصيلية ثم جاء بهذه الاحكام التفصيلية. العقل البشري يتعلم هذا المنهج من القرآن الكريم، إنه المنهج الذي يضبط الأمور ضبطاً صحيحاً وهذا وجه من وجوه الإعجاز. المنهج الذي نزل به القرآن الكريم وهو مجيء القواعد الكلية الحاكمة للميراث أولاً ثم مجيء الأحكام التفصيلية بعدها آمن أمراً في غاية الأهمية وهو أنه شكل أولاً عقلية إنسان القرآن الكريم تشكيلاً صحيحاً بشأن القواعد التي ستحكم توزيع الثروة موضع التورث. تشكيل العقلية تشكيلاً صحيحاً يؤمن قبول التفصيلات وهذا إعجاز.

ثالثاً: الإعجاز في التعريف بالأهداف الكبرى للميراث التي تحققها أحكامه التفصيلية

من طبيعة القواعد الكلية أن تتضمن الأهداف الكبرى وتوضحها. نزول القرآن الكريم أولاً بقواعد الميراث عرف بالأهداف الكبرى التي يستهدفها الإسلام من الميراث والتي تتحقق من خلال وضع التفصيلات موضع التطبيق وهذا إعجاز. تبين اللوحة (٤) أوجه الإعجاز التي ذكرناها.

اللوحة البيانية (٤)

أوجه الإعجاز في مجيء قواعد الميراث قبل أحكامه التفصيلية

الأحكام

التفصيلية

للميراث

١١-١٤.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي  
أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ  
الْأُنثَى...﴾

أوجه الإعجاز:

١- الإعجاز في تشكيل عقلية

المخاطب بالميراث التشكيل

المنهجي الصحيح. لتلقى

تشريع الميراث

٢- الإعجاز في التعريف

بالأهداف الكبرى للميراث

التي تحققها أحكامه التفصيلية.

٣- الإعجاز في تحديد المخاور

الرئيسية للميراث التي تعمل

على أحكامه التفصيلية

وتقودها.

القواعد

الكلية للميراث

الآيات ٧-١٠

﴿للرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ  
الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ  
نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ  
وَالْأَقْرَبُونَ.....﴾

## الفرع الرابع: منظومة الإعجاز القرآني في التربية الممهدة لأحكام الميراث (آيات ١ - ١٠ سورة النساء). تمهيد

تقدم هذه الدراسة في إطار منهج (علم السياق) وهو العلم الذي يختص بالكشف عن (التناسب) بين آيات القرآن الكريم وسوره. في إطار هذا المنهج تدرس آيات الميراث التي جاءت في سورة النساء لاكتشاف التناسب بينها وبين الآيات السابقة عليها والآيات اللاحقة لها.

عشنا مع الآيات العشر السابقة على آيات أحكام الميراث. وقد تبين أنها تعمل على ثلاثة موضوعات هي: وحدة النوع الإنساني والحماية الاقتصادية لفئات ضعيفة في المجتمع وأخيراً القواعد الكلية المنظمة للميراث. بفضل من الله سبحانه وتعالى تم الكشف عن أوجه الإعجاز في الآيات التي عملت على هذه الموضوعات الثلاثة.

هذا الفرع يخصص للتعرف على أوجه الإعجاز التي يمكن اكتشافها من الربط بين الموضوعات الثلاثة المذكورة وهي وحدة النوع الإنساني والحماية الاقتصادية لبعض الفئات الضعيفة والقواعد الكلية للميراث، وكذلك اكتشاف أوجه الإعجاز للموضوعات الثلاثة مجتمعة باعتبارها مكونة لمنظومة كلية أو عامة وذلك عند ربطها بآيات الميراث.

### أولاً: الإعجاز في الترتيب بين التربية على وحدة النوع الإنساني والحماية الاقتصادية لفئات ضعيفة

أسست الآية الأولى في سورة النساء لمبدأ وحدة النوع الإنساني أما الآيات من ٢-٦ فإنها أسست لمبدأ حماية أناس معينين وهم الضعفاء (ثلاث فئات). يعني ذلك أن القرآن الكريم بدأ أولاً بالتربية على الأمر العام الذي يتعلق بالناس جميعاً ثم تلاه بالتربية على أمر خاص يتعلق بأناس معينين وهم الضعفاء. مجيء الترتيب على هذا النحو يحمل وجه إعجاز وهذا الإعجاز يتبين من التحليل الآتي.

القرآن الكريم بالتربية على وحدة النوع الإنساني يشكل إنسان القرآن الكريم تشكيلاً عقلياً ووجدانياً على أن يسع الناس جميعاً ويتعاون معهم. الإنسان الذي يتشكل عقلياً ووجدانياً أن يسع الناس جميعاً يكون مؤهلاً أن يخاطب بالتربية على حماية أناس معينين من حيث توفير الحماية لهم ومنها الحماية الاقتصادية باعتبارهم فئات ضعيفة. وجه الإعجاز في الآيات الست بموضوعها هو في الانتقال من العام إلى الخاص والربط بينهما وهذا العام تعدد عناصره كما أن هذا الخاص تعدد عناصره. العام الناس جميعاً والخاص المقابل لذلك أناس معينون هم أفراد الفئات الضعيفة الثلاثة المذكورة في الآيات ٢-٦ وهذا عنصر في العموم

والخصوص. العام هو التعاون في جميع الأمور بين الناس جميعاً اقتصادية وغيرها، والخاص المقابل لذلك هو ما يتعلق بالحماية الاقتصادية لأناس معينين هم الضعفاء وهذا عنصر آخر في العموم والخصوص. العام هو التعاون بين الناس جميعاً أي كانت أماكنهم، إنه تعاون يسع الكوكب الأرضي كله والخاص المقابل لذلك هو التعاون مع أناس معينين في البيئة المحلية. العام هو التعاون بين الناس جميعاً أي كانت ديانتهم وهذا هو المعنى المترتب على الخطاب بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، والخاص المقابل لذلك هم المسلمون المخاطبون بالتشريعات الاقتصادية الإسلامية.

هذه عناصر في العموم والخصوص في موضوعي الآيات الست التي عشنا معها بالتفصيل في فقرات سابقة. استيعاب الآيات وفهمها على هذا النحو يكشف عن حملها وجه الإعجاز الذي ذكرناه وهو الانتقال من العام إلى الخاص والربط بينهما.

ثانياً: الإعجاز في الترتيب بين الناس جميعاً وبعض الفئات الضعيفة وبين أسرة صاحب الثروة موضع التوريت.

آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الميراث بأحكامه التفصيلية من حيث الوارثين وأنصبتهم تبدأ بالآية رقم (١١) ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾. الآيات العشر السابقة على هذه الآيات عاجلت ثلاثة موضوعات هي: (١) وحدة النوع الإنساني، (٢) حماية الفئات الضعيفة في المجتمع، (٣) القواعد الكلية للميراث. في الفقرة السابقة تم الكشف عن وجه الإعجاز في الترتيب والتفاعل بين الموضوعين الأولين وهما: وحدة النوع الإنساني وحماية الفئات الضعيفة. في هذه الفقرة أحاول الكشف عن وجه الإعجاز في الترتيب والتفاعل بين الموضوعات الثلاثة.

وجه الإعجاز في الآيات العشر بموضوعاتها الثلاثة هو في الانتقال من العام إلى الخاص ثم إلى خاص الخاص. وبيان ذلك على النحو الآتي: الموضوع الأول هو وحدة النوع الإنساني، أي الإنسان على وجه العموم، انتقل القرآن الكريم من هذا الموضوع العام إلى موضوع خاص وهو حماية فئات ضعيفة في المجتمع أي انتقل من عام إلى خاص، الموضوع الثالث هو القواعد الكلية المنظمة للميراث وهذه القواعد يخاطب بها صاحب الثروة والورثة أي الأسرة، أي أن هنا انتقال من المجتمع المحلي (خاص) إلى الأسرة، أي إلى خاص الخاص. هذا الترتيب في الانتقال من العام إلى الخاص ثم إلى خاص الخاص يحمل وجه إعجاز، وهو إعجاز تتعدد عناصره. فهذا الترتيب تضمن تدرجاً في تشكيل وجدان وعقلية إنسان القرآن الكريم وهذا إعجاز.



هذا الترتيب تضمن تدرجاً في التربية وهذا إعجاز. هذا الترتيب استوعب كل الوحدات الممكنة: العالم والمجتمع المحلي والأسرة وهذا إعجاز. هذا الترتيب بالتربية التي تضمنها عمل على إعداد إنسان ملائم من جميع الوجوه لتلقى تشريع أحكام الميراث الذي يبدأ بالآية التالية مباشرة للآيات التي حملت هذه التربية المعجزة وهذا إعجاز.

#### ثالثاً: الإعجاز في المنظومة من حيث مراعاة القرابة الملائمة للميراث

معايشة الآيات العشرة بموضوعاتها الثلاثة يكشف عن أنها تحمل وجه إعجاز يتعلق بدرجة القرابة وتوظيفها في الميراث. وحدة النوع الإنساني تؤسس لدرجة قرابة، وحماية الفئات الضعيفة في المجتمع المحلي تعبر عن درجة قرابة أقرب، أما القواعد الكلية المنظمة للميراث بين الوارثين فإنها تعبر عن أقرب درجة قرابة بين الثلاثة.

من قواعد الميراث القرآني التي تتضمنها الآيات القاعدة التالية: الميراث بين الأقارب. وكذلك القاعدة التالية: في الميراث حق للأقارب غير الوارثين والفقراء. الآيات العشرة التي نعايشها أصلت لدرجات قرابة متعددة. هذا الأمر عند ربطه بالميراث يحمل وجه إعجاز يتبين من الآتي: الآيات العشر شكلت عقلية إنسان القرآن الكريم كما شكلت وجدانه على أنه يوجد نوع قرابة مع الناس جميعاً ومع المجتمع المحلي وأخيراً قرابته الحقيقية. هذا التشكيل للعقلية وللوجدان وظف لقبول الميراث القرآني والاعتقاد في أنه النظام الأحسن والاكف والأعدل. الميراث القرآني فيه نصيب مفروض لأقرب درجة قرابة وفيه حق لأقارب غير وارثين وفيه حق للفقراء. القرآن الكريم ربى العقلية والوجدان بحيث تقبل الميراث بهذه الأبعاد الثلاثة بل وترى أن هذا هو الأمر الصحيح.

#### رابعاً: الإعجاز في المنظومة من حيث ملائمة التربية لكل فئة

تضمنت الآيات العشر تربية متعلقة بالموضوعات الثلاثة: النوع الإنساني وفئات ضعيفة في المجتمع المحلي ثم الوارثين، يمكن النظر إلى كل واحد منها على أنه يمثل فئة. الآيات العشرة تحمل وجه إعجاز من حيث ملائمة التربية التي أسسها القرآن الكريم لكل فئة ومن حيث توظيف هذه التربية في الميراث. على مستوى النوع الإنساني أسس القرآن الكريم لوحدة عامة والقرآن الكريم بهذا يعلمنا أن هذه هي التربية الممكنة على هذا المستوى. على مستوى الفئات الضعيفة في المجتمع يؤسس القرآن الكريم لحمايتها والقرآن

الكريم بهذا يعلمنا أن هذه هي التربية اللازمة لهذا المستوى، وكان العنصر الظاهر في التربية هو العنصر الاقتصادي. على مستوى الذين يرثون جاء القرآن الكريم بالقواعد المنظمة للميراث والقرآن الكريم يعلمنا بذلك أن التربية الملائمة على هذا المستوى هي التربية التي تقوم بوظيفة تنظيم التصرف في الشروة موضع التوريث بقواعد كلية.

اللوحات ٥، ٦، ٧ تبين أوجه الإعجاز التي ذكرت. (مبينة في نهاية البحث)

## الفرع الخامس: الإعجاز القرآني عند ربط البناء القرآني للأسرة بالميراث

يقول الله تعالى

﴿وَاللَّاهِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا عَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) وَإِنْ أُرْدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَعَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ بِهَتَائِكُمْ وَإِنَّمَا مِيبًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١) وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَالُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْتُمْ وَأَخْوَالُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نَسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نَسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَحَلُّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتَ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْضَنْ فَإِنَّ أُمَّنَ بِفَاحِشَةٍ لَعَلَّيْنِ نَصْفًا مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَضْبَرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا (٢٨)﴾.

النساء

تناولت الآيات الموضوعات التالية:

أ- الأحكام المتكلفة بإتيان المرأة الفاحشة، والتوبة من الفاحشة وشروط قبول التوبة (١٥ - ١٨).  
ب- الأحكام المتعلقة بمنع أن تجعل النساء كالمال يورثن عن الرجال كما يورث المال، والأحكام المتعلقة بحق الزوجة في المهر ومتى يجوز للرجل استرداده، والأحكام المتعلقة بمعاشرة الزوجة بالمعروف (١٩ - ٢١).

ج- الأحكام المتعلقة باحرمات من النساء، والأحكام المتعلقة بالزواج والمقدرة المالية المتعلقة به (٢٢ - ٢٨).

هذه الآيات الأربع عشرة تضمنت تشريعات كثيرة متعلقة بالنساء، بعض هذه التشريعات اقتصادى وبعضها غير اقتصادى. هذه التشريعات بوجهيها موضع الدراسة لاكتشاف أوجه الإعجاز التي تحملها، وإن كان العنصر الاقتصادي هو المستهدف رئيسياً لأنه المتعلق بهذه الدراسة. هذه الآيات جاءت تالية لآيات الميراث. وفي إطار المنهج الذي أقدم به هذه الدراسة فإنها مرتبطة بها، ولذلك سحاول اكتشاف أوجه الإعجاز التي تحملها باعتبارها وحدة قائمة بذاتها ثم باعتبارها مرتبطة بآيات الميراث.

#### أولاً: الإعجاز في حماية حق المرأة في المهر بعد فرض حقها في الميراث

تضمنت الآيات ٧-١٤ تشريعاً ملزماً بحق المرأة في الميراث والآيات التالية ١٥-٢٨ تضمنت تشريعاً ملزماً بحق المرأة في المهر الذي حصلت عليه. مجيء الأمر على هذا النحو وبهذا الترتيب يحمل وجه إعجاز. تشريع الميراث للمرأة أعطاها مالا. وقد يقع في ظن بعض الرجال أن المرأة وقد حصلت على حقوق مالية ولذا لا تستحق مهراً، القرآن الكريم سبق بعلاج هذا الأمر وقرر حفظ حق المرأة في المهر (بشروط) وهذا إعجاز وهو إعجاز متعدد عناصره.

#### ثانياً: الإعجاز في علاج النفس البشرية التي قد تمنع المرأة مهرها لأنها ورثت

الرجل الذي شاركته المرأة في الميراث قد توجد عنده رغبة في أن يعوض ما فقده بأخذ المهر أو جزء منه. القرآن الكريم يسبق إلى علاج هذا الأمر فيقرر حق المرأة في الاحتفاظ بمهرها كاملاً. الإعجاز هنا أن القرآن الكريم كشف عن غور النفس البشرية لأن الذي أنزل القرآن هو الله سبحانه وتعالى وهذا إعجاز.

ثالثاً: الإعجاز في علاج النفس البشرية من سوء معاملة المرأة لأنها ورثت واستحقت مهراً

القرآن الكريم وهو يقرر حق المرأة في الاحتفاظ بمهرها كاملاً بجانب حقها في الميراث فإنه جمع بين ذلك وبين إلزام الرجل بمعاملة المرأة بالمعروف ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. القرآن الكريم بذلك قد سبق بتحذير الرجل من أن يكون حصول المرأة على هذه الحقوق المالية سبباً في سوء معاملتها. القرآن الكريم بذلك سبق كل العلماء بتحليلاتهم معلماً لهم وهذا إعجاز.

رابعاً: الإعجاز في تشكيل عاطفة الرجل على منع الربط بين حقوق المرأة المالية والموقف العاطفي منها.

القرآن الكريم وهو يقرر حق المرأة في الاحتفاظ بمهرها كاملاً بعد تقرير حقها في الميراث ربط ذلك بأمر في غاية الأهمية وهو أن هذه الحقوق ليست مرتبطة بحب الرجل للمرأة أو كراهيته لها ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. بل إن القرآن الكريم يخبر بأنه حتى في حالة عدم وجود حب مع المرأة فقد يكون فيها خير وخير كثير كما أخبر القرآن الكريم. الأمر على هذا النحو إعجاز.

خامساً: الإعجاز في تشكيل عقلية الرجل على أن حرمان المرأة من مهرها لأنها ورثت هو كذب وإثم.

القرآن الكريم وهو يشرع حق المرأة في الميراث ويتبع ذلك بتشريع حقها في الاحتفاظ بمهرها وصف عدم الالتزام بالنصر الأخير بأمرين: بهتان وإثم مبین. البهتان هو الكذب والقذف بالباطل. يعني ذلك أن منع المرأة من حقها في الاحتفاظ بالمهر هو من الكذب. ويكون السؤال هو كذب في ماذا؟ يمكن أن يكون الكذب متعلقاً بمن يقول إن ميراث المرأة يظل حقها في المهر. الربط على هذا النحو إعجاز.

اللوحة البيانية (٨) تظهر هذا الوجه الإعجازي الذي تحمله الآيات ١٥ - ٢٨ مربوطة إلى آيات الميراث ١١ - ١٤. هذه اللوحة باعتبارها تعرض عناصر الوجه الإعجازي مجمعة مجسدة فإنما تكشف عن عناصر إعجاز أخرى. القرآن الكريم وهو يبين شرع الله في حق المرأة في مهرها بعد بيانه شرع الله في حقها في الميراث كشف كل التصرفات المحتملة لنفسية الرجل الذي قد يوجد عنده شيء ضد حصول المرأة على هذين الحقين الاقتصاديين معاً وهذا عنصر إعجاز. عنصر إعجاز ثان: القرآن الكريم جاء بتشريعات لحماية المرأة في هذا الموقف وهذا عنصر إعجاز. عنصر إعجاز ثالث: القرآن الكريم شكل الرجل وعالجته عقلياً وعاطفياً ليقبل ما شرع للمرأة من الحق في الميراث وفي نفس الوقت الحق في الحصول على مهر.

## الفرع السادس: إعجاز القرآن الكريم عند ربط الميراث باكتساب الثروة بوسائل مشروعة والذمة المالية المستقلة للمرأة

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ لِكُفْرٍ عَنْكُمْ سَبِيلَاتِكُمْ وَتُدْخِلَنَّكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا (٣١) وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢) وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)﴾

سورة النساء

هذه الدراسة تدور محورياً حول موضوع الإعجاز القرآني في آيات الميراث وهذا يعطى أهمية لهذه الفقرة. نعايش المجموعتين من الآيات ٧-١٤ و ٢٩-٣٣ لاكتشاف أوجه الإعجاز التي تحملها.

### أولاً: الإعجاز في أن الميراث القرآني من لوازمه الصحة النفسية تجاه ما عند الغير

من بين ما قد يعترض به على الميراث أنه يؤدي إلى تنمية الرغبة في الحصول على الثروة وامتلاكها ويقصد بذلك أن الميراث له تأثيراته النفسية السلبية. القرآن الكريم في الآيات التي نعايشها أخيراً - ضمناً - بهذا الأمر. بناء على ذلك نقول إن هذا وجه من أوجه الإعجاز وهو الاخبار بالغيب. القرآن الكريم وهو يخبر بذلك عن الأثر النفسي السلبي للميراث لم يجيء به في صورة اخبار فحسب وإنما جاء به في صورة علاجية، يقول الله تعالى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. يعني ذلك أن القرآن الكريم يربي الشخص الذي حوِّط بالميراث على موقف نفس إيجابي تجاه الآخرين وتجاه ما يملكون. لذلك أقول إن الميراث القرآني من لوازمه الصحة النفسية تجاه الآخرين وتجاه ما يملكون. وهذا وجه إعجاز تحمله الآيات التي نعايشها. أزيد هذا الوجه الإعجازي توضيحاً بالآتي: الميراث كما تنزل به القرآن الكريم ينتج نقيض الميراث الذي وضعه البشر، وهو نتاج إيجابي.

ثانياً: الإعجاز في أن الميراث القرآني من لوازمه العمل والكسب المشروع وهذا ينقض فكرة المعارضين الذين يعتقدون في أثره السلبي على العمل.

من بين ما يمكن أن يقال أن الميراث يؤدي إلى وجود أفراد في المجتمع لا يحبون العمل ولا يعملون لأنهم ورثوا من الثروات ما يغنيهم عن العمل. القرآن الكريم في الآيات التي نعايشها يربط الميراث بالعمل وكسب الثروة بالعمل. نقول عن ذلك إن الميراث القرآني من طبيعة مغايرة كلية للميراث الذي يمكن أن يتكلم عنه معارضو الميراث. ونقول أيضاً إن القرآن الكريم ينقض ما قاله معارضو الميراث من أنه يقتل الرغبة عند بعض الأفراد في العمل، ونقول أيضاً إن الميراث كما نزل به القرآن الكريم يجيء في منظومة تجعل العمل قيمة من القيم التي يؤمن بها من يطبق الميراث القرآني. الأمر على هذا النحو وهذا الفهم يكشف عن وجه إعجاز تحمله الآيات عندما تربط معاً.

ثالثاً: الإعجاز في جعل ميراث المرأة لا يمنع حقها في العمل والكسب وهذا يعالج كلا من الرجل والمرأة.

الميراث كما نزل به القرآن الكريم أحدث ثورة إيجابية عميقة في المجتمع العربي خاصة والمجتمع الإنساني عامة، وتمثلت هذه الثورة في تقرير حق المرأة في أن ترث وأن ترث بنصيب مفروض. الثورة التي أحدثها القرآن الكريم بشأن المرأة تتكامل بتقرير حقها في العمل ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا﴾. القرآن الكريم وهو يتناول بحق المرأة في العمل عاج موقفاً قد ينشأ عند بعض الرجال وهو أنهم قد يقولون ما دامت المرأة أصبحت وارثة فإنه لا حاجة لها أن تعمل. القرآن الكريم يتناول بما ينقض هذا الرأي أو هذا الموقف. لا يقتصر ما جاء به القرآن الكريم على علاج الرجل بشأن عمل المرأة وإنما يعالج المرأة أيضاً. القرآن الكريم شرع للمرأة أن تعمل وحفزها على ذلك بأن جعلها تمتلك العائد أو الدخل الذي ينتج من هذا العمل. القرآن الكريم بذلك عاج المرأة من أن يكون لها موقف سلبي ضد العمل بسبب أنها استغنت لأنها ورثت. هذا هو وجه إعجاز تحمله الآيات التي نعايشها.

رابعاً: الإعجاز في جعل الميراث القرآني من لوازمة قيام مجتمع يتمتع بالصحة النفسية والصحة الاقتصادية

الاهتمام ببيان الإعجاز القرآني بصاحبه في نفس الوقت الاهتمام ببيان أثر ما يحمله هذا الإعجاز في الواقع العملي التطبيقي. من استقرائنا لأوجه الإعجاز السابقة نستنتج أن الواقع الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يشرع الميراث ويربي عليه هو واقع يتمتع بالصحة النفسية والصحة الاقتصادية. تتمثل الصحة النفسية في وجود أشخاص أسوياء من حيث ما عند الآخرين، وتتمثل الصحة الاقتصادية في وجود مجتمع يعمل جميع أفرادهم رجالاً ونساءً.

اللوحتان (٩، ١٠) تجمع أوجه الإعجاز التي كشف عنها في هذه الفقرة. (مبينة في نهاية البحث)

## الفرع السابع: الإعجاز عند ربط الميراث بقوامة الرجل ومسؤوليته عن الإنفاق

(الإعجاز في البناء المؤسسي والاقتصادى والإدارى للأسرة (تعادل الحقوق مع الواجبات))

يقول الله تعالى

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْتِكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (٣٤)

سورة النساء

أدخل الآن هذه الآية ونحن نعيش آيات الميراث والآيات السابقة عليها والآيات اللاحقة بها. هذه الآية تدخل موضوع قوامة الرجل ومسؤوليته المالية في الإنفاق على الزوجة. أحاول أن نكتشف أوجه الإعجاز التي تحملها الآيات عندما ندخل هذا الأمر الجديد.

أولاً: الإعجاز في تكامل حقوق المرأة الاقتصادية حيث أن ميراثها النصف من الرجل في بعض الحالات يعوضه إلزام الرجل بالإنفاق عليها وحققها في المهر والعمل.



تضمنت الآيات تشريعات متعلقة بالحقوق الاقتصادية للرجل والواجبات الملقاة عليه وتشريعات متعلقة بالحقوق الاقتصادية للمرأة. تتمثل الحقوق الاقتصادية للرجل في أنه يرث ضعف ما ترثه المرأة في بعض الحالات وكذلك حقه في الكسب من تجارته أو عمله. الواجبات الاقتصادية على الرجل في نطاق الأسرة أنه يجب عليه أن يقدم لزوجته مهراً وأن يتحمل مسؤولية الإنفاق على الأسرة. بالنسبة للمرأة فإن حقوقها الاقتصادية تتمثل في أنها قد ترث نصف ما يرثه الرجل وأن لها مهراً وأن لها الحق في الكسب من العمل وبجانب ذلك فإن لها حقاً على الرجل وهو أن يقوم بالإنفاق عليها وعلى أولادها. معايشة هذه الآيات بهذه الحقوق والواجبات تكشف عن أن القرآن قدم نظاماً معجزاً في تكامله بين الحقوق والواجبات الاقتصادية لكل من الرجل والمرأة. المرأة لها الحق في الكسب كما أن الرجل له الحق في الكسب، وفي مقابل أن المرأة قد ترث النصف من الرجل فإنها أعفيت من تحمل مسؤولية الإنفاق على الأسرة ووضع ذلك كله على مسؤولية الرجل، يضاف إلى ذلك أن لها حقاً في الحصول على مهر لها. هذا هو وجه الإعجاز الأول في هذه الفقرة.

### ثانياً: الإعجاز في التعادل بين الواجبات والحقوق الاقتصادية لكل من الرجل والمرأة.

أذكر دائماً بأن أعداء الإسلام يهاجمونه لأسباب كثيرة ومن وجوه كثيرة ومنها ما يتعلق بميراث المرأة النصف من ميراث الرجل. الآيات التي نعايشها تنقض هذا الزعم ضد الإسلام. بل أقول إن المرأة في وضع اقتصادي مأمون وهذا مقصود وهذا يصبح وجه إعجاز جديد في الآيات التي نعايشها. القرآن الكريم تولى بقوامة الرجل على المرأة ولا شك أن هذه القوامة يمكن أن تتيح له صلات اجتماعية يكون لها توظيفاً اقتصادياً وغيرها. التعامل مع الآيات بهذا الفهم الصريح والواضح يكشف عن وجه الإعجاز الجديد الذي أشرت إليه. القرآن الكريم أمن المرأة اقتصادياً والرجل تميز بالقوامة والتي لها توظيفاتها الاقتصادية. الإعجاز في ذلك هو التعادل بين الواجبات والحقوق الاقتصادية، ومعها قوامة الرجل على المرأة. أخذ كل عناصر الحقوق والواجبات الاقتصادية في الاعتبار ينقض أي زعم ضد الإسلام أنه ميز الرجل اقتصادياً بل الصحيح أنه يتحمل بواجبات عمل والتزامات اقتصادية بأكثر مما تتحمل المرأة.

ثالثاً: الإعجاز في تحقيق الأمن الاقتصادي للمرأة بمصادر أربعة

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبُواْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَ﴾. هذا المقطع من الآية (٣٣) صريح في أن لكل من الرجل والمرأة ما اكتسبه، وحيث أن الآيات السابقة واللاحقة تتكلم عن أمور اقتصادية: التجارة عن تراض ومسئولية الرجل في الإنفاق على المرأة فإن هذا يعمل على تأييد الرأي الذي أتينا به وهو أن الاكتساب هنا مقصود به اكتساب المال ويكون المعنى أن للرجل حق اكتساب المال بالطرق المشروعة، بالعمل أو بالتجارة أو بغير ذلك، وعلى نفس المستوى فإن للمرأة حق اكتساب المال بالطرق المشروعة بالعمل أو بالتجارة أو بغير ذلك. وهذه الحقوق كلها في إطار الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام والتي تعمل على مستوى الفرد ومستوى الأسرة ومستوى المجتمع.

يشير واقع الحياة الاقتصادية إلى أن اكتساب المال بالعمل وحده أو معه رأس مال هو المصدر الرئيسي للدخل. عندما نطبق هذا على حق المرأة في اكتساب المال بالعمل فإن هذا يعني أن القرآن الكريم شرع للمرأة الوسيلة الرئيسية للحصول على الدخل. وهذا الحق في إطار الأحكام الشرعية المنظمة للأسرة.

المناقشة السابقة تكشف عن وجه إعجاز تحمله الآيات التي نعايشها وهو الإعجاز في تحقيق الأمن الاقتصادي للمرأة من خلال مصادر أربعة: الميراث على النصف من الرجل (في بعض الحالات) ومسئولية الرجل في الإنفاق عليها ومع هذا يجي المهر، وحقها في العمل، هذا الإعجاز عظيم.. عظيم لأنه أعطى اهتماماً لتوفير الأمن الاقتصادي للمرأة على هذا النحو المعجز.

رابعاً: الإعجاز في التنظيم الإداري المؤسسي للأسرة باعتبارها المؤسسة الأولى التي يقوم عليها المجتمع واعتبار ذلك نموذجاً لتنظيم المجتمع.

قد يرد اعتراض من الذين يزعمون أنهم يدافعون عن حقوق المرأة، إنهم يزعمون أنهم نصبوا أنفسهم لهذا الأمر. الاعتراض: المرأة على استعداد أن تنازل عن حقوقها الاقتصادية عند الرجل في مقابل ألا يكون له حق القوامة. الرد على هذا الاعتراض ونقضه يكشف عن وجه إعجاز في الآيات التي نعايشها. قبل الكشف عن هذا الوجه الإعجازي أقدم له تمهيداً. تقدم المجتمعات البشرية وتطورها ارتبط بالتطور والتقدم في ظهور المؤسسة وإدارتها. إن أي مجتمع معاصر يقوم على مؤسسات : جهاز الدولة مؤسسة كبيرة وله مؤسسات فرعية. جميع الأعمال عامة أو خاصة من خلال أو بواسطة مؤسسات. تقدم المجتمع يتوقف على كفاءة مؤسساته ومن عناصر هذه الكفاءة العنصر المتعلق بإدارة المؤسسة، إدارة المؤسسة تعني وجود

قيادة لها تدبير وتنسيق وتنظيم وتشاور وتصدر القرار وتحمل مسؤوليته. هذا الذي أقوله: عن المؤسسة هو أمر مسلم به في المجتمعات المعاصرة، سواء من حيث دور المؤسسة أو من حيث وجود قيادة لها. عندما تصل مناقشتنا إلى هذا الحد فإن ما قرره القرآن الكريم عن قوامة الرجل على المرأة يصبح معجزاً. وهو وجه إعجاز تتعدد عناصره.

١- الإعجاز في الآيات التي نعيشها أنه يبدأ فكرة المؤسسة بالأسرة أو من الأسرة. جعل الأسرة بمثابة مؤسسة لا ينقص منها وإنما يعلى من شأنها ويزيد من كفاءتها في كل علاقاتها. كل الدراسات التي أجريت على الأسرة تشير إلى أن الذي يميز الأسرة الناجحة بكل معاني النجاح: النجاح كأسرة من حيث علاقات أعضائها ونجاح أعضائها في حياتهم من كل وجوهها، الذي يميز هذه الأسرة أن الأمر فيها على الشورى وعلى المساواة مع قوامة الرجل، أى وجود قيادة تتحمل مسؤولية القرار. التشكيل القرآني (الإداري) للأسرة على هذا النحو هو أمر معجز.

٢- الذين يعترضون على قوامة الرجل يحولون الحياة الأسرية إلى فوضى. نحاول فهم ذلك بالإحالة إلى واقع الحياة: لو أن هناك مؤسسة منوط بها أهداف محددة مثل إنتاج سلعة أو تادية خدمة أو إدارة أمر ما، وهذه المؤسسة تتكون من عدد من الأفراد، هذه المؤسسة لا يمكن أن ينتظم أمرها وتحقق هدفها إلا إذا كانت لها قيادة تشاور وتدرس وتوزع المسؤوليات ثم تتحمل مسؤولية القرار ومتابعة تنفيذه. إذا لم تنتظم المؤسسة بوجود قيادة إدارية على هذا النحو فإن الأمر يصبح فوضى، ومع الفوضى لا أمل في شيء. الذين يعترضون على قوامة الرجل يريدون أن يكون أمر الأسرة فوضى. واقع الحياة يثبت ذلك: الرجل الذي تخلى عن القوامة صار أمر الأسرة إلى فوضى. وما أخطر الفوضى في الحياة العائلية، وخطرها لا يقتصر على الأسرة وإنما يمتد إلى المجتمع كله.

أقول للذين يعترضون على قوامة الرجل أنتم تقبلون أن يكون لكل تجمع قيادة إدارية، أن يكون لكل مؤسسة قيادة إدارية، فلماذا تحرمون الأسرة من ذلك، والصحيح أنها أحوج إلى قيادة: إن فيها أطفالاً، وفيها مسؤوليات متعددة ومتنوعة، بل وفيها نوازل قد تتول بها، وأن زمنها يمتد عبر فترة طويلة بل هو ممتد دائماً، فالأسرة لا تنتهي وإنما تتواصل.

٣- قد يقول المعترضون على قوامة الرجل وأمام تسليمهم بضرورة قيادة إدارية للأسرة لماذا لا تكون القوامة للمرأة؟ أقول في الرد على ذلك: نفترض وجود وزارة (مثلاً) تتبعها مؤسسات. على مستوى الوزارة فإنه تحدد المؤسسات التابعة لها والمؤهلات أو الخصائص المطلوبة في القيادة الإدارية للمؤسسة. بنفس المنطق أقول: إن الأسرة تنشأ بتشريع إلهي، وهذا التشريع يحدد أهداف الأسرة ويحكم علاقتها. الله سبحانه وتعالى الذي أصدر تشريعه بإنشاء هذه الأسرة خلق الرجل يحمل الخصائص التي تؤهله للقوامة، وهي خصائص لا يمكن إنكارها، ذلك أنه لم يستطع أحد أن يثبت أنه لا توجد فروق في الخصائص بين كل من الرجل والمرأة.

هذه المناقشة تقود بتسليم كامل إلى أن الآيات التي نعايشها والتي ربطت بين الميراث وقوامة الرجل ومسئوليته في الإنفاق على المرأة تحمل وجه إعجاز يتعلق بإدارة الأسرة باعتبارها المؤسسة الأولى في المجتمع. في ضوء هذه النتيجة أتقدم إلى عنصر في هذا الوجه الإعجازي هو أن القرآن الكريم يشكل عقلية إنسان القرآن الكريم أكفأ تشكيل من حيث إدارة المجتمع بدءاً بالأسرة، إنسان القرآن تربي على أهمية وجود قيادة لأي عمل ولأي وحدة ولأي تنظيم.

في هذا الصدد أذكر ما يلي: إن دراسات التقدم والتخلف أثبتت أن من خصائص المجتمعات المتقدمة أنها مجتمعات مؤسسية تقوم على وجود مؤسسة لها أهداف ولها قيادة ولها صلاحيات، يمكن لأي إنسان أن يفكر في هذا الأمر ويطبقه على واقع العالم الذي نعاصره وسوف يكتشف بسهولة أن المجتمعات المتقدمة هي مجتمعات مؤسسية من حيث أمر السياسة وأمر الاقتصاد ولذلك حققت تقدماً في هذا الجانب ولكنها لم تحقق التقدم في المجال الأسري لأنها أخرجت الأسرة من كونها مؤسسة تقوم على قوامة الرجل. مجتمعاتنا الإسلامية مطالبة أن تطبق ما جاء في القرآن من التربية المؤسسية التي لها قيادة وأن يبدأ ذلك بالأسرة.

اللوحة البيانية (١١) تجمع أوجه الإعجاز القرآني عند ربط الآيات ٧-٣٥ وهي أوجه تصب نفسها في الإعجاز في البناء الاقتصادي والإداري للأسرة.

## الفرع الثامن: الإعجاز القرآني عند الربط بين الميراث والإحسان مع النوع الإنساني (التكافل المادي وما فوقه)

يقول الله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا (٣٦). الَّذِينَ يَخْلَوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧). وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨). وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩). إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)﴾

سورة النساء

الموضوع المتعلق بالاقتصاد أو الذي يشمل الاقتصاد والذي تعالجه هذه الآية هو الإحسان. الإحسان كلمة جامعة لكل أعمال الخير وهو يختلف باختلاف أحوال الناس، الإحسان إلى شخص فقير له وسائله، والإحسان إلى شخص غني له وسائله. يمكن أن يأخذ الإحسان الصور الآتية:

- الإحسان المالي والذي يتمثل في تقديم مساعدة مالية لمن يحتاج إلى ذلك.
- الإحسان في المعاملة والسلوك مع الآخرين.
- الإحسان بالمشاركة الوجدانية فيما يعرض للشخص من أمور إيجابية أو سلبية.
- الإحسان باحفاظة على حقوق الآخرين مادية أو معنوية.
- الإحسان بنصرة من يقع عليه ظلم.

الميراث موضوع متعدد الجوانب، اقتصادية واجتماعية، بل وسياسية وذلك عندما يرتبط الميراث بقوة اقتصادية تترجم إلى قوة اجتماعية وسياسية.

من البعد الاقتصادي هناك من قد ينتقد الميراث، وقد يصل الانتقاد إلى حد انكار الميراث كلية. من المداخل التي قد ينتقد منها الميراث اقتصادياً أنه يؤدي إلى سوء توزيع الثروات في المجتمع وذلك لأنه يرتبط به تكديس الثروات في يد أسر وقد تكون أسر محدودة. ليس هذا فرضاً نظرياً وإنما تشبه الدراسات التطبيقية. يمكن إعادة صياغة الفكرة السابقة على النحو الآتي:

قد يرتبط بالميراث بسوء توزيع الثروات وبالتالي الإضرار بالتكافل على مستوى المجتمع. يحاول الاقتصاديون العمل على علاج هذا الجانب ببرامج للتكافل أو بنظام ضريبي على انتقال الثروات ... وهكذا.

عندما نتعرف على المعنى السابق فإنه في نفس اللحظة ينكشف لنا الإعجاز في الآيات التي ذكرت في بداية هذه الفقرة. هذه الآيات تتكلم عن الإحسان - وهو أعم وأرقى من التكافل - مع تسع فئات في المجتمع. ووجه الإعجاز أن القرآن الكريم جاء بتشريع الإحسان في سياق واحد مع الميراث وذلك ليؤخذ تشريع الميراث مضموماً ومزوجاً بالإحسان. ووجه إعجاز آخر هو الإخبار بالغيب. الحديث عن الإحسان والمعاني الأخرى التي تتضمنها الآيات التي سطرناها هو بمثابة أخبار بغيب منذ أربعة عشر قرناً لما يقال الآن في أيامنا.

هذا الوجه الإعجازي الجديد هو الذي نعيشه في هذه الفقرة ويظهر في اللوحة (١٢).

## المبحث الثالث

الإعجاز في المنظومة القرآنية  
لآيات الميراث ١ - ٤٢ سورة النساء

## تمهيد:

أخصص هذا المبحث لمعايشة إجمالية للآيات ١-٤٢ بهدف اكتشاف أوجه إعجاز جديدة تضاف لأوجه الإعجاز التي اكتشفتها في كل الفقرات التي سبق تقديمها وأمهد هذه المعايشة بما يلي:

١- في المباحث السابقة عايشنا الآيات ١-٤٠ من سورة النساء وذلك لاكتشاف أوجه الإعجاز فيها باعتبار الموضوعات التي تناولتها الآيات، ثم على اكتشاف أوجه الإعجاز في هذه الآيات عند ربط الموضوعات كلها بالميراث. وبهذا حققت هذه الدراسة هدفين: هدف عام وهو اكتشاف أوجه الإعجاز في الموضوعات الستة التي عالجتها الآيات وهدف خاص وهو اكتشاف الإعجاز القرآني في الميراث.

٢- الآيتان الثالثتان للآيات الأربعين التي عايشناها يقول الله عز وجل فيهما ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)﴾ (النساء: ٤١-٤٢).

تجعلنا هاتان الآيتان نعايش الحياة الآخرة بأقوى وأبلغ أسلوب. والذي أراه في الأمر أن هاتين الآيتين يكتمل بهما الحديث عن موضوعات الآيات الأربعين والتي جاء فيها الحديث عن الميراث ولذلك نعايش هاتين الآيتين بهذا الفهم.

٣- العنوان الذي اخترته لهذه الفقرة هو الإعجاز في المنظومة القرآنية والكلمة التي تحتاج إلى توضيح هي كلمة "المنظومة". خلال معايشتنا للآيات ١-٤٠ اكتشفنا وجود رابطة بين مجموعات الآيات من حيث الموضوعات التي تعمل عليها. مع محاولة لفهم عميق لطبيعة هذه الرابطة وجد أنها تكون منظومة لها طبيعتها وتكشف عن وجه إعجاز. نعايش الآيات ١-٤٢ جملة واحدة بعد أن عايشناها مجموعات وذلك لاكتشاف أوجه إعجاز جديدة من حيث اتصالها وتتابعها في نسق متميز. وكذلك لاكتشاف أوجه إعجاز بعد الأخذ في الاعتبار الآيتين ٤١-٤٢ اللتين تتحدثان عن الحياة في اليوم الآخر.

٤- هذا المبحث هو الفقرة الأخيرة في هذه الدراسة عن الإعجاز القرآني في الميراث، ولذلك سوف أحاول أن يحمل الرسالة الاجمالية التي عملت على إثباتها في هذا البحث وهي أن الميراث كما تنزل به القرآن الكريم هو تشريع معجز وإعجازه باق ومستمر.

٥- أحب أن أذكر بما سبق أن قلته وهو أن هذه الدراسة التي أقدمها عن الميراث في سياق نوع من الإعجاز في القرآن الكريم أبشر به وادعو إليه وهو الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية الإنسانية. الميراث موضوع له أبعاده الاقتصادية ولذلك فإن إثبات الإعجاز القرآني في هذا الموضوع هو إثبات للإعجاز القرآني في الاقتصاد. الاقتصاد أحد العلوم الاجتماعية ولذلك فإن إثبات الإعجاز القرآني في الاقتصاد يصبح دليلاً على الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية الإنسانية. التحليل والمناقشة والمعايشة التي أقدمها في هذا المبحث تدل على (نوع) الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية الإنسانية، إنه إعجاز يتلاءم مع طبيعة هذه العلوم، وهو بهذا إعجاز له طبيعته المتميزة عن الإعجاز في العلوم التجريبية مثل الطب والفيزياء.

## الإعجاز في السلسلة المحورية الارتكازية

كشفت الدراسة للإعجاز القرآني في الميراث عن أنه يجيء مسبوقةً بآيات تستهدف التربية والاعداد لتلقى هذا الموضوع، وكذلك يجيء متلواً بآيات متصلة به بهدف استكمال تربية وتنظيم سلوكاً وإجراءات. على هذا النحو تكون آيات الميراث محوراً ارتكازياً للآيات السابقة عليها والتالية لها وهذا ما أسميه الإعجاز في المنظومة المعرفية.

قبل عرض هذه المنظومة في الآيات التي نعايشها (١-٤٢) سورة النساء من الضروري الإشارة إلى أن هذه الفكرة، أي المنظومة يمكن أن يطبقها كل متخصص في موضوع تخصصه: علم السياسة وعلم الاجتماع وعلم التاريخ.. بهذا نسبق بالرد على اعتراض قد يجيء على دراستي وهو أنني جعلت الميراث (الموضوع الاقتصادي) هو الموضوع المحوري الارتكازي. إن كل موضوع في أي تخصص يمكن اكتشاف منظومته المحورية الارتكازية، وعندما تستكمل المنظومات المحورية الارتكازية في كل التخصصات نجد أنفسنا أمام إعجاز كلي للقرآن الكريم، إنه إعجاز فوق أن تعبر عنه أو تصفه كلمات. بعد هذا التعريف بالمنظومة المحورية الارتكازية نعايش الآيات ١-٤٢ لاكتشاف أوجه الإعجاز فيها على اعتبار أن الميراث هو الموضوع المحوري الارتكازي. وسوف أقوم بمعايشات متعددة للآيات باعتبار المنظومة المحورية الارتكازية.

**المعايشة الأولى:** تعرض اللوحة البيانية (١٣) المنظومة المحورية الارتكازية للآيات التي نعايشها. أقدم قراءة لهذه اللوحة وحيث تكشف هذه القراءة عن أوجه إعجاز جديدة. تبدأ الآيات بالتربية على وحدة النوع الإنساني (الآية ١)، التربية على وحدة النوع الإنساني هي تربية عامة، ولذلك جاءت بعدها التربية على حماية الفئات الضعيفة (الآيات ٢-٦) وقد استهدفت هذه الآيات على وجه خاص الحماية الاقتصادية، ولأن الأمر أصبح موجهاً توجيهياً اقتصادياً لذلك تلاءم معه أن تجيء الآيات (٧-١٠) لتضع قواعد لواحد من أهم



الموضوعات الاقتصادية وهو الميراث، وحيث جاءت آيات الميراث تالية مباشرة (١١-١٤). الميراث تشريع اقتصادي يتعلق بالأسرة ولذلك جاءت الآيات ١٥-٢٨ متضمنة تشريعات متعلقة بالأسرة وحيث تعكس هذه التشريعات نفسها في الميراث. الميراث وسيلة من وسائل اكتساب الثروة ولذلك جاءت الآيات ٢٩-٣٥ للتربية على اكتساب الثروة بالعمل مع تشريعات اقتصادية متعلقة بالأسرة، وهكذا ترتبط الآيات ١٥-٢٨ والآيات ٢٩-٣٥. اكتساب الثروة قد لا يستطيعه كل شخص لسبب لا يمكنه دفعه ولذلك جاءت الآيات ٣٦-٤٠ بأشمل تشريع للإحسان مع النوع الإنساني مشتملاً على الإحسان المالي. تجيء الآيات ٤١-٤٢ لتحدث التوازن في تربية إنسان القرآن باعتبار الآخرة ويمثل هذا التوازن وجه إعجاز جديد.

### المعيشة الثانية:

أقدم في هذه الفقرة المعيشة الثانية للمنظومة الخورية الارتكازية والتي أسسها على أن الميراث هو الموضوع الخوري الارتكازي. أعرض هذه القراءة في اللوحة البيانية (١٤).

تضمنت الآية (١) التربية على وحدة النوع الإنساني، وتضمنت الآيات ٣٦-٤٠ التربية على الإحسان إلى النوع الإنساني، هذان الموضوعان يتكاملان معاً. التربية على وحدة النوع الإنساني هي وعاء وأساس للتربية على الإحسان مع النوع الإنساني، إنسان القرآن الذي يؤمن بأن الناس جميعاً من أصل واحد يستجيب فوراً وتلقائياً عندما يؤمر بالإحسان مع أفراد هذا النوع الإنساني. على هذا النحو يرتبط موضوع الآية (١) بموضوع الآيات ٣٦-٤٠. إنسان القرآن الذي ربي هذه التربية الإنسانية العامة الكاملة هو الذي تدرج له تشريع الميراث في الآيات ٧-١٤، عندما نفهم ونستوعب الربط بين موضوع الآيات ١ و٣٦-٤٠ والآيات ٧-١٤ على هذا النحو فإن كل الادعاءات ضد الميراث تنقض، الادعاء ضد الميراث بأنه يولد في الإنسان نزعة الأنانية والانغلاق على أسرته الضيقة التي يهتم بأن تكون وارثة لثروته - هذا الادعاء يسقطه القرآن الكريم وينقضه بالتربية على وحدة النوع الإنساني والإحسان مع أفرادها. هذا هو الوجه الأول للإعجاز القرآني في هذه المنظومة الخورية الارتكازية. أحاول أن نلخص هذا الوجه الإعجازي: تشريع الميراث في القرآن الكريم يقوم بتطبيقه إنسان قد تم تحصينه ضد نزعة الأنانية المرضية التي يولدها الميراث. هذا الوجه الإعجازي يظهره محور (١) في اللوحة البيانية (١٤).

الموضوع الاقتصادي في الآيات ٢-٦ هو التربية على الحماية الاقتصادية للفئات الضعيفة والموضوع الاقتصادي في الآيات ٢٩-٣٥ هو التربية على اكتساب الثروة بطرق مشروعة. أرى أن أذكر هنا بأن إيفاق الزوج على زوجته هو اكتساب لثروة بطريقة مشروعة. يتبين أن موضوع الآيات ٢-٦ يتكامل مع موضوع الآيات ٢٩-٣٥. لقد تضمنت الآيات تربية اقتصادية متكاملة من حيث نزع عوامل الاستغلال الاقتصادي من نفس إنسان القرآن ومن سلوكه ومن حيث تربيته على اكتساب الثروة بوسائل مشروعة. إنسان القرآن الكريم ربته الآيات ٢-٦ بحيث خلصته من الشر الاقتصادي المتمثل في الاعتداء على الغير وربته الآيات ٢٩-٣٥ بحيث أكسبته وأفرغت فيه وزودته بأن يعتمد على نفسه وبوسائل مشروعة في اكتساب الثروة. إنسان القرآن الكريم الذي ربي هذه التربية الاقتصادية بشقيها هو الذي خوطب بتشريع الميراث في الآيات ٧-١٤.

الأمر على هذا النحو معجز، معجز من حيث عنصرى التربية الاقتصادية ومعجز من حيث ربط هذه التربية الاقتصادية بالميراث. إنسان القرآن الكريم الذي نزل له القرآن الكريم بتشريع الميراث ويقوم على تطبيقه قد ربي تربية تضمن تحصيله ضد الانحرافات التي يمكن أن يقول بها أعداء الميراث. إنهم قد يقولون إن الميراث يولد عند الشخص الرعة في استغلال الآخرين. إنسان القرآن الكريم قبل أن يخاطب بتشريع الميراث تولى القرآن تربيته بحيث أصبح إنساناً مفرغاً ومخلصاً من غريزة الاعتداء الاقتصادي على الآخرين. وقد يقول أعداء الميراث أيضاً إن الميراث يخلق طبقة من العاطلين بالوراثة بحيث لا تحب العمل لأنها ورثت ثروة وقد تكون كبيرة. الآيات التي تزلت بتشريع الميراث استكملت بآيات تربي إنسان ميراث القرآن على أن يعمل ويكتسب الثروة بوسائل مشروعة. هذا الوجه الإعجازي يعرضه المحور (٢) في اللوحة البيانية (١٤). إنه إعجاز من حيث التناسب والارتباط والتكامل بين موضوع الآيات ٢-٦ و ٧-١٤، (ويدخل معها الآيات ١٥-٢٨ باعتبارها تكمل التشريعات العاملة على الأسرة) و ٢٩-٣٥.

المعيشة الدقيقة لهذا الوجه الإعجازي تكشف عن أنه يحمل في ثناياه وجه إعجاز آخر، هذا الوجه الإعجازي المتضمن يتمثل في الترتيب بين عنصرى التربية الاقتصادية السابقة واللاحقة للميراث، وكذلك في ترتيب الميراث بين عنصرى التربية الاقتصادية. القرآن الكريم خلص أولاً إنسان القرآن من الوسائل غير المشروعة لاكتساب الثروة ثم بعد ذلك ملاءه بالوسائل المشروعة لاكتساب الثروة. وكذلك خلصه من الوسائل غير المشروعة لاكتساب الثروة ثم زوده بالميراث وسيلة مشروعة لاكتساب الثروة ثم استكمل تزويده بالوسائل المشروعة لاكتساب الثروة وهي العمل.

إدخال الآيتين ٤١-٤٢ في التحليل يضيف وجه إعجاز جديد. موضوع الآيتين هو أمر الآخرة، وبهذا يكتمل التوازن في إنسان القرآن الكريم، وهو توازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

## المعيشة الثالثة:

أقدم في هذه الفقرة المعيشة الثالثة للمنظومة المحورية الارتكازية وهي المنظومة التي تتأسس على أن الميراث هو الموضوع المحوري الارتكازي في الآيات ١-٤٢. اللوحة البيانية (١٥) تعرض هذه المعيشة. تظهر اللوحة أن هناك ثلاثة موضوعات سابقة على آيات الميراث وثلاثة موضوعات تالية لآيات الميراث. كشفت المعيشة العميقة لهذه الموضوعات أن بينها ارتباطاً معجزاً وهو ما أحاول أظهره في المناقشة التالية.

١- تعمل الآية (١) على التربية على وحدة النوع الإنساني أما الآيات ٣٦-٤٠ فإنها تعمل على التربية على الإحسان مع النوع الإنساني وهذان الموضوعان مرتبطان: الأول عام يشمل الإنسان من حيث أصله، أما الثاني فإنه يشمل الإنسان من حيث الإحسان معه. والربط بين هذين الموضوعين على هذا النحو يكشف عن وجه إعجاز. عندما نربط هذين الأمرين بالميراث باعتباره الموضوع المحوري في هذه المعيشة الثالثة فإنه يكشف عن وجه إعجاز جديد: الميراث في القرآن الكريم جاء محاطاً بإطار عام موضوعه التربية على وحدة النوع الإنساني والإحسان معه. النتيجة التي تترتب على ذلك أن إنسان القرآن الكريم الذي يطبق الميراث قد تمت تربيته تربية إيمانية تخلصه من كل عناصر الأنانية الضيقة التي تجعله يدور محورياً على أسرته ولكنه بالتربية القرآنية يدور محورياً على وحدة النوع الإنساني والإحسان معه. هذا الوجه الإعجازي يظهره المحور (١) في اللوحة البيانية (١٥) وهو وجه يبدأ من وحدة النوع الإنساني والإحسان معه ويصب في الميراث.

٢- موضوع الآيات ٢-٦ التربية على الحماية الاقتصادية للفئات الضعيفة وموضوع الآيات ٢٩-٣٥ التربية على اكتساب الثروة بوسائل مشروعة. هذا الموضوعان مرتبطان، وارتباطهما يجمل وجه إعجاز. الموضوع الأول يفرغ الإنسان من وسائل اكتساب الثروة بوسائل غير مشروعة أما الموضوع الثاني فإنه يملؤه بوسائل مشروعة لاكتساب الثروة. هذا الارتباط على هذا النحو معجز. نحاول أن نعايش هذا الارتباط القرآني المعجز بأطول مما عايشناه، الموضوع الأول يخلص الإنسان من شر اقتصادي أما الموضوع الثاني فإنه يملؤه بخير اقتصادي، الموضوع الأول يجرد الإنسان من وسائل التخريب الاقتصادي أما الموضوع الثاني فإنه يزود الإنسان بوسائل البناء الاقتصادي.

الارتباط بين هذين الموضوعين يجمل وجه إعجاز، وربط هذين الموضوعين بالميراث وهو الموضوع المحوري الارتكازي يكشف عن وجه إعجاز. إنسان القرآن الكريم الذي شرع له الميراث ويقوم على تطبيقه ويطبقه قد ربى تربية اقتصادية تحصنه من الاعتداء على أموال الغير كما تحصره في دائرة اكتساب الثروة بوسائل مشروعة. بهذا فإن الميراث في القرآن الكريم لا ينتج الآثار السلبية التي تترتب على الميراث الذي

يضعه البشر والتي منها الاعتداء على مال الآخرين والميل للعود عن العمل. هكذا نحن أمام وجه إعجاز يتولد منه وجه إعجاز آخر. هذا الوجه الإعجازي يظهره المحور (٢) في اللوحة البيانية (١٥) واتجاه السهم يشير إلى أننا نبدأ بالتربية على الحماية الاقتصادية للفئات الضعيفة واكتساب الثروة بوسائل مشروعة ويصب الأمر في الميراث.

٣- موضوع الآيات ٧-١٠ التربية على القواعد الكلية المنظمة للميراث بين الذين يرثون وموضوع الآيات ١٥-٢٨ التربية على أمور كلية لحماية الأسرة وفيها قواعد اقتصادية. الموضوعان مرتبطان ومتكاملان وهذا الارتباط وهذا التكامل يحمل وجه إعجاز: الذين خوطبوا بقواعد الميراث واكتسبوا حقوقاً اقتصادية بما خوطبوا في نفس الوقت بقواعد الحماية الأسرية ومنها قواعد اقتصادية، والذين كسبوا من القواعد الأولى عليهم الالتزام بالقواعد الثانية. وأيضاً الذين ميزوا في القواعد الأولى (الرجال) عليهم الالتزام بالتعويض الذي جاء في القواعد الثانية للفئة الأخرى (النساء). الارتباط على هذا النحو يحمل وجه إعجاز. هذا الوجه الإعجازي يولد وجه إعجاز آخر عندما ندخل أحكام الميراث (الآيات ١١-١٤) في الاعتبار، الذين تربوا على هذه القواعد بنوعيتها هم الذين شرع لهم الميراث ويطبقونه. القواعد الأولى زودت الأسرة بالمعايير التي تتصرف بها في الثروة الموروثة والقواعد الثانية عملت استكمالاً وتعويضاً اقتصادياً مع قواعد تحصيلية هامة للأسرة. المحور (٣) في اللوحة البيانية (١٥) يظهر هذا الوجه الإعجازي. وهذا الوجه الإعجازي يتأكد أو يتولد منه وجه إعجاز جديد عندما نأخذ الآيات ٧-٢٨ كتلة واحدة. هذه الآيات مأخوذة معاً بكل ما فيها من حقوق والتزامات أسرية تحقق العدل بين الرجل والمرأة. الأمر على هذا النحو يكون معجزاً في ذاته ومعجزاً من حيث أنه يتضمن رداً على الذين قد ينتقدون الميراث كما جاء في القرآن الكريم.

هذا التداخل بين موضوعات مجموعات الآيات الثلاث جعلناه يظهر في اتجاه سهم المحور (٣) حيث يصب في الميراث وقد جعلنا هذا المحور يلتقي في داخل المربع الذي تظهر فيه آيات الميراث وذلك للإشارة إلى أن الآيات ٧-٢٨ تمثل كتلة واحدة.

٤- على نحو ما قلته في المعاشات السابقة أقول هنا أيضاً إن الآيتين ٤١-٤٢ تدخلان الآخرة في الاعتبار، وبهذا يتوازن إنسان القرآن بين اعتبار الدنيا واعتبار الآخرة وهذا وجه إعجاز.

## نتائج

## أولاً: أوجه إعجاز القرآن الكريم في الميراث

- عقد هذا البحث لاكتشاف إعجاز القرآن الكريم في الميراث. وبناء على ما تضمنه فإن أوجه إعجاز القرآن الكريم في الميراث تجمع في الأوجه التالية:
- ١- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث أخبر بأمور غيبية تتمثل في آراء قائلها منتقدو الميراث أو الرافضون أو الذين يمكن أن يرفضوه بعد نزول القرآن الكريم بقرون طويلة وهذا وجه إعجاز.
  - ٢- يعالج القرآن الكريم تشريع الميراث في منظومة كلية شاملة لكل العناصر التي لها ارتباط بالموضوع، وبحيث يعجز العقل البشري عن أن يأتي بهذه المنظومة وهذا وجه إعجاز.
  - ٣- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث عاجله في منظومة تستوعب ما يتعلق بالدنيا وما يتعلق بالآخرة، وقد جاءت هذه المنظومة على نحو يعجز العقل البشري أن يأتي بمثلها. وهذا وجه إعجاز.
  - ٤- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به في منظومة تستوعب العناصر المادية والعناصر الروحية المعنوية على نحو يعجز العقل البشري أن يأتي بمثله وهذا وجه إعجاز.
  - ٥- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به في منظومة تجمع في ملاءمة بين العموم والخصوص على نحو يعجز العقل البشري أن يقيم تلاؤماً يناظره. وهذا وجه إعجاز.
  - ٦- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به على نحو يشكل من خلاله عقلية الإنسان بحيث يصبح مالكاً لقدرات عقلية مؤهلة للتعامل الصحيح مع الحياة. وهذا وجه إعجاز.
  - ٧- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به على نحو يشكل من خلاله عواطف الإنسان وأحاسيسه ووجدانه بحيث يكون إنساناً سوياً في انفعالاته. وهذا وجه إعجاز.
  - ٨- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به في سياق يخلصه من جميع السلبيات التي تلحق بنفس هذا الموضوع الذي وضعه الإنسان لنفسه. وهذا وجه إعجاز.
  - ٩- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث صاغه وجاء به في سياق بحيث ينتج الآثار الإيجابية المطلوبة مجملها في تلاؤم بينما يعجز الفكر الوضعي عن تحقيقها لأنه يراها متعارضة، وهذا وجه إعجاز.
  - ١٠- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث أنشأ معه وحدات اجتماعية تشبع جميع معايير الأمثلية، وحيث يعجز العقل البشري أن ينشئ مثلها. وهذا وجه إعجاز.

١١ - القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به على نحو يشبع جميع معايير الأمثلية ومنها عدالة التوزيع لكل من الدخل والثروة، وكفاءة التراكم لكل من الثروة ورأس المال، وأمثلة التخصيص لكل من عنصر العمل والموارد الاقتصادية المادية. كل هذا يتم في منظومة تتفاعل وتتناغم لتحقيق إعمار الأرض واستخلاف الإنسان فيها. وهذا وجه جامع للإعجاز القرآني في الميراث.

### ثانياً: إعجاز القرآن الكريم في الاقتصاد

الميراث له تداخلاته مع كثير من العلوم، لكن ارتباطه الواضح مع الاقتصاد. هذا الارتباط بين الميراث والاقتصاد هو سبب مقبول لتصنيف أوجه إعجاز القرآن الكريم في الميراث التي سبق ذكرها على أنها إعجاز قرآني في الاقتصاد. وبهذا تصبح دراسة إعجاز القرآن الكريم في الميراث نموذجاً لدراسة الإعجاز القرآني في الاقتصاد. ويكون ما اكتشف من أوجه إعجاز قرآني في الميراث دليلاً على وجود إعجاز قرآني في الاقتصاد.

### ثالثاً: إعجاز القرآن الكريم في العلوم الاجتماعية

الاقتصاد أحد العلوم الاجتماعية وإثبات وجود إعجاز قرآني في الاقتصاد هو دليل على وجود إعجاز قرآني في العلوم الاجتماعية. هذا الموضوع وهو إعجاز القرآن الكريم في العلوم الاجتماعية هو نوع الإعجاز الذي أبشر به وأدعو إليه.

### رابعاً: بين الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية والعلوم التجريبية

توضع العلوم في تصنيفات متعددة، من هذه التصنيفات علوم اجتماعية وعلوم تجريبية. من العلوم الاجتماعية الاقتصاد والإدارة والسياسة والتربية والتاريخ. ومن العلوم التجريبية الطب وعلوم الأراضي وعلوم الفضاء.

العلوم التجريبية تخضع للتجربة، ولذلك يقبل القول فيها بالحقائق العلمية وبسبب ذلك قبل القول بالإعجاز القرآني فيها.

العلوم الاجتماعية لها طبيعتها، ولذلك فإن الإعجاز القرآني فيها له طبيعته. ما ذكرناه من أوجه إعجاز قرآني في الميراث هو نموذج للإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية. يترتب على ذلك أن في القرآن الكريم إعجازاً في نوعي العلوم الاجتماعية والتجريبية وأن الإعجاز في كل واحد منها له طبيعته.

خامساً: القرآن الكريم جمال أوجه

القرآن الكريم جمال أوجه. هذا أمر متفق عليه. وأمهد بذلك للآتي: أوجه الإعجاز القرآن في الميراث التي اكتشفها هذا البحث والتي استدلت بها في الدعوة للإعجاز القرآني في الاقتصاد، وإعجاز أعم وهو الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية - هذا الأمر كله أقدمه على أنه وجه يحمله القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

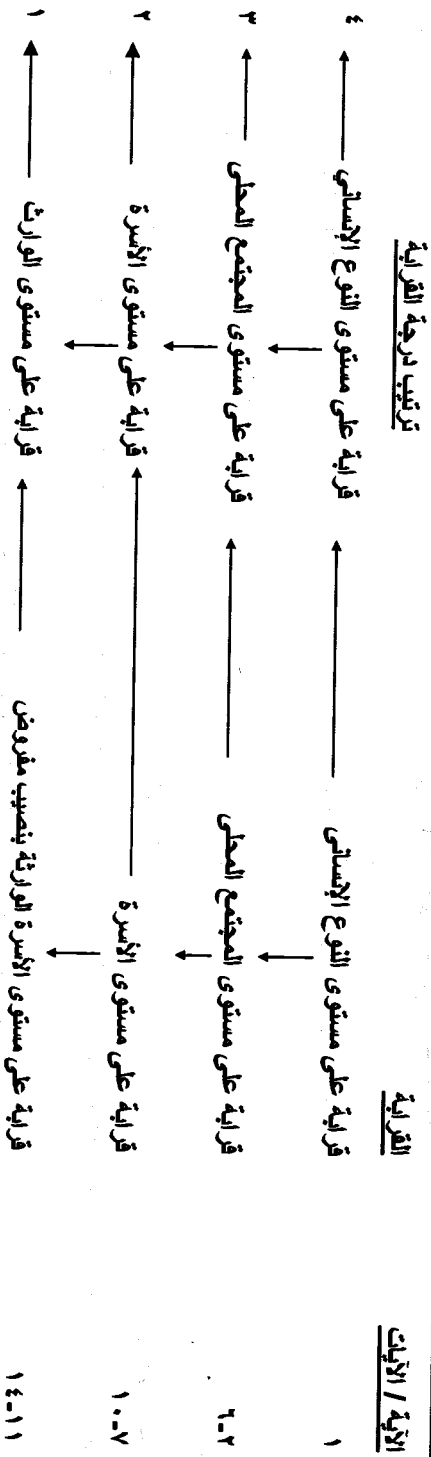
## الهوامش

- (١) الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز جـ٣، مكتبة المعارف بالرياض. ص٣٨٧-٤٢٠.
- (٢) المؤلف الذي أحلنا إليه في عرض المذاهب المذكورة غاير في الترتيب بين الثامن والتاسع، ولكننا راعينا المعقولية في الترتيب بينهما وبعد تمام عرضه لخص المذاهب التسعة في ثلاث خصائص تجمع وجه إعجاز القرآن الكريم هي (١) الفصاحة في ألفاظه. (٢) البلاغة في المعاني. (٣) جودة النظم وحسن السياق.
- (٣) الشيخ عبد المجيد الزنداني وأ.د/ سعاد بلدرم والشيخ محمد الأمين ولد محمد، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ، ص ٣٤-٣٦، ٧٢.



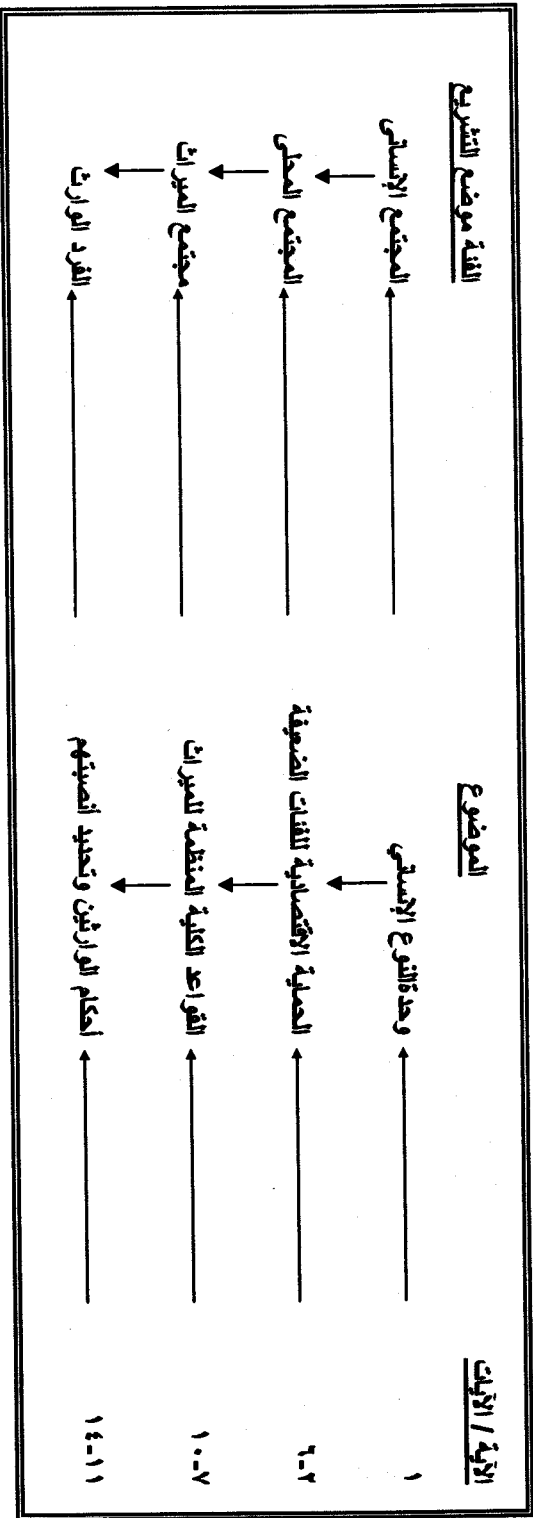
## اللوحة البيانية (٥)

وجه الإحجاز القرآني من حيث مراعاة القرابة الملاحظة للميراث



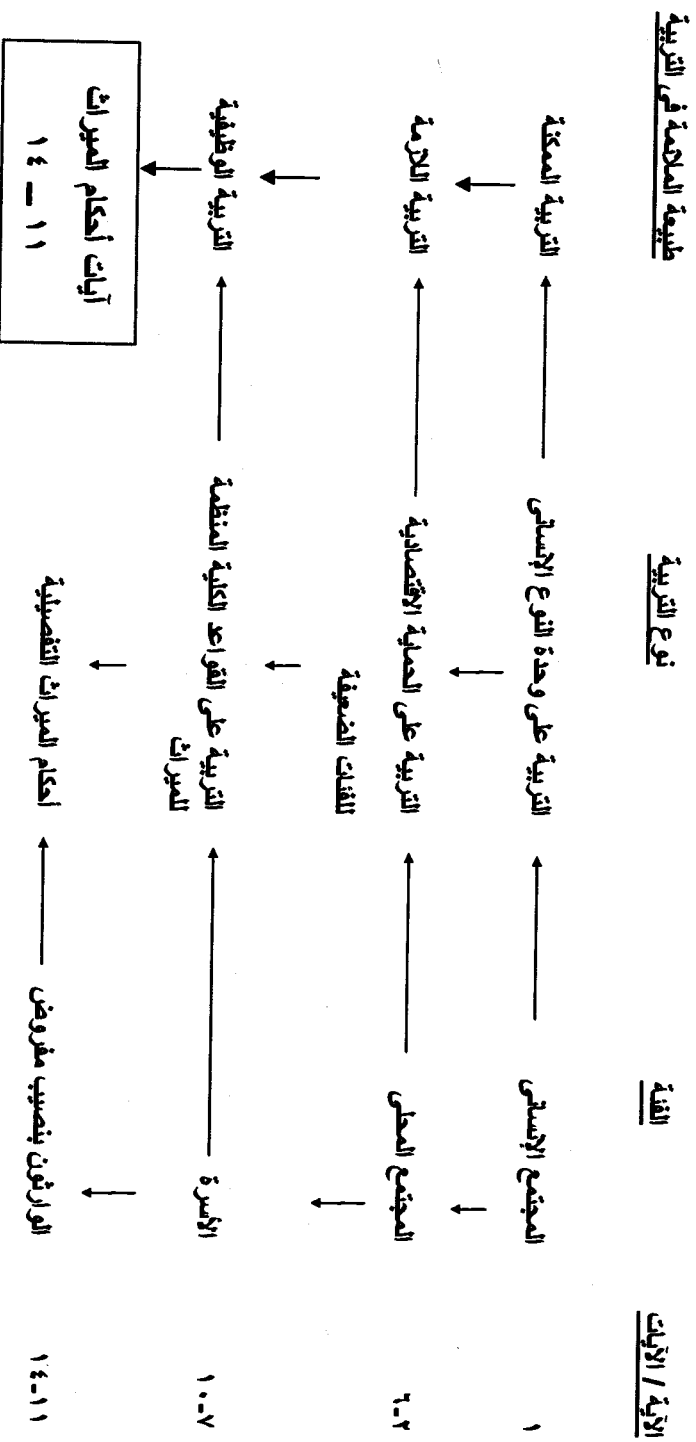
## اللوحة البيانية (١)

وجه الإعجاز القرآني من حيث شمول العالم بوحداته



## اللوحة البيانية (٧)

وجه الإعجاز القرآني من حيث ملامحة التربية لكل فئة



## اللوحة البيانية (٨)

الإعجاز القرآني في البناء العاطفي للأسرة بعد فرض حق المرأة في المهر وحقها في الميراث

وجه الإعجاز :

- ١- الإعجاز في علاج النفس البشرية التي قد تمنع المرأة مهرها لأنها ورثت.
- ٢- الإعجاز في علاج النفس البشرية من سوء معاملة المرأة لأنها ورثت واستحققت مهرًا
- ٣- الإعجاز في تشكيل عاطفة الرجل على منع الربط بين حقوق المرأة المالية والموقف العاطفي معها.
- ٤- الإعجاز في تشكيل عقلية الرجل على أن حرمان المرأة من مهرها لأنها ورثت هو كذب وإثم.

في الآيات ١٥ - ٢٨

↓  
حق المرأة في المهر

في الآيات ٧ - ١٤

↓  
حق المرأة في الميراث

التوجه البياتيية (٩)  
 توجه الإعجاز القرآني عند الربط بين آيات التربية على حماية المرأة (١٥-٢٨)  
 وآيات التربية على النهي عن اكل أموال الناس بالباطل وعن تمنى ما عند الغير والتوجيه إلى الكسب (٢٩-٣٣)

أوجه الإعجاز

- ١- تربية الرجل على أن حق المرأة في المهر لا يلغى حقها في العمل
- ٢- تربية المرأة على أن لها حقين القاصدين:
- ٣- الإعجاز في طبيعة ونوعية الأسرة التي تقوم وفق المنهج القرآني

آية التربية على النهي عن اكل أموال الناس بالباطل  
 وعن تمنى ما عند الغير والتوجيه إلى الكسب  
 ﴿وَمَا أَمْثَلُ الَّذِينَ آتَوْا أَمْوَالًا مُّبْرَأَةً لِيُؤْتُوا بِهَا الْفَاحِشَةَ﴾  
 ﴿وَمَا أَمْثَلُ الَّذِينَ آتَوْا أَمْوَالًا مُّبْرَأَةً لِيُؤْتُوا بِهَا الْفَاحِشَةَ﴾

آيات التربية على حماية  
 المرأة في نفسها وفي حقوقها  
 المسالية ١٥ - ٢٨  
 ﴿وَاللَّاتِي يُكَلِّمُنَّ الْفَاحِشَةَ﴾  
 ﴿وَاللَّاتِي يُكَلِّمُنَّ الْفَاحِشَةَ﴾  
 من سَأَلَكُمْ.....

## اللوحة البيانية (١٠)

أوجه الإحجاز القرآني عند الربط بين آيات الميراث (٧-١٤) وآية التريبة على منع تبنى ما عند الغير والتوجيه إلى العمل (٣٢)

<p>أوجه الإحجاز</p> <p>١- الميراث القرآني من لوزامه العمل والكسب، وهذا نقض لفكرة المملوطين للميراث الذين يعتقدون في اثره السلبى على العمل.</p> <p>٢- ميراث المرأة لا يمنع حقها في العمل والعقب وهذا يعالج كلا من الرجل والمرأة</p> <p>٣- إعلان مشروعية الذمة المالية للمرأة في سياق الحديث عن الميراث</p>	<p>آية التريبة على منع تبنى ما عند الغير والتوجه إلى العمل</p> <p>﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٣٢)</p>	<p>آيات الميراث</p> <p>﴿وَرِثَتِكُمْ اللَّهُ فِي</p> <p>أُولَئِكَ.....﴾</p>
---	---	---

## الرحمة البيانية (١١)

أوجه الإعجاز القرآني عند الربط بين آيات الميراث (٧ - ١٤)

وآيات الترتيب على قوامة الرجل على المرأة ومسؤوليته عن الإنفاق (٣٤ - ٣٥)

### أوجه الإعجاز القرآني

- ١ - الإعجاز في تكامل حقوق المرأة الاقتصادية حيث أن ميراثها النصف من الرجل يعوضه إلزام الرجل بالإنفاق عليها وحققها في مهرها وحققها في العمل.
- ٢ - التعامل بين الواجبات والحقوق الاقتصادية لكل من الرجل والمرأة
- ٣ - الإعجاز في تحقيق الأمن الاقتصادي للمرأة بمصائر ثلاثة: الميراث على النصف من الرجل ومسؤولية الرجل في الإنفاق عليها ثم حق العمل.
- ٤ - الإعجاز الإلهامى للأسرة باعتبارها المؤسسة الأولى التي يقوم عليها المجتمع، واعتبار ذلك نموذجا لتنظيم المجتمع.

آيات قوامة الرجل على

المرأة والمسئولة بينهما

٣٤ - ٣٥

﴿الرَّجُلُ قَوَّامٌ عَلَى  
النِّسَاءِ.....﴾

آيات الميراث

٧ - ١٤

﴿وَرِثَ صِبْغُ اللَّهِ فِي  
أَوْلَادِكُمْ.....﴾

## اللوحة البيانية (١٢) أوجه الإعجاز القرآني عند الربط بين الميراث والعمل والإحسان

آيات المجموعة الرابعة	آيات المجموعة الثالثة	آيات المجموعة الثانية	آيات المجموعة الأولى
وَأَعْتَدُوا لِلَّهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالُو الْإِحْسَانِ ..... ٣٦ - ٤٠	لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ ..... ٣٢ - ٣٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَرْضًا ..... ٢٩ - ٣١	لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ..... ٧ - ١٨

أوجه الإعجاز

- ١- الإعجاز الذي يحمله الترتيب للموضوعات التي تتكسب بها الثروة : الميراث - العمل - الإحسان
- ٢- الإعجاز الذي يحمله الشمول في وسائل الحصول على الثروة: الميراث - العمل - الإحسان
- ٣- الإعجاز الذي يحمله التكيف للميراث كوسيلة للحصول على الثروة من حيث الجمع في سلة واحدة مع العمل
- ٤- الإعجاز الذي يحمله التكيف للإحسان كوسيلة لعلاج الأثر الاقتصادي للميراث على تركز الثروة
- ٥- الإعجاز الذي يحمله الربط بين الميراث والإحسان من حيث تحقيق الإحسان والتكامل في مجتمع الميراث القرآني.



إخفال الآخرة في الاعتبار ٤١ - ٤٢

تشريع الإحسان وفيه الإحسان  
الاقتصادي بين النوع الإنساني ٣٦ -  
٤٠

تشريعات للتربية على اكتساب الثروة  
بطرق مشروعة وفيها ما يدخل في  
قوامة الرجل ومسئوليته في الإحفاق  
على الأسرة ٢٩ - ٣٥

تشريعات منطقة بالاسرة - منها  
ما يتضمن قواعد اقتصادية  
مرتبطة بالميراث ١٥ - ٢٨  
٢٨ - ١٥

القواعد  
الاقتصادية  
١٥ - ١١

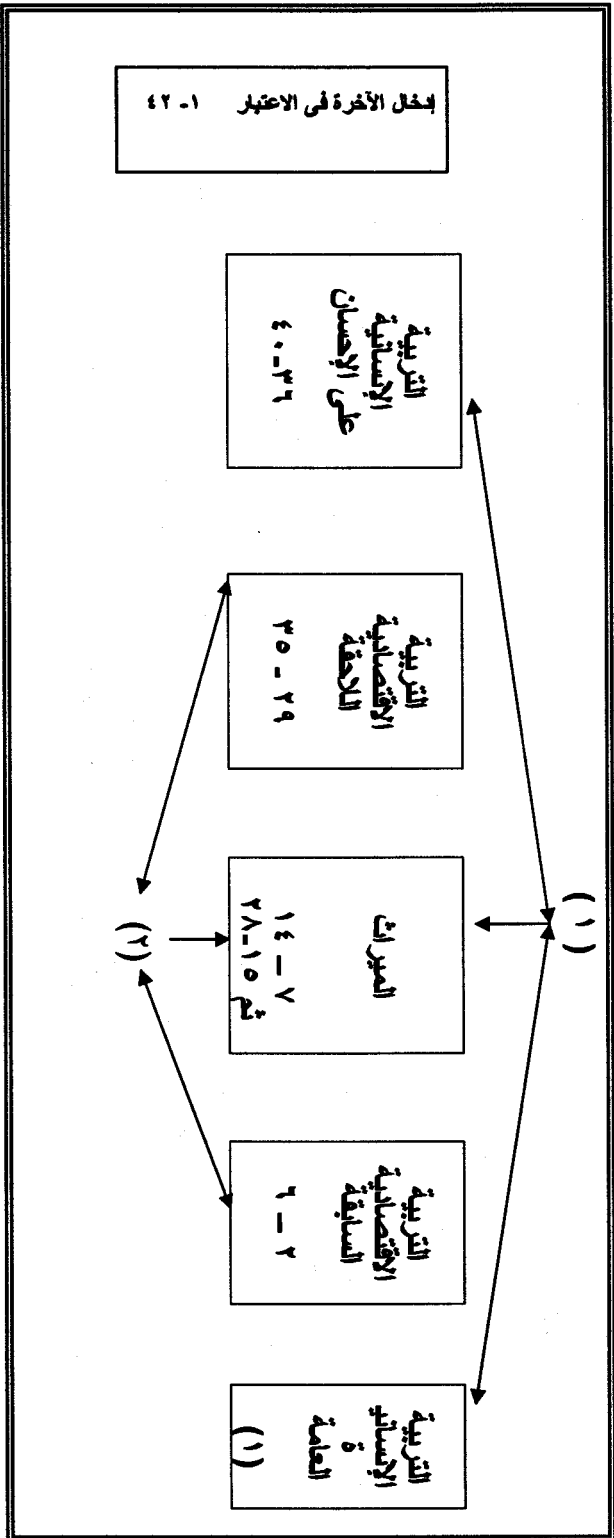
القواعد المنظمة لوحد من اهم  
الموضوعات الاقتصادية وهو  
الميراث ٧ - ١٠

حماية الفئات الضعيفة  
مع التركيز على الجانب  
الاقتصادي ٢ - ٦

وحدة النوع الإنساني ١

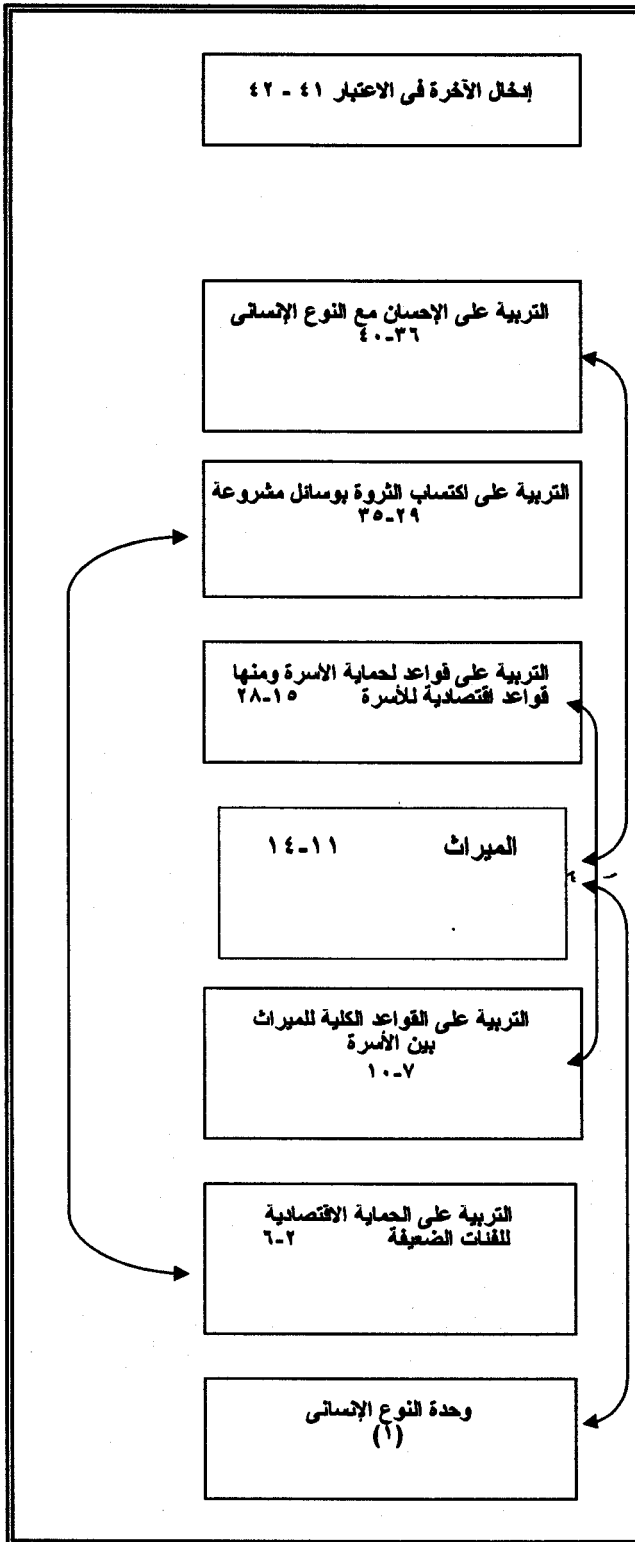
الإيجاز القرآني في السلسلة المحورية الإرتكازية  
(١٣) اللوحة البيانية  
الآيات ١ - ٤٢ (المعاشية الأولى)

الإعجاز في السلسلة المحورية الارتكازية للآيات ١ - ٤٢ (١٤)  
 (المعاريضة الثانية)

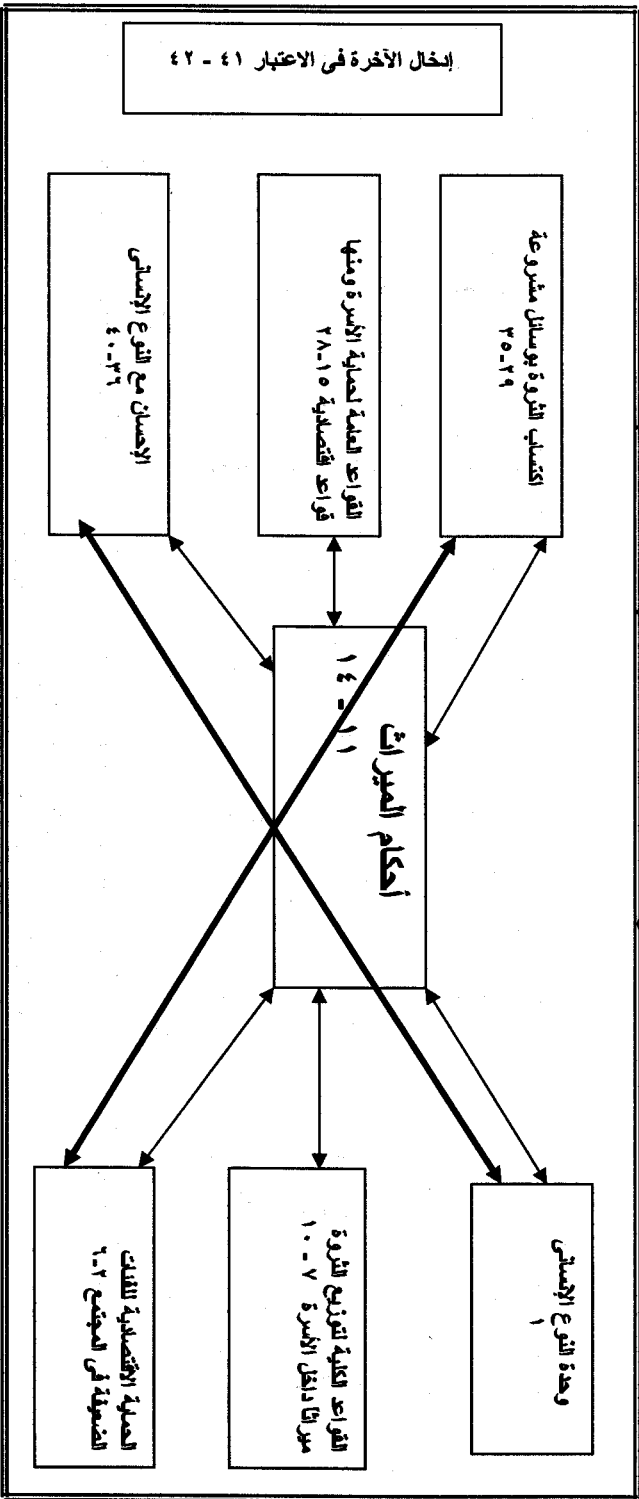


إعجاز الأخرة في الاعتبار ١ - ٤٢

الإعجاز في المسئلة المحورية الأرتكازية للأيات ١ - ٤٢  
للوحدة البيئية (١٥)  
(المعيشة الثالثة)



أوجه الإحسان في المسئلة القرآنية الشبكية (الآيات ١ - ٤٢)



# إعجاز التشريع الإسلامي في سعر زكاة عروض التجارة

د. كوثر الأبيجي



## مقدمة :

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة وفرض من فروضه ، إذ فرضت في المدينة السنة الثانية من الهجرة قبل فرض رمضان ، وهي واجبة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة ، ففي الكتاب قوله تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " وتكررت في القرآن ثلاثين مرة . أما السنة فقد ذكرت في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما " بني الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا " متفق عليه .

وقد فرضت الزكاة وطبقت في عهد رسول صلى الله عليه وسلم في أربعة أنواع من الأموال : النقدان : الذهب والفضة ، الثمار والزروع ، الأنعام ، عروض التجارة .

وعروض التجارة زكاة شرعت بعموم الآيات التي تناول الإنفاق في قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض " البقرة ٢٦٧ ، كما يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين بجمع زكاة عروض التجارة وسار على نهج الخلفاء الراشدين .

ويتعلق هذا البحث بدراسة أوجه الإعجاز لتشريع الزكاة في جزئية واحدة من زكاة عروض التجارة هي سعر هذه الزكاة .

والإعجاز هنا يتضح في إبراز طبيعة العلاقة بين سعر زكاة العروض وبين معدل عائد الاستثمار المتحقق في المشروع التجاري وقياس تأثير التغير في معدل عائد الاستثمار على سعر الزكاة مع تحليل هذا التأثير وتوضيح مدلول وأوجه إعجازه في التشريع المالي الإسلامي ، وصدق الله تعالى إذ يقول في كتابه العزيز " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق " ٥٣ / فصلت .

## هدف البحث :

إثبات الإعجاز التشريعي في سعر زكاة عروض التجارة .

## أهمية البحث :

يفيد البحث في وضع التشريعات المالية المعاصرة الخاصة بما يلي :

- ١- تحديد أسعار الزكاة على الثروات المستحدثة في العصر الحاضر التي يرى المحدثون ضرورة إخضاعها للزكاة .
- ٢- تحديد أسعار الزكاة على الدخول المستحدثة التي ينادي المحدثون بإخضاعها للزكاة .
- ٣- تحديد مؤشرات ملائمة لأسعار الضرائب الوضعية التي يمكن تطبيقها في المجتمع الإسلامي إقتداء بالزكاة .
- ٤-

## فروض البحث :

افترض الباحث أن سعر زكاة العروض سعر معجز يحدد أهدافا غير تقليدية - بخلاف الأهداف المالية المعروفة - وهي قدرة سعر زكاة العروض على التأثير على كفاءة استخدام الموارد والأموال المتاحة للمشروع ، إذ أنه يشيب إدارة المشروع إذا حققت معدل عائد مرتفع على الاستثمار ويعاقبها إذا حققت معدل عائد منخفض على استثمارات المشروع وهو ما لم يحققه أي تشريع مالي وضعي على الإطلاق .

ويتم إثبات هذا الفرض عن طريق دراسة أثر التغير في معدل عائد الأموال المستثمرة على سعر زكاة العروض واتجاه هذا السعر ارتفاعا ، أو انخفاضاً ، أو أنه ثابت في كل الأحوال ومقاد التغير وحكمته .



## منهج البحث :

أ- نظري : يتناول الأساس العلمي لما يلي :

- ١- طبيعة أسعار الضرائب وأثرها على النشاط الاقتصادي وأنواعها .
- ٢- طبيعة سعر زكاة العروض وطريقة استخراج وعائها .
- ٣- طبيعة العائد على الاستثمار وعلاقته بالاستقطاعات المالية ومكوناته .
- ٤- دراسة تحليلية لقياس اثر معدل العائد على الاستثمار على سعر زكاة العروض .

ب- ميداني وتطبيقي :

- ١- دراسة ميدانية من واقع قطاع الأعمال لتحديد العلاقة الفعلية بين أصول المشروع الثابتة والمتداولة بغرض تحديد الجزء الخاضع من الثروة التجارية لزكاة العروض .
- ٢- دراسة تطبيقية احتمالية تراعي كافة احتمالات تغير معدل عائد الاستثمار وأثره على زكاة العروض المستحقة على المشروع التجاري .
- ٣- استخدام بعض الأدوات الإحصائية للتأكد من صحة بعض التحليلات وللوصول إلى نتائج عالية الدقة .

## خطة البحث :

ينقسم البحث إلى جزئين كما يلي :

### الأول :

نظري يتناول كل من طبيعة وأنواع أسعار الضرائب الوضعية وطبيعة سعر زكاة العروض ووعائها وطبيعة معدل العائد على الاستثمار وعلاقته بالاستقطاعات المالية .

### الثاني :

تحليلي يتناول كافة الاحتمالات الواردة في النشاط التجاري ، يستخدم معامل الحساسية ومعامل الارتباط لتأكيد النتائج المستخلصة .

ثم النتائج .

وأخيرا المراجع .

## الجزء الأول :

## طبيعة سعر زكاة عروض التجارة وعلاقته بمعدل العائد على الاستثمار :

طبيعة أسعار الضرائب وأثرها على النشاط الاقتصادي :

تخضع الاقتصاديات الحديثة لأنواع متباينة من الاستقطاعات الضريبية التي تقع على كافة الأنشطة الاقتصادية التي تسعى إلى تحقيق الربح وتتخذ أسماء مختلفة مثل "ضرائب الأرباح التجارية أو " ضرائب الشركات " وغيرها ، وتقع الضريبة على الربح أو الدخل الناتج من النشاط بعد خصم تكلفة الحصول عليه .

وقد اهتمت البحوث الضريبية بقياس جوانب الآثار الضريبية على نمو أو انكماش النشاط الاقتصادي في المجتمع ، إذ أن سعر الضريبة غالباً ما يستخدم لتشجيع الاستثمار أو توجيهه وخاصة عند ارتفاع سعر الضريبة إذ قد تصل في بعض الأحيان إلى مصادرة الدخل الناتج من النشاط مما يؤدي إلى التأثير المباشر على حجم الاستثمارات الخاصة وانخفاض الربحية وانكماش النشاط وتباطؤ الدورة النقدية وما يتلو ذلك من آثار اقتصادية متلاحقة ومتضاعفة في شكل متوالية هندسية شديدة الخطورة<sup>(1)</sup> .

وقد يكون سعر الضريبة محدوداً وبذلك يكون مشجعاً على الاستثمار وحافزاً له ، لذلك يمثل سعر الاستقطاع المالي أهمية كبيرة في الاقتصاد المعاصر ولذلك فقد تناول علماء المالية العامة أسعار الضرائب طبقاً لأنواعها لتحديد النسب نوع يمكن تطبيقه بعد دراسة الآثار المترتبة على استخدام كل منها .

دراسة أنواع أسعار الضرائب :

توجد ثلاثة أنواع من أسعار الضرائب نسبية وتصاعدية وتنازلية<sup>(1)</sup>

الضريبة النسبية **Proportional Tax** تكون نسبية عندما يكون سعرها ثابتاً لا يتغير بتغير المادة الخاضعة للضريبة ، وتكون تصاعدية **Progressif** إذا ازداد سعرها بازدياد المادة الخاضعة للضريبة ، والتصاعد نوعين إما تصاعد إجمالي وتصاعد بالشرائح ، وتكون تنازلية إذا انخفض سعرها كلما ازدادت المادة الخاضعة للضريبة أو الدخل .

ولا يجذ علماء المالية العامة الضريبة التنازلية ولكن تتجه معظم آراء العلماء والباحثين إلى أهمية الضرائب التصاعدية مراعاة للمنفعة الحدية ، حتى أنها توجد في كثير من التشريعات الضريبية المعاصرة .

#### طبيعة سعر زكاة العروض :

يذكر الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : "هاتوا ربع العشر : من كل أربعين درهما درهم " وفي حديث غيره " هاتوا ربع عشر أموالكم " <sup>(١)</sup> . وهذين الحديثين ينطبقان على كل من زكاة عروض التجارة وزكاة النقدين الذهب والفضة وقياسا عليهما النقود المعاصرة .

يقول أحد العلماء من ملك عرضا للتجارة فحال عليه الحول وهو نصاب قومه في آخر الحول فما بلغ أخرج زكاته وهو ربع عشر قيمته ولا نعلم بين أهل العلم خلافا وقد دل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> .

وقد استنتج المعاصرون من ذلك أن سعر زكاة العروض سعر نسبي ثابت قدره ٥,٥% وهو نفس سعر زكاة النقد وهي زكاة تقع على الثروة النقدية <sup>(٢)</sup> .

#### وعاء زكاة العروض :

تقع زكاة العروض على كل من الدخل والثروة التجارية معا كل حول عربي ، فيحدثنا سمرة بن جندب " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الزكاة مما نعد للبيع " رواه الدار قطني عن أبي ذر .. وعن أبي عمرو بن حماس عن أبيه قال : " امرني عمر فقال أد زكاة مالك . فقلت : مالي مال إلا جعاب وأدم فقال قومهما ثم أد زكاهما " <sup>(٣)</sup> .

كذلك يذكر أنه " إذا كان في الملك نصاب للزكاة فاتجر فيه فمني أدى زكاة الأصل مع النماء إذا حال عليه الحول " وجملة القول أن حول النماء مبني على حول الأصل لأنه تابع له في الملك ، وبهذا قال مالك واسحق وأبو يوسف <sup>(٤)</sup> ، فهناك إجماع من العلماء على ضرورة تزكية الربح واصل المال .

كما أن هناك إجماع من السلف ومن المحدثين على إعفاء عروض القنية أو الأصول الثابتة بلغة .

المحاسبة التي تقتنى لغرض الاستخدام وليس لغرض إعادة البيع بذلك فلا تخضع للفريضة إلا الأصول المتداولة فقط<sup>(١)</sup>. وتفصيل طريقة استخراج وعاء الزكاة تتضح فيما يلي .  
طريقة استخراج وعاء زكاة العروض :

يروى أبو عبيد " إذا حلت عليك الزكاة فانظر ما كان عندك من نقد أو عرض للبيع فقومه قيمة النقد وما كان من دين في ملاءة فاحسبه ثم اطرح منه ما كان عليك من الدين ثم زك ما بقي " <sup>(٢)</sup> وعلى ذلك اجمع الأقدمين والمحدثين بحيث يشمل وعاء الزكاة صافي المال النامي ويتكون مما يلي <sup>(٣)</sup> :

النقد المملوك للمشروع + البضاعة مقومة بالسعر السوقي الجاري + المديونية بأنواعها ( مدينون + أ. ق ) - الالتزامات الفعلية = وعاء الزكاة فإن بلغ نصابا - قيمة ٨٥ جرام ذهب - خضع المال لسعر زكاة ٥ ، ٢ % .

طبيعة العائد على الاستثمار وعلاقته بالاستقطاعات المالية :

يقصد بمعدل العائد على الاستثمار النسبة المئوية لصافي الربح إلى إجمالي الأصول المستثمرة ، ويعتبر هذا المعدل من أهم مؤشرات تقييم الأداء إذ يؤدي إلى تحقيق الميزات الآتية<sup>(٤)</sup> :

- ١- يعتبر انعكاسا دقيقا وفعليا لمستوى نشاط المشروع واتجاهاته سلبا أو إيجابا حيث تبني مكوناته من الهيكل المالي للمشروع كله ويتأثر بكافة المتغيرات المؤثرة على المشروع .
- ٢- يقوم هذا المعدل بقياس كفاءة الإدارة وتقييم أدائها إذ يعتبر من أهم مؤشرات نجاح الإدارة أمام الملكية التي تسعى إلى تعظيم وربحيته وتحسين معدلاتها<sup>(٥)</sup> .
- ٣- يشير هذا المعدل إلى مدى تناسق هيكل التمويل أو اختلاله الذي قد يؤدي إلى ارتفاع تكلفة التمويل الخارجي مما يؤثر على هذا المعدل .
- ٤- كما يشير إلى مدى قوة المركز المالي من ضعفه ، إذ أن ارتفاع هذا المعدل يؤدي إلى الاعتقاد بسلامة ومثانة المركز المالي كما أن انخفاضه ينبه إلى وجود ضعف أو اختلال في المشروع .
- ٥- يفيد معدل العائد على الاستثمار في التخطيط المستقبلي لأنشطة المشروع ولأغراض التوسع والتطوير ، ولذلك يستخدم في دراسة الجدوى الاقتصادية قبل اتخاذ قرار الاستثمار .

- ٦- يفيد أيضا في أغراض الرقابة إذا اتخذ أداة لإثابة الإدارة التنفيذية أو معاقبتها في حالة ارتفاعه أو انخفاضه على التوالي .
- ٧- يتميز بسهولة وبساطة تطبيقه نظرا لاعتماده على المعلومات الخاسبية المستخرجة من الدفاتر المالية بدون تعديل أو تغيير لذلك يعتبر من المقاييس الشائعة الاستخدام .

### مكونات معدل العائد على الاستثمار :

يعبر معدل العائد عن نسبة سنوية ، وتوجد عديد من الطرق الشائعة لحساب معدل العائد على الاستثمار للوفاء بأغراض كل دراسة واحتياجاتها ، ولذلك يتكون المعدل في هذه الدراسة من بسط ومقام مكونة كما يلي :

### بسط المعدل هو :

صافي الربح الخاسبي المتحقق سنويا ، ويتأثر بحجم الإيرادات وعناصر التكلفة .

### إيرادات المشروع :

وتشمل كافة إيرادات المشروع طبقا لأساس الاستحقاق .

### تكلفة المشروع :

وتشمل كافة عناصر التكلفة الجارية طبقا لأساس الاستحقاق حتى تكون المقابلة بين الإيرادات والتكلفة سليمة ومنطقية .

وبذلك يكون الناتج المتحقق من المقابلة بينهما هو صافي الربح الخاسبي المستخرج من حساب الأرباح والخسائر قبل استقطاع ضرائب الدخل، والعبرة في استخدام صافي الربح قبل خصم الضرائب أنها قد تتواجد في بعض المجتمعات الإسلامية ولا تتواجد في بعضها الآخر .

### مقام المعدل هو :

إجمالي الأصول وتمثل في صافي الأصول الثابتة - بعد خصم الاستهلاكات - مضافا إليها مجموع الأصول المتداولة ومطروحا من إجمالي التزامات المشروع ، أو بمعنى آخر إجمالي حقوق أصحاب المشروع .

## الجزء الثاني :

دراسة تحليلية لقياس اثر معدل العائد على الاستثمار على  
سعر زكاة العروض :

علي الرغم من أن هناك دراسات كثيرة قد أجريت لقياس اثر الاستقطاعات المالية الوضعية على نشاط المشروعات وعلى الجوانب الاقتصادية للمجتمع ككل إلا انه لم تتطرق دراسة من قبل قط للعلاقة بين معدل العائد على الاستثمار وسعر أي استقطاع مالي ضريبي ، إذ لا يفترض أصلا وجود علاقة بين هذين المتغيرين كما انه لا يتوقع حدوث إيجابيات من العلاقة المتبادلة بينهما حتى يمكن الاهتمام بهذه العلاقة وملاحظتها .

ولكن دراسة تغير معدل العائد على الاستثمار واثرو هذا التغير على سعر زكاة العروض أوضحت وجود علاقة قوية بينهما وأثبتت الدراسة التحليلية أيضا أن هناك تأثيرا له دلالات معينة على تقييم كفاءة الاستثمار . وقد قام الباحث بدراسة الاحتمالات المختلفة للتغير في معدل العائد سواء كان هذا التغير ناتجا عن زيادة في الربح أو نقص فيه واثرو التغير في كل حالة على سعر الزكاة ثم تحليل نتائج هذه الاحتمالات كما يلي .

## قواعد إعداد الدراسة التحليلية :

- ١- معرفة مدى واتجاه تغير سعر الزكاة فيجب أن ينسب إلى الدخل فقط ولا ينسب إلى كل من الدخل والثروة معا ، وذلك لأن أسعار الضريبة التجارية تنسب إلى الدخل فقط ، كما أن ذلك الدخل هو محصلة ناتج عنصر العمل وبالتالي فهو الذي يرتبط بالكفاءة الإدارية التي يقيسها معدل العائد على الاستثمار .
- ٢- دراسة العلاقة الفعلية بين حجم الأصول الثابتة والمتداولة في المشروع التجاري حتى يمكننا استخراج وعاء الزكاة على أساس صحيح .
- ٣- إعداد دراسة احتمالية توضح تأثير كافة الاحتمالات الواردة لتغير معدل عائد الاستثمار وقد تبين أنها ثمانية احتمالات .
- ٤- استخراج معامل حساسية سعر زكاة العروض للتغير في معدل عائد الاستثمار .

- ٥- دراسة تحليلية لسعر زكاة الربح الناتج من النشاط التجاري .
- ٦- استخراج معامل الارتباط بين سعر زكاة العروض والمتغيرات المؤثرة عليه .
- وفي ذلك بعض البيان والتفصيل :

أولاً :

يستلزم معرفة تأثير العائد على الأموال المستثمرة على أي استقطاع مالي أن ننسبه إلى الدخل الناتج من النشاط ، وعلى ذلك تم وضع الاحتمالات المختلفة على أساس أن ينسب سعر زكاة العروض إلى الأرباح الفعلية المحققة . وقد يرى البعض أن هذه النظرة متأثرة إلى حد ما بطبيعة الاستقطاعات الضريبية التي تتبنى الضريبة على الدخل دون الثروة ولكننا أيضا نجد أن لهذا الفكر اصل في الفكر الإسلامي إذا تأملنا معنى الحديث الشريف للرسول صلى الله عليه وسلم " اتجروا في مال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة " .

فهذا الحديث يدعو ولي اليتيم دعوة واضحة وصريحة لتنمية المال النقدي بالاتجار والأنشطة المثمرة حتى يمكن دفع المال من ربحه وليس من أصله ، وعلى ذلك يكون القصد أن تنسب الزكاة للربح الذي ستدفع فيه ولا يجب أن تنسب أو تدفع من اصل الثروة أو المال وربما كان الحديث الشريف يدعونا إلى الاهتمام بنسبة هذا العائد على رأس المال حتى نكتشف الإعجاز الحقيقي لهذا الاستقطاع الإلهي .

وزكاة العروض إذا نسبت إلى رأس المال فقط أو إلى رأس المال والربح معا كان سعرها نسبي - كما سبق- وسيكون هذا السعر ثابتا لا يتغير بتغير المادة الخاضعة للفريضة ، أما إذا نسبنا قيمة الزكاة إلى الدخل الناتج من النشاط التجاري لاكتشفنا خلاف ذلك كما سيوضح البحث .



ثانياً :

تخضع الأصول المتداولة في المنشأة التجارية لفريضة الزكاة بينما تعفى الأصول الثابتة منها - كما سبق - لذا كان على الباحث أن يحدد النسبة الفعلية بينهما في المجتمع الاقتصادي بشكل عام حتى يمكن استخراج وعاء الزكاة ومعدل رأس المال المستثمر بدرجة عالية من الدقة .

لذلك قام الباحث بدراسة إحصائية على عينة من المنشآت التجارية لتحديد المتوسط الحسابي لنسبة الأصول الثابتة إلى المتداولة فكان متوسط النسبة :

الأصول الثابتة ١٦%      الأصول المتداولة ٨٤%

وقد تم افتراض بيانات منشأة تجارية في شكل شركة مساهمة رأسمالها ١٢٠٠٠ وحدة نقدية موزعة بين أصولها الثابتة والمتداولة بالنسبة التي توصلت إليها الدراسة إليها ، فتكون كما يلي :

الأصول الثابتة ٢٠٠٠ ، الأصول المتداولة ١٠٠٠٠ وبذلك يكون وعاء زكاة العروض ١٠٠٠٠ بالإضافة إلى الأرباح السنوية المحققة .

ثالثاً :

يتكون وعاء زكاة العروض - كما سبق - من كل من رأس المال والربح معا ، لذلك فلكل منهما تأثير مستقل على زكاة العروض المستحقة ، وحتى يمكن قياس هذا التأثير بدقة ينبغي فصل كل منهما عن الآخر ودراسة تأثيره على سعر الزكاة ، وذلك مما أدى إلى تقسيم الاحتمالات المختلفة لتباين المتغيرات المؤثرة على سعر الزكاة إلى ثمانية احتمالات كما يلي :

- ١- زيادة معدل عائد الاستثمار مع ثبات رأس المال .
- ٢- انخفاض معدل عائد الاستثمار مع ثبات رأس المال .
- ٣- زيادة رأس المال مع ثبات معدل عائد الاستثمار .
- ٤- انخفاض رأس المال مع ثبات معدل عائد الاستثمار .

- ٥- زيادة معدل عائد الاستثمار مع زيادة رأس المال .  
 ٦- انخفاض معدل عائد الاستثمار مع انخفاض رأس المال .  
 ٧- زيادة معدل عائد الاستثمار مع انخفاض رأس المال .  
 ٨- انخفاض معدل عائد الاستثمار مع زيادة رأس المال .
- وبيان نتائج هذه الاحتمالات كما يلي :

#### الاحتمال الأول :

دراسة أثر زيادة معدل الاستثمار مع ثبات رأس المال على سعر الزكاة العروض:

إذا حققت الشركة أرباحاً بمعدل طردي متزايد خلال عشر سنوات

كما يلي :

٣٠٠٠	السنة السادسة	١٠٠٠	السنة الأولى
٣٤٠٠	السنة السابعة	١٤٠٠	السنة الثانية
٣٨٠٠	السنة الثامنة	١٨٠٠	السنة الثالثة
٤٢٠٠	السنة التاسعة	٢٢٠٠	السنة الرابعة
٤٦٠٠	السنة العاشرة	٢٦٠٠	السنة الخامسة

فيمكن إيجاد القيم التالية :

رأس المال الخاضع للزكاة : ١٠٠٠٠٠ ( بافتراض ثباته كما سبق ) .

رأس المال المستثمر : ١٢٠٠٠٠ ( بالإضافة الأصول الثابتة ) .

وعاء الزكاة أول الفترة = ١٠٠٠٠ + ١٠٠٠٠٠ = ١١٠٠٠٠

وعاء الزكاة ثاني فترة = ١٤٠٠٠ + ١٠٠٠٠٠ = ١١٤٠٠٠

بإضافة أرباح العام التالي وهكذا يمكن توضيح النتائج كالتالي :

جدول رقم ( ١ )

السنة	(١) العائد	(٢) معدل العائد على الاستثمار	(٣) وعاء الزكاة + (١)	(٤) الزكاة المفروضة × (٣) ٠,٠٢٥	(٥) اتجاه سعر الزكاة إلى السنة الأولى	(٦) نسبة الزكاة على العائد
١	١٠٠٠	%٨,٣٣	١١٠٠٠	٢٧٥	%١٠٠	%٢٧,٥
٢	١٤٠٠	%١١,٦٧	١١٤٠٠	٢٨٥	%١٠٤	%٢٠,٣٦
٣	١٨٠٠	%١٥,٠٠	١١٨٠٠	٢٩٥	%١٠٧	%١٦,٣٩
٤	٢٢٠٠	%١٨,٣٣	١٢٢٠٠	٣٠٥	%١١١	%١٣,٨٦
٥	٢٦٠٠	%٢١,٦٧	١٢٦٠٠	٣١٥	%١١٥	%١٢,١٢
٦	٣٠٠٠	%٢٥,٠٠	١٣٠٠٠	٣٢٥	%١١٨	%١٠,٨٣
٧	٣٤٠٠	%٢٨,٣٣	١٣٤٠٠	٣٣٥	%١٢٢	%٩,٨٦
٨	٣٨٠٠	%٢١,٦٧	١٣٨٠٠	٣٤٥	%١٢٥	%٩,٠٨
٩	٤٢٠٠	%٣٥,٠٠	١٤٢٠٠	٣٥٥	%١٢٩	%٨,٤٥
١٠	٤٦٠٠	%٣٨,٣٣	١٤٦٠٠	٣٦٥	%١٣٣	%٧,٩٣

ويتبين من الجدول رقم ( ١ ) ما يلي :

- أ- يتجه معدل عائد الاستثمار للتصاعد بنسبة ثابتة قدرها %٣,٣٣ مما أدى إلى زيادة وعاء الزكاة بنسب طردية ثابتة بمعدل %٣,٣٣ .
- ب- وبالرغم من ذلك نتبين انخفاض معدل العائد كلما ارتفع معدل العائد على الاستثمار .
- ج- كما يتضح انخفاض معدل تناقص سعر الزكاة كلما ارتفع معدل العائد على الاستثمار ، وهذا الانخفاض لا يستمر بنسب ثابتة في حين أن معدل العائد يرتفع بمعدل طردي ثابت قدره %٣,٣٣
- د- وعلى ذلك بينما يمثل معدل عائد الاستثمار في شكل مستقيم يمكن تصويره في شكل دالة خطية ، إلا أن معدل زكاة العروض على العائد يتمثل في شكل منحنى ويتخذ شكل دالة غير خطية .

الاحتمال الثاني :

دراسة أثر انخفاض معدل عائد الاستثمار مع ثبات رأس المال :

إذا عكسنا الحالة السابقة بحيث كان معدل أرباح السنة الأولى ٤٦٠٠ والثانية ٤٢٠٠ والثالثة ٣٨٠٠ . وهكذا مع استخدام باقي بيانات نفس المثال لتوصلنا إلى الآتي :

جدول رقم ( ٢ )

السنة	معدل العائد	سعر الزكاة
١	%٣٨,٣٣	%٧,٩٣
٢	%٣٥,٠٠	%٨,٤٥
٣	%٣١,٦٧	%٩,٠٨
٤	%٢٨,٣٣	%٩,٨٦
٥	%٢٥,٠٠	%١٠,٨٣
٦	%٢١,٦٧	%١٢,١٢
٧	%١٨,٣٣	%١٣,٨٦
٨	%١٥,٠٠	%١٦,٣٩
٩	%١١,٦٧	%٢٠,٣٦
١٠	%٨,٣٣	%٢٧,٥٠

ونستنتج من الجدول رقم ( ٢ ) كل من النتائج التالية :

- أ- أن اتجاه معدل عائد الاستثمار للتنازل قد أدى إلى انخفاض وعاء الزكاة ومقدارها .
- ب- وبالرغم من ذلك نبتين ارتفاع معدل الزكاة كلما انخفض معدل الفائدة .
- ج- كما يتضح ارتفاع معدل زيادة سعر الزكاة كلما انخفض معدل العائد على الاستثمار وهذا الارتفاع لا يستمر بنسب ثابتة في حين ان انخفاض معدل العائد بنسبة طرديه ثابتة قدرها %٣,٣٣ .

وعلى ذلك نصل إلى نتيجة هامة :

وهي أن سعر زكاة العروض يتأثر تأثراً شديداً بمعدل العائد على الاستثمار ويمكن استخدامه كحافز ذو فعالية للإدارة بحيث تعمل على رفع كفاءة وترشيد استخدام الأموال عن طريق تدنيه التكلفة وتضخم الإيرادات وزيادة معدل الاستثمار بما يحقق لها أدنى سعر للزكاة .

ولكن سوف يتوقف الاتجاه التنازلي لسعر الزكاة على عوامل أخرى هي :

- \* حجم رأس المال ، إذ أنه يمثل نسبة لا بأس بها من الأموال الخاضعة للفريضة ، إذ يزيد في معظم الأحيان على ضعف الأرباح على الأقل ، لذلك يتناول البحث أثر حجم رأس المال وتنحصر مكوناته في صافي الفرق بين عناصر الأصول المتداولة والالتزامات .
- \* مدى ثبات حجم رأس المال الخاضع للزكاة إذ أن تذبذب حجم رأس المال من سنة لأخرى يؤثر قطعاً على اتجاه سعر الزكاة .
- \* مدى ثبات حجم رأس المال المستثمر ، إذ أنه يمثل المقام الذي تقسم عليه الأرباح للوصول إلى معدل العائد ، كما يؤثر مدى ثبات هذا العنصر أيضاً على اتجاه سعر الزكاة .

لذلك سيناقش الاحتمال الثالث والرابع هذه العوامل كما يلي :

الاحتمال الثالث :زيادة رأس المال مع ثبات معدل عائد الاستثمار :

وذلك بافتراض زيادة رأس المال المدفوع متمثلا في الأصول المتداولة فقط مع ثبات الأصول الثابتة - حيث لا تأثير على وعاء الزكاة - وتبلور النتائج فيما يلي :

ونستنتج من الجدول السابق ما يلي :

- أ- في حالة ثبات معدل عائد الاستثمار وزيادة رأس المال زاد وعاء الزكاة تدريجيا وبمعدل طردي ثابت قدره ٩,٨% وتوضح تلك الزيادة في العمود رقم ( ٦ ) حيث وصلت الزيادة من ٩,٨% في السنة الأولى إلى ٨٨% في السنة العاشرة .
- ب- بالرغم من زيادة رأس المال بمعدل طردي قدره ١٠% إلى السنة الأولى إلا أن معدل العائد على رأس المال المستثمر الذي ظل ثابتا عند ١٠% قد أدى إلى نتيجة مخالفة لما سبق . فحول سعر الزكاة التنازلي - في الاحتمال الأول الذي زاد فيه وعاء الزكاة أيضا ولكن عن طريق زيادة معدل عائد الاستثمار - إلى سعر تصاعدي يبدأ من ٢٣,٣٣% وينتهي بـ ٢٥,١٢% في السنة العاشرة .
- ج- أن الملاحظ هنا أن سعر التصاعد كان قليلا وكان في مدى نسبي محدود بخلاف الحالة السابقة ، ويرجع ذلك - حتما - لتأثير زيادة رأس المال .
- د- أن النتيجة السابقة بالمقارنة بالنتيجة التي توصل لها الباحث في دراسة الاحتمال الأول تؤكد الدور الخطير والفعال الذي يلعبه معدل العائد على رأس المال المستثمر في تحديد اتجاه ونسب سعر زكاة العروض .

## الاحتمال الرابع :

## دراسة أثر انخفاض رأس المال مع ثبات معدل عائد الاستثمار :

وذلك بافتراض الحالة العكسية لما سبق وهي إنقاص رأس المال المدفوع تدريجياً مع تركيز هذا النقص في الأصول المتداولة - رأس المال الخاضع للزكاة - فقط مع ثبات الأصول الثابتة - ومع ثبات معدل عائد الاستثمار عند ١٠% - وتوضح نتائج هذه الاحتمال فيما يلي :

## جدول رقم ( ٤ )

السنة	( ١ ) وعاء الزكاة	( ٢ ) نسبة رأس المال إلى الأصل	( ٣ ) نسبة التغير	( ٤ ) سعر الزكاة على عائد الاستثمار
١	١٢١٠٠	١٠٠%	—	٢٥,١٢%
٢	٢٠٠٠٠	٩٤,٧٩%	( ٥,٢٢ )	٢٥,٠٠%
٣	١٨٩٠٠	٨٩,٥٧%	( ٥,٢٢ )	٢٤,٨٧%
٤	١٧٨٠٠	٨٤,٣٦%	( ٥,٢٢ )	٢٤,٧٢%
٥	١٦٧٠٠	٧٩,١٥%	( ٥,٢٢ )	٢٤,٥٦%
٦	١٥٦٠٠	٧٥,٩٣%	( ٥,٢٢ )	٢٤,٣٨%
٧	١٤٥٠٠	٦٨,٧٢%	( ٥,٢٢ )	٢٤,١٧%
٨	١٣٤٠٠	٦٣,٥١%	( ٥,٢٢ )	٢٣,٩٣%
٩	١٢٣٠٠	٥٨,٢٩%	( ٥,٢٢ )	٢٣,٦٥%
١٠	١١٢٠٠	٥٣,٠٨%	( ٥,٢٢ )	٢٣,٣٣%

ونستنتج من الجدول السابق ما يلي :

- أ- أن ثبات معدل عائد الاستثمار عند ١٠% ونقص رأس المال قد أديا إلى نقص وعاء الزكاة تدريجياً وبمعدل ثابت قدره ٥,٢٢% ويتضح ذلك من العمود رقم ( ٣ ) .

ب- بالرغم من نقص رأس المال بمعدل ١٠% سنويا إلا أن معدل عائد رأس المال الذي ظل ثابتا عند ١٠% قد أدى إلى نتيجة مخالفة لما سبق التوصل إليه في الاحتمال الثاني - الحالة المماثلة - فحول سعر الزكاة التصاعدي إلى سعر تنازلي ولا يوجد فرق بينهما إلا في مصدر النقص هنا وهو يرجع إلى نقص رأس المال وليس نقص معدل العائد على الاستثمار إذ بدأ السعر بـ ٢٥,١٢% وانتهى إلى ٢٣,٣٣% .

ج- ولكن سعر التنازل ومعدلاته هنا محدودة ويرجع ذلك لتأثير نقص رأس المال الذي يتضح تأثيره المحدود .

د- أن هذه النتيجة تؤكد مرة أخرى الدور الفعال لمعدل عائد الاستثمار على سعر زكاة العروض واتجاهه سواء للارتفاع أو الانخفاض .

#### الاحتمال الخامس :

زيادة معدل عائد الاستثمار مع زيادة رأس المال :

بافتراض زيادة رأس المال المتداول بنسبة ١٠% إلى الأصل وزيادة معدل الاستثمار باستخدام بيانات الاحتمال الأول والثالث يتضح لنا ما يلي :

ونستنتج من الجدول رقم ( ٥ ) ما يلي :

أ- أن زيادة كل من رأس المال بنسبة ١٠% والربح بنسبة ٤٠% قد أدت إلى زيادة معدل عائد الاستثمار كما يوضح الجدول بدءاً من ٨,٣٣% في السنة الأولى حتى ٢١,٩% في السنة العاشرة وإن ذلك أدى إلى زيادة وعاء الزكاة كما يوضح العمود رقم ( ٥ ) .

ب- أدت زيادة رأس المال والربح معا إلى تنازل سعر زكاة العروض بدءاً من ٢٧,٥% في السنة الأولى إلى ١٢,٨٣% في السنة العاشرة .



- جـ - وبمقارنة المعدلات التنازلية لسعر الزكاة على العائد المحقق بميلتها في الجدول رقم ( ١ ) يتضح أن التفاوت في الاحتمال الأول كان أكبر منه في الاحتمال الخامس بالرغم من أن الزيادة هنا شملت كل من رأس المال والربح معا إذ بدأ النقص بنسبة ٢٧,٧٥% في السنة الأولى وبلغ ٧,٩٣% في السنة العاشرة .
- د- وبمقارنة المعدلات التنازلية لسعر الزكاة على العائد المحقق في الجدول رقم ( ٣ ) يتضح أن التفاوت في الاحتمال الخامس كان أكبر منه في الاحتمال الثالث نظرا لاقصره على زيادة رأس المال دون الربح إذ بدأ المعدل بـ ٢٣,٣٣% في السنة الأولى وانتهى بـ ٢٥,١٢% في السنة العاشرة .
- هـ- أن الفرق في الحالات الثلاث يؤكد دور معدل عائد الاستثمار الذي تبين من التحليل السابق أهميته

#### الاحتمال السادس :

#### المخفاض معدل عائد الاستثمار مع المخفاض رأس المال :

إذا افترضنا الحالة العكسية للاحتمال السابق وهو المخفاض الربح مع رأس المال معا مع ثبات حجم الأصول لتوصلنا إلى النتائج الآتية :

جدول رقم ( ٦ )

السنة	رأس المال	العائد	معدل العائد على الاستثمار	سعر الزكاة على العائد
١	١٩٠٠٠	٤٦٠٠	%٢١,٩٠	%١٣,٩١
٢	١٨٠٠٠	٤٢٠٠	%٢١,٠٠	%١٤,٠٤
٣	١٧٠٠٠	٣٨٠٠	%٢٠,٠٠	%١٥,٠٠
٤	١٦٠٠٠	٣٤٠٠	%١٨,٨٩	%١٥,٧٤
٥	١٥٠٠٠	٣٠٠٠	%١٧,٦٥	%١٦,٦٧
٦	١٤٠٠٠	٢٦٠٠	%١٦,٢٥	%١٧,٨٨
٧	١٣٠٠٠	٢٢٠٠	%١٤,٦٧	%١٩,٥٥
٨	١٢٠٠٠	١٨٠٠	%١٢,٨٨	%٢١,٩٤
٩	١١٠٠٠	١٤٠٠	%١٠,٦٧	%٢٥,٧١
١٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠	%٨,٣٣	%٣٢,٥٠

ونستنتج من هذا الجدول ما يلي :

أ- اتجاه سعر الزكاة للتصاعد في حالة انخفاض معدل العائد الاستثماري حيث بدأ سعر الزكاة بـ ١٣,٩١% في السنة الأولى وانتهى إلى ٣٢,٥% في السنة العاشرة .

ب- إذا قارنا هذا الاحتمال من المفردة الأولى للأخيرة بالاحتمال الثاني من المفردة السادسة للأخيرة حيث يتقارب معدل العائد في الحالتين ، نجد أنه يبدأ في الاحتمال بـ ٢١,٩% وينتهي في السنة العاشرة بـ ٨,٣٣% أما في الاحتمال الثاني فيبدأ من المفردة السادسة بـ ٢١,٦٧% وينتهي بـ ٨,٣٣% لوجدنا أن سعر الزكاة في الاحتمال السادس يبدأ بـ ١٣,٩١% ويتصاعد حتى يصل إلى ٣٢,٥% أي أن نسبة التفاوت هنا عالية .

أما في الاحتمال الثاني فيبدأ سعر الزكاة في المفردة السادسة بـ ١٢,١٢% ويتصاعد حتى يصل إلى ٢٧,٥% على الرغم من تساوي معدل العائد في كل من الاحتمالين عند ٨,٣٣% .

ج- إذا قارنا هذا الاحتمال بالاحتمال الرابع لوجدنا تفاوتاً كبيراً في سعر الزكاة، وفي اتجاهه في هذا الاحتمال بالنسبة لنتائج الاحتمال الرابع إذ تبدأ النسبة في الجدول السادس من ١٣,٩١% في السنة الأولى وتتصاعد لتصل إلى ٣٢,٥% بعكس الاحتمال الرابع الذي يتنازل فيه سعر الزكاة من ٢٥,١٢% إلى ٢٣,٣٣% على الرغم من أن كلاهما يتضمن نقص رأس المال بنفس الحجم والنسبة إلا أن الفرق يتضح في إضافة عنصر الربح بما يؤثر على معدل عائد الاستثمار، ويؤدي إلى هذه النتيجة.

#### الاحتمال السابع:

ارتفاع معدل عائد الاستثمار مع انخفاض رأس المال:

إذا افترضنا ارتفاع معدل عائد الاستثمار بزيادة الربح بنسبة ٤٠% مع خفض رأس المال تدريجياً باستخدام نفس البيانات السابقة لتوصلنا إلى الجدول التالي:

#### ونستنتج من هذا الجدول ما يلي:

- أ- عند افتراض ارتفاع معدل عائد الاستثمار مع انخفاض رأس المال فإن ذلك يعنى ارتفاع كفاءة الإدارة ارتفاعاً ملحوظاً مما أدى إلى تنازلية سعر الزكاة بشكل ملحوظ أيضاً إذا بدأت في السنة الأولى بـ ٥٠% من حجم الإيراد حتى بلغت ٧,٩٣% في السنة العاشرة.
- ب- بمقارنة هذا الاحتمال بالاحتمال الأول في الجدول رقم (١) لوجدنا أن التفاوت في الاحتمال السابع أكبر منه في الأول، إذ يبلغ سعر الزكاة في المفردة الأولى من الاحتمال السابق وعلى ذلك يساوى تقريباً ٣٠% وينتهي بـ ٧,٩٣% هي نفس النسبة التي ينتهي بها الاحتمال الأول.
- ج- بمقارنة هذا الاحتمال بالاحتمال الرابع باعتبار أن كلاهما يحوى انخفاضاً في رأس المال لوجدنا أن التنازل في الاحتمال الرابع محدود جداً بالمقاييس به في هذا الاحتمال، إذ يبدأ من ٢٥,١٢% في الوعاء في السنة الأولى وينتهي بـ ٢٣,٣٣% بخلاف الاحتمال السابع الذي يبدأ بـ ٥٠% في السنة الأولى وينتهي بـ ٧,٩٣% في السنة العاشرة.

وعلى ذلك تؤكد هذه النتيجة أن الفرق في تنازلية سعر الزكاة يرجع إلى تدخل معدل عائد الاستثمار بما يحدث هذا التفاوت الكبير في الاتجاه التنازلي لسعر الزكاة .

د- إذا قارنا هذا الاحتمال بالاحتمال الخامس باعتبار اشتراكهما في زيادة معدل عائد الاستثمار لوجدنا أيضا أن التفاوت في الاحتمال السابع أكبر إذ يبدأ من ٣٠% عند معدل عائد قدرة ٨,٣٣% أما الاحتمال الخامس فيبدأ بسعر ٢٧,٥% عند نفس معدل العائد وقدره ٨,٣٣% .

#### الاحتمال الثامن :

انخفاض معدل عائد الاستثمار مع زيادة رأس المال .

إذا افترضنا انخفاض معدل عائد الاستثمار نتيجة لانخفاض الربح مع زيادة رأس المال بنسبة ١٠% لكان سعر زكاة العـروض كما يظهر في الجدول رقم ( ٨ ) التالي :

#### ونستنتج من الجدول السابق ما يلي :

أ- ان سعر الزكاة تصاعدي في هذه الحالة بشكل كبير إذ يبدأ في السنة الأولى بـ ٧,٩٣% وينتهي في السنة العاشرة بـ ٥٠% ويرجع ذلك بشكل أساسي كما يتضح أن زيادة رأس المال مع خفض معدل العائد تعني فشل الإدارة ، وعدم كفاءتها ولذلك وقع عليها أعلى سعر محتمل للزكاة بالمقارنة بالاحتمالات السابقة .

ب- إن مقارنة هذا الاحتمال بالاحتمال الثاني توضح تماثلهما إلى حد بعيد إذ يتصاعد كل منهما بنفس القدر تقريبا بما يوضح عدم أهمية ثبات رأس المال أو زيادته .

ج- بمقارنة هذا الاحتمال بالاحتمال الثالث الذي يفترض فيه زيادة رأس المال نلاحظ أنه لا وجه للمقارنة بينهما إذ يتنازل سعر الزكاة في الاحتمال الثالث وان كان بنسبة محدودة بخلاف الاحتمال الثامن الذي يتصاعد فيه سعر الزكاة بشدة ويرجع ذلك أيضا لدور معدل العائد الذي يختلف عكسيا في الاحتمالين .

د- بمقارنة هذا الاحتمال بالاحتمال الخامس الذي يفترض فيه زيادة رأس المال نلاحظ أيضا أنه لا وجه للمقارنة بينهما إذ يتنازل أيضا الاحتمال الأخير ويرجع سبب ذلك لتباين دور معدل عائد الاستثمار في الاحتمال الخامس عنه في الاحتمال الثامن .

هـ - مقارنة هذا الاحتمال بالاحتمال السادس نجد ان سعر الزكاة ١٣,٩١% عند معدل عائد ٢١,٩% ويقع هذا المعدل في الاحتمال الثامن ما بين المفردة الرابعة والخامسة وسعرها ١٢,٠٦% ، ١٤,٦٧% بما يفيد تماثلهما إلى حد بعيد إذ يتصاعد كل منهما بنفس القدر تقريبا . كذلك ينتهي الاحتمال السادس عند سعر زكاة ٣٢,٥% عند معدل عائد ٨,٣٣% ، وهذا المعدل يقع في الاحتمال الثامن ما بين المفردة الثامنة والتاسعة ٢٦,١١% ، ٣٤,٦٤% ، ويرجع هذا التماثل كما هو واضح لاتفاق كلا الاحتمالين في انخفاض معدل عائد الاستثمار على رغم من تباينهما في مقدار التغير في حجم رأس المال زيادة وانخفاضا .

#### تحليل عام على نتائج الاحتمالات الثمانية :

- أ - تتضمن زكاة عروض التجارة ناتج امتزاج عنصري رأس المال والعمل معا ، وتقع الزكاة على رأس المال والربح معا بسعر نسبي ثابت ٢,٥% .
- ب - أما إذا نسبت زكاة العروض معا إلى الربح فقط لاكتشفنا أن سعر الزكاة تصاعدي وتنازلي معا .
- \* فهو تصاعدي في حالة انخفاض معدل عائد الاستثمار .
- \* وهو تنازلي في حالة ارتفاع معدل عائد الاستثمار .
- ج - بما إن سعر زكاة العروض وزكاة الثروة النقدية بسعر ثابت قدره ٢,٥% إذا يرجع سبب التصاعد أو التنازل إلى امتزاج عنصر العمل مع رأس المال في النشاط التجاري وعلى ذلك يكون المشرع الإسلامي قد أولى عنصر العمل ومستوى الكفاءة أهمية فاقت كل ما توصلت إليه النظم الوضعية المثلة في أنواع الاستقطاعات الضريبية المختلفة .

إذ أن زكاة العروض بذلك تتخذ إجراءات إيجابية تتيب وتعاقب الإدارة على مستوى الأداء ويعتبر ذلك من أقوى طرق تقييم كفاءة أداء الإدارة وأكثرها فعالية وإيجابية ، وتكون بذلك زكاة العروض هي أول استقطاع مالي يعمل على رفع كفاءة استخدام الأموال ويمثل حافزا قويا للإدارة والمشروعات على رفع معدل عائد الأموال المستثمرة حتى تخضع لأسعار زكاة تنازلية وفي نفس الوقت لا تمس حق الفقير بالانتقاص ، وعلى ذلك ستؤثر زكاة العروض حتما على معدل عائد الاستثمار المتحقق في المشروعات التجارية أن أحسن تطبيقه وشرحه حيث ستعمل هذه المشروعات على الاستفادة من هذه الميزة بالعمل على رفع معدلات عوائد استثمارها .

د- إن هذه النتائج تدعونا - ولا شك - إلى ضرورة الاستفادة من زكاة العروض عند وضع القواعد المحاسبية الضريبية للاستقطاعات الخاصة بالنشاط التجاري .

استخراج معامل حساسية سعر زكاة العروض للتغير في معدل عائد الاستثمار :

يقيس تحليل الحساسية أثر التغير في البيانات الخارجة على قيمة المتوقعة لنموذج القرار وقد تم استخدام تحليل الحساسية بنجاح في مجالات كثيرة متعددة ومتباينة<sup>(1)</sup> .

وتوجد طرق كثيرة لإجراء تحليل الحساسية منها الطريقة المعتادة التي تعنى باختيار نسبة معينة للتغير بالزيادة أو النقص وقياس أثر تغير قيمة العنصر على المتغيرات الأخرى محل الدراسة وتحديد مواطن الخطورة ، كما توجد طريقة معامل الحساسية إلى تعتمد على استخراج نسبة التغير في حجم الظاهرة عند تغير أحد المتغيرات المؤثرة عليها<sup>(2)</sup> .

ويرى الباحث إمكانية استخدام هذه الطريقة لتحديد طبيعة العلاقة بين سعر زكاة العروض وبين معدل الاستثمار من خلال دراسة الاحتمالات السابقة . وتفيد هذه الطريقة في استخراج المعامل المحاسبي للحساسية .

### Coefficient of Accounting Sensitivity .

ويرمز له بالرمز  $\Delta$  ، وذلك بتطبيق المعادلة .

$$\Delta = \frac{\Delta Y}{Y} \times \frac{I^n \text{ £} = 1 W \Delta \Delta}{Y}$$

حيث  $y$  هي المتغير المستقل وهي تمثل في هذه الدراسة معدل العائد على الاستثمار .

$\Delta$  ، هي حجم المتغير .

$\times$  ، هي المتغير التابع وتمثل سعر زكاة العروض .

أما  $W$  فتمثل الوزن الخاص بالمتغير التابع ، ونظرا لتساوي أهمية السنوات المفترضة للدراسة مع

تساوي أهمية الاحتمالات المختلفة أيضا ولذلك فلا حاجة للبحث باستخراج وزن خاص

لقيم التغير في المتغير التابع  $\times$  .

وقد تم تطبيق المعادلة السابقة مع إعادة تبويب الحالات السابقة إلى حالتين:

الأولى:

وتشمل كل الاحتمالات المتوقعة عند ارتفاع معدل ارتفاع معدل عائد الاستثمار .

الثانية:

وتشمل كل الاحتمالات المتوقعة عند انخفاض معدل عائد الاستثمار .

وقد أوضح التطبيق في الحالة الأولى الجدول رقم ( ٩ ) كما يلي :

جدول رقم ( ٩ )

معامل الحساسية عند ارتفاع معدل عائد الاستثمار

الفترات	مع زيادة رأس المال	مع ثبات رأس المال	مع انخفاض رأس المال
١	( ١,٤٤٠ )	( ١,٥٤٠ )	( ١,٥٣١ )
٢	( ١,٥٤٤ )	( ١,٤٥٠ )	( ١,٤٢٣ )
٣	( ١,٤٠٠ )	( ١,٤٤٠ )	( ١,٣٩٦ )
٤	( ١,٤١٩ )	( ١,٤٣٠ )	( ١,٣٨١ )
٥	( ١,٤٢٣ )	( ١,٤٤٠ )	( ١,٧٠١ )
٦	( ١,٤٢٤ )	( ١,٤٨٧ )	( ١,١٧٥ )
٧	( ١,٤٤٤ )	( ١,٤٨٥ )	( ١,٤٢٣ )
٨	( ١,٤٥٥ )	( ١,٥١٥ )	( ١,٤٧٧ )
٩	( ١,٤٨٩ )	( ١,٥٤٦ )	( ١,٥٠٥ )

الوسط الحسابي للتغير

١,٤٥٠      ١,٤٨٠      ١,٤٥٠

( ٠,٠٣ - )      —      ( ٠,٠٣ - )

ويدل الجدول السابق على ما يلي :

- أ- إن هناك علاقة طردية سالبة قوية بين معدل عائد الاستثمار وبين سعر زكاة العروض يبدأ معاملها من ١,٥٤٠ عند ثبات رأس المال ويتذبذب تذبذبا طفيفا حتى يصل إلى ١,٥٤٦ بما يؤكد هذه العلاقة ويحدد أبعادها إذ يصل التغير العكسي إلى ١٥٠% تقريبا .
- ب- إن تغير رأس المال سواء بالزيادة أو النقص لا يؤثر على متوسط معامل الحساسية إلا تأثيرا طفيفا يبلغ ( ٠,٠٣ ) ، كما أنه سلمي في الحالتين ، وعلى ذلك يكون تغير حجم رأس المال غير ذات قيمة تذكر بدرجة يمكن تجاهله .
- ج- إن متوسط معامل الحساسية يتحدد بـ ١,٤٨ ويصلح مؤشرا لتخطيط سعر الضرائب التجارية إذ يحدد معامل التنازل الممكن تطبيقه تبعاً لزيادة معدل عائد الاستثمار .

جدول رقم (١٠)

معامل الحساسية عند انخفاض معدل عائد الاستثمار

الفترات	مع زيادة رأس المال	مع ثبات رأس المال	مع انخفاض رأس المال
١	( ١,١١٢ )	( ١,٣٢٤ )	( ١,١٦٣ )
٢	( ١,٠٨٠ )	( ١,٢٧٦ )	( ١,٤٢٨ )
٣	( ١,٠٢٤ )	( ١,١٩٦ )	( ١,١٢٥ )
٤	( ٠,٧٩٨ )	( ١,١٩٤ )	( ١,١١٠ )
٥	( ١,٠١٧ )	( ١,١١٨ )	( ١,٠٩٢ )
٦	( ٠,٩٠٣ )	( ١,٠٧٠ )	( ١,٠٤١ )
٧	( ٠,٨٥٧ )	( ٠,٩٩٥ )	( ١,٥٠٠ )
٨	( ٠,٧٩٨ )	( ٠,٩١٦ )	( ٠,٩٩٨ )
٩	( ٠,٧٢١ )	( ٠,٨١٣ )	( ٠,٨٣٠ )

١,١١٤

١,١١٠

٠,٩٤

الوسط

الحسابي

٠,٠٠٤

—

٠,١٧ -

التغير



ونستنتج من الجدول السابق ما يلي :

- أ- إن العلاقة أيضا بين سعر زكاة العروض وبين انخفاض معدل العائد الاستثمار تتناسب تناسب عكسي قوى إذ تبدأ من ١,٣٢٤ أى أن التغير يزيد عن المثل ولكنه يتناقص بتناقص معدل الاستثمار حتى يصل المعامل إلى ٠,٨١٣ وعلى ذلك يكون متوسط المعامل ١,١١ .
- ب- إن تغير رأس المال بالزيادة أو النقص لا يؤثر على متوسط معامل الحساسية إلا تأثيرا طفيفا إذ يبلغ في حالة زيادة رأس المال ( - ٠,١٧ ) وفي حالة نقص رأس المال ٠,٠٠٤ وهو تغير طفيف .
- ج- إن متوسط معامل الحساسية يصلح مؤشرا لتخطيط سعر الضرائب التجارية إذ يحدد هنا معامل التصاعد بـ ١,١١ تبعا لانخفاض معدل العائد على الاستثمار .

٢/٣ دراسة تحليلية لسعر زكاة العائد من النشاط التجاري :

إذ نظرنا إلى وعاء الزكاة السابق لوجدنا أنه يمثل كل من رأس المال والربح معا وعلى ذلك تمس فريضة الزكاة كل منها ، فإذا حاولنا الفصل بين هذين العنصرين بفرض معرفة سعر الفريضة الواقعة على كل منهما لوجدنا ما يلي :

- أ- إن سعر الفريضة على رأس المال التجاري وحده ٢,٥% وهو سعر زكاة العروض وزكاة النقدية أو رأس المال النقدي .
- ب- إن سعر الفريضة على الدخل الناتج من النشاط التجاري يحتاج إلى دراسة لفصل الفريضة الواجبة على رأس المال من إجمالي الفريضة الواقعة على وعاء النشاط التجاري في الاحتمالات السابقة للوصول إلى سعر الفريضة على الدخل وتحديد نوعها أى ما إذا كانت تصاعدية أو تنازلية أو نسبية ثابتة .

وقد قام الباحث بهذه الدراسة كما يلي :

- أ- شملت الدراسة الاحتمال الأول والثالث والخامس والسابع بفصل الضريبة الواجبة على زكاة رأس المال في كل حالة لاستخراج باقي الزكاة وهي التي تخص الدخل فقط ثم تم نسبها إلى قيمة الربح المتحقق لمعرفة سعر الزكاة طيلة سنوات الدراسة في كل احتمال على حدة واتجاهه .
- ب- لم تتعرض الدراسة للاحتمالات الأخرى حيث تعتبر عكس الاحتمالات السابقة وعلى ذلك فلا أهمية لتحديد نتائجها حيث ستكون مدرجة فعلا ضمن نتائج الاحتمالات المدروسة .

وقد أثبتت الدراسة النتائج الموضحة بالجدول التالي :

جدول رقم ( ١١ ) م

سعر زكاة الدخل الناتج عن النشاط التجاري

الاحتمال السابع	الاحتمال الخامس	الاحتمال الثالث	الاحتمال الأول	السنوات
%	%	%	%	
٢,٥	٢,٥	٣	٢,٥	١
٤	٤	٣	٤	٢
٤	٤	٣	٤	٣
٤	٤	٣	٤	٤
٤	٤	٣	٤	٥
٤	٤	٣	٤	٦
٤	٤	٣	٤	٧
٤	٤	٣	٤	٨
٤	٤	٣	٤	٩
٤	٤	٣	٤	١٠

وتبين من الجدول السابق ما يلي :

- أ- تماثل سعر زكاة دخل النشاط التجاري في حالة ارتفاع معدل عائد الاستثمار في حالة ثبات وارتفاع وانخفاض رأس المال مما يؤكد عدم أهمية رأس المال مطلقا .
- ب- إن سعر زكاة الدخل في الاحتمالات الواردة في الجدول رقم ( ١١ ) تعتبر نسبية ثابتة وان كانت قد تصاعدت من المفردة الأولى للثانية فقط ولكنها ظلت ثابتة بعد ذلك طيلة سنوات الدراسة التالية .
- ج- اختلف سعر زكاة الدخل عند ثبات معدل عائد الاستثمار إلى سعر نسبي ثابت متوسط بين سعر الاحتمالات السابقة .
- د- يلاحظ أن سعر زكاة الدخل منخفض ويتراوح كما سبق بين ٢,٥ - ٤% بالقياس بسائر الاستقطاعات الوضعية الخاصة بالدخل .
- والنتائج السابقة تفيدنا في تخطيط الهيكل المالي للاستقطاعات الزكوية والضريبية كما يلي :
- \* يمكن استنباط معايير مقبولة للنسب المالية الواجبة التطبيق في حدود الأسعار السابقة عند وضع تشريع زكوي يقع على الدخل فقط ، وهو ما ينادى به حاليا المحدثون<sup>(١)</sup> .
- \* يمكن استنباط معايير مقبولة للنسب المالية الواجبة التطبيق تراعى الأسعار السابقة عند وضع تشريع ضريبي خاص بالدخل .

إيجاد معامل الارتباط بين سعر زكاة العروض والمتغيرات المؤثرة عليه :

يساعد إيجاد معامل الارتباط بين المتغيرات المختلفة على تحديد نوع العلاقة بين هذه المتغيرات ودرجة ارتباطها إحصائياً ، وتطبيق معامل الارتباط في الاحتمالات المختلفة توصلنا إلى ما يلي :

١- إيجاد معامل الارتباط بين معدل العائد على الاستثمار وبين سعر زكاة العروض :

$$\text{بتطبيق المعادلة} = \frac{\text{مجموع ص} \times \text{ن} - \text{ن} \times \text{ص}}{\sqrt{\frac{\text{ن} \times \text{ع}^2 - \text{ع}^2 \times \text{ص}}{\text{ن}}}}$$

حيث تمثل ص معدل العائد على الاستثمار في الاحتمالين الأول والثاني وهي كالاتي :

٨,٣٣ ، ١١,٦٧ ، ١٥,٠٠ ، ١٨,٣٣ ، ٢١,٦٧ ، ٢٥,٠٠ ، ٢٨,٣٣ ، ٣١,٦٧ ، ٣٨,٣٣ ، ٣٥,٠٠ .

وتمثل ع سعر زكاة العروض على العائد وهي :

٨,٤٥ ، ٩,٠٨ ، ٩,٨٦ ، ١٠,٨٣ ، ١٢,١٢ ، ١٣,٨٦ ، ١٦,٣٩ ، ٢٠,٣٦ ، ٢٧,٥٠ ، ٧,٩٣ .

نجد أن معامل الارتباط ( - ٩١% ) .

بمعنى أن هناك علاقة عكسية سالبة قوية بين معدل العائد وسعر الزكاة ، أى أنه كلما زاد أحدهما نقص الآخر .

## ٢- إيجاد الارتباط بين رأس المال المتداول وبين سعر زكاة العروض :

و بتطبيق المعادلة السابقة أيضا باستخدام بيانات الاحتمالين الثالث والرابع لتحديد أثر زيادة رأس المال على سعر الزكاة .

حيث أن س تمثل رأس المال العامل وقيمته :

١٠٠ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٩٠ .

و تمثل ص سعر الزكاة كما يلي :

٢٣,٣٣ ، ٢٣,٦٥ ، ٢٣,٩٣ ، ٢٤,١٧ ، ٢٤,٣٨ ، ٢٤,٥٦ ، ٢٤,٧٢ ، ٢٤,٨٧ ، ٢٥,٠٠ ، ٢٥,١٢ .

نجد أن معامل الارتباط ٨٠,٧٤ بمعنى وجود علاقة طردية موجبة قوية وان كانت أقل من العلاقة السابقة بمعنى زيادة سعر زكاة العروض كلما زاد رأس المال العامل والعكس بالعكس ، أى أن تأثير زيادة رأس المال عكس تأثير زيادة معدل العائد الاستثمار وهو ما يؤيد النتائج والتحليل السابق .

## نتائج البحث

افترض البحث وجود علاقة بين معدل الاستثمار المتحقق في المشروع وبين سعر زكاة العروض تؤدي إلى نتائج إيجابية عند تطبيق زكاة عروض التجارة في المجتمع الاقتصادي مما يحقق إعجازا لم يقف عليه أي تشريع مالي وضعي من قبل . وقد اثبت البحث بما لا يدع مجالا للشك صدق الفرض الذي قامت عليه الدراسة والبت أن سعر زكاة العروض يحقق إيجابيات لم يحققها أي تشريع مالي وضعي من قبل .

وقد تم إثبات هذا الفرض من خلال الدراسة التحليلية والتي تتمثل نتائج مراحلها فيما يلي :

### أولا : تعرض البحث بالدراسة النظرية لثلاث نقاط كما يلي :

تقسم أسعار ضرائب الدخل في المجتمعات الاقتصادية المعاصرة إلى ضرائب نسبية ثابتة لا يتغير سعرها بتغير مقدار الدخل ، وتصاعديّة تزيد أسعارها بزيادة مقدار الدخل ، وتنازليّة تنقص أسعارها بزيادة مقدار الدخل ، ويؤيد علماء التشريع المالي والضريبي تشريع الضرائب التصاعديّة التي لا يخلو مجتمع اقتصادي معاصر منها على الدخل الدوري المتحقق وتعتبر من وجهة نظرهم أكثر عدالة إذ تراعي المنفعة الحدية .

تقع زكاة عروض التجارة على صافي رأس المال المتداول النامي متضمنا أرباح المشروع التجاري بسعر نسبي ثابت قدره ٥ ، ٢% .

العائد على الاستثمار هو النسبة المئوية لصافي الربح إلى إجمالي الأصول المستثمرة وهو من أهم مؤشرات الأداء في المشروع ويحقق مميزات كثيرة ، ولا يفترض وجود علاقة مؤثرة بينه وبين سعر الضرائب على الدخل أو أي نظام ضريبي ولم يسبق لأحد من الباحثين أن ربط بينه وبين معدل العائد على الاستثمار .

### ثانيا : أسس الدراسة التحليلية :

بني الباحث أسس الدراسة التحليلية لإثبات فرض البحث على ما اتفق عليه العلماء بصدد ما يلي :

يتكون معدل العائد على الاستثمار من بسط النسبة وهو صافي الربح قبل الضرائب والمقام وهو إجمالي أصول المشروع .

استخدم البحث الطريقة الخاسبية التي تعارف الخاسبون على تطبيقها في استخراج وعاء الزكاة طبقا للقواعد الفقهية المتفق عليها ، ومفادها خضوع كل من الربح والأصول المتداولة لزكاة العروض ، وبذلك يتأثر وعاء الزكاة بكل منهما ، لذا فقد تم قياس وتحليل اثر تغير كل عامل منهما على حدة لتحديد نسبة التغير ودلالته .

لتحديد العلاقة بين سعر الزكاة وعائد الاستثمار ينسب سعر الزكاة إلى الربح الخاسبي فقط حتى يتضح تأثير معدل العائد على الاستثمار على سعر الزكاة والعكس وذلك مما يسهل المقارنة بين زكاة التجارة وضرائب الدخل .

تطلبت حاجة البحث إجراء دراسة ميدانية إحصائية للمشروعات التجارية لتحديد متوسط نسبة كل من الأصول الثابتة والمتداولة إلى إجمالي الأصول وبلغت في المتوسط :

الأصول الثابتة ١٦ % ، الأصول المتداولة ٨٤ % .

استخدم البحث المعلومات السابقة في افتراض بيانات منشأة تجارية تركز العلاقة بين نسب الأصول الثابتة والمتداولة فيها على الدراسة السابقة مع افتراض تحقيق معدلات عائد متباينة على الاستثمار ومع تغيير العوامل المؤثرة على وعاء الزكاة وهي تغير رأس المال وتغير الربح الخاسبي لمعرفة اتجاه سعر زكاة العروض في كل حالة ودلالة هذا التغير .

ثالثا :توصل البحث إلى ثمانية احتمالات مختلفة لتباين المتغيرات المؤثرة على سعر الزكاة كما يلي:

اثر زيادة معدل عائد الاستثمار عند ثبات رأس المال على سعر زكاة العروض : عند اتجاه معدل العائد للتصاعد بنسبة طردية ثابتة قدرها ٣٣، ٣% انخفاض سعر الزكاة ولم يتخذ هذا الانخفاض نسب ثابتة ولكنه كان بنسبة متناقصة ويتمثل في شكل دالة غير خطية إذ بدأ في السنة الأولى بسعر ٥، ٢٧% وانتهى في السنة العاشرة الى ٩٣، ٧% .

اثر انخفاض معدل عائد الاستثمار عند ثبات رأس المال على سعر زكاة العروض : عند اتجاه معدل عائد الاستثمار للتنازل بنسبة طردية ثابتة قدرها ٣٣، ٣٪ ارتفع سعر الزكاة بنسب متفاوتة إذ بدأ بسعر ٩٣ ٥٧٪ وانتهى السنة العاشرة بسعر ٢٧، ٥٪.

اثر زيادة رأس المال مع ثبات معدل عائد الاستثمار على سعر زكاة العروض : إذا زاد رأس المال المتداول - الخاضع للزكاة - بمعدل طردي ثابت قدره ٨، ٩٪ مع ثبات معدل عائد الاستثمار اتجاهه سعر زكاة العروض للتصاعد بنسب محدودة تبدأ من ٣٣، ٢٣٪ في السنة الأولى وتنتهي بسعر ٢١ ٢٥٪ في السنة العاشرة .

اثر انخفاض رأس المال مع ثبات عائد الاستثمار على سعر زكاة العروض : إذا انخفض رأس المال المتداول بمعدل طردي ثابت قدره ٨، ٩٪ مع ثبات معدل عائد الاستثمار اتجاهه سعر الزكاة للتنازل بنسب محدودة تبدأ من ٢١، ٢٥٪ في السنة الأولى وتنتهي بسعر ٣٣، ٢٣٪ في السنة العاشرة .

اثر زيادة معدل عائد الاستثمار مع زيادة رأس المال على سعر زكاة العروض : إذا زاد رأس المال المتداول بنسبة ١٠، ١٪ وزاد صافي الربح بمعدل ٤٠، ٤٪ يزيد معدل عائد الاستثمار من ٣٣، ٥٨٪ في السنة الأولى إلى ٢١، ٩٪ في السنة العاشرة ويؤدي ذلك إلى اتجاهه سعر زكاة العروض للتنازل بدءاً من ٢٧، ٥٪ في السنة الأولى إلى ٨٣، ١٢٪ في السنة العاشرة .

اثر انخفاض معدل عائد الاستثمار مع انخفاض رأس المال على سعر زكاة العروض : إذا انخفض رأس المال المتداول بنسبة ١٠، ١٪ ونقص صافي الربح بنسبة ٤٠، ٤٪ ينخفض معدل عائد الاستثمار من ٩، ٢١٪ في السنة الأولى حتى ٣٣، ٨٪ في السنة العاشرة ويؤدي ذلك إلى اتجاهه سعر الزكاة إلى التصاعد بدءاً من ٩١، ١٣٪ حتى ٣٢، ٥٪ ويلاحظ أن هذا التصاعد عالياً وبمعدل غير ثابت من سنة لأخرى .

اثر زيادة معدل عائد الاستثمار مع انخفاض رأس المال على سعر زكاة العروض : إذا زاد معدل عائد الاستثمار من ٧٦، ٤٪ في السنة الأولى إلى ٣٣، ٣٨٪ في السنة العاشرة ينخفض سعر الزكاة بمعدل تنازلي كبير إذ يبدأ من ٥٠، ٥٪ في السنة الأولى وينتهي بسعر ٩٣، ٧٪ في السنة العاشرة .



اثر انخفاض معدل عائد الاستثمار مع زيادة رأس المال على سعر زكاة العروض :  
 إذا انخفض معدل عائد الاستثمار مع زيادة رأس المال من ٣٣، ٣٨% في السنة الأولى  
 وانتهى بمعدل ٧٦، ٤% في السنة الأخيرة لاتباع سعر الزكاة للتصاعد مرة أخرى بدءاً من  
 ٩٣، ٧% ومنتهايا بسعر ٥٥٠% .

## تحليل نتائج الاحتمالات السابقة :

يوضح تحليل نتائج الاحتمالات السابقة ما يلي :

أن سعر زكاة العروض يتأثر تأثيراً شديداً بمعدل عائد الاستثمار ، ويمكن استخدامه كحافز ذو فعالية للإدارة ، بحيث يعمل على رفع كفاءة وترشيد استخدام الأموال عن طريق تدني التكلفة وتضخيم الإيرادات وزيادة معدل دوران الأصول المتداولة للوصول إلى أعلى معدل ممكن لعائد الاستثمار بما يحقق لها أدنى سعر للزكاة .

أن سعر الزكاة لا يتأثر بزيادة أو انخفاض رأس المال المتداول بالرغم من انه يمثل قدراً لا بأس به من وعاء الزكاة ، إلا أن الدراسة السابقة أثبتت أن تأثير سعر الزكاة به طفيفاً إلى درجة انه لا أهمية لعنصر رأس المال على الإطلاق .

وعلى ذلك يكون المشرع الإسلامي قد أولى عنصر العمل أهمية فاقت كل ما توصلت إليه العلوم الحديثة في المحاسبة والإدارة والاقتصاد من أساليب وطرق لقياس كفاءة الإدارة وتقييم نشاطها ووضع الحلول والمقترحات لإثابتها أو عقابها أو تحفيزها .. الخ . حيث أن الزكاة تقع على نشاط أساسي من أهم أنشطة المجتمع الذي يحتاج لامتزاج عنصري رأس المال والعمل معاً ، وقد اتضح جلياً مدى تأثير سعر الزكاة بعنصر العمل المتمثل في الربح وهو ما يدل على مكانة العمل وكيفية تقدير قيمته عملاً عن طريق سعر الزكاة .

كما أن المشرع الإسلامي أيضا قد فاق كل النظم الوضعية سواء تمثلت في تشريع مالي ضريبي أو سواه في وضع التشريع الأمثل الذي لا يتقص من حق الخزانة العامة وإدارة الزكاة من ناحية ويمثل نظام استقطاع متكامل على ثروات ودخول الأنشطة التجارية من ناحية أخرى .

#### رابعا: دراسة معامل حساسية سعر زكاة العروض :

استخدم البحث معامل حساسية سعر الزكاة للتغير في معدل العائد الاستثمار للاستفادة منه عند وضع نظم الزكاة على سائر الأموال التي لا تخضع لنوع معين من الزكاة وأيضا عند وضع النظم الضريبية وقد تبين ما يلي :

معامل الحساسية عند ارتفاع معدل العائد الاستثمار: بلغ الوسط الحسابي لمعامل الحساسية ٤٥ ، ١ عند زيادة رأس المال ، ٤٨ ، ١ عند ثبات رأس المال ، ٤٥ ، ١ عند انخفاض رأس المال ، وذلك مما يدل على وجود علاقة طردية سالبة قوية بين معدل العائد الاستثمار وسعر زكاة العروض كما أن تغير رأس المال زيادة ونقصا لا يؤثر على متوسط معامل الحساسية إلا بقدر طفيف جدا إذ يبلغ ٣ ، ٠ . كما أن متوسط معامل الحساسية يبلغ ٤٨ ، ١ يصلح مؤشرا لتحديد معامل التنازل الممكن تطبيقه تبعاً لزيادة معدل عائد الاستثمار لتخطيط سعر الضرائب التجارية .

معامل الحساسية عند انخفاض معدل العائد الاستثمار : بلغ الوسط الحسابي ٩٤ ، ٠ . عند زيادة رأس المال ، ١١ ، ١ عند ثبات رأس المال ، ١١٤ ، ١ عند انخفاض رأس المال ، مما يدل على حساسية سعر الزكاة عند انخفاض معدل عائد الاستثمار إذ يزيد التغير عن المثل كما أن تغير رأس المال لا يؤثر إلا تأثيرا طفيفا تبلغ نسبته ٤ ، ٠ . كذلك يصلح متوسط معامل الحساسية مؤشرا لتخطيط سعر الضرائب التجارية إذ يحدد معامل التصاعد ب ١١ ، ١ تبعاً لانخفاض معدل العائد على الاستثمار .

خامسا : شمل البحث دراسة سعر زكاة العروض الخاصة بالربح فقط :

أي انه تم نسب الزكاة التي تخصص بالربح الخاسبي دون قيمة الزكاة المفروضة كلها على المنشأة لمعرفة طبيعة سعر هذه الزكاة واتجاهها وتوصل البحث إلى ما يلي :

١- أن سعر الزكاة على الربح باعتباره دخل دوري يتراوح بين ٥ ، ٢% - ٤% في كافة الاحتمالات مما يعتبر مؤشرا لسعر الزكاة الممكن تشريعه في أي زكاة جديدة على الدخل المتحقق من كسب العمل .

٢- أن ارتفاع وانخفاض رأس المال لم يؤثر على سعر الزكاة وهو ما يؤكد مرة أخرى ضعف دوره وتأثيره على سعر الزكاة .

عند ثبات معدل عائد الاستثمار تحول سعر الزكاة إلى سعر نسبي ثابت متوسط قدره ٣% .

تمكن النتائج السابقة من استنباط معايير مقبولة للنسب المالية الواجبة التطبيق في حدود الأسعار المذكورة عند وضع تشريع استقطاع وضعي يقع على الدخل الناتج من كسب العمل .

سادسا : إيجاد معامل الارتباط بين سعر زكاة العروض والمتغيرات المؤثرة عليه :

بتطبيق معامل الارتباط على الاحتمالات المختلفة تبين ما يلي :

بلغ معامل الارتباط بين معدل العائد على الاستثمار وسعر زكاة العروض ( ٩١ ، ) أي أن هناك علاقة عكسية قوية سالبة .

بلغ معامل الارتباط بين رأس المال المتداول وبين سعر زكاة العروض ٧٤ ، ٨٠% أي أن هناك علاقة طردية قوية موجبة وان كانت قيمتها اقل من الأولى .

## المراجع

أولا المراجع العربية :

أ-المراجع الفقهية :

- ابن رشد " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " مصطفى الحلبي .
- ابن قدامة " المغنى " مكتبة الكليات الازهرية .
- ابن عبيد " الأموال " مكتبة الكليات الأزهرية .
- البيهقي " السنن الكبرى " مكتبة الكليات الأزهرية .
- الخطابي " معالم السنن " مكتبة أنصار السنة .
- د/ القرضاوى ، يوسف ، فقه الزكاة " مؤسسة الرسالة .
- النووى " المجموعة شرح المهذب " إدارة الطباعة المنيرية .
- الفقه على المذاهب الأربعة وزارة الأوقاف ، كتاب الزكاة .

ب- المراجع المحاسبية والمالية :

- د/ بركات ، عبد الكريم ، " دراسة فى الاقتصاد المالى " مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٣ .
- د/ حسبو ، هشام " الاتجاهات الحديثة فى التحليل المالى والمحاسبى " مكتبة عين شمس ، ١٩٨١ .
- د/ دويدار ، محمد " دراسات فى الاقتصاد المالى " دار المعارف ، الاسكندرية .
- د/ شحاتة ، حسين ، " محاسبة الزكاة " الاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية ، ١٩٨٠ .
- د/ شحاتة ، شوقى اسماعيل ، " التطبيق المعاصر للزكاة " دار الشروق ، جدة ، ١٩٧٧ .
- د/ عبد السلام ، محمد سعيد ، د/ حامد هنيدى " المحاسبة الضريبية " دار البيان العربى " ، جدة ، ١٩٨١ .
- د/ عثمان ، محمد " تقييم الأداء باستخدام معدل العائد على رأس المال المستثمر فى قطاع صناعة الدواء " رسالة دكتوراه ، تجارة القاهرة ، ١٩٨٠ .

- Allen , J.L. “ Risk Analysis For Non mathematicians “ Management Accounting , Oct 1979.
- Anderson , Kenneth E., “ A Horizontal equity analysis of the minimum tax provisions : An Impirical Study “ the Act. Review vol . IX no . 30, July 1985.
- Hassan N . and others “ Sensitivity Analysis : an accounting tool for decision making “ Management Accounting April 1979.
- Hellings ,J , “ sensitivity analysis “ Management Accounting , Sept 1980.
- Horngren , C.T., “cost Accounting : A Mangerial Emphasis “ Prentice-hall 1979.
- Huefner , R.J. “ Analyzing & Reporting Sensitivity data”. The Act .Review , Oct . 1971.
- Hull , J.C. “ Evaluating Investment Risk “ Management Act. April 1975 .
- Joy O.M. And others , “ A Note on Sensitivity analysis of Rate of Return “, the Journal of Finance , Dec . 1973 .
- Moore , Michael L. and others “ Some Empirical Evidence on Taxpayer Rationality “ the Act .Review Vol .LX no. 1 , Jan. 1985.
- Philipaton , George C.” Essentials of Financial Management “ Holden – day inc., San Francisco 1974.
- Weston , J. Fred and others “ Essentials of Managerial Finance “ 3 ed . the dryads Press , a division of Holt Rinehart & Winston Inc ., 1974.

## الهوامش

minimum (1)- See : Kenneth E. Anderson " A horizontal equity analysis of the tax provision : An Empirical study " the Act. Review Vol. IX no. 3 July 1985 , PP . 357 - 371 .

- Also : Michael L. Moore , Bert M. Steece & Charles W . Swenson " Some Empirical evidence on Taxpayer Ratioality " The Act. Review Vol. No. 1 Jan 1985 pp. 18-25 .

(1) انظر :

- د. عبد الكريم بركات " دراسة في الاقتصاد المالي " مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ ، ص ١٤٣ .  
- د. محمد دويدار " دراسات في الاقتصاد المالي " دار المعارف بالأسكندرية " بدون سنة نشر ، ص ١٩٨ .

(٢) ابي سليمان الخطابي " معالم السنن " مكتبة أنصار السنة ج/ ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩ .  
(١) ابي سليمان الخطابي " معالم السنن " مكتبة أنصار السنة ج/ ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩ .  
(٢) د. حسين شحاتة " محاسبة الزكاة " مطبوعات الإتحاد الدولي للبنوك الإسلامية " ، ١٩٨٠ ، ص ١٩٨ ، د. محمد سعيد عبد السلام ، د. حامد هنيدي " المحاسبة الضريبية " دار البيان العربي جدة ، ١٩٨٢ ، ص ١٣١ .

(٣) ابن قدامه المرجع السابق ص ٢٧ - ٢٨ .  
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٠ ، ٣٧ .  
(١) انظر : أبو عبيد " الأموال " مكتبة الكليات الأزهرية ص ٤٢٦ ، ابن رشد " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " مصطفى البابي الحلبي ج/ ١ ص ٢١٧ ، د. يوسف القرضاوي " فقه الزكاة " مؤسسة الرسالة ج/ ١ ص ٣٣٢ ، " الفقه على المذاهب الأربعة " وزارة الأوقاف ، كتاب الزكاة ص ٤٩٠ .

(٢) أبو عبيد مرجع سابق ص ٤٢٦ .  
(٣) د. شوقي اسماعيل شحاتة " التطبيق المعاصر للزكاة " دار الشروق جدة ط/ ١/ ١٩٧٧ ص ١٤١ - ١٤٤ ، د. حسين شحاتة مرجع سابق ص ١٩٧ - ١٩٨ ، د. محمد سعيد عبد السلام وآخرون مرجع سابق ص ١٤٢ - ١٤٤ .

(٤) انظر د. محمد عثمان " تقييم الأداء باستخدام معدل العائد على رأس المال المستثمر في قطاع الدواء " رسالة دكتوراه تجارة القاهرة ١٩٨٠ ص ٣٣ - ٣٤ ، د. هشام حسبو " الاتجاهات الحديثة في التحليل المالي والمحاسبي " مكتبة عين شمس ط/ ٢/ ١٩٨١ ص ٢٥ - ٣٩ .  
(١) تعتبر شركة دي بونت الأمريكية من أوائل المشروعات التي استخدمت هذا المعدل لقياس قدرة الشركة على تحقيق الربح كمؤشر لتقييم الأداء ثم تبعتها بعد ذلك مشروعات أخرى حتى غدا معدل العائد على الاستثمار من أهم مؤشرات تقييم الأداء .

(١)- See :

- Horngron , C. T. , " Cost Accounting : A Managerial Emphasis " , Prentice – hall 1979 P. 52 .
  - Huefner , R. J. , " Analyzing and Reporting Sensitivity data " , the Accounting Review , Oct. 1971 , P. 717 .
  - Joy , O. M. & others , " A note on sensitivity analysis on Rates of Return " the Journal of Finance 1973 , P. 1255 .
  - Hull , J. C. , " Evaluating Investment Risk , " Management Accounting April , 1976 , P. 138 .
  - Sept , 1980 , (٢)- Hellings , J. , " Sensitivity anslysis , " Management Accounting PP. 35 – 36 .
  - Allen , J. L. , " Risk Analysis for Non – mathematicians " , Management Accounting , Oct. 1979 , PP. 55 – 56 .
  - Also : Hassan N. , and others , " Sensitivity anslysis : An Accounting tool for decision making " , Management Accounting April 1978 , PP. 45 – 46 .
- (١) ينادى بعض المحدثين حالياً بضرورة إخضاع الدخول الناتجة عن العمل لفريضة الزكاة وهو ما يسمى في النظام الضريبي " ضريبة كسب العمل " .

انظر :

- د/ يوسف القرضاوى ، مرجع سابق ، ج/١ ص ٥١٠ – ٥١٨ .
- د/ حسين شحاته ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ – ٢٧٤ .
- د/ شوقي شحاته ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣ – ٢١٢ .
- د/ محمد سعيد عبدالسلام ، د/ حامد هنيدي ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ – ١٦٢ .





**TRUTH: THE MEETING POINT OF  
AL-QURAN AND SCIENCE**

**Dr. M. Shamsheer Ali**



**Abstract :**

The link between the Holy Quran and Science has been a matter of much interest in recent years. The present paper titled "Truth: the meeting point of Al-Quran and Science" addresses this link, and demonstrates, through numerous examples, that this link is nothing but Truth itself. It has been highlighted in the paper, that Truth remains the vitalizing force of the Holy Quran which poses a challenge to the scientists (who are known as truth-seekers) to discover this Truth existing in the whole of Creation. In respect of Truth, the Quran says that this Holy Book has been descended in Truth, and the creation of the Heavens and the Earth has been done in Truth. If this is the assertion of the Holy Book and if seeking Truth is the main goal of the scientists, then why should there be at all any conflict between Quran and Science? In fact, there exists harmony, and no conflict between the Quran and Science. Almost one-eighth of the Holy Book is devoted to the exploration of the natural order, and as has been found out by researchers, there is not a single verse in the Holy Quran that is assailable from the scientific point of view.

Some students of Science argue that religion is rooted in faith, while Science is rooted in queries, and also hold the erroneous view that religion, being based on faith, does not entertain queries. The actual situation however, as stated in the Quran, is different. The Holy Quran points out that there is no compulsion in religion, as Truth is distinct from error. It has also been pointed out in the paper, that the Quran does entertain queries of the faithful for purposes of satisfying their hearts. The Quran urges mankind to investigate into everything that exists between the Heavens and the EarthS (10:101)1. Furthermore,

the Lord and Cherisher of the worlds invites man to believe in Him not by considering the tortures of the Hell or the rewards in the Heaven, but by studying facts of Science in nature (e.g. 21:30)<sup>1</sup>.

Thus, Science does not and should not erode the faith in the Creator. On the other hand, through the scientific investigations of the truths in nature, scientists discover the Laws of the Creator in anything that exists in creation. So, Truth, and Truth alone, can act as the meeting point of Al-Quran and Science, and the Holy Quran is the Book of the most scientific set of instructions for mankind for all aspects of life and for all times to come.

## 1. Introduction:

There are many scientists who have the notion that their profession is based on the investigation of Truth (which permeates between the smallest of the small and the largest of the large, in the entire universe) whereas abiding by the Al-Quran is based on faith and has no connection with the investigation of Truth. This is a wrong notion. Al-Quran emphasized "the importance of Truth in the whole of Creation long before modern scientists engaged themselves in investigating it. In fact, it is Truth, and Truth alone that creates a concordance and symphony between Al-Quran and Science although this fact is not known to many. The reason that many people do not know about the harmony of Al-Quran and Science is simply this that many of those who have gone to the depths of Science have not studied the Holy Quran, and many of those who have studied the Quran have not studied Science. Unfortunately, the modern education system existing in many countries tends to present Science and Quran as two disparate things, whereas anyone who has studied both Science and Quran is likely to come to the conclusion that the more one investigates the Creation of Allah, the more one understands the Verses of the Quran that point to His Creation, and also that there is congruence, and not any conflict between Science and Al-Quran. Before we discuss how Truth acts as the cementing factor between Science and Al-Quran, let us point out the reasons why Al-Quran has at all appealed to humanity.

## 2. Appeal of Al-Quran

Al-Quran which came as the last of the Revealed Books to Mankind through the last of the Prophets of Islam (pbuh), has appealed to the hearts of millions and millions of men and women from many different lands and cultures and over many periods of time. What are the forces behind this appeal? Any student of history would conclude that it is not any physical force that made people accept the Quran as the Book of Guidance. The universal brotherhood of Islam, the social and economic justice that it proclaims, the principles of universal human rights embedded in the Quranic Verses as well as the manifestations of love and tolerance in the lives of the saints and preachers of Islam have been the dominating factors behind the acceptance of Islam by many. However, there has been an inherent force in the Holy Quran itself, which has been attracting people who love to argue and reason out. This force in the final analysis, appears to be absolute and nothing other than Truth (Haqq). That Truth is the absolute force of the Quran is evident from the fact that one of the names of the Holy Quran is Al-Furkan: the root word being 'Faraq', that is to distinguish or tell one thing from another. As we know today, Al-Quran tells injustice from justice, right from wrong and Truth from Falsehood. The insistence of the Holy Quran on Truth is indeed very remarkable and this is why even the preaching of Islam through compulsion has been highly discouraged. In Verse 2:256 Allah has ordained: "Let there be no compulsion in religion:

Truth stands out clear from error.. " Thus it is very clear that the call to Islam has to be through the recognition of Truth.

### 3- Methods of discovering the Truth – Queries

Now, how do we discover the Truth? Any student of science knows that to arrive at the Truth inherent in the working of nature, enquiries have to be made. One enquiry leads to another and that to still another and this is how we find out the laws of Nature. An example would make this point clear. Man's quest into the elementary building blocks of matter has been an eternal one. The early Greeks thought that air, water, fire, soil etc. were elementary. Later it was found that these are made from some compounds; still later, the compounds were found to be formed of natural elements the number of which came out to be ninety-two. With the advancement of knowledge these elements were found to be composed of molecules which were then decided as elementary. Later, these molecules were found to be made up of atoms. Still later on, the atoms were found to be tiny solar systems with the positive charge concentrated in the nucleus of the atom which makes up for the bulk of the weight of the atom while the negatively charged electrons were found to be whirling in different orbits around the nucleus. After the discovery of neutron in 1932, one now knows that the nucleus consists of positively charged particles called protons and neutral particles called neutrons. Finally, for a long time, it was assumed that neutrons, protons and electrons are fundamental building blocks of nature. Only in the sixties did we know that the protons and neutrons are not elementary particles themselves, instead they are composed of fractionally charged particles called 'quarks'. At present, it is believed that quarks and leptons (electrons, muons, taons) are the elementary particles. Thus, we see, that the search for elementary particles has been one spanning a few thousand years and progress attained up to today has been the result of making enquiries.

If we look at the front-line areas of modern science and technology, namely Bio-technology and Information and Communication Technology, then it becomes evident that the present state of development in these fields has been realized only due to making inquiries of scientists in order to understand the nature of the building blocks of both inert and living matter. One would be astonished to find, that a hundred and twenty-five years ago, the electrification of the world had not begun; a hundred years ago, man did not know how to fly (the first commercial flight was available only in 1919); ninety years ago, the first rocket had not yet been shot in the air; eighty-five years ago, the radio had not become a household item 'seventy years ago, DNA (Deoxyribonucleic acid), the master molecule of life known as the hereditary blueprint, was not known; sixty years ago, the structure of this giant molecule had not been discovered; fifty-five years ago, there was no nuclear power station in the world; fifty years ago, there was no Sputnik (artificial earth satellite) in Space and the correct count of forty-six chromosomes in the human cell had not been established (before 1956, it had been thought that there were forty-eight chromosomes in the human cell); forty years ago, there was no vindication of the Big-Bang theory thirty five years ago, the microprocessor had not been in existence; thirty years ago, the PCs were yet to become a household word, even in advanced countries; twenty-five years ago, there was no website; ten years ago, "Dolly" and "Jefferson" (the cloned sheep and the cloned cow respectively) had not yet been cloned; five years ago, the multi-billion Dollar Human Genome Project was in existence alright, but gene mapping had not yet been completed; and only one year ago a case of human cloning is alleged to have been performed, amidst uproars of researchers and the members of the public at large.



Thus, it is remarkable to note that within the last one hundred years, man has learned an awful lot only to realize that what has been learned is a tiny part of what is yet to be learned. While the searches into the unknown are going on in full swing, it must be appreciated that enquiries have formed the basis of all scientific truths. Many people ask: is enquiry forbidden in Quran? This is indeed a million dollar question, and once we have settled this question, it would be easier to shed light on the meeting point of Al-Quran and Science. But the answer exists in the Holy Quran itself. Many Muslims tend to think that since Faith is the basis of Islam, enquiries do not have a place in it. This is indeed an erroneous view. In reality, faith (Iman) is the basis of religion airtight. But then there is no conflict between faith and query. In fact, the first support for making queries in the Holy Quran for arriving at Truth is contained in Verse 2:260

2:260.

“And when Abraham said (unto his Lord):

My Lord! Show me how Thou givest life to the dead,

He said: Dost thou not believe?

Abraham said: Yes, but (I ask) in order

That my heart may be at ease.

(His Lord) said: Take four of the birds

And cause them to Incline unto thee,

Then place a Part of them on each hill,

Then call them, they will come to thee in haste.

And know that Allah is Mighty, Wise”.

It is interesting to note that Prophet Abraham had complete faith in his Creator but he raised his query only to know the ways in which the Creator performs the tasks that He does. In the above Verse, Prophet Abraham was advised to take four of the birds and cause them to incline unto him. This word 'incline' is indeed very important. If a bird is indeed inclined to someone, then he is likely to know all the information concerning the nature and habitat of the bird. According to the Verse, such a bird when torn to pieces will respond to the call of the person to whom the bird is inclined and to whom none of its secrets of life is unknown. Similarly, man whom Allah created from inert matter will respond after death to the call of Allah, who knows all the secrets of man's existence. All this is a matter of details but the essential question is "Did Allah discourage the query of Abraham or did He entertain it?" From the Verse we see that Allah entertained the query.

So, the stand of the Quran in respect of query is very clear. If someone wants to understand the "do's" and "don'ts" in the Holy Quran by making enquiries, then he or she is encouraged to do so. The answers obtained through such queries would remove many misunderstandings and embolden the faith of the questioner. In fact, Mankind has been asked repeatedly in the Holy Quran to ponder over the working of nature and find out the truths (i.e., the natural order of the universe). In Verse 10:101 Allah asked the Holy Prophet (pbuh) of Islam to say to the people "Behold all that is in the heavens and on earth. This beholding of things is the work of the scientists. Thus, scientific approaches have been encouraged at the very highest level by Allah Himself.

Many students of modern science tend to think that Muslims feel uncomfortable with the investigation of truths in nature. Why should the Muslims feel uncomfortable with the seeking of Truth, especially when the

Book they follow asserts in an unambiguous way that Allah has sent down the Book (the Al-Quran) in Truth (2:213, 2:252, 3:3, 3:60, 3:108, 4:105, 4:170) and that what has been revealed with Muhammad (PBUH) is the Truth (13:1)1. These Verses pose a challenge to the scientists, the seekers of Truth. Of these Verses, one can be particularly mentioned in which an indication is made, that all things (and not just living things) have been created in pairs (36:36). This indication should be a challenge to the scientists to investigate the Truth of it with all their powers of reasoning. It is interesting to mention in this connection, that the investigation of Truth needs knowledge. And it has been emphasized clearly in Verses 22:54 and in 34:6 that “those who have been given knowledge may know that it is the Truth from your Lord Thus the verification of Truth which governs the working of the Universe can be done only by very knowledgeable people.

In Verse 45:6', Allah has referred to His signs as Truth. Again, it has been mentioned in the Quran itself that these signs can be comprehended by knowledgeable people. At this point, let us summarize the Quranic assertions about Truth: what has been revealed in the Holy Quran has been revealed in Truth; Signs of Allah are Truths; the creation of the heavens and the earth and all that is between them has not been done except with Truth (44: 39)\*. These Quranic assertions should convince the truth-seeking scientists that there is no conflict between Al-Quran and Science. The Quran points to truths of Creation, and science investigates them.

Incidentally, there are about 750 Verses in the Holy Quran that point to scientific facts. And as has been pointed out in the books 'The Bible, the

In fact, this Verse covers the entire agenda of truth-seeking in Science.

Quran and Science' and 'Scientific Indications in the Holy Quran', there is not a single Verse in the Holy Quran which is assailable from the scientific point of view.

Thus Truth, which is being upheld by the scientists, is already embedded in the Holy Quran and is the very force of Quran. In Verse 14:19 Allah asks, "Do you not see that Allah created the heavens and the earth in Truth?" This Verse clearly states that the heavens and the earth were indeed created in Truth. We can consider this Truth to be the foundation of all creations. It is worthwhile noting the fact that the purpose of scientific investigations for which there are repeated urges in the Holy Quran, is to find out this Truth. Obviously, tafakkaur i.e. the reflection on the laws of nature and their unveiling is an obligation to man. The history of science shows that as man has unfolded the secrets of nature, he has been thrilled by the laws, which govern living and inert matter. These laws are nothing but a manifestation of the Truth, which has been pervading all of Allah's creation. This Truth may mean all aspects of the characterization of matter, (e.g. shape, size, internal structure, color and odor of a given matter and its interaction with others). It may mean laws, which are brought into play in the organization of matter, the proportions of things necessary for their own existence, or the proportion of one thing in relation to some other in the context of the ecology of nature. Man with the methodologies of science, developed and exploited so far, has explored only some of the Truths inherent in nature. The more he explores these Truths, the more he realizes the power and grandeur of the Creator and His Master-mindedness. The other important observation is that the setting of Nature has been in such a way that has made possible the very existence of man. So, not only has Allah created inert and living matter in Truth, which is evinced in their organization, this Truth has been to the benefit and advantage of mankind. No wonder, man should bow down to Allah in the ecstasy of discovering the Truths of His creation.

Today, when the scientists have been delving into the Truths governing the smallest of the small and the largest of the large, they would do well to remember Verse 41:53<sup>1</sup>: “Soon will we (Allah) show them our Signs in the farthest regions of the earth and in their own souls until it becomes manifest to them that it is the Truth (annahul Haqq)”. Now we know from Astrophysics that the farthest reaches of the universe is about  $10^{28}$  cm (1 followed by 28 zeros) and the smallest that we have been able to probe is  $10^{-13}$  cm, and we know from biology that the master molecule of life DNA (Deoxyribonucleic Acid) which contains all information about a biological system is very small ( $10^{-5}$ ) Thus, the above ‘Verse indicates that when Allah shows the scientific truths of the farthest reaches of the universe as well as those of the micro world existing in our own cells, then we understand the Truth of the Quran and have our faith in the Creator.

#### 4- Quranic way of pointing to Facts of Science

Al-Quran is not a book of science. It is a Book of guidance to man for all his useful activities. Since science and technology is regarded as an integral part of human culture, it is only natural to expect that Al-Quran would highlight man’s quest into nature. In fact, Al-Quran does so most beautifully. Al Quran’s first word of revelation is “read”. It encourages learning and it lays the highest emphasis on the acquisition of knowledge. It gives importance to knowledgeable people. It also points to facts of science but does so most wisely by indicating some grand principles of Science. Mention may be made in this connection of Verse 3:190 – 191<sup>1</sup>:

“Behold! In the Creation of the Heavens and the Earth and the alternation of night and day —there are indeed Signs for men of understanding .Those who celebrate the praises of Allah, standing, sitting, and lying down on their sides, and contemplate the creation of the heavens and the earth and say, “Our Lord! You have not created this in vain! Glory be to You, and save us from the penalty of Fire”.

The above utterances form the very basis of modern ecology which deals with life and environment. With the gradual expansion of scientific knowledge, man is beginning to learn that in the various interactions of matter and life in Nature, there is no such thing as redundancy or waste. At first, Allah’s creation is based on Truth and wisdom; minimum principles are operative in many different areas, e.g. the principle of least path in optics, the principle of least action in mechanics, the principle of least energy in the stability of matter etc. All of these speak of the most trite and tidy form of creation. Secondly, all forms of living and non-living matter display a Master-design which makes man reflect on the nature of things both within and outside his own system. Let us consider the case of bacteria. When we are attacked by a certain bacterial disease, we tend to think that bacteria are indeed a nuisance, little realizing that without many of these, our existence would be jeopardized. The role of bacteria in nitrogen fixation and in producing many of our foodstuffs is well-known. Except for a number of pathogenic bacteria and viruses against which the human and other living organisms can develop appropriate defense mechanisms. Also, the micro organisms are of extreme importance in the maintenance of the very delicate ecology of nature.

Furthermore, a lot is being told these days of genetic engineering. But in its present form, genetic engineering means the employment of these bacteria to produce things we want. Thus, Allah has made a microorganism a complex laboratory.

The diversity of living and non-living forms of matter is simply stupendous. In the biological world, one notices that some living species are very odd looking, while some others are pretty to look at. Some move about in daytime and some during the night, some emit a particular odor, some behave as hosts and some as parasites, but the wonderful thing to notice is that none is without a function. And still more interesting is the fact that the physical and biological functions of these species are not merely to live and die, but these functions are, in turn, linked with the existence of other forms of life. In the present state of our knowledge, we are not fully familiar with these interdependencies in the plant and animal world. Thus, if we destroy a certain kind of species through lack of knowledge or through indiscriminate action, the existence of some other species is eventually endangered and ecology is terribly disturbed. So, if at a certain time, any of the living organism poses a problem, its population should only be controlled, but certainly not destroyed.

The variety of life forms may have another purpose, that is one species may have to learn a lot from a completely different one in respect of adjustment with Nature. Recently, in the wake of energy crisis in the world, people have been thinking that we humans can probably benefit a lot if we understand how micro-organisms solve their problems of energy production, energy storage and use, energy conservation etc. More recently, US scientists are hoping to find a clue to the problems of preservation of food by looking at the food management of that of the kangaroo rat although rodents are known to be notorious for destroying human food.

Some US mycologists have spied on the kangaroo rat and are beginning to think that the clue to man's food preservation problems may well lie in the detailed study of the food handling process of the kangaroo rat. These rats move the harvested legume pods to different areas of their burrows thus

varying the conditions of airflow and temperature, in order to promote the growth of particular moulds on the pods. These moulds, which produce mycotoxin, act as a pesticide against infestation by the beetles. By moving the seeds around, the rats can not only promote but also control the growth of certain other moulds which ruin the pod supply. The wisdom of the kangaroo rat reflects the recently applied method of controlling pests with the help of another organism, a process known as biological control. Thus we observe, that nothing in Allah's creation is without a purpose.

It is worthwhile mentioning in this connection that, there are 30 (thirty) million life forms in the world and scientists have studied only 5 million of these. The remaining life forms need to be preserved and studied in detail as these may have far reaching consequences for the ecological balance of the world, and hence for our own existence. No wonder, the modern ecologists who are advocating the preservation of bio-diversity has adopted the cardinal principle that "nothing has been created for nothing". This principle is an echo of the statement in Verse 3:191<sup>1</sup> that gives rise to the entire discipline of ecology and acts as a Grand Principle of Science. Another Grand Principle of Science is indicated in Verse 25:2<sup>1</sup>: "He to Whom belongs the dominion of the heavens and the earth; no son has He begotten, nor has He a partner in His dominion, it is He who created all things, and ordered them in due proportions." That to Allah belongs the dominion of the heavens and the earth has been discussed in Verse 7:54. The last part of the Verse clearly states that Allah has meted out a measure for all things that He has created. In order to appreciate the science inherent in this statement, let us first consider the size of man. This size ranging normally between 1 to 2 meters is perfectly commensurate with the gravitational forces of the earth that man has been experiencing ever since his appearance on this planet. One might ask, what would happen if man were 2-3



times larger than he presently is? In that case, it can be shown that a walk in the earth's gravitational force could be very dangerous. If man were 3 times taller and had the same bodily proportions, he would weigh  $3 * 3 * 3$  27 times as much. Tripping and falling would involve a person 27 times as heavy, falling 3 times as far; the impact created in the fall would be 81 times ( $27 * 3$ ) as much. His bones would be 9 times stronger since their strength depend on their cross-sectional area. Therefore the fall would be 9 times as damaging. On might now ask a question in the reverse direction: what would happen to man if he were considerably smaller than what he is now. Again, it can be shown that in the latter case also, man would have encountered tremendous difficulties. It is known that the amount of heat energy lost from a body depends on the surface area of the body. If man were very very small,, his surface area would be considerably larger compared to his volume. So his body would lose a lot of heat energy and would become cold. In order to stay warm, he would have to eat a tremendous amount of food. In fact, such is the case with the shrew, the smallest warm blooded animal which eats prodigiously to stay warm, the amount it eats being a number of times greater than its own body weight. Thus if man were several times smaller than his present size, not only would an acute food problem arise, but his brain size would be drastically diminished and he could not presumably boast of being the most intelligent of all of Allah's creation. All this would lead one to the conclusion that the "measure" meted out to man by Allah is indeed the wisest one.

Incidentally, a physical measure of any living organism is also shown to be related to the environment in which Allah has permitted it to live. The thermodynamic considerations of heat exchange between living organisms and their environment as discussed above also explain why a polar bear which has to retain its heat energy is large, thereby having a smaller

surface area compared to the sun-bear which has to lose energy in order to remain cool and is thus small in size with a proportionally large surface area. Let us now consider an altogether different aspect of it--- namely its beauty. We all appreciate beauty which is manifested throughout Allah's creation. It is now known that the beauty of an object is related to the symmetry principles it demonstrates. This symmetry (whether it be of a reflection type or rotational type) would be meaningless if the component parts of an object were not of a definite measure in relation to one another. For example, the reflection symmetry of man's face about a median plane through the nose could be lost if there was more on the left than on the right in the constitution of the human face.

The existence of measure has been delightfully discussed by mathematicians who note that the florets of a sunflower which appear to be so beautiful are arranged in increasing distances from the centre in the ratios of 1, 1, 2, 3, 5, 8, 13, 21 which are called Fi-bonacci numbers. Thus, while mathematically modeling a sunflower, it is gratifying to note that Allah has set up a measure in its formation. No wonder, Nature is governed by a mathematical scheme set up by Allah.

The above are only a few examples to show that all things have been structured appropriately by Allah according to a definite measure. The understanding of this measure aspect of things has given rise to new branches of physics and mathematics including Group theory, Crystallography, Topology etc. which deal with arrangement of things in space and their symmetries.

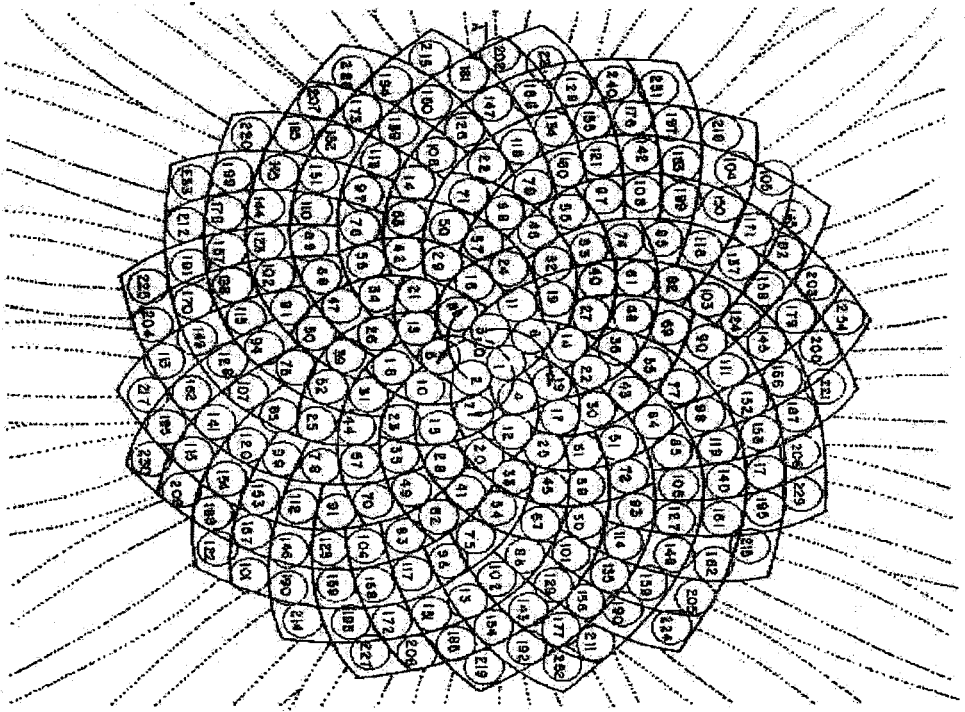


Figure: A reconstructed head of a sunflower.

Thus although the Holy Quran is not a book of science, it points to many scientific facts through some wisely worded Grand Principles which can encompass many laws of Nature. It becomes the responsibility of the truth seeking scientists to study these laws.

Now what do the scientist do? No scientist makes any law: he only discovers it. Laws governing the behavior of inert and living matter already exist in the natural order and scientists, through queries and experimentation, discover the laws. What would happen to nature if scientists did not discover these laws? Would Nature behave differently? Certainly not. Nature would run its course according to the laws ordained by Allah. It is simply that we would not know these laws if these had not been researched into by scientists. For example, if Tycho Brahe, Johannes Kepler, N Copernicus, Galileo Galilei, Isaac Newton and Albert Einstein were not born, then would planets revolve around the sun in a different manner than at present? No, the planets would continue to move around the sun according to an inverse square law of gravitation can be deduced from the combination of the law of motion of matter discovered by Newton and the planetary laws discovered by Johannes Kepler. No wonder, it is mentioned in the Holy Quran in Sura Yasin (36:40)<sup>1</sup>

Wa kullun fi falakin — yasbahunn” i.e. each (just) swims along in (its own) orbit (according to law...). It is interesting to know that before the time of Copernicus, nobody had the concept of “Orbit of heavenly bodies”, although this orbit was mentioned in the Holy Quran more than 1400 years ago, and more interesting is the fact that the Holy Quran mentioned that the motion of the heavenly bodies is governed by laws. It is these laws, which have been discovered by the scientists in the recent past. Thus, the Holy Quran points to scientific facts; science does the fact-finding.

### 5- Science should not be a cause for disbelief as Allah Himself asks the disbelievers to believe in Him through Scientific Truths

It is indeed very fascinating to know that Allah asks us to believe in Him not by considering the tortures in the hell or the pleasures in the heaven but by looking at His creation from the scientific point of view. In sura Ambia, Verse 21:30 Allah again asks "Do not the unbelievers see that the heavens and the earth were joined together (as one unit of creation) before we clove them asunder: we have made every living thing from water. Will they not then believe?" The above Verse apparently points to the Big Bang Theory of Creation (which is currently the accepted theory of creation of the universe). The Verse also refers to the creation of life. Thus, two of the big queries of man namely, how was the universe created? And how did life begin? are included in the above Verse and rightly the non-believers have been asked to have faith in the Creator by understanding the creation of the universe and the creation of the life from a scientific point of view. Thus, scientific truth is being regarded as the basis of faith rather than the opposer of it.

In so far as the Quranic emphasis on scientific truth is considered, mention may be made of the word 'Ayat' (meaning Sign). One can easily find out how many times the word Ayat is mentioned in the Holy Quran and in what context. If one investigates into it, then one can find out that although traditionally we call every Verse of the Quran as Anay, the fact is that the things which have been mentioned as Ayat (Signs of Allah) are matters of scientific significance. For example: Verse 2:164 says: ("...In-na fee khal Qis Samaawaati wal-ardi wakh-tilaafil-lay-li wan-nahaari wal-full-kil -- latee taj-ree fil-bah ri bimaan yanfaun - naasa wamaaaa anzalal-laahu minas samaaai-mim-maaa-in fa ah-yaabihil-ar-da baa-da rnaw-tihaa wabath-tha feeha

minkul-li daab-batin watas-reefir-riyaahi was-sahaabil-musakh-khari bai-nas-samaaa-I wal-ardi laaayaatil-liqaw-miyyaa-qiloon”) “Behold! In the creation of the heavens and the earth; In the alternation of the Night and the Day; In the sailing of the ships through the ocean for the profit of mankind; In the rain which Allah sends down from the skies, and the life which He gives herewith to an earth that is dead; In the beasts of all kinds that He scatters through the earth; In the change of the winds, and the clouds which they trail like their slaves between the sky and the earth --- (Here) indeed are Signs for people that are wise”.

Incidentally, the creation of the heavens and the earth which has been mentioned in this Verse falls under the domain of Astrophysics and Astronomy; the alternation of night and day is the subject matter of Geography and Meteorology; the sailing of the ships, in oceans reminds one of Archimedes’ Principles and is dealt with in the subject of fluid dynamics. The revival of the earth through the rainfall is a subject of Weather Science, Botany and Agriculture; the scattering of the beasts of all kinds is a matter of Zoology and Genetics. The change of the winds and the clouds which trail between the sky and the earth is the subject matter of the science of Meteorology, and Weather Science, and it is these matters which have been mentioned as Ayat (Signs).

The word ‘Ayat’ has also been mentioned in other places in the Quran and in other senses also, but the things which have been mentioned as Ayats are mostly of a scientific nature. We do not see the Creator but we, see His Creation, and the aim of science is to study this Creation in all its details.

Thus, science is indeed a Sign of the Creator and herein lies the significance of the understanding of Truths of Creation. There was a time when the early Muslims spent considerable time in arriving at scientific truths, and in the

process they became leaders of science and technology and carried the torches of knowledge for almost 800 years. Today, we talk of poverty and ignorance of the Muslim Ummah. If we have to overcome these problems, there is only one way to do so, namely to turn to science and technology which is now regarded as the way of life. The more we acquire knowledge of the working of Nature, the more will we be able to live in harmony with Nature and our admiration for the master mindedness of our Creator will increase; we can understand our Creator only through understanding the truths of Creation. Although we have talked of scientific truths here, there are other kinds of truth in the realm of human and social values like love & beauty, fellow feelings etc. These truths are also to be felt at heart and practiced in everyday life.

#### 6- Conclusion

We must add some words of caution. At first, The Holy Quran, coming from the Almighty Allah is based on Absolute Truth, as has been indicated in the Quran itself. Anybody, having faith in this Absolute Truth is welcome to use the Quran as a test for Scientific Truth, but not vice-versa. Secondly, in connection with finding the meeting ground of Al-Quran and Science through the seeking of Truths, one must consider only those scientific truths which have been thoroughly investigated and have stood the tests of time. A question which may be posed in this connection is: "what if we come across a Verse which cannot be explained from the point of view of science?" The answer to this question lies in the fact that science, for purposes of investigation of Truth, has accepted a certain methodology. This methodology is, however, not without its limitations. There is nevertheless, a possibility that there could be a part of reality which transcends our biological limitations and evades the scientific

methodology employed. Thus, all truths may not be subject to the accepted methodology of science. Nevertheless, the scientist cannot leave things open-ended and have to have a starting point and a set of methods for the investigation of Truth. However, they have to bear in mind that if a certain Verse of the Quran cannot be explained by the science of today, all they can say is that at the present stage of our scientific knowledge, that Verse cannot be comprehended. Further advances in sciences would probably shed further light on the Verse. To enlighten the point, mention may be made of the following Verse:

36:36<sup>1</sup> "Glory be to Him Who created all the pairs of that which the earth grows and of themselves and of that which they know not".

When this Verse was revealed more than fourteen hundred years ago, man did know about the creation in pairs of only animals and plants, and this was almost an obvious experience. But the Verse refers not only to creation in pairs in Flora and Fauna, but of things which people were not aware of at that time. Later, in the 1920s, P. A. M. Dirac discovered the theory of particles and anti-particles through his investigation of the equation of motion of a free electron. And today we know, that all fundamental particles of Nature have their anti-particles, namely electrons and positrons, protons and anti-protons, neutrons and anti-neutrons etc. Now, with the advancement of high-energy particle physics, we have understood that creation of pairs can happen both in the world of the living as well as of the inert. And consequently, we now appreciate the meaning of the above Verse a little better than we did in the past. The point that we are trying to make here is that the Quran contains absolute Truths and as we investigate into the truths of the created world, our comprehension of the Quranic Verses becomes more and more complete.



We are in a new millennium and amidst a lot of scientific challenges. If we are to face these challenges, not only should we prepare ourselves for technological advancement but we should also learn to preserve the values of life. Truth, and Truth only should be the basis of all our actions and of all our thoughts. Al Quran is the source of Truths. It is not only to be read but also to be understood. Our understanding of Al-Quran can increase only with the advancement of our knowledge. Let our prayers to the Almighty be, "Oh Lord! Increase us in knowledge and let Truth prevail in all our thoughts and actions, and let the Quranic force of Truth make us bow completely to Your Majesty known as Al-Haqq (Truth)".

**References:**

- 1- The Meaning of the Holy Quran, by Maulana Abdullah Yusuf Ali, 2<sup>nd</sup> Edition, 1977.
- 2- Scientific Indications in the Holy Quran, Second Edition, June 1995, published by Islamic Foundation Bangladesh.
- 3- Maurice Bucalle, The Bible, the Quran and Science, 1985.
- 4- Souvenir on Glorious Quranic Exhibition, 2001, Dhaka, Bangladesh. (edited by Ahmad Mansur, Founder President, Al-Quran Research Academy).

**SERVICES FOR THE CAUSE OF ISLAM AND BENEFIT  
OF MUSLIMS**

- 1- Have been delivering talks on TV and Radio regularly for the last twelve years on different aspects of Islam and Sciences.
- 2- Worked as the Convenor of the following two research projects of the Islamic Foundation, Bangladesh:
  - A) Science in Al-Quran
  - B) Muslim contributions to Science and Technology

A) has already been published by Islamic Foundation, (1990, 1995) Bangladesh under the title “Scientific Indications in the Holy Quran” and has made a wonderful impact in the Islamic World.

B) Published by Islamic Foundation, Bangladesh (1996).
- 3- Worked as a member of the “Islamic Encyclopedia Project”, Islamic Foundation, Dhaka.
- 4- Acted as the Rapporteur-General of the Third World Conference on Muslim Education, held at Dhaka in 1981.
- 5- Was appointed Chairman of the session on “Teaching of Physical Sciences at the University level from the Islamic Point of View” at the Fourth World Conference on Muslim Education held at Jakarta, Indonesia in 1982.

- 6- **As Chairman of the committee set up in 1981 by the Institute of Islamic Education and Research, Dhaka for framing an Integrated Islamic Model for Science Curriculum for Elementary Schools of Bangladesh, prepared a detailed document on the subject. This was published from Cambridge, England by the Islamic Academy in its Journal on Muslim Education (Vol. 1, No.2, 1982).**
- 7- **Presented a key-note paper at a seminar on "Integration of Islamic Values and Concepts in Modern Education" held on the 21 Oct. 1982 at Dhaka under the auspices of the Islamic University of Bangladesh.**
- 8- **Presented a paper at a special session on "The Synthesis of Science and Religion" at the Eleventh International Conference on the Unity of the Sciences held at Philadelphia, USA during Nov. 25-28, 1982.**
- 9- **Authored a paper on "Science, Technology and Human Ethics" Published in the journal "The World and I" (February, 1986, p 274) a publication of the Washington Times Corporation.**
- 10- **Acted as a guide at the 3-week Teacher Education Programme for Muslim Teachers of the United States held at Dar-al-Salaam, Abiqui, New Mexico, USA during July 1- 21, 1986. Delivered twelve lectures at this assembly of teachers on "How to teach science from the Islamic point of view".**
- 11- **Attended the "Educational Conference" of the World Muslim League, preceding Hajj at Makkah, Saudi Arabia in 1986.**
- 12- **Participated as a member of the Bangladesh Delegation at the OIC Ministerial level meeting of the Standing Committee on Science and Technology held at Islamabad, Pakistan in November, 1986.**

- 13- Working as an active Council member of IIFTIHAR (International Islamic Forum for Science, Technology and Development in the Muslim World) chaired by H.E.B.J. Habibie, Former Vice-President and Acting President of Indonesia.
- 14- Published a CD on Science and Islam.
- 15- Participated as a member of the Bangladesh Delegation at the EU-OIC sponsored conference on Resolution of conflict following the September 11, 2001 incident.
- 16- Co-authored a book titled "Brain Twister" (Delightful Mathematics), published in Feb 2002 (ISBN: 984-32-0319-4).
- 17- Acted as a resource person in the ISESCO workshop at Dhaka held during 26-30 April 2003 on preparing "Guidance Counselors" for imparting informal Islamic education.

---

\* In fact, this Verse covers the entire agenda of truth-seeking in Science.

**اختلاف المطالع:**  
**تحليل فلكي لحديث كريب**

د. عدنان عبدالمنعم قاضي



## خلاصة

تختلف الأمة الإسلامية في أمور حياتية ودينية. ولكن ليس هناك أمر من البساطة في جوهره ومن التفرة في عمقه ومن الإساءة إلى الإسلام في مظهره مثل اختلاف المسلمين في إثبات بدء الشهر القمري في التقويم الهجري. هذا الاختلاف قَسَمَ الأمة الإسلامية إلى معسكرين رئيسيين: منهم من يرى أن رؤية الهلال بحد ذاتها واجبة شرعاً وبالتالي أن الترائي عبادة واجبة، ومنهم من يرى أن القصد هو معرفة دخول الشهر، والذي هو علم قطعي، وبالتالي فإن الترائي وسيلة.

يستخدم كل طرف أدلة شرعية لتدعيم رأيه: أهل الرؤية يستخدمون - ضمن أدلة أخرى - اختلاف المطالع، لكي يثبتوا تعدد وجود الهلال في أيام متعددة في مناطق متعددة. يستند هذا الرأي على حديث صحيح مرفوع لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الترمذي والنسائي وأبو داود عن كريب. يخبرنا الصحابي الجليل رضي الله عنه أنه وجمع من المسلمين رأوا الهلال ليلة الجمعة في دمشق. ثم قدم المدينة المنورة في آخر رمضان، وأخبر سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بجماع رؤيته للهلال، الذي أخبره أنهم رأوه ليلة السبت. يتخذ أهل الرؤية هذه الحادثة على أنها دليل شرعي لما عُرف لاحقاً بـ "اختلاف المطالع". ولكن ما حصل في دمشق والمدينة المنورة هو مسألة كونية وأعطيت تفسيراً فقهيّاً بناءً على ملاحظات فردية وليست علمية.

هذا البحث يستعرض بإيجاز لفقّه اختلاف المطالع، ثم يعود إلى الماضي ويحلل حيثيات الحديث بشكل فلكي وكمي لكي يبيح على السؤال التالي: هل كان من الممكن فلكياً رؤية الهلال في دمشق وعدم رؤيته في المدينة في نفس تلك الليلة؟

تنحصر السنة التي أتى فيها رمضان بين سنة ٤١-٥٩ هجرية الموافق (٦٦١-٦٧٩ ميلادية)، أو ١٩ رمضان. في هذه الفترة بدأ رمضان في المدينة المنورة ودمشق يوم السبت ١-٩-٤٥ هـ (١٥-١١-٦٦٥) و١-٩-٤٨ (١٤-١٠-٦٦٨) و١-٩-٥٣ (١٩-٨-٦٧٣) و١-٩-٥٨ (٢٦-٦-٦٧٨) والأخيرة في المدينة فقط فدمشق لا تستوفي شرط الانفصال الزاوي بنصف درجة. كما بدأ رمضان في المدينة المنورة يوم الجمعة في ١-٩-٥٦ (١٨-٧-٦٧٦) ولا تستوفي دمشق شرط الانفصال الزاوي بأقل من درجة. بقيت السنين يأتي رمضان فيها في غير يوم الجمعة أو السبت. النتيجة: لا يوجد دليل علمي فلكي كافي يؤيد استنتاج البعض أن حديث كريب بذاته هو وسيلة منهجية يستدل بها على اختلاف المطالع.

## اختلاف المطالع : تقديم فقهي

يدعم من يرى بوجوب ترائي الهلال رأيهم - ضمن أدلة أخرى - بما يسمى اختلاف المطالع ويعزون ذلك إلى حديث الصحابي كريب رضي الله عنه. فما معنى اختلاف المطالع؟ هذا البحث يشرح هذا الحديث شرحاً كمياً فلكياً.

إن "توافق مطالع القمر أو اختلاف المطالع" مصطلح له جذور تاريخية في كتب الفقه. فمن أين أتى هذا المصطلح؟ اتفاق مطالع القمر أو اختلاف المطالع ظهر مع اختلاف زمان ومكان رؤية الهلال بعد عهد سيدنا رسول الله ﷺ وبتطوّر وسائل الاتصال والمواصلات وذلك للأسباب التالية:-

- لما كان مولانا رسول الله ﷺ موجوداً ائتمروا المسلمون بقوله متى ما بُلِّغ بالروية الأولى ولا عبرة بأي رؤية أخرى ولا لمن لم ير لأن الرؤية لكل المسلمين.

- كانت المدينة مركز الإسلام وتواجد معظم المسلمين فيها ومنها أنتشر خبر بدء أي عبادة متعلقة بالهلال أو بغيره إلى خارج المدينة.

- اختلاف الصحابة ومن تبعهم في تفسير أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ، فمنهم من أخذ بظاهر نص شرعي ومنهم أخذ بنظرة شمولية لفهم مراد الله سبحانه ورسوله ﷺ.

- بعد وفاة رسول الله ﷺ وخروج بعض الصحابة إلى بلدان أخرى وحاجتهم إلى استخدام ظاهرة الهلال الطبيعية التي حددها الشرع كوسيلة لتحديد بدء العبادة وتعدد مُترائي الهلال وتعدد أسباب تحقق رؤية الهلال، وبتطوّر وسائل الاتصال والمواصلات تعددت أخبار الرؤية وظهر بعد ذلك اصطلاح "توافق مطالع القمر أو اختلاف المطالع" لأن الرائيين ظنوا بتعدد الهلال كل حسب موقعة وملابسات الرؤية.



— أثر حال العلم السائد في ذلك الوقت، عن الأرض والقمر والشمس والكون ككل، في تكوين آرائهم في نص شرعي له علاقة بظاهرة كونية.

وهكذا قد يبدو اختلاف المطالع مصطلحاً فقهيًا في بادئ الأمر ولكن في حقيقته هو نتيجة فقهية لحالة معرفة سائدة في ذلك الوقت<sup>١</sup> عن الكون. فبتعدد أخبار رؤية الهلال من حيث الأزمنة والأماكن وعدم وجود وسائل اتصالات سريعة في الماضي، وحتى إلى عهد قريب، ظهر اجتهاد فقهي<sup>٢</sup> وسمي توافق مطالع القمر أو اختلاف المطالع. علينا أن نميز بين: وجود القمر كجرم سماوي على شكل هلال في السماء في وقت معين وزمان معين وآلية ذلك، وبين احتمال رؤية الهلال بشريًا بالعين المجردة (في وقت من الأوقات لم يكن هناك أي تفریق). إذن، إذا عُلم يقينًا حقيقة موقع الهلال في وقت معين غُذِل الاجتهاد الفقهي فلا يصح أن يبنى اجتهاد فقهي على فكرة خاطئة عن جرم سماوي وآلياته.

هذا الاجتهاد الفقهي (الذي أصبح يشار إليه باختلاف المطالع) لازم الأمة الإسلامية إلى عصرنا الحاضر وتآصل بالاختراع الأوربي لفكرة الدولة السياسية ذات السيادة. فكل دولة (وحتى جماعة بل وفرد) مهما صغرت لها "مطالعهما" وتظهر الفتاوى الدينية الرسمية المؤيدة لذلك. وكمثال على هيمنة سيادة الدولة وبروز الفقه السياسي أورد ما سجله فضيلة الشيخ الشريف الغماري " . . . فنجدهم عند الحدود مختلطين في الأسواق نصفهم صائم لأنه جزائري ونصفهم مفطر لأنه مراكشي، بل ربما كانت القرية الصغيرة الواقعة على الحدود منقسمة لأن نصفها من الجزائر ونصفها من مراكش كذلك القريتان المتجاورتان بحيث يسمع النداء الواحد من أحدهما أهل الأخرى، وهما مختلفان إحداهما أهلها صيام لأنها واقعة في القطر الجزائري، والأخرى مفطرون لأنها واقعة في القطر المراكشي، فأين اختلاف المطالع والبعد الشديد وليس بين البلدين ميل واحد . . . ". وهناك العكس، ففي بعض دول العالم الإسلامي التي تمارس فرضية اختلاف المطالع نجد أن الفرق العرضي **latitudinal** بين أحد مسدئها في الجنوب وأخرى في شمالها يكون أكثر من ١٤ درجة (الفرق العرضي بين دمشق والمدينة المنورة هو ٥٩ وديقتان)، ومع ذلك يصدر بيان من أعلى الجهات الدينية الرسمية والسيادية بالصوم في يوم واحد—لقد ارتضوا الوحدة (مطالع أو غيرها) في كيانهم السياسي واتفقوا على اختلاف وحدة الأمة الإسلامية. وقس على ذلك دول "إسلامية" أخرى في هذا الاتجاه أو ذاك. أخيرًا، هل تعلم أن الفرق العرضي بين مكة المكرمة والقدس الشريف هو أكبر من الفرق العرضي بين المدينة المنورة ودمشق! ولكن أحاديث الرؤية وجّهت الخطاب إلى المسلمين ولم توجهه إلى كيانات سياسية، فالشريعة الإسلامية لا تعترف بأي حدود سياسية صنعها البشر على كوكب الأرض: يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ . . . قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا . . . ﴾ النساء ٩٧، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ آل عمران ١٠٩، ﴿ . . . وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ المائدة ١٨. أما حديث الصحابي كريب رضي الله عنه فهو: ﴿حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ابْنُ أَبِي حَزْمَةَ عَنْ كُرَيْبٍ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ بِنْتَ الْحَارِثِ بَعَثَتْهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ

بِالشَّامِ قَالَ: فَقَدِمْتُ الشَّامَ فَقَضَيْتُ حَاجَتَهَا. وَاسْتَهْلَ عَلَيَّ رَمَضَانُ وَأَنَا بِالشَّامِ فَرَأَيْتُ أَهْلَالَ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ. ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ. فَسَأَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثُمَّ ذَكَرَ أَهْلَالَ فَقَالَ: مَتَى رَأَيْتُمْ أَهْلَالَ؟ فَقُلْتُ: رَأَيْتَاهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ. فَقَالَ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَرَأَى النَّاسُ وَصَامُوا وَصَامَ مُعَاوِيَةَ. فَقَالَ: لَكُنَّا رَأَيْتَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ، فَلَا نَزَالَ نَصُومُ حَتَّى نُكْمَلَ ثَلَاثِينَ أَوْ نَرَاهُ. فَقُلْتُ: أَوَلَا تَكْتَفِي بِرُؤْيَا مُعَاوِيَةَ وَصِيَامِهِ؟ فَقَالَ: لَا. هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَشَكَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى فِي نَكْتَفِي أَوْ تَكْتَفِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَهَذِهِ رِوَايَةٌ مُسْلِمٌ. وَهَذَا الْحَدِيثُ يُثَبِّتُ فَقَطْ إِكْمَالَ رَمَضَانَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَوْ اسْتِخْدَامَ أَهْلَالَ لِلخُرُوجِ مِنَ الشَّهْرِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ "فَلَا نَزَالَ نَصُومُ حَتَّى نُكْمَلَ ثَلَاثِينَ أَوْ نَرَاهُ". وَلِلْإِمَامِ الشُّوْكَانِيِّ شَرْحٌ جَمِيلٌ لِهَذَا الْحَدِيثِ حَيْثُ يَقُولُ:

واعلم أن الحججة إنما هي في المرفوع من رواية ابن عباس لا في اجتهاده الذي فهم عنه الناس والمشار إليه بقوله: "هكذا أمرنا رسول الله ﷺ" هو قوله: فلا نزال نَصُومُ حَتَّى نُكْمَلَ ثَلَاثِينَ. والأمر الكائن من رسول الله ﷺ هو ما أخرجه الشيخان وغيرهما بلفظ: "لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفتروا حتى تروه، فإن غمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين". وهذا لا يخص بأهل ناحية على جهة الافراد، بل هو خطاب لكل من يصلح له من المسلمين. فالاستدلال به على لزوم رؤية أهل بلد لغيرهم من أهل البلاد أظهر من الاستدلال به على عدم اللزوم، لأنه إذا رآه أهل بلد فقد رآه المسلمون فيلزم غيرهم ما لزمهم. ولو سلم توجه الإشارة في كلام ابن عباس إلى عدم لزوم رؤية أهل بلد لأهل بلد آخر لكان عدم اللزوم مقيداً بدليل العقل، وهو أن يكون بين القطرين من البعد ما يجوز معه اختلاف المطالع. وعدم عمل ابن عباس برؤية أهل الشام مع عدم البعد الذي يمكن معه الاختلاف عمل بالاجتهاد وليس بحجة. ولو سلم عدم لزوم التقيد بالعقل فلا يشك عالم أن الأدلة قاضية بأن أهل الأقطار يعمل بعضهم بخبر بعض، وشهادته في جميع الأحكام الشرعية والرؤية من جملتها، وسواء كان بين القطرين من البعد ما يجوز معه اختلاف المطالع أم لا، فلا يقبل التخصيص إلا بدليل. ولو سلم صلاحية حديث كريب هذا للتخصيص، فينبغي أن يقتصر فيه على محل النص إن كان النص معلوماً، أو على المفهوم منه إن لم يكن معلوماً لوروده على خلاف القياس. ولم يأت ابن عباس بلفظ النبي ﷺ ولا بمعنى لفظه

حتى ننظر في عمومه وخصوصه. إنما جاءنا بصيغة مجملة أشار بها إلى قصة هي عدم عمل أهل المدينة برؤية أهل الشام على تسليم أن ذلك المراد، ولم نفهم منه زيادة على ذلك حتى نجعله مخصصاً لذلك العموم. فينبغي الاقتصار على المفهوم من ذلك الوارد على خلاف القياس وعدم الإلحاق به، فلا يجب على أهل المدينة العمل برؤية أهل الشام دون غيرهم، ويمكن أن يكون ذلك في حكمة لا نعقلها. ولو نسلم صحة الإلحاق وتخصيص العموم به، فغايبته أن يكون في الغلات التي بينها من البعد ما بين المدينة والشام أو أكثر، وأما في أقل من ذلك فلا، وهذا ظاهر. فينبغي أن ينظر ما دليل من ذهب إلى اعتبار البريد أو الناحية أو البلد في المنع من العمل بالرؤية. والذي ينبغي اعتماده هو ما ذهب إليه المالكية وجماعة من الزيدية، واختاره المهدي منهم، وحكاه القرطبي عن شيوخه أنه إذا رآه أهل بلد لزم أهل البلاد كلها. ولا يلتفت إلى ما قاله ابن عبد البر من أن هذا القول خلاف الإجماع. قال: لأنهم قد أجمعوا على أنه لا تراعى الرؤية فيما بُعد من البلدان كخراسان والأندلس، وذلك لأن الإجماع لا يتم والمخالف مثل هؤلاء الجماعة<sup>4</sup>.

وهناك اختلاف في تفسير أمر سيدنا رسول الله ﷺ: هل هو لكافة المسلمين أم لكل من رأى الهلال؟ ولا يثبت الحديث بذاته إطلاقاً ما يسمى باختلاف المطالع، والذي هو اصطلاح لاحق للحديث لَمَّا تعددت رؤيا الهلال. فإحداثيات دمشق هي: خط الطول ٣٦ درجة شرقاً و ١٨ دقيقة، وخط العرض ٣٣° شمالاً و ٣١'، وارتفاع عن سطح البحر يساوي ٧٣٠ متراً؛ بينما إحداثيات المدينة المنورة هي: خط الطول ٣٩° شرقاً و ٣٦'، وخط العرض ٢٤° شمالاً و ٢٩' (بفرق طولي longitudinal بين المدينة المنورة ودمشق قدره ١٨' ٣٠°)، و ٦٠٠ متر ارتفاع عن سطح البحر. وحيث إن المدينة المنورة شرق دمشق (بما يزيد قليلاً عن ٥٣' أو ما يزيد قليلاً عن ١٣ دقيقة زمنية) فليس هذا الفرق الطولي لوحده كافياً لكي يرى الهلال في دمشق ولا يرى في شرقها في نفس الليلة. أما الفرق العرضي بين المدينتين فهو ٥٢' ٠٩° أي أن المدينة المنورة جنوب دمشق. إنه من المستحيل فلكياً أن يرى الهلال في دمشق ولا يرى في جنوبها في نفس الليلة؛ لأن الهلال يبتعد عن الأفق كلما اتجهنا جنوباً.

إن تعدد الرؤية محتمل لتعدد أهلية من يرى وللظروف الجوية ومكان الموقع من حيث خطوط الطول وخطوط العرض وزمن الرؤية صيفاً أو شتاءً، ولكن والأهم من ذلك كله هو تحديد من أين يبدأ اليوم. وقد حصل هذا في عهد سيدنا رسول الله ﷺ حيث لم ير سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا أصحابه رضي الله عنهم أجمعين الهلال وراه أعرابي جاء إليهم، ﴿عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْهَلَالَ. قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ أَتَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: يَا بِلَالُ أَدِّنْ فِي النَّاسِ أَنْ يَصُومُوا غَدًا﴾ أخرجہ النسائي وأبو داود

وابن ماجه والدارمي والترمذي واللفظ له. ولم يقل سيدنا رسول الله ﷺ أو أي من صحابته: ولكننا ياعرابي إننا لم نره هنا في بلدنا فأذهب برويتك أنت وصم. فهل اختلفت المطالع بين موقع سيدنا رسول الله ﷺ وكل صحابته في المدينة وموقع الإعرابي، علماً أن ترائي الهلال حصل في نفس الفترة الزمنية (أقل من يوم) ولم تكن هناك وسائل نقل سريعة؟ قد يجادل البعض أن المسافة بين موقع الأعرابي وموقع سيدنا رسول الله ﷺ كانت قصيرة لا تستوجب اختلاف المطالع. ولكن الحديث لم يذكر موقع الأعرابي ولا أين شاهد الهلال ولا متى تمت الحادثة مع سيدنا محمد ﷺ. حتى وإن ذكر الحديث الفترة الزمنية وموقع الرؤية، فإنهما مسألتان تتطلبان علماً غير شرعي. وعلم البشرية الآن عن هذين الأمرين أدق وأصح من قبل ١٤٠٠ سنة وبالتالي أثر ذلك على تفسير الحديث. وهذا يثبت أن ما يسمى اختلاف المطالع ليس فقهاً بحد ذاته، بل رأي بُني على علم الهيئة (كما كان يعرف في ذلك الوقت، أو علم الفلك كما يعرف في هذا الوقت). أخيراً، ألا يطبق اختلاف المطالع على قري الحدود السياسية؟

إن تعدد رؤية الهلال بين دمشق أولاً ثم المدينة المنورة (سواء قصد به وجود الهلال فعلياً في دمشق وعدم وجوده فعلياً في المدينة المنورة في نفس الليلة، أو قصد به رؤيته بشرياً وبهذا التسلسل المكاني والزمني) حسب حديث الصحابي كريب رضي الله عنه يعتبر أمراً فلكياً يُبنى عليه الفقه وليس العكس. وكان الأولى أن يُؤخذ بروية من رأى الهلال أولاً على من لم يره أو رآه متأخراً كما فعل رسول الله ﷺ مع الأعرابي. فمن التجاوز الآن أن يُفسر سلوك واجتهاد بعض الصحابة، رضي الله عليهم جميعاً وجزاهم الله عن المسلمين والإسلام خير الجزاء، في رؤيتهم للهلال في توقيتين/مكانيين مختلفين على أنه هلالان (مطلعان) مختلفان. ربما لم ير بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الهلال لسبب ما (وهو قطعاً ليس سبباً فلكياً، كما سوف نرى)، ولكن الهلال كان موجوداً وآليته منتظمة حتى وإن لم يره البعض أو جهل فلكه. فعدم رؤية الهلال لا يعتبر بالضرورة - ويجب أن لا يعتبر - تفسيراً لنص شرعي أو تأسيساً لقاعدة فقهية أو إقراراً بحقيقة كونية. فتطبيق حديث الأعرابي أولى من تفسير حديث كريب رضي الله عنهما، لأن الأول حدث مع رسول الله ﷺ والثاني مرفوع له، ولأن رسول الله ﷺ أخذ أهم هم لم يرو الهلال ولم يقر أن الهلال ذاته لم يكن موجوداً بدليل أنه ﷺ أخذ بشهادة الأعرابي. بينما لم يأخذ سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بشهادة كريب وغيره من المسلمين الذين رأوا الهلال قبلهم. بمعنى، أن عدم رؤية أهل المدينة المنورة للهلال كان لأسباب بشرية واجتهادية كما قال الأمام الشوكاني ولم يكن لأسباب فلكية، أي لم يُقل للأعرابي: ولكننا لم نره وعلينا أن ننتظره حتى نراه، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. والحل لهذين الموقفين ليس يُعقد دمشق من المدينة المنورة وبالتالي اختلاف المطالع بل إمكانيات العين البشرية ومعرفة آليات القمر. إن الاستدلال بحديث كريب رضي الله عنه السابق بوجود اختلاف المطالع ليس مجموعاً عليه فقهيّاً:

فقد "ذهب الجمهور إلى أنه لا عبرة باختلاف المطالع. فمتى رأى الهلال أهل بلد، وجب الصوم على جميع البلاد لقول الرسول ﷺ ﴿صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ، وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ﴾. وهو خطاب عام لجميع الأمة فمن رآه منهم في أي مكان كان ذلك رؤية لهم جميعاً".<sup>٥</sup> والاستدلال بحديث كريب يظهر تأثر شرح نصوص شرعية بالظن والفهم السائدين عن ظواهر طبيعية، وفي عصرنا بمستلزمات الكيانات السياسية. وعدم الإجماع على الرؤية كوسيلة لدخول رمضان يؤيده أن الشرع ذاته أعطى بدليلين اثنين للرؤية. فـ "قد أثبت الأحاديث الصحاح أن شهر رمضان يثبت دخوله بواحدة من ثلاث طرق:-

١- رؤية الهلال،

٢- أو إكمال عدة شعبان ثلاثين،

٣- أو التقدير للهلال".<sup>٦</sup>

وهذا يثبت أن الهدف هو العبادة وأن الوسيلة (أي الظاهرة الطبيعية المَحْدَدَة لتلك العبادة) ليست مقصودة لذاها. كما أن بعض كبار التابعين وكبار علماء السلف فسروا الطريقة الثالثة بـ "قدره بحساب المنازل".<sup>٧</sup>

لكن قد يحتج واحد بما رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذي «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: الصَّوْمُ يَوْمٌ تَصُومُونَ وَالْفِطْرُ يَوْمٌ تُفْطَرُونَ وَالْأَضْحَى يَوْمٌ تُضْحُونَ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَفَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا مَعْنَى هَذَا أَنَّ الصَّوْمَ وَالْفِطْرَ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَعَظْمُ النَّاسِ». إذن، يقول المحتج: في أي وقت يصوم المسلمون فإن صيامهم مقبول. هذا صحيح على شرط أن يصوم كل المسلمين في وقت واحد، وليس مسلمون هنا ومسلمون هناك في أوقات مختلفة، فخطاب سيدنا رسول الله ﷺ هو لعموم المسلمين وليس لبعضهم. إن سيدنا رسول الله ﷺ لم يُرسل إلى جماعة واحدة فقط وأن هديته ﷺ لم يُصمَّ ليكون لجماعات متفرقة، بل أرسل سيدنا محمد ﷺ لكافة الناس وعلى أي جزء من الأرض وشرعُه لا يُجزأ «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» سبأ ٢٨، يقول الحق ﷻ «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...» آل عمران ١٠٣. ولقد اختلف في شرح هذا الحديث، فمن قائل: إن الخطأ مرفوع عن الناس فيما كان سبيله الاجتهاد وإنما هو تخفيف من الله سبحانه ورفق بعباده. وقيل فيه إشارة إلى أن يوم الشك لا يصام احتياطاً وإنما الصوم يوم يصوم الناس (ويوم الشك هذا هو نتيجة فقهية لحالة معرفة سائدة في ذلك الوقت عن الكون). وقيل إنه إخبار بأن الناس يتخربون أحزاباً ويخالفون الهدى النبوي<sup>٨</sup>. ألا يخبر هذا عن واقع المسلمين الآن؟

## شروط وإمكانية الرؤية

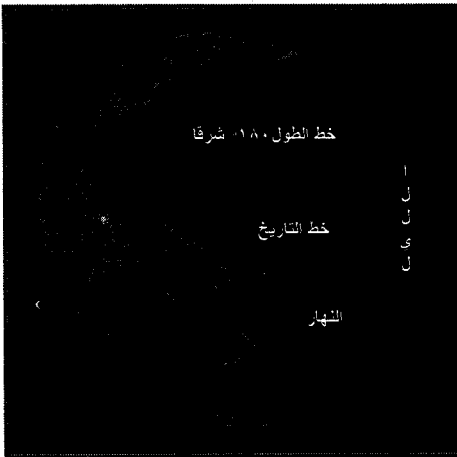
يعتمد تحديد دخول شهر رمضان وشوال وذي الحجة (وبقية الشهور العربية) على ظاهرة طبيعية هي وجود الهلال في وقت ومكان معينين: بعد غروب الشمس وفي جهة الغرب. فلإمكانية رؤية الهلال عند بزوغه في أول ليلة لا بد من توفر نوعين من الشروط:-

أولاً: ثلاثة شروط ضرورية وهذا التسلسل:-

- أن يولد الهلال **new moon** ويسمى الاقتران أو الخاق أو التقاء النيرين، وهو حدث وقوع الشمس والقمر والأرض<sup>١</sup> على خط طول سماوي واحد وبهذا التسلسل ومن مركز الأرض (ويستخدم علم الفلك هذه الطريقة لبدء الشهر القمري الاقتراني **synodic month**)،
- أن تغرب الشمس قبل أن يغرب الهلال (من جهة الغرب، حيث لا علاقة لرؤية الهلال بعد صلاة الفجر من جهة الشرق ولا بغروب الهلال بعد الشمس إذا لم يولد الهلال<sup>١</sup>، فهذا هلال آخر الشهر وقطعاً ليس هلال أول الشهر كما هو مطلوب)، وأخيراً
- أن يكون هناك وقت كاف بين الغروبين وإلا طغى ضياء الشمس على نور الهلال النحيل مما يجعل "رؤية" الهلال مستحيلة.

ثانياً: لا بد من توفر الشرط الكافي وهو

تحديد أين يبدأ اليوم على الكرة الأرضية. إن أي نقطة على شكل كروي **sphere** هي نقطة بداية ونهاية في نفس الوقت. ولكن هذا أمر غير حاسم، فللبشر وحدات زمنية (اليوم والشهر والسنة) ولكل منها بداية ونهاية، مثلاً، دورة واحدة للأرض حول محورها هي يوم. ولكن من أين تبدأ الدورة؟ ونسبة إلى ماذا؟ أي، من أين يبدأ اليوم؟ عملياً، يبدأ اليوم على سطح الكرة الأرضية من خط التاريخ غير المطابق



الشكل ١  
خط التاريخ

لخط الطول ١٨٠ شرقاً ونسبة إلى الشمس (الشكل ١). لاحظ أن خط الطول ١٨٠

شرقاً يمتد بشكل مستقيم من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي، بينما خط التاريخ يشبه المطرقة ويُقسّم بشكل غير طبيعي النهار والليل وهو بهذا الشكل يثبت أنه وضعي. هذا الخط وإن كان أصلاً يخص التاريخ الميلادي (أي فرض من قبل الأوروبيين) إلا أنه أصبح عالمياً. هل المسلمون مجبرون على الأخذ به؟ في الوقت الحاضر، الواقع يقول نعم، لهم ولغيرهم أيضاً. ولكن ماذا يعني أن يكون هناك وقت كاف بين غروب الشمس أولاً ثم غروب الهلال

ثانياً؟ هذه نقطة فنية ربما تحتاج إلى شرح علمي مبسط<sup>١١</sup>. في الفترة من ٢٦-٢٩

ذي الحجة ١٣٩٨ هجرية الموافق (٢٧-٣٠ نوفمبر ١٩٧٨ ميلادية) انعقد في اسطنبول، تركيا مؤتمر تحديد أوائل الشهور القمرية. هذا المؤتمر قن النص<sup>١٢</sup> الشرعي لإمكانية رؤية الهلال في صيغة علمية واتخذ، ضمن توصيات أخرى، التوصية التالية:-

لإمكانية رؤية الهلال بالعين المجردة لعموم البشر لا بد من توفر شرطين أساسيين هما:-

١. ألا تقل زاوية ارتفاع **altitude** القمر عن الأفق بعد غروب الشمس رأساً عن ٥°، لأن رؤية أي جرم سماوي عند أقل من ٥° تصبح متعذرة نظراً لكثافة الغلاف الجوي بين هذه الزوايا وتساعد الرطوبة والغبرة والأبخرة والغازات وانعكاس **reflection** وانكسار **refraction** الأضواء.

٢. أن لا يقل البعد الزاوي<sup>١٣</sup> **angular separation** بين الشمس والقمر بعد غروب الشمس رأساً عن ٨°، علماً أن بداية الرؤية بالعين<sup>١٤</sup> المجردة قد تحصل بين ٧ و ٨ درجات. وإنما اتفق على ٨° على سبيل الاحتياط. لأن ضياء الشمس الهائل سيغطي نور الهلال النحيل كلما اقترب القمر من الشمس؛ في هذا البحث سوف نأخذ بـ ٥٧°.

وعلى هذا الأساس وحده يمكن رؤية الهلال بالعين المجردة لعموم البشر في الأحوال العادية<sup>١٥</sup>. حينما تتحقق هذه الشروط يبدأ اليوم والشهر في نفس الوقت ويتراكم الشهور تبدأ السنة القمرية.

## اختلاف المطالع تحليل كمي فلكي

البعض يحتج بحديث كريب رضي الله عنه بوجود اختلاف لمطالع القمر لأن مسلمين رأوا الهلال في دمشق ولم يروه في المدينة المنورة في نفس الليلة، واستنتجوا أن الهلال طلع في دمشق ولم يطلع في المدينة المنورة. هل توجد دلائل مادية فلكية تؤيد هذا الاستنتاج؟ حديث كريب رضي الله يعطينا الحثيات التالية:-

— المدينة المنورة

— دمشق

— عبد الله بن عباس

— معاوية بن سفيان

— دخول شهر رمضان

فقط لا غير. فالحديث، مثلاً، لا يذكر شيئاً عن حالة الطقس أو صحة وكيفية الأفراد الذين تراءوا الهلال في أي من المدينتين—سوف لن نتم بمهذه العوامل لاستحالة معرفتها لأي بشر الآن. كما لا يذكر الحديث السنة ذات العلاقة، وهذا ليس بأمر مستحيل. إذن، علينا أن نبحث عن تلك السنة. في محرم ٤١ هجرية (مايو ٦٦١ ميلادية<sup>١٦</sup>) بدأت الدولة الأموية بقيادة الصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. توفي معاوية في ١ رجب ٦٠ هجرية<sup>١٧</sup> (٧ إبريل ٦٨٠ ميلادية) بينما توفي سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في ٦٨هـ<sup>١٨</sup>. إذن، رمضان المقصود في حديث كريب رضي الله عنه محصور بين الأعوام ٤١ و ٥٩ هجرية (أي ١٩ سنة)، وأن رمضان بدأ في دمشق يوم الجمعة وفي المدينة المنورة يوم السبت كما ورد في حديث كريب.

أخيراً، إن إحداثيات دمشق هي: خط الطول ٣٦ درجة شرقاً و١٨ دقيقة، وخط العرض ٣٣ درجة شمالاً و٣١ دقيقة، وارتفاع عن سطح البحر يساوي ٧٣٠ متراً؛ بينما إحداثيات المدينة المنورة هي: خط الطول ٣٩ درجة شرقاً و٣٦ دقيقة، وخط العرض ٢٤ درجة شمالاً و٢٩ دقيقة، وارتفاع عن سطح البحر يساوي ٦٠٠ متراً. وحيث أن المدينة المنورة شرق دمشق، بفرق طولي بين المدينة المنورة ودمشق قدره ١٨' ٥٣" أو ما يزيد قليلاً عن ١٢ دقيقة زمنية، فليس هذا الفرق الطولي لوحده كافياً لكي يُرى الهلال في دمشق ولا يُرى في شرقها في نفس الليلة. أما الفرق العرضي بين المدينتين فهو ٢' ٥٩" أي أن المدينة المنورة جنوب دمشق. إنه من المستحيل فلكياً أن يُرى الهلال في دمشق ولا يرى في جنوبها في نفس الليلة، لأن الهلال يقترب من الأفق كلما اتجهنا شمالاً.



هل كان رؤية الهلال في دمشق وعدم رؤيته في المدينة المنورة في نفس الليلة حقيقة فلكية أم أن هناك أسباب غير فلكية؟ سوف لن نهتم بأي سبب غير فلكي، فهذا لا يمكن إثباته. ولكن بتطبيق قوانين الفيزياء الفلكية يمكننا أن نستنتج ماذا حدث. يبين (الجدول ١) اسم اليوم والتاريخ الميلادي الذي ولد فيه الهلال ووقت ولادته ووقت غروب الشمس وغروب القمر وزاوية ارتفاع القمر والانفصال الزاوي بين الشمس والقمر بعد غروب الشمس رأساً (رُمز للدرجة في الجدول بـ ° ورمز للدقيقة بـ ' مثل: ٥٨' ٠٢°، أي ٢ درجة و ٥٨ دقيقة وهي دقيقة زاوية وليست دقيقة زمنية) لكل من المدينة المنورة ودمشق. بعد معرفة اليوم الذي ولد فيها الهلال، وهو الشرط الضروري الأول، نفحص فيما إذا توفر في هذا اليوم الزوايا الشرطين الضروريين الأخيرين وهما أن يغرب الهلال قبل الشمس، وأن تكون زاوية الارتفاع ٥° أو أكبر وأن يكون الانفصال الزاوي ٥٧° أو أكبر. وإلا وجب علينا أن نأخذ اليوم التالي، وربما الذي بعده، لنبحث فيما إذا كانت ليلته هي أول ليالي رمضان. ثم سوف نختار من التسعة عشر يوماً تلك الليالي التي دخل فيها شهر رمضان إما في ليلة الجمعة (أي أن رمضان بدأ يوم الجمعة) أو في ليلة السبت (أي أن رمضان بدأ يوم السبت)؛ وهذا هو اليوم الزوايا أو الشرعي.

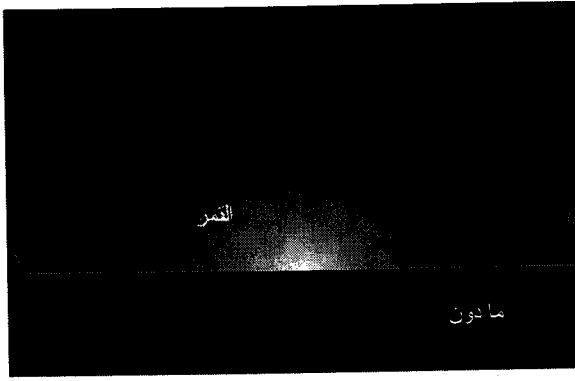
تمت الحسابات كلها في هذا البحث وفي (الجدول ١) بالتاريخ الميلادي (ثم ذكر ما يوافق بالتاريخ الهجري)، كما أن كل الأوقات المذكورة هي بالتوقيت الزوايا<sup>١٩</sup> إلا حينما نذكر ليلة الجمعة، مثلاً أو أي ليلة يوم آخر، فإننا نقصد الليلة التي تمتد بعد عصر يوم الخميس أو ذلك اليوم— وهو تناقض في استخدام منهجين مختلفين للتوقيت الكاتب لم يوجد له ولكننا نعيشه ونعرف أسبابه. فمثلاً، ولد الهلال الساعة ١١:٤٢ صباحاً بتوقيت المدينة المنورة يوم الاثنين ٢٧-١٢-٦٦١ ميلادية الموافق لـ ٢٨-٨-٤١ هجرية. وهذا التاريخ الهجري حسب كالتالي:-

- يوم ١-٨-٤١ هـ يوافق ٣٠-١١-٦٦١ م

- من ٣٠-١١-٦٦١ م حتى ٢٧-١٢-٦٦١ م هناك ٢٨ يوماً

- إذن، ولد الهلال يوم الاثنين ٢٨-٨-٤١ هـ.

الآن لنطبق الشروط الثلاثة الضرورية الواردة سابقاً على مواقع الشمس والقمر على اليوم السابق لرمضان (ليلة رمضان) للفترة ما بين ٤١-٥٩ هجرية. سوف نستخدم أحد أحسن برنامجين فلكيين<sup>٢٠</sup> يتميزان بالدقة **precision** والصحة **accuracy** والوضوح **graphical illustration** للتحقق من هذه الشروط ومعرفة اسم اليوم لكل من المدينة المنورة، على ساكنها **ﷺ** أفضل صلاة ربي وسلامه، ولد دمشق.



الشكل ٢: الهلال

تطبيق الشروط الثلاثة الضرورية سهل وواضح. لناخذ مثلاً على ذلك من (الجدول ١)، يوم الاثنين ٢٧-١٢-٦٦١ ميلادية الموافق لـ ٢٨-٨-٤١ هجرية. يجب أن نعلم أولاً أن الهلال ولد في المدينة المنورة الساعة ١١:٤٢ صباحاً، و١٠:٤٢ من صباح نفس اليوم في دمشق. لاحظ أن ولادة الهلال كانت في نفس الزمن لكلا المدينتين وذلك لفارق التوقيت—وهذا يحقق الشرط الأول. ثانياً: أن وقت غروب الشمس ثم غروب القمر في المدينة المنورة هو ٥:٤٦ مساءً و٥:٥٥ مساءً، بالتوالي، بفارق قدره ٩ دقائق لصالح القمر؛ ووقت غروب الشمس وغروب القمر في دمشق هو ٤:٣٩ مساءً و٤:٤٥ مساءً، بالتوالي، بفارق قدره ٦ دقائق لصالح القمر، أي أن الشمس غربت أولاً ثم القمر. هنا نستطيع أن نتوقف. إن الفارق الزمني بين الغروبين في المدينة المنورة ودمشق هو من الصغر بحيث لا نحتاج لأن نبحث عن زاوية ارتفاع القمر والانفصال الزاوي، فالرؤية معدومة ولكننا سنستمر في مثالنا للتدليل على صحة المنهج. المطلوب أن لا تقل زاوية الارتفاع عن ٥° وهي هنا ٠ درجة وحوالي نصف دقيقة في المدينة المنورة وأقل من ذلك بكثير في دمشق. مرة أخرى، نستطيع أن نقف ولا نبحت عن الانفصال الزاوي فلن يجدي البحث لأن زاوية الارتفاع المطلوبة هي ٥° والموجود أقل من درجة واحدة. ولكن سوف نستمر لإيضاح المنهج، فالانفصال الزاوي المطلوب هو ٥٧° والموجود حوالي ٥٣° تقريباً لكلا المدينتين، راجع (الجدول ١). إذن، اليوم التالي، الثلاثاء، ليس رمضان—فالقمر رغم كونه موجوداً في السماء إلا أن رؤيته مستحيلة ليلة الثلاثاء في المدينة المنورة (وبالتالي دمشق لأننا في الشتاء). يُظهر (الشكل ٢) محاكاة واقعية بالكمبيوتر لغروب الشمس وقرص القمر كما في يوم الاثنين ٢٧-١٢-٦٦١م، وقد غربت الشمس عن خط الأفق بدقيقتين ووجهها لا زال ظاهراً. وبالرغم من تقريب الصورة (بمجال الرؤية field of view = ١٤°) لكي يُرى القمر نسبة إلى الشمس، إلا أن الهلال لم يتكون بعد، وبالتالي لا يرى، نظراً لصغر عمره (٦ ساعات و١٣ دقيقة) ولقربه الشديد من الشمس والأفق.

لنطبق المنهج المشروح سابقاً والذي اتبعناه في المثال السابق آخذين الأرقام من نفس الجدول لمعرفة أي رمضان بدأ بيوم الجمعة وأيه بدأ بيوم السبت. العرض التالي يلخص ذلك:—

(١) في يوم الجمعة ١٦-١٢-٦٦٢ (٢٨-٨-٤٢)، ولد الهلال الساعة ٦:٠٢ مساءً أي بعد غروب شمس يوم الجمعة ليلة السبت بتوقيت المدينة المنورة (٥:٠٢ مساءً في دمشق)، هذا يعني أن الهلال غرب قبل غروب الشمس في كلا المدينتين. إذن، تؤخذ حيثيات اليوم التالي وهو السبت ١٧-١٢-٦٦٢ (٢٩-٨-٤٢) وليته، أي ليلة الأحد، لحساب بقية الشروط. ولكن

لا حاجة بنا إلى ذلك لأننا نريد رمضانًا يبدأ بيوم الجمعة أو السبت في المدينة المنورة ودمشق.  
نفس الشرح ليوم السبت ٢٣-١١-٦٦٤ (٢٧-٨-٤٤) حيث ولد الهلال بعد غروب الشمس.

(٢) في يوم الخميس ١٣-١١-٦٦٥ (٢٨-٨-٤٥) ولد الهلال الساعة ١:٠٥ صباحًا (أي بعد منتصف الليل من يوم الأربعاء أو ليلة الخميس والتي غرب فيها القمر قبل الشمس) بتوقيت

الشكل ٣: الهلال بعد غروب الشمس

الهلال

خط الأفق

مادون الأفق

المدينة المنورة (١٢:٠٥ صباحًا بتوقيت دمشق). وبالرغم من توفر الشرطين الضروريين الأول والثاني في ليلة الجمعة، إلا أن الشرط الضروري الثالث لا يتوفر (زاوية الارتفاع أقل من ٥° لكل من المدينة المنورة ودمشق) وبالتالي تستبعد ليلة الجمعة. إذن، تؤخذ حيثيات اليوم التالي الجمعة ١٤-١١-٦٦٥ (٢٩-٨-٤٥) وليلته، أي ليلة السبت، وبياناته كالتالي:-

أ) المدينة: غروب الشمس ٥:٣٧م؛ غروب القمر ٦:٤٥م؛ زاوية الارتفاع ٢١°  
١١°؛ والانفصال الزاوي ١٣°٢١.

ب) دمشق: غروب الشمس ٤:٣٣م؛ غروب القمر ٥:٣٢م؛ زاوية الارتفاع ٢٠°٨؛  
والانفصال الزاوي ١٩°٢١.

ت) النتيجة: تتحقق الشروط الثلاثة الضرورية، ولهذا فليلة السبت هي أول ليالي رمضان (أي رمضان يبدأ السبت ١٥-١١-٦٦٥) لكل من المدينة المنورة ودمشق. يُظهر (الشكل ٣) محاكاة واقعية بالكمبيوتر لغروب الشمس والهلال كما في يوم الجمعة/ليلة السبت ١٤-١١-٦٦٥م، للمدينة المنورة وقد غربت الشمس عن خط الأفق بأربعة دقائق ووهجها لا زال ظاهرًا. وبالرغم من تحسین صورة الهلال في الصورة وتقريبها (بمجال الرؤية = ٥٣٣) إلا أنه يظل باهتًا جدًا نظرًا لصغر عمره (حوالي ١٧ ساعة منذ ولادته) ولقربه الشديد من الشمس والأفق.

(٣) في يوم الأربعاء ١١-١٠-٦٦٨ (٢٩-٨-٤٨) ولد الهلال الساعة ٨:٠٤ مساءً حسب توقيت المدينة المنورة (٧:٠٤ مساءً في دمشق)، أي أن الهلال غرب قبل غروب الشمس. إذن، تؤخذ حيثيات اليوم التالي، الخميس ١٢-١٠-٦٦٨ (٣٠-٨-٤٨) وليلته، أي ليلة الجمعة، وبياناته كالتالي:-

(أ) المدينة: غروب الشمس ٥:٥٥م؛ غروب القمر ٦:١٣م؛ زاوية الارتفاع ٥٠' ٥٢°؛  
والانفصال الزاوي ٣٨' ١٢°.

(ب) دمشق: غروب الشمس ٥:٠١م؛ غروب القمر ٥:١١م؛ زاوية الارتفاع ٥٥' ٥٠°؛  
والانفصال الزاوي ٥٠' ١٢°.

(ت) النتيجة: لا يتحقق شرط زاوية الارتفاع في كل من المدينة المنورة ودمشق في ليلة الجمعة، أي بالرغم من وجود الهلال في السماء إلا أنه لا يمكن رؤيته لقربه من الأفق.

(٤) إذن، تؤخذ حيثيات اليوم التالي الجمعة ١٣-١٠-٦٦٨ وليلته، أي ليلة السبت، وبياناته كالتالي:-

(أ) المدينة: غروب الشمس ٥:٥٤م؛ غروب القمر ٦:٥٩م؛ زاوية الارتفاع ٤٠' ٥١°؛  
الانفصال الزاوي ١٦' ٢٥°.

(ب) دمشق: غروب الشمس ٥:٠١م؛ غروب القمر ٥:٥٢م؛ زاوية الارتفاع ٥٢' ٠٨°؛  
والانفصال الزاوي ٢٧' ٢٥°.

(ت) النتيجة: تتحقق الشروط الثلاثة الضرورية، ولهذا فليلة السبت هي أول ليالي رمضان (أي رمضان يبدأ السبت ١٤-١٠-٦٦٨) لكل من المدينة المنورة ودمشق. ونلاحظ أن زاوية الارتفاع كبيرة جدًا وذلك لمضي أكثر من ٢٤ ساعة لولادة الهلال.

(٥) في يوم الجمعة ٢٠-٩-٦٧٠ (٢٨-٨-٥٠) ولد الهلال الساعة ٤:٥٢ صباحًا بتوقيت المدينة المنورة (٣:٥٢ صباحًا في دمشق). بفحص حيثيات يوم الجمعة ٢٠-٩-٦٧٠ (٢٨-٨-٥٠) وليلته، أي ليلة السبت، نجد أن بياناته كالتالي:-

(أ) المدينة: غروب الشمس ٦:١٧م؛ غروب القمر ٦:١٦م؛ زاوية الارتفاع ١٨' ٠١°؛  
والانفصال الزاوي ٥٢' ٥٧°.

(ب) دمشق: غروب الشمس ٥:٣١م؛ غروب القمر ٥:٢٣م؛ زاوية الارتفاع ٣٥' ٠٢°؛  
والانفصال الزاوي ٤' ٠٨°.

(ت) النتيجة: استحالة رؤية الهلال ليلة السبت في كل من المدينة المنورة ودمشق. ولا حاجة لنا في حساب ليلة الأحد.

(٦) في يوم الخميس ١٨-٨-٦٧٣ (٢٨-٨-٥٣) ولد الهلال الساعة ١:٠٦ صباحاً بتوقيت المدينة المنورة (٦:٠٦ صباحاً في دمشق). نلاحظ أن شروطاً أخرى لا تتحقق في كلا المدينتين. إذن، تؤخذ حيثيات يوم الجمعة ١٩-٨-٦٧٣ (٢٩-٨-٥٣) وليته، أي ليلة السبت، وبياناته كالتالي:-

(أ)المدينة: غروب الشمس ٦:٤٨م؛ غروب القمر ٧:٤٨م؛ زاوية الارتفاع ١٠°١٢؛ والانفصال الزاوي ١٣٩°٢٣.

(ب)دمشق: غروب الشمس ٦:١٢م؛ غروب القمر ٧:٠٠م؛ زاوية الارتفاع ١٥٢°٠٨؛ والانفصال الزاوي ١٥٩°٢٣.

(ت)النتيجة: تتحقق الشروط الثلاثة الضرورية، ولهذا فليلة السبت هي أول ليالي رمضان (أي أن رمضان يبدأ يوم السبت ١٩-٨-٦٧٣) لكل من دمشق والمدينة المنورة.

(٧) في يوم الأربعاء ١٦-٧-٦٧٦ (٢٨-٨-٥٦) ولد الهلال الساعة ٧:١٨ مساءً بتوقيت المدينة المنورة (٦:١٨ مساءً في دمشق). حيث أن الشروط لا تتوفر في كلتا المدينتين، فيأخذ اليوم التالي، الخميس ١٧-٦-٦٧٦ (٢٩-٨-٥٦) وليته، ليلة الجمعة، وبياناته كالتالي:-

(أ)المدينة: غروب الشمس ٧:٠٩م؛ غروب القمر ٧:٤١م؛ زاوية الارتفاع ١٥٠°٥٥؛ والانفصال الزاوي ١٣٣°١١.

(ب)دمشق: غروب الشمس ٦:٤١م؛ غروب القمر ٧:٠٨م؛ زاوية الارتفاع ١٩°٥٤؛ والانفصال الزاوي ١٥٦°١١.

(ت)النتيجة: تحققت الشروط الثلاثة في المدينة المنورة، وبذلك فرمضان يبدأ الجمعة ١٨-٧-٦٧٦. أما دمشق فتكاد تستوفي كل الشروط. فرغم وجود القمر في سماء دمشق لمدة ٢٧ دقيقة بعد غروب الشمس، إلا أن المطلوب هو ٥٥° لزاوية الارتفاع والموجود هو أقل من ذلك بقليل (١٩°٥٤). فالهلال كان في سماء دمشق ولكنه ليس مرتفعاً عن الأفق كما حُدِّد في مؤتمر اسطنبول.

(٨) في يوم الخميس ٢٤-٦-٦٧٨ (٢٧-٨-٥٨) ولد الهلال الساعة ١١:١١ مساءً بتوقيت المدينة المنورة (١٠:١١ مساءً في دمشق)، أي أن الهلال ولد بعد غروب الشمس. إذن، تؤخذ حيثيات اليوم التالي، الجمعة ٢٥-٦-٦٧٨ (٢٨-٨-٥٨) وليته، أي ليلة السبت، وبياناته كالتالي:-

(أ)المدينة: غروب الشمس ٧:١١م؛ غروب القمر ٧:٤٣م؛ زاوية الارتفاع ٢٣°٥٥؛ والانفصال الزاوي ١٤٤°٠٨.

(ب)دمشق: غروب الشمس ٦:٤٦م؛ غروب القمر ٧:١٦م؛ زاوية الارتفاع ٣٠°٥٤؛ والانفصال الزاوي ١٠٤°٠٩.

ت) النتيجة: تحققت الشروط الثلاثة في المدينة وبذلك فرمضان يبدأ السبت ٢٦-٦-٦٧٨. أما دمشق فبرغم وجود القمر في السماء لمدة ٣٠ دقيقة بعد غروب الشمس، إلا أن المطلوب هو ٥° لزاوية الارتفاع والموجود هو (٣٠' ٤°). فالهلال كان في سماء دمشق لمدة طويلة ولكنه ليس مرتفعاً عن الأفق بشكل كافي.

بقية السنين لا يأتي فيها رمضان في يوم الجمعة أو السبت.

الجدول ١

الموقع	الانفصال الزاوي	زاوية الارتفاع	غروب		ولادة الهلال	التاريخ		اليوم
			القمر	الشمس		الميلادي	الهجري	
	دقيقة درجة	دقيقة درجة			وقت			
المدينة	٠.٢ '٥٧	٠.٠+ '٤١	م ٥:٥٥	م ٥:٤٦	ص ١١:٤٢	٦٦١-١٢-٢٧	٤١-٨-٢٨	الاثنين
دمشق	٠.٣ '١٠٤	٠.٠- '١٠٤	م ٤:٤٥	م ٤:٣٩	ص ١٠:٤٢			
المدينة	٠.٢ '٢٤	٠.٢- '٤٤	م ٥:٣٢	م ٥:٤٠	م ٦:٠٢	٦٦٢-١٢-١٦	٤٢-٨-٢٨	الجمعة
دمشق	٠.٢ '٣١	٠.٢- '٥٨	م ٤:٢١	م ٤:٣٢	م ٥:٠٢			
المدينة	٠.٢ '٥٨	٠.٣- '١٠٩	م ٥:٢٥	م ٥:٣٦	م ٦:٠١	٦٦٣-١٢-٥	٤٣-٨-٢٨	الثلاثاء
دمشق	٠.٣ '١٠٤	٠.٣- '٢٩	م ٤:١٥	م ٤:٢٩	م ٥:٠١			
المدينة	٠.٣ '٣٤	٠.٣- '٣٥	م ٥:٢١	م ٥:٣٤	م ٦:١٧	٦٦٤-١١-٢٣	٤٤-٨-٢٧	السبت
دمشق	٠.٣ '٣٩	٠.٤- '١٠٠	م ٤:١٢	م ٤:٢٩	م ٥:١٧			
المدينة	٠.٩ '١٥	٠.٢+ '٢٦	م ٥:٥٤	م ٥:٣٦	ص ١٠:٥	٦٦٥-١١-١٣	٤٥-٨-٢٨	الخميس
دمشق	٠.٩ '٢٣	٠.٠+ '٥٣	م ٤:٤٣	م ٤:٣٣	ص ١٢:٥٥			
المدينة	٠.٤ '٤٩	٠.٣- '١٠	م ٥:٣٠	م ٥:٤١	م ٢:٢٥	٦٦٦-١١-٢	٤٦-٨-٢٨	الاثنين
دمشق	٠.٤ '٥٨	٠.٣- '٥١	م ٤:٢٥	م ٤:٤١	م ١:٢٥			
المدينة	٠.٨ '١٠٤	٠.٠- '١١	م ٥:٥١	م ٥:٤٧	ص ٦:١٧	٦٦٧-١٠-٢٣	٤٧-٨-٢٨	السبت
دمشق	٠.٨ '١٥	٠.١- '٣٠	م ٤:٤٧	م ٤:٥٠	ص ٥:١٧			
المدينة	٠.٥ '٣٤	٠.٥- '٤٩	م ٥:٣٤	م ٥:٥٦	م ٨:٠٤	٦٦٨-١٠-١١	٤٨-٨-٢٨	الأربعاء
دمشق	٠.٥ '٣٧	٠.٦- '١٢	م ٤:٣٦	م ٥:٠٣	م ٧:٠٤			
المدينة	٠.٨ '٢٨	٠.٠- '٤٣	م ٦:٠٧	م ٦:٠٦	م ٣:٤٤	٦٦٩-١٠-١	٤٩-٨-٢٨	الاثنين
دمشق	٠.٨ '٤٠	٠.٢- '١٠٣	م ٥:١١	م ٥:١٦	م ٢:٤٤			
المدينة	٠.٧ '٥٢	٠.١- '١٧	م ٦:١٦	م ٦:١٧	ص ٤:٥٢	٦٧٠-٩-٢٠	٥٠-٨-٢٨	الجمعة
دمشق	٠.٨ '١٠٤	٠.٢- '٣٤	م ٥:٢٣	م ٥:٣١	ص ٣:٥٢			
المدينة	٠.٧ '٥٥	٠.١- '١٦	م ٦:٢٨	م ٦:٢٩	ص ٥:١٨	٦٧١-٩-٩	٥١-٨-٢٨	الثلاثاء
دمشق	٠.٨ '١٠٩	٠.٢- '٢٣	م ٥:٣٩	م ٥:٤٦	ص ٤:١٨			
المدينة	٠.٦ '٢١	٠.٢- '٥١	م ٦:٣١	م ٦:٤٠	ص ١١:٤٤	٦٧٢-٨-٢٨	٥٢-٨-٢٧	السبت
دمشق	٠.٦ '٣٥	٠.٣- '٤٤	م ٥:٤٨	م ٦:٠١	ص ١٠:٤٤			
المدينة	٠.١٠ '٥٢	٠.٢+ '١٨	م ٧:٠٤	م ٦:٤٩	ص ١٠:٦	٦٧٣-٨-١٨	٥٣-٨-٢٨	الخميس
دمشق	٠.١١ '١٤	٠.٠+ '٣٥	م ٦:٢١	م ٦:١٣	ص ١٢:٠٦			
المدينة	٠.٥ '١٤	٠.٤- '٢٤	م ٦:٤٢	م ٦:٥٨	م ٥:٥٠	٦٧٤-٨-٧	٥٤-٨-٢٨	الاثنين

اليوم	التاريخ		ولادة الهلال		غروب		زاوية الارتفاع	الانفصال	الموقع
	الهجري	الميلادي	وقت	الشمس	القمر	دقيقة درجة	الزاوي	دقيقة درجة	
			م ٤:٥٠	م ٦:٢٥	م ٦:٠٥	٠٤-٠٥٣	٠٥	٢١٤	دمشق
السبت	٥٥-٨-٢٨	٦٧٥-٧-٢٨	ص ٩:١٩	م ٧:٠٤	م ٧:٠٨	٠٠-٠٩	٠٦	٣٠	المدينة
			ص ٨:١٩	م ٦:٣٤	م ٦:٣٣	٠١-٠١٣	٠٦	٥١	دمشق
الأربعاء	-٨-٢٨ ٥٦	٦٧٦-٧-١٦	م ٧:١٨	م ٧:٠٩	م ٦:٥٤	٠٤-٠٤	٠٤	٢٤	المدينة
			م ٦:١٨	م ٦:٤١	م ٦:٢٣	٠٤-٢٣	٠٤	٢٧	دمشق
الأحد	-٨-٢٧ ٥٧	٦٧٧-٧-٥	م ١٠:٢١	م ٧:١١	م ٦:٥٣	٠٤-٠٤٣	٠٤	٢٥	المدينة
			م ٩:٢١	م ٦:٤٥	م ٦:٢٤	٠٤-٠٥٤	٠٤	٢١	دمشق
الخميس	-٨-٢٧ ٥٨	٦٧٨-٦-٢٤	م ١١:١١	م ٧:١١	م ٦:٥٣	٠٤-٠٤٥	٠٤	١٣	المدينة
			م ١٠:١١	م ٦:٤٦	م ٦:٢٥	٠٤-٠٥١	٠٤	١٠٥	دمشق
الثلاثاء	-٨-٢٨ ٥٩	٦٧٩-٦-١٤	ص ٤:٥٥	م ٧:٠٩	م ٧:٣٥	٠٤+٠١١	٠٦	٣٧	المدينة
			ص ٣:٥٥	م ٦:٤٤	م ٧:١٠	٠٣+٢٩	٠٧	٠١	دمشق

## ملاحظات

استخدم برنامج: TheSky Astronomy Software, Level IV, Version 5.00.105, year 2003 (ما عدا التواريخ الهجرية فهي من كتاب التوقيقات الإلهامية) لإعداد هذا الجدول ورُوجعت أرقامه مع ووافقت كتاب: التوقيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرانكية والقبطية، علماً أن الكتاب لم يذكر المعايير التي استخدمها في تحديد بداية الشهر العربي. كما رُوجعت أرقامه مع برنامج: Starry Night Pro, Ver. 4.5.2, year 2003.

إحداثيات المدينة المنورة هي: خط الطول ٣٩ درجة شرقاً و٣٦ دقيقة، وعلى خط العرض ٢٤ درجة شمالاً و٢٩ دقيقة، و٦٠٠ متراً فوق مستوى سطح البحر. وإحداثيات دمشق هي: خط الطول ٣٦ درجة شرقاً و١٨ دقيقة، وعلى خط العرض ٣٣ درجة شمالاً و٣١ دقيقة، و٧٣٠ متراً فوق مستوى سطح البحر.

توقيت المدينة المنورة = قريبتش + ٣، بينما توقيت دمشق = قريبتش + ٢.

لم يراع أي توقيت صيفي لأي من المدينتين.

كل التواريخ حُسبت بالتقويم الميلادي وكل التواقيت حُسبت على طريقة التوقيت الزوالي.

قُرِبت نواتي زاوية الارتفاع والبعث الزاوي إلى دقيقة إذا كانت النواتي ٣١ ثانية أو أكثر وأهملت النواتي إذا كانت ٣٠ ثانية أو أقل.

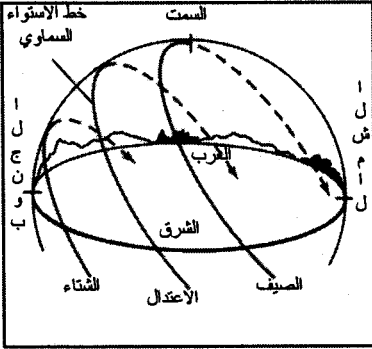
أنيط حرف ص ليعني صباحاً، وحرف م ليعني مساءً.



## محددات بدء الشهر

إن الصورة الإجمالية لاختلاف مغارب الهلال لا تكتمل بهذا الجدول فقط فلا بد من تحديد متى وأين يبدأ الشهر. في فقرة شروط وإمكانية الرؤية ذُكر أنه لا بد من توفر الشرط الكافي وهو تحديد أين يبدأ اليوم على الكرة الأرضية. إن المكان الذي يبدأ عنده اليوم هو نفسه المكان الذي يبدأ عنده الشهر والسنة لكل الكرة الأرضية وهو إجراء اصطلاحي وليس طبيعيًا كما رأينا في (الشكل ١). هناك محددان طبيعيان لبدء الشهر زمنيًا في التقويم القمري، أحدهما أكثر طبيعية من الآخر: الاقتران والهلال. كلاً من الاقتران والهلال يحصلان مرة واحدة في الشهر (يحدث الاقتران أولاً ثم بعده بحوالي ١٥ ساعة أو أكثر قد يُرى الهلال لأول مرة) لكل الكرة الأرضية (مثل خط التاريخ الذي يُعبّر مرة واحدة في اليوم لكل الكرة الأرضية). الاقتران يَعلمُه المختصون، بينما الهلال يمكن أن يراه أي إنسان بغض النظر عن جنسه وعمره ودرجة علمه ولذا هو أكثر طبيعية من قرينه الاقتران. الاقتران لا يؤثر في حدوثه شيء فهو حاصل ياذن ربه ولا يُرى بالعين المجردة إلا وقت كسوف الشمس، أما إمكانية رؤية الهلال فتتأثر بعوامل بشرية ومناخية وفلكية، وقبل ذلك العلم بآليته. سواء كانت الطريقة اقتران أو رؤية، فهناك عاملان متلازمان أولهما يلعب دورًا جوهريًا في تحديد بدء اليوم والشهر، والثاني يلعب دورًا في تمييز دخول وقت ومكان اليوم والشهر. هذان العاملان هما كروية الأرض (علاقة خطوط الطول بمواقع الشمس والهلال) وميل محور الأرض (علاقة خطوط العرض بمواقع الشمس والهلال).

## تأثير كروية الأرض



الشكل ٤: الصيف والشتاء

كروية الأرض، ونعني هنا دور خطوط الطول، لا تعطي أفضلية طبيعية لأي موقع على الأرض أن يُعتبر مُحددًا طبيعيًا لبدء اليوم أو الشهر لأن كروية الأرض تعطي خصائص مختلفة لموقع الراي. فكلما مر الزمن من مكان بدء اليوم/الشهر، كلما ازداد اليوم و/أو الشهر عمراً حتى يبلغ نصابه وتتم دورة زمنية واحدة. بعبارة أخرى، إن دورة الأرض حول

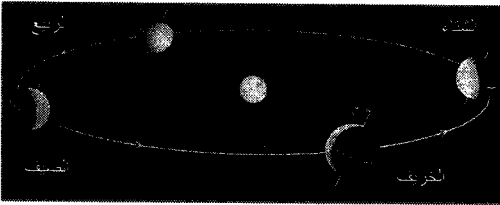
محورها تُحدّد بدء التوقيت وطوله وبالتالي انتهاءه لليوم والشهر. فدورة واحدة للأرض (نسبة إلى خط التاريخ) حول نفسها تعطي يوماً واحداً، ويزداد الشهر عمراً (نسبة إلى الاقتران) بزيادة دورة الأرض وعدد الدورات، أي يزداد الهلال التحيل عمراً حتى يصبح قمراً. فإذا توفرت الشروط الضرورية الثلاثة السابقة لرؤية الهلال على خط التاريخ، والذي يعني توفرها حتماً على أي خط قبله، أي في الاتجاه من الشرق إلى الغرب، أي خطوط الطول ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، فإن الهلال مُلزم لكل الكرة الأرضية لذلك الشهر بافتراض ثبات تأثير خطوط العرض (مثلما هو يوم السبت أو الأحد، أو أي يوم، مُلزم لكل الكرة الأرضية لذلك اليوم). لماذا؟ لأن دورة الشهر تبدأ فلكياً بالاقتران وأن الهلال سوف يُرى قطعاً كلما اتجهنا غرباً، لأنه يزداد عمراً. هذه الآلية (اثر دورة الأرض حول نفسها في تحديد التوقيت) هي أساس التوقيت وحساب الزمن، وهذا هو التأثير الجوهري.

## تأثير ميل محور الأرض

إن تأثير ميل محور الأرض، من حيث علاقة خطوط العرض بمواقع الشمس والهلال، يعطي بصفة رئيسية، الفصول الأربعة ولكنه يعطي أيضاً اختلاف دخول الوقت ومكانه خلال السنة—فالشمس تشرق في أوقات ومواضع مختلفة خلال السنة. ففي أول الصيف (١ السرطان، ٢١ يونيو) تشرق الشمس مبكرة من جهة الشمال الشرقي وتغرب متأخرة في الشمال الغربي، أي أن الشمس أعلى ما تكون في السماء وبالتالي تمكث أطول مدة. وفي أول الشتاء (١ الجدي، ٢١ ديسمبر) تشرق الشمس متأخرة من جهة الجنوب الشرقي وتغرب مبكرة في الجنوب الغربي، أي أن الشمس أدنى ما تكون في السماء وبالتالي تمكث أقل مدة. وفي الاعتدال الربيعي (١ الحمل، ٢١ مارس) والخريفي (١ الميزان، ٢٣ سبتمبر) يقسم شروق وغروب الشمس اليوم إلى فترتين متعادلتين (أي النهار يساوي الليل) وموقعها عند الشرق والغرب تماماً (الشكل ٤). هذه الآلية

يُعبّر عنها بالتالي: في أول أيام الصيف تكون الشمس على مدار السرطان، وفي أول أيام الشتاء تكون على مدار الجدي، وفي الاعتدالين على خط الاستواء؛ وهذه هي علاقة الشمس ببعض خطوط العرض.

ولكن ما هو أثر ميل محور الأرض على دورة القمر؟ إن آلية أثر ميل محور الأرض على دورة القمر عند الاقتران (ما يهمنا هنا هو ظهور



الشكل ٥: ميل محور الأرض

الهلال لأول مرة) تشبه تلك على الشمس: فكما أن ارتفاع الشمس عن الأفق أقل في الشتاء عنه في الصيف، كذلك القمر وذلك بفعل ميل الأرض حيث يكون النصف الشمالي للكعبة الأرضية أبعد ما يكون عن الشمس في الشتاء وأقرب ما يكون للشمس في الصيف، وذلك من حيث ميل الأرض وليس من حيث المسافة. بعبارة أخرى، حيث إن الشمس والقمر والأرض تكون على خط طول سماوي واحد عند الاقتران، فهذا يعني قرب الهلال إلى الأفق في الشتاء (صعوبة ترائيه) وارتفاع الهلال عن الأفق في الصيف (سهولة ترائيه). يوضح (الشكل ٥) الدائرة الظاهرية للشمس **ecliptic** أو في الحقيقة فلك الأرض حول الشمس، وميل الأرض بمقدار  $23,5^\circ$  نسبة لهذا الفلك (يوجد خط وهمي يبين هذا الميل)، وشكل ذلك الجزء المضاء من الأرض في بدايته كـ

والذي سببه ميل محور الأرض. فحينما تدور الأرض حول محورها، فإن خط الضوء **terminator**، الذي يفرق بين الليل والنهار والذي يختلف انحداره من فصل إلى آخر، لا يكون موازيًا لخطوط الطول إلا في يومين اثنين، الاعتدال الربيعي والاعتدال الخريفي. هذا يعني، أنه قد يكون هناك موقعان (مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة) على خط طول واحد ولكن على خطين عرضين مختلفين وتغرب (أو تشرق) الشمس في كل منهما في وقتين مختلفين وبالتالي قد يؤثر في رؤية الهلال.

ميل محور الأرض يؤدي إلى صغر زاوية ارتفاع الهلال عند الأفق كلما بعدت خطوط العرض عن خط الاستواء شمالاً وجنوباً، مما يعني التأثير على إمكانية رؤية الهلال. لماذا تصغر زاوية ارتفاع الهلال عند الأفق كلما ابتعدنا عن خط الاستواء؟ يرجع السبب إلى كروية الأرض وميل محورها وتلازم دورة القمر مع الدائرة الظاهرية للشمس. هذه الدائرة الظاهرية للشمس تكون مساوية لدائرة خط الاستواء في الاعتدالين ثم تصغر كلما ابتعدنا عن خط الاستواء شمالاً في الصيف وجنوباً في الشتاء. بعبارة أخرى، إذا رُئي الهلال في دمشق فيجب بالضرورة فلكياً أن يُرى في جنوبها وفي نفس الليلة، في المدينة المنورة مثلاً. وإذا رُئي الهلال في المدينة المنورة فيحتمل فلكياً أن يُرى في شمالها إذا كان الفرق الطولي صغيراً، مثلاً في دمشق. أما حينما نأتي إلى الدائرة القطبية، من ٦٦,٥٦ - ٩٠ درجة، فيكون الأمر أكثر خصوصية حيث يختفي الهلال لبعض الوقت شتاءً ويداوم الظهور لبعض الوقت صيفاً.

رواية كريب رضي الله عنه تحدثنا أنهم رأوا الهلال في دمشق ليلة الجمعة وسيدنا عبدالله بن العباس يقول إنهم لم يروه في المدينة ليلة الجمعة بل رأوه الليلة التالية، ليلة السبت. الحديث المذكور لم يذكر لنا السنة ولا في أي وقت من السنة أتى رمضان. ولكننا نعلم أن المدينة المنورة تقع جنوب دمشق وأن الهلال رُئي في دمشق أولاً، إذاً فمن باب أولى أن يُرى الهلال في المدينة المنورة لأن زاوية ارتفاعه أعلى. هناك احتمال آخر، أن الهلال لم ير في المدينة لأسباب بشرية و/أو مناخية.

هذه ظاهرة قد يحتاج بها البعض باختلاف مغارب الهلال. ولكن هل هذا احتجاج صحيح؟ الجواب ببساطة: لا. فحقيقة الظاهرة الكونية هي عكس ما ورد في الحديث. إن مواقع الشمس والقمر نسبة إلى خطوط العرض العليا وبالذات في الدائرتين القطبيتين هي مسألة فلكية غير نمطية تواجه أوقات الصلاة (بالنسبة إلى الشمس أي طول الليل شتاءً وطول النهار صيفاً) وأوقات بدء الشهور العربية (بالنسبة إلى القمر أي اختفاء الهلال في الشتاء وظهوره في الصيف).

إن من الجوهرية معرفة الفرق بين أثر دورة الأرض حول نفسها وأثر ميل محورها. فالأول يُحدّد الوقت ببدءاً وطولاً ونهاية، بينما الثاني يُمايز الوقت والمكان على مدار السنة ولا يُحدده. إذا أدركنا هذا الفرق، أدركنا أن طول النهار أو الليل (سواء كان هذا الطول ١٢ أو ٢٤ ساعة أو عدة أيام أو شهور)، والذي هو أثر ميل محور الأرض، لا يلغي وقت دخول عبادة الصلاة بل يُقدّر لها. كذلك، إن صغر زاوية ارتفاع الهلال عن الأفق كلما ابتعدنا عن خط الاستواء، والذي هو أثر ميل محور الأرض، لا يلغي وقت دخول عبادة الصيام بل يُقدّر له؛ قياساً بالصلاة.

باختصار، المشكلة التي تواجه اصطلاح اختلاف المطالع هي ذات بُعدين: في الماضي كان الإجماع الفقهي على عدم التسليم بما يسمى اختلاف المطالع. وحتى هؤلاء الفقهاء الذين قالوا به لم يحددوا المسافات (عوضاً عن خطوط الطول أو العرض) حتى يعرف المسلم المعايير. كما كان تصنيفهم للمسافات تصنيفاً عاماً وغير هيكلي وغير مُجمّع عليه فيما بينهم، وبعض هذا التصنيف غير متناسق مع ما هو معروف علمياً الآن. أما في العصر الحاضر، فطغت سيادة الدولة على الطرح الديني لاختلاف المطالع. كيف؟ من قال باختلاف المطالع فسنده هو حديث كريب مع عبدالله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين، وقد رأينا أن الحقيقة الكونية لا تؤيد ذلك. والمدينتان اللتان ورد ذكرهما في الحديث هما دمشق والمدينة المنورة: دمشق على خط العرض ٣٣° شمالاً و ٣١ دقيقة، بينما المدينة المنورة على خط العرض ٢٤° شمالاً و ٢٩ دقيقة، أي أن الفرق العرضي بينهما هو ٩° ودقيقتان. في بعض دول العالم الإسلامي (وهناك الكثير) التي تمارس فرضية اختلاف المطالع نجد أن الفرق العرضي بين أحد مدنها في الجنوب وأخرى في شمالها يكون أكثر من ٩° (يبلغ الفرق العرضي بين مدينتي جيزان وسكاكا، السعودية ١٣°)، ومع ذلك يصدر بيان من أعلى الجهات الدينية الرسمية والسيادية بالصوم في يوم واحد. أخيراً، هل تعلم أن الفرق العرضي بين مكة المكرمة والقدس الشريف هو أكبر من الفرق العرضي بين المدينة المنورة ودمشق!

## نتيجة البحث

تنحصر السنين التي أتى فيها رمضان بين سنة ٤١-٥٩ هجرية (٦٦١-٦٧٩ ميلادية)، أو ١٩ رمضان. في هذه الفترة بدأ رمضان في المدينة المنورة ودمشق يوم السبت في السنين التالية:-

- ١-٩-٤٥ هـ (١٥-١١-٦٦٥م) و

- ١-٩-٤٨ هـ (١٤-١٠-٦٦٨م) و

- ١-٩-٥٣ هـ (١٩-٨-٦٧٣م) و

- ١-٩-٥٨ هـ (٢٦-٦-٦٧٨م) في المدينة. أما في دمشق فبرغم من غروب الهلال بعد غروب الشمس بمقدار ٣٠ دقيقة وانفصاله درجته عن الشمس تزيد قليلاً عن ٠٩°، إلا أن زاوية ارتفاعه عن الأفق كانت ٤° و ٣٠ ثانية والمطلوب ٥٥° أي أقل من نصف درجة.

هل كان من المستحيل رؤية الهلال بالعين المجردة تحت هذه الظروف؟ الله أعلم، ولكن برغم من صعوبة رؤيته ليس فقط لأن زاوية ارتفاعه عن الأفق أقل من ٥° ولكن لأن الجزء المضيء من الهلال هو ٠,٧١%، إلا أن رؤيته قد لا تكون مستحيلاً لمكوته ٣٠ دقيقة بعد غروب الشمس ولبعده عن الشمس أيضاً. من سوء حظ أهل اختلاف المطالع أن هذه الحالة هي عكس ما جاء في حديث كريب، حيث يمكن نظرياً رؤية الهلال في المدينة المنورة أولاً ثم في الليلة التالية يُرى في دمشق.

كما بدأ رمضان في المدينة المنورة يوم الجمعة في ١-٩-٥٦ (١٨-٧-٦٧٦). أما في دمشق فبرغم من غروب الهلال بعد غروب الشمس بمقدار ٢٧ دقيقة وانفصاله درجته عن الشمس تزيد عن ٠٩°، إلا أن زاوية ارتفاعه عن الأفق كانت ٤° و ١٩ ثانية والمطلوب ٥٥°. وهذه هي نفس الحالة السابقة علماً أن الجزء المضيء من الهلال هو ٠,٤٦%.

بقيت السنين يأتي رمضان فيها في غير يوم الجمعة أو السبت.

قد يحتاج البعض بما ورد سابقاً باختلاف مغارب الهلال، ولكن الحقيقة الكونية أن الهلال كان من باب أولى أن يرى في المدينة المنورة بعد أن رؤيا في دمشق. كما أن مواقع الشمس والقمر في خطوط العرض العليا هي مسألة فلكية غير غمطية تواجه أوقات الصلاة وأوقات بدء رمضان وشوال والحج وبقية الشهور العربية. إن من الجوهرية معرفة الفرق بين أثر دورة الأرض حول نفسها وأثر ميل محورها. فالأول يحدد الوقت بدءاً وطولاً ونهاية، بينما الثاني يمايز الوقت والمكان على مدار السنة ولا يحدده. إذا أدركنا هذا الفرق، أدركنا أن طول النهار أو الليل لا يلغي وقت دخول عبادة الصلاة بل يُقدَّر لها. كذلك، إن صغر ارتفاع زاوية القمر عن الأفق كلما ابتعدنا عن خط الاستواء لا يلغي وقت دخول عبادة الصيام بل يُقدَّر له؛ قياساً بالصلاة.

النتيجة: لا يوجد دليل علمي فلكي يؤيد استنتاج البعض أن حديث كريب بذاته هو وسيلة منهجية يستدل بها على اختلاف المطالع. بل إن الحقيقة الكونية هي عكس ما فُسِّر به الحديث.

## المراجع

## المراجع العربية

- حرف، القرآن الكريم، (القاهرة: شركة حرف لتقنية المعلومات، الإصدار ٨، ٢٠٠٢)، برنامج إلكتروني يعمل بنظام التشغيل مايكروسوفت ويندوز.
- أمين، أحمد، فجر الإسلام، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٩).
- حرف، موسوعة الحديث الشريف، (القاهرة: شركة حرف لتقنية المعلومات، الإصدار ٢، ١، ١٩٩٨)، برنامج إلكتروني يعمل بنظام التشغيل مايكروسوفت ويندوز.
- باشا، محمد مختار، التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- الترمذي، أبو عيسى، صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي، (بيروت: دار الكتاب العربي، لا توجد سنة الطبع).
- الخصاونة، عوني محمد، تطبيقات علم الفلك في الشريعة الإسلامية، (عمّان، الأردن: المطابع العسكرية، ١٩٩٩).
- الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، (دمشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ).
- الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦).



- سابق، السيد، فقه السنة، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٩هـ).
- العجيري، صالح، التقويم الهجري، (مكتبة العجيري: الكويت، ١٤٠٩هـ).
- الغماري، الشريف أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق، توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار، (عمّان، الأردن: دار النفائس، ١٤١٩).
- القرضاوي، يوسف، من هدي الإسلام: فتاوى معاصرة، (المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ).

— جريدة الشرق الأوسط العدد:—

— ٨٥٨٩ يوم الثلاثاء ٢٣-٣-١٤٢٣ (٤-٦-٢٠٠٢).

### Books

Aretê Publishing Company, Inc., Academic American Encyclopedia, (Princeton, NJ, USA, 1980).

### Applications

Monzur Ahmed, Moon Calculator, في ملف Readme.txt يذكر معايير أخرى في ملف برنامجيه والذي يمكن التحصل عليه من الموقع التالي:-

<http://www.umma.org.uk/ildl/zone3/> or

<http://www.starlight.demon.co.uk/ildl/zone3/>

[www.moonsighting.com/faqs.html](http://www.moonsighting.com/faqs.html)

Ahlgren, J. R., USA, *GeoClock*, Version 8.4, a Windows-based program, 2002.

Software Bisque, TheSky Astronomy Software, (Golden, CO, USA, 2003), a Windows-based program, Level IV, Version 5.00.105.

SPACE.com Canada, Inc. *Starry Night Pro*, (Toronto, ON, Canada, 2003), a Windows-based program, Version 4.5.2, pcEW.

Zephyr Services, USA, *Moon Tracker*, a DOS based program, 1990.

**Encyclopedia**

Aretê Publishing Company, Inc. Academic American Encyclopedia, (Princeton, NJ, USA, 1980).

**Internet sites**

<http://www.Monzur@bigfoot.com>, Moon Calculator, 2001, Version 6.0.

<http://www.ihup.edu/~dsimanek/3d/moonilu.htm>

<http://www.umma.org.uk/ildl/zone3/> or

<http://www.starlight.demon.co.uk/ildl/zone3/>

<http://www.fys.ruu.nl/~bassa/index.html>

<http://www.moonsighting.com/faqs.html>

## الهوامش

رحم الله السلف الصالح لم يتعم الله سبحانه وتعالى عليهم يعلم عن الكون وقوانينه كما أتاحت لنا في عصرنا الحاضر، ومع ذلك فقد اجتهدوا بما علموا، وتسامحوا فيما بينهم ولم يفرضوا قولهم على أحد أو صادر أحدهم فكر أحد. سوف أعطي مثالين عن فهم بعض سلفنا الصالح رحمهم الله للكون وقوانينه وأثر ذلك الفهم على الفقه الذي كتبه. المثال الأول عن شرح آية (الْم تَرَوْنَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سُبُحَّاتِ سَمَوَاتٍ طَيِّبَاتٍ) نوح ١٥، أورد أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي دمشقي، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٩)، الجزء الرابع، ص. ٤٥٣-٤٥٤، "... فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضاً فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة، وأما بقية الكواكب وهي الثوابت [يقصد النجوم] ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمشتريون منهم يقولون هو الكرسي، والفلك التاسع وهو الأطلس والأثير ...". ونحن الآن نعلم علم اليقين أن كل الكواكب الخمسة التي ذكرها الإمام ابن كثير والثلاث التي لم يذكرها وكل النجوم والمجرات والسدم وغيرها من الأجرام السماوية، موجودون في السماء الدنيا. لأن السماء الثانية والثالثة إلى السابعة لا يدخلها بشر أو مركباتهم إلا بإذن، ومركبات البشر - غير المسلم - وطلعت القمر والزهرة والمشتري ووصلت زحل وأبعد من ذلك. كما أن القمر ليس بكوكب بل تابع satellite للأرض. أما الأطلس Atlas ففي الأساطير الإغريقية هو أحد الجبابرة الذي أجبر على حمل السماء على كتفيه كعقاب له لمحاربتة كبير آله الإغريق زيوس Zeus وذلك بعد هزيمة الجبابرة على أيدي الآلة الأولمبية Olympian gods. انظر:-

Areté Publishing Company, Inc., Academic American Encyclopedia, (Princeton, NJ, USA, 1980), Volume 2, p. 297.

ونحن نعلم يقيناً أن الله سبحانه جلّت قدرته هو وحده في السماء بدون أي آله آخر مهزوم أو منتصر. ونحن نعلم يقيناً أن السماوات سبع وليست ثمان أو تسع، وأن لا أحد من دون الله يعلا الكرسي إلا الله سبحانه. ونحن نعلم أيضاً أن أحدًا لم يتكفر الإمام ابن كثير أو منعه من التأليف أو حتى حجب كتابه لما ذكره سابقاً. لقد اجتهد، رحمه الله وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وضم اجتهاده في تفسير كتاب الله ونال ثواباً.

أما المثال الثاني فمن فهم بعضهم حديث: فقد أورد أبو عيسى الترمذي، صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي، (بيروت: دار الكتاب العربي، لا توجد سنة الطبع)، الجزء الثالث، ص. ٢١١-٢١٢، ما يلي: "وقد كنا في شهر سنة خمس وثمانين وأربعمائة في البحر فطلع الشمس والقمر علينا من الماء ويفريان في الماء فكانا نجلس على ظاهر المركب حتى إذا غربت [الشمس] صعد ملاح إلى الساري الأصفر فيقول لم تغب بعد ثم نمكت قليلاً فنقول قد غابت ويصعد آخر إلى الساري الأوسط فيقول لم تغب بعد ثم نمكت قليلاً فنقول قد غابت ويصعد الملاح في الساري الأطول فيقول لم تغب بعد ثم نمكت قليلاً أكثر من مكث نبتك الأولين ثم يقول قد غابت فيفطر الناس حينئذ والبحر سطح مستو لا عوج فيه ولا أمّتا فسبحان الله الخالق للجميع المتعبد بما شاء." إننا نعلم علم اليقين أن البحر وإن ظهر لنا مستوياً إلا أنه منحّن شأنه شأن الأرض الكروية، وهذا يفسر لِمَ لم تغب الشمس عليهم كلما صعدوا سارياً أعلى من الذي قبله. والقلارئ يستطيع أن يقوم بهذه التجربة بنفسه ولكن بدون عفاء ركوب البحر. اجلس على شاطئ أي بحر قرب أي ميناء وانتظر قنوم أي سفينة أو مغادرتها. وإذا لم يكن بجوارك بحر فجلد أو حتى عمارة كبيرة تكفي للقيام بهذه التجربة. اجلس على سفح الجبل (مستوى الأرض) والشخص الآخر على رأس الجبل (سطح العمارة)، ستري أنت أن الشمس غربت قبل الشخص الآخر، وهو يرى شروق الشمس قبلك.

للرجوع لهذا الاجتهاد الفقهي انظر: الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، (مشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ)، ص. ١٦٥٧-١٦٦٢.

ألفمري، الشريف أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق، توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإقمار، (عمّان، الأردن: دار للنفا، ١٤١٩)، ص. ٩٣.

<sup>٤</sup> الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٩هـ)، الجزء الثالث، ص. ١٦٧٠. ملاحظة من المؤلف: لقد استبدلت بعض الفواصل (،) لكثرتها بنقاط (.) إذا كانت الجملة كاملة ليستقيم المعنى.

<sup>٥</sup> سابق، السيد، فقه السنة، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ)، المجلد الأول، ص. ٤٣٦.

<sup>٦</sup> القرضاوي، يوسف، من هدى الإسلام: فتاوى معاصرة، (المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ)، ص. ٢٠٩. للشيخ الجليل العلامة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي إجابة شافية جامعة لأراء الفقهاء عن دخول رمضان في الصفحات ٢٠٧-٢٢٤ من نفس الكتاب.

<sup>٧</sup> نفس المصدر، ص. ٢١١.

<sup>٨</sup> حرف، موسوعة الحديث الشريف، (القاهرة: شركة حرف لتقنية المعلومات، ١٩٩٨)، برنامج إلكتروني يعمل بنظام التشغيل مايكروسوفت ويندوز ٩٨.

<sup>٩</sup> هذه ثلاثة أجرام سماوية مختلفة: فالشمس نجم star، أي جرم سماوي مشتعل بذاته بواسطة الاندماج النووي nuclear fusion الذي يحدث في قلب الشمس؛ والأرض كوكب planet، أي جرم سماوي هامد ليس فيه أي تفاعل نووي وقد يكون الكوكب إما جرمًا صخريًا أو غازيًا؛ والقمر تابع satellite للأرض وهو جرم سماوي صخري. وكل ما يتبع كوكبًا يسمى قمرًا moon ككاتب ويكون له اسم آخر كقوع، وقمرنا Moon اسمه أيضًا قمر moon ككاتب.

<sup>١٠</sup> في بعض الأوقات النادرة يغرب الهلال بعد غروب الشمس بفارق يضع ثواني أو دقائق ثم يحدث الاقتران؛ هنا لم تكتمل دورة الهلال بعد (أي، لم ينته الشهر العربي بعد عوضًا عن أن يكون قد بدأ الشهر التالي). في هذه الحالة لا يُعتد بغروب الهلال حتى وإن أُخبر برويته.

<sup>١١</sup> لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة انظر: الخصاونة، عوني محمد، تطبيقات علم الفلك في الشريعة الإسلامية، (عمان، الأردن: المطابع العسكرية، ١٩٩٩)، ص ٤٨-١٠٨.

<sup>١٢</sup> في الحقيقة لم تقتصر مساهمات المسلمين، وغيرهم، في وضع معايير لمعرفة أين ومتى يظهر الهلال لأول مرة على معيار مؤتمر اسطنبول. الدكتور منظور أحمد Monzur Ahmed يذكر معايير أخرى في ملف Readme.txt في برنامجه Moon Calculator والذي يمكن التحصل عليه من الموقع التالي:-

<http://www.umma.org.uk/ildl/zone3/> or

<http://www.starlight.demon.co.uk/ildl/zone3/>

<sup>١٣</sup> يُستخدم أحيانًا مصطلح elongation أو angular distance أو angular separation ليعني نفس الشيء: الزاوية التي تفصل بين جرمين سماويين (كالشمس والقمر) مقترزة بزاوية وليس بمسافة.

<sup>١٤</sup> أما الرؤيا عبر مقراب فهي أقل من ذلك. فقد نشرت جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٥٨٩ يوم الثلاثاء ٢٣-٣-١٤٢٣ (٤-٦-٢٠٠٢) ص. ١٤ الخبر التالي: "سجل معهد الفلك والجيوفيزياء بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية [الرياض، المملكة العربية السعودية] رقمًا قياسيًا عالميًا في رصد هلال بداية الأشهر القمرية. حيث تم رصد هلال شهر محرم لعام ١٤٢٣ هـ، من قبل الباحثين بالمعهد الدكتور زكي المصطفى معتر كردي بمشاهدة الهلال بواسطة تليسكوب عاكس من نوع Mead LX وذلك يوم الخميس ١٤ من مارس (آذار) ٢٠٠٢ الساعة ٦:٠٦ مساءً بتوقيت الرياض. وسجلت قراءات الرصد أن ارتفاع الهلال كان ٤ درجات في ٢٠ دقيقة و ٢٦ ثانية، مما جعل الباحثين يتجاوزان الرقم القياسي العالمي وهو ارتفاع ٦ درجات في ٢٧ دقيقة و ١٠ ثوان الذي تم رصده بولاية أريزونا الأمريكية عام ١٩٩٦".

<sup>١٥</sup> المعجري، صالح، التقويم الهجري، (مكتبة المعجري: الكويت، ١٤٠٩هـ)، ص. ١٠٠-١٠٥. لمزيد من المعلومات العلمية عن شروط الرؤية أنظر أجوبة الأسئلة ٤،١ إلى ٤،٥ في الموقع التالي:-

[www.moonsighting.com/faqs.html](http://www.moonsighting.com/faqs.html)

<sup>16</sup> أمين، أحمد، فجر الإسلام، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1964)، ص. 300. ويتفق معه في هذا التاريخ محمد مختار باشا، انظر الملاحظة التالية.

<sup>17</sup> باشا، محمد، مختار التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1400هـ - 1980م)، ص. 73 و 92.

<sup>18</sup> الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (بيروت: دار العلم للملايين، 1986)، المجلد الرابع، ص. 90.

<sup>19</sup> اختيار اليوم الزوالي، أي أن اليوم يبدأ عند منتصف الليل وليس عند الغروب، ليس فقط لأن البرنامج المذكور يعمل بذاك المقياس الوقتي والتاريخي ولكن - وبكل أسف - لأن الأمة الإسلامية لم تؤسس ولم تتفق على آلية عمل تاريخ هجري بشكل علمي. إن أي حسابات فلكية بالتاريخ الهجري والوقت الغروبي لا يمكن عملها - في الوقت الحاضر - بدون الاعتماد على التاريخ الميلادي أو التاريخ اليوليوسي Julian Date؛ إنها الحقيقة.

<sup>20</sup> Software Bisque, TheSky Astronomy Software, (Golden, CO, USA, 2003), Version 5.00.105 Level IV, and SPACE.com Canada, Inc. Starry Night Pro, (Toronto, ON, Canada, 2003), Version 4.5.2.

المحور الثالث





## علوم الأرض



- (١) الحقائق العلمية المكتشفة في القرآن (عينة من علوم الأرض).
- (٢) المادة السوداء في منظور القرآن الكريم.
- (٣) الأرض دائمة الحركة ودلالة ذلك في القرآن الكريم.
- (٤) التناول في البنيان وأثره على البيئة والإنسان.
- (٥) علوم الأرض وقراءة مختلفة لقصة ذي القرنين في القرآن الكريم.



**SCIENTIFIC FACTS REVEALED IN  
THE GLORIOUS QUR'AN  
(SELECTED EXAMPLES FROM THE  
AREA OF EARTH SCIENCES)**

**BY  
Dr. Z.R.M. EL-NAGGAR**



**ABSTRACT**

The word "Earth" is mentioned in the Holy Qur' an 461 times to describe the whole planet, its outer rocky cover or the soil section on top of that cover. Verses of geological interest amidst this large number exceed 11. Only a few of such verses are quoted here which testify to the Divine purity of this revealed book. These are:

- 1- Verse (LXXXVI: 12) which plainly states that our planet is deeply faulted, a fact proved very recently to be a characteristic of our planet.
- 2- Verse (LII:6) which describes certain seas to be physically set on fire, a fact recently proved to characterize all present-day oceans and some seas that are experiencing sea-floor-spreading.
- 3- Verse (LXXVIII: 7) which describes mountains as pegs (or pickets). In as much as the largest length of the picket is buried in the ground and the least of it shows on the surface and its function is fixation; modern Earth Sciences have proved the same for mountains.
- 4- Verses (IXiIII:3); (XV: 19); (XVI: 15); (XXII:31); (XXIVII:61); (IXXXIE: 10); (XLI: 10); (L:7); (LXXVII:25-27) and (LXXIX:32) which emphasize that the main role of mountains is the fixation of the Earth, lest it should shake with us.
- 5- Verse (LVII: 25) which testifies to the celestial (extra-terrestrial) origin of iron in our planet (at least) by emphasizing that it was physically sent down to Earth, a fact that came to our knowledge oniy a few decades ago.

## *INTRODUCTION*

The Holy Qur'an is basically a book of guidance, revealed by the Creator (all glory be to Him) to address areas that cannot be fathomed by the human intellect such as the essence of faith, the acts of worship, the moral code and the rules and regulations that govern the various transactions between human beings.

Besides this guidance, the glorious Qur'an refers to the cosmos (the earth and the heavens, as well as to many of their components, inhabitants and phenomena) in numerous verses, that exceed 1000 in number. Such references come in the context testifying to the unlimited might, knowledge and wisdom of The Creator Who has brought this universe into being, and is capable of its annihilation and of its re creation.

Consequently, the Qur'anic cosmic verses are not meant to be pieces of scientific information per se, as scientific knowledge has been left for man to gain (through observation and conclusion or experimentation, observation and conclusion) over a long span of time. This is simply due to the limitations of the human senses and the cumulative nature of the scientific knowledge. Yet, the illustrious Qur'an, being the word of the Creator, and hence, the absolute truth, Quranic verses with cosmic reflections must convey a number of absolute facts about the universe. Of these verses, many speak of the "earth", which is mentioned 461 times throughout the Holy Qur'an to describe the whole planet, its outer rocky cover, or the soil section on top of that cover. Verses of geological interest amongst these amount to more than 110, and can be grouped into 11 categories as follows:

- 1- One verse that instructs man to travel through the earth, make his own observations and use such surveillance to reflect on how creation was originated (XXIX:20).
- 2- A group of verses which refer to the shape of the earth (XIII:3; XV: 19; IXXVI:28; XXXIX:5; L:7; LV:17; LXV: 12; LXVII:3; LXX:40, 41); its motions (XXI:33; XXXVI:40; XXVII:88; XIII:3 XCI:1-4; XCII:1,2; X:67; LXIXVIII:10, 11; XXVII:71-73; 111:27; XXIX:61; XXXT:29; XIXIV:13; LVII:6; XXXVI:37 II: 164; III: 190; X:6; XXIII:80; XILV:5; XIV:33;) and its origin (XXI: 30) where both the earth and the heavens are clearly described to have constituted (in their distant past) one entity (the initial singularity) before they split apart (or the so-called Big Bang). This group also includes verses that emphasize the vastly distant positions of stars (LVI:75, 76), the expanding nature of the universe (LI:47), the smoky nature of the early sky (universe) (XLI: 11, 12), the existence of the interstellar matter (V:17, 18; X:65; XV:85; XX:6; XX 16; XXV:59; IXIXIVI:24; XXX:8; XXXII:4; XXXVII:5; XXXVIII: 10, 27, 66; XLIII:85; XLIV:7, 38; XLVI:3; L:38; LXXVIII:37) and the concentric nature of both the heavens and the earth (the universe) {(LXVII:3)}; (LXXI:15) and (LXV:12)}.\*
- 3- One verse stating that iron was sent down to us, thus emphasizing the celestial (extra-terrestrial) origin of iron in our planet (at least) (LVII: 25).
- 4- One verse that describes the deeply (faulted) nature of the earth (LXXXVI: 12).

5- A group of verses that describe some of the most recently discovered oceanographic phenomena such as:

a) The superheated nature of the bottoms of certain seas and oceans (implying intensive submarine volcanic activity associated with sea floor spreading) (LII:6).

b) The complete separation of different bodies of water (fresh and saline, as well as saline waters of different compositions) that do not mix completely or immediately due to the constant presence of impassable barriers in between (XXV:53; LV:19,20).

c) The multitude of darkness produced in the greatest depths of oceans by deep currents, topped by surface currents, topped by clouds (XXIV:40).

6- One verse that describes mountains as pegs or pickets (LXXVIII:7), emphasizing their relatively small, above-ground elevations, compared to their much more deeply buried parts (roots), and their role in the fixation of continental masses as well as of the whole planet. This role is emphasized in ten other verses which also ascribe more functions to mountains such as their part in the process of precipitation of rain and in the formation of natural heads for running streams (XIII:3); XV: 19; XVI: 15, XXI: 31; XXVII: 61; XXXI:10; L:7; LXXVII: 27; LXXIX: 32). In the twelfth verse of this group, the Qur'an asks the human beings to contemplate on a number of observations in the universe, including how mountains are made to stand up on the surface of the earth (LXXXVIII: 19). Such speculation has led to the formulation of the concept of isostasy which is currently used to explain the rising of mountains (and of all other surface elevations) above its surroundings.



In another verse of this group (XXXV:27), the Qur'an describes mountains as being composed of white and red tracts of various shades of colours and of others that are black and intense in hue. This is in clear reference to both acidic mountains (which are dominantly granitic in composition, with overwhelming white and red colours of various shades) and basic to ultrabasic mountains (which are dominantly basaltic! gabbroic in composition with black coloured ferromagnesian minerals). Each of these major primary rock groups has its specific chemical and mineralogical composition as well as its specific temperature of separation from its mother magma. Their dominant colours are also reflected in their secondary and tertiary products of sedimentary and metamorphic rocks, and hence, the importance of these three principal colours (white, red and black) in the classification of igneous rocks and of their derivatives.

7- A group of verses that reflect on the earth's hydrosphere and atmosphere, which are both clearly stated to have been outgassed from within the earth (LXXIX: 30, 31), a fact that is only very recently discovered. Other verses in this group comment on the protective nature of the atmosphere for life on earth (XX LXXXVI: 11), the absolute darkness of the outer space (XV: 14, 15), the reduction of atmospheric pressure with elevation (VI: 125) and the glowing nature of the early nights of our planet before the formation of its protective atmospheric spheres (XVII: 12).

8- A group of verses that emphasize the thinness of the earth's crust (LXXI: 19), the constant levelling and degradation of the earth's surface and the gradual change in the geographic dimensions of continental masses, and even the contraction of the whole planet and the deformation of its surface (XIII: 41; XXII:44; LXXVIII: 6).

9- Verses emphasizing the fact that groundwater is generated from rain, thus reflecting on the hydro geological cycle (XV: 22; XXII: 18), and others relating life on earth to water (XXI: 30; XXIV: 45) or reflecting on the possibility of classifying lifeforms(VI:38).

10- Verses emphasizing the fact that the process of creation took place in successive stages over tremendously long spans of time (XLI: 9-12; XXII: 47; XXXII: 5, etc).

11- Two verses that describe the end of our planet and of the whole universe by reversing the process of its creation [ so-called Big Crunch (XXI: 104)], after which the eternal universe will be created (XIV: 48).

Such knowledge was not available before the turn of the present century, and most of it has just started to be understood through the painstaking analysis of massive amounts of scientific observations. The Qur'anic precedence with such precise and comprehensive knowledge points to only one of the multifarious miraculous nature of this Glorious Book, being the last Divine message, and the only one that has been kept intact with exactly the same language of revelation word to word and letter to letter for more than 14 centuries.

From the above mentioned discussion it is obvious that Qur'anic verses with geological notions exceed 110 number and need voluminous texts to explain. Consequently, the present paper concentrates on only a few of these verses which represent established facts and concepts in the area of Earth Sciences and are only given as examples of the miraculous nature of the Holy Qur'an as follows:

**A - THE FAULTED EARTH:**

The Noble Qur'an Reads:

"And by the Earth that has its own fault" (LXXXVI:12)

This Qur'anic verse comes in the context of an oath, while Allah (all glory be to Him) is definitely above giving such a pledge. Consequently, this is understood as a device for emphasis on the special significance of the matter by which the oath is given. Now what is the special significance of the faults of our planet?

Early commentators on the Holy Qur'an saw this significance in the fracturing of the soil on watering it properly to give a free, safe passageway for the tender, green shoots coming out from the germinating seeds that are buried in the soil, in the form of sprouting plants, which is very true. Once you place a seed in the soil and water it properly, it starts to germinate and a green shoot starts to penetrate the soil and grow into a fully developed plant, bearing beautiful flowers, delicious fruits and / or magnificent wood. Such penetration takes place through tiny fractures that develop in the soil as a result of its inflation by hydrolysis and warping upwardly until thinning out to the point of fracturing.

However, Earth Scientists have recently discovered that the Earth's outer rocky sphere (Lithosphere; which is about 65- 70 km thick under the oceans and 100-150 km thick under continents) is broken up by a network of deep faults (or rift systems) into 12 main rigid plates, added to a number of small ones (microplates or platelets). These plates (Text-fig. 1) float on a semi-molten plastic layer known as the asthenosphere (the sphere of weakness) and move freely away from or towards each other, and past one another. At one boundary of each plate (or microplate), molten rock (magma) rises to form strips of new ocean floor, and at the opposite

boundary, the plate collides with the adjacent plate and moves to sink underneath it, to be gradually consumed in the underlying asthenosphere at exactly the same rate of sea floor spreading at the opposite side (text-fig.2). An ideal, rectangular, lithospheric plate would thus have one edge growing at a mid-oceanic rift system (divergent boundary), an opposite edge being gradually consumed into the asthenosphere, below the over-riding or colliding plate (convergent boundary) and other two edges sliding past the adjacent plates along a system of transform faults (transform or transform fault boundaries). In this way, the lithospheric plates are constantly shifting position on the surface of the globe, despite their rigidity, and as they are carrying continents with them, such continents are also constantly drifting away or towards each other (text-figs. 3-8).

As an oceanic lithospheric plate is forced under another oceanic or continental plate and its descending part starts to melt, viscous magmas are intruded and squeezed between the colliding plates, while lighter and more fluid ones are extruded at the opposite edge to form island-arcs. These eventually grow into subcontinents and continents, are plastered to the margins of nearby continents or squeezed between two colliding continents. Such divergence, convergence and sliding of lithospheric plates are not confined to ocean basins, but are also found along the margins, as well as within and in between continents. Both the Red Sea and the Gulf of California troughs (which are extensions of oceanic rifts) are currently widening at the rate of 3cm/year in the former and 6cm/year in the latter case. On the other hand, the collision of the Indian Plate with the Eurasian Plate after the consumption of the oceanic plate that was separating them, resulted in the formation of the Himalayan Chain, with the highest peaks on the surface of the Earth today.

Fault planes traversing the outer rocky sphere of the Earth for tens of thousands of kilometres across the globe, running in all directions for a depth of 65-150 km are among the most salient features of our planet. These came to human notice only after the Second World War and were only understood within the framework of the concept of plate tectonics which was finally formulated in the late sixties and the early seventies of this century (cf Hess, 1963; Morely, 1963; Wilson, 1965; McKenzie, 1967; Maxwell and others, 1970; Cox, 1973; Le Pichon and others, 1973; Dennis and Atwater, 1974etc).

These lithospheric faults are a globe — encircling system of prominent rift zones (65- 150 km deep and tens of thousand km long) along which lithospheric plates are displaced with respect to one another divergently, convergently or sliding past each other. They are also passageways through which the trapped heat below the lithosphere is steadily released, and different magmas are steadily outpouring. Molten magmas in numerous hot spots, deep in the mantle, being less dense, tend to rise up and descend down on cooling in the form of hot plumes that create convection currents. Such currents carry the lithospheric plates and move them across the globe, with divergent, convergent and sliding relationships. Divergence takes place at the rising tips of the convection current, while convergence happens at its descending sides.

During the early history of the Earth, its interior was much hotter (due to the greater amount of residual heat of accumulation and the much greater amounts of radioactive isotopes such as 235 and 40 and hence convection was much faster and so were all the phenomena associated with it {such as volcanic activity, earthquakes, plate movements, mountain-building movements and continental build-ups, (or the so- called ocean — continent cycle or the geosynclinal/ mountain — building cycle), etc}.

During these processes, both the atmosphere and the hydrosphere of the Earth were outgassed, the continents were constructed as positive areas above the ocean basin (through the accretion of volcanic island arcs into sub-continent and continents) and mountains were built.

About 500 million years ago the early continents were dispersed across the surface of the Earth, in positions much different than the ones occupied by the continents of today. Convection currents then operating in the mantle ended up by pushing all the early continents together around 200 million years ago, into a single super-continent (Pangea) above a single super-ocean (Panthalassa).

The outer rocky sphere of the Earth (or lithosphere) acts as a lid, impeding heat flow from inside the Earth. The trapped heat produced a great rift system right in the middle of the mother continent, and this rift system propagated gradually through time, separating North America from North Africa (about 180 million years ago) and from Europe (about 150 million years ago), followed by separating South America from Africa (about 110 million years ago) and separating Greenland from Norway (about 65 million years ago), when Iceland began forming.

When this break-up of Pangea began, a westward waterway from the mother ocean (Panthalassa) in the form of a broad gulf (called Tethys) encroached gradually over Pangea, breaking it into a northern continent (Laurasia) and a southern one (Gondwana). Further fragmentation produced the present continental masses which are currently undergoing more breaking up. The original rift is now the Mid-Atlantic Ridge, whose axis is still an active site of basaltic outpourings similar to many other rift zones along which current sea-floor spreading is taking place (cf El-Naggar, Z.R., 1991, p. 42-45 and Emiliani, C., 1992: p 237, 238).

Basaltic material has been pouring out gradually from more than 64,000 — km of mid- ocean rift valleys on both sides of such ruptures in the Earth's crust, since the very early days of their formation. The youngest oceanic crust is always around the deep rift valley and has steadily been pushing older crusts away from it. The age of the oldest existing oceanic crust does not exceed the Mesozoic era (about 200 million years old), and is currently being consumed at the convergent edges of the plates with rates almost equivalent to the rate of producing new oceanic crust at the mid-oceanic ridges.

Volcanic mountains are also found on the continents such as the isolated peaks of Moutn Ararat (5100m above sea level), Etna (3300m), Vesuvius (1300m), Kilimanjaro (5900m) and Kenya (5100m). These are associated with intra-cratonic, deep rift systems that traverse the whole thickness of the lithosphere, and communicate with the asthenosphere, and hence are currently fragmenting the existing continents into smaller landmasses.

From the above mentioned discussion, it becomes obvious that the magnificent network of deep fault systems (65-150km deep) that encircle the globe for tens of thousands of kilometres in all directions {breaking its outer rocky zone (the lithosphere) into major, lesser and minor plates, microplates (or platelets), plate fragments and remnants } is one of the most striking realities of our planet. Without these deep fault systems the Earth could not possibly have been inhabitable. This is simply because of the fact that it is through such deep faults that both the atmosphere and the hydrosphere have been outgassed and are constantly rejuvenated, continents are steadily built and fragmented, mountains are constructed, the crust is periodically enriched with new minerals, lithospheric plates are moved, the accumulating internal heat of the Earth is gradually and steadily released and the whole dynamics of our planet are achieved.

Consequently, such an established fact of the Earth is so vital for its existence as well as for our own survival on its surface that it becomes well deserving to be mentioned in the Glorious Qur'an as one of the signs of the Creator. However, this fact did not attract the attention of Earth scientists until after the Second World War, and was not fully understood until the late sixties and the early seventies of this century. The Qur'anic account of this established, salient feature of the Earth more than 14 centuries ago, is one of numerous signs that clearly testify' to the purely Divine nature of this illustrious Book, and to the truthfulness of the Prophethood of Mohammad (PBUH)

### ***B - THE SEA SET ON FIRE:***

The Glorious Qur'an states:

And by the sea that is set on fire"\* (LII:6)

This Qur'anic verse also comes in the context of an oath to emphasize the special significance of the subject matter by which the oath is given, as Allah (all glory be to Him) is definitely above the need to give such an oath.

Now, what is the special significance of the sea that is set on fire?

Both water and fire are incompatible, as water quenches fire, and fire sets water to boiling and evaporation. How then can an ocean full of water be set on fire? Such incompatibility has driven early commentators on the Holy Qur'an to suggest that this could only happen on the Last Day, referring to another Qur'anic verse where such event is explicitly described (LXXXI: 6). Nevertheless, the context in which the oath "by the sea set on fire" and 5 preceding verses describe realities that are all currently existing in our present day world, hence another linguistic meaning for the adjective "al-masjour" other than "set on fire" was earnestly searched for. Of the linguistic meanings derived from such an



adjective is “full of water and restrained from further encroachment over the nearby continental masses”. This is correct, because the largest quantity of fresh water today (77% of all water on land) is entrapped in the form of very thick ice sheets on the two polar regions as well as in the form of ice caps to highly elevated mountains. For such a great mass of ice to melt an increase of only 40 5° C in the temperature of the lower atmosphere above the average summer temperatures is needed. In such a case, this melting can raise the water level in present day seas and oceans by more than 100 m, which is enough to drown most of the present day plains where the majority of human settlements exists. Nevertheless, Earth scientists have recently discovered that all of the present day oceans and some seas (such as the Red Sea and the Arabian Sea) are physically set on fire, while others (such as the Mediterranean, the Black and the Caspian Seas) are not.

As mentioned above, more than 64,000 km of mid-ocean ridges have - so far - been mapped around mid-ocean rift valleys. These oceanic ridges are basically composed of volcanic basaltic rocks that have been pouring out from the oceanic rift zones (at temperatures of about 1000°C or even more). Such intensive oceanic volcanicity builds up the mid-oceanic ridges and spreads them out laterally, by the phenomenon known as sea-floor spreading. As they are constantly fed by fresh basaltic flows, new slabs of the oceanic crust are built on both sides of the rift zones. Mid-oceanic volcanism evolves from fissure volcanism that emanates from the mid-oceanic rift systems where the oceanic crust is rifted and the opposite sides of the rift zone are pushed aside by the emanating magma. Basaltic flows and eruptions, fed from elongated secondary magma chambers below the

centre of the mid-oceanic ridge, pour out along the ridge axis. Sea-floor basalts from the surface of the oceanic crust, (which is about 7km thick on the average) normally consists of:

- |     |    |                              |           |
|-----|----|------------------------------|-----------|
| 0-1 | km | of sediments                 | (top)     |
| 1   | km | of pillow lava basalts       |           |
| 5   | km | of gabbro sills fed by dikes | (bottom). |

Post-eruptive phenomena that can result from interaction of phreatic waters with buried hot rocks include the following (cf. Emiliani, C., 1992, p 203):

- 1- Hot springs, which are formed when phreatic water is heated and mineralised in contact with hot rocks.
- 2- Geysers, which are periodic eruptions of boiling hot water (200°C or even more) due to circulation with superheated waters at depth which are in direct or indirect contact with hot rocks (1000°C or even more).
- 3- Fumaroles, which are gaseous exhalations of water vapour enriched with SO<sub>2</sub>, H<sub>2</sub>, HCl, and HF (in order of abundance).
- 4- Solfataras, which are fumaroles rich in sulfur compounds.

Most of the current volcanic activity at the bottoms of seas and oceans has been going on for the past 20-30 million years, although some have persisted in their activity for 100 million years or even more (e.g. the Canary Islands). During such long periods of activity, the formed volcanic cones were gradually carried away for several hundred kilometres from the constantly renewed plate edge. Consequently, such drifting volcanic cones became out of reach of the magma body that used to feed them, hence, these faded out and died. The current floor of the Pacific Ocean contains a great number of submerged, subdued volcanic craters (guyots), besides a large number of violently active volcanoes (e.g. the Ring of Fire).

From the above mentioned discussion it emerges that all seas and oceans that are currently experiencing sea-floor spreading are physically set on fire, while closing seas are not. Such fire on the sea bed is in the form of very hot basaltic flows and other magmatic extrusions pouring out from the rift valley systems that rupture the Earth's lithosphere. Such rifts run for tens of thousands of kilometres across the globe, in all directions, to a depth of 65-150 km where it connects the sea bed with the extremely hot plastic, semi- molten (asthenosphere) hence cause such seas to be physically set on fire.

This most striking fact of our planet was not known until the very late sixties and early seventies of the twentieth century. The explicit Qur'anic mention with such a very striking, but deeply hidden fact of our seas and oceans is a clear testimony that this Glorious Book is the word of The Creator, in its Divine Purity.

### ***C- THE MOUNTAINS CREATED AS PEGS (OR PICKETS):***

The illustrious Qur'an reads:

" Have We not made the Earth as a levelled expanse \* and the mountains as pegs\* " (LXXVIII: 6,7).

Here, I shall comment on the second of these two verses (verse #7 only, despite the great geologic importance of the preceding verse (#6) which will be treated in another paper. The description of mountains as pegs (or pickets) clearly implies that such striking geomorphic features are not just the lofty elevations that are seen on the surface of the Earth (as most current glossaries and encyclopaedias define them), but their downward extensions in the Earth's lithosphere is highly emphasized. In as much as most of the picket (or peg) is hidden in either soil or rock and its function is

to hold one end of the tent to the ground surface, modern Earth Sciences have just proved that mountains possess very deep roots that stabilize lithospheric plates as well as the whole planet. What we see of mountains above the ground surface is nothing but the tops of great masses of rocks that penetrate the lithosphere and float in a more dense substratum (the asthenosphere) as icebergs float in oceanic water. Mountains have downward extensions below the ground surface that are 10-15 times their outward elevations (depending on the average density of the rocks of which the mountain is formed and that of the material in which its root is immersed).

A mountain mass with an average specific gravity of 2.7 (that of granite) can sink into a layer of plastic simatic rock (with an average specific gravity of 3.0) until the range is floating with a submerged part (or root) of about nine-tenths, and a protrusion of one tenth its total length. Thus, we can see that by one word (awtad = pegs or pickets) the Holy Qur'an describes both the outward lofty elevations of mountains, their very deep, downward extensions (to much greater depths than their elevations) and their function as a means of fixation for the whole planet as well as for its lithospheric plates.

The term "picket" or "peg" which is used by the Holy Qur'an to describe mountains, is both literally and scientifically more precise than the term "root" which is currently used to describe the hidden, downward extensions of mountains.

The fact that mountains have deep downward extensions below the ground surface and that their main role is to stabilize the Earth as a planet, and its outer rocky cover (particularly that constitutes continental plates) have only been discerned by the specialists veiy recently, although scientists have

pondered over the possibility of mountains having roots as early as the second half of the nineteenth century. However, the process of formation of such downward extensions as well as their role in halting the sudden, jerky movements of the planet and of its lithospheric plates have only begun to be understood in the framework of modern astronomy and of the very recent concept of plate tectonics (late 1960s and early 1970s).

The description of the Holy Qur'an some 14 centuries ago in branding mountains as pegs (or pickets and in defining their main role as "stabilizers for the Earth, lest it should shake with us" is a clear testimony that the Qur'an is the word of the Creator, and that Mohammad (PBUH) is His final messenger.

#### ***D - THE MOUNTAINS AS STABILIZERS FOR THE EARTH:***

The Holy Qur'an reads:

"And by the mountains He (Allah) has stabilized it (the Earth)\*, as a matter of convenience for you (mankind) and for your cattle\* (LXXIX:32, 33).

In these two Qur'anic verses it is explicitly stated that the stabilization of the Earth by means of its mountains was a specific stage in the long process of the creation of our planet and still is a very important factor in making that planet suitable for living. Now, the following question arises: how can mountains function as means of fixation for the Earth?

As mentioned above, the lithosphere (the outer rocky cover of the Earth , which is 65- 70 km thick under the oceans and 100-150 km thick under the continents) is broken up by deep rift systems into separate plates that vary greatly in both dimensions and shape. Each of these rigid, outer rocky covers of the Earth floats on the semi-molten, plastic, weak zone of

the Earth's mantle (the asthenosphere) and move freely away from, towards or past adjacent plates. At the diverging boundary of each plate, molten magma rises and solidifies to form strips of new ocean floor, and at the opposite boundary (the converging boundary) the plate dives (subducts) underneath the adjacent plate to be gradually consumed in the underlying asthenosphere, at exactly the same rate of sea-floor spreading on the opposite boundary. An ideal, rectangular, lithospheric plate would thus have one edge growing at a mid-oceanic rift zone (diverging boundary), the opposite edge being consumed into the asthenosphere, under the over-riding plate (converging or subduction boundary) and the other two edges sliding past the adjacent plates along transform faults (transcurrent or transform fault boundaries, sliding or gliding boundaries). In this way, the lithospheric plates are constantly shifting their positions on the surface of the Earth, despite their rigidity, and as they are carrying continents with them, such continents are also constantly drifting away or towards each other. As a plate is forced under another plate and gets gradually consumed by melting, magmatic activity is set into motion. More viscous magmas are intruded, while lighter and more fluid ones are extruded to form island arcs that eventually grow into continents, are plastered to the margins of nearby continents or are squeezed between two colliding continents. Traces of what is believed to have been former island arcs are now detected along the margins and in the interiors of many of today's continents.

The processes of both divergence and convergence of lithospheric plates are not only confined to ocean basins, but are also active within continents and along their margins. This can be demonstrated, by both the Red Sea and the Gulf of California troughs which are extensions of oceanic rifts and are currently widening at the rate of 3cm/year in the former case and 6cm/year

in the latter. Again, the collision of the Indian Plate with the Eurasian Plate (which is a valid example of continent/continent collision after the consumption of the oceanic plate which was separating them) has resulted in the formation of the Himalayan Chain, with the highest peaks currently found on the surface of the Earth.

Earthquakes are common at all plates boundaries (text but are most abundant and most destructive along the collisional ones). Throughout the length of the divergent plate boundary, earthquakes are mostly shallow seated, but along the subduction zones, these come from shallow, intermediate and deep foci (down to a depth of 700 km), accompanying the downward movement of the subducting plate below the over-riding one. Seismic events also take place at the plates transcurrent fault boundaries where it slides past the adjacent plates along transform faults. Plate movements along such fault planes do not occur continuously, but in instituted, sudden jerks, which release accumulated strain.

Moreover, it has to be mentioned that both the pattern and the speed of movement of lithospheric plates vary from one case to another. Where the plates are rapidly diverging, the extruding lava in the plane of divergence spreads out over a wide expanse of the ocean bottom and heaps up to form a deeply rifted, broad mid-oceanic ridge, with gradually sloping sides (e.g. the East Pacific Rise). Contrary to this, slow divergence of plates gives time for the erupting lava flows to accumulate in much higher heaps, with steep sides (e.g. the Mid-Atlantic Ridge). The rates of plate movements away from their respective spreading axes (rift zones) can be easily calculated by measuring the distances of each pair of magnetic anomaly strips on both sides of the axial plane of spreading. Such strips can be easily identified and dated, the distance of each from its spreading axial plane can be measured, hence the average spreading rate can be calculated (test fig. 9).

Spreading rates at mid-oceanic ridges are usually given as half-rates, while plate velocities at trenches are full rates. This is simply because the rate at which one litho spheric plate moves away from its spreading centre represents half the movement at that centre as the full spreading rate is the velocity differential between the two diverging plates which were separated at the axial plane of spreading (the mid- oceanic ridge rift or its axial plane of rifting).

In studying the pattern of motion of plates and plate boundaries, nothing is fixed, as all velocities are relative. Spreading rates vary from about 1cm/year in the Arctic

Ocean, to about 18cm/year in the Pacific Ocean, with the average being 4-5cm/year.

Apparently, the Pacific Ocean is now spreading almost ten times faster than the Atlantic (c.f Dott and Batten, 1988, p. 167).

Rates of convergence between plates at oceanic trenches or at mountain belts can be computed by vector addition of known plate rotations (c.f Le Pichon, 1968). These can be as high as 9cm/year at oceanic trenches and 6cm/year along mountain belts (Le Pichon, op. cit.). Rates of slip along the transform fault boundaries of the lithospheric plates can also be calculated, once the rates of plate rotation are known.

Both the patterns of magnetic anomaly strips and the sediment thicknesses on top of such strips suggest that the spreading patterns and velocities of oceanic lithospheric plates have been different in the past, and that the volcanic activity along mid-oceanic ridges varies in both space and time. Consequently such ridges appear, migrate and disappear with time.



Spreading from the Mid-Atlantic rift zone began between 200 and 150 MYBP\* from the north-western Indian Ocean rift zone between 100 and 80 MYBP, while both Australia and Antarctica did not separate until 65 MYBP (cf Dott and Batten, bc. Cit).

In as much as volcanoes abound at divergent boundaries under the sea, such eruptive features are also abundant on land. Most of the current oceanic volcanoes have been active for a period of 20-30 million years or even more (e.g. the Canary Islands). During such long periods of activity, older volcanoes were gradually carried away from the rift zone by sea-floor spreading until they became out of reach of the magma body that used to feed them hence these faded out gradually and died. The floor of the present day Pacific Ocean is spudded with a large number of submerged, non- eruptive (dead) volcanic cones (guyots) that are believed to have come into being by a similar process.

Continental orogenic belts are the result of plate boundary interaction, which can take place between oceanic and continental lithospheric plates and reaches its climax when two continents come into collision, after consuming the ocean floor that used to separate them. Such continent/continent collision results in the scraping off of all sediments and sedimentary rocks, as well as all volcanic rocks that have accumulated on the ocean floor, squeezing them between the two colliding continents, crumpling them considerably in the form of mountains. This is immediately followed by the cessation of movement for the two colliding continental plates which become welded together, with considerable crustal shortening (in the form of giant thrusts and infrastructural nappes) and considerable crustal thickening (in the form of the decoupling of the two lithospheric

plates as well as their penetration by the deep downward extensions of the mountain chains then formed). Such downward extensions of the mountains are commonly known as "mountain roots" and are several times their protrusion above the ground surface. These deep roots stabilize the continental masses (or plates), as plate motions are almost completely halted by their formation, especially when the mountain mass is finally entrapped within a continent as an old craton.

Again, the notion of a plastic layer (asthenosphere) directly below the outer rocky cover of the Earth (lithosphere) makes it possible to understand why the continents are elevated above the oceanic basins, why the crust beneath them is much thicker (30-40 km) than it is beneath the oceans (5-8 km) and why the thickness of the continental plates (100-150km) is much greater than that of the oceanic plates (65-70 km). This is simply because of the fact that the less dense lithosphere (about 2.7 to 2.9 gm/cm<sup>3</sup>) is believed to float on top of the denser, and more easily deformed, plastic asthenosphere (>3.5gm/cm<sup>3</sup>) in exactly the same way an iceberg floats in the oceanic waters.

In as much as mountains have very deep roots, all other elevated regions such as plateaus and continents must have corresponding (although much shallower) roots, extending downward into the asthenosphere. In other words, the entire lithosphere is floating above the plastic or semi-plastic asthenosphere, and its elevated structures are held steadily by their downwardly plunging roots (text-fig. 10).

Lithospheric plates move about along the surface of the Earth in response to the way in which heat flows arrive at the base of the lithosphere (text-fig. 11), aided by both the rotation and the wobbling of the Earth around its own axis. There is enough geologic evidence to support the fact that both

processes have been much more active in the distant geologic past, slowing gradually with time. Consequently, it is believed that plate movement have operated much more rapidly in the early stages of the creation of the Earth and have been steadily slowing down with the steady building up of mountains and the accretion of continents. This slowing down of plate movements may also have been aided by a steady slowing down in the speed of the Earth's rotation around its own axis (due to the operating influence of tides which is attributed to the gravitational pull of both the sun and the moon). This steady slowing down of plate movement could also have been aided by a steady decrease in the amount of heat arriving from the interior of the Earth towards its surface as a result of the continued consumption of the source of such heat flows which is believed to be the decay of radioactive elements.

The above mentioned discussion clearly indicates that one of the basic functions of the mountains on land is its role in stabilizing continental masses lest these might shake and jerk, making life virtually impossible on the surface of our planet.

This fact is stressed in the following ten Qur'anic verses:

[XXI:19; XXVII:15; XXI:15; XXI:31; XXVII:61; XXXI XLI:10; L:7; LXXVII:25-27; and LXXIX:32-33].

These verses also indicate that the outer rocky cover of the earth has been spreading out and accreting since the early phases of creation of the earth, through intensive volcanic activity. Through such activity both the atmosphere and the hydrosphere of the earth have been outgassed, its lithosphere has been built and rifted into separate plates, its lithospheric plates have been set in constant movement and mountain building (orogenesis) has been progressing to halt such movement and stabilize the

lithospheric plates as well as the whole planet. The stabilization of lithospheric plates by mountains is effected by their sinking deeply into the zone of weakness of the Earth (the asthenosphere) as wooden pegs sink into the ground to stabilize the corners of a tent. Such process of stabilization cannot take place without the presence of a viscous, plastic material under the outer rocky cover of the Earth, into which the mountains' "roots" can float. In as much as the ship casts its anchor into the anchorage of a port to avoid the dangers of rolling and swaying by winds and waves, the Glorious Qur'an uses the term "Rawasi" (moorings or firm anchors) to describe mountains. Such firm anchors not only stabilize the lithospheric plates, but also the whole planet in its spinning around its own axis (nutation, recession, etc).

The Quranic foretelling of these facts more than 14 centuries ago is a clear testimony of the fact that this Noble Book is the word of the Creator in its Divine purity and that Prophet Mohammad (PBUH) is His final messenger. In an authentic saying, this noble Prophet is quoted to have said that: "When Allah created the Earth it started to shake and jerk, then Allah stabilized it by the mountains". This unlettered Prophet lived at a time (between 570 and 632 C. B.) when no other man was aware of such facts, which only started to unfold by the beginning of the twentieth century, and was not finally formulated until towards the very end of this century.

#### **E - THE DESCENT OF IRON FROM OUTER SPACE [THE CELESTIAL (EXTRA-TERRESTRIAL) ORIGIN OF IRON]**

The Glorious Qur'an contains a distinct "Surah" (Chapter) entitled "Al-Hadeed" (= The Iron) which emphasizes in one of its verses (Verse #25) the following two facts:

1- That iron was sent down to Earth i.e. it is of a celestial (extra-terrestrial) origin, and

2- That iron is mighty strong and has many benefits for mankind. This Qur'anic verse reads:

"... and We (Allah) sent down iron wherein there is mighty strength and many benefits for mankind...\*) (LVII:25).

We now know that iron is the most abundant element in the total composition of the Earth (>35% of its total mass) and the fourth abundant element in its crust (5.6%). This observation has led to the logical conclusion that the majority of the Earth's iron must be hidden below its crust (i.e. within both its cores and mantles). If this is the case , how could this element be sent down to Earth as stated in the above mentioned Qur'anic verse? And how could it have penetrated from the outer crust of the Earth to its inner zones of mantle and core?

To answer these questions, the Earth must be treated as part of the total cosmos from which it was separated, not merely as an isolated entity. In this context, recent cosmological discoveries have proved that

1- Hydrogen (the simplest and the lightest known element) is by far the most abundant element in the observed universe.

2- This predominant, universal hydrogen is followed in abundance by helium (the second in the periodic table of elements) which is less abundant than hydrogen by a factor often.

3- These two, simple nuclei of hydrogen and helium constitute the greatest percentage of the observed universe, while heavier elements are only represented by traces that do not exceed 1-2% of its total mass, and are locally concentrated in certain heavenly bodies.

These fundamental discoveries have led to the important conclusion that hydrogen nuclei are the basic building blocks from which all the other elements were and are currently being created by the process of nuclear fusion. This process (of the nucleosynthesis of elements by nuclear fusion) is self-sustaining, highly exothermic (i.e. releases excessively large quantities of energy) and is the source of the very hot and glowing nature of all stars. Nuclear Fusion within our sun mainly produces helium, with a very limited number of slightly heavier elements. The percentage of iron in the sun is estimated to be in the order of 0.0037%. Knowing that the Earth as well as all other planets and satellites in our solar system were actually separated from the sun, which does not generate iron, another question was raised: Where had the immense quantity of iron in our Earth come from?

Our sun is a modest star, with a surface temperature of 6,000°C, and an inner core temperature of about 15,000,000°C. Such figures are far below the calculated temperatures for the production of iron by the process of nuclear fusion (which exceeds  $5 \times 10^8$  K). Consequently, other sources much hotter than the sun were sought for as possible sites for the generation of iron in the observed universe. One of the suggested sources of excessive heat was the "Big Bang" explosion of the initial singularity from which our universe was created (cf. Bott, 1982). However all speculations about this event suggest that shortly after the "Big Bang" matter was in such an elementary stage that only hydrogen and helium (with possible traces of lithium) could have been generated. Again, if any traces of iron were produced at that stage, iron would have been more evenly distributed in the observed universe, which is not the case.

One second after the “Big Bang”, the temperature of the early universe is calculated to have been in the range of ten billion degrees Celsius. At this stage, the early universe is visualized to have been in the form of a steadily expanding, huge cloud of smoke, mainly composed of elementary forms of both matter and energy such as neutrons, protons, electrons, positrons (anti — electrons), photons and neutrinos. Radiations in the form of photons from this very hot early stage of the universe had been predicted by Gamow and others (1948) to be still in existence around the observed universe, coming from all directions with equal intensity. This prediction was later proved to be true by both Peuzias and Wilson (1965) through their discovery of the cosmic microwave background radiation coming from all directions in the observed universe with equal intensity, together with a remnant temperature reduced to only a few degrees above the absolute zero (- 273°C).

During the first three minutes of the history of our universe, the neutrons are believed to have either decayed into protons and electrons, or combined with other neutrons to produce deuterium (or heavy hydrogen), which could combine to form helium. In its turn, helium nuclei could partly fuse to produce traces of lithium (the third element in the periodic table), but nothing heavier than this element is believed to have been generated as a result of the “Big Bang” explosion (cf. Weinberg, 1988; Hawking, 1990; etc.). Consequently, all of the universal hydrogen and most of the helium are believed to have been created immediately after the “Big Bang”, while the rest of the universal helium is believed to have been steadily generated from the burning of hydrogen in the interiors of “Main-Sequence Stars” like our Sun. After the “Big Bang” explosion gravitation is believed to have

pulled together clouds of smoke to form giant clusters of matter. Continued contraction of these eventually increased their temperature due to the interaction of colliding particles and the pressures created by the large gravitational attraction. As the temperature approached 15 million degrees Celsius, the electrons in the formed atoms were ripped off to create a plasma state. Continued contraction proceeded until the particles in the plasma moved with such high velocities that they began to fuse hydrogen into helium, producing stars with enough energy to generate an outward push (pressure) that reached equilibrium with the inward pull of gravity.

Most recently, elements heavier than lithium have been proved to be currently synthesized by the process of nuclear fusion in the cores of massive stars (at least ten times the mass of our sun) during their late stages of development. Such massive stars are seen burning helium to carbon, oxygen, silicon, sulphur, and finally into iron. When elements of the iron group are produced, the process of nuclear fusion cannot proceed any further. Elements heavier than iron (and its group of elements) are believed to have been created in the outer envelopes of supergiant stars or during the explosion of novae in the form of supernovae.

Consequently, it has been proved that stars are cosmic ovens in which most of the known elements are created from hydrogen and helium by the process of nuclear fusion. At the same time the staggering energy of stars comes from this process of intra-stellar nucleosynthesis of elements, which involves the combining of light elements into heavier ones by nuclear fusion (nuclear burning). This process requires a high speed collision which can only be achieved at very high temperatures. The minimum temperature required for the fusion of hydrogen into helium is calculated to be in the range of 5, 000, 000°C. With the increase in the atomic weight of the



element produced by nuclear fusion, this temperature increases steadily to several billions of the degrees. For example, the nuclear fusion of hydrogen into carbon requires a temperature of about one billion degrees Celsius.

Burning (fusing) hydrogen into helium occurs during most of the stars' lifetime. After the hydrogen in the star's core is exhausted (i.e. fused to helium), the star either changes into a Red Giant then into a dwarf or changes into a Red Supergiant, then into a Nova, when it starts to burn helium, fusing it into progressively heavier elements (depending on its initial mass) until the iron group is reached. Up to this point, the process of nucleosynthesis of elements is highly exothermic (i.e. releases excessive quantities of energy), but the formation of the iron group elements and of elements heavier than this group is highly endothermic (i.e. requires the input of excessive quantities of energy). The explosions of Novae in the form of Supernovae result from the exhaustion of the fuel supplies in the cores of such massive stars and the burning of all elements there into the iron group. Heavier nuclei are thought to be formed during the explosions of the Supernovae.

The nucleosynthesis of the iron group of elements in the inner cores of massive stars such as the Novae is the final stage of the process of nuclear fusion. Once this stage is reached, the nova explodes in the form of a supernova, shattering its iron core to pieces that fly into the universal space, providing other celestial bodies with their requisite iron. With this analysis the celestial (extra-terrestrial) origin of iron in both our Earth and the rest of the solar system is confirmed (cf Weinberg, 1988; Hawking, 1990; etc).

***NUCLEOSYNTHESES OF ELEMENTS AND THE  
EVOLUTIONARY DEVELOPMENT OF STARS AS A  
SUPPORTING EVIDENCE FOR THE EXTRA***

***- TERRESTRIAL ORIGIN OF IRON:***

The nucleosynthesis of elements takes place in the inner cores of stars according to their initial masses as well as to how much mass they lose along the way of their development. This has been proved by following the thermonuclear reactions in the cores of the Main Sequence-Stars", as follows:

A "Main Sequence Star" with an initial mass close to that of our sun starts with the fusion of its hydrogen nuclei to produce helium. Then the gradual increase in the amount of the produced helium nuclei pushes the remaining, non-fused hydrogen nuclei outwardly in the form of a burning hydrogen front around a helium core. In this core, gravity dominates over the outward pressure, leading to the further contraction of the helium nuclei and the further expansion of the outward, burning hydrogen front, and hence this "Main Sequence Star" changes into what is known as a "Red Giant". Further contraction of the "Red Giant's" helium core and expansion of its outer burning front, will cause a mild core collapse and eventually will lead to the depletion of its mass to about 20% of the original mass, changing it into what is known as a "White Dwarf" (the size of the Earth but the mass of the sun). With subsequent slow gravitational contraction, shrinking, cooling and dimming, the "White Dwarf" changes into what is described as a "Brown Dwarf" or a "Black Dwarf". This process of core collapse, gradual shrinking, cooling and darkening is the natural result of a winning inward pull of gravity over a decreasing outward push of the fusion process due to the consumption of its hydrogen fuel.

Similar to the light stars, massive “Main Sequence Stars” (ten or more times the mass of our sun) also pass by the “Red Giant” phase (where they are described as “Red Supergiants”, but they have a quite different evolutionary path. Shrinking of the helium core of a “Red Supergiant” creates greater forces that restart its nuclear fusion, with a much larger gravitational pull to the centre of the core (due to its greater mass) and much more active internal collisions. The combined effect of contraction and collision results in tremendously high temperatures capable of the gradual generation of progressively heavier atomic nuclei such as carbon, oxygen, silicon and iron through the process of nuclear fusion. A mature massive star will have an iron core surrounded outwardly by shells of silicon, oxygen, carbon, helium and hydrogen. When the “Red Supergiant’s” core is changed into carbon, excessive quantities of energy are released, and these lead to the outward push of a second burning front of helium towards the first and enveloping hydrogen front.

With the following contraction of the carbon core, its temperature rises excessively to allow the fusion of the carbon nuclei into a chain process that passes by magnesium, followed by aluminium, then silicon.

The silicon core changes gradually into heavier nuclei during similar episodes of contraction of the core and expansion of the surrounding fronts, releasing more energy and changing the “Red Supergiant” into a “Nova”, where iron starts to form. The generation of iron in the core of the “Nova” starts to consume its energy, because the fusion of silicon into iron is highly endothermic (i.e. consumes excessive quantities of energy). As the core of the “Nova” changes into iron, it explodes in the form of a “Supernova”,

ejecting its gaseous envelopes and shattering its core to pieces that fly out into space to reach other celestial bodies that need iron. During its space journey, iron may fuse with one or more of the elementary particles that fill the universe to form heavier nuclei.

When the core of the “Red Supergiant” becomes eventually changed into iron (and its group of elements) the process of nuclear fusion will cease to function since the nuclear structure of iron does not allow its fusion to heavier elements as this fusion requires the input of excessive quantities of energy. With the cessation of the process of nuclear fusion, the outward pressure of the “Red Supergiant” will vanish, and it will immediately go through a process of rapid gravitational collapse (in less than a second) which will lead to the rising of its temperature to 100 billion degrees Celsius and hence described as a “Nova”. Since the nucleons (protons and neutrons) present in this collapsing star are being forced very close together, they create a tremendous repulsion of the positively charged nuclei from one another. This repulsion causes the star’s core to recoil into an unimaginable and immeasurable explosion which is known as a “Supernova”. Fragments released from this explosion fly out into space to eventually form new stars, planets and other celestial bodies. The nuclei of isotopes with masses heavier than those of the iron group of elements are believed to be produced and distributed throughout the universe by such explosions, which put the processed stellar materials back into the interstellar medium for the next generation of stars to use. In a supernova explosion, neutrons bombard nuclei and build up very heavy elements such as gold, uranium, etc.

Some of the remaining cores of the very largest types of the “Red Supergiants” can form “Neutron Stars” if the intense pressure from the gravitational attraction can result in a fast core collapse that forces electrons to combine with or be assimilated into nearby protons, forming neutrons. Such “Neutron Stars” can either be non pulsating or pulsating (Pulsars).

Another possibility for the heaviest cores of exploding supernovae is their very fast core collapse with so much gravitational attraction and escape velocity that even light cannot be liberated from their immeasurable gravitational pulls, hence these disappear as “Black Holes”. Black Holes are produced when the mass of the core of the Red Supergiant is greater than 4 times the mass of the sun. In this case, even nuclear “pressure” cannot halt the collapse of the core, and gravity ends it into a Black Hole.

An ACE (Advanced Composition Explorer) spacecraft was launched in August, 1997 to detect many of the heavier isotopes which have been originated and are currently generated during the formation, evolution and subsequent explosion of stars. The comparative number of different isotopes found in any galaxy is believed to be related to the life cycle of the massive stars in that galaxy. The chemical composition of our Earth and of the rest of our solar system, of the whole galaxy, and indeed of the observed universe at large, has been changing and rearranging throughout the billions of years since their creation.

These very recent discoveries have led to the logical conclusion that on separation from the sun, the primitive Earth was no more than a heap of ash, containing nothing heavier than the elements aluminium and silicon. Then, this heap of ash was bombarded by a great shower of iron meteorites.

This bombardment caused the heap of ash to heat up rapidly by the heat of settlement of the impacting bodies and their trapping energy, by gravity compression and by the excessive heat emanation from the decaying of their accompanying radioactive elements.

As the temperature of the primitive Earth exceeded the melting point of iron (2000°C), this and other heavy elements such as nickel started to melt, developing megadrops that penetrated the heap of ash, reaching its centre to form its mainly iron - nickel core. This process has changed the primitive Earth from a more or less homogeneous heap of ash to a distinctly zoned body of seven earths established on the basis of seismological data as follows.

1-An inner solid core with great density (10 - 13.5 gm/cm and a radius of 1170km, being mainly composed of iron and nickel, with minor quantities of lighter elements such as sulphur.

2-An outer molten core of a similar composition, with a thickness of 2300km (from the depth of 2900km to the depth of 5200km). Both the inner and outer cores of the Earth constitute about 31% of its total mass.

3-6 - Four layers of mantle, separating the Earth's core from its crust (from an average depth of about 20km to a depth of 2900km)and constituting about 68% of the total mass of the Earth. These mantle layers are in the form of four shells about 28 80km thick, extending from the base of the Earth's crust (the Mohorovicic Discontinuity or the Moho) to the upper limit of the molten outer core. These shells are composed of hot, solid rocks, which under excessive pressures exhibit the ability to flow.

7- The Earth's crust constituting about 1% of its total mass with an average thickness of 20km (about 5km for the oceanic crust and 35km for the continental crust, which greatly thickens under high mountains), being mainly composed of light silicates with relatively low melting points.

This differentiation of the Earth's material represents the most significant event in the history of our planet, without which it could have never been inhabitable. It led to the formation of its distinctive zones, with an outer rocky cover (lithosphere), the eventual rifting of the lithosphere and the onset of the dynamism of the Earth in the form of plate tectonics and the mountains' building movements. With the onset of the Earth's dynamism, continents were formed, both the atmosphere and the hydrosphere of the Earth were outgassed from within its interior and lithospheric plates were progressively stabilized by the building of mountains.

The above-mentioned discussion proves beyond doubt the celestial (extra-terrestrial and extra-solar) origin of iron in our solar system. This fact is further substantiated by the calculated energy for the production of one single atom of iron which is about four times the total energy of the entire solar system.

In view of the fact that such knowledge is only a few decades old, and that the Glorious Qur'an was revealed more than fourteen centuries ago, the precedence of this Noble Book with the explicit assertion that iron was physically sent down to Earth is one of the multifarious miraculous aspects of this Holy Book and a living testimony for both its Divine purity and the authentic messengerhood of Prophet Mohammad (PBTJH) who received such Divine revelation.

The Qur'anic account of the celestial origin of iron is coupled by another miraculous aspect which is represented by the fact that the number of both the Qur'anic chapter on iron and of the verse that mentions this element in the same chapter precisely correspond to both the atomic weight (55.847 or roughly 56) and the atomic number (26) of iron, respectively.

Indeed the number of Surat Al-Hadeed (the Qur'anic Chapter on Iron) is "57" and the number of the verse is "25", but the Qur'an in its text (XV:57) separates its introduction) Surat Al-Fatihah or the Opening) from the rest of the Book, and considers the "Basmalah" (In the Name of Allah, The Most Gracious, The Most Merciful) as a Qur'anic verse at the beginning of this Surat (al-Fatihah) and of every other Qur'anic surah where it is mentioned. Taking this Qur'anic direction into consideration, the number of Surat Al-Hadeed becomes "56" which is the closest figure to the atomic weight of iron (55.847), and the number of the verse becomes "26" which is the exact atomic number of iron. The existence of an iron isotope with the atomic weight of 57 also fits very well with the current numbering of the chapter on iron in the Holy Qur'an. The iron (57) isotope is a direct product of the process of radioactive decay of cobalt (57), while the iron (56) isotope can be a direct product of the radioactive decay of cobalt (56) isotope.

As to the mighty strength of iron which the Qur'anic verse describes, we understand this now by the fact that iron is the most stable element. It has got the highest binding energy per nucleon and hence is the most stable of all nuclei because it has the most strongly bound nucleus and the highest magnetic properties among all known elements. Iron is resistant to atmospheric corrosion, its melting point is (K3023°) and its boiling point is (K) 3 023° and it has a density of 7874 kg/m at 293° K. We need excessive quantities of energy to fuse silicon nuclei into iron or to split up the iron nucleus or to add to it. For elements lighter than iron, nuclear fusion releases energy, but for elements heavier than iron only fission can release energy. Enough to mention that the process of nuclear fusion in the cores of massive stars ends at the production of iron, so much so that astronomers



of today claim that the universe is slowly turning to iron. Such unique qualities of iron are reflected in numerous other physical and chemical characteristics that are beyond the scope of this paper.

As to its many benefits to mankind, iron has a vital role in making the Earth inhabitable. The great mass of iron in both the core and the mantle of the Earth contributes enormously to the generation of the gravitational force of our planet (g). The constant value of this force is essential for holding the Earth's atmosphere, hydrosphere and biosphere. It also maintains for the Earth an optimum distance from the sun which is essential for life in general, and for many geological processes to take place such as the water-cycles, oxygen-cycles and carbon dioxide-cycles, which are also essential for making our planet inhabitable.

Iron is also an important constituent of both human and many animals' blood, of all living tissues of plants, animals and human beings. In all green plants, iron is an important constituent of the chloroplasts which carry out the function of chlorophyll production. Besides being a vital process for the life of plants, of both herbivorous and omnivorous animals as well as of all human beings, this process is the only means of storing the solar energy in the form of chemical bonds that link chemical compounds together in all forms of living tissues. These chemical bonds are the original sources of all forms of energy in living beings as well as in many recent and fossil forms of fuels.

Iron is a highly malleable, tough, silver gray and magnetic metal. It is the second most abundant metal and the fourth most abundant element in the Earth's crust. It has got very many uses such as the production of structural steels, alloys, magnets, dyes, pigments, inks, blueprint papers, abrasives and the production of hemoglobin, to mention only a few.

**SUMMARY AND CONCLUSIONS**

The above mentioned five examples of Qur'anic verses mentioning "the Earth" include the basic foundations of two of the most recently established concepts in Earth Sciences, namely the celestial (extra-terrestrial) and extra-solar origin of iron in our Earth, which is explicitly mentioned in the Glorious Qur'an (LVII:25) and Plate Tectonics. These two concepts were only formulated in the late decades of this century, while the Noble Qur'an was revealed more than 14 centuries ago. The first concept is established on the basis of the fact that iron (and its group of elements) are only synthesized in the cores of massive stars (at least ten times the mass of our sun) and during their latest stages of development. Once these stages are reached, these massive stars explode, shattering their iron cores to pieces that fly into the universal space, providing other celestial bodies with their much needed iron. This fact is further substantiated by the calculated energy for the production of one single atom of iron which is about four times the total energy of the entire solar system. The second concept is based on the following:

- A. That the outer rocky layer of the Earth is deeply faulted, and this is explicitly mentioned in the Qur'anic verse (LXIXXVI:12).
- B. That hot lava flows pour out from such deep faults particularly in the middle parts of certain seas and oceans, and this is clearly implied in the Qur'anic verse (LII:6).
- C. That the flow of such lavas can cause the surface of the Earth to shake and jerk, can lead to the movement of these faulted blocks and the formation of trenches in which deep roots of the mountains are formed. This is implied by both the verses (LXXVI: 12 and LXXVII:7).

D. That these sudden, jerky movements of the continental plates are halted by the formation of mountains and this is clearly emphasized in the verse (LXXIX:32) as well as in many other Qur'anic verses such as (XTII:3; XV:19; XVI:15; XIX:31; XXVII:61; XXXI:30; XL:10; L:7; LXXVII:27; LXXIX:32)

The fact about mountain roots started to unfold only in the middle of the nineteenth century, more than 12 centuries after the revelation of the Holy Qur'an, when George Airy (1865) came to realize that the excess mass of the mountains above sea-level is compensated by a deficiency of mass in the form of underlying roots which provide the buoyant support for the mountains. Airy (op. cit) proposed that the enormously heavy mountains are not supported by a strong rigid crust below, but that they "float" in a "sea" of dense rocks. In such a plastic, non-rigid "sea" of dense rocks, high mountains are buoyed up at depth in more or less the same way an iceberg is hydrostatically buoyed up by oceanic water displaced by the great mass of ice below the water surface. In this manner, a mountain range is isostatic in relation to the surrounding portions of the Earth's crust, or in other words, mountains are merely the tops of great masses of rocks mostly hidden below the ground surface, and floating in a more dense substratum as icebergs float in oceanic water. A mountainous mass with an average specific gravity of 2.7 (that of granite) can float into a layer of plastic simatic rock (with a specific gravity of 3.0) with a "root" of about 9/10, and a protrusion of 1/10 its total length. This ratio of mountain root to its outward elevation can sometimes go up to 15,1 depending on the difference in the average densities of both the mountain's rock composition and the chemical composition of the material in which its root is immersed.

Such observations have led to the concept of isostasy (Dutton, 1889) and have introduced the principles of gravity surveying. Again, both seismic and gravitational evidences have clearly indicated that the Earth's crust is the thickest under the highest of mountains and is the thinnest under the lowest of oceanic basins. These studies have recently proved that the shallowest parts of the oceans are situated in their middle parts (mid-oceanic ridges), while their deepest parts are adjacent to continental masses (deep oceanic trenches). Such observations could not be fully understood until the late sixties of this century when the formulation of "the concept of plate tectonics" has started to proceed apace. In this concept the outer rocky zone of the Earth (the lithosphere) is split by major rift zones into a number of slabs or plates (65-150km thick and several thousands or even millions of square km in surface area). These plates float on a denser, more plastic substratum (the asthenosphere) and hence glide above it and move across the surface of the Earth. The movements of these lithospheric plates are generated by hot plumes and convection currents rising to the bottom of such plates from within the asthenosphere and accelerated by the pouring out of lavas at their divergent boundaries (at the rift zones), as well as by the rotation of the Earth around its own axis. Consequently, the boundaries of lithospheric plates are outlined by deep fault planes and characterized by the locations of frequent earthquakes and intensive volcanic activities. Lithospheric plates are renewed at their divergent boundaries by the outpouring lavas (molten rocks) that on cooling form new ocean floors, and are consumed at their convergent boundaries (by exactly the same rate of renewal or divergence) by subducting under the adjacent plates and returning to the Earth's interior where they gradually

melt. At other boundaries, the plates simply slide past each other along transform faults. In this manner, the plates shift across the Earth's surface, creating both sea-floor spreading and continental drift.

As the litho spheric plates move across the Earth's surface, they eventually collide along their convergent boundaries, producing high mountain ranges. These act as a means of fixation for the two moving plates and hence, halt them from further shaking and jerking although earthquakes and volcanic eruptions may still be felt along the zones of collision. But once the mountainous chain has matured by reaching the stage of continent/continent collision or has been finally trapped within a continental mass it will form a stable craton, without any volcanic activity or earthquakes.

When one oceanic, lithospheric plate is forced under another and starts to melt, magma rises to form volcanic island arcs that eventually grow into continents. All continents are believed to have their origins in processes of this kind, and further collision of continent/island arcs or continent/continent can lead to the further growth of continents and to the stability of the Earth's lithosphere.

Lithospheric plates do not all travel at the same speed, and are believed to have been slowing down with time. The details of how the motion occurs are still in doubt, but two hypotheses have been put forward: convection spreading and gravity spreading, the former of which seems to be gaining more support. Lithospheric plates probably move about in response to the way in which heat flows arrive at their base. Such movement is believed to have been much faster in the geologic past, because of the faster rate of rotation of the Earth (or its spinning) around its own axis and the greater quantities of radioactive minerals that have been steadily decaying with time.

The facts that the Earth is a deeply fractured and rifled planet, and that red-hot magma flows are steadily pouring out from such rifts are among the most recent discoveries in the field of Earth Sciences. Magmatic flows at mid-oceanic rift zones result in sea-floor spreading. The piling up of mid-oceanic basaltic flows is one of the most striking phenomena of our planet where seas and oceans experiencing such activities are physically set on fire. In the case of an oceanic, lithospheric plate colliding with a continental one, the magmatic flows at mid-oceanic ridges lead to the gradual descent of the oceanic plate under the continental one. Such descent creates deep oceanic trenches in which massive accumulations of sedimentary, igneous and metamorphic rocks take place. These are finally crumbled to constitute a mountainous chain with a very deep root, which brings the movement of the two colliding plates to a big halt. The function of mountains as stabilizers for the Earth can be clearly seen in the role played by their very deep roots, which penetrate the total thickness of continental lithospheric plates (100-150km thick) and float into the underlying, dense, viscous, semi-molten asthenosphere. This is justified by the fact that the motions of lithospheric plates come to a big halt when a continent collides with another continent, consuming the oceanic lithospheric plate that used to separate them. This produces what is known as a collisional-type mountain, which is believed to represent the last phase in the process of mountain — building. Here, the thickness of the continental lithospheric plate is doubled and mountains reach both their maximum elevations and their greatest downward extensions and hence their increased capacity of fixation. Without the formation of mountains, the movements of lithospheric plates would have been much faster and their collisions much more drastic.

Again, through the process of orogenesis (mountain-building), the Earth's crust is periodically rejuvenated and continents are gradually built and accreted. New mineral wealth is added and new soils are produced (as by the elevation of mountains, weathering and erosional processes are activated). The more the mountainous chain is weathered and eroded, the more it will be isostatically elevated. This can go on until the mountain root is completely pulled out of the asthenosphere, and then erosion finally wins the battle over the mountain range as there is no more immersed part of the root to uplift the range by isostasy. The lithosphere beneath the eroded down mountain range will have the same thickness as the remainder of the continental interior to which it was plastered, which is more or less an equilibrium thickness. At this point, the old mountain system becomes a part of the stable craton, and hence, the size of the continent is gradually increased. This goes on until the continent starts to fragment by an opposite process of rifting and diverging to form two or more continental masses separated by longitudinal seas that spread gradually into oceans with time (the continent/ocean cycle).

These basic facts of our planet have only started to unfold before human knowledge since the mid-nineteenth century and were never known before or visualized in anything near the above mentioned framework until the latest decades of the twentieth century. The account of the Holy Qur'an (which was revealed more than 14 centuries ago as the last Book of Divine guidance) with explicit pointers to these facts is only one of numerous testimonies for the Divine purity of this Holy Book and for the authenticity of the messengerhood of the man who had received it through Divine revelation, Prophet Mohammad (May the Blessings and Peace of Allah (SWT) be upon him).

Prophet Mohammad (PBUH) who lived between 570 and 632 C.E. is quoted to have said that: “When Allah created the Earth, it started to shake and jerk, then Allah stabilized it by the mountains”. This unlettered Prophet was definitely educated by the Divine revelation, as no man at his time and for several centuries after that time knew anything about such geological facts. He represents the culmination of a long chain of prophets and messengers from the Creator to the created, and hence His message had to be preserved in its Divine purity and in the language of revelation, word to word and letter to letter, while all previous messages have either been completely lost or distorted.



**SELECTED REFERENCES**

- 1-Airy, G.B. (1855): "On the Computation of the effect of the attraction of mountain - masses, as disturbing the apparent astronomical latitude of stations in geodetic surveys"; Phil. Trans. Roy. Soc. Lond. Ser. B. 145: 101-104.
- 2-Ali, A. Yousuf (1934) The Holy Qur'an Text, Translation And Commentary Reprinted in 1975 by the M.S.A of the USA and Canada, 1862 pp.
- 3-American Geological Institute (1976): jctionary of Geological Terms Revised edition; Anchor Books, 472pp.
- 4-Athavale, R. N. (1973): "Inferences from recent Indian Paleomagnetic results about he Northern Margin of the Indian Plate and the Tectonic Evolution of the Himalayas"; in Tarling and Runcorn (eds): Implications of Continental Drift to the Earth Sciences, vol. 1, pp. 117-130, 2 tables, 3 figs. Academic Press, London& New York.
- 5-Beiser, A. and Krauskopf, K. B. (1975): Introduction to Earth Science McGrawhill Book Co., 359 p., illustrated.
- 6-Bird, J. M. and Dewey, J. F. (1970): "Lithospheric plate-continental margin tectonics and the evolution of the Appalachian orogen"; Geol. Amer., vol.81 'pp. 1-1060
- 7-Bouguer, P. (1749): figpr elalerre, Paris, 365 pp.
- 8-Cazeau, C. J., Hatcher, Jr., R.D. and Siemankowski, F. T. (1976): Physical and Pi Harper & Row, Publishers; 518 pp., illustrated.
- 9-Cook, F. A.; Brown, L. D. and Oliver, J.E. (1980): "the Southern Appalachians and the Growth of Continents"; Sci. Amer. (October), pp. 156-168.

- 10- Dewey, J. F. (1971): "A model for the Lower Paleozoic evolution of the southern margin of the early Caledonides of Scotland and Ireland"; Scot. J. Geol. Vol. 7, pp. 2 19-240
- 11- ..... (1972): "Plate tectonics"; Sci Amer. 226( ay pp. 56-66
- 12- ..... and Bird, J.M. (1970): "MountainBelts and the New Global Tecotonics"; J. Geophys. Res., vol. rio, 14, pp. 2625-2647, 15 figs.
- 13- Dickenson, W R (1970), "Relations of andesites, granites and derivative sandstones to arc-trench tectorucs", Rev Geophys Space Phys 8 813-860
- 14- ..... (1971). Plate tectomcs in geologic history", Science 174 113.
- 15- Dietz, R S (1961) "Continent and ocean basin evolution by spreading of the sea floor"; Nature; 190.. 584-857
- 16- ..... (1972): "Geosynclines, Mountains, and Continent Building", in Wilson, J. T. (ed.): Continents Adrift: Readjp Scientific American, pp. 124-132.
- 17- Dutton, C E (1889) "On some of the Greater Problems of Physical Geology"; Bull. Phil. Soc.Washington, vol. 11, p. 51; reprinted in J. Washington Acad. Sci., vol. 15, p 259-369, 1925; also in Bull. Natl. Res. Council.(U vol. 78, 1931.
- 18- El Naggat, Z. R. (1991): The Geological Concept Of Mountains In The Qur'an Sources of scientific knowledge: The Association of Muslim Scientists and Engineers and the International Institute of Islamic Thought, Research Monographs Series no. (3),pp. 1-83, Text — figs 1-23..
- 19- Encyclopaedia Britannica (1975): (The New Encyclopaedia Britannica in 30 volumes; Helen Hemingway Benton, Publisher

- 20- Hallam, A. (1973): *A Revolution in the Earth Sciences; From Continental Drift to Plate Tectonics* Clarendon Press-Oxford, 127pp., 45 figs.
- 21- Hamilton, W. (1969): "Mesozoic California and the under'flow of Pacific mantle"; *Bull. Geol. Soc. Amer.*, vol. 80, pp. 2409-2430
- 22- Hawking, Stephen (1988, 1989, 1990): *A Brief History of Time* Bantam books, pp. 1-198.
- 23- Hess, H. H. (1962): "History of ocean basins"; In A.] J. Engçl and others ( *Petrologic studies; a volume in honour of A. F Geol. Soc. Amer.*, New York; pp. 599-620.
- 24- ..... (1965) : "Mid-Oceanic Ridges and Tectonics of the Sea-Floor"; in Whittard, W. F. and Bradshaw, R. (eds): *Submarine Geology and Geophysics Proc. 17 Symposium Colston Res. Soc.*, London, Butterworths.
- 25- King, P. B. (1965): "Tectonics of Quaternary Time in Middle North America"; in Wright, H. E. and Frey, D. G. (eds): *The Quaternary of the United States* Princeton University Press; pp. 831-870.
- 26- Leet, L. D. and Judson, S. (1971): *Phy 4 edition; Prentice Hall, md; 687 pp, illustrated.*
- 27- Le Pichon, X. (1968): "Sea-Floor spreading and Continental drift"; *J. Geophys. Res.*, vol. 73; no. 12, pp. 3661-3697.
- 28- McKenzie, D.P. (1969): "Speculations on the consequences and causes of plate motions"; *Geop12y J. oy. Astr. Soc. vpl. i. 1-32.*
- 29- Milligan, G. C. (1977): *Ih nm Earth; McGraw-Hill Ryersqn Ltd., 706 pp., illustrated.*
- 30- Miyashiro, A. (1961): "Evolution of metamorphic belts"; j pp.277-311

- 31- ..... (1967): "Orogeny, regional metamorphism and magmatism in the Japanese islands"; Medd. Dan. G vol. 17, pp
- 32- Monkhouse, F. J. and Small, J. (1978): A Dictionary of the Natural Environment Edward Arnold, 32
- 33- Pratt, J. H. (1859) "On the attraction of the Himalayas Mountains and of the elevated regions beyond upon the plum-line in India", Phil Tr Rv Lond., Ser. B. 145: pp. 53-100
- 34- Press, F. and Siever, R. (1982): Earth; W. H. Freeman and Co., San Francisco, 613 pp, illustrated.
- 35- Thompson, G A and Talwani, M (1964) "Crustal structure from Pacific Basin to Central Nevada", J Geophys Res 69 4813-4837
- 36- Webster, A M (1971) Webster's Seventh New Collegiate Dictionary G & C Merriam Co , Publishers, USA, 1223 pp
- 37- Wilson, J T (1963) "Evidence from islands on the spreading of ocean floors", Nature 197 536
- 38- ..... (1965a): "Transform faults, oceanic ridges, and magnetic anomalies southwest of Vancouver Island", Science 150 482
- 39- ..... (1965b): "Evidence from ocean islands suggesting movement in the earth", in Masson Continental Drift edited by P M S Blackett E Bullard and S K Runcorn Phil Trans Roy Soc London A258, 145

40- ..... (1966): Did the Atlantic close and then reopen. Nature, 211, 676.

41- Weinberg, Steven (1977, 1988): The First Three Minutes Basic Books, Inc. Publishers, N. Y., p 1-198.

---

\* In each of these paired numbers, the first (or the Roman Number) indicates the number of the Qur'anic chapter (or Surah), while the second (or the Arabic Number) indicates the number of the Qur'anic verse or verses (Ayah or Ayat) in the Surah (chapter).

\* MYBP = Million Years Before Present



# المادة السوداء في منظور القرآن الكريم

أ.د أنيس الراوي  
والأستاذ رعد الخزرجي





## ١. المقدمة

أ. يقرّ العلماء المختصّين اليوم بأنّ ما نعرفه عن الكون هو القليل .. لذا نقف مبهورين أمام أيّ اكتشاف جديد في هذا الميدان .. إن الذي يجعلنا أكثر إنبهاراً .. هو الإتساع الهائل للكون وتعدد علومه المعرفيّة .. ومع ذلك فهو أكبر من أن يحيط به العقل البشري بكثير .. وقد صدق عزّ وجل بقوله تعالى :

(( .. وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا )) الإسراء : ٨٥

ب. إن محدودية العقل البشري رغم إتساعه المطرد .. ينطلق من علاقة وجود الحياة التي نعرفها بالخيوط البيئي الكوني الذي لا نعرف عنه سوى النزر اليسير .. لأننا نفهم فقط شكل الحياة الملموسة أمامنا .. أو تلك التي نلمس آثارها كمادة الكون السوداء التي أكتشفت مؤخراً" .. ونؤمن بنفس الوقت كمسلمين بما زاد عن ذلك ممّا جاء به القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة .. فما زال أمامنا الكثير الذي يتوجب علينا معرفته .. فعلى سبيل المثال يعتقد العلماء بوجود أكثر من ( ١٠٠ ) مليون شكل من أشكال الحياة في الخيوط فقط !! لم يُدرس أو يُكتشف معظمها بعد .. وماذا عن الكون الفسيح ومحتوياته ؟

ج. إن تفاعل أفكار بعض العلماء بمثل اضطراباً "مؤقتاً" مهما طال أمده ليستقر أخيراً" .. ربما بعد زمن ليس بالبعيد في مسلمة واحدة تقتضي وجود الخالق جلّ وعلا وصدق القرآن الكريم والرسالة المحمديّة المباركة .. ففي قديم الزمان كان الناس بحاجة إلى مبشّرين ومنذرين .. واليوم نجدهم بحاجة إلى الأدلّة العلميّة الملموسة لإقناعهم بهذه المسلمة ضمن إطار لغة مشتركة على أرضيّة واحدة .. هي لغة العلم الذي يتجلّى يوماً" بعد يوم مدعناً" لصدق الحقائق التي وردت في كتاب الله في القرآن الكريم وسنة رسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم .

د. لعلّ من أبرز ما توصل إليه علماء الكونيات مؤخراً" هو مادّة الكون التي أطلقوا عليها تسمية المادّة السوداء . ( Dark Matter ) التي أحدثت إنقلاباً جذرياً" في مفاهيم المعرفة الكونية .. ولنا كباحثين في مجال الإعجاز العلمي أن نتساءل .. هل ورد ذكر هذه المادّة في القرآن الكريم ؟ .. هذا ما سنعرفه من خلال هذا البحث المتواضع .. إضافة إلى معرفة تساؤلات أخرى ذات علاقة من خلال تدبّر الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة الشريفة .

## ٢ . الغاية

بيان ماهية المادة السوداء والدلائل العلمية الحديثة التي أثبتت وجودها مع بيان السبق القرآني من خلال الإشارة إلى حقيقة

وجودها .. إضافة إلى حقائق أخرى ذات علاقة .

## ٣ . نبذة تاريخية

أ. كانت المعرفة الإنسانية في الماضي معرفة سطحية ..  
غير متخصصة .. يقع معظمها ضمن إطار الفلسفة  
وقد شكّل علم الفلك جزءاً " من نسيج  
هذه المعرفة .. إلا أنه لم يخطو خطواته  
الفعلية على

الصعيد العملي إلا بعد ظهور نيقولاس  
كوبرنيكوس (١) (Nicholas



نيقولاس كوبرنيكوس<sup>(١)</sup>

ستيفن هوكنك<sup>(١)</sup> (Stephen Hawking) ومعاصريه من الباحثين المختصين في يومنا هذا .. والذين اختلفوا حول وجود المادة السوداء من عدمها .. ولم يجمعوا آرائهم إلا بعد الإستدلال اليقيني خلال فترة العقدين المنصرمين من القرن الماضي .. حين أكدوا على حتمية وجود هذه المادة في الكون الهائل الحجم .

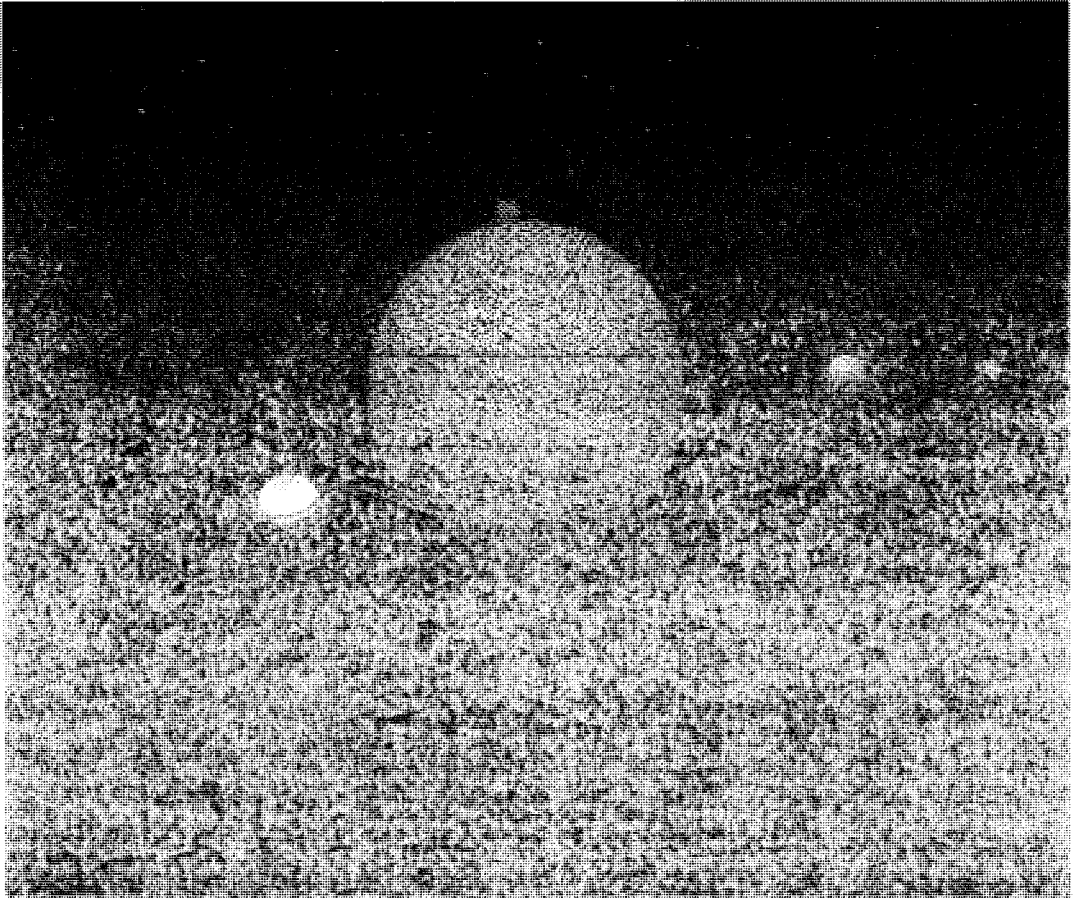


جان أورت<sup>(٤)</sup>

ستيفن هوكنك<sup>(٢)</sup>

ب. خلال فترة الثلاثينات من القرن الماضي .. أشار العالم الفلكي جان أورت<sup>(٣)</sup> (Jan Oort) إلى وجود مادة معتمة ( غير مرئية ) في الكون عندما درس المنطقة المجاورة للشمس ضمن نظامنا الشمسي في مجرتنا درب التبانة (Milky Way) لمعرفة سبب عدم تطاير المجرة إلى أجزاء متناثرة نتيجة دوراتها حول مركزها .. واعتقد أن السبب يعود إلى وجود مادة كافية معتمة في قرص المجرة تحفظ النجوم وتمنعها من التحرك مبتعدة عن مركز المجرة .. وأجرى حساباته فتوصل إلى أن كتلة هذه المادة تعادل ( ٣ ) أضعاف كتلة المادة المنظورة في المجرة<sup>(١)</sup> .

رسم يبين النظام الشمسي والمنطقة المجاورة للشمس<sup>(٢)</sup>

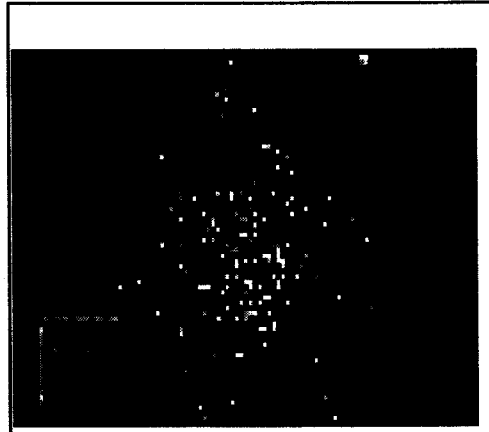


ج. خلال نفس الفترة الزمنية أعلاه .. توصل العالم الفلكي فريتز زويكي<sup>(١)</sup> ( Fritz Zwicky ) إلى وجود كمية من المادة السوداء في عنقود مجرات كوما ( Coma Cluster Galaxies ) الذي يبعد عنا ( ٣٠٠ ) مليون سنة ضوئية<sup>(٢)</sup> من خلال رصد متغيرات ظاهرة دوبلر<sup>(٤)</sup> ( Doppler Effect ) للمجرات المنفردة داخل العنقود المجري أعلاه .. فتوصل إلى وجود مادة معتمة تعادل (١٠) أضعاف المادة المنظورة في هذا العنقود .. وأنها هي التي تحافظ على رباط الجاذبية بين المجرات داخله<sup>(٥)</sup>

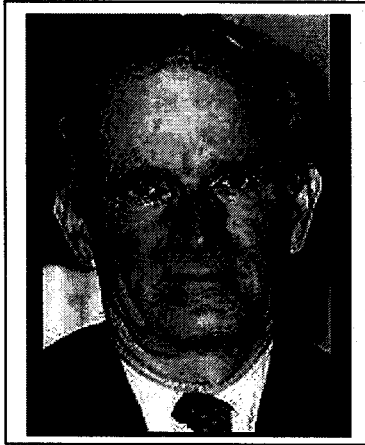
فريتز زويكي (٢)



عنقود مجرات كوما (٦)



د. في منتصف الستينات من القرن الماضي .. بين الفيزيائيان المتخصصين في مجال الجسيمات دون الذرية<sup>(١)</sup> (Sub Atomic Particles) جيمس كرونين<sup>(٢)</sup> (James Cronin) وفال فيتش<sup>(٣)</sup> (Val Fitch) من خلال تجاربهما أن حوالي ( ٢ ، ٠ ) % من بقايا مخلفات نشوء الكون تعود لجسيمات معينة .. فجادهم بعض العلماء قائلين : إن هذا يفسر وجود المادة المعتمة في الكون<sup>(٤)</sup> .. وهذا فتحا بابا " كان أبعد من أن يغلَق"<sup>(٥)</sup> .

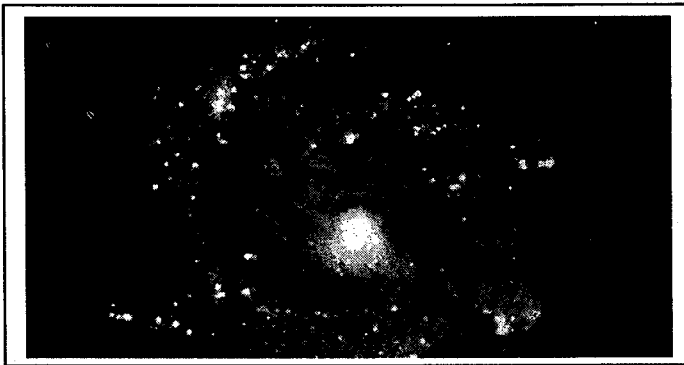


فال فيتش (٧)



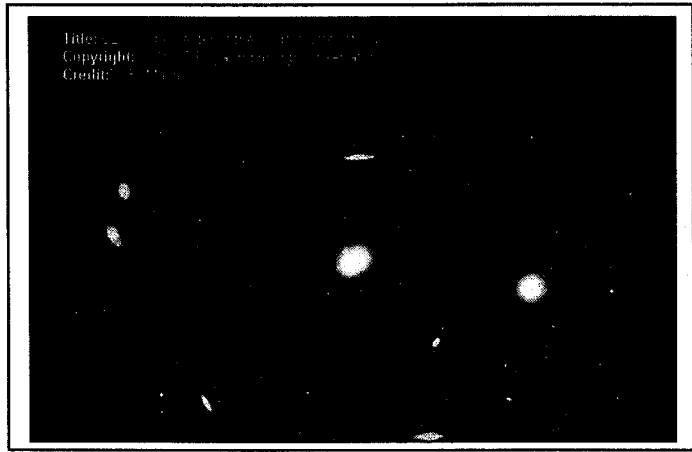
جيمس كرونين (٦)

هـ. أما في فترة السبعينات فقد توصل كل من العالمين .. فيرا روبن ( Vira Robin ) وكنث فورد (Kent Ford) من خلال دراسة إحدى المجرات اللولبية<sup>(١)</sup> ( Spiral Galaxy ) تشبه المجرة ( M - 100 )<sup>(٢)</sup> في عنقود مجرات فيركو<sup>(٣)</sup> ( Virgo Cluster Galaxies ) الذي يضم ( ٢٥٠٠ ) مجرة .. فوجدوا أن السرعات المدارية للنجوم على الحافات الخارجية لتلك المجرة هي نفس سرعات النجوم القريبة من مركز المجرة .. في الوقت الذي يفترض فيه وفقا لقانون الحركة الأول لنيوتن ( سنتطرق إليه فيما بعد ) أن تكون السرعات المدارية للنجوم البعيدة عن مركز المجرة أبطأ من مثيلاتها القريبة من المركز .. ولغرض الحفاظ على النجوم البعيدة عن المركز بإبقائها في مداراتها كما هو الحال عليه .. فإن الأمر يتطلب أضعاف مضاعفة من قوة الجاذبية للمادة المنظورة في المجرة .. ومن هنا توصل العالمان أعلاه إلى وجود مادة غير مرئية تمارس تأثيرها الجذبوي وتمنعها من الانفلات عن مداراتها إلى الخارج .. وبعد إجراء حساباتهما تبين لهما أن كتلة المادة غير المرئية المطلوبة تشكل حوالي (٩٩) % من كتلة المجرة .. بينما تشكل نسبة المادة المنظورة فيها نسبة (١) % فقط .. وبهذا كانا أمام تساولين .. الأول .. ماهية طبيعة تلك المادة ؟ .. والثانية .. أين تلك المادة<sup>(٤)</sup> ؟



المجرة ( M - 100 ) (٢)

## عنقود مجرّات فيركو (٣)



و شهدت فترة العقود الأربعة الأولى من النصف الثاني للقرن الماضي خلافات بين آراء العلماء المختصين حول وجود المادّة السوداء من عدمها .. فمنهم من افترض وجود مادّة افتراضية .. وبهذا الصدد يقول د. عبد الرحيم بدر ما يأتي :

( لم تكذ تظهر البراهين العديدة التي تدلّ على أنّ للضوء سرعة محدّدة .. حتى بدأ العلماء يفكّرون في الوسط الذي ينقل موجات الضوء .. وكان لزاماً عليهم أن يفسّروا هذه الظاهرة .. واعتبروا أنّ التفسير المنطقي لحالة كهذه هي أن يفترضوا وجود شيء ينقل الموجات ويسمّوه الأثير .. والأثير في الأصل هو الشيء الذي ينقل الضوء في أرجاء الكون .. وبدؤا يسبغون عليه صفات تتفق مع طبيعته المفترضة .. فقالوا : أنّه يملأ الكون كله .. ويتخلل الأجسام المادية الأخرى .. وتسبح فيه الكواكب والنجوم والمجرّات .. وفيه من صفات المواد الصلبة من حيث



انتقال أشعة الضوء فيه وتذبذبها .. وفيه من صفات المواد السائلة من حيث تسبح فيه الأجرام السماوية<sup>(١)</sup>

أما الدكتور علي الأمير فيقول في تعريف الكون بأنه :

( هو الفراغ وما يحتويه هذا الفراغ الموجود خارج كرتنا الأرضية )<sup>(٢)</sup>

لم يجمع العلماء آرائهم إلا في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي إثر تراكم الأدلة العلمية التي أثبتت وجود المادة السوداء .

ز. أشارت القياسات الأخيرة للغازات الساخنة المحيطة بالعناقيد المجرية إلى وجود مادة معتمة بمقدار ( ٤ ) أضعاف المادة المنظورة في تلك العناقيد .. ومن المحتمل أن هذه المادة غير المرئية تشكل نسبة ( ٩٠ - ٩٥ ) % من مجموع مادة الكون<sup>(٣)</sup>

#### ٤. الدلائل العلمية

أ. توصل العلماء المختصين إلى وجود المادة السوداء من خلال دراساتهم لأكثر من مجرة معينة .. حيث وجدوا أن السرعات المدارية للنجوم القريبة من مركز أي مجرة تمت دراستها هي قليلة وعالية بالنسبة للنجوم ذات المدارات المتوسطة البعد عن المركز .. أما النجوم ذات المدارات البعيدة عند الحافات الخارجية للمجرة فإن سرعاتها المدارية مماثلة للنجوم ذات المدارات القريبة من المركز .

يشكل ما ورد أعلاه تعارضاً مع قانون كبلر الثالث وقانوني الحركة الأول والجذب العام

لنيوتن<sup>(٤)</sup>

ب. لغرض توضيح التعارض بالفقرة ( أ ) أعلاه .. لابد من إلقاء الضوء على القوانين المذكورة

وكما يأتي :

أولاً. قانون كبلر الثالث . هو أحد القوانين الثلاثة التي وضعها جوهانز كبلر<sup>(١)</sup> (Johans

Kepler) .. وينص هذا القانون على :

( إن النسبة بين مربعي الزمن الدوري لأي كوكبين هي كالنسبة بين متوسط البعد بينهما ) .

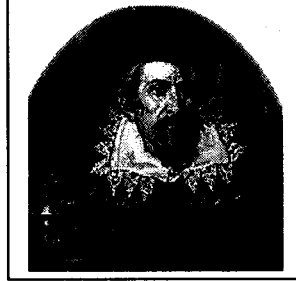
أي أنّ الكواكب السيّارة التي تدور حول مركز دورانها الشّمس تزداد سرعتها المدارية كلّما كانت قريبة من الشّمس .. وتقل هذه السرعات كلّما ابتعدت عنها ويفترض بهذا القانون أن ينطبق على أيّ نجم يدور حول مركز مجرّته .. في الوقت الذي رصد فيه العلماء عكس ذلك .. فالسرعات المدارية للنجوم القريبة من مراكز المجرات قليلة .. وتزداد في المدارات المتوسطة البعد عن تلك المراكز .. وتقل هذه السرعات في المدارات البعيدة عند حافات المجرات وتكون بشكل مقارب لمثلاتها من النجوم القريبة من المركز .. يشكل كل هذا تعارضاً مع قانون كبلر الثالث أعلاه .

ثانياً . قانوني الحركة الأول والجذب العام لنيوتن .

(١) قانون الحركة الأول . هو أحد قوانين الحركة الثلاثة التي وضعها إسحاق نيوتن (٢) ( Issac Newton ) وينصّ على : (إنّ أيّ جسم يبقى ساكناً أو متحركاً بسرعة ثابتة وباتجاه ثابت ما لم يتأثر بقوة ما ) .



إسحاق نيوتن



جوهانس كبلر

ووفقاً لهذا القانون فإنّ النجم الذي يتحرّك بسرعة مدارية في مدار مغلق حول مركز مجرّته يتطلب وجود قوّة مؤثّرة عليه تجبره على الحركة بسرعة مدارية في مداره .

(٢) قانون الجذب العام (١) . وينصّ هذا القانون على :

(تناسب قوّة الجذب بين جسمين طردياً مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسياً مع

مربع المسافة بينهما) .

وبموجب هذا القانون فإنّ قوّة الجاذبية يزداد تأثيرها على النجم كلّما كان قريباً من مركز المجرة .. وتقلّ هذه القوّة بازدياد المسافة بينهما .. أي أنّ تأثير الجاذبية على أيّ نجم يقل كلّما كان مداره أبعد عن مركز المجرة .

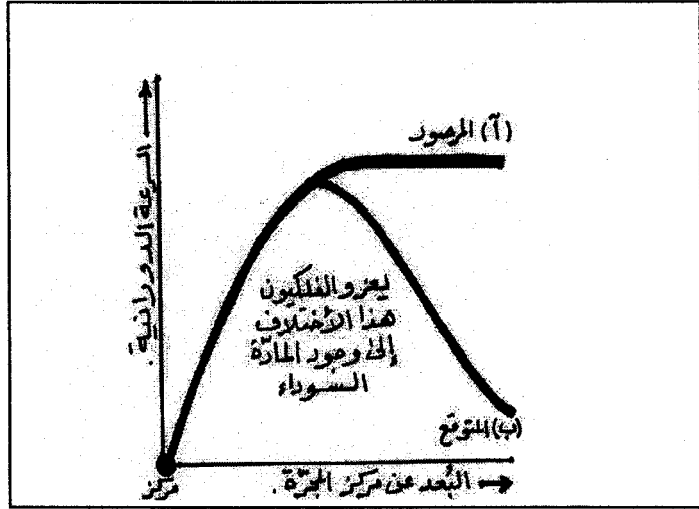
ج. من المعروف علمياً إن قانون الجاذبية يرغم الأجرام الكونية على الدوران حول بعضها البعض<sup>(٢)</sup>.. فالقمر يدور حول الأرض .. وكلاهما يدوران حول الشمس<sup>(٣)</sup> .. والشمس مع توابعها الكواكب السيارة وأقمارها تدور حول مركز مجرتنا.. ومجرتنا هذه تدور حول مركز المجرات المحلية<sup>(٤)</sup> .. والمجرات المحلية تدور حول مركز العنقود المجري المحلي .. وهذا يدور حول مركز العناقيد المجرية التي تدور حول مركز الكون المنظور .. وهكذا صعوداً إلى الأكوان المتعددة<sup>(٥)</sup>.

د. لسما كانت هناك مليارات النجوم في كل مجرة<sup>(١)</sup> تدور حول مراكز مجراتها .. فلا بد أن تكون هناك قوة جاذبية هائلة في مركز كل مجرة متأتية من كتلة هائلة تجبر النجوم على الحركة حولها بسرعات مدارية في مداراتها وفقاً لقانون الحركة الأول لنيوتن أعلاه .. وأن هذه القوة يقل تأثيرها كلما كان مدار النجم بعيداً عن مركز المجرة وفقاً لقانون الجذب العام لنيوتن أعلاه .. وقد أكتشف مؤخراً أن هناك ثقبا "أسوداً"<sup>(٢)</sup> ( **Black Hole** ) هائل الكتلة في مركز كل مجرة<sup>(٣)</sup> .. يدور حول محوره بسرعة الضوء<sup>(١)</sup> مجبراً النجوم على الدوران حوله وفقاً لمعطيات قانون الجذب العام المشار إليه في (ج) أعلاه مكسباً إياها سرعات مدارية وفقاً لمعطيات قانون الحركة الأول لنيوتن .

هـ. نظراً لصحة قوانين كبلر ونيوتن المشار إليها سلفاً ودقة رصد السرعات المدارية للنجوم حول مراكز مجراتها على أبعاد مختلفة .. والتي تتعارض مع القوانين المذكورة .. فإن الأمر يدعو لدراسة العلاقات المشتركة التي تربط بعضها مع البعض في هذه المدارات وهي:

- أولاً . السرعات المدارية للنجوم .
- ثانياً . كتل مراكز المجرات ( الثقوب السوداء ) التي تدور حولها النجوم .
- ثالثاً . كتل النجوم .
- رابعاً . أنصاف أقطار مدارات النجوم ( بُعد النجوم عن مراكز المجرات ) .

و. تعطي الرسوم البيانية البسيطة مدارات التجموع في أي مجرة تفسيراً يوضح أسباب التناقض بين سرعاتها المدارية ومعطيات قوانين كبلر ونيوتن المنوّه عنها أعلاه .. ففي الرسم البياني أدناه نجد ما يأتي<sup>(٢)</sup> :



أولاً. المنحنى (أ) . يبين لنا وجود المادة السوداء ( غير المنظورة ) .. والتي لولا وجودها لانفلتت التجموع عن مداراتها نتيجة زيادة سرعاتها المدارية المرصودة كلما ابتعدت عن مركز المجرة خلافاً لقوانين كبلر ونيوتن المشار إليها سابقاً .. وبما أن التجموع باقية في مداراتها .. فلا بد من وجود قوة تحافظ على إبقائها في تلك المدارات .. وأن هذه القوة متأتية من مادة غير مرئية باعتبار أن كتلة المادة المرئية غير كافية لتأمين هذا الحفاظ .

ثانياً . المنحنى (ب) . يبين لنا السرعات المدارية المتوقعة في حالة كون قوة التأثير الجذبوي متأتية من الكتلة المنظورة للتجموع في المجرة فقط .. حيث تقل هذه السرعات المدارية كلما ابتعدت التجموع عن مركز المجرة وفقاً لقوانين كبلر ونيوتن أعلاه .

ز. إن الإقرار بالتناقض ما بين زيادة السرعات المدارية للتجوم كلما ابتعدت عن مراكز مجرتنا وما بين قانون كبلر الثالث وقانوني الحركة الأول والجذب العام لنيوتن يعني أن التجوم يجب أن تنفلت من مداراتها وتتناثر في الكون .. إن الذي يمنعها من الانفلات يمكن توضيحه من خلال صيغة قانون مستمدة صيغته من قانون نيوتن الثاني<sup>(1)</sup> وبعض المعادلات الجبرية وكما يأتي<sup>(2)</sup>:

$$\text{القوة المطلوبة للحفاظ} = \text{كتلة النجم (m) } \times \text{ مربع سرعته المدارية (v}^2\text{)}$$

$$F = \frac{m v^2}{r} \quad (v^2)$$

على النجم في مداره (مركز المجرة)  $r$  نصف قطر مداره  $(r)$  (البعد عن

ح. أما بقاء أي نجم في مداره دون أن ينفلت إلى الخارج أو ينجذب نحو مركز المجرة يعني وجود قوتين متساويتين التأثير عليه هما:

$$F = \frac{mv^2}{r} \quad \text{أولاً. القوة التي تحافظ على النجم لإبقائه في مداره}$$

ثانياً. القوة المؤثرة على التجم والمأتية من التأثير الجذبي لمركز المجرة وفقاً لقانون الجذب العام لنيوتن وكما يأتي:

$$\text{القوة المؤثرة على} = \text{ثابت الجاذبية (G) } \times \text{ كتلة مركز المجرة (M) } \times$$

$$F = \frac{GMm}{r^2} \quad \text{كتلة النجم (m)}$$

النجم لإبقائه في مداره مربع نصف قطر مدار النجم  $r^2$

وبما أن هاتين القوتين المؤثرتين على أي نجم لإبقائه في مداره متساويتين التأثير عليه.. فإنهما يجب أن تتعلا طرفي

معادلة واحدة وكما يأتي :

القوة التي تحافظ على التجم لإبقائه في مداره = قوة الجذب المؤثرة على التجم  
 المتأتية من كتلة مركز المجرة

$$\frac{\text{كتلة النجم } (m) \times \text{مربع سرعته } (V^2)}{\text{مركز المجرة } (M) \times \text{كتلة النجم } (m)} = \frac{\text{ثابت الجاذبية } (G) \times \text{كتلة}}{\text{مربع نصف قطر مدار النجم } (r)}$$

$$\frac{GMm}{r^2} = \frac{mv^2}{r}$$

إن سبب بقاء أي نجم متحركاً في مداره حول مركز مجرته هو نتيجة تعادل القوتين المؤثرتين عليه أعلاه .. إلا أن طرفي المعادلة المشار إليها غير متساويين رياضياً .. ولتوضيح ذلك نحذف كتلة النجم ( m ) من طرفي المعادلة كإجراء رياضي صحيح .. فإن المعادلة ستكون

$$\frac{GM}{r^2} = \frac{v^2}{r}$$

يتبين لنا من خلال طرفي المعادلة كأن الطرف الأول عديم الكتلة إزاء الطرف الثاني .. لذا لا بد من وجود كتلة هائلة في الطرف الأول تعادل تأثير كتلة الثقب الأسود الموجود في مركز المجرة ( M ) في الطرف الثاني من المعادلة لكي يصبح طرفيها متساويين ومطابقين لواقع الحال الفعلي من خلال حقيقة بقاء النجوم في مداراتها .. وقد توصل العلماء المختصين إلى أن الكتلة المطلوبة لهذا التوازن لا بد أن تكون كتلة المادة السوداء ( غير المرئية ) .. وإذا رمزنا لها بالرمز (D) ووضعناه في الطرف الأول من المعادلة فإن طرفيها سيصبحان متساويين مع إعادة كتلة النجم ( m ) إلى طرفيها :

$$\frac{GMm}{r^2} = \frac{(D+m)V^2}{r}$$

يتضح مما ورد أعلاه مدى مقدار تأثير كتلة المادة السوداء غير المنظورة والتي يعادل تأثيرها الجذبي مقدار التأثير الجذبي للثقب الأسود الهائل الكتلة في مركز المجرة .. وبهذا فإن وجود كتلة هائلة تحافظ على بقاء التجم في مداراتها هو ضرورة حتمية للحفاظ على توازن أي نجم في مداره ضمن مجرته .. وكذلك للحفاظ على التوازن بين أي مجرة ومركز مجرتها المحلية .. وهكذا صعوداً إلى الأكوان المتعددة .

## ٥. خلاصة المعلومات

يتضح مما ورد سابقاً الحقائق الآتية :

- أ. إن الكون ليس عبارة عن فراغ .. وإنما تملؤه مادة سوداء غير مرئية هائلة الكتلة .
- ب. إن مادة الكون السوداء غير المرئية هي أعظم كتلة من المادة المرئية في الكون ( النجوم والمجرات وباقي الأجرام المنظورة .. وكذلك الأجرام الغير منظورة والتي يمكن رصدها بالأشعة السينية أو بالأشعة تحت الحمراء والمراقب الراديوية) .
- ج. إن وجود المادة السوداء في الكون يجعل محصلة القوى المؤثرة على أي نجم أو مجرة أو أي جرم آخر يدور حول مركز دورانه متساوية من خلال تعادل التأثير الجذبي لكتلة المادة السوداء التي تحافظ على بقاء النجم في مداره مع التأثير الجذبي لكتلة الثقب الأسود في مركز المجرة أو مركز المجرات المحلية فيما يخص المجرات .
- د. إن وزن أي نجم أو مجرة أو أي جرم كوني آخر يدور حول مركز دورانه يساوي صفراً من خلال تعادل تأثير القوتين المشار إليهما في (ج) أعلاه .
- هـ . تدور الأجرام الكونية حول مراكز دورانها في مدارات مغلقة .

## ٦. السبق القرآني

نجد - والله أعلم - أن القرآن الكريم قد أشار إلى خلاصة الحقائق المنوّه عنها بالمادة ( ٥ ) أعلاه من خلال ما يأتي ..  
أ. لغة القرآن الكريم . يخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن القرآن الكريم قد نزل باللغة العربية كما جاء بقوله تعالى :

(( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ))

يوسف: ٢

وقد تكرر ذكر القرآن الكريم بأنه عربيّ اللغة في عدّة آيات هي :

النحل : ١٠٣ / طه: ١١٣ / الشعراء : ١٩٥ / الزمر : ٢٨ / فصلت: ٣ / الشورى : ٧ /  
الزخرف : ٣ / الأحقاف : ١٢ .

ب. تدبر القرآن الكريم . لقد أمرنا الله تبارك وتعالى بتدبر القرآن الكريم كما جاء بقوله تعالى :

(( أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ))

محمد: ٢٤

وقد تكررت الإشارات القرآنيّة بصدّد تدبر القرآن الكريم في آيات أخرى هي :

النبا: ٨٢ / المؤمنون : ٦٩ / ص : ٢٩ .

ج. التكرار في اللغة . إن تكرار قول الله تعالى (٩) مرّات بأن القرآن قد نزل عربيّا .. وتكرار

قوله عز وجل (٤) مرّات بأن علينا تدبر القرآن الكريم يعني ما يأتي :

أولاً . إته كلام مقصود .. لأنّ التكرار في اللغة يدلّ على القصد من المعنى .

ثانياً . إنّ علينا تدبر معاني القرآن الكريم وفق معطيات معاني مفرداته .. لذا نجد لزاماً علينا تدبر

هذه المعاني وفقاً لمعطيات معاني مفردات اللغة العربيّة وأوجه بلاغتها .



د. معاني الآيات القرآنية . قال تعالى :

(( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ))

الأنبياء: ٣٣

(( لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ))

يس: ٤٠

يتبين لنا من خلال الآيتين الكريمتين أعلاه ما يأتي :

أولاً" . تكرار لفظ ( يَسْبَحُونَ ) .. يدل على القصد من المعنى .. أي أن الأجرام الكونية المشار إليها في حالة سباحة .. هو كلام

مقصود .

ثانياً" . من خلال تدبر المعنى .. فإن لفظ ( يَسْبَحُونَ ) يعني وجود أجرام ( أجسام ) سباحة في وسط مادي تسبح فيه .. ويُستدل من خلال المعنى أيضا أن الكون ليس عبارة عن فراغ كما كان يُعتقد سابقاً .. وإنما تملؤه مادة تسبح فيها هذه الأجرام .. وبهذا يشكل القرآن الكريم سبقاً علمياً من خلال الإشارة إلى وجود مادة الكون .. وهي نفس المادة التي يطلق عليها العلماء اليوم تسمية المادة السوداء .

ثالثاً" . أشار القرآن الكريم إلى وجود هذه المادة في آيات أخرى كما جاء بقوله تعالى :

((وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ))

الملك: ٥

(( .. وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ))

فصلت: ١٢

(( إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ))

الصافات: ٦

من خلال لفظ (زَيْتًا) في الآيات الكريمة أعلاه نستدلّ على ما يأتي :

(١) وجود مادة الكون .. لأنّ زينة الشيء لغة هي ليست الشيء نفسه .. وأنّ هذه الزينة تزين مادة الكون المنظور ( السماء الدنيا ) في الآيات الثلاث .. والذي يحوي النجوم والكواكب وباقي الأجرام الكونية .

(٢) إنّ مادة الكون غير المرئية ( مادة السماء الدنيا ) وهي الكون المنظور أعظم شأنًا من المادة المرئية (زينة السماء الدنيا) وهي التجوم والكواكب والأجرام الأخرى .. لأنّ زينة أي شيء تعني منطقيًا أنّها أقلّ كتلة من الشيء الذي تزينه .

رابعًا . نجد من خلال اللفظ ( يَسْبَحُونَ ) بعدًا " إعجازيًا " آخر .. وقبل ذلك نتساءل .. إذا كانت الأجرام الكونية تدور حول مراكز دوراتها في عملية دوران مستمر فلماذا لم يشر القرآن الكريم إلى عبارة ( وكل في فلك يدورون ) ؟ .. وهو واقع الحال المرصود بل جاء اللفظ بصيغة ( وَكُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ ) .. والجواب - والله أعلم - أنّ السباحة تعني وجود محصلة قوى على أيّ جسم سابح تعادل صفرا .. أي وجود قوتين متساويتي التأثير عليه .. فإذا افترضنا أنّ شخصا ما نزل إلى الماء .. فإنه سيغطس إلى القعر بفعل تأثير قوة الجاذبية .. وإذا حرك يديه ورجليه .. فإنه سيولد قوة إزاحة تعادل تأثير قوة الجذب أعلاه فيطفو على سطح الماء ويصبح وزنه صفرا" بسبب تعادل تأثير قوتي الجذب والإزاحة عليه من خلال سباحته في الماء .. وبما أنّ الأجرام الكونية التي تدور حول مراكز دوراتها رغم كتلتها الهائلة فإنّ وزن كل منها يعادل صفرا" لأنّ قوة تأثير جاذبية مراكز الدوران ( الثقوب السود ) تعادل تأثير قوة جذب المادة السوداء التي تحافظ على بقاء تلك الأجرام في مداراتها .

خامسًا . لقد جاء اللفظ ( يَسْبَحُونَ ) في الآيتين الكريميتين الأنبياء : ٣٣ و يس : ٤٠ تشبيهاً بعملية السباحة .. والتشبيه هو وجه من أوجه البلاغة في اللغة العربية .. والغرض منه (١) :

(١) تأنيس التفس ياخراجها من خفي إلى جلي . الخفي هنا هو ما لم يكن معروفًا عن حقيقة وجود المادة التي تسبح فيها الأجرام الكونية (مادة الكون) .. والجلي في الأمر هو بيان حقيقة معنى لفظ ( يَسْبَحُونَ ) والمشار إليه أعلاه .

(٢) إدناء البعيد من القريب ليفيد بيان . البعيد هنا هو المعلومات المتعلقة بحركة الأجرام الكونية ووجود مادة تسبح فيها تلك الأجرام وهي مادة الكون السوداء ( غير المرئية ) .. أما القريب فهو نحن على الأرض من خلال تدبير المعنى بإدناء ما هو بعيد عنا من معلومات عن تلك المادة ليصبح فهمها قريبا " متا من خلال لفظ (يَسْبَحُونَ) الذي يُستدلّ منه على وجود مادة الكون التي تسبح فيها الأجرام الكونية .. وكذلك يُستدلّ منه على وجود محصلة قوى تعادل صفرا" على تلك الأجرام فتطفو سابحة في أفلاكها .

(٣) الكشف عن المعنى المقصود مع الإختصار . إنّ المعنى المقصود هنا هو تكرار اللفظ (يَسْبَحُونَ) في الآيتين الكريميتين .. والقصد منه بيان معنى السباحة من خلال وجود مادة الكون وتعادل محصلة القوى المؤثرة على الأجرام الكونية كما بيّنا سابقا" .. أما الإختصار .. فلا نجد أكثر إختصارا" في اللغة العربية من خلال اللفظ (يَسْبَحُونَ) للدلالة على الحقائق العلميّة المشار إليها أعلاه .

سادسا" . جاء في تعريف التشبيه أنّه يعني : (٢)

(١) إلحاق الشيء بذي وصف في وصفه . المقصود هنا - والله أعلم - تشبيه حركة الأجرام الكونية من خلال إلحاق حركتها بوصف السباحة بدلا" من وصفها بالدوران .

(٢) أن يثبت حكما" من أحكام المشبه به . الحكم المثبت هنا هو وجود مادة الكون وهو الوسط الذي تسبح فيه الأجرام الكونية .. وكذلك تعادل محصلة القوى على الأجرام السابحة في أفلاكها ضمن هذه المادة .

(٣) الدلالة على إشراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء الواحد . الشيطان هما .. مادة الكون والأجرام الكونية التي تسبح فيها وإشراكها تشبيها" بالأجسام السابحة بالماء من خلال وصفهما بشيء واحد هو عملية السباحة .

سابعا" . قال محققوا اللغة أنّ التشبيه حقيقة .. وأشار الزنجاني في (المعيار) أنّه ليس بمجاز .. لأنّه معنى من المعاني .. له ألفاظ تدلّ عليه

وضعا" (٣) . وبهذا فإنّ القرآن الكريم يشير إلى حقيقة وجود مادة الكون .. ووجود محصلة قوى تعادل صفرا" على الأجرام الكونية من خلال تشبيه حركتها بالسباحة .

ثامنا" . لا يشترط في التشبيه البلاغي وجود حرف الكاف ( كاف التشبيه ) .. والتشبيه بغير حرف تشبيه يدلّ على المبالغة (٤) .. أي أنه تشبيه بليغ .. ويقصد به عظمة الشيء .. والعظمة في هذا التشبيه هي عظمة حركة الأجرام الكونية .

هـ . أمّا عن حركة الأجرام الكونية في مدارات مغلقة .. فقد جاء ذكرها في الآيتين الكريمتين أعلاه من خلال اللفظ ( في فَلَك ) ويستدلّ منه على ما يأتي :

أولاً .. الفلك هو مسار الأجرام الكونية في علم الفلك ويسمى بالمدار ( Orbit ) .. ويعرّف المدار علمياً بأنه :

( المسار الذي يتّخذهُ أيّ جرم في الكون وهو نفس المسار الذي يتّخذهُ الإلكترون حول نواة الذرة ) (١)

ثانياً . فَلَكٌ فَلَكٌ فَلَكًا بمعنى إستدار .. ويعني أيضا " ندي الجارية .. ويقال فلكت الجارية .. أي إستدار نديها .. فهي فالك من فَلَكٌ .. والفَلَكُ مدار النجوم وجمعها فُلُكٌ .. ويعني التدوير (٢) .

ثالثاً . إنَّ فَلَكَ كل شيء هو مستداره .. ويعني فلك النجوم (٣) .. ويطلق على كل ما استدار (٤)

رابعاً . ويأتي لفظ ( فلك ) (٥) بمعنى المدار المغلق .. ( وهو موضوع بحثنا ) .. وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما .. ( يدور كما يدور المغزل في الفلكة ) .

خامساً . إذاً يمكننا الإستنتاج من معنى الآيتين الكريمتين من خلال اللفظ ( وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) بمعنى أنّ الأجرام الكونية المشار إليها في الآيتين الكريمتين أعلاه تسبح في مدارات مغلقة .. وقد أقسم الله عزّ وجلّ بعظمة السّماء والمسارات الموجودة فيها بقوله تعالى :

(( .. وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ كِ ))

الذريات: ٧

الواو = واو القسم

الحُبُوبُ = المسارات المتقنة الإحكام / الطرق / متقنة البناء / أحبك الشيء بمعنى أتقنه وأحسن عمله / أحبك العقدة أي أوثقها (١)

و . جاء في الآيتين الكريمتين لفظ ( وَكُلٌّ ) : ويعني في اللّغة العربيّة ما يأتي (٧) .

أولاً . إسم موضوع لإستغراق أفراد المتعدّد أو أجزاء الواحد . جاء في الآيتين الكريميتين لإستغراق أجزاء الواحد وهو النظام الشمسي كما جاء أفراد المتعدّد فيهما من خلال أداة التعريف (أل) في لفظ اللَّيْلُ وَالتَّهَارَ وتعني الأرض (كما سنبيّن ذلك في الفقرة - ز - أدناه) .. والتي تستعمل للدلالة على العهد .. وهو عهد الليل والنهار والشمس والقمر .. وهذا يتماشى تماما" مع عقول أهل عصر نزول القرآن الكريم .. وتأتي كذلك للدلالة على الجنس .. أي تعدّد الكواكب والشموس (التجوم) والأقمار .. وهذه حقيقة علميّة تتماشى مع عقول أهل عصرنا إثر اكتشاف العديد من الكواكب السيّارة خارج نظامنا الشمسي .. والعديد من الأقمار التي يبلغ عددها ما يقرب من ( ١٠٠ ) قمر ضمن هذا النظام فقط وكذلك للدلالة على تعدّد الشموس أيّ التجوم .. لأنّ الشمس في حقيقتها هي نجم .. وهذه حقيقة قرآنية سبقت العلم الحديث .. ولنا فيها بحث خاص إن شاء الله .

ثانياً . لا تستعمل إلاّ مضافة لفظاً" أو تقديراً" . جاء لفظ ( وَكُلُّ ) مضافاً" إلى ما سبق في كل من الآيتين الكريميتين إلى الليل والتّهار والشمس والقمر .

ثالثاً" . توكيد لمعرفة أو نكرة محدودة . جاء اللفظ ( وَكُلُّ ) توكيداً لمعرفة من خلال أداة التعريف (أل) في الليل والنهار والشمس والقمر .

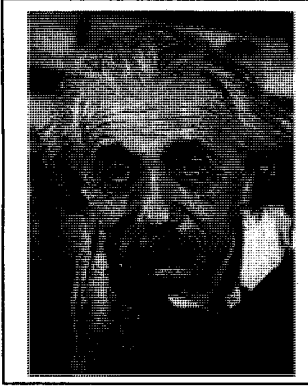
رابعاً" . تكون نعتاً" لنكرة أو معرفة فتدلّ على إته كامل بلغ الغاية فيما تصفه . إنّ لفظ ( وَكُلُّ ) في الآيتين الكريميتين جاء نعتاً" لمعرفة من خلال وجود أداة التعريف (أل) في لفظ الليل والتّهار والشمس والقمر دالّاً" على بلوغ الغاية من حيث الوصف الدقيق لحركات الليل والتّهار والشمس والقمر .

خامساً" . تفيد للتكرار بدخول ( ما ) المصدرية الظرفية عليها . لا ينطبق هذا على الآيتين الكريميتين المشار إليهما لعدم وجود لفظ ( ما ) المصدرية .

ز . هناك أبعاد إعجازية أخرى في الآيتين الكريميتين الأنبياء: ٣٣/ يس: ٤٠ ومنها ما يأتي:

أولاً .. جاء لفظ الليل والتهار .. لأنهما ظاهرتين ملموستين تتعاقبان إحداهما بعد الأخرى فلا غرابة في الأمر في فهمها وقت نزول القرآن الكريم.. أما اليوم فإننا نجد لها فهماً "علمياً" .. لأن الليل والتهار هما ظرفي زمان .. ووفقاً للنظرية النسبية الخاصة لأينشتاين (١) فإن كل ظرف زمان يلازمه ظرف مكان .. وبهذا الصدد يقول صاحب النظرية أعلاه ما يأتي :

( ليس لنا أن نتحدث عن الزمان دون المكان .. ولا أن نتحدث عن المكان دون الزمان .. وما دام كل شيء يتحرك في الكون .. فإنه لا بد أن يأخذ زمنه معه .. وكلما تحرك الشيء أسرع .. فإن زمنه سينكمش بالنسبة لما حوله من أزمنة مرتبطة بحركات أخرى (٢).



إن الليل والتهار في الآيتين الكريمتين هما ظرفي زمان الأرض .. وإن المخاطبين في القرآن الكريم هم نحن أهل الأرض من الإنس والجان .. ولما كان كل ظرف زمان يلازمه ظرف مكان وفقاً للنظرية النسبية الخاصة .. وهذه حقيقة علمية يقرها العلماء اليوم ..

لذا فإن المعنى يأتي دائماً على حركة الأرض حول محورها بتلميح بلاغي .. والتلميح البلاغي هو وجه من أوجه البلاغة في اللغة العربية .. ويعني أن تشير إلى شيء ما بدون ذكر اسمه الصريح .. ولعل الحكمة الإلهية اقتضت - والله أعلم -

### ألبرت أينشتاين (٣)

الإشارة إلى حركة الأرض بتلميح بلاغي .. لأن عقول الناس لم تكن تتقبل القول بأن الأرض متحركة .. فبعد نحو ألف سنة من نزول القرآن الكريم .. أعدمت محاكم التفتيش في إيطاليا .. جرودانو برونو لقوله بأن

الأرض تدور حول الشمس..ويقول هارلاند مانستتر في كتابه ( حملة مشاعر التكنولوجيا (١) : ( إن برونو قد أحرق بنار الجهل ) .. كما حُورب معظم الذين جاءوا بهذه الحقيقة وقتذاك .. وإلى يومنا هذا حيث لا يزال العديد من غير المفقين لا يتقبلون حقيقة حركة الأرض ويتمسكون بالقول القائل بشاهاها .. لذا نجد أن أي حركة للأرض قد جاء ذكرها في القرآن الكريم بتلميح بلاغي كما جاء بقوله تعالى :

(( وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ))

يس: ٣٨

نجد في الآية الكريمة أعلاه أن حركة الشمس قد جاءت بتصريح بلاغي ( وهو وجه من أوجه بلاغة اللغة العربية أيضا ) يمكن فهمه وقت نزول القرآن الكريم من خلال حركة الشمس الظاهرية من المشرق إلى المغرب .. وهي في حقيقتها لا تتحرك هكذا .. لأن هذه الحركة الظاهرية كما هو معلوم هي حركة وهمية تنتج عن دوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق .. فنرى الشمس تشرق في المشرق وتغرب في المغرب .. أما اليوم فإن المعنى الحقيقي ليس كذلك لأن الجري في لغة العرب تعبير

وليم هرشل

دالّ على السرعة العالية كما جاء في معجم الأصفهاني .. ولا تعبير آخر يدل على ما هو أعلى من ذلك .. وقد توصل وليام هرشل<sup>(١)</sup> ( William Herchel ) في العام ١٧٨٣م من خلال دراسات تحليلية أجراها .. تحققت صحتها فيما بعد .. حيث أثبت أن الشمس ومعها النظام الشمسي تندفع بسرعة ( ٢٠ ± ٥ ، ٠ ) كم / ثا في مجرتنا باتجاه كوكبة ليرا ( Lira ) قرب نجم النسر الواقع (Viga)<sup>(٤)</sup>

نقول طالما أن الشمس تجري فإن الأرض تجري معها بحكم رباط الجاذبية بينهما .. وكذلك بقية النظام الشمسي .. لذا جاءت حركة الأرض في الآية الكريمة أعلاه

بتلميح بلاغي .. بينما جاءت

حركة الشمس بتصريح بلاغي .

وقد أشار القرآن الكريم الى حركة الأرض بتلميح بلاغي آخر كما جاء بقوله تعالى

(( يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ))

النور: ٤٤

يُستدلّ من هذه الآية الكريمة على حركة الأرض حول محورها.. حيث جاءت الإشارة لهذه الحركة بتلميح بلاغي .. لأنّ تقلاب الليل والنهار .. وهما ظريفي زمان يلزمهما تقلاب ظريفي المكان ( وجهي الأرض المقابل والمعاكس للشمس ) .. وبذلك تشير الآية الكريمة إلى دوران الأرض حول محورها<sup>(١)</sup> (بتلميح بلاغي) فتحدث ظاهرة النهار في الوجه المقابل للشمس .. وظاهرة الليل في الوجه المعاكس لها .. وهكذا من خلال دوران الأرض حول محورها يتعاقب الليل والنهار . . وكما هو معلوم أنّ دوران الأرض حول محورها هو نتيجة تأثرها بكتلة أخرى تجبرها على الدوران وفقا لقانوني الحركة الأول والجذب العام لنيوتن .. وهي كتلة الشمس التي تمثل مركز دوران النظام الشمسي .. لذا لا بدّ أن تكون كتلة الشمس أكبر من كتلة الأرض لتجبرها على الدوران .. فالشمس تشكل نحو ( ٩٩ ) % من كتلة النظام الشمسي بأكمله .. وهي أكبر من كتلة الأرض بنحو ( ٣٣٣٤٠٠ ) مرة مقدار كتلة الأرض .. ولسمّا كانت الشمس تدور حول محورها في مركز النظام الشمسي .. فلا بدّ من وجود كتلة أعظم في مركز دوراتها ( الثقب الأسود في مركز مجرتنا ) .. تجبر الشمس على الدوران حولها .. وهكذا صعودا" فيما يخص حركة المجرة حول مركز المجرات المحلية وحتى الإنتهاء بحركة الأكوان المتعددة فنصل في النهاية الى قوّة فاعلة تتحكم في الحركة الرئيسيّة الأساسيّة في الكون هي قوّة الله عزّ وجلّ .. ولا قوّة أخرى بعدها.

ثانيا" . هناك بُعدا" إعجازيا" آخر في آية أخرى كما جاء بقوله تعالى :

(( لا الشمسُ ينبغي لها أن تذرِكَ القَمَرَ ولا اللَّيْلُ سابقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي سِجِّينٍ ))

يس: ٤٠



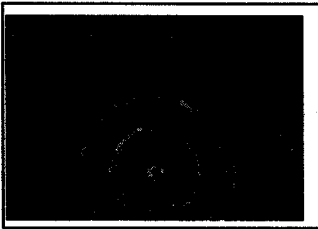
وهذه حقيقة علمية أخرى .. لأن الشمس تدور حول محورها بسرعة (٢) كم / ثا عند خط استوائها .. وتجري في المجرة كما أشرنا سابقاً ضمن مسار خاص لها .. وتدور بنفس الوقت حول مركز المجرة في فلك خاص بها ومعها النظام الشمسي .. أما القمر .. فله فلك خاص به حول الأرض لأنه تابع لها بحكم تأثير الجاذبية الأرضية عليه .. فلا الشمس تصل إلى مدار القمر .. ولا هو يصل إليها .. وبهذا فإن حركة الأرض قد جاءت بتلميح بلاغي دالاً على حركتها من خلال الإشارة بتصريح بلاغي لحركة القمر والتي لا تتم إلا بوجود الأرض وفقاً لمعطيات قانون الجذب العام المشار إليه بالمادة (٤) الفقرة (ج) سابقاً.

## ٧. تعريف المادة السوداء

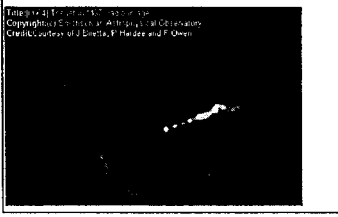
- أ. إن مسألة وجود المادة السوداء التي تملأ الفراغات في الكون أصبحت حقيقة مكتشفة بغض النظر عن إختلاف تسميتها .. فالأهم من هذا كله .. هو أن الكون ليس عبارة عن فراغ تتخلله الأجرام الكونية .. وكذلك ليس عبارة عن مادة افتراضية يقتصر وجودها على نقل الضوء .. كالأثير .. بل هي مادة ذات تأثير أساسي في الحفاظ على بنية الكون وتماسكه .
- ب. يعرف العلماء اليوم المادة السوداء بأنها هي :
- ( المادة التي لا تبعث عنها أية إشعاعات .. ويستدل على وجودها من خلال تأثير قوة جذبها على الأجرام الكونية )<sup>(٢)</sup>

## ٨. طبيعة المادة السوداء

- أ. لغرض التوصل إلى طبيعة المادة السوداء نجد أمامنا عدّة تساؤلات وإجابات هي :
- أولاً . لا يمكن الحكم عليها بأنها نجوماً معتمة<sup>(١)</sup> يعادل تأثيرها الجذبي التأثير الجذبي لكتلة مركز أي مجرة للحفاظ على النجوم المنظورة بإبقاءها في مداراتها فيها وذلك لقلة كتلتها لكونها أساساً نجوماً ذات حرارة عالية جداً لدرجة أصبحت سوداء .. وبذلك يسهل إكتشافها بالمرقب التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء ( Infrared ) أو بالأشعة السينية ( X-Ray )

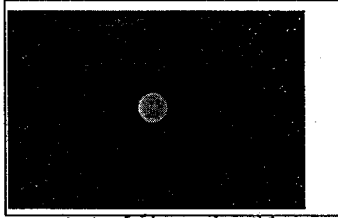


ثانياً . لا يمكن الحكم عليها بأنها ذات طبيعة غازية باردة .. لأنه يسهل كشفها بالمراقب الراديوية



صورة مجرة بالأشعة تحت الحمراء صورة مجرة حلزونية بالأشعة السينية صورة راديوية لسديم غازي

معتم



صورة لنجم في مرحلة قزم أبيض

صورة لنجم نيوتروني

صورة لتقنب أسود

ثالثاً . لا يمكن أن تكون ثقوباً سوداء أو نجومًا نيوترونية<sup>(٢)</sup> أو أقزامًا بيضاء<sup>(٣)</sup>

رابعاً . لا يمكن أن تكون أقزاماً بنية<sup>(١)</sup> .. لأنه يمكن كشفها بالمراقب الراديوية رغم صعوبة ذلك .

ب . من خلال ما ورد أعلاه وعدم احتمالية كون المادة السوداء ذات طبيعة تشابه طبيعة الأجرام الكونية المنورة عنها في (أ) أعلاه .. وهي ذات طبيعة تركيبها الأساسي ذري .. لذا لم يبق أمامنا إلا احتمال أن تكون طبيعة المادة السوداء مكونة من تركيب أساسي هو الجسيمات دون الذرية.

## ٩. مكونات مادة الكون

أ . يتكوّن الكون من نوعين من المادة .. من حيث التركيب الذريّ والتركيب دون الذريّ هما :  
 أولاً . المادة الباريونية<sup>(١)</sup> ( **Baryonic Matter** ) وتشكّل نسبة ( ٥ ) % من مادة الكون وموزعة كما يأتي :

(١) ( ٥ ، ٠ ) % نسبة المجرات والنجوم المنظورة .<sup>(٢)</sup>

(٢) ( ٥ ، ٤ ) % وتتكوّن من :

(أ) سحب الذرات ( غير المنظورة ) التي يتوقّع وجودها عند حافة الكون<sup>(٤)</sup>

(ب) الأجرام الضخمة المضغوطة الجوفاء المظهر .. ويُرمز لها **MACHOs**

( ) وهي **( Massive- Compact Halo Objects )** وهي

أجرام كونية غير منظورة .. تتكوّن من:

(أولاً) الثقوب السود .

(ثانياً) التجموم النيوترونية .

(ثالثاً) الأقزام البيض .

(رابعاً) الأقزام البنية .

ثانياً . المادة اللاباريونية . ( **Non Baryonic Matter** ) وتتكوّن من :

(١) المادة المتعمة الباردة ( **Cold Dark Matter** ) ويرمز لها ( **CDM** )

(أ) يؤكّد العلماء اليوم وبأدلة علمية دامغة على وجودها بنسبة ( ٣٠ ) % من

مادة الكون على شكل جسيمات غير معروفة .. تعقّب العلماء آثارها من

خلال تأثيراتها الجذبية على حركة التجموم وانحناء الضوء الصادر من تلك

التجموم عبر المجرات والكون .. ففي العام ١٩٨٩ م أكّد العلماء في

مركز ستانفورد للتعجيل الخطّي ( **Linear** )

( **Accelerator Center** ) في كاليفورنيا بالولايات المتحدة

الأمريكية .. والمختبر الأوربي للفيزياء الجهرية ( **C.E.R.N** ) في

جنيف بسويسرا على إن هذه المادة موجودة بشكل جسيمات أساسية

- نتجت كمخلفات عن نشأة الكون .. وأنها تشكّل الفجوات ( غير المنظورة )  
 حول المجرات والعناقيد المجرية .. أي تملأ هذه الفراغات <sup>(١)</sup>
- ( ب ) إنّ هذه المادّة قد تخثرت على شكل شعيرات تشكّل خيوطا " لأسطح  
 الفراغات الكونيّة عبر مئات الملايين من السنين الضوئية .. وأنّ حركتها  
 بطيئة فهي باردة <sup>(٢)</sup> .
- ( ج ) إنّ تفاعل المادّة المعتمّة الباردة مع المادّة الباريونية في الكون ضعيف جدا " ..  
 إنّ لم يكن أصلا" موجود هذا التفاعل .. فلو كانت هذه المادّة ذات  
 تفاعل فعلا" لتسطحت المجرات .. ولأمكن أيضا" كشفها بسهولة نتيجة  
 هذا التفاعل .. إضافة إلى أنّ تفاعل المادّة الباردة المعتمّة يتطلب وقتا"  
 أطول من عمر الكون <sup>(٣)</sup> لكي يبدأ أوّل تصادم لها <sup>(٤)</sup> .
- ( د ) إنّ جسيمات المادّة المعتمّة الباردة هي :

(أولاً) النيوترينوات <sup>(٥)</sup> (Neutrinos) . يرى بعض العلماء أنّ هذه الجسيمات تدخل في  
 تركيب المادّة المعتمّة الباردة <sup>(٦)</sup> .. بينما يعترض البعض الآخر على  
 ذلك .. لأنّ النيوترينوات هي جسيمات تتفاعل مع المادّة .. بينما  
 المادّة الباردة المعتمّة لا تتفاعل معها .. وأنّ قلب التجموم ومنها  
 الشمس وقلب المجرات تخلو من المادّة المعتمّة الباردة بينما تتواجد  
 النيوترينوات التي تتفاعل مع المادّة ببطيء في قلب النجوم <sup>(٧)</sup> .  
 والرأي الثاني هو الأصحّ .. لأنّ النيوترينوات <sup>(٨)</sup> هي إحدى نواتج  
 تفاعلات قلب التجموم .. وإنّ إنقطاعها يدل على توقّف التفاعلات  
 في قلب النجوم .. أي إنتهاء عمر النجوم .

(ثانياً). النيوتراينو (Neutralino) <sup>(١)</sup> . يتفق العلماء على أن الجسم الأكثر احتمالاً لترشيحه كأحد مكونات المادة الممتمة الباردة هو النيوتراينو الذي تتوقعه النظرية الحارقة الغموض بإفراط .. وتقدر كتلته بنحو ( ٤٠ - ٤٠٠ ) بليون الكترون - فولت <sup>(٢)</sup> .. ومع قدرة كهذه فإنه يمكن أن يكون من مكونات المادة الممتمة الباردة التي تمسك المجرات والتراكيب الكونية الأخرى .. وهناك سباق محموم بين العلماء المختصين لمحاولة إيجاد المسرعات الذرية من خلال بناء مراقب خاصة لتعقبه .. حيث يُعتقد كونه أحد مخلفات نشأة الكون <sup>(٣)</sup>

(ثالثاً) الأكسيونات ( Axions ) . إن هذا الجسم يفسق عليه العلماء أيضاً " بأنه جسم افتراضي .. وهو من الناحية النظرية أخف كتلة" من النيوتراينو .. ويُعتقد بأنه أحد مخلفات نشأة الكون أيضاً.. وإذا ما ثبت وجوده فإنه مرشح مثالي لمكونات المادة الممتمة الباردة .. وإن وجوده مع النيوتراينو قد يفسر سبب تمدد الكون <sup>(٤)</sup> .. يتفاعل هذا الجسم ببطء مع المادة الاعتيادية .. وهناك محاولات أمريكية ويابانية لرصده <sup>(٥)</sup> .

### (٢) المادة الممتمة الحارة ( Hot Dark Matter ) .

(أ) ويرمز لها (MDH) إختلف العلماء حول وجود هذه المادة من عدمها .. فمنهم من يعتقد إن صح وجودها فإنها تمنع تكون المجرات وتسبب نشوء الكون منذ أمد طويل قبل أن يصل إلى حالته الحالية .. وأن النسبة المتبقية من كتلة الكون (٦٥) % هي ليست مادة ممتمة حارة وإنما عبارة عن طاقة ممتمة .. وهي طاقة طاردة تعمل كعمل الجاذبية المضادة .. إلا إنها ليست قوة بالمعنى الذي يعني أنها لا تعتمد على خصائص الجسيمات نفسها .. فهي تعمل بشكل مباشر في الكون وتتراوح قيمتها بين ( ١٠<sup>٦٠</sup> - ١٠<sup>١٢٠</sup> ) مرة مقدار قيمة المادة المنظورة في الكون <sup>(١)</sup> .

(ب) يعتقد البعض الآخر إذا كانت المادة المعتمة الحارة هي السائدة فإن هذا يعني وجود مادة قليلة بين عناقيد المجرات .. إلا إن الملاحظات الفلكية لا تشير إلى ذلك مما يعني إبعاد نموذجها من الكون .. لذا فإن القسم الأكبر من المادة السوداء هو المادة المعتمة الباردة ( C . D . M )<sup>(٧)</sup> .

(ج) يرشح بعض العلماء الومبات<sup>(٨)</sup> ( Weakly (Wimps) ) كجسيمات مرشحة لمكونات المادة المعتمة الباردة .. وهي عبارة عن جسيمات صلدة ضعيفة التفاعل مع المادة الاعتيادية .

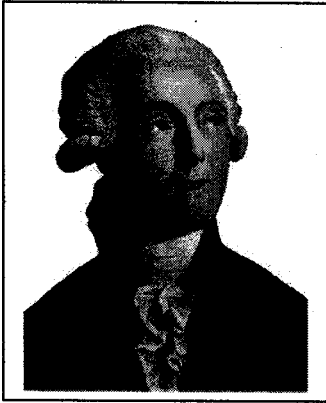
## ١٠ . خلاصة المعلومات .

يتضح مما ورد بالمادة (٧) أعلاه أن مادة الكون السوداء عبارة عن مادة قوامها الأساسي هو جسيمات دون الذرية .. سواء كانت غالبيتها مادة معتمة باردة أو مادة معتمة حارة .

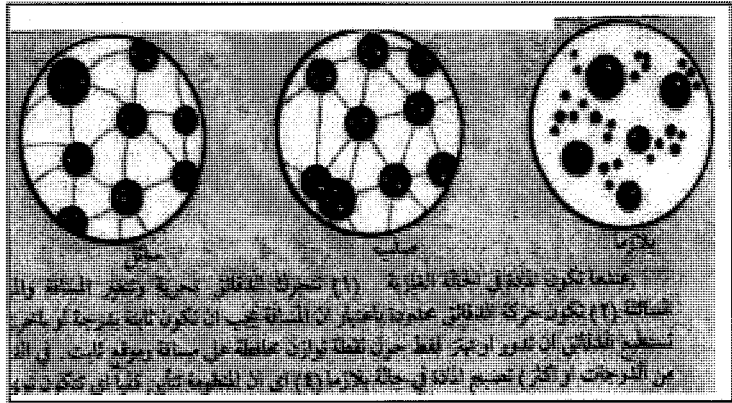
## ١١ . السبق القرآني .

أ . عرف الإنسان منذ بدء الخليقة نوعين من المادة هما .. الصلبة .. والسائلة .. من خلال معيشتة للطبيعة ومشاهداته للأرض والجبال والمياه .. ثم عرف في القرن السادس عشر الحالة الثالثة للمادة .. وهي الحالة الغازية .. إثر إكتشاف إنطوان لافوازيه<sup>(٩)</sup> لطبيعة الغلاف الجوي .. أما في القرن العشرين .. فقد عرف الحالة الرابعة للمادة وهي البلازما ( Plasma )<sup>(١٠)</sup> (التار) .. وهناك من يضيف الحالة الخامسة للمادة وهي الحالة الغروية ( الصمغية ) التي تجمع بين الصلابة والسيولة .<sup>(١١)</sup>

ب. لو تأملنا في الرسم التوضيحي لحالات المادة أدناه لوجدنا أن القاسم المشترك بين جميع حالات المادة المذكورة أعلاه هو الذرات .. أي أن الذرات هي الجسيمات الأساسية التي تدخل في



نطوان لافوازييه(٣)



حالات المادة (٥)

تكوين جميع أنواع حالات المادة التي نعرفها في الأرض .

ج. لم يشر القرآن الكريم إلى طبيعة مادة الكون بأنها مادة ذات طبيعة تركيبها الأساسي من الذرات كحالات المادة التي نعرفها في الأرض .. بل أشار إلى طبيعة مادة تختلف بمواصفاتها عن مواصفات حالات المادة أعلاه .. ومن خلال تدبر الآيات القرآنية ذات العلاقة ومعانيها .. فإنه يمكن التوصل إلى حقيقة طبيعة مادة الكون وكما يأتي :

أولاً . حالة البلازما .

(١) إن مادة السماء ( المادة السوداء ) هي ليست بلازما .. ولو كانت كذلك لأصبح الكون حاراً على الدوام

ولأنعدمت الحياة في الأرض نتيجة الحرارة العالية .. بينما الكون في حقيقته مظلماً كما جاء بقوله تعالى : .

(( وَالشَّمْسُ وَضِحَّاهَا . وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا . وَالتَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا . وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ))

الشمس : ٤-١

الهاء في لفظ ( يَفْشَاهَا ) ضمير يعود إلى الشمس.. أي أنّ الظلام يغطي الشمس .. وهذا فإن الآية الكريمة تشير إلى أنّ الكون مظلم .. وهي حقيقة علمية لم تتأكد بشكل قطعي إلا بعد رؤية ذلك بالعين المجردة من قبل رواد الفضاء .. حين انطلق أول رائد فضاء سوفيتي يوري كاكارين في المركبة (فوستوك - ١) بتاريخ ١٢/٤/١٩٦١ م مبدياً "ملاحظاته قائلا" :

( حين خرجت من ظلّ الأرض بدا الأفق بصورة أخرى .. فإذا هو محاط بشريط برتقالي زاهٍ ينتقل إلى الأزرق السماوي ومنه إلى الأسود القاتم )<sup>(١)</sup>  
 أما رائد الفضاء الأمريكي جون كلين .. فقد أبدى ملاحظاته من خلال رحلته بتاريخ ٢٠/٢/١٩٦٠ م قائلا:" :

(( بدت التجموج في السماء زاهرة كقطع الماس المبعثرة فوق المخمل الأسود ))

(٢)

جون كلين<sup>(٤)</sup>



يوري كاكارين<sup>(٣)</sup>





(٢) إن الكون بارد أساساً.. ففي العام ١٩٦٥ م تم قياس درجة قياس إشعاع الخلفية الكونية ( Back Ground- Radiation ) بواسطة هوائية بيل من خلال تعقب المنطاد (إيكو -١) فتبين أنها تبلغ (٧ ، ٢) م فوق درجة الصفر المطلق الذي يبلغ ( - ٢٧٣ م )<sup>(٥)</sup> .

ثانياً. الحالتان السائلة والغروية . تشكّلان مسألة بديهية .. فلو كان الكون عبارة عن مادة سائلة أو غروية لتأثرتا بجذب الأرض

لهما .. ولا نتجبتا إليها بفعل الجاذبية الأرضية .. ولما كانت هناك حياة أساساً في الأرض .. كما إن القرآن الكريم لا يتطرق إلى بديهيات .. لأن كل كلمة فيه هي ذات مغزى أو أكثر .

إضافة إلى ما ورد أعلاه فقد جاء بقوله تعالى :

(( أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُنْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ))

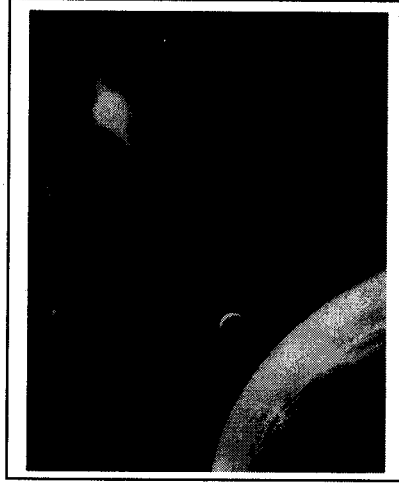
الملك: ١٩

لو كانت طبيعة مادة السماء سائلة أو غروية لما أمكن للطيور أن تطير فوقنا كما جاء في الآية الكريمة أعلاه .. لأنه لا يمكن أن يكون هناك غلاف جوي إطلاقاً بفعل تأثير جذب الأرض للسوائل المشار إليها أعلاه .

ثالثاً. الحالة الغازية . لا يمكن أن تكون مادة الكون غازية كالعلاف الجوي للأسباب الآتية :

(١) إن ضياء الشمس والنجوم كما هو معلوم يتشتت على العلاف الجوي الأرضي (الهواء) فتحدث ظاهرة النهار .. لأن هذا الضياء غير مرئي أساساً.. ولا يرى إلا بعد تشتته على العلاف الجوي .. وهذه حقيقة علمية قد جاء بها القرآن الكريم بقوله تعالى :

(( وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ )) يس: ٣٧



رسم يبين الأرض والقمر والشمس .. موضحاً " فيه ظلام الكون الذي يحيط بالشمس .. كما يبين ضياء الشمس الغير مرئي الذي يتشكل على الغلاف الجوي الأرضي في الوجه المقابل للشمس .. فتحدث ظاهرة النهار .

جاء وصف الغلاف الجوي تشبيهاً " بجلد الشاة عندما تُسلخ .. وفي حالة سلخ الغلاف الجوي عن الأرض فإنّ ضياء الشمس سيصل إلى الأرض بشكل غير مرئي .. فتصبح الأرض مظلمة .. إضافة إلى انعدام الحياة .. ومثال ذلك القمر الذي لا تساعد كتلته على الاحتفاظ بغلاف جوي كالأرض لضعف جاذبيته .. فهو مظلم على الدوام حتى في وجهه الذي يقابل الشمس عند دورانه حول محوره .  
وهذا فإنّ القرآن الكريم يشكّل سبقاً علمياً من خلال وصف حقيقة ظلام الكون وتأثير الغلاف الجوي لإحداث ظاهرة النهار في الأرض .  
وقد جاء في القرآن الكريم حقيقة ظلام الكون في آية أخرى كما جاء بقوله تعالى

(( وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا . وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ))

الشمس : ٣-١

الماء في لفظ (جلاها) ضمير يعود إلى الشمس .. فيكون بمعنى أظهرها .. وهذا يشكّل سيقاً علمياً أيضاً" من خلال كون ضياء الشمس غير مرئي ولا يظهر إلا عندما يتشتت على الغلاف الجوي . . وقد جاء لفظ النهار في الآية الكريمة تسمية للغلاف الجوي من خلال حقيقة تأثيره وليس من خلال حقيقة كينونته .. وهو أسلوب قرآني يتكرر في عدة مواضع في القرآن الكريم .. ومنها قوله تعالى :

(( .. يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ .. ))

الزمر: ٦

نجد في الآية الكريمة أنّ الله عزّ وجلّ يصف الجدران التي تحيط بالجنين وهي ( الأمينوسي والكاريوني والساقط ) بالظلمات وليس بالجدران .. بل تَمَّت تسميتها بوظيفتها وهي إحداث الظلمة وليس بكينونتها كجدران .. لأنّ هذه الظلمات هي ضرورية لنمو الجنين كما هو معروف في علم الأجنة .

(٢) لو كانت طبيعة السماء غازية كالغلاف الجوي لانتقلت إلينا أصوات الانفجارات الناتجة عن التفاعلات الهيدروجينية في قلب الشمس والتنجوم .. لأنّ الهواء هو وسط ناقل للصوت .. بينما طبيعة مادة الكون السوداء غير موصلة للصوت .. وهذه نعمة من نعم الله عزّ وجلّ التي أنعم بها علينا ولولاها لأصبح الكون ضجيجا" لا يطاق .

رابعا" . الحالة الصلبة . لم يتبقّ أمامنا إلا الحالة الأخيرة للمادة .. وهي الحالة الصلبة .. ويجبرنا القرآن الكريم بأن مادة الكون ليست صلبة بدليل قوله تبارك وتعالى:

((يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ  
الْقَفُورُ))

سبأ: ٢

(( هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا .. ))

الحديد: ٤

لو تأملنا الآيتين الكريمتين أعلاه لوجدنا أن الهاء في لفظ ( فيها ) ضمير يعود إلى السماء .. فلو كانت السماء ذات طبيعة صلبة .. لوجب القول من الناحية اللغوية ( وما يعرج عليها ) وليس ( وَمَا يَعْزُجُ فِيهَا )

د. لما كانت طبيعة مادة السماء ( مادة الكون ) كما جاء في القرآن الكريم بأنها ليست غازية أو صلبة أو سائلة أو غروية أو بلازما بمعنى أن مادة الكون هي ليست ذات تركيب أساسي كالتركيب الأساسي المعروف لحالات المادة أعلاه .. لذا لم يتبق أمامنا سوى استنتاج واحد هو أنها ذات طبيعة دون الذرية .. أي عبارة عن مادة تركيبها الأساسي جسيمات دون الذرية .. وهذا ما توصل إليه العلماء حديثاً وبذلك نجد أن العلم الحديث يدعن لصدق الحقائق التي جاء بها القرآن الكريم .

هـ. أشار القرآن الكريم إلى وجود الجسيمات دون الذرية في الكون وإلى حقائق أخرى كما جاء بقوله تعالى :

(( وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ))

يونس: ٦١

(( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ))

سبا: ٣

يستدل من خلال الآيتين الكريمتين على ما يأتي :

أولاً . جاء لفظ (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) مع الإشارة إلى ما هو أكبر منها .. وكذلك إلى ما هو أصغر منها مكرراً في الآيتين الكريمتين .. وهذا يعني لغة " أنه كلام مقصود .. لأن التكرار في اللغة يدل على القصد من المعنى

ثانياً . جاء لفظ ( السماوات ) في الآية : ٣ من سورة سبأ متقدماً على لفظ الأرض .. لأنّ السماوات أعظم شأنًا من الأرض .. وهي حقيقة علمية أيضاً حيث كان الناس وقت نزول القرآن الكريم يعتقدون بأن الأرض هي أكبر شيء في هذا الوجود .. ونجد أن لفظ الأرض قد جاء متقدماً على لفظ السماء في الآية : ٦١ من سورة يونس .. لأنّ الأرض أعظم شأنًا من سمائها ( الغلاف الجوي ) وأنّ من أحد معاني السماء في القرآن الكريم هو الغلاف الجوي .. لأنّ للقرآن الكريم وجوهاً ونظائراً<sup>(١)</sup> كما هو معلوم .. وقد جاء بقوله تعالى :

(( وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاحِحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ))

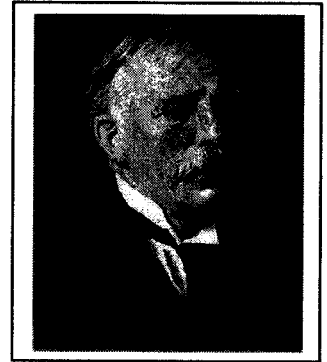
الحجر : ٢٢

إنّ الرّياح والماء يقعان ضمن الطبقة الأولى من طبقات الغلاف الجوّي (Troposphere) .. وهذا دليل على أنّ أحد معاني لفظ

التروبوسفير

السماء في القرآن الكريم هو الغلاف الجوي .. وبهذا فإنّ الآيتين الكريمتين تشيران إلى السماوات والأرض وسمائها ( الغلاف الجوي ) .

ثالثاً . أشارت الآياتن الكريمتين أعلاه إلى الذرة .. وإلى ما هو أصغر منها بدليل اللفظ (ولا أصغرُ من ذلك) أي ولا أصغر من الذرة في السموات والأرض وهذا يكون القرآن الكريم قد أشار بوضوح إلى الجسيمات دون الذرية التي هي أصغر من الذرة.. وبذلك نستدل على وجود هذه الجسيمات في السموات وفي الأرض وسمائها ( الغلاف الجوي ) .. وهذه حقيقة علمية أيضا" .. ففي العام ١٩١١ م إكتشف إرنست رذرفورد البروتون الذي يكون نواة ذرة الهيدروجين الخفيف.. وفي العام ١٩٣٢ م اكتشف جيمس شادويك النيوترون .. ثم توالى الإكتشافات حتى بلغ عدد الجسيمات المكتشفة والإفتراضية بمحدود (٢٠٠) جسيم.. وقد تمكن العلماء المختصين من الحصول على بعض الجسيمات الحرة كالنيوترون الحر الذي يستخدم في شطر نويات ذرات اليورانيوم ( ٢٣٥ ) في عمليات الإنشطار النووي.. وذلك من خلال تحضيره في المسرعات الذرية .. وهذا يستدل على أن الجسيمات دون الذرية يمكن الحصول عليها في الأرض إضافة إلى وجودها في السموات .

جيمس شادويك<sup>(٢)</sup>رذرفورد<sup>(١)</sup>

رابعاً . إن الإشارة إلى وجود ما هو أصغر من الذرة في السماوات والأرض .. يأتي دالاً على حقيقة علمية أخرى . لأن حالات المادة المعروفة على الأرض تركيبها الأساسي الذرات وكذلك الأجرام الكونية المنظورة التي يستدل على تركيبها الذري من خلال دراسة أطيافها .. فطيف الشمس مثلاً يشير إلى وجود نسبة ( ٧٠ ) % هيدروجين من كتلة الشمس .. والهليوم بنسبة ( ٢٨ ) % .. ونسبة ( ١ ) % لعناصر أخرى .. في الوقت الذي لم تعرف فيه الجسيمات دون الذرية إلا حديثاً .

خامساً . إن المادة في السماوات والأرض تتكوّن من الذرات .. وما هو أكبر منها .. الجزيئات .. التي بمجموعها تتشكل المادة .. أما مادة الكون الأخرى فهي عبارة عن مادة تركيبها الأساسي جسيمات دون الذرية متمثلة بالمادة السوداء .. أو النجوم النيوترونية التي تركيبها عبارة عن نيوترونات خالصة .

سادساً . لم تحدّد الآيتين الكريميتين مستوى معين أدنى من الذرة .. وفي هذا بعداً "إعجازياً" آخر .. لأن الذرة كما هو معلوم تتكون من نواة تحتوي على النيوترونات والبروتونات وتدور حولها الإلكترونات .. وجميعها جسيمات دون الذرية بمستوى أدنى واحد .. وهذه الجسيمات تتكوّن من جسيمات ذرية أصغر منها نزولاً إلى مستوى أدنى آخر هو الكواركات .. لذا فإن الإشارة في الآيتين الكريميتين تؤكد وجود ما هو أدنى من حجم الذرة لعدة مستويات .. لأن لفظ (ولا أصغرُ من ذلك) يعني لغة الإشارة إلى كل ما هو أصغر من الذرة بغض النظر عن أي مستوى معين .. حيث جاء هذا اللفظ القرآني بصيغة العموم وليس الخصوص .

سابعاً . إن للذرات ثقل بدليل اللفظ ( مثقال ) في الآيتين الكريميتين .. وهو لفظ مشتق من ثقل .. والثقل عكس الخفيف .. وهنا نتساءل كيف يمكن أن تكون الذرات غير المرئية ثقيلة ؟ .. والجواب هو أنها ثقيلة فعلاً .. فذرة الهيدروجين ( H ) ( وهو أخف العناصر في الطبيعة .. يبلغ حجمها ( ١٠<sup>-٢٤</sup> ) سم<sup>٣</sup> بينما تبلغ كتلتها ( ١٠<sup>-٢٤</sup> ) غم .. وبذلك تكون كثافتها عالية جداً من خلال إستخراج قيمتها وكما يأتي :

الكثافة = الكتلة =  $10^{-24}$  غم =  $10^{10}$  غم/سم<sup>3</sup>... أي  
 مليار طن / سم<sup>3</sup> .. بينما تبلغ كثافة  
 الحجم  $10^{-29}$  سم<sup>3</sup>  
 الماء اغم / سم<sup>3</sup> فقط.

وهذا يتبين لنا مقدار ثقل نواة ذرة الهيدروجين الخفيف كما أشار إليها القرآن الكريم .

ثامناً". إن اللفظ القرآني ( مثقال ) المشتق من ( ثقل ) له دلالة أخرى.. وهي وجود الجاذبية .. لأن ثقل أي جسم هو وزنه .. وليس كتلته .. حيث يختلف ثقل أي جسم من موضع إلى آخر في الكون .. فلو أن رائد فضاء وزنه ( ٦٠ ) كغم على الأرض .. يصبح هذا الوزن ( ١٠ ) كغم على القمر .. لأن جاذبية القمر هي ١ جاذبية الأرض .

٦

وهذا فإن لفظ ( مثقال ) يدلّ على التأثير بقوة الجاذبية تبعاً لوزن الجسم وليس كتلته .. وهو لا يعني كتلة الجسم إطلاقاً" .. لأن الكتلة هي مجموع مكونات المادة في الجسم .. فلو كان المقصود بهذا اللفظ الإشارة إلى الكتلة في الآيتين الكرئمتين لوجب القول ( وما يعزب عن ربك من ذرة ) وليس ( وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ) .

## ١٢. مادة الكون أم مادة السماء ؟

أ. إن لفظ السماء لغة يعني كل ما علاك .. فنحن أينما نكون في الأرض سواء في القطب الشمالي أو الجنوبي أو على أي نقطة من خط الإستواء أو مداري الجدي والسرطان .. فإن السماء هي أعلننا .. لأنها تحيط بنا من كل جانب .. أما لفظ الكون لغة .. فهو لفظ لا يدلّ على أنه يحيط بنا من كل جانب .. لأن معنى (كون) هو الحدث بين الناس كقولهم:

(نعوذ بالله من الحور بعد الكون .. أي نعوذ بالله من يوم بعد أن كان .. وما نقص بعد كون) (١) .

ب. إن لفظ (الكون) هو الحدث .. وقد كان كوناً وكيونة .. والكيونة في مصدر كان يكون الشيء .. والكون مفرد أكوان (٢) .. ويأتي بمعنى الوجود (٣) .

ج. إن لفظ (كون) مشتق من (كان) يكون كوناً وكياناً (٤) .. وكيونة الشيء هي حدث ووجد وصار .. ولا يعني فناؤه .. بينما السماء لها أجل مسمى .. أي عمر محدود .. وإنها فانية كما جاء بقوله تعالى:



(( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ))  
(( الأنبياء : ١٠٤ ))

د. من معاني (كان) التي اشتق منها لفظ (كون) تعني أنها لم يسبقها شيء<sup>(١)</sup> .. أي أزي كما جاء بقوله تعالى:

(( ..وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ))

الأحزاب: ٥١

أي بمعنى أن الله عز وجل كان منذ الأزل عليما حلوما.. ولم يكن عز وجل غير ذلك من قبل.. ويدل لفظ كون على نفس المعنى.. أي أزي.. بينما السماوات تسير نحو الفناء وفقا لمعطيات العلم الحديث التي تدعن لصدق القرآن الكريم كما جاء بقوله تعالى:

(( .. قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ))

يونس: ٣٤

هـ. ومن معاني (الكون) هو (ثبت)<sup>(٢)</sup> أي ثابت.. بينما السماء أو السماوات غير ثابتة.. متغيرة .. في حالة تمدد حالياً كما جاء بقوله تعالى:

(( وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ))

الذاريات: ٤٧

وكذلك معرضة للتغيير يوم القيامة كما جاء بقوله تعالى:

(( يَوْمَ نُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ))

إبراهيم: ٤٨

و. ومن معاني الكون أيضا إنه يفيد على الدوام والإستمرار (٣).. والسّماء ليست كذلك.. لأنّ لها بداية ونهاية.. وهذه حقيقة علمية أخرى تدعّن لصدق القرآن الكريم كما جاء بقوله تعالى:

(( أَمِنَ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ... ))

النمل : ٦٤

ح. في ضوء ماورد أعلاه فإن تسمية الكون المنظور بالسّماء وتسمية الأكوان بالسّماوات هي الأصحّ لغوياً وعلمياً.. وأنّ مادّتها السوداء هي مادة السّماء أو السّماوات وليست مادّة الكون.

## ١٣. الخاتمة

أ. يتضح مما سبق ما يأتي :

أولاً . إن الكون ليس عبارة عن فراغ أو مادة افتراضية كالأثير.. بل تملؤه مادة غير مرتبة .. هي المادة السوداء التي تشغل الفراغات بين التجوم والمجرات .

ثانياً . إن كتلة مادة الكون ( المادة السوداء ) هي أكبر من كتلة المادة المرئية ( التجوم وباقى الأجرام الكونية المنظورة .. وغير المنظورة التي يمكن رصدها كالثقوب السود والتجوم النيوترونية والأقزام البيض والبنية ) وبفارق كبير جداً .

ثالثاً . تتحرك الأجرام الكونية .. ومنها التجوم والمجرات في مدارات حول مراكز دورانها .. ولا تنفلت منها نتيجة وجود محصلة قوتين معادلتى التأثير عليها .. هي قوة جذب مركز الدوران .. وقوة تأثير جذب المادة السوداء التي تعادل تأثير قوة جذب مراكز الدوران .

رابعاً . إن مدارات الأجرام الكونية حول مراكز دورانها هي مدارات مغلقة .

خامساً . إن كل ما في الكون في حالة حركة ضمن مدار خاص لكل جرم .

سادساً . إن حركة الليل والنهار وهما ظريفي زمان وفقاً للنظرية النسبية الخاصة لأينشتاين يدل على أن ظريفي المكان ( المقابل والمعاكس للشمس ) يتعاقبان مكان بعضهما الآخر .. أي أن الأرض تدور حول محورها لكي تحدث ظاهريتي الليل والنهار .. وبنفس الوقت فإن الأرض تدور حول مركز دورانها الشمس ساجحة في فلكتها إسوة بباقي الأجرام الكونية التي تدور حول مراكز دورانها .

سابعاً . إن مادة الكون تتكون من نوعين من المادة .. مادة تركيبها الأساسي الذرات .. ومادة تركيبها الأساسي جسيمات دون الذرية .. وأن الذرات والجسيمات دون الذرية موجودة في الكون وفي الأرض .

ثامناً . تختلف طبيعة مادة الكون عن طبيعة حالات المادة المعروفة في الأرض ( الصلبة - السائلة - الغازية - البلازما - الغروية ) .

تاسعاً . إن الذرات بطبيعتها ثقيلة النويات بحكم كثافتها الهائلة رغم صغر حجمها .

عاشراً . إن ثقل الذرات له دلالة لغوية على وجود قوة الجاذبية .

ب. في ضوء الحقائق العلمية المكتشفة في القرن العشرين والمشار إليها في البحث اعلاه.. نجد أن القرآن الكريم قد أشار إلى تلك الحقائق قبل توصل العلم الحديث إليها بنحو ( ١٤٠٠ ) سنة .. فمن علم محمداً صلى الله عليه وسلم هذه الحقائق ؟ .. علمه شديد القوى .. وقد صدق الله عز وجل بقوله تعالى :

(( وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ))  
سبأ: ٦

## مصادر البحث

القرآن الكريم

١. الصحاح والسنن .
٢. صحيح البخاري .
٣. صحيح مسلم .
٤. سنن الترمذي .
٥. سنن ابن ماجة .
٥. سنن البيهقي .

التفاسير

٦. أبي الفداء إسماعيل في كثير الدمشقي ( ت ٧٧٤ هـ ) - تفسير القرآن العظيم - دار القلم - بيروت ( لبنان ) - المجلد
٧. أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت ( لبنان ) - ج ٢٧ .

معاجم اللغة

٨. ابن منظور - لسان العرب - المجلد - ١٠ .
٩. الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن .
١٠. مجمع العين .
١١. مجمع البحرين .
١٢. المنجد في اللغة والأعلام - دار المشرق - بيروت ( لبنان ) ط ٣٠ - لسنة ١٩٨٨ م .

المصادر العربية

١٣. ميخائيل عبد الأحد - الموسوعة الفلكية المبسطة - دار الكتب - الموصل ( العراق ) - ط ١ لسنة ١٩٧٧ م .
١٤. عبد الودود رشيد - شهادة الكون - شركة السرمند للطباعة والنشر - بغداد ( العراق ) - ط ١ لسنة ١٩٩٠ م
١٥. د. حسن الشريف - في رحاب الكون - معهد الإنماء العربي - سلسلة الكتب العلمية الميسرة - بيروت ( لبنان ) - ط ١ لسنة ١٩٨٠ م .
١٦. د. عبد الرحيم بدر - الكون الأحذب - منشورات مكتبة النهضة - بغداد ( العراق ) - ط ٣ لسنة ١٩٨٠ م
١٧. د. علي الأمير - الكون العميق - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ( العراق ) - ط ١ لسنة ١٩٨٦ .
١٨. د. منصور محمد حسب النبي - الكون والإعجاز العلمي للقرآن - دار الفكر العربي - القاهرة ( مصر ) - ط ١ لسنة ١٩٨١ م .
١٩. الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ( ت ٧٩٤ هـ ) - البرهان في علوم القرآن - دار الكتب العلمي - بيروت ( لبنان ) - ج ٣ - ط ١ لسنة ( ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م ) .

## المصادر الأجنبية المترجمة

٢٠. بيار كوهلر - الموسوعة العلمية المصورة - مترجمة - منشورات واسط ( إنكلترا )  
ج ٣ و ٥ .
٢١. ستيفن هوكينج - موجز تاريخ الزمن - ترجمة باسل محمد الحديثي - دار المأمون - بغداد ( العراق ) - ط ١ لسنة ١٩٩٠
٢٢. ميشيو كاكو - رؤى مستقبلية - ترجمة د. سعد الدين خرفان - سلسلة عالم المعرفة ( ٢٧٠ )  
- المجلس الوطني للثقافة والفنون  
والآداب - الكويت - ط ١ لسنة ٢٠٠١ م .
٢٣. وليام كوفمان - الحجرات والكوازارات - ترجمة المهندس عبد الكريم السامرائي - دار الشؤون الثقافية - بغداد ( العراق ) - ط ١  
لسنة ١٩٨٩ .
٢٤. البروفسور أوميد شمشك - الانفجار الكبير ( مولد الكون ) - ترجمة أورخان محمد علي -  
منشورات يني آسيا - سلسلة أبحاث  
في ضوء العلم الحديث - إستانبول ( تركيا ) - ط ١ لسنة ١٩٨١ م .
٢٥. كارل ساجان - كوكب الأرض نقطة زرقاء باهتة ( رؤية لمستقبل الإنسان في الفضاء ) -  
ترجمة د. شهرت العالم - سلسلة عالم  
المعرفة ( ٢٥٤ ) - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ط ١ لسنة ٢٠٠٠ م .
٢٦. سلسلة كتاب عالم المعرفة - الأرض والكون - شركة تراكسيم (سويسرا) - ج ٨ -  
ط ١ لسنة ١٩٧١ م .
٢٧. البروفسور أوميد شمشك - أسرار الذرة - ترجمة أورخان محمد علي - منشورات مطبعة  
الحوادث - بغداد (العراق) ط ١ لسنة  
١٩٨٦ م .
٢٨. البرفسور ميهايو فليميروفج - الكون الذري - ترجمة د. موسى الجنابي - منشورات منظمة  
الطاقة الذرية - بغداد ( العراق ) ط ١  
لسنة ١٩٨٧ م .

## المصادر الأجنبية

29. Thomas T. Arny , EXPLORATION ( An Introduction To Astronomy )McGraw Hill,Massachusetts , Burr Ridge , I'llinois , U. S. A , Second Edition , 1997 .
30. David J. Eicher , A supplement To Astronomy Magazine , ( The 10 Mysteries , ( Dark Matter ) , June 2001 .
31. Mark Sinseel , Astronomy Magazine , ( The 8 Greatest Mysteries Of Cosmology ), June , 2001 .
32. Ludek Pesek And Peter Ryan , SOLAR SYSTEM , G.P.S (Printed) , 1998 .
33. Sharoon Biegly , A special Supplement To Time Magazine , Winter , 1997 – 1998 .
34. News Week Magazine, A special Report , No. 3 , Nov. 1997.
35. Robert Zemer mann , Astronomy Magazine , Essay , June 2001 .



الأقراص المدمجة العربية

٣٦. د. خليل البدوي - الموسوعة الفلكية العربية - مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي - قرص مدمج - عمان (الأردن) - ٢٠٠١ م .

الأقراص المدمجة الأجنبية

37. Dorling Kindersley ( D.K ), Multimedia , Eyewitness , Encyclopedia Of Space And Universe CDROM , 1996 .
38. D.K , Multimedia , Eyewitness , Encyclopedia Of Science , CDROM 1997
39. Mega System Company , Cosmos 3 D , CDROM , 1997.
40. D . K , Red Shift 3 , CDROM , 1997 .
41. Microsoft , Encarta ,Reference Library , CDROM , 2003 , 2003, 2004
42. Ramsom Company , The History Of Universe , ( Dark Matter ) , CDROM , 1997 .
43. Britannica Encyclopedia , CDROM , 2004 .
44. F.T Key International , Multimedia Knowledge In Depth , CDROM , 1995 .
45. Space Race , CDROM , 1999 .
46. Glasklar , Company . The Cosmos . CDROM . 1995 .

المجلات العربية العلمية

٤٧. مجلة علوم الكويتية - العدد (٥) لسنة ١٩٩٨ م - نقلاً عن Scientific American ,  
September , 1998

النشرات الإخبارية

٤٨. النشرة الصباحية مخططة (B B C) ليوم ١٩٩٨/٣/٣١ م وأخبار أخرى متفرقة ذات علاقة  
بالبحث .

## الهوامش

(<sup>١</sup>) نيقولاس كوبر نيكوس (١٤٧٣ - ١٥٤٣) م : راهب بولوني نشر كتابا في العام ١٥٤٣ م بيّن فيه دوران الأرض حول الشمس داحضا" بذلك الأفكار العلمية والدينية التي سبقته .. والتي كانت تعتقد بثبات الأرض في مركز الكون ودوران الشمس حولها .. وبذلك فجّر صراعا" فكريا" ودينيا" بين مدرستين .. الأولى .. هي المدرسة الكاثوليكية التي رفضت أفكاره .. متمسكة بثبات الأرض في مركز الكون ودوران الشمس حولها .. والثانية .. قبلت أفكاره .. ولم ينته هذا الصراع إلا في العام ١٦٨٧ م عندما وضع إسحاق قوانين الحركة الثلاثة وقانون الجذب العام . Issac Newton نيوتن )

المادة - ج ٣ - منشورات واسط ( إنكترا ) - مترجمة - الموسوعة العلمية المصورة - أنظر : بيار كوهلر ١٦٩

(<sup>١</sup>) ستيفن هوكنك ( ١٩٤٢ - ) م : عالم إنكليزي .. يُعدّ اليوم من أكبر علماء الفيزياء النظرية بعد أنشتاين .. شغل كرسي نيوتن للرياضيات في جامعة كامبردج .. نال شهرة واسعة في مجال تخصصه رغم مرضه وعجزه عن النطق .. ويُعدّ اليوم واحدا من كبار عباقرة العلماء في العالم .

أنظر : ستيفن هوكنك - موجز تاريخ الزمن - ترجمة باسل محمد الحديثي - دار المأمون - بغداد ( العراق ) - ط١ لسنة ١٩٩٠ م - نبذة عن حياة ستيفن هوكنك في ظهر الكتاب .

Dorling Kindersley ( Encyclopedia Of space and

(<sup>٢</sup>) أنظر :

D.K ) Multimedia ,

universe, CDROM , 1996

(<sup>٣</sup>) جان أورت:

(١) عالم فلكي ألماني توصل فيما بعد خلال فترة الأربعينات من القرن الماضي إثر دراسة مستفيضة وتحليل مدارات المذنبات ( Comets ) إلى وجود سحابة من المذنبات على شكل هالة تدور حول نظامنا الشمسي بشكل قرص يبعد محيطها الخارجي عننا ( ٤٠٠٠٠ ) وحدة فلكية .. ويبعد محيطها الداخلي عننا ( ١٠٠٠٠٠ ) وحدة فلكية .. وقد سميت هذه السحابة باسمه ( Oort Cloud ) .

أنظر : ميخائيل عبد الأحد - الموسوعة الفلكية المبسطة - دار الكتب - بغداد ( العراق ) - ط١ لسنة ١٩٧٧ م - ص ٥١٩ .

- (ب) الوحدة الفلكية : (Astronomy Unit) . ويرمز لها (A . U) .. وهي متوسط بعد مدار الأرض عن الشمس وتعادل ( ١٥٠ ) مليون كم  
 (V) يأمل العلماء وصول المركبة غير المأهولة فويجير - ٢ ( Voyager-2 ) التي أطلقت يوم ١٩٧٧/٩/٥ م إلى سحابة أورت ضمن إحدى مراحل رحلتها إلى أعماق الكون .. وذلك في العام ٢٠٢٦ م .. ومغادرتها في العام ( ٢٨٦٣٥ ) م .. وفقاً لبرنامجها المقرر مالم يطرأ عليه حادث عرضي .  
 أنظر : عبد الودود رشيد - شهادة الكون - شركة المرصد للطباعة والنشر - بغداد ( العراق ) - ط ١ لسنة ١٩٩٠ م - ص ٩٠ .  
 (د) بتاريخ ١٩٩٨/٣/٣١ م أذاعت محطة الإذاعة البريطانية ( B.B.C ) في نشرتها الصباحية خبر مغادرة المركبة أعلاه لنظامنا الشمسي باتجاه عمق مجرتنا ضمن برنامجها المقرر.  
 أنظر : (٤)

Dorling Kindersley ( D.K ) , The

Same Resource

( D . K ) , Encyclopedia of Space ,

(١) أنظر :

Previous Resource .

Mega System Company , Cosmos 3D ,

(٢) أنظر :

CDROM , 1997.

- (١) فريتز زويكي ( ١٨٩٨ - ١٩٧٤ ) م عالم سويسري - اكتشف النجوم النيوترونية موضحاً "بأنها تتكوّن في آخر مرحلة من مراحل حياة النجوم الكبيرة.. أي بعد مرحلة الإنتفاخ الكبير ( Super Nova ) .  
 أنظر :

Ransom Company , The History Of Universe ,

CDROM , 1997. (٢) أنظر :

The Same Resource .

- (٣) السنة الضوئية : هي مقدار المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة ( ١٠ × ٢ , ٩٩٧٩٢٤٥٨ كم/ثا وتعادل مسافة ( ٩ , ٤٦٠٥ )  
 ١٠ × كم.  
 أنظر :

Thomas T. Army, EXPLORATAONS , McGraw Hill , U. S. A , Second

Edition, 1997, page 543

(٤) ظاهرة دوبلر :

(أ) هي التغيير المرصود للإشعاعات ذات الموجات الطويلة التي تتبع عن الأجسام خلال حركتها .

Thomas T. Army , The Same

أنظر :

Resource

- (ب) بعبارة أخرى هي العلاقة التي تربط بين سرعة الضوء وتردده .. فالنجوم والمجرات التي نراها تبعد عنا يتخلف عنها أدنى تردد للطيف المرئي .. وهو الأحمر .. وتردده ( ٤٠٠ ) ترليون نذبئة / ثا .. وتسمى هذه الظاهرة بظاهرة الإزاحة نحو الأحمر ( Red Shift ) .. بينما النجوم والمجرات التي نراها تقترب منا يسبقها أعلى تردد للطيف المرئي .. وهو الأزرق .. وتردده ( ٧٦٠ ) ترليون نذبئة / ثا .. وتسمى هذه الظاهرة بظاهرة ( الإزاحة نحو الأزرق ( Blue Shift ) ) ..  
 وقد توصل العالم الفلكي إدوين هابل ( Edwin Hubble ) في العام ١٩٢٩ م إلى تمدد الكون من خلال ظاهرة دوبلر حين رصد الإزاحة نحو الأحمر لبعض المجرات .

أنظر : د. حسن الشريف - في رحاب الكون - معهد الإمام العربي - سلسلة الكتب العلمية الميسرة - بيروت ( لبنان ) -

ط ١ لسنة ١٩٨٠ م - ص ١٠٤ ( بتصرف ) .

(٩) انظر : David J. Eicher ,A supplement To Astronomy Magazine , The 10 Mysteries , ( Dark - Matter ) , June 2001.  
(٦) انظر : (D.K) , Red Shift 3 , CDROM 1997.

(١) الجسيمات دون الذرية : هي جسيمات معظمها افتراضية .. أصغر من الجسيمات الأساسية التي تتكون الذرة (الإلكترونات/ البروتونات/ النيوترونات ) .. يدخل بعضها في تركيب جسيمات الذرة الأساسية أعلاه كالواركات ( Quarks ) .. وبعضها يدخل في تركيب المادة السوداء التي تملأ الكون كما يرى ذلك العلماء .. بعض الجسيمات دون الذرية تعمل ناقلة للقوى المؤثرة على المادة ( القوة النووية القوية وتسمى جسيماتها الناقلة لها بالكلونات/ القوة النووية الضعيفة وجسيماتها الناقلة لها هي البوزونات / أما القوة الكهرومغناطيسية فإن جسيماتها الناقلة لها هي الفوتونات / وأخيراً قوة الجاذبية وجسيماتها الناقلة لها هي الكرافيتونات ) .. تحمل بعض الجسيمات دون الذرية شحنة كهربائية وبعضها الآخر عديم الشحنة .. تمتلك بعض هذه الجسيمات كتلة وقسم منها عديم الكتلة .. تتفاعل بعض الجسيمات دون الذرية مع المادة وبعضها بطيء التفاعل أو عديم التفاعل مع المادة الإعتيادية .. وأخيراً " فإن لكل جسيم ضديد له .

(٢) جيمس كرونين : عالم فيزيائي أمريكي متخصص في الجسيمات دون الذرية .. حاز على جائزة نوبل في العام ١٩٨٠ م مناصفة مع فال فيتش .

Microsoft , Encarta , Reference Library .

CDROM, 2004

(٣) فال فيتش : عالم فيزيائي أمريكي متخصص في الجسيمات دون الذرية .. حاز على جائزة نوبل في العام ١٩٨٠ م مناصفة مع جيمس كرونين .

Microsoft , Encarta , The

انظر :

Same Resource

(٤) إن مجادلة بعض العلماء لما توصل إليه جيمس كرونين وفال فيتش هي نتيجة كون الجسيمات دون الذرية ووجودها بشكل طليق غير داخلية في تركيب الجسيمات الأساسية للذرات يعني تأكيد وجودها في الكون بشكل منعزل عن المادة الكونية المنظورة وغير المنظورة التي يمكن رصدها بوسائل معينة .. لذا لا بد أن تكون هذه الجسيمات ماهين مادة وأخرى في الكون .. وإن سبب صغر حجمها الدقيق وكونها غير مرئية فإنها تعطي تفسيرا " لسبب عتمتها .

(٥) انظر : Mark Sinseel , Astronomy Magazine , The 8 Greatest Mysteries Of Cosmology , June , 2001 , page 49 .

Microsoft , Encarta , The Same Resources.

(٦-٧) انظر :

(١) تم اختيار هذا النوع من المجرات لأن معظم النجوم فيها قريبة من مركز المجرة بنسبة أعلى من النجوم البعيدة عن مركز المجرة مما يسهل داستها .. أما النوعان الأخران فهما .. المجرات الإهليلجية ( البيضاوية ) ( Elliptical Galaxies ) .. والمجرات اللامتظمة ( Irregular Galaxies ) .

(D.K) RedShift

(٢-٣) انظر :

3, Previous Resource.

Ransom Company ,The History Of Universe

(٤) انظر :

, Previous Resource.

(١) د. عبد الرحيم بدر - الكون الأحذب - مكتبة النهضة - بغداد ( العراق ) - ط١ لسنة ١٩٨٠ م ص٤٧ - نقلاً عن ط١ لسنة ١٩٦٠ - دار القلم - بيروت ( لبنان ) .

(١) د. علي الأمير – الكون العميق – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد (العراق) – ط ١ لسنة ١٩٨٦ – ص ١٤ .  
 (٢) انظر :  
 David J. Eicher,

Previous Resource .

Thomas T. Arny , Previous

(٤) انظر :

Resource , page 488 .

(١) جوهانيس كيبلر ( ١٥٧١ - ١٦٣٠ م ) :

(أ) عالم فلكي ألماني .. اشتهر بقوانينه الثلاثة التي وضعها عن نظامنا الشمسي .. ففي العام ١٦٠٩ م وضع قانونيه الأول والثاني .. ينص القانون الأول على .. ( إن حركة الكواكب السيارة في نظامنا الشمسي حول مركز دورانها الشمس هي حركة ذات مدارات إهليلجية- بيضاوية - ) .. أما قانونه الثاني فينص على : ( إن الخط الذي يصل بين الشمس والكواكب السيارة يمسح بمساحات متساوية في الفضاء باوقات متساوية ) .. وبعبارة أخرى فإن هذا القانون يحدد سرعات الكواكب السيارة في مداراتها حول الشمس .. أما قانونه الثالث فقد نشر في العام ١٦٣٠ م .. وهو موضوع بحثنا أعلاه.

(ب) إن السرعات المدارية للكواكب السيارة في نظامنا الشمسي ابتداءً من الكوكب عطارد ( Mercury ) الأقرب للكواكب السيارة إلى الشمس بمتوسط بُعد ( ٤٧ ، ٩ ) كم / ثا .. وتقل هذه السرعة بالنسبة للكواكب السيارة الأخرى كلما كان مدارها أبعد عن الشمس .. فكوكب الزهرة ( Venus ) الذي يلي كوكب عطارد من حيث البعد عن الشمس يبلغ متوسط سرعته حول الشمس ( ٣٢ ) كم / ثا .. والأرض ( Earth ) ( ٢٩ ، ٨ ) كم / ثا .. المريخ ( Mars ) ( ٢٤ ، ١ ) كم / ثا .. المشتري ( Jupiter ) ( ١٣ ، ١ ) كم / ثا .. زحل ( Saturn ) ( ٩ ، ٦ ) كم / ثا .. أورانوس ( Uranus ) ( ٦ ، ٨ ) كم / ثا .. نبتون ( Neptune ) ( ٥ ، ٤ ) كم / ثا .. ولخيرا " بلوتو ( Pluto ) ( ٤ ، ٧ ) كم / ثا .

انظر :  
 Ludek Pesek and Peter Ryan , Solar System , G .P .S (

printed ) , 1978 , page 13 .

(٢) إسحاق نيوتن ( ١٦٤٢ - ١٧٢٧ م ) :

( I ) عالم إنكليزي : وضع قوانين الحركة الثلاثة المشهورة .. القانون الأول هو موضوع بحثنا أعلاه .. أما القانون الثاني فينص على : ( إن التسارع يتناسب طردياً مع القوة وعكسياً مع كتلة الجسم المتحرك ) .. وينص القانون الثالث على : ( إن مقابل كل قوة مؤثرة رد فعل مساو لها في المقدار ومعاكس لها في الاتجاه )

انظر : د. خليل الهدوي - الموسوعة الفلكية العربية - قرص مدمج - مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي - عمان (

الأردن) - ٢٠٠١ م .

(ب) إضافة إلى قوانين الحركة التي وضعها نيوتن في العام ١٦٨٧ م .. والتي تعتبر أساسية في علم الميكانيك وعلم الفلك .. فقد وضع التفاضل والتكامل .. وبرهن على أن للمنظبات مسارات .. وله بحوث علمية عديدة .. جمع علومه في كتابه الموسوم ( Principa ) .

انظر : د. حسن الشريف - مصدر سابق - ص ٥٥ .

(١) قانون الجذب العام :

(I) في العام ١٦٨٧ م وضع إسحاق نيوتن قانون الجذب العام موضّحاً " فيه أن :  
قوة الجاذبية = ثابت الجاذبية × كتلة الجسم الأول × كتلة الجسم الثاني  
مربع المسافة بين الكتلتين

(ب) لم يكن نيوتن أول من أشار إلى قوة الجاذبية التي تحفظ الكواكب في مداراتها حول الشمس .. فقد سبقه بمئة عام جوهانس كبلر حين أكد على وجود قوة تحافظ على هذه الكواكب في مداراتها.. وأن هذه القوة هي التي من خلالها يكون ذلك الحفاظ .. وشبهها بتأثير القوة المقاطيسية .

Thomas T.Arny , Previous Resource ,

انظر :

Chapter 2 , page 80 .

(٢) د. منصور محمد حسب النبي- للكون والإعجاز العلمي للقرآن - دار الفكر العربي - القاهرة ( مصر ) ط١ لسنة ١٩٨١ م - ص ٦٥ .

(٣) الشمس هي نجم تابع لمجرتنا درب التبانة .. تدور مجرتنا حول محورها بسرعة ( ٢٢٠ ) كم / ثا ومعها توابعها النجوم لتكمل دورة واحدة بهذه السرعة كل ( ٢٥٠ ) مليون سنة .

انظر : وليام كوفمان - المجرات والكوازارات - ترجمة المهندس عبد الكريم السامري - دار الشؤون الثقافية - بغداد ( العراق ) - ط١ لسنة ١٩٨٩ م - ص ٨٢ .

(٤) تدور مجرتنا بسرعة ( ٣٢٠ ) كم / ثا حول مركز المجرات المحلية التي يبلغ عددها (٣١) مجرة.

Thomas T. Arny, Previous Resource

انظر :

, page 498 .

انظر : البروفيسور أوميد شمشك - الانفجار الكبير ( مواد الكون ) - ترجمة أورخان محمد علي - منشورات بني آسيا - سلسلة أبحاث في ضوء العلم الحديث - إستانتبول ( تركيا ) - ط١ لسنة ١٩٨١ م - ص ١٢ .

(٥) إن الكون الذي نعيش فيه ليس سوى أحد النظم المتعددة ( Multiverses ) وليس كوناً منفرداً " ( Universe ) .

انظر : كارل ساغان - كوكب الأرض نقطة زرقاء باهتة ( رؤية لمستقبل الإنسان في الفضاء ) - ترجمة د. شهرت العالم - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - سلسلة عالم المعرفة ( ٢٥٤ ) - الكويت - ط١ لسنة ٢٠٠٠ م - ص ٣٤٠ ( الهامش ) .

وهذه حقيقة علمية جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .. فقد ورد ذكر السماوات السبع في القرآن الكريم ومنها السماء الدنيا ( الكون المنظور ) .. وجاء ذكر ذلك أيضاً في الحديث الشريف قول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
( ما دنياكم إلا كحلقة في فلاة بالنسبة للسماء الدنيا .. وما السماء الدنيا إلا هي كذلك بالنسبة إلى السماء التي تليها .. وهكذا حتى السماء السابعة فهي كحلقة في فلاة بالنسبة إلى الكرسي .. والكرسي كذلك بالنسبة إلى العرش ) ولنا في هذا الموضوع بحث خاص مستقل إن شاء الله .

(١) عدد النجوم المنظورة في الكون المنظور :

(I) يُقدّر العلماء عدد النجوم المرصودة في مجرتنا بنحو ( ٤٠٠ ) بليون نجم .

انظر : كارل ساغان - المصدر نفسه - ص ٣٢٤ .

(ب) في تموز ٢٠٠٣ م - أذاعت محطة BBC خبراً علمياً عن توصل فريق من العلماء الأستراليين إلى تقدير إحصائي للنجوم في مجموع المجرات المنظورة في الكون بنحو ( ٧٠ ) ألف ترليون نجم .

(٢) الثقب الأسود :

(I) هو حيز في ( الزمان - المكان ) الذي لا يستطيع أي شئ أن يفر منه حتى وإن كان ضوءاً" بسبب قوة الجذب التي يمتلكها .

أنظر : ستيفن هوكك - مصدر سابق - ص ٢٧٠ .

(ب) يمتلك كل نجم كتلة هائلة .. فطى سبيل المثال تبلغ كتلة نجمنا الشمس (  $2 \times 10^{30}$  ) طن .

Thomas T.Arny, Previous

أنظر:

Resource , page 526

(ج) هناك نجوم أكبر كتلة وحجماً من نجمنا الشمس .. فالنجم ألفا الصياد يبلغ حجمه (٢٧) مليون مرة مقدار حجم الشمس .

أنظر: د. علي الأمير - مصدر سابق - ص ٢٢٠ .

ويبلغ حجم نجم العواء (٩٠) مليون مرة مقدار حجم الشمس .

أنظر : سلسلة كتاب المعرفة - الأرض والكون - شركة تراكميم (سويسرا) - ج ٨ - ط ١ لسنة

١٩٧١ م - ص ١١٧ .

(د) أما كتلة الثقوب السود في مراكز المجرات فهي خيالية .. تفوق كتلة أي نجم بملايين بل ببلايين وتربليون المرات .. وتقدر كتلة بعض هذه الثقوب بنحو (١٠٠) مليون مرة مقدار كتلة الشمس .

أنظر : ستيفن هوكك - مصدر سابق - ص ١٥١ .

وقد تم قياس كتلة الثقب الأسود في مركز المجرة ( M-87 ) فوجد أنه يعادل ( ٣-٥ ) بليون مرة مقدار كتلة الشمس .

Sharoon Biegly , A special Supplement To

أنظر:

Time Magazine , Winter 1997 - 1998.

(هـ) تُقدر كثافة الثقب الأسود ببلايين الأطنان على السنتمتر المكعب الواحد .

(XXVII) إن الثقوب السود غير مرئية من خلال تسميتها .. ويمكن رصدها بطرق غير مباشرة حيث

أمكن تصويرها بواسطة تلسكوب هابل الفضائي الذي أظهر عاصفة كونية ضخمة عبارة عن سحابة

عظيمة محتدمة من الغازات الساخنة تدور حول نواة صغيرة في مراكز بعض المجرات .. كما رصد

دوامة تدور حول ثقب أسود بسرعة تبلغ مليون ميل / ساعة .. وتقع في مراكز بعض المجرات التي تم

تصويرها نقطة صغيرة جداً من الضوء بعرض سنة ضوئية واحدة تقريباً .. تُقدر كتلتها بحوالي

كتلة مليون شمس .. ويقع الثقب الأسود ضمن هذا المركز .. وباستخدام قوانين نيوتن للحركة يمكن

حساب هذه الكتلة .. وبالتالي حساب سرعة الإنفلات منها والتي تبلغ مقدار سرعة الضوء أي أن

الضوء لا يمكنه الإنفلات من تأثير جذب أي ثقب أسود .. أما الثقوب السود الأضخم كتلة .. فإنها تقبع

في مراكز المجرات أيضاً .. وقد صور تلسكوب هابل مراكز بعض المجرات الضخمة التي تبعد عنا

(٥٠) مليون سنة ضوئية .. ومنها المجرة ( M-87 ) والمجرة ( N. G. C - 4258 ) اللتان وُجد

في مركز كل منها يقبع ثقباً أسوداً .

أنظر: ميشيو كاكو - رؤى مستقبلية - ترجمة د. سعيد خرفان - سلسلة عالم المعرفة ( ٢٧٠ ) -

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت -

ط ١ لسنة ٢٠٠١ م - ص ٤٣٩ .



News Week Magazine , A special Report , No. 3 ,

(٢) انظر :

November - 1997 .

News Week Magazine ,

(١) انظر :

Previous Resource .

Thomas T. Army , Previous Resource ,

(٢) انظر : ( ترجمة بتصرف )

Chapter 16 , page 489

(١) ينص قانون الحركة الثاني لنوتن على :

( إن التسارع يتناسب طردياً مع القوة وعكسياً مع كتلة الجسم المتحرك ) .

Thomas T.Army Previous Resource ,

(٢) انظر : ( ترجمة بتصرف )

Chapter 2 , page 85

(٢-١) الأمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ( ت ٧٩٤ هـ ) - البرهان في علوم القرآن - دار الكتب العلمية - بيروت (لبنان)

( ج ٣ - ط ١ لسنة

( ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ) - ص ( ٤٧٢ - ٤٧٣ ) .

(٤-٣) المصدر نفسه .

(١) انظر :

Thomas T. army , previous

Resource , page 56

(٢) المنجد في اللغة والأعلام - دار المشرق - بيروت (لبنان) ط ٣٠ لسنة ١٩٨٨ م - ص ٥٩٤ .

(٣) ابن منظور - لسان العرب - المجلد ١٠ - ص ٤٧٨ .

(٤) الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن - ٣٨٥٠ .

(٥) أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) - تفسير القرآن الكريم - دار القلم - بيروت (لبنان) - المجلد ٣

ص - ١٥٥ .

(١) أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألويسي البغدادي - روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني - دار إحياء

التراث العربي - بيروت (لبنان) - ج ٧ - ص ٤ .

(٢) المنجد في اللغة والأعلام - المصدر نفسه - ص ٦٩٢ .

(١) البيرت اثنتان ( ١٨٧٩ - ١٩٥٥ ) م :

(I) عالم فيزيائي أمريكي .. ألماني الأصل .. اشتهر من خلال نظريته النسبية الخاصة والعمامة .. ففي العام ١٩٠٥ م أعلن عن

نظريته النسبية الخاصة التي تنص على : ( إن قوانين الطبيعة ينبغي أن تكون واحدة للراني الذي يتحرك بحرية بغض النظر

عن سرعته ) .. وفي العام ١٩١٦ م أعلن عن نظريته النسبية العمامة التي تنص على : ( إن قوانين الطبيعة ينبغي أن تكون

واحدة للراني بغض النظر عن حركته ) .. وتفسر هذه النظرية قوة الجاذبية بدلالة انحناء (الزمان - المكان) .

انظر : ستيفن هوكينج - مصدر سابق - ص ٢٦٣ و ٢٧٣ و ٢٧٨ .

(ب) حاز على جائزة نوبل في الفيزياء في العام ١٩٢١ م .

انظر : المنجد في اللغة والأعلام - مصدر سابق (الأعلام) - ص ٧٠١ .

(D.K) Multimedia , Encyclopedia of Space, CDROM ,

(٢) انظر :

Previous Resource .

(٣) أوردته د. منصور محمد حسب النبي - مصدر سابق - ص ١٠٧ .

(١) لورده د. عبد المحسن صالح - التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - سلسلة كتاب المعرفة )

( ٤٨ ) - الكويت - ط ١ لسنة ١٩٨٦ .

(٢) وليام هيرشال ( ١٧٣٨ - ١٨٤٨ م ) . عالم فلكي ألماني المولد - عاش في إنكلترا اشتهر من خلال اكتشافه للكوكب اورانوس في العام

١٧٨١ م .

Ransom Company , CDROM ,

(٣) انظر :

Previous Resource

(٤) انظر : ميخائيل عبد الأحد - مصدر سابق - ص ٥٤٣ .  
(١) إن أول تجربة عملية لإثبات دوران الأرض حول محورها .. هي تجربة العالم الفرنسي فوكول ( Foucault ) الذي أجراها في العام ١٨٥١ م من خلال حركة بندول مكون من سلك طويل ينتهي بكره ثقيلة تم تعليقه في قاعة مبنى البانتيون في باريس .. فرسمت الكرة خطوطاً على سطح رملي كانت بتماس معه .. فتبين من خلال هذه الرسومات أن الأرض تدور حول محورها من الغرب إلى الشرق ( عكس اتجاه عقرب الساعة ) .

انظر : يمى زهار - الأرض في رحاب الكون - دار الأفاق الجديدة - بيروت ( لبنان ) ط١ لسنة ١٩٨٨ م - ص ٥١ .  
(٧) انظر :

Thomas T. Army , Previous

Resource , page 556 .

(١) النجوم المعتمة :

(أ) هي نجوم ذات حرارة عالية جداً بحيث أصبحت سوداء غير مرئية .

(ب) لم تكن النياز المتوداء معروفة سابقاً بأنها تمثل أعلى درجة حرارة .. إلا في العام ١٩٧٣م حين تم تصوير مجرات سوداء بالأشعة تحت الحمراء ( Infrared )

انظر : د. عبد المجيد الزنداني - كتاب توحيد الخالق - دار الانبار - بغداد ( العراق ) - ط٢ لسنة ١٩٩٠ م - ص ٢٤٤ )  
نقلاً عن الطبعة الأولى ) .

(ج) إن اكتشاف مجرات سوداء يعني أن نجومها سوداء أيضاً .. لأن النجوم هي وحدات بناء المجرة .. ولم يعرف العلماء النياز المتوداء إلا حديثاً في القرن الماضي .

(د) أشار الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث شريف إلى نار جهنم بأنها سوداء بقوله :  
( أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت .. ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت .. ثم أوقد عليها حتى اسودت .. فهي سوداء مظلمة ) .

أخرجه الترمذي وابن ماجه والبيهقي .

(٢-٣) النجوم النيوترونية والأقزام البيضاء : النجوم النيوترونية هي نجوم في آخر مرحلة من دورة حياتها .. ذات كتل أعلى بحدود (

٦ - ١٢ ) مرة مقدار كتلة الشمس .. تقلصت لدرجة تبلغ فيها الكثافة ملايين الأطنان على السنتمتر المكعب الواحد .. أما الأقزام البيضاء .. فهي نجوم في آخر مرحلة من دورة حياة النجوم أيضاً .. إلا إن كتلتها أقل من كتلة النجوم النيوترونية .. تبلغ كثافتها آلاف الأطنان على السنتمتر المكعب الواحد .. ويعتقد العلماء اليوم بأن نجماً الشمس في حالة انتهاء عمرها ستصل إلى مرحلة قزم أبيض في آخر دورة حياتها لتصبح قزماً أبيضاً .. أما النجوم الأعلى كتلة بحدود (١٢) مرة مقدار كتلة الشمس فأكثر فيتأثر تتحول إلى ثقب سود في آخر دورة حياتها .

(١) الأقزام البنية : هي أجرام غير مرئية .. أقل كتلة من النجوم .. وأعلى كتلة من الكواكب .. كتلتها غير كافية لتوليد تفاعلات نووية اندماجية في قلبها كالتجوم .. يصعب رصدها بالمرافق الراديوية بسبب تقلصها وقذفها للغازات .. يؤكد بعض العلماء على وجود كميات كبيرة منها في الكون .

F.T International Multipedia Knowledge In Depth ,

انظر :

CDROM , 1995.

(٢) المادة الباريونية .

(١) هي عبارة عن مادة تركيبها الأساسي الذرات التي قوامها الرئيسي النيوترونات والبروتونات .. وهذه تتكون من جسيمات أصغر منها هي الكواركات .

(ب) الكواركات ( Quarks ) . هي جسيمات دون الذرية .. أنواعها المعروفة (٦) أنواع لحد الآن وهي ( فوقي / تحتي / بديع / غريب / قاعدة / قمة ) .. وقد اكتشف كوارك القمة الأخير .. وهو سلامس كوارك تم اكتشافه .. في منتصف التسعينات من القرن الماضي .. ويوفت متأخر نوعاً ما عن باقي الكواركات بسبب قصر عمره البالغ ( ١٠ - ١٢ ) نا .. وتحمل الكواركات شحنات كهربائية .

**أنظر:** مجلة علوم الكويتية -مقالة بعنوان ( إكتشاف كوارك القمة ) - العدد (٥) لسنة ١٩٩٨ م - ص ٥٧ .. نقلا" عن مجلة علوم الأمريكية - أيلول ١٩٩٧ م.

Mark Sinseel ,

(٤-٣) **أنظر:**

Previous Resource .

Robert Zemer mann , Astronomy Magazine ,

(١) **أنظر:**

June 2001 , page 39 .

Mark Sinseel ,

(٢) **أنظر:**

Previous resource.

(٣) **عمر الكون:** يقدر العلماء اليوم من خلال حساباتهم بأن عمر الكون يبلغ نحو عشرين بليون سنة إن لم يكن أكثر من ذلك.

Mark Sinseel ,

(٤) **أنظر:**

Previous resource.

(٥) النيوتريينو .

(١) جسيم ناتج عن تحلل البايميزونات .. وهو كالفوتون ( الجسيم الناقل للقوة الكهرومغناطيسية ) .. والكرافيتون ( الجسيم الناقل لقوة الجاذبية ) .. حيث لايمتلك النيوتريينو أية كتلة .. إن عملية الإشعاع هي أهم مصادر النيوتريينو .. ففي عملية إشعاع بيتا على سبيل المثال يتحول النيوترون إلى إلكترون وبروتون .. إلا إنه يحصل فقدان بالكتلة يتحول إلى طاقة تذهب إلى الخارج بواسطة جسيم هو النيوتريينو .. ففي التفاعلات داخل الشمس نجد أن كل نواتي هيدروجين تتحولان إلى نيوترون .. وبذلك يتولد مقدار هائل من النيوتريونات ينتشر بنسبة ( ٩٣ % ) من الطاقة المتحوّلة في الشمس كحرارة وضوء .. أما نسبة ( ٧ % ) فإنها تتفقت مع النيوتريونات . يمتلك النيوتريينو طاقة نفوذ واختراق عالية جدا " .. حيث بإمكانه اختراق مادة سمكها ( ١٠٠ ) سنة ضوئية بنصف كمية معينة حيث أن النصف الآخر يمتص من قبل المادة المخترقة .. ويعتبر النيوتريينو دليلا" على فاعلية التجم ومنها الشمس .

**أنظر:** البروفيسور لوميد شمشك - أسرار الذرة - ترجمة أورخان محمد علي - مطبعة الحوادث - بغداد (العراق) - ط ١ لسنة

١٩٨٦ - ص ٥٥ .

(ب) رصد فريق عمل إيطالي برئاسة العالم دامبا ( Dama ) النيوتريونات من خلال وضع أنابيب حساسة لرصد خيوط الضوء المحتجبة داخل الماء والتي تنتج عن ضرب النيوتريونات لجزيئات الماء على نحو تصادفي مسببة تحرير شعاع من الضوء .

Mark Sinseel ,

**أنظر:**

Previous resource

(٦-٥) **أنظر:**

The Same Resource.

(١) **النيوتريينو:** كان الاعتقاد السائد قبل العام ١٩٩٥ م بأنه جسيم عديم الكتلة .. إلا إنه بعد هذا التاريخ ثبت من خلال بعض التجارب أن له كتلة تعادل

$\frac{1}{10000}$  من كتلة الإلكترون .. وإن صحّ ذلك فإنه يدخل في تركيب المادة المظلمة الباردة .

١٠٠٠٠

History Of Universe , CDROM ,

**أنظر:**

Previous Resource.

(٢) **الإلكترون فولت:** هو وحدة طاقة تربطه علاقة بقانون الطاقة لأينشتاين ( الطاقة = الكتلة المفقودة × مربع سرعة الضوء ) = E  $mc^2$  .. إن كل بليون إلكترون - فولت = ١ جيف ( Gef ) .

**أنظر:** مجلة علوم الكويتية - مصدر سلق - ص ٥٥ .

Robert Zemer mann ,

(٣) **أنظر:**

Previous Resource .

Robert Zemerann ,

(٤) أنظر :

Previous Resource .

Mark Sinseel ,

(٦-٥) أنظر :

Previous resource

David Eicher , Previous resource

(٧) أنظر :

(١) أنظر :

David Eicher , Previous resource.

(١) انطوان لافوازييه (١٧٤٣-١٧٩٤) . كيميائي فرنسي يعتبر مؤسس الكيمياء الحديثة .. إكتشف الأوكسجين (O2) والهيدروجين (H) وقد بين أنه باتحاد هذين العنصرين يكوّنان الماء .. قاده هذا الإكتشاف إلى وصف العناصر والمركبات .. أعدم بالمقصلة خلال الثورة الفرنسية .

D. K , Eyewitness , Encyclopedia Of .

(٢) أنظر :

Science , CDROM 1995

(٤) البلازما : هي حالة من حالات المادة عندما تتعرض إلى حرارة عالية جدا" بحيث تُطرد إلكترونات الذرات فيها إلى الخارج نتيجة هذه الحرارة وتبقى عبارة عن نويات مجردة من الإلكترونات .

(٥) البروفيسور ميهاليو فليميروفج - الكون الذري - ترجمة د. موسى الجنابي - منشورات منظمة الطاقة الذرية - بغداد ( العراق ) - ط١ لسنة ١٩٨٧ م ص١٦ .

(١) المهندس وجيه السمان - الصواريخ والأقمار الصناعية - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق ( سوريا ) - ط١ لسنة ١٩٦٢ - ص ١٩٤ .

(٢) المصدر نفسه - ص ٢٠٧ .

Space Race, CDROM,

(٣-٤) أنظر :

1999.

(٥) بيار كوهلر - مصدر سابق - ج٣ - المادة ٩٩ .  
(١) أنظر : هارون ابن موسى (ت ١٧٠هـ) - الوجوه والنظائر في القرآن الكريم - تحقيق د. حاتم صالح الضامن - دائرة الآثار والتراث - بغداد ( العراق ) - ط١ لسنة (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م) .

Microsoft , Encarta ,

(٢-١) أنظر :

CDROM , 2003 .

(١) لسان العرب - مصدر سابق - ٣ - ٣٦٤ .. مجمع البحرين ٣٠٣ / ٦ .. كتاب العين ٤١٠ / ٥ .

(٢) لسان العرب - المصدر نفسه .

(٣) مجمع البحرين - المصدر نفسه .

(٤) المنجد في اللغة والإعلام - مصدر سابق - ص ٧٠٤ .

(١ - ٣) المنجد في اللغة والإعلام - مصدر سابق - ص ٧٠٤ .

# **الأرض دائمة الحركة ودلالة ذلك في القرآن الكريم**

**د. سيد عمارة**



تتمارس الأرض الحركة في مجالين هما المجال الخارجي والمجال الداخلي الذي يعني حركة قاراتها بالنسبة لبعضها البعض عبر الزمن وهو ما يعبر عنه حديثاً بحركة الألواح كما أن العديد من الحركات تجري داخل الألواح نفسها.

والآتي إطلاله موجزة عن هذه الحركات ودلالاتها في القرآن الكريم والتي إن دلت على شيء فإنها تدل على وحدة الخالق وقدرته وعظمته ودقيق صنعه وعظيم خلقه.

من المعروف أن للأرض ثلاث حركات رئيسية خارجية فهي تنسلب مع بقية المجموعة الشمسية التي تتشكل من الشمس والكواكب السيارة التسع بما فيها الأرض بالإضافة إلى العديد من الكويكبات والأقمار والمذنبات والشهب والنيازك التي تقع على المحور الطويل نجرة الطريق اللبني (نجرة طريق التبانة) على مسافة ثلثي الطريق من مركز المجرة ساجحة في أعماق الكون مع ملايين لا تحصى من المجرات الأخرى في تناسق واتزان وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾<sup>(١)</sup> (الأنبياء : ٣٣).

﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾<sup>(٢)</sup> (يس : ٤٠).

تتعد المجرات بعضها عن بعض بتمدد واتساع الكون الفسيح الذي قدره عمره حديثاً بنحو ١٣,٧ مليار عام والذي تسبح فيه المجرات بسرعة هائلة تبلغ كبعض التقديرات من ٢٢ ألف كم إلى ٣٠ ألف كم في الثانية الواحدة وقد أنباء الله القدير بذلك قبل أكثر من أربعة عشرة قرناً:

﴿والسما بناها بأيد وانا لموسعون﴾<sup>(٣)</sup> (الزاريات : ٤٧).

والأرض تدور حول الشمس مرة كل ١/٤ ٣٦٥ يوم عبر مسار طولته نحو ٩٦٠٠ مليون كم، هذه الحركة هي المستولة عن تعاقب الفصول الأربع. وما من شك أن ميل محور الأرض بمقدار ٢٣١/٢ درجة من العوامل الأساسية لحدوث هذا التعاقب أما منطقتي القطب الشمالي والجنوبي فلهما ستة أشهر من ضوء النهار وستة أشهر من الظلام الدامس كل عام. ومسار الأرض حول الشمس اهليجي Elliptical وبناء عليه يتغير متوسط بعدها عن الشمس والبالغ نحو ١٥٠ مليون كم بمقدار ٤,٩٩١٠٠٠ كم على مدار العام وحركة الأرض حول الشمس حركة متعرجة ولكنها حركة منضبطة تماماً بحيث لا يمكن أن يحدث أدنى تغير في سرعة دورانها كما أن الأرض تدور دورة كاملة حول محورها كل ٢٤ ساعة من الغرب إلى الشرق (أي ضد حركة عقارب الساعة).

ويعني ذلك إنما تدور حول محورها بسرعة حوالي ١٦٠٠ كم في الساعة وهذه الحركة هي المستولة عن تعاقب الليل والنهار مع أنها تتأثر في الوقت نفسه بجاذبية القمر التي تسبب ظاهرة المد والجزر في المحيطات والبحار.

والملاحظ أن الأرض والكواكب الأخرى تدور حول الشمس في مدارات تقع في مستوى واحد تقريباً وأن للكواكب غير الأرض نفس جاذبية القمر إلا أن بعدها عن الأرض يضعف هذه الجاذبية إلى حد بعيد رغم إن كتلة كل الكواكب السيارة أكبر بكثير من كتلة القمر.

صحيح أن جاذبية الشمس تقوم بدور في عملية المد والجزر إلا أن تأثير القمر هو العامل الحاسم في معظم المناطق والدليل على ذلك أنه كلما تأخر شروق القمر تأخر المد. يحدث كل ذلك وفق قوانين محكمة وقواعد ثابتة وحسابات دقيقة من قبل مبدع الكون وبارئته الله العزيز الحكيم.

وكروية الأرض ودورانها حول محورها أوجزها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾<sup>(١)</sup> (الزمر : ٥)  
وقوله تعالى ﴿ويغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾<sup>(٢)</sup> (الأعراف : ٥٤)

وكما سبق ذكره فإن الأرض حول محورها بسرعة ١٦٠٠ كم في الساعة هذه السرعة لها تأثير حاسم على الحياة على ظهر الأرض فإذا فرضنا أن هذه السرعة انخفضت إلى الخمس لطالت أوقات النهار والليل عشر مرات بالنسبة إلى ما هي عليه الآن ولترتب على ذلك أن تحرق الشمس بشدة كل شيء فوق سطح الأرض وما بقي بعد ذلك ستقضي عليه البرودة الشديدة في الليل.

وتقدر درجة حرارة لب الشمس بحوالي ١٥ مليون درجة مئوية والحرارة على سطحها بحوالي ٦٠٠٠ درجة مئوية والمسافة بينها وبين الأرض ١٥٠ مليون كم تقريباً ولو تحركت الأرض لتتقرب من الشمس بمقدار النصف لارتفعت الحرارة التي تتلقاها الأرض من الشمس إلى أربعة أمثال ولاحترق كل شيء على الأرض ولو بعدت الشمس عن الأرض بمقدار الضعف لقلت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس إلى الربع ويعني هذا إن البرودة التي تنتج عن ذلك سوف تقضي قضاءً مبرماً على الحياة على وجه الأرض وصدق الله العظيم القائل:

(وكل شيء عنده بمقدار)<sup>(٣)</sup> (الرعد: ٨)

(وخلق كل شيء فقدره تقديراً)<sup>(٤)</sup> (الفرقان : ٢)

(إذا كل شيء خلقناه بقدر) (القمر : ٤٩)

وفي الأرض قوتان متضادتان إحداهما الجاذبية الأرضية وهي القوة التي تحاول جذب أي شيء نحو مركز الأرض وهي قوة متساوية في كل الاتجاهات بحيث أنها تحاول أن تجعل الأرض كروية تماماً إلا أن دوران الأرض حول محورها والذي يبلغ كما سبق ذكره ١٦٠٠ كم في الساعة يولد قوة طاردة مركزية **Centrifugal Force** في منطقة خط الاستواء وتقل كلما بعدت عنه حتى تصبح صفراً عند القطبين وتؤدي هذه القوة إلى بروز استوائي بمقدار ٤٣ كم إذا ما قورن بسمك الأرض من القطب



الشمالي إلى القطب الجنوبي إذ أن طول نصف قطر الأرض عند خط الاستواء ٦٣٧٨,٤ كم وطول نصف قطر الأرض المار بالقطبين ٦٣٥٦,٩ كم وعليه فإن الفرق بين نصف القطرين ١/٢ ٢١ كم فالبروز الاستوائي يساوي إذاً ٤٣ كم بالنسبة لسمك الأرض من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي على أن هذا البروز ليس متناسقاً أو متماسلاً. يدل كل هذا على أن الأرض ليست كروية تماماً بل إنها شبه كروية Spheroid مفرطحة القطبين ومن الأدلة المؤكدة لذلك بروز منطقة خط الاستواء في كل من كوكبي المشتري Jupiter وزحل Saturn وصدق الله العظيم القائل:

(أولم يروا إذا تأتي الأرض تنقصها من أطرافها) <sup>(١)</sup> (الرعد : ٤١)

(أفلا يرون إذا تأتي الأرض تنقصها من أطرافها أفهم الغالبون) (الأنبياء : ٤٤).

على أن صور الأقمار الصناعية أظهرت أن البروز الاستوائي ليس متناسقاً أو متماثلاً تماماً وأن الأرض تميل لأن تكون كمثرية الشكل.

حركية (تكتونية) (الألواح Plate Tectonics):

حدثت حوالي عام ١٩٦٥ ثورة في علوم الأرض بظهور فرضية حركة الألواح والتي تتلخص في أن سطح الأرض مكون من حوالي عشرين لوح Plate منها لوح المحيط واللوح الأوستراي الهندي Australian Indian Plate ولوح أمريكا الشمالية North American Plate ولوح أمريكا الجنوبية South American Plate ولوح نازكا Nazca Plate (بجنوب المحيط الهادي مقابل أمريكا الجنوبية) بالإضافة إلى العديد من الألواح الأصغر حجماً كاللوح العربي واللوح التركي ولوح إيران واللوح الكاريبي Carribean إلى آخره. وتتراوح مساحة الألواح من عدة آلاف من الكيلو مترات المربعة إلى بضعة مئات منها (شكل ١).

شكل (١) مأخوذ من المرجع العربي رقم ١١

وتتشكل هذه الألواح من غلاف الأرض الصخري الصلد Lithosphere والمكون من القشرة الأرضية والذي يبلغ سمكها من ٢٠ إلى ٦٠ كم في المناطق القارية وحوالي ١٠ كم فقط تحت المحيطات وجزء نصف لدن من أعلى الوشاح Mantle وبذلك يبلغ سمك غلاف الأرض الصخري حوالي ١٠٠ كم والوشاح نطاق صخري صلب سميك يبلغ سمكة حوالي ٢٨٠٠ كم يحيط بلب الأرض Core ذي التركيب المعدني.

تترلق الألواح ببطيء فوق نطاق نصف لدن يعرف بالغلاف الوهن **Asthenosphere** والذي يمتد من قاع غلاف الأرض الصخري حتى عمق ٣٥٠ كم. شكل (٢) مأخوذ من المرجع الأجنبي رقم ٣

وحواف هذه الألواح في حركة مستمرة فأما تبتعد عن بعضها عند الحواف المتباعدة **Divergent** وتقع هذه الحواف المتباعدة في منتصف قيعان المحيطات مكونة سلاسل من المرتفعات البحرية **Mid Oceanic Ridge** والتي تشق قممها أخاديد صدعية طويلة أمثلتها مرتفعات وسط المحيط الأطلسي أو أنها تقترب من بعضها البعض عند الحواف المتقاربة **Convergent Margins** حتى إذا ما ارتطمت فإن أحدهما يترلق تحت الآخر إلى الوشاح مكونة أحواض عميقة ضيقة في قاع المحيط والتي تعرف بأخاديد قاع المحيط والتي قد تبلغ أعماقها ١١,٠٠٠ متر وتقع معظم هذه الأخاديد في المحيط الهادي كأخدود اليابان والأخدود الإندونيسي والأخدود الأليوتي **Aleutian Trench** شكل (٣).

شكل (٣) مأخوذ من المرجع الأجنبي رقم ٣

وخلال هذه الأخاديد ترتفع الحمم والصخور المنصهرة لتكوين عدد من أقواس الجزر البركانية كالجزر الأليوتية **Aleutian Lslands** في شمال المحيط الهادي. أو تترلق حواف الألواح قبالة بعضها البعض أفقياً على طول صدوع التحويل دون أن تتباعد أو تقارب. وتقع معظم صدوع التحويل في أحواض المحيطات إلا أن بعضها يقطع القارات ومن أشهرها صدع سان اندرياس **San Anderas Fault** بكاليفورنيا والذي يمتد لمسافة حوالي ١٣٠٠ كم. يترلق لوح المحيط الهادي أفقياً ببطء وبالتدرج (حوالي ٥ سم في العام) في اتجاه شمال غرب. مقابل لوح أمريكا الشمالية الذي يترلق في الاتجاه المعاكس أي في اتجاه جنوب شرق.

شكل (٤) مأخوذ من المرجع رقم ٨

ومن حين لآخر تتراكم ضغوط هائلة في الصخور على جانبي هذه الصدوع ويتم تحرير وانطلاق هذه الضغوط المخزونة فجاءه في صورة زلازل مدمرة كالتزلزال القوي الذي دمر سان فرنسيسكو عام ١٩٠٦ نتيجة حركة أفقية مفاجئة على طول صدع سان اندرياس مما أدى إلى إزاحة الأرض أفقياً بمقدار سبعة أمتار على جانبي الصدع وغالباً ما تحدث الزلازل على طول أو بالقرب من حواف الألواح وبالإضافة إلى الزلازل فهناك النشاط البركاني وعملية بناء الجبال **Mountain Building** وتقع كلها في الغالب على طول حواف الألواح مما ساعد على تحديد ورسم هذه الحواف.

أما الألواح نفسها فتتحرك كوحيدات صلده متمسكة ثابتة قائمة بذاتها في اتجاه الأسهم المبينة بالشكل (١) وهذه الحركة حركة بطيئة تقدر بقليل من السنتيمترات في العام ومع ذلك فإن هذه الحركة البطيئة غير المحسوسة شكلت عبر الزمن وجه الأرض على صورته الحالية فعمر الأرض المتفق عليه ٤٠٦ بليون عام وقبل مليون عام مضت كان موقع وشكل القارات مختلفاً تماماً عما عليه الآن وعلى سبيل المثال لم يكن هناك ما يعرف بالبحر الأطلسي عندما كونت القارات على جانبيه كتلة قارية واحدة هائلة (أفريقيا وأوروبا والأمريكتين) ثم بدأت هذه القارات في الانجراف **Drifting** إلى وضعها الحالي قرب نهاية العصر الترياسي أي قبل حوالي ٢٠٠ مليون عام وكان المحيط الأطلسي في الزمن الغابر جسم مائي ضيق وبدأ في الاتساع ببطء بحوالي ٥ سم كل عام حتى وصل سعته الحالية.

شكل (٥) مأخوذ من المرجع رقم ٢

كما أثبتت الدراسات الجيولوجية المبينة على الصور الفضائية إنه إذا ما افترض التصادق الشواطئ الشرقية والغربية للبحر الأحمر أي إذا ما افترض إغلاق البحر الأحمر فإن التراكيب الجيولوجية الطويلة أو الخطية **Linear** المختلفة كالصدوع والجدد **Dykes** واحزمة التمزق **Shearing Belts** وغيرها تمتد مباشرة وبدون انقطاع عن الحافة الغربية للوح العربي إلى حافة اللوح الأفريقي الشرقية إلا أن انفراج أو انجراف البحر الأحمر نتيجة انتشار قاعة في اتجاه شمال شرق والذي بدأ من عصر الإيوسين مبكر أي قبل حوالي ٦٠ مليون عام حتى الوقت الحاضر في فترات متقطعة وبمقدار يبلغ من ٠,٥ إلى ٠,٦ سم في العام (كبعض التقديرات) هو الذي أدى في النهاية إلى تواجد البحر الأحمر في صورته الحالية بعد أن كانت شبه الجزيرة العربية جزءاً من اللوح الأفريقي.

وهذا لا يعني أنه لا توجد حركات أرضية داخل اللوح وعلى سبيل المثال فالأخدود الإفريقي العظيم الذي يمتد من أواسط أفريقيا عبر البحر الأحمر إلى خليج العقبة والبحر الميت هو نتاج هذه الحركات داخل اللوح الإفريقي.

صحيح أن معظم الزلازل تحدث على طول أو بالقرب من حواف الألواح إلا أن الأمر لا يخلو من زلازل هنا وهناك داخل الألواح بالإضافة إلى ذلك فهناك الحركات البطيئة التدريجية **Gradual** التي تمارس على نطاق واسع، هذه الحركات إما أن تكون رأسية أو أفقية على سبيل المثال فإن الشواطئ البحرية المرتفعة **Raised Beaches** في اسكندنافيا وشواطئ الشعاب المرجانية على شواطئ البحر الأحمر دليل على حدوث حركات رأسية بطيئة إلى أعلى. كما أن ارتفاع درجات الحرارة وذوبان الثلوج فوق الدرع الكندي والدرع السكندنافي في الفلندي أدى إلى ارتفاعهما التدريجي وفي المقابل انخفضت أجزاء كثيرة من القشرة الأرضية وغمرت تحت الماء كما هو حال بعض الشواطئ المصرية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وحال الغابات المغمورة **Submerged Forests** بالساحل الشرقي لإنجلترا.

والجبال غير الدروع Shields التي تتكون أساساً من صخور ترسيبية تحتوي في الكثير من الأحيان على أحافير Fossils بحرية لا فقارية سواء كانت كبيرة أو مجهرية كما في صخور جبال الهملايا وجبال الألب وغيرها مما له دلالة واضحة على أن هذه الجبال ترسبت تحت مستوى سطح الماء في البحار والمحيطات ثم تصلدت ورفعت من تحت الماء ومن ثم تعرضت صخورها للتجوية Weathering سواء أكانت ميكانيكية أو كيميائية ونقلت نواتج التعرية Denudation وترسبت في المنحدرات القارية المجاورة وهكذا ترتفع قمم هذه الجبال للنقص في حمولتها بينما تنخفض المنحدرات القارية لتقل الرواسب المتراكمة عليها وهكذا الأرض في حالة اتزان دائم. والخلاصة أن هناك تكيف دائم لتوازن القشرة الأرضية Isostatic Readjustment كما يوضح الشكل التخطيطي شكل (٦)

شكل (٦) مأخوذ من المرجع الأجنبي رقم ١

تؤدي الحركات الرأسية إلى أعلى أو أسفل إلى تقدم البحر Transgression أو انحسار Regression وتعرف هذه الحركات بالحركات البانية للقارات Epeirogenic Movements أما الحركات الأرضية في الاتجاه الأفقي فهي إما حركات ضغط Compression هائلة تؤدي في النهاية إلى طي Folding الصخور ورفعها في هيئة سلاسل جبال ويطلق على هذه الحركات بالحركات البانية للجبال Orogenic Movements أما الحركات الأفقية فهي حركات شد Tension وتؤدي إلى تصدع Faulting الصخور والحركات على طول الصدوع إما أن تكون عمودية أو أفقية أو مائلة. وبحركة الألواح والتي قد تتراوح بين الواحد والعشرة سم في العام والتي تتفاوت من مكان لآخر يتحرك كل شيء عليها بما فيها القارات بل قد تغير هذه الحركة شكل ووضع وحجم الألواح نفسها ومن ثم كان لتلك الحركات والتي رصدت بالأقمار الصناعية أكبر الأثر في تشكيل وجه الأرض في صورته الحالية.

وفكرة عدم ثبات القارات في موضعها أي تحركها أكثر من مرة نتاج فكر عالم المناخ الألماني ألفريد فاجنر Alfred Wegener الذي اقترح عام ١٩١٥ أن قارات الوقت الحاضر قد انشقت عن قارة أولية Proto Continent أو فوق قارة أطلق عليها Pangaea (أي كل الأرض) كذلك افترض فاجنر أن محيط أولي Proto Ocean واحد كان يغطي باقي الكرة الأرضية وأسماه البانتا لاسا Panthalassa .

شكل (٧) مأخوذ من المرجع الأجنبي رقم ٣

وبني فاجنر نظريته على عدة شواهد منها تطابق حواف بعض القارات كما هو الحال على جانبي المحيط الأطلسي مع تشابه الصخور نوعاً وعمراً بين شمال وغرب إفريقيا وشرق البرازيل ووجود احافير نباتية وحيوانية متشابهة تبعد عن بعضها البعض وتفصلها الآن بحار مفتوحة بالإضافة إلى وجود رسوبيات جليدية قديمة عمرها ما بين ٢٢٠ إلى ٣٠٠ مليون عام في نفس المستوى الطباقى بجنوب القارة الإفريقية وأمريكا الجنوبية والهند واستراليا ثم جاء دليل آخر (بعد وفاة فاجنر عام ١٩٣٠) من المغناطيسية القديمة **Palaeo Magnetism** والتي أشارت إلى أن أجزاء الأرض لم تكن في مواضعها الحالية مما أضفى على نظريته فاجنرا بعداً جديداً وتمضي نظرية فاجنرا والمعروفة بالانجراف (زحزحة) القارات **Continental Drift** إلى أنه في نهاية العصر الترياسي **Triassic Age** أي منذ حوالي ٢٠٠ مليون عام بدأت بانيا في الانقسام إلى فوق قارة جندونا **Gondwana** في الجنوب والتي تتكون من أفريقيا وأمريكا الجنوبية وقارة القطب الجنوبي **Antarctica** واستراليا والهند وقارة لوراسيا في الشمال وتتكون من امريكا الشمالية واوراسيا **Aurasia** (أوروبا وآسيا) ويفصلهما عن بعضهما بحر التيش **Tethys** أو ما يطلق عليه الفرنسيون البحر المتوسط الأعظم **Mesogean Sea** والشاهد عليه الآن حزام الجبال التي ترسبت فيه وهي سلسلة جبال الألب إلى الهيمالايا بالإضافة إلى البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وبحر قزوين. وفي نهاية دهر الحياة المتوسطة أي قبل ٦٥ مليون عام مضت انفصلت فوق القارتين السابقتين إلى أجزاء ابتعدت عن بعضها البعض ببطء لتكون من الوقت قارات الوقت الحاضر، وهكذا تحركت الهند شمالاً نحو آسيا وفي الوقت نفسه انفصلت استراليا والقارة المتجمدة الجنوبية عن إفريقيا. وقد تعرضت نظرية فاجنر إلى كثير من النقد ومن أهم الاعتراضات عليها فشلها في تقصى وتحديد ميكانيكية الحركة أي آلية وكنه القوى المحركة للانجراف القاري.

وقد أدى استكشاف قاع البحار والمحيطات إبان الخمسينات والستينيات من القرن الماضي إلى سلسلة مرتفعات شاهقة في قاع المحيط الأطلسي موازية للحواف القارية على جانبيه، كما اكتشف وجود أخدود صدعي **Mid Oceanic Ridge** تنبثق منه بقوة إلى أعلى الحمم المنتهبة والصخور المنصهرة في شكل براكين فقيعان البحار والمحيطات مسجرة بالنتيران وهي الحقيقة التي وردت في كتاب الله العزيز قبل أكثر من أربعة عشر قرناً في قوله تعالى:

(والبحر المسجور) <sup>(١)</sup> (الطور: ٦).

وانفراج أو انتشار قاع المحيط **Sea Floor Soreading** يزاح قاعه والمعتقد الآن إن هذه الإزاحة هي القوة المحركة لحركية الألواح بدلا من تيارات الحمل **Convection** العميقة التي قارتحت سابقاً بأنها القوة المحركة لزحزحة القارات **Continental Drift** والتي تولدت عن التوزيع الغير متساوي للحرارة في الوشاح.

شكل (٨) مأخوذ من المرجع الأجنبي رقم ٢

وقد أشارت الدراسات الجيوفيزيائية الحديثة إلى أن الوشاح في أجزائه العميقة صلد بما فيه الكفاية فلا يمكنه تفعيل تيارات الحمل وعلى هذا هجرت هذه النظرية وحل محلها ظاهرة انفراج قيعان المحيطات. المهم أن هناك اكتشافات مماثلة في قيعان المحيطات الأخرى كالتى اكتشفت في قاع المحيط الأطلسي.

وإذ يعني الدحو أو الدحى في اللغة تسوية الشيء ونثره، ودحا الله الأرض بسطحها ومدحا ووسعها (المعجم الوسيط ٢٣٨). فإن القرآن الكريم كان سابقاً للإشارة إلى الانحراف القارى وحركية الألواح وصدوع قيعان المحيطات منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

(والأرض بعد ذلك دحاهما) (النازعات : ٣٠)

(والأرض ذات الصدع)<sup>(١)</sup> (الطارق : ١٢)

(النازعات : ٣٠) (الطارق : ١٢) الصدع شق في الأرض وغالباً ما تحدث تحركات بطوله وهذه الحركات إما أن تكون أفقية أو عمودية أو مائلة. وتوجد شبكة هائلة متصلة من هذه الصدوع تشق اليابسة والمحيطات كما إنها تشكل حواف ألواح القشرة الأرضية وسبحان من أقسم باصدع.

والاياتان السابقتان يمكن أن يتسع معناها ليشمل ما وصل إليه العلم الحديث في هذا المجال. وكما سبق ذكره فإن الأرض تدور حول محورها بسرعة ١٦٠٠ كم في الساعة، كما أنه من المعتقد أن ألواح القشرة الأرضية بما عليها من جبال ووهاد تنطلق فوق نطاق نصف لدن هو الغلاف الوهن **Asthenosphere**.

وصدق الله العظيم القائل:

(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء)<sup>(١)</sup> (النمل : ٨٨).

فالأرض إذن في حاجة إلى ما يدعمها ويثبتها حتى لا تميد وترتج وتسقط، وقد تم هذا بانغراس أجزاء غير مرئية من أسفل الجبال في الوشاح أكثر طولاً من أجزائها الظاهرة بما يشبه أوتاد الخيمة.

وصدق إذ يقول: (والجبال أوتادا) (النبا : ٧)

فالوتد يثبت الخيمة على وجه الأرض لضمان استقرارها وعدم سقوطها وفي بادئ الأمر كانت هناك نظرية عملية تعرف بنظرية جذور الجبال **Theory of Mountain Roots** إلا أنه أمكن فيما بعد بتقنيات حديثة تحديد هذه الجذور بدقة، وبهذا أصبحت النظرية حقيقة علمية معترف بها. وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيات عدة وهي (الأنبياء : ٣١ ، لقمان : ١٠ ، النازعات : ٣٢ ، الرعد : ٣ ، الحجر : ١٩ ، النمل : ٦١ ، فصلت : ١٠ ، المرسلات : ١٧)

هذا قليل من الكثير من آيات الله عز وجل في أقطار السماوات والأرض والتي تشير يقينا إلى أن الله تعالى هو الحق المبين وأن القرآن الكريم تنزيل من قبل رب العالمين وإلى قدرة الله تعالى في الخلق وعظمته في الأمر، المدبر لشتون الكون في إبداع تكوين وأحسن تقويم.

## بعض المراجع العربية

- ١- كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ حسين محمد مخلوف. دار المعارف القاهرة، ١٩٥٦.
- ٢- البحار وما فيها. تأليف روبرت كاون ترجمة، د. عبدالحافظ حلمي محمد، سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧.
- ٣- الإسلام يتحدى، تأليف وحيد الدين خان، تعريب ظفر الإسلام خان، دار البحوث العلمية، بيروت، ١٩٧٠.
- ٤- الأرض. مكتبة لايف العلمية، القاهرة، ١٩٧٢.
- ٥- المعجم العربي الحديث لاروس. د. خليل الجر، مكتبة لاروس. باريس، ١٩٧٣.
- ٦- المعجم الوسيط. الطبعة الثالثة مجمع اللغة العربية. القاهرة، ١٩٨٥.
- ٧- جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن. تأليف د. رؤوف شلي. دار الطباعة الحمديّة. القاهرة، ١٩٨٦.
- ٨- الأرض. تأليف أدوار تاربوك وفر دربك لوتجنيز. ترجمة، د. عمر سليمان حمود وآخرين. طرابلس. ليبيا، ١٩٨٩.
- ٩- انعكاسات مغنطيسية أرضية قديمة. دلائل إلى الدينامو الأرضي. تأليف ك.أ. هوفمان. ترجمة، د. سيد محمد عمارة. العلوم المجلد ٦ العدد/١. الكويت، ١٩٨٩.
- ١٠- المنتخب في تفسير القرآن والسنة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة، ١٩٩٤.
- ١١- المفهوم العلمي للجمال في القرآن الكريم: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. الجزء الثالث. د. زغلول النجار. مكتبة الشروق. القاهرة، ٢٠٠٢.
- ١٢- الإعجاز. رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ - ١٤٢٤هـ.



## بعض المراجع الأجنبية:

- 1- Holmes, A. Principles of physical Geology. Thomas Nelson sons. London. 1966.
- 2- Condie, K. C. Plate Tectonics and crustal Evolution. Pergamon press. New York 1976.
- 3- Flint. R. F. Skinner, B.J. PHYSICAL geology. John Wiley & Sons. New York, 1977.
- 4- Bowen R. Jux, U. Afro Arabian Geology. Chapman & Hall. London 1987.
- 5- Meshref, W. Tectonic Framework. In the Geology of Egypt. A. A. Balkema. Rotterdam 1990.

## الهوامش

- (1) (الأنبياء : ٢٣) تتحرك الأجرام السماوية بما فيها الشمس والأرض والقمر في مسارات خاصة هل الأفلاك وكل من هذه الأجرام يجري في مجاله ويسبح في فلكه الذي قدره الله تعالى له (الليل والنهار إشارة إلى الأرض).
- (2) (يس : ٤٠) لا يتأني للشمس أن تخرج عن مدارها وتتخل في مدار القمر ولا يتأني لليل أن يحول دون مجيء النهار بل هما متعاقبان والشمس والأرض والقمر تتحرك في أفلاك لا تحيد عنها.
- (1) (الزاريات : ٤٧) خلق الله الكون الواسع بقوة وقدره ومع السعة المذهلة لهذا الكون منذ خلقه فإن هذه التوسعة مستمرة على مر الزمن.
- (1) (الزمر : ٥) خلق الله السموات والأرض بالحق والصواب وإذا كان الليل والنهار يوصفان بالاستدارة فالأولى أن يكون الجسم المرتبط بهما أي الأرض كروياً.
- (2) (الأعراف : ٥٤) يغطي الليل النهار بظلامه ويعقب الليل النهار بانتظام وتعاقب كأنه يطلبه.
- (3) (الرعد : ٨) كل شيء صغر أو كبر عند الله سبحانه وتعالى بقدر معلوم وزمان معين.
- (4) (الفرقان : ٢) (القمر : ٤٩) خلق الله كل شيء وقدره تقديرًا دقيقًا محكمًا.
- (1) (الرعد : ٤١) (الأنبياء : ٤٤) تشير الأيتان إلى أن الأرض ليست كاملة الاستدارة علما بأن طرف كل شيء هو حرفة ومنتهاه.
- (1) (الطور : ٦) المسجور في اللغة مشتق من سجر الرجل التتور أي ملاء وقود وأحماء كما أن من معاني المسجور المتقد والممتلئ.
- (1) (الطارق : ١٢) الصدع شق في الأرض وغالبا ما تحدث تحركات بطوله وهذه الحركات إما أن تكون أفقية أو عمودية أو مائلة. وتوجد شبكة هائلة متصلة من هذه الصدوع تشق اليابسة والمحيطات كما إنها تشكل حواف ألواح القشرة الأرضية وسبحان من قسم بالصدع.
- (1) (النمل : ٨٨) وترى أيها الرسول الجبل تظنها ثابتة لا تتحرك ولكنها في واقع الأمر تتحرك بسرعة كالسحاب. صنع الله الذي خلق كل شيء فإيدعه.

**ذم التطاول في البنيان ، وأثره على  
البيئة والإنسان**

م. رامي لطفى كلاوي



## مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان ، اللهم اجعلنا معهم برحمتك يا كريم .

أما بعد ، يقول الله تعالى (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) [النحل : ٨٠ ]  
السكن من أعظم النعم التي تفضل الله بها على عباده ، ففيها يستريح من التعب ويحتمي من الحر والبرد ، ويحتجب عن أعين الناس ليأخذ راحته ويشعر بالطمأنينة والأمان ، ولكن لا بد من شروط ومواصفات ينبغي تحقيقها في المسكن المثالي حتى يحقق للإنسان حاجاته دون إضرار بصحته أو بسلامة البيئة من حوله

وقد اخترت البحث في هذا الموضوع لأنه يتصل بدراسي الأولى للهندسة ، كما اعتمدت على دراسي الثانية في علوم القرآن ، وتوصلت بفضل الله تعالى إلى إثبات أن الإسلام سبق الحضارة الغربية بأكثر من ألف وأربعمائة عام في مجال ما يعرف اليوم بالهندسة البيئية أو العمارة الخضراء ، التي تحرص على سلامة الأرض وصحة الإنسان .

## خطة البحث :

قسمت بحثي إلى مقدمة وفصلين وخاتمة :

أتحدث في الفصل الأول عن ظاهرة التطاول في البنين ، وآثارها السلبية على البيئة والإنسان ، وما ورد من ذم صريح لهذا التطاول في القرآن والسنة ، مبيناً التوافق المدهش بين نظرة العلم الحديث وموقف الإسلام من تلك الظاهرة .

وفي الفصل الثاني أتحدث عن استحباب المسكن الواسع ، من وجهة نظر العلم الحديث ، وما ورد فيه من السنة النبوية الشريفة ، وعلاقة هذا الموضوع ببحثي عن الأبنية العالية .

## الفصل الأول : التطاول في البيان

### المبحث الأول : ذم التطاول في البناء في القرآن والسنة .

ربما يعتقد البعض أن الأبنية العالية لم تكن موجودة قبل ظهور الإسمنت والكهرباء والمصاعد ، وهذا غير صحيح ، ففي الماضي وجدت الأبنية العالية ، ولكنها لم تكن بالانتشار الواسع الذي نشهده اليوم ، والمدعش أننا نرى في القرآن والسنة إشارة إلى ما كان في الماضي منها ، وإلى ما سيكون في المستقبل أيضاً ، وفي الحالتين تكون الإشارة على سبيل الذم والكرهية ، لا المدح والاستحباب :

أولاً: ما ورد في القرآن عن الأبنية العالية :

يشير القرآن إلى ظاهرة الأبنية العالية التي عرفتها البشرية في الماضي وكانت رمزاً للكبرياء والعجرفة والتعالي ، نجد ذلك في قوله تعالى في سورة الشعراء

كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ {١٢٣} إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُوْدٌ أَلَا تَتَّقُونَ {١٢٤} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {١٢٥} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {١٢٦} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٢٧} أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ {١٢٨} وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ {١٢٩} وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ {١٣٠} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {١٣١}

جاء في تفسير ابن كثير : الريع: المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة، بينون هناك بنياناً محكماً هائلاً باهراً، ولهذا قال: {أتبنون بكل ريع آية} أي معلماً بناء مشهوراً، {تعبثون} أي وانما تفعلون ذلك عبثاً لا للاحتياج إليه، بل لجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، ولهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام، لأنه تضييع للزمان وإتعاث للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: {وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون}. قال مجاهد: والمصانع البروج المشيدة والبنيان المخلد.

فهذه الآية تشير بوضوح إلى ظاهرة الأبنية العالية التي كانت عند بعض الشعوب تبنيتها على سبيل اللهو وإظهار القوة ،تماماً كما هو الحال اليوم في بلدان كثيرة من العالم .

وجاء في سورة المرسلات في وصف جهنم أنها {ترمي بشرر كالقصر} ، قال القرطبي في تفسيره : الشرر :واحدته شررة ، وهو ما تطاير من النار في كل جهة ، والقصر : البناء العالي . اهـ .  
قلت :فهذا التشبيه يشعر بدم البناء العالي حيث شبه شر جهنم به .  
وقال تعالى في سورة النساء : {أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة} قال القرطبي : واحد البروج برج ، وهو البناء المرتفع والقصر العظيم .وقال الطبري : البروج : هي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة ، وجاء في لسان العرب : البروجُ ههنا: الحصونُ ، واحدها برج . وتشبيهُ البناء: إحكامه ورفعه .  
وهذه الآية فيها إشارة إلى ما تمثله الأبنية العالية من وهم الأمان المزيف في مخيلة البشر .

ثانياً : ما ورد في السنة عن الأبنية العالية :

ورد في بعض الأحاديث ذكر الأبنية العالية على أنها من علامات الساعة :  
جاء ذلك في حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الفتن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يقتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكفر فيكم المال فيفيض حتى يهيم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به، وحتى يتناول الناس في البنيان، .. الخ."

وفي حديث جبريل المشهور المتفق عليه ، أن من علامات الساعة "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان."

وقد أشار الإمام البخاري بهذه القطعة من حديث جبريل في كتاب الاستئذان باب ما جاء في البناء . أشار إلى ذم التطاول في البنيان ، كما قال الحافظ ابن حجر في شرحه ، وقد ورد في ذم تطويل البناء صريحاً ما أخرج ابن أبي الدنيا من رواية عمارة ابن عامر " إذا رفع الرجل بناء فوق سبعة أذرع نودي يا فاسق إلى أين؟ " وفي سنده ضعف .

والتطاول يختلف عن مجرد التطويل والتعلية لأنه يزيد عليه معنى المنافسة والمباهاة ، كما قال ابن حجر في تفسير معنى التطاول : ومعنى التطاول في البيان أن كلاماً من كان يبني بيتاً يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر، ويحتمل أن يكون المراد المباهاة به في الزينة والزخرفة أو أعم من ذلك، وقد وجد الكثير من ذلك وهو في ازدياد.

وفي حديث آخر عن أشراط الساعة الكبرى: ( لا تقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عاراً، ويكون الإسلام غريباً، حتى تبدو الشحناء بين الناس، وحتى يقبض العلم، ويهرم الزمان، وينقص عمر البشر، وتنقص السنون والثمرات، ويؤتمن التهماء ويتهم الأمانة، ويصدق الكاذب ويكذب الصادق، ويكثر المهرج وهو القتل، وحتى تبني الغرف فتطاول، وحتى تمزن ذوات الأولاد وتفرح العواقر، ويظهر البغي والحسد والشح ويهلك الناس ويتبع الهوى ويقضى بالظن، ويكثر المطر ويقل الثمر، ويقبض العلم غيضاً، ويقبض الجهل فيضاً، ويكون الولد غيظاً والشتاء قيظاً، وحتى يجهر بالفحشاء، وتزوى الأرض زياً، ويقوم الخطباء بالكذب فيجعلون حقي لشرار أمتي، فمن صدقهم بذلك ورضي به لم يرح رائحة الجنة)١.

وهذا السياق في الحديث يؤكد ما ذهب إليه البخاري من ذم التطاول في البناء .

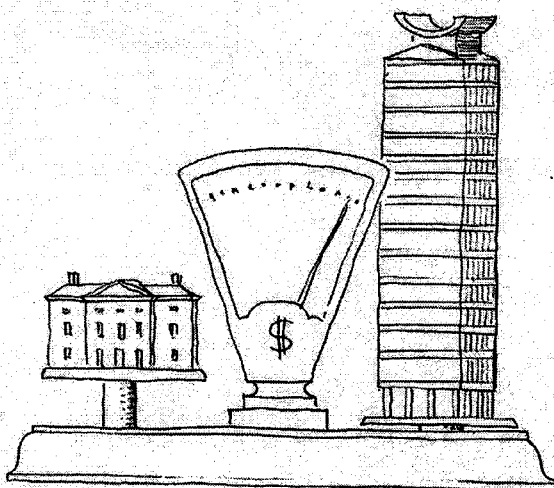
## المبحث الثاني : الأبنية العالية من منظور علم الهندسة البيئية المعاصر

أولاً : نبذة عن نشأة الأبنية العالية الحديثة :

أخذت حركة العمران في مراكز العواصم والمدن الغربية الكبيرة منذ بدايات القرن العشرين الماضي تعتمد على الاستفادة من أقل مساحة من الأرض لتقييم عليها طوابق عديدة من الأبنية وساعد التقدم التكنولوجي بهذا المجال و اختراع المصاعد الكهربائية لتيسير الوصول إلى كل طوابق البناء والترول منها وبذلك أصبح بناء الدرج في كل بناية للاستعمال الاستثنائي.



وقد أدى إهمال الأرياف وسوء التخطيط إلى هجرة الناس إلى المدن وارتفاع الكثافة السكانية فيها ،فارتفعت بالتالي أسعار العقارات ، وهذا هو السبب الحقيقي لظهور الأبنية العالية ( tall buildings). الصورة :



في البدء وقبل أن يطلق اسم (ناطحات السحاب) على العمارات الشاهقة في أكبر العواصم والمدن الغربية الكبيرة كان الناس يعتبرون إنجاز بناء (فلاهيرون) في مدينة نيويورك الذي شيد سنة ١٩٠٢م بارتفاع (٨٧ متراً) إنجازاً مهولاً لكن ما أن جاءت سنة ١٩١٣م حتى شهدت نيويورك ذاتها بناءً آخراً من ارتفاع (٢٤١ متراً) هو بناء (وولووث) ويبدو أن المهندسين المدنيين المختصين أرادوا ضمن عملية التنافس فيما بينهم على إنجاز الأعظم حيث تم الانتهاء من بناء (كرايسلر) سنة ١٩٣٠م الذي أمتاز بـ(٣١٩ متراً).

و حين أخذت فكرة تشييد الأبراج الشاهقة بالتصاعد تم إنجاز بناء (أبراج سيرز) في مدينة شيكاغو على ارتفاع (٤٤٣ متراً) وكان ذلك سنة ١٩٧٤م. وأعقبه بناء أبراج بتروناس في مدينة كوالالمبور سنة ١٩٩٦ ذات الارتفاع البالغ (٤٥٢ متراً) ..

وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ والهجوم على برجى مركز التجارة العالمي فأحدثت صدمة في أمريكا والعالم، وبدأت الأبحاث والدراسات تصدر من هنا وهناك كلها تتحدث عن مساوى الأبنية العالية ليس من جهة الأمان ضد الهجمات المتعمدة فحسب ، بل من كل الجهات :من حيث ضررها على البيئة والإنسان من الناحية الصحية والاجتماعية والنفسية .. الخ .<sup>ii</sup>

جاء في تقرير نشره موقع (بي بي سي) على الإنترنت بعد تفجير برجى مركز التجارة العالمي : في لندن شرع بنك باركليز وأيتش اس بي سي في مراجعة التصميمات وإجراءات السلامة في مقريهما المركزيين وقال وليام مكى المدير التنفيذي للفدرالية البريطانية للأملاك: ربما سيعمد الناس إلى التفكير مليا حول المباني الشاهقة العلو . ويُعتقد أن يؤدي ذلك إلى زيادة الإقبال على الطوابق السفلية في المباني الشاهقة، فضلا عن ارتفاع أسعار استئجارها . واعترافا بهذه الحقيقة، بات صاحب عقد استئجار الأرض التي كان عليها مركز التجارة العالمي في نيويورك، يفكر في تعويض ما ضاع بتشيد أربعة مباني أصغر حجما . وقال لاري سلفرشتاين: مما لا شك فيه أننا سننظر بجدية في موضوع بناء أربعة أبراج تتألف من ٥٥ أو ٦٠ طابقاً<sup>iii</sup> .

ترافق هذا كله مع ظهور اتجاه جديد في هندسة البناء هو " العمارة البيئية " أو " العمارة الخضراء " التي تركز على سلامة البيئة والإنسان أكثر مما تحسب حساب أسعار أراضي البناء .. ومن أهم مبادئ هذه العمارة الخضراء عدم تأييدها لبناء الأبراج العالية وناطحات السحاب .

ومن قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت هناك أصوات تنادي بالتحذير من مساوئ الأبنية العالية فمثلاً يقول المهندس المعماريّ اليونانيّ المشهور، كونستانتين دوكسياديز " Constantine Doxiades :

**My greatest crime was the construction of high-rise buildings. The most successful cities of the past were those where people and buildings were in a certain balance with nature. But high-rise buildings work against nature, or, in modern terms, against the environment. High-rise buildings work against man himself, because they isolate him from others, and this isolation is an important factor in the rising crime rate. Children suffer even more because they lose their direct contacts with nature, and with other children. High-rise buildings work against society because they prevent the units of social importance -- the family ... the neighborhood, etc. -- from functioning as naturally and as normally as before.."**

إن أكبر جريمة ارتكبتها كانت إنشاء الأبنية العالية ، إن أنجح المدن في الماضي كانت تلك التي تحقق التوازن بين الناس والأبنية من جهة وبين الطبيعة من الجهة الأخرى ، ولكن الأبنية العالية تعمل ضد الطبيعة، وبالتعبير العصري : ضد البيئة ، الأبنية العالية تعمل ضد الإنسان نفسه لأنها تعزله عن الآخرين ، وهذا العزل هو عامل هام في تزايد معدل الجرائم ، كما تزداد معاناة الأطفال بسبب فقدهم للاتصال المباشر مع الطبيعة ومع غيرهم من الأطفال .  
الأبنية العالية تعمل ضد المجتمع لأنها تمنع الوحدات الاجتماعية ( الأسرة - الجيران الخ ) من العمل بشكل طبيعي مثلما كان الحال في الماضي .

ثانياً : الآثار السبئية للأبنية العالية على البيئية:

#### ١ - الأبنية العالية وخطر الزلازل :

تعتبر الأبنية العالية تغييراً لخلق الله ، فهي بمثابة إنشاء جبال صناعية في أماكن يختارها الإنسان حسب حاجته ورغبته ، وكما تعلمون فإن الجبال لها دور في حفظ توازن القشرة الأرضية ، كما تشير الآية الكريمة {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} ، [الآية ١٥ من سورة النحل والآية ١٠ من سورة لقمان ] أي: ألقى فيها جبلاً شامخاً لئلا تضطرب بكم ، وفيه إشعار بأن بين الجبال و الزلازل رابطة مستقيمة، والميد: الاضطراب بينما وشمالاً؛ ماد الشيء يميد ميذا إذا تحرك؛ ومادت الأغصان تمايلت، وماد الرجل تبحتر ،وفي تفسير الطبري عن قتادة قال : أثبتنا بالجبال ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقاً، وفي تفسير ابن كثير : يعني الجبال أرست الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء. وفي الحديث عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجَبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ فَقَالُوا يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٍ أَشَدَّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ نَعَمْ الْحَدِيدُ. فَقَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٍ أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ نَعَمْ التَّارُ، فَقَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٍ أَشَدَّ مِنَ التَّارِ؟ قَالَ نَعَمْ الْمَاءُ، قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ فِي خَلْقِكَ شَيْءٍ أَشَدَّ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ نَعَمْ الرِّيحُ، قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ فِي خَلْقِكَ شَيْءٍ أَشَدَّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ نَعَمْ. أخرجه الترمذي .

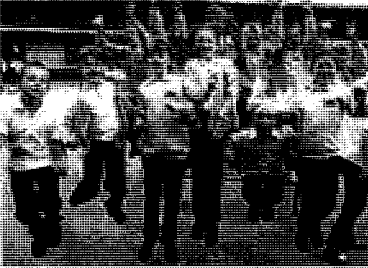
وفي لسان العرب قال أبو العباس في قوله: {أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ}، فقال: تَحَرَّكَ بِكُمْ وَتَزَلَّزَل.

فعندما نقيم الأبنية العالية وناطحات السحاب على ارتفاعات تصل إلى مئات الأمتار ، وتكون في منطقة واحدة عدة بنايات من هذا الوزن ، فإنها تشكل بلا ريب ضغطاً هائلاً على القشرة الأرضية يشبه إلى حد ما إقامة جبل صناعي في مكان غير طبيعي ، وهذا يمكن أن يحرض على حدوث الهزات الأرضية ، وهذا ليس مبالغة كما قد يتخيل البعض ، فالزلازل يمكن أن تحدث نتيجة لأعمال بشرية منها : إقامة المنشآت الضخمة كالسدود التي تحجز كميات ضخمة من الماء خلفها<sup>iv</sup> ، إجراء التجارب النووية في باطن الأرض nuclear explosion ، أعمال الحفريات في المناجم العميقة deep underground mining ، حقن السوائل في أماكن التنقيب أو سحب الماء واستخراج النفط pumping of water & oil فالنفط ليس موجودا في برك تحت الأرض

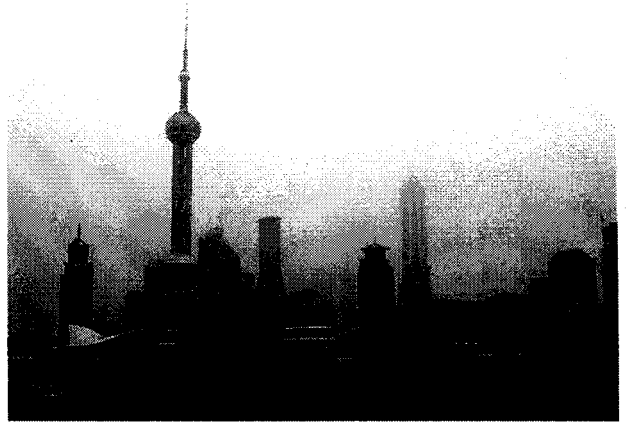
بل هو يملاً مسام في الصخور وحين يضخ إلى السطح تفرغ المسام وتصبح ضعيفة ولا تعود تتحمل ضغطاً، ويختل توازن الصخور وقد تتضعض الأرض أو تحسف إذا بني عليها أو تعرضت لضغط كبير ، ويعرف في علم هندسة الزلازل مصطلح الزلازل الصناعية ..... أو الزلازل التي تخرضها فعاليات

### بشرية Earthquakes induced by human activity

بل إن الأمر لا يحتاج إلى تفجيرات نووية لكي نحدث زلزالاً ، ففي بريطانيا تمكن تلاميذ المدارس من إحداث هزة أرضية خفيفة بمجرد القفز في وقت واحد في مدارسهم .. فقد طلبت السلطات من آلاف المدارس في شتى أنحاء بريطانيا إنزال التلامذة إلى الملاعب في الحادية عشرة صباحاً بالتوقيت المحلي للقفز مدة دقيقة كاملة على أمل إحداث هزة أرضية يمكن رصدها. وقال نيجل بن المسؤول عن مبادرة أطلقتها الحكومة تحت اسم "سنة العلوم": "نحن شبه متأكدين من أننا أنتجنا ما يمثل واحداً في المئة من زلزال خطر. هذه ليست كمية هائلة من الطاقة لكنها ملموسة". وفي الصورة تلامذة من مدرسة كنفز هيل في مقاطعة كنت (جنوب شرق إنكلترا) يشاركون في التجربة<sup>v</sup>.



شنغهاي



وفي مدينة شنغهاي الصينية تكاثرت الأبراج الشاهقة حتى بدأت المدينة كلها تفرق بمعدل ١,٥ سنتيمتر كل عام . وأهم سبب لهذه الظاهرة هو التوسع الرهيب في البناء الذي ساد المدينة على مر السنوات العشر الماضية<sup>vi</sup>.

ووفقا لما كتبه صحيفة "تشاينا دايلي" فإن المباني العالية تبدو جميلة، ولكنها من الممكن أيضا أن تتسبب بالمشاكل، وهي حقيقة تكتشفها شنغهاي بسرعة كبيرة. وعلى مر السنوات العشر الماضية اكتسحت سماء شنغهاي موجة كبيرة من المباني المرتفعة فغيرت شكلها. ووفقا للصحيفة، فقد تم بناء ما لا يقل عن ثلاثة آلاف عمارة مرتفعة، وسوف يتوقف بناء ناطحات السحاب، ولكن العديد منها قد تم بناؤه بالفعل، أو يتم بناؤه حاليا، ولذلك لن يؤثر هذا التوقف في البناء عن الشعور بأن شنغهاي تفرق.

فهل يشك أحد بعد هذا في أن الأبنية العالية ستكون في المستقبل سبباً لحدوث الزلازل عندما يبالغ الناس في التطاول في البناء كما ورد في الحديث النبوي الذي ذكرناه منذ قليل وفيه أن من علامات الساعة أن يتطاول الناس في البناء وتكثر الزلازل؟؟

يقول الدكتور زغلول النجار في لقاء مع قناة الجزيرة يوم الخميس ١٦/٩/١٤٢٣ هـ الموافق ٢١/١١/٢٠٠٢ م. : ثابت علمياً أن إقامة السدود على مجاري الأنهار من أسباب اختلال الاتزان الأرضي، فمن آيات الله - سبحانه وتعالى- في هذه الأرض المضطربة أن وزن العمود الصخري من مركز الأرض إلى أي نقطة على سطحها، سواء هذه كانت قمة أعلى جبل، أو أخفض منخفض على سطح الأرض متساوي تماماً، لأن دوران الأرض حول محورها يطرد الأوزان الزائدة، لا بد أن تكون أنصاف الأقطار متساوية في كتلتها تماماً، وهذا من أعظم الآيات الدالة على حكمة الله في الخلق، وعلى إبداعه في الصنعة.

فإقامة السدود على مجاري الأنهار وسيلة لجمع كميات هائلة من المياه، وهذه الكميات الهائلة من المياه قد تؤدي إلى اختلال هذا الاتزان، فتؤدي إلى تحرك الحمم في داخل الأرض مما يسبب هزات أرضية كما قد يسبب بعض الثورانات البركانية.

الزلازل هو هزة أرضية نتيجة كسر وحركة فجائيتين في القشرة الأرضية. فمن أهم مسببات الزلازل زيادة وزن العمود الصخري على منطقة ما، وزيادة وزن العمود المائي نتيجة إنشاء بحيرات صناعية مثل بحيرة السد العالمي التي تسبب زلازل أسوان نتيجة تحرك صدع كلابشة.. وهناك زلازل يصنعها الإنسان مثل إقامة المنشآت الضخمة والإسراف في استخدام المياه، أو سحب كميات ضخمة من المياه الجوفية يؤديان إلى خلل في القشرة الأرضية فتتهز المنشآت وأحيانا تتساقط.

إن الخطر على الأرض يكمن دوماً في التغييرات الكبيرة التي يحدثها الإنسان فيها ، ثقب الأوزون ، ظاهرة النينو ، ... الخ .

وهنا قد يتهمنا البعض بالمبالغة فيما يخص العلاقة بين الأبنية العالية والزلازل ، لذلك أوضح أننا نقصد هنا الأبنية العالية الشاهقة الارتفاع والتي تكثر في آخر الزمان حتى تكون قريبة من بعضها فتشكل ضغطاً كبيراً على القشرة الأرضية يشبه الضغط الناجم عن المياه المتجمعة خلق السد .

٢- يقول الدكتور زغلول النجار في لقاء مع قناة الجزيرة : الخميس ١٤٢٣/٩/١٦ هـ الموافق ٢٠٠٢/١١/٢١ م :

ثابت علمياً أن إقامة السدود على مجاري الأنهار من أسباب اختلال الاتزان الأرضي، فمن آيات الله - سبحانه وتعالى- في هذه الأرض المضطربة أن وزن العامود الصخري من مركز الأرض إلى أي نقطة على سطحها، سواء هذه كانت قمة أعلى جبل، أو أخفض منخفض على سطح الأرض متساوي تماماً، لأن دوران الأرض حول محورها يطرد الأوزان الزائدة، لا بد أن تكون أنصاف الأقطار متساوية في كتلتها تماماً، وهذا من أعظم الآيات الدالة على حكمة الله في الخلق، وعلى إبداعه في الصنعة.

لإقامة السدود على مجاري الأنهار وسيلة لجمع كميات هائلة من المياه، وهذه الكميات الهائلة من المياه قد تؤدي إلى اختلال هذا الاتزان، فتؤدي إلى تحرك الحمم في داخل الأرض مما يسبب هزات أرضية كما قد يسبب بعض الثورانات البركانية.

ويقول الدكتور يحيى القزاز ، الأستاذ بكلية علوم حلوان :

الزلازل هو هزة أرضية نتيجة كسر وحركة فجائيتين في القشرة الأرضية. من أهم مسببات الزلازل زيادة وزن العمود الصخري على منطقة ما، وزيادة وزن العمود المائي نتيجة إنشاء بحيرات صناعية مثل بحيرة السد العالمي التي تسبب زلزال أسوان نتيجة تحرك صدع كلابشة.. وهناك زلازل يصنعها الإنسان مثل إقامة المنشآت الضخمة والإسراف في استخدام المياه، أو سحب كميات ضخمة من المياه الجوفية يؤديان إلى خلل في القشرة الأرضية.

مضار أخرى على البيئة :

إن ضرر الأبنية العالية على البيئة لا يقتصر على تحريض الزلازل ، بل ثمة مضار أخرى منها:  
٣- زيادة استهلاك الطاقة في الأبنية العالية ، حيث يحتاج الناس فيها إلى استعمال المصاعد التي تعمل على الكهرباء ، كما يعتمد سكان الطوابق العليا على التكييف المركزي بشكل دائم لاستحالة فتح النوافذ على ارتفاعات شاهقة ، كما إن فقدان الحرارة يكون أكبر في الطوابق العالية <sup>vii</sup> ..

في الأبنية العالية لا يمكن الاعتماد على المواد المحلية في البناء إذ لا بد من استعمال الفولاذ والبيتون حصراً ، وهذا يتعارض مع فلسفة العمارة البيئية .

ثالثاً : الآثار السيئة للأبنية العالية على الإنسان <sup>viii</sup> :

نشير هنا بإيجاز إلى المضار الصحية والنفسية التي تشكلها الأبنية العالية على الإنسان ، سواء السكان القاطنين فيها أو من حولها ، لنذكر أكثر الحكمة في ذم التطاول في البناء .

أولاً : حجب الهواء والنور والشمس عن الجوار ، وقد لاحظ الفقهاء المسلمون هذه النقطة في مسائل فقه البنين والعمران فتكلموا عليها ضمن قاعدة (منع الضرر) <sup>ix</sup> ولا يوجد حل لهذه المشكلة إلا باشتراط مسافات مناسبة بين الأبنية العالية وهذا الشرط إن تم تنفيذه تفقد الأبنية العالية مبرر وجودها الاقتصادي الذي يتعلق بأسعار أراضي البناء .

ولا يجهل أحد نتائج حجب الشمس والهواء على صحة الناس . وربما يكون أبغ دليلاً على هذا ما أعلنه ثلاثة أساتذة للعمارة من جامعة هونغ كونغ الصينية من أن أحد أهم الأسباب لانتشار مرض السارس كان الفجوة الضيقة بين البلوك رقم إيه والبلوك رقم إف، مما أعاق تدفق الهواء وسمح للفيروس بالانتشار إلى الشقق الأخرى.

المرض يمكن أن ينتقل بسهولة في مثل هذه البنايات العالية. في أبريل شهد انتشار سارس في بكين معدل إصابة عالياً في بعض المناطق الكثيفة السكان من البنايات العالية، مما نبه مشغري الشقق إلى أن يضعوا في الاعتبار الكثافة السكانية للمنطقة السكنية والتهوية عندما يبحثون عن بيت أحلامهم.



في مسح أجري عبر الهاتف والإنترنت في بكين شمل ٥٠٠ فرد من أبناء العاصمة وجد أن ٨٢,٨% يولون أهمية أكبر للتهوية عند البحث عن شقة جديدة، مقارنة مع ٥٣,١% في مسح سابق.

العمل في المدينة والإقامة في الضواحي ذات الهواء المنعش والشمس الساطعة يتوقع أن تكون الاختيار الرئيسي للطبقة المتوسطة في الصين في مرحلة ما بعد سارس. هذا سوف يؤدي إلى المسارعة بإنشاء مناطق سكنية في الضواحي، وفقاً لما يقول الخبراء. في الوقت الحالي يوجد ٧٠% من المناطق السكنية التي يجري بناؤها داخل المدينة. لي فولين، من لجنة بكين للإنشاء توقع أن تتجاوز المناطق السكنية في الضواحي ما في داخل المدينة خلال السنوات العشر القادمة.

التحول إلى الضواحي سوف يؤثر على أسعار سوق العقارات السكنية في بكين، حيث يتوقع أن ترتفع المساكن التي في الضواحي. النسبة حالياً بين سعر المتر المربع في الضواحي وفي داخل المدينة ٤:١. لي قال إنه خلال عامين إلى ثلاثة أعوام النسبة يحتمل أن ترتفع إلى ٢:١ أو ٣:١.

في فترة ما بعد سارس من المتوقع أن تضع شركات التنمية العقارية والمصممون في الاعتبار تنمية تجمعات سكنية ذات مساحة كبيرة. وسوف تقسم التجمعات الكبيرة إلى مجموعات أصغر مستقلة نسبياً لتقليل الكثافة السكنية وتقليل حالات انتقال عدوى الأمراض. التجمعات السكنية الكبيرة قد لا تتم إقامتها مرة أخرى في بكين.

شركة مدينة بكين للإنشاءات تقوم حالياً بتعديل تصميماتها وخططها بتقليل المباني العالية وعدد الشقق في نفس الدور وزيادة حصة المباني المنخفضة مع التركيز على التهوية الجيدة وتدفق الهواء<sup>x</sup>.

ثانياً : تشكل الأبنية العالية خطراً على السكان مثل حوادث المصاعد وفي حالات الكوارث كالزلازل والحرائق ، حيث يكون من العسير مغادرة السكان بالسرعة اللازمة ، كما يكون خطر الزلازل على الأبنية العالية أعظم من غيرها وذلك لأن قوة القص القاعدي التي تطبق على قاعدة المبنى المعرض لفة أرضية تحسب من العلاقة التالية :

$V=(Z.I.K.C.S) W$  حيث تمثل  $W$  وزن البناء من الحمولات الدائمة + ٢٥% من الحمولات الحية ، وهذه القيمة تزداد تبعاً لزيادة ارتفاع المبنى ، كما ان نحالة المبنى شاقولياً تزيد من شدة قوى القص وعزوم الانعطاف الناتجة عن الزلزال في أعمدة المبنى<sup>xi</sup> . ويجب تجنب المنشآت المفرطة في ارتفاعها (استطالتها) عمودياً ويفضل ألا يتجاوز ارتفاع المبنى ثلاثة إلى أربعة أمثال عرضه ، ويجب ألا تقل نسبة عرض المبنى إلى طوله على المسطح عن نصف<sup>xii</sup> .

ثالثاً : تقول تعليمات السلامة عن حدوث الزلازل **Safety Recommendations After an Earthquake** عند حدوث الزلازل ينصح الناس بالابتعاد عن الأبنية العالية لأنها تشكل خطراً عظيماً على الناس ، (Get away from tall buildings).

رابعاً : ومن مزار الأبنية العالية على الصحة أنها تسبب ضعف البصر عند سكان المدينة بشكل عام لأن الأبنية العالية تحجب الأفق وتمنع الإنسان من أن يعد نظره على مسافات بعيدة .  
خامساً : من سلبيات الأبنية العالية أنها سبب رئيسي لازدحام السيارات في الشوارع ، وينتج عن ذلك زيادة التلوث بعوادم السيارات والأمراض المرتبطة به .

سادساً : ومن مزار البنائات العالية على صحة السكان أن الأطفال وكبار السن يلاحظ أنهم يصبحون أقل واقعية وإيجابية . ( **Multi-Purpose High-Rise Towers and Tall Buildings** ) .

سابعاً : ومن مساوئ الأبنية العالية أنها لا تسمح بتوفير أماكن مناسبة للهو الأولاد ، ولا نشر الغسيل ! .  
ثامناً : ومن مزار الأبنية العالية ما يسمى في الفقه الإسلامي (ضرب الكشف) الذي يمنع الناس من الإحساس بالخصوصية .  
وأكتفي بهذا القدر من ذكر مساوئ الأبنية العالية ، ونكون بذلك قد بينا الحكمة من ذم التطاول في البناء في السنة والقرآن .

## المبحث الثالث: ضوابط ينبغي مراعاتها في ارتفاعات المباني:

كما سبق يمكن استخلاص بعض الضوابط التي ينبغي اعتمادها في إقامة الأبنية العالية ، ومنها :

- ١- تناسب ارتفاع الأبنية مع عرض الشوارع : وهذا التناسب مقرر في أنظمة البناء المعمول بها عالمياً ، ويمكن أن نجد أصلاً له في الإسلام بالجمع بين حديثين نبويين : الأول أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبادة قال: (ان من قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المعدن جبار والبئر جبار .... قال: وقضى في الرحبة تكون بين الطريق ثم يريد اهلها البنيان فيها فيقضى ان يترك للطريق فيها سبع اذرع) والحديث الآخر الذي أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية عمارة ابن عامر " إذا رفع الرجل بناء فوق سبعة أذرع نودي يا فاسق إلى أين؟ " فبالجمع بينهما نفهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده حرص على تناسب عرض الشارع مع ارتفاع البناء ، وهذا التناسب يضمن الحد من تطاول الأبنية ويقلل من آثار ذلك التطاول على البيئة والإنسان .
- ٢- يجب احترام المسجد ومراعاة موقعه وإبرازه كمركز للأحياء السكنية في المدينة الإسلامية وأن يكون المسجد هو أساس دراسة تخطيط وتصميم التجمعات العمرانية المتدرجة باختلاف أحجامها ومستوياتها<sup>xiii</sup>، وهذا لا يتحقق إلا بالحد من ارتفاعات الأبنية المحيطة بالمسجد ومراعاة المسافات فيما بينها بحيث يبقى المسجد مرئياً بالنسبة لأكثر عدد من سكان الحي.
- ٣- يجب أن لا تكون تعلية الأبنية وتطويلها من قبيل (التطاول) الذي تدخل فيه المباحة والمنافسة بين أصحابها ، وهو ما يدل عليه لفظ (يتطاولون) الوارد في الحديث الشريف ، بل يقتصر على الأبنية العالية في الأماكن التي تدعو إليها الحاجة والضرورة .
- ٤- يستحسن أن تكون الأبنية العالية لأغراض غير السكن ، فيقتصر على استعمالها مكاتب للشركات وذلك للحد من آثارها السلبية على البيئة والإنسان .
- ٥- يجب مراعاة قاعدة (منع الضرر) في مجال الأبنية العالية ، ووضع القوانين والأنظمة التي تكفل عدم حصول أضرار لسكان المناطق التي تقام فيه الأبنية العالية. ومن هذه الأضرار المحتملة: ضرر حجب الهواء والشمس ، وضرر الكشف ( و يسمى الإشراف أو الإطلاع).

وقد تناول فقهاء الأمة الإسلامية هذه المسائل في كتب الفقه ، نذكر على سبيل المثال ما جاء في كتاب (مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل ) من كلام ابن فرحون ، وفي القوانين الفقهية لابن جزي حيث يقسم الضرر إلى قسمين : متفق عليه ومختلف فيه ، أما المختلف فيه فمثل أن يعلى بنايماً يمنع جاره الضوء والشمس ، فالمشهور أنه لا يمنع منه ، وقيل يمنع (ص ٢٢٤) اهـ .

وفي عصرنا الحالي ينبغي إعادة النظر في هذه الفتاوى حيث أصبح البناء العالي أضعاف مضاعفة عما كان معهوداً في ذلك العصر الذي صدرت فيه تلك الآراء ، مما يجعل الضرر الناتج أكبر من أن يجوز التساهل فيه .

## الفصل الثاني : المسكن الواسع ، واتفاق العلم والدين على استحبابه .

قد يعترض البعض على ما قلته في الفصل الأول من اعتبار الذم الوارد في القرآن والسنة للأبنية العالية مما يدخل في باب الإعجاز ، ذلك لأن هذا الذم يأتي على أساس أخلاقي للذين يتباهون ويفاخرون بأبنيتهم الطويلة ، وليس المقصود منه ذم البناء العالي بمحد ذاته .

وجواباً على هذا الاعتراض أقول : لو كان الذم لأجل السبب الأخلاقي النفسي فقط ، فلماذا توجه إلى التطاول العمودي ولم يتوجه إلى التوسع الأفقي ؟ .

بل لماذا جاء استحباب المسكن الواسع صريحاً في السنة ؟؟

فلهذا السبب جعلت الفصل الثاني عن استحباب المسكن الواسع ، وأذكر ما يوافقه أيضاً من منظور العلم الحديث .

المبحث الأول : ما ورد في السنة عن استحباب المسكن الواسع :

ورد في استحباب المسكن الواسع الحديث التالي : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>xiv</sup> : ((أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء والمسكن الضيق)) فهذا حديث صحيح صريح في استحباب أن يكون المسكن واسعاً ، وهذا ما يؤكد العلم الحديث أهميته بالنسبة لصحة الإنسان .

## المبحث الثاني : أهمية المسكن الواسع وضرر المسكن الضيق على صحة الإنسان : أكثر ما يقال هنا يتعلق بالأطفال .

أولاً : ان ضيق المسكن وتكدس أفراد الأسرة في حجرة واحدة خصوصا الأسرة ذات الأعداد الكبيرة أكثر من خمسة أشخاص تؤدي بالطفل إلى التوتر وعدم الاتزان الانفعالي والإحساس بعدم الاستقرار والخصوصية حيث أنه لا يوجد مكان خاص له حجره مثلا خاصة به أو سرير أو مكتب فعدم الشعور بالخصوصية يؤدي إلى الشعور بالاكتئاب والنفور من المكان<sup>xv</sup> .

ثانياً : حيث تكون غرفة نوم الأبوين قريبة جداً من غرفة نوم الأطفال .. حيث يكون كل صوت يصدر عنهما مآله أن يتناهى إلى آذان الأبناء، كما سيلاحظ هؤلاء كل حركة غير عادية من والديهما بارتياح، هذا إضافة لاستحالة التجرد من ثيابهما .. وإذا ما تساهل الوالدان في بعض ذلك وشهده الأبناء، فإنه ستكون له آثار سلبية على أعصابهم ونفسياتهم يعسر علاجها وقد تصاحبهم طوال حياتهم كعقد نفسانية مستعصية عن الحل.. وقد وصف العديد من المرضى النفسانيين أنهم لما شاهدوا، وهم صغار، ممارسة والديهم للجنس رأوا فيها عدوانا من الأب على الأم صدم مشاعرهم وأحاسيسهم المهرفة وعقدتهم منذ سنين مبكرة جدا.

ثالثاً : ان ضيق المنزل من أسباب قلة الشهية عند الأطفال وهي من أكثر المشكلات السلوكية انتشاراً<sup>xvi</sup>

## خاتمة

وجدنا في هذا البحث أن البناء العالي كان مدموماً في القرآن والسنة ، وأن البشرية بدأت تكتشف سليات هذه الأبنية المتطاولة إلى السماء وأنها خطر أكيد على البيئة والإنسان . كما وجدنا أن الزلازل سوف تكثر في آخر الزمان عندما يتناول الناس في البنيان كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يكون هذا الحديث قد أشار إلى أمر دقيق وهام لم تعرفه البشرية إلا في العصر الحديث . كما وجدنا أن في السنة النبوية استحباب المسكن الواسع ، وهذا يثبت أن الذم الذي توجه إلى الأبنية العالية لم يكن لعلة الإسراف والخيلاء فقط وإنما لما لها من مضار على الإنسان والبيئة .

إن ما ذكرناه من مضار الأبنية العالية كله حقائق ملموسة وثابتة ، إلا أن ما قلناه من علاقة الأبنية العالية بالزلازل قد يعتبره البعض مبالغاً ولكن يجب التنبيه إلى أننا نقصد هنا الأبنية العالية التي تحرض على حدوث الزلازل وهي الأبنية الشاهقة الارتفاع والتي سوف تكثر في المستقبل وتكون قريبة من بعضها فتشكل ضغطاً كبيراً على القشرة الأرضية يشبه الضغط الناتج عن إقامة السدود والمياه المتجمعة خلفه .

## التوصيات :

- ضرورة اعتماد هندسة العمارة البيئية الخضراء والتأكيد على توافقه مع تعاليم وهدى الإسلام وتشريعاته .
- تشجيع استلهام التراث الإسلامي في الهيكل العام للمباني وتخطيط المدن في البلدان الإسلامية.
- تشجيع الاستثمار في الأرياف للحد من الازدحام في المدن وتقليل الاعتماد على الأبنية العالية
- الاستفادة من تجارب الدول الرائدة في مجال تخطيط المدن وما توصلت إليه من حلول عملية<sup>xvii</sup>.
- ضرورة الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة وما توفره من فرص عمل لا تحتاج إلى تنقل من مكان العمل وإليه في أجواء المدن المزدهرة كالإنترنت وتطبيقاتها في الحكومات الإلكترونية، بحيث يمكن للناس أن يسكنوا في الضواحي والأرياف (وهو ما يطلق عليه تقنيات العمل عن بعد).
- نوصي بإصدار فتوى شرعية بضرورة التزام شركات البناء بمواصفات البناء المقاوم للزلازل حماية لأرواح السكان .
- ونوصي بدعوة المجامع الفقهية الإسلامية إلى تبني وإصدار توصيات خاصة بأحكام البنيان في الفقه الإسلامي بمنظور حضاري معاصر يمكن اعتمادها كنظام هندسي (كود) إسلامي عالمي .
- ونوصي بعدم الإسراف في إقامة المباني العالية خصوصاً للأغراض السكنية ، وننصح بالاستفادة من أحدث التوجهات المعمارية في العالم كالعمرارة الخضراء أو البيئية (الصديقة للبيئة)، ونشير هنا إلى مدينة باريس الفرنسية كنموذج للمدينة التي تتوسع أفقياً ولا تشجع الأبنية العالية . ( مع البحث مجموعة صور لمدينة باريس تظهر كيف أن معظم الأبنية فيها لا تزيد على ثمانية طوابق).

- توجيه دعوة إلى مجمع الفقه الإسلامي لتبني إصدار توصيات خاصة بأحكام البنيان في الفقه الإسلامي بمنظور حضاري معاصر بحيث تكون هذه التوصيات نواة لصياغة نظام هندسي (كود) إسلامي عالمي يعبر عن رؤية الإسلام الحضارية لقضايا السكن وال عمران.

- التأكيد على ضرورة الأخذ بمعايير السلامة والوقاية من أخطار الزلازل عند إقامة المنشآت الضخمة والأبراج العالية في المناطق المصنفة علمياً كمناطق خطر زلزالي .

إن ناطحات السحاب هي نتاج حضارة مظاهر تتعامل مع الإنسان كما تتعامل مع الآلة فتقدم مظهر البنيان وبعض المنافع المادية دون مراعاة إنسانية الإنسان، وإن الانتشار في الأرض وتعمير مساحات بلادنا الشاسعة أمر مطلوب و (أرض الله واسعة).

وأترككم مع هذه الآية الكريمة من كتاب الله الكريم :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾



## الهوامش

i- ابن أبي الدنيا، الطبراني وأبو نصر السجزي في الإبانة وابن عساكر - عن أبي موسى، ولا بأس بسنده. (تاريخ مدينة دمشق ج ٢١/ص ٢٧٤)

ii- مثلاً كتاب (نهاية الأبنية العالية) *"by James Howard Kunstler and The End of Tall Buildings"* *Nikos A. Salingaros was published by PLANetizen <www.planetizen.com> in September 2001,*

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid\_1557000/1557529.stm

iii- يقول العالم الجيوفيزيائي الشهير روثيه (rothe) (املاً البحيرة .. تبدأ الزلازل)) - انظر كتاب (هندسة الزلازل والبيئة العمرانية للمهندس الدكتور عادل عوض ص ١٤١)

iv- http://www.annaharonline.com/IGTIRAB/IG2001SEP10.HTM

v- http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world\_news/newsid\_3106000/3106914.stm

vi- انظر : **Multi-Purpose High-Rise Towers and Tall Buildings**

by H. R. Viswanath (Editor), et al (Hardcover - April 1998)

vii- انظر المرجع السابق ولاحظ أنه صادر سنة ١٩٩٨ أي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

viii- انظر فصل : أحكام الضرر وأثرها على العمارة الإسلامية - ضمن كتاب الإعلان بأحكام البنيان - دراسة أثرية معمارية للدكتور

محمد عبد الستار عثمان - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية - ١٩٨٨ وانظر كذلك (فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف

العثماني الجزائري خلال فترة ما بين ٩٥٦ - ١٢٤٦ هـ . (١٥٤٩ - ١٨٣٠ م) ، تأليف د. مصطفى أحمد بن حموش

، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي [سلسلة الدراسات الفقهية (٥)]

ix- موقع شبكة الصين على الانترنت http://www.china.org.cn/arabic/75201.htm

x- أساسيات علوم الزلازل والهندسة الزلزالية للدكتور محمد نزيه إيلوش - دمشق ١٩٩٦ ص ١٣٩ .

xi- (هندسة الزلازل والبيئة العمرانية للدكتور عادل عوض .

xii- نبه إلى ذلك المهندس أحمد كمال الدين عفيفي في مقالة له بعنوان "مكانة المسجد في التخطيط العمراني والتصميم الحضري "

نشرت في مجلة (الإسلام اليوم) التي تصدرها الإيسيسكو - عدد ٦ تاريخ ذو القعدة ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) .

xiii- رواه أحمد والبخاري والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه، واللفظ لابن حبان .

xiv- لضغوط النفسية وأثرها على الطفل د. فاطمة موسى أستاذ الطب النفسي - كلية الطب جامعة القاهرة .

xv- المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيه الغرة .

xvi - مثل إقامة المدن الصغيرة حول العاصمة الفرنسية أو ما يسمى بالمدن العنقودية (Polycentric system)

وذلك على مبدأ (التوسع الأفقي) الذي يغيثنا عن التوسع العمودي . فتضاعفت مساحة باريس ١٥ مرة في الوقت الذي

تضاعف فيه عدد سكانها مرة واحدة .



# **علوم الأرض وقراءة مختلفة لقصة ذي القرنين في القرآن الكريم**

د. أسماء الفراج الكتي

أ. سارة خوري



## ملخص

ان قراءة قصة ذي القرنين من القراءات السهلة الممتعة، بالرغم من السهولة التي تظهر بها قراءة نص الآيات القرآنية الكريمة لقصة ذي القرنين في سورة الكهف من الآية ٨٣ إلى آية ٩٨، إلا أنها من الآيات غير اليسيرة الفهم والاستيعاب، وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل اليهود يقترحون على كفار مكة سؤال النبي صلى عليه وسلم عنها لامتحانه فيها، ذلك لأن هذه القصة لم تكن معروفة إلا عند اليهود، كما هو مذكور في كتب التفسير.

وفي هذه الآيات الكريمة تتجلى الكثير من حقائق علوم الأرض، كوجود العيون الحمئة Geyser في غرب العالم في العالم الجديد، وشروق الشمس لمدة شهرين متتالين عند الدائرة القطبية، مما يجعلها ليس بينها وبين البشر الذين يعيشون في تلك المناطق سترًا. وتفصح الحقيقة الأولى عن أول مكان وصل إليه ذو القرنين في رحلته، وهو مغرب الشمس، وهو آخر مكان تغرب فيه الشمس على الأرض، وميز ذلك المكان أن به عينا حمئة، وصفات مغرب الشمس في العين الحمئة لا تنطبق إلا على غرب الأمريكتين.

وهذا قد يعني أن ذا القرنين كان من قوم يعيشون في مكان ما في شرق الأمريكتين (في العالم الجديد)، فبدأ رحلته ليتجه إلى غرب العالم حيث العين الحمئة، ليواصل سيره غربا ليصل إلى شرق العالم، أي إلى مطلع الشمس وهو أول مكان تشرق فيه الشمس على الأرض، وتعتقد هذه الدراسة أن ذلك في شمال شرق آسيا، حيث عبر إليه ذو القرنين عن طريق مضيق برنج Bering، حيث أنه في الفترات الجليدية قد يتصل اليابس الأمريكي باليابس الآسيوي، وهذا ما قد يكون قد حدث أثناء رحلة ذي القرنين، فوجد قوما ليس بينهم وبين الشمس ستر، وقد يكون أولئك القوم الذين مر بهم إحدى قبائل الإسكيمو أو أسلافهم، وهم قوم رحل لا بيوت لهم تسترهم. ثم واصل سيره غربا أيضا إلى أن وصل إلى منطقة جبال القوقاز التي يعتقد أن بها ردم ذي القرنين، وهو ما يعرف بسد "دريند" الذي يحمل بعض الصفات التي ذكرت عن ذلك الردم في الآيات الكريمة.

هذا ما ترجمه هذه الدراسة، واثباته يحتاج إلى البحث في عدد من العلوم بالإضافة إلى علوم الأرض، مثل الآثار والتاريخ والصناعة والتعدين والهندسة والانتروبولوجيا وعلوم اللغة وتطورها. وهو ما تم شرحه والتطرق إليه فيها.

## ١. مقدمة

تعتبر قصة ذي القرنين من القصص القرآنية السهلة الممتعة، فيقدر ما بها من كلمات مباشرة تصف الأماكن التي وردت بالقصة، بقدر ما بها من صعوبة تظهر عند محاولة فهم وتدبر الآيات، وتتبع بداية ونهاية رحلة ذي القرنين. وبما أن القرآن هو معجزة الإسلام الخالدة، فلا بد أن تكون هذه القصة ليست مجرد قصة تروى، لكنها قصة حافلة بالاعجاز المتميز.

والإعجاز في هذه الآيات ليس اعجازاً علمياً فقط، بل إنما تحمل ثلاثة مظاهر للإعجاز، أولها: الإعجاز العلمي الذي هو محور هذه الدراسة، وهو لا يقوم على علم واحد فقط، بل يقوم على عدد من العلوم مجتمعة، تبدأ بالاعجاز في علوم الأرض التي تتضمن الجيولوجيا والجيومورفولوجيا والجغرافيا، وتنتهي إلى الصناعة والتعدين والهندسة، بالإضافة إلى علوم الآثار والتاريخ والانثروبولوجيا واللغة.

أما مظهر الإعجاز الثاني: فهو - ان صحت استنتاجات هذا البحث - أن هذه الآيات هي الوحيدة - حتى الآن - التي تقول شيئاً عن العالم الجديد، الذي لم يكن مكتشفاً ولا معروفاً في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. والعالم الجديد - كما هو معروف - هو الأمريكيتان (أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية) وأستراليا، أما العالم القديم فهو آسيا وأفريقيا وأوروبا.

أما وجه الإعجاز الثالث: فهو في الخبر، حيث يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين الذي لم يكن معروفاً إلا عند اليهود، فهذه القصة غير معروفة لدى الناس في شبه الجزيرة العربية، لذلك حين سأل كفار مكة اليهود عن شيء يعجزون به النبي صلى الله عليه وسلم، اقترحوا عليهم سؤاله عن الروح وعن فتية الكهف وعن ذي القرنين، وهي قصص لم تكن معروفة إلا في التوراة، وكان ذلك سبب نزول سورة الكهف، كما هو موضح في كتب التفسير (أنظر تفسير أبي جعفر الطبري، أبي القاسم الخوارزمي، وابن كثير، والقنوجي).

وبالرغم من أن هذه الدراسة اتفقت في بعض أوجهه التحليل مع كتب التفسير، إلا أنها اختلفت عن دراسات سابقه حول قصة ذي القرنين من وجوه عدة، الاختلاف الأول: في أن هذه الدراسة لا تعتبر قصة ذي القرنين من القصص الخاصة بعلامات يوم القيامة، بل تصنفها ضمن آيات الإعجاز العلمي. الاختلاف الثاني: هذه الدراسة لن تعدد إطلاقاً بما كتب في تلك الدراسات حول بداية رحلة ذي القرنين المقدمة بها، أما الاختلاف الثالث: فهو أنها لن تنطرق للشخصيات التي ضمنها الكتاب بأنها هي لذي القرنين كالإسكندر الأكبر، وشمس بن عمرو بن أفريقيس وقورش الأحميني (عبد العليم عبد الرحمن خضر، ١٩٨١)، وذلك لأنها شخصيات تنطبق على ذي القرنين من ناحية الملك فقط وليس العلم، وجميعها حدثت بعد ظهور اليهودية، بل أن بعضها حدث بعد المسيحية، ويجدر بالقصة التي قد تحكي شيئاً عن ذي القرنين أن تكون قد حدثت قبل نزول التوراة، كقصة واردة به. وعلى أي حال لن تقترح هذه الدراسة أو تخمن أي شخصية أخرى، فالهدف من هذه القصة ليس شخص ذي القرنين لكن الهدف منها معرفة الأماكن والبيئات الجغرافية التي مر بها.

## ٢. أهداف وأهمية هذه الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى توظيف حقائق علوم الأرض والعلوم الأخرى لتتبع قصة ذي القرنين، في محاولة لتدبرها وفقاً لتلك الحقائق، فتدبر آيات هذه القصة بالذات يحتاج إلى عدد من العلوم مجتمعة مثل علوم الأرض، ومنها بالتحديد الجيومورفولوجيا والجيولوجيا لمعرفة طبيعة العين الحمئة وأماكن تواجدها، والجغرافيا لمعرفة أسباب اختلاف وتوزيع طول الليل والنهار، والمعادن والتعدين والهندسة لمعرفة دقة المراحل التي تم بها بناء الردم والمواد التي استخدمت به، وعلوم الآثار والتاريخ والانثربولوجيا لتتبع الآثار والحضارات البشرية في كل من المكسيك وسيبيريا وجمال القوقاز، وعلوم اللغة لتدبر قصة قوم بين السدين. وكثرة العلوم التي تحتاجها هذه الدراسة بذاتها دلاله على غزارة العلم الذي مكن منه الله سبحانه وتعالى صاحبها.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها الأولى من نوعها التي تتدبر الآيات القرآنية على هذا النحو، فإن الدراسات التي تهتم بالإعجاز العلمي في القرآن تأتي عادة بالنظرية العلمية وتنسبها إلى الآيات القرآنية التي تدور حول الموضوع نفسه، لكن هذه الدراسة تحاول فهم الآيات القرآنية الكريمة، وفقاً للحقائق العلمية المثبتة، وحسب الطرق العلمية الحديثة المتبعة.

وما تسعى إليه هذه الدراسة هو إثبات الإعجاز القرآني الذي لا يحكمه زمان ولا مكان، فلقد ابتعد العلماء من الديانات الأخرى عن محاولة إيجاد تفاسير علمية لما جاء في كتبهم، وذلك ليتجنبوا أي تداخل وتضارب بين الآراء الدينية والآراء العلمية، لكن أن يثبت بالعلم ما جاء في كتاب سماوي إنما هو نصر لهذا الدين وهذا الكتاب.

ولو صحت هذه الدراسة فإنها ستفتح آفاقاً جديدة في علوم الآثار والانثروبولوجيا، فهنا تقترح هذه الدراسة أن ذي القرنين قد بدأ رحلته من العالم الجديد (الأمريكتين) إلى العالم القديم (شرق آسيا)، وهو عكس ما يتداول من اكتشاف سكان العالم القديم للعالم الجديد (رحلات كولومبوس وماجلان حول الكرة الأرضية). والمثبت في الوقت الحاضر أن سكان العالم الجديد كانوا في عزله عن العالم القديم، لكن هذه الدراسة تحاول أن تثبت أن هنالك اتصالاً متبادلاً وقديماً بين العالمين قد تم وفقاً لما جاء في الآيات القرآنية، فالآيات القرآنية رسالة واضحة تبين رحلة ذي القرنين من الغرب (العالم الجديد) إلى الشرق (العالم القديم)، لكن قصته لم تكتمل لتبين إن كان ذو القرنين قد عاد إلى وطنه في العالم الجديد أم لا، فذلك مهم لفهم إن كان ذي القرنين قد نقل لقومه ما رآه من حضارات في العالم القديم مثل الأهرامات، والحضارات الهندية وغيرها إلى بلاده، أم أن العكس كإن صحاحا أنه نقل حضارة بلاده لتلك البلاد، فهناك بعض التشابه الواضح بين حضارة المايا في العالم الجديد والحضارات الهندية والمصرية القديمة في العالم القديم. وإن كان لم يثبت إن ذي القرنين لم يعد إلى بلاده فلا بد أن يكون هناك مغامرون وعلماء آخرون قد انتقلوا من العالم الجديد إلى العالم القديم ثم عادوا. أو مغامرون انتقلوا من العالم القديم إلى العالم الجديد متبعين الطريق نفسه الذي اتبعه ذو القرنين في زيارته لعالمنا القديم.

### ٣. طريقة البحث

حاولت هذه الدراسة بقدر الإمكان اتباع الأسس والضوابط الواجبة حين تدبر الآيات الكونية في القرآن الكريم، كما جاء في كتب آداب تدبر القرآن (أنظر يوسف القرضاوي، ٢٠٠٢)، مثل الإمام الصحيح بالعلوم الطبيعية للأرض الذي يعتبر التخصص الدقيق للباحثة الرئيسية والتخصص العام للباحثة المساعدة، وعلى الرغم من أن هذه الدراسة مجرد فرضية يمكن إثباتها لرحلة ذي القرنين، إلا أنها بنيت على حقائق علمية ثابتة وليست فرضيات ونظريات علمية. فانتشار العيون الحمئة في غرب العالم (وخاصة غرب العالم الجديد) حقيقة علمية، وشروق الشمس الدائم في الصيف في شمال الكرة الأرضية حقيقة علمية.



ولقد اتبعت هذه الدراسة منهج استقراء الأحداث والأماكن في قصة ذي القرنين الواردة في القرآن الكريم، وربطها بعدد من الحقائق العلمية المثبتة حتى الآن في علوم الأرض. وللوصول الى ذلك تم البحث في اتجاهين مختلفين، الاتجاه الأول هو البحث عما كتب عن هذه الآيات في كتب التفسير وفي كتب السلف (مثل تفسير أبي جعفر الطبري، والخوازمي، وابن كثير والقنوجي). كما تم البحث عن آخر ما كتب حول هذا الموضوع على شبكة المعلومات وفي المجلات العلمية الخاصة بالإعجاز العلمي في القرآن، وذلك للتأكد من عدم تكرار الأفكار المطروحة هنا في مكان آخر. الاتجاه الثاني هو تحليل الحقائق الواردة في الآيات الكريمة وربطها بالحقائق العلمية المثبتة حتى الآن، ومن ثم البحث في طبيعة تلك الحقائق، وذلك بهدف توثيقها والتأكد من الدقة العلمية لها.

#### ٤. نص الآيات الكريمة

"ويستلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا(٨٣) انا مكنا له في الأرض وأتيناه من كل شئ سببا(٨٤) فاتبع سببا (٨٥) حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب وأما أن نتخذ فيهم حسنا (٨٦) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا (٨٧) وأما من ءامن وعمل عملا صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا (٨٨) ثم أتبع سببا (٨٩) حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا (٩٠) كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (٩١) فاتبع سببا (٩٢) حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (٩٣) قالوا ياذا القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤) قال ما مكفي فيه ربي خيرا فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥) اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني أفرغ عليه قطرا (٩٦) فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقبا (٩٧) قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا(٩٨)" صدق الله العظيم

## ٥. الفرضية والحقائق العلمي

الفرضية:

تفترض هذه الدراسة أن قصة ذي القرنين حدثت في فترة ما قبل أربعة آلاف سنة على الأقل، أي قبل نزول الديانة اليهودية. وأنه من سكان العالم الجديد قام برحلته الى العالم القديم، وهو شخص من البشر غير خارق لكنه قوي البنية، بمعنى أن له أحسن ما لدى بشر من القوة البدنية، التي مكنته من السير لمسافات طويلة تحسب بالآلاف الأميال، وأنه كان شخص فائق العلم والثراء، لكنه ليس له كرامات تجعله خارقا، ولا يوجد في الآيات الكريمة ما يوحي بأنه كان خارقا، ولو كان كذلك لذكرت خوارقة كما ذكرت بالنسبة لسيدنا سليمان، حتى أن بعض كتب التفسير استكثرت أن يكون خارقا ورحجت أن تكون بعض الأحاديث النبوية عنه أحاديث موضوعة (أنظر تفسير ابن كثير). وترجح هذه الدراسة بأن رحلته كانت بالر عن طريق مضيق بونج الذي يفصل بين شمال غرب أمريكا الشمالية وشمال شرق آسيا (أنظر شكل ٦)، وهو يكون يابس في الفترات الجليدية لأن مستوى سطح البحر يكون منخفضا، وهذا ما قد حصل في ذلك التاريخ بين ٤ و ٦ آلاف سنة (أنظر الشكل ٤، a، b)، وأنه انطلق في هذه الرحلة فوق ما يركب في ذلك الزمان من أحصنه وغيرها، مما قد يعني أن رحلته تلك استغرقت وقتا طويلا جدا من الزمن يعد بالسنوات.

وتعتقد هذه الدراسة أنه من مكان ما في شرق الأمريكتين (العالم الجديد)، حيث انطلق في رحلته التي وردت في القرآن الكريم الى غرب العالم الجديد، وهو ليس غرب العالم الجديد فقط بل هو غرب العالم ككل، بما فيها مكة موضع نزول الآيات الكريمة، والدليل على هذا هو وجود العين الحمئة في غرب العالم الجديد وعدم وجودها غرب العالم القديم.

ثم أكمل طريقه بنفس الاتجاه، ليصل الى شرق العالم، الذي تفترض هذه الدراسة أن يكون في شمال شرق آسيا (سيبيريا)، حيث وجد القوم الذين لم ليس بينهم وبين الشمس سترا، وعدم وجود الساتر عن الشمس تفترض هذه الدراسة أن يكون شروق الشمس الدائم في فصل الصيف.

ثم يواصل سيره فيصل الى "قوم بين السدين" الذين تعتقد هذه الدراسة بأنهم كانوا يعيشون في شمال جبال القوقاز، وأن يأجوج ومأجوج كانوا يغيرون عليهم من جنوبها، وأن يأجوج ومأجوج بشر أكثر قوة وتحضرا من قوم بين السدين، لذلك كانوا يغيرون عليهم بين الحين والآخر، فكما هو معروف حتى الوقت الحاضر أن البشر الأكثر تحضرا وقوة يغيرون على أولئك الأقل حفا في القوة والحضارة. لذلك طلبوا من ذي القرنين أن يبني لهم سد، ربما لما لمسوه فيه من علم وتحضر، وأن السد الذي طلبوه سد محسوس، وليس مجرد وسيلة لحجبهم عنهم، وذلك بدليل بناء ذي القرنين للردم. والردم الذي بناه لهم هو ما يعرف اليوم بسد "دربند" الموجود في جبال القوقاز في الوقت الحاضر، وهذا هو نفس الردم الذي رجحته كتب التفسير، وهو موجود على امتداد خط السير الذي تعتقد هذه الدراسة أن ذي القرنين اتخذ. وفي الواقع ليس مؤكد حتى الآن— أن كان ردم "دربند" هو ردم ذي القرنين أم لا. لكن لأن صفات هذا الردم تشبه الى حد كبير صفات الردم الذي ذكر في الآيات الكريمة، ولأنه يقع على نفس امتداد رحلة ذي القرنين ولا يتعارض مع سيرها. ولأن المناطق التي تقع الى الشمال من جبال القوقاز لم تتعرض لأي غزوات أو فتوحات خلال التاريخ القديم، وكأنها محمية من أي غزوات، قد يرجح أن يكون هذا هو الردم.

## الحقيقة العلمية الأولى

تقوم الحقيقة العلمية الأولى على نقطتين، الأولى تعريف العين الحمئة وأسباب تكونها ومناطق تواجدها. والنقطة الثانية تقوم على التعرف على الحضارة المتواجدة في تلك المنطقة التي قد ينسب إليها ذو القرنين، الرجل الواسع الملك والعلم والمعرفة الذي لا بد أن ينتمي الى حضارة متفوقة.

تظهر العيون الحمئة geyser أو ما يعرف بالينابيع الحارة بشكلين، أما أنها تكون على شكل نوافير طبيعية (محمد عاشور، ١٩٩٧)، وأما أنها على شكل نبع أو عين تخرج منه مياه حارة طينية تختلط بها بعض الغازات، وتنتشر هاتين الظاهرتين في المناطق البركانية، أو المناطق التي كانت بركانية، كما في غرب الأمريكتين ونيوزلندا وإيسلنده. وتنتشر في ذات المنطقة محط الدراسة هنا بحيرات تتراوح مساحتها بين ٥٣ و ٣٥٠٠ ميل، ويوجد بها آثار من حضارة المايا، وقد تخرج البراكين من بعض هذه البحيرات، مثل بحيرة أتيتلان Atitlan في جواتيمالا التي يخرج منها بركانات ( Rivers and lakes encyclopaedia, 1965)، فان لم تكن الشمس تغرب في حقل جاف من العيون الحمئة، قد تكون كانت تغرب في أحد تلك البحيرات التي تنبع فيها عيون حمئة.

وتنشأ البراكين في ثلاثة مواقع، فمنها ما ينشأ فوق النقاط البركانية الحارة Hot spots كما هو الشأن في براكين جزر هاواي، ومنها ما ينشأ عند مناطق انشقاق المحيط كتلك الموجودة في وسط المحيطات، وهي تتكون تحت مستوى سطح البحر، أما النوع الثالث وهو النوع الأكثر انتشارا على اليابس، وهو يمثل حلقة النار حول المحيط الهادي، فهو الذي ينشأ نتيجة لاصطدام ألواح قشرة المحيط بألواح القشرة الأرضية (Strahler and Strahler, 1992)، ولأن ألواح قشرة المحيط تكون أكثر كثافة فأنها تندس تحت ألواح القشرة الأرضية الأقل كثافة (انظر شكل ١)، ويؤدي الاحتكاك بين ألواح القشرتين إلى ذوبان صخور قشرة المحيط وتكون صهير اللافا الذي يشق طريقة عبر صخور قشرة اليابس، ليصل إلى السطح مكونا البراكين عند التقاء الألواح، لذلك تكون المناطق البركانية فيها واسعة الانتشار، وليس مجرد فوهات بركانية متباعدة كالتى تتكون فوق النقاط البركانية الحارة، وفي هذه الحقول البركانية غالبا ما تكون الفوهات البركانية عند الأطراف الخارجية للمناطق الجبلية الناتجة عن تصادم الألواح (انظر الشكل ١)، وهذا النوع من البراكين منتشر حول حواف المحيط الهادي، أي في غرب الأمريكتين (العالم الجديد) وشرق آسيا (العالم القديم)، لكن لا توجد أي براكين من الأنواع الثلاثة السابقة الذكر في غرب العالم القديم.

وبالرغم من أن التقاء الألواح القارية بالألواح المحيطية يحدث حول المحيط الهادي بأكمله، إلا أن البراكين التي تتكون في شرق المحيط الهادي (جبال الأنديز) هي التي ينطبق عليها غرب العالم، أو مغرب الشمس، أما تلك التي في غربه فهي في شرق العالم أي في مشرق الشمس، بالإضافة إلى أن البراكين التي تتكون في شرق آسيا تتكون فوق جزر، وهي أجزاء منفصلة عن قارة آسيا نتيجة لانشقاق المحيط في ذلك الجزء من العالم (انظر شكل ٢)، وكذلك هو الحال بالنسبة للبراكين التي توجد في جزر هاواي البعيدة عن أي يابس، فسير ذي القرنين كان بالبر وليس البحر وذلك وفق الآيات الكريمة (اتبع سببا)، حيث لا يمكن رسم طريق على الماء، لكن يمكن ذلك على اليابس، وربما آثار ذلك الطريق موجودة حتى الآن، لكن الإبحار عبر المحيط الهادي في تلك الفترة لا يوجد ما يؤيده، بل أن انعزال البشر الذين عاشوا في جزره يبين انعدام المسارات البحرية في ذلك الوقت من التاريخ. كما أن لفظ سبب هنا لا يعني بأنه قد هيات له الاسباب للرحلة، لأنه اتبع ذلك السبب أي أنه اتبع ذلك الطريق، حتى وصل الى مغرب الشمس وكذلك حتى وصل الى مشرقها.

وعلى هذا الأساس لابد أن تكون العين الحمئة الواردة الذكر في الآيات الكريمة موجودة في غرب الأمريكيتين وفقا للحقائق السابقة الذكر. أضف إلى ذلك انه لا يوجد براكين في غرب العالم القديم، بالرغم من وجودها على جزر المحيط الاطلسي، وكما سبق القول أن سير ذي القرنين كان بالبر وليس بالبحر، فحتى عصر الكشوفات الجغرافية لم تكن هناك سفن تعبر المحيطات، وهذا لا ينفي الرحلات البحرية، لكنها كانت في البحار القريبة من يابس القارات، وليس رحلات تخترق المحيطات من طرف الى آخر كما هو منذ بعد الكشوفات الجغرافية.

وبعد بيان مكان العين الحمئة لا بد من توضيح الحضارات المصاحبة لها في ذلك المكان، وذلك لأهميتها عند الحديث عن ذي القرنين الذي كان واسع الملك والعلم، ولم يكن ذلك لشخص يعيش حياة بدائية.

بدأت الحياة البشرية في العالم الجديد منذ ٣٠ ألف سنة، وفقا للدراسات الأثروبولوجية، ويعتقد العلماء أن سكان الأمريكيتين كانوا قد انتقلوا إليها عبر طريق مضيق برنج Bering (انظر شكل ٣) ، وذلك في فترة كانت معظم الأرض مغطاة بالجليد، لأن تغطية الأرض بالجليد يقلل من منسوب مياه البحر، وبالتالي يسهل عملية التنقل البري للإنسان (Oxford Illustrated Encyclopedia, 1993, p256). ولقد تعرضت الأرض لعدد من الفترات الجليدية خلال تاريخها الجيولوجي، كما أنها تعرضت لفترات جليدية خلال الـ ٢٠٠ ألف سنة الماضية. فخلال الفترات الجليدية يقل مستوى سطح البحر، حيث تتجمد معظم مياه البحار والمحيطات وتتمركز عند القطبين (انظر شكل ٤)، مما يؤدي إلى زيادة مساحات اليابس (Selby, 1984) ، والتحام الجزر ببعضها البعض مكونة يابسا متصلا، كما يؤدي الى جفاف بعض البحار والمضائق، وهذا ما قد يكون حدث قبل ٣٠ ألف سنة، لأنها الفترة التي كانت أكثر تجمدا، لذلك تدعى بالفترة الجليدية العظمى Maximum Glaciations.

وبعد أن وصل الانسان الى العالم الجديد، بدأ في الانتشار في أمريكا الشمالية ليصل جنوبا إلى أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية (انظر شكل ٣) واستقر الانسان هناك قبل حوالي ١١ ألف عام، (www.annaharonline.com, www.adabwafan.com, www.alBayanNewspaper.com)، وظهرت أول الحضارات قبل حوالي ٥٠٠٠ سنة، ومن تلك الحضارات الأولمك Olmec على ساحل خليج المكسيك، والمايا في شبه جزيرة اليوكاتان Yucatan، وتبعها حضارات أخرى عديدة كان آخرها حضارة الأزتك Aztec التي انتهت بعد

الغزو والاحتلال الآسباني. وكان بين تلك الحضارات وأثناءها محلات بشرية متناثرة في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، لكن الحضارات التي قامت في أمريكا الوسطى كانت ذات أهمية بالغة حين الكتابة عن تاريخ العالم الجديد، وذلك لدى التفوق الفكري والفلكي والرياضي والهندسي الذي وصلت إليه تلك الحضارات.

وتعتبر حضارة المايا Maya التي انبثقت من شبه جزيرة اليوكتان Yucatan من أهم تلك الحضارات وأقدمها، وتقع شبه جزيرة يوكتان في شرق المكسيك في أمريكا الوسطى، وكانت تدعى تلك المنطقة بأرض ديك الحبش والدببة وذلك لفقدها مما يؤكل، ومن تلك المنطقة القاحلة انتشرت حضارة المايا أو ربما اكتسحت الأراضي التي تحيط بها (انظر شكل ٥)، متضمنة كل من المكسيك، بيرو، جواتيمالا، البرازيل، هندوراس، والسلفادور (www.Civilation.ca)، وتدل الآثار التي تركتها الحضارات في أمريكا الوسطى على أنها قامت على عقيدة دينية عميقة الجذور، التي حملت على بناء الأهرامات الباقية آثارها حتى الآن في المكسيك، ويعتقد أن هذه الأهرامات أقيمت لعبادة أحد الآلهة، وهي ليست مقابر للملوك كما في مصر القديمة، وتوجد أهرامات أقدم منها في يوكتان (www.Islamonline.net).

وتعود حضارة المايا إلى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد (www.Civilization.ca)، ولها لغة مكتوبة هي اللغة الهيروغليفية، واللغة الهيروغليفية Hieroglyphic هي استخدام الصور والأشكال للكتابة، واخترت هذه اللغة منذ حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وكانت هذه اللغة غالباً ما تستخدم للأغراض الدينية، وينسب هذا المسمى "الهيروغليفي" إلى اللغة المكتوبة في مصر القديمة، وبعد ذلك صارت تنسب إلى كل لغة "قديمة" مكتوبة تستخدم الصور، مثل اللغات القديمة المشابهة لها في أوروبا والأناضول بما فيها لغة المايا في العالم الجديد، وجميع هذه اللغات تعود لنفس الفترة الزمنية أي حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد (Oxford Illustrated Encyclopedia, 1993, p165).

والفرضية هنا لا تحاول الجزم بأن ذا القرنين كان ينتمي لحضارة المايا، لكن حضارة المايا مهمة حين الحديث عن شخصية واسعة العلم كذي القرنين، وافترض أنه كان من سكان العالم الجديد، والخوض فيها هنا لأنها أقوى الحضارات الموجودة في الأمريكيتين في تلك الفترة. وبما أن حضارة المايا نشأت في شبه جزيرة اليوكتان ثم توسعت في كل الاتجاهات ومنها جهة الغرب، فهذا يرجح أن تكون هناك صلة

بين هذه الحضارة وذي القرنين، ولكن لا يجزم بذلك في هذه المرحلة، لأن مثل هذا الجزم يحتاج إلى متخصصين في الآثار والتاريخ المكسيكي، والحديث هنا عن علوم الأرض فقط متمثل في العين الحمئة، مع وضع احتمال أن تكون تلك الحضارة المصاحبة لها هي حضارة المايا، وذلك وفقا للتاريخ والمكان اللذين ترجح هذه الدراسة حدوث قصة ذي القرنين خلالهما.

وعلى الفراض أن ما تقدمت به هذه الفرضية كان صحيحا، فإن ذا القرنين قد يكون أحد ملوك أو أمراء أو قادة حضارة المايا (منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة)، التي ظهرت في شبة جزيرة يوكتان بشرق المكسيك في أمريكا الوسطى، وتوسع هذا القائد أو الملك في فتوحاته غربا، حيث وجد العين الحمئة. فالعيون الحمئة توجد في المناطق البركانية وعين ذي القرنين الحمئة موجودة في غرب العالم الملىء بالعيون الحمئة كما في الآيات الكريمة. بالإضافة إلى أن تلك العيون الحمئة قد تنشأ في بحيرات، ومن المشير للدهشة إن تكون تلك المناطق البركانية مليئة بالبحيرات التي يكون وسطها أحيانا عيون حمئة وأحيانا أخرى براكين، وبما أن البحيرات أوسع من العيون، والجبال غالبا ما تحيط بتلك البحيرات فإن هذا قد يفسر غروب الشمس في تلك البحيرات ذات البراكين أو العيون الحمئة.

ثم يصل ذو القرنين إلى شرق العالم، ووصول ذي القرنين إلى شرق العالم بعد بلوغه غرب العالم لا يؤثر في الافتراض الأول، بل هو يدعمه، فلو استمر ذو القرنين في رحلته شمال غرب ملتزما بمحدود اليابس الأمريكي، فإنه حتما سوف يصل إلى شرق العالم عبر مضيق برنج Bering (شكل ٦)، مع ملاحظة أنه في هذه الفترة كان مستوى البحر منخفضا أيضا وفقا للدراسات الجيومورفولوجية والساحلية (١٩٦١ Fairbridge). والسير في اتجاه واحد أكثر منطقية عن السير في اتجاهات متعددة، في زمن كانت وسائل النقل فيه بطيئة. فلو سلمنا بفرضية أن يكون ذو القرنين من سكان العالم القديم، هنا يطرح سؤال عن المكان الذي بدأ منه ليتجه غربا، ولو سلمنا ببداية رحلته من مكان ما في وسط العالم القديم، فإنه سوف يتجه غربا ثم شرقا أي أنه سوف يغير وجهته، أو أنه سوف يمشي في طرق كان قد مشى فيها سابقا أو طرقا موازية لها (انظر شكل ٧)، لكن لأنه كان في غرب العالم فلو ظل يسير بنفس الاتجاه فسوف يصل إلى شرق العالم. وهذا لا يتعارض مع ما ورد في الآيات الكريمة.

## الحقيقة العلمية الثانية

لو وصل ذي القرنين الى شرق العالم قادمًا من الغرب فإنه سوف يصل الى سيبيريا، وفي سيبيريا نأتي الى الحقيقة العلمية الثانية، وهي حقيقة شروق الشمس الدائم، وذلك وفقا للآية الكريمة عند القوم الذين ليس بينهم وبين الشمس ستر. حيث يختلف طول الليل والنهار وفقا لتعامد أشعة الشمس على دوائر العرض في فصلي الصيف والشتاء، ففي الصيف الشمالي حين تكون الشمس متعامدة على مدار السرطان تزيد ساعات النهار، فتكون ساعات شروق الشمس ١٢ ساعة عند خط الاستواء، وتظل تزيد لتصل الي ١٨ ساعة و ٢٧ دقيقة عند دائرة عرض ٦٠، وشهرين عند الدائرة القطبية (٣٣، ٦٦ شمالا)، وتكون ثمارا لمدة ستة أشهر كاملة عند نقطة القطب (أنظر الشكل ٨). أما في الشتاء حين تتعامد الشمس على مدار الجدي، فقلل ساعات النهار تلك لتصل إلى ليل دائم عند الدائرة القطبية لمدة شهرين ( Moran and Morgan, 1997 ). وأول منطقة تشرق عليها الشمس في العالم هي دزهنيفا Dezhneva وتتبعها اناديرسكي Anadyrsky في أقصى شمال شرق آسيا (سيبيريا). وتقع دزهنيفا على الدائرة القطبية تماما، وتقع الاثنان ضمن صحراء سيبيريا الجليدية.

ولفظ سيبيريا مشتق من شبه جملة تترية تعني الأرض النائمة، وذلك نسبة إلى أمها صحراء جليدية لا حياة فيها، وتغطي سيبيريا مساحات شاسعة من شمال ووسط وشرق آسيا. وهي تمتد من جبال أورال غربا إلى المحيط الهادي شرقا، ومن المحيط المتجمد الشمالي شمالا إلى منغوليا والصين جنوبا. ويقع حوالي ثلث مساحتها ضمن الدائرة القطبية. والمظهر الغالب على سطحها هو السهول، فهي عبارة عن منطقة سهلية منبسطة، تشغل السهول الفيضية لنهري أوب ob وينسي Yenisei اللذين ينحدران من الجبال التي تحده سيبيريا من جهة الجنوب، وهي تتدرج من سهول منبسطة خالية من الأشجار Steppe إلى مناطق سهلية سبخية ساحلية، وتقع في وسط سيبيريا هضبة بارتفاع ١٠٠٠م، وهي هضبة موجة بالرغم من وجود بعض المناطق المنبسطة فيها. أما في شرق سيبيريا فيوجد جبال بركانية. وتقع دزهنيفا على السواحل الشرقية لسيبيريا، وهي منطقة سهلية تبدأ بالارتفاع التدريجي لتكون هضبة (شكل ٩). ويسود سيبيريا المناخ القاري الدافئ والجاف في الصيف، والبارد القارص في الشتاء. ويسكن سيبيريا قبائل الإسكيمو.



والإسكيمو هم سكان المناطق الجليدية مثل سيبيريا Siberia والجرين لاند Green Land والاسكا Alaska، أو بمعنى آخر هم سكان القطب الشمالي، وهم يقطنون هذه المناطق منذ الأزل، وعلى الرغم من أن منهم من رحل الى العالم الجديد واستعمره قبل الكشوفات الجغرافية، الا أن نمط حياة قبائل الإسكيمو لم يتغير الا في القرن العشرين. وتنقسم قبائل الاسكيمو إلى نوعين انبوت Inuit وآب Lapp، الانبوت الذين يعيشون في الجانب الغربي من القطب الشمالي واللاب الذين يعيشون في الجانب الشرقي، وتنقسم لغة الإسكيمو إلى فرعين "ييك" Yupik وهي اللغة المتحدث بها في سيبيريا وألسكا Alaska، وانبوت Inuit وهي اللغة المتحدث بها في كندا والجرين لاند Green Land (Oxford Illustrated Encyclopedia, 1993)، واللغة الواحدة التي يتحدث بها سكان الإسكيمو في سيبيريا وألسكا تدعم فرضية التبادل المعيشي بين هاتين الجماعتين منذ هجرتهما الى تلك المناطق حتى وقتنا الحاضر، كما قد تعني أن اللغة لم تتطور في أي منهما لأهنا عبارة عن جماعات رحل متعزلة.

والإسكيمو جماعات رحل يجتمعون في الشتاء كعائلات يصل عدد أفرادها إلى ١٠٠ فرد، ويتفرقون في الصيف. وتعتبر الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الرئيسية لهذه الجماعات. وتعمل جماعات الاسكيمو في الرعي والصيد، والتبادل التجاري مع قبائل الإسكيمو الأخرى. وهم يدينون بديانة الشمزوم Shamanism، لكن الآن معظمهم يدينون بالمسيحية. والشمزوم نوع من الديانات التي تركز على أفراد معينين يعرفون بالشمان، ويكون هؤلاء الأفراد قادرين على التصرف بين طبيعة البشر والطبيعة الخارقة (سحر وشعوذه). ويعيش الاسكيمو في العراء، حتى بيوت الاقلاو Igloo أو بيوت الثلج لم تكن منتشرة بشكل كبيرة عندهم، بالرغم من وجودها ومعرفتهم بها، أما الآن فهم يعيشون في قرى صغيرة وفي شقق (Oxford Illustrated Encyclopedia, 1993).

وعلى هذا الأساس وفي الحالتين تعتقد هذه الدراسة أن ثاني قوم أجمع بهم ذي القرنين كانوا في شمال شرق سيبيريا، وأن أولئك القوم هم جماعة من الإسكيمو أو أسلافهم بمعنى أدق. فتلك المنطقة تسطع عليها الشمس في فصل الصيف لحوالي شهرين، ويتميز سطحها بالاستواء في المناطق السهلية وشبه الاستواء في المناطق الهضبية، وفقا للآيات الكريمة بأنه ليس بينهم بين الشمس سترا، فذلك مزدوج بسطوع الشمس الدائم في فصل الصيف، وعدم وجود منازل لتلك القبائل ولا حتى كهوف فهي مناطق هضبية وسهلية ليس بها كهوف.

ولا يمكن أن يكون أولئك القوم من أي مكان آخر من العالم كالمناطق الصحراوية مثل ما ذكرت بعض المراجع، لأن الناس هناك ليسوا عراة، حيث عللت تلك الدراسات عدم سترهم من الشمس بعريهم لأن درجات الحرارة مرتفعة عندهم، فهم على العكس تماما، ففي المناطق الصحراوية يرتدي الناس الكثير من الثياب حتى لا يصابوا بالجفاف، أنظر مثلا الى الملابس التقليدية وخصوصا العمامة للسكان في باكستان وبلوخستان والسودان وموريتانيا. كما أنهم ليسوا من المناطق الممطرة الحارة التي قد يتعري السكان فيها، فلو كان ذلك، سوف تنفى حقيقة سطوع الشمس لأنها ستكون مغطاة بالغيوم الدائمة صيف وشتاء، مثل ما في الدول التي تقع على خط الاستواء مثل ماليزيا تايلند وغيرها، كما أن ههما الليل والنهار متساويان الساعات تقريبا على مدار العام.

ولا يمكن ان يكونوا من سكان أمريكا الشمالية، لأن ذا القرنين سوفقا لهذه الدراسة- كان يتحرك منها متجها غربا، وأثناء رحلة ذي القرنين بالاتجاه الشمالي الغربي، كانت الشمس أيضا تتحرك من منطقة خط الأستواء الى المنطقة القطبية الشمالية، وفي ذات الوقت الذي وصل فيه ذي القرنين الى المنطقة القطبية الشمالية، وصلت الشمس الى موقعها المتعامد على النقطة القطبية مما يجعلها تشرق مدة شهرين كاملين فوق الدائرة القطبية (أنظر الشكل ٨). أي أنه أثناء سير ذي القرنين على الأراضي الأمريكية كان الليل يأتي حتى ولو لساعات قليلة، لكن بوصوله الى مشرق الشمس في شرق آسيا أنتهى الفصل الربيعي الذي قد يأتي به ليل، وبدأ فصل الصيف الذي لا ليل له على الإطلاق، كما سبق القول والتفسير.

وعدم التقائه بأي قوم في تلك المسافة قد يفسر على أنها مناطق مقفرة طارده للسكان، لدرجة أن القوم الذين مر بهم في مشرق الشمس قوم رحل، وليسوا مقيمين في مكان ما، لذلك لا تجدد في الخرائط التاريخية أي موقع لهم (Bahn, 2002)، كما هو الحال في عدم وجود آثار تاريخية للبدو الرحل في المناطق الصحراوية، ولذلك أيضا لم يلتق بأي قوم آخرين منذ ترك مشرق الشمس حتى وصل إلي منطقة القوقاز.

## الحقيقة العلمية الثالثة:

في ظل استمرار سير ذي القرنين في نفس الاتجاه العام لرحلته (غربا)، فإنه يصل إلى منطقة جبال القوقاز التي يقع فيها ما يعتقد أنه ردم ذي القرنين، الذي يقع بالقرب من قرية "دربند" التابعة لروسيا في الوقت الحاضر، ويطلق على ذلك الردم سد "دربند"، وهنا لا بد من توضيح عدد من النقاط أولها: انه وفقا لكتب التفسير -فالباحثان لم تزوراه ولم تجدوا معلومات دقيقة عنه، غير وجودة في قرية دربند في روسيا- يعتبر هذا الردم الأكثر قربا للصفات التي ذكرها القرآن الكريم، لكونه مبنيا من الحديد أو صخور مليئة بمعادن الحديد "زبر الحديد". وفي الواقع منطقة القوقاز والمناطق القريبة منها ينتشر بها معدن الحديد بكميات هائلة، بالإضافة إلي المعادن الأخرى، باستثناء معدن النحاس. بالإضافة إلى كون سد "دربند" يقع بين جبلين شاهقين يقعان على امتداد واحد، وهذا ما ذكرته الآيات الكريمة.

ثانيا: التاريخ الذي بني فيه الردم غير معروف، لكنه سهل معرفته باستخدام التأريخ الإشعاعي للمواد المبنى منها الردم، وأن ثبت فعلا أنه يعود إلي فترة ما قبل ٤٠٠٠ سنة على الأقل، أي قبل نزول الديانة اليهودية التي جاءت في فترة ما بين ٢٠٠٠ و ١٢٠٠ سنة قبل المسيحية (فوزي محمد حسين، ١٩٩٣)، فإنه سيثبت بأنه هذا هو ردم ذي القرنين.

ثالثا: أن الشعب الذي التقاه ذي القرنين في منطقة بين السدين شعب له حضارة بدائية، ويمكن معرفة ذلك من عدة نقاط وردت في الآيات الكريمة، أولها وأكثرها مباشرة هي قوله تعالى "لا يكادون يفقهون قولا"، وهذا لا يعني عدم فهمهم للغة، فهم كانوا يتحدثون نفس اللغة التي كان يتحدث بها ذو القرنين، أو على الأقل لغة بها مفردات مشتركة كثيرة، لأنه بالعودة إلى عوائل اللغات الأصلية language family في العالم (أنظر الشكل ١٠) نجد أن اللغة الأم لسكان العالم الجديد وسكان سيبيريا وسكان القوقاز واحدة، وذلك بالرغم من اختلاف اللغات في الوقت الحاضر. وكما جاء في الآية الكريمة "لا يكادون" أي أنهم يعرفون اللغة لكن بمفردات بسيطة. وكما هو معروف أن اللغات تتطور وتزداد الأسماء بما عبر الزمن وفقا لتوسع المساحات الجغرافية، التي تؤدي إلي التنوع في كل شيء، من الأرض إلى الأحياء التي عليها. لكن عدم الفقه هنا ناتج عن بدائية الحضارة، حيث يعتقد علماء اللغة أن اللغة تتطور وفقا لتطور الحضارات، بمعنى أنه كلما كانت الشعوب أكثر تحضرا، كلما زاد عدد المفردات التي يستخدمونها، فكل شيء يبتصرعونه أو يكتشفونه يطلقون عليه أسما (Lehmann, 1992, Schultz and Lavenda, 1998, p288)، لكن حين لا يكون هناك حضارة مزدهرة يقل عدد الأسماء، وتظل مستمدة من الأشياء المشابهة لها في الطبيعية في ذلك المكان.

وهذا ما تؤكد الآيات الكريمة بشكل واضح، فلقد أطلق هؤلاء القوم لفظ سد للإشارة الى بناء سد من صنع الانسان، أي بنفس اللفظ المستمد من الطبيعة، حيث أتى لفظ سد في الآيات الكريمة بمعنى جبل " بلغ بين السدين " أي بين الجبلين، لكن ذا القرنين القادم من منطقة متقدمة الحضارة أطلق على السد الذي هو من صنع الإنسان لفظ ردم. والردم هو السد الناتج عن فعل الإنسان، لأنه تردم المواد فيه، والردم أيضا تأتي بمعنى الرقعة، وكان ذا القرنين رقع بين السدين الطبيعيين برقعة من فعل الإنسان. وهذا يدل على الثراء اللغوي الموجود عند ذي القرنين، الذي جعله متمرساً في اللغة، ولا يستخدم ألفاظاً مستقاة من الطبيعة، كالسد الجبلي لكنها مشتقة من فعل الإنسان مثل الردم.

رابعاً: الاتجاه الذي أتى منه ذو القرنين إلى قوم بين السدين، فذو القرنين وفقاً للآيات اتبع طرقاً معروفة في ذلك الوقت، أي أنها موجودة أصلاً، لكن يبدو أن هذه الطرق تستخدم من قبل القبائل الرحل سواء في أمريكا الشمالية أو في شمال آسيا، فهو لم يمر ببشر طوال تلك الرحلة الطويلة إلا بأولئك الأقوام الثلاثة. وبما أنه لم يمر ببشر كثير خلال رحلته الطويلة تلك، فالأرجح أنه كان قادماً خلال صحراء سيبيريا بشمال آسيا الحالية من السكان، إلا من بعض قبائل الإسكيمو، حتى بلغ جبال القوقاز من جهة الشمال متجهها جنوباً، وقبل أن يصل إلى المنطقة التي بنى فيها السد وجد قوم بين السدين. وهذا الترجيح يعتمد على سبين رئيسيين الأول: أنه لو أتى من جنوب القوقاز إلى شماله، فإنه حتماً قبل وصوله إلى جبال القوقاز، سوف يكون قد مر بالكثير من المدن الحضارية المتناثرة في الصين والتبت وفارس قبل أن يصل إلى قوم بين السدين، لأنه سيكون قادماً من وسط آسيا وليس شمالها، وفي وسط آسيا يوجد طريق الحرير الذي توجد عليه المدن السابقة الذكر، لكن عدم مروره ببشر يعني أن معظم رحلته كانت في المناطق السيبيرية المقفرة التي تقع إلى شمال طريق الحرير، والثاني أنه لو أتى من جنوب القوقاز، فإن قوم بين السدين سيخافون منه واتباعه، ظناً أنهم يأجوج ومأجوج، الذين تعتقد هذه الدراسة أنهم يغيرون على قوم بين السدين من جنوب القوقاز، وعلى هذا الأساس لن يأمنوا له ويطلبوا منه أن يحميهم من يأجوج ومأجوج.

وترجح هذه الدراسة بأن يكون يأجوج ومأجوج من جنوب القوقاز يعود إلى ما هو معروف من قراءة التاريخ أن البشر الأكثر تحضراً يغزون أولئك الأقل حضارة، ويأجوج ومأجوج ليسوا جنساً أو كائنات غير معروفة، بل هم بشر وفقاً لكتب التفسير (أنظر تفسير ابن كثير)، وهذا تفسير يؤيده العقل، لكنهم بشر غزاة، والغازي دائماً يكون أكثر قوة وأكثر حضارة، ولأن معظم الحضارات القديمة حتى ذلك

الوقت قامت حول البحر المتوسط، لا بد أن يكون يأجوج ومأجوج ينتمون إلى أي من تلك الحضارات الموجودة في جنوب القوقاز وحول البحر المتوسط. وما يشير الدهشة بالفعل أن جميع الحضارات التي أتت بعد بناء الردم كانت تتوقف توسعاً عند الجانب الجنوبي لجمال القوقاز (شكل ١١). باستثناء الفتوحات التتية التي شملت شمال وجنوب القوقاز، وذلك قد يفسر ان الغزو التتري كان من الاتجاهين وليس من اتجاه واحد، أي أنه كان من الاتجاه الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي لجمال القوقاز.

خامساً: قد يكون القطر الذي أضافه ذو القرنين إلى زبر الحديد هو القطران وليس النحاس، بالرغم من أن النحاس مادة لا تصدأ وقد يجعل اختلاطها بالحديد عدم صدأ الحديد أيضاً، لكن لا يوجد نحاس في جبال القوقاز التي يفترض أن يكون ردم ذي القرنين بها، إلا أن لم يكن ذلك هو ردم ذي القرنين. كما أن النحاس يحتاج إلى درجات حرارة مرتفعة حتى يصهر ويمكن أن يصب، كما في الآية الكريمة (اتسوي أفرغ عليه قطرا)، ومن ثم كيف سيتمكن ذي القرنين أو العمالة التي معه من صبه على الحديد وهو ملتهب، والدليل على ذلك قيام ذي القرنين بوضع الحديد أولاً في الموضع المراد صبه فيه "بين الصدفين" (اتسوي زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا)، ومن ثم أشعل النار لتصهره، فالحديد كما النحاس يحتاج إلى درجات حرارة عالية ليصل إلى درجة الذوبان، ولو كان النحاس هو الذي أضيف للحديد، فلم لم يضع الاثنين معاً مادام خلطهما يعني عدم الصدأ. بالإضافة إلا أن الآيات الكريمة قالت عن الحديد الخام زبر الحديد فلم لم يكن الحال نفسه ويكون أيضاً خام النحاس بدل من معدن النحاس الخالص الذائب.

لكن مع القطران الذي يمنع الحديد من أن يصدأ أيضاً، فالوضع مختلف، ويبدو أكثر مناسبة في أن يكون هو الذي أضيف إلى الحديد، والقطران لفظ مشتق من قطر، ولفظ قطر في اللغة يعني: سائل مستخلص من عناصر أساسية، مثل الأزهار ونحوها، والقطران عبارة عن مادة مستخلصة من الفحم الحجري والكاز، وذلك قبل ظهور القطران المشتق من البترول. وهنا لن تناقش المعنى اللغوي للفظ قطران لأنه يحتاج إلى مختصين في اللغة العربية والقراءات، وهما مجالين بحورهما واسعة. لكن سنناقش الخصائص التي تتميز بها القطران، التي قد نكون من خلال تخصصنا أكثر وعياً بها. فالقطران - كما هو معروف - مادة لا تجمد بدرجة حرارة الجو العادية، ولا تحتاج للنار للذوبان. لذلك وضع ذي القرنين قطع الحجر التي بها الحديد أولاً، ثم أشعل النار ليذيبها، وبعد ذلك أضاف القطران عليه وهو ذائب، فلو كان القطران كأي من المعادن المذابة، لا يذوب إلا بدرجات الحرارة المرتفعة، لاستعصى على ذي القرنين أو العمالة

التي لديه أن يحمّله ويصبوه فوق الحديد الذائب وهو شديد الحرارة كما حال النحاس الذائب، لكنه من السهولة وللوازم السلامة أن يحمل سائل بدرجة حرارة عادية ليصب على الحديد الذائب. بالإضافة إلى أنه لو وضع القطر مع الحديد وأشعل النار، ستذهب فائدة القطران لأنه سوف يحترق، لكن وجوده كسائل فوق سائل الحديد المذاب يحمي خصائصه. وهذا ما يتم في الوقت الحاضر في صناعة الحديد والصلب (الفولاذ).

## ٦. التحليل والمناقشة

يبدأ الإعجاز العلمي لهذه الآيات من سبب نزولها، وذلك بسؤال كفار مكة النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، وتضرب قصة ذي القرنين في عمق التاريخ بحيث لا يعرف عرب الجزيرة عنها شيئاً، حتى أنها لم ترد ضمن الأساطير Myths في شبه الجزيرة العربية، فمن المعروف أن معظم الأساطير تقوم على شيء من الحقيقة (Cotterell and Storm, 1999)، ووجه الإعجاز أن هذه القصة بدأت من العالم الجديد. والإعجاز في هذه الآيات لا يقوم على عامل الزمان فقط، بل أنه يتبعه بالمكان، ولما كان من سهل تتبع المكان فلقد قامت الآيات الكريمة على وصف الأماكن التي مر بها ذو القرنين، وصفاً دقيقاً يمكن تتبعه من خلال الخطوط العامة لبعض العلوم كالجغرافيا والجيولوجيا والجيولوجيا.

وتجلى دقة الآيات الكريمة ببدايتها في قوله تعالى "قل سأتلوا عليكم منه ذكراً" أي أن جزءاً من قصة ذي القرنين سيذكر، وربما هو أهم جزء من سيرة ذي القرنين، وليس سيرته كاملة، وأهمية هذا الجزء من قصة ذي القرنين هي التي قد تفيد منها البشرية، ويثبت بها علم الخالق سبحانه وتعالى الذي وسع كل شيء.

ثم تتبع الآيات بالاختبار عن خلفية ذي القرنين الذي لا بد أن تفصح حين الحديث عنه، كالمملك الذي قد يأتي بمعنى الغنى والعلم، فهما أهم عناصر نجاح رحلة ذي القرنين، لكن لا نهاية لقصته في الآيات الكريمة، وهذا هو حال جميع آيات الإعجاز أنها تعطي الحقائق والأخبار، لكن التهمة التي لا تغذي إلا الفضول الإنساني أو ربما العقل الإنساني فهي متروكة له.

وأهم ما يجب أن يعرف عن ذي القرنين هو تمكينه في الأرض، بمعنى أن آتاه الله سبحانه وتعالى الملك والمال، فلو لم يكن لديه الملك والمال الكافي فأتى له أن ينفق على رحلته الطويلة تلك، فإنه سيكون مشغولاً بجمع المال، والتمكين له لم يكن في الملك فقط، بل كان في العلم أيضاً، وذلك يمكن فهمه من تنمة الآية "وآتينه من كل شيء سبباً" أي وسيله وطريقة، والوسائل والطرق لن تأتي إلا بالعلم، بالإضافة إلى تنمة القصة التي تبين مدى العلم الذي تمكن منه ذو القرنين حين قام ببناء الردم.

وعلى هذا الأساس تفترض هذه الدراسة أن ذا القرنين من سكان الحضارات القديمة في العالم الجديد، الذي ظهرت فيه حضارات فاقت بعض الحضارات الموجودة في العالم القديم في تلك الفترة، ومن أهم تلك الحضارات حضارة المايا، التي برع أهلها في الفلك والهندسة، وكان لهم لغة مكتوبة وهي اللغة الميروغليفية، وبالرغم من وجود آثار بشرية على معظم قارتي أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، لكن آثار قبائل المايا هي الأكثر تحضراً وعلماً. ومستوى التحضر والعلم للمجتمع الذي سينسب إليه ذا القرنين مهم عند محاولة تدبر قصته، وذلك لأنه كان ذا علم واسع كما يتضح من الآيات الكريمة.

بعد أن أخبر الله سبحانه وتعالى أن ذا القرنين أوتي أسباب العلم والملك، بدأ الخبر عن رحلته، التي أتبع فيها ذو القرنين سبباً أي اتبع طريقاً موجوداً ولم ينشئ هو الطريق، وذلك الطريق كان برياً، ولكن لم توضح الآية الكريمة اتجاه هذا الطريق، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على دقة الآيات الكريمة، لأن الطرق البرية عادة تكون متعرجة ولا تسير بخطوط مستقيمة مثل الخطوط الجوية مثلاً، فقد تكون هناك عوامل طبيعية تؤدي إلى تعرج ذلك الطريق. وهو كما سبق القول لم يكن طريقاً بحرياً، لأن البشر الذين عاشوا في جزر المحيط الهادي البعيدة، ظلوا معزولين، مما يؤكد عدم وجود طرق بحرية. إذن بالرغم من أن الآيات الكريمة لم تحدد اتجاه الطريق، لكنها حددت نهاية الرحلة الأولى التي كانت في غرب العالم، وذلك حسب الآية الكريمة "حتى إذا بلغ مغرب الشمس"، وحتى يبين هذا الغرب بدقة، بين أهم معالم سطح الأرض التي توجد في غرب العالم بشكل أساسي وهي العين الحمئة.

ووجد عند العين الحمئة - دون تحديدها - قوماً أي أمة أو قبيلة، ووفقاً للدراسات الأركيولوجية والجيومورفولوجيا إن معظم البحيرات العذبة المنتشرة في ذلك الجزء من العالم، سواء كان بها براكين أم لا، كان يوجد حولها سكان يعود قدم آثارهم إلى قدم حضارة المايا. أما رؤيته للشمس بأنها تغرب في العين الحمئة، فهو قد يكون ما يترائي لعين الرائي من زاوية معينه بذلك، كان نرى نحن اليوم الشمس

تفوص في مياه الخليج، بينما هي في الواقع تزحف نحو أراض أخرى تبعد عنا آلاف الأميال، وهذا أيضا ما ذكر في كتب التفسير، وهو ما يرجحه العقل والعلم. وغروب الشمس في العين الحمئة اذن قد يعني غوصها في حقول العيون الحمئة، أو غروبها في البحيرات التي بها عيون حمئة أو براكين.

ويبدو أن ذا القرنين قد وصل إلى هؤلاء القوم غازيا، وإلا لما كانت له سلطه في أن يعذب أو أن يحسن إلى أولئك القوم، فمن لم تكن له القوة لا يكون له الخيار، "قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب أو أن تتخذ فيهم حسنا". والعذاب في هذا السياق يأتي بمعنى العقاب وليس التعذيب بحد ذاته، فالقصة هنا عن رجل صالح وعالم وحكيم والرجال بهذه الصفات لا يستخدمون أساليب التعذيب، وقد يكون التعذيب هنا بمعنى الأسر، فالأسر بحد ذاته عذاب، وذلك ما يفهم من تمة الآية "ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا" فربه هنا، بمعنى سيده وليس الهه، فكما هو معروف لدينا في الدين الإسلامي أن من يعذب في الدنيا لا يعذب يوم القيامة، فكيف يقوم تعذيب ذي القرنين له في الدنيا، ثم يعذبه الله مرة أخرى في الآخرة. وهذا يعني أن صيغة "ربه" هنا لا تعنى الله، أو اله لأنه لو كان يقصد به ذلك لقال ربي بدل أن يقول ربه، كما قال حين انتهى من بناء الردم "هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا" لأن ذا القرنين وفقا لهذا المنطق سيكون أكثر إيمانا من ذلك الشخص. وهذا قد يعني أن ذا القرنين كان قائداً وهناك سيد آخر له سلطة على هذا الشخص، لكن ليس له نفس السلطة على ذي القرنين، لأنه رب هذا الشخص وليس رب ذي القرنين، مما قد يشير إلى نوع الحكم السائد ونوع العلاقات الاجتماعية، في المنطقة القادم منها ذو القرنين، الذي لا يخدم هذه الدراسة في هذه المرحلة على الأقل. وسوف يعاقب من ذلك السيد عقاباً نكرا شديداً، أكثر قسوة من عقاب ذي القرنين، أو أكثر قسوة من قسوة الأسر. وفي مقابل ذلك فإن الأشخاص الذين يتبعون ذا القرنين دون مقاومة لهم الجزاء الحسن، وسيخبرهم أو سيعلّمهم من بعض مما لديه من العلم.

ثم اتبع طريقا قد يكون متمما للطريق الأول، لكنه ليس الطريق الذي أتى منه، ومرة أخرى تذكر الآيات الكريمة أن ذا القرنين اتبع طريقا لكن دون ذكر وجهة ذلك الطريق.

حتى وصل إلى مشرق الشمس أي شرق العالم الذي هو أقصى شرق آسيا، فوجد الشمس تطلع على قوم ليس بينهم وبينها ستر، وهذا قد يعني أنه وصل إلى شرق العالم في فصل الصيف، فوجد الشمس لا تغيب عنهم، لذلك ليس لديهم من دونها ستر، وذلك بسبب شروقها الدائم لمدة شهرين، والإسكيمو قوم لا توجد لهم بيوت تسترهم.



ويبدو انه وصل إلى هذه المنطقة برجال وسلاح وعتاد أقل مما كان عند أول قوم، وذلك طبيعي ان يكون فقد الكثير من رجاله أثناء رحلته الطويلة من أمريكا الوسطى إلى أقصى شرق آسيا. وذلك ما توضحه الآية الكريمة "كذلك وقد أحطنا بما لديه خيرا" والا ما فائدة تكرار علم الله سبحانه وتعالى بما لدى ذي القرنين، أن لم يختلف ما لديه، وظل على حاله السابقة. وقد يعود لفظ "كذلك" إلى ان الله سبحانه وتعالى خيره مرة أخرى بأن يعذب هؤلاء القوم أو ان يتخذ فيهم حسنا، كما حدث مع القوم الذين سبقوهم (أنظر تفسير الطبري)، أي تكرار نفس ما كان عند أول قوم لكنه اختصر في الآيات الكريمة بلفظ كذلك. وذلك بالرغم من ان الله تعالى كان على علم بما بقي لديه من رجال وعتاد.

ثم اتبع طريقا آخر، ومرة أخرى تذكر الآيات الكريمة أن ذا القرنين اتبع طريقا لكن دون ذكر وجهة ذلك الطريق. حتى وصل إلى منطقة جبلية بها سلسلتان جبليتان على امتداد واحد وكأهما سدان طبيعيان، ويعتقد أن هذه المنطقة في جبال القوقاز حسب كتب التفسير، وجد عند أقدام السدين "قوما لا يكادون يفقهون قولاً" لأنهم قوم لهم حضارة بدائية غير متحضرين لذلك لغتهم غير متطورة، ووصوله إلى هنا يؤكد بأنه وصل وحيدا أو مع مجموعة قليلة من أتباعه، ولم يصل محاربا أو مقاتلا، والا خاف منه أولئك القوم ولم يأمنوه، وكذلك هو الحال بالنسبة للجهة التي أتى منها، حيث أتى من شمال جبال القوقاز.

وطلب أولئك القوم من ذي القرنين أن يبني لهم سدا ليحميهم من يأجوج ومأجوج، مستخدمين في طلبهم لفظ سد، وهو نفس اللفظ الذي نسب إلى الجبل في الآية الكريمة مما يؤيد قصور اللغة لديهم، الناتج عن بدائية الحضارة التي ينتمون إليها. وفي مقابل ذلك كانوا سيدفعون له مالا أو جزية، وذلك لأنهم لا يعلمون مقدار الملك الذي لدى ذي القرنين، الذي جعله يرفض ما هم، ويلبي طلبهم بالمساعدة، خصوصا وأنه كان قائدا ومفكرا وعالما قبل أن يكون رحالة.

طلب ذو القرنين قوة من البشر بدلا من المال، وربما المعدات البدائية ليبنى لهم الردم، وطلبه قوة من البشر تؤكد وصوله إلى هذه المنطقة مفردا أو مع جماعة قليلة من أتباعه، لكنه لم يصل غازيا أو فاتحا بجيش كبير. وقد يعود طلبه لهم بقوة من البشر كذلك إلى أنهم هم أصحاب المصلحة في ذلك، والردم كبير يحتاج إلى حشد كبير من البشر، لينجز في فترة وجيزة.

والشخصية القيادية لذي القرنين تظهر في حوارهم مع أولئك القوم كما تظهر مدى العجز الحضاري لهم، وذلك من خلال أمره لهم بأن يأتوه بزبر الحديد، أي قطع الحديد أو قطع الحجارة التي بها نسب عالية من الحديد، بمعنى آخر الحديد الخام، فإذا كان هذا الشعب ذا حضارة بدائية، فمن المنطقي ألا يكون على علم بتعدين الحديد، لذلك لا بد أن تعني زبر الحديد خام الحديد، حيث قام ذو القرنين بتصنيعه. فقام بالردم بين الجبلين بتلك المواد حتى جعل ارتفاع الجبلين متساوي، وفقاً للآية الكريمة "حتى إذا ساوى بين الصدفين"، والمعنى اللغوي للصدفين هو المتباعدين، وهي اشتقاق من الفعل صدف أي أعرض وتباعداً، وصدفاً الجبل جانبا المتباعداً، قام ذو القرنين بملء المكان الفارغ بين الجبلين فساوى بينهما، أي جعل الارتفاع بينهما متساوياً أو ارتفاع الردم بينهما متساوياً، مما يعني أن الارتفاع بين السدين غير متساو. ثم طلب منهم أن يوقدوا النار وينفخوا بها، حتى ذاب الحديد من قطع الحجارة وصار كالنار. ثم طلب منهم أن يأتوه بالقطر، وقد يكون المقصود بالقطر هنا القطران، وليس النحاس، للأسباب التي تم شرحها في النقطة الخامسة من الحقيقة العلمية الثالثة، وهذا يجد ذاته يصور درجة العلم العالية التي كان يحظى بها ذو القرنين. وبذلك تغلب أولئك القوم على أجوج ومأجوج، الذين لم يستطيعوا اعتلاء الردم لارتفاعه الشاهق ولاستواء جوانبه، كما لم يستطيعوا له نقبا لصلابة الحديد غير القابل للصدأ (الفلادز) المبي منه.

وبالرغم من النهاية السعيدة التي انتهى إليها أولئك القوم بتفوق ذي القرنين على مأجوج ومأجوج، إلا أنها ليست نهاية أبدية، وذلك وفقاً للآيات الكريمة "فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً" أي إذا جاء أمر الله سوف يدك أي يهدم هذا الردم، لأن الله لا يعد وعداً غير حق، وفي وقتنا الحاضر مع تطور المتفجرات وغيرها سهل ذلك مثل هذا الردم، وقد يكون ذلك ضمنياً حيث لا يحتاج الغزاة إلى استخدام هذا المخرج الجبلي فالجرب الجوية هي الرائدة في هذا الزمان دون منازع.

## ٧. الخلاصة والتوجيهات

أن ما كتب في هذه الدراسة إنما هو استقراء للعلوم ومحاولة فهم للآيات، وتفسيرها وفقاً لما أثبتته العلم في الوقت الحاضر. لذلك فإن الإعجاز في هذه الآيات لا يشمل الإعجاز العلمي فقط، بل ويشمل الإعجاز في الحديث عن أراض وأقوام لم يكونوا معروفين في العالم القديم ككل، وهي أراض العالم الجديد وسكانه، بالإضافة إلى إعجاز الآيات عن نقل خبر لم يكن معروفاً إلا في كتاب التوراة كما باقي الأخبار

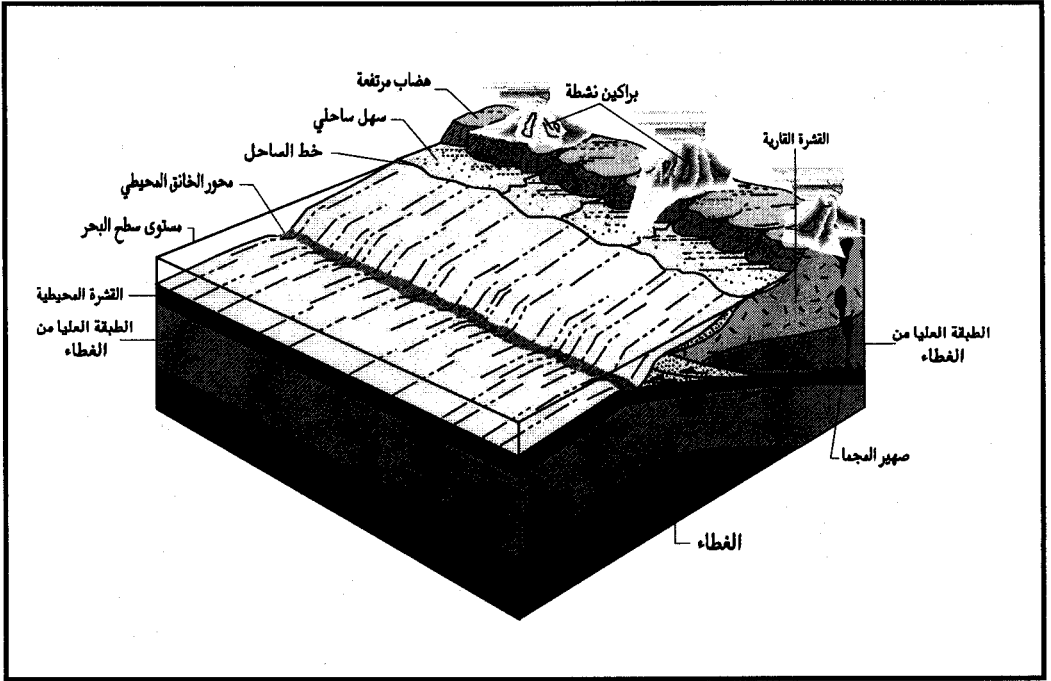
والمقولة فيه. ولقد اعتبرت هذه الآيات في الدراسات السابقة من آيات علامات يوم القيامة، لكن هذه الدراسة تعتبرها من آيات الإعجاز العلمي. ولقد قامت فرضية هذه الدراسة النظرية على بعض الحقائق العلمية مثل وجود العين الحمئة في غرب العالم الجديد، ولا يوجد عيون حمئة في غرب العالم القديم، وحقيقة سطوع الشمس لمدة شهرين متتاليين في سيريا في فصل الصيف، أما ردم "دربند" في جبال القوقاز فيمكن التحقق من كونه سد ذي القرنين بالتأريخ الإشعاعي وبتفحص المواد التي بني منها الردم تفحصا دقيقا، لكن في الوقت الحاضر ونسبة إلى كتب التفسير فإن خصائصه تشبه الخصائص التي ذكرت عن ردم ذي القرنين، التي أهمها انه بني من مواد حديدية.

وهذه الدراسة ما هي إلا اقتراح لدراسات أخرى يمكن أن تقوم عليها، كأن يتم التأريخ الدقيق لحضارة المايا في يوكنان وفي جبال المكسيك، وتأريخ ردم "دربند" في منطقة جبال القوقاز، وفحص مكوناته، وهذا التأريخ الدقيق قد يجزم بصحة شرح الأحداث بالصورة التي ذكرت في هذه الدراسة.

## شكر وعرفان

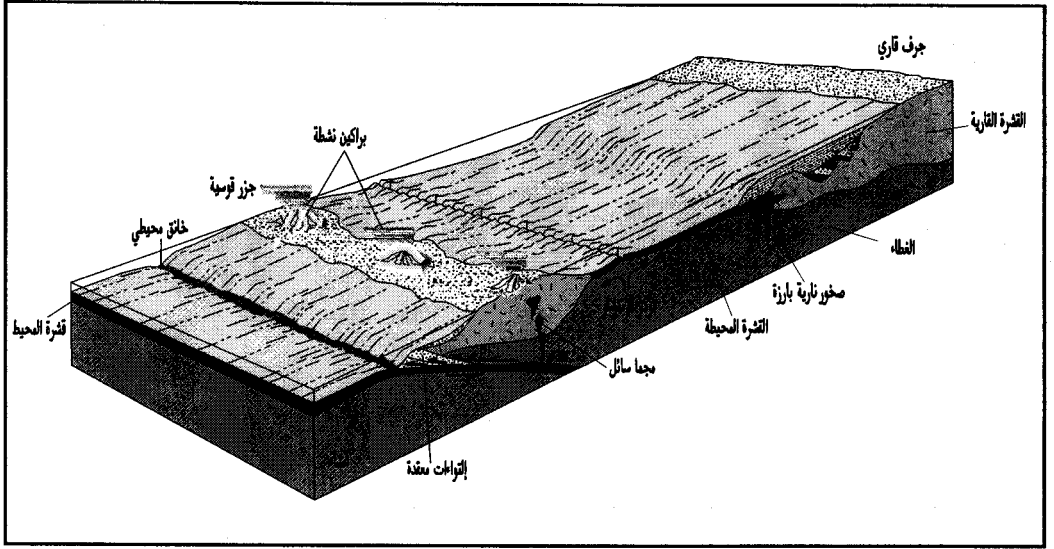
تتقدم الباحثان بالشكر الجزيل للسيد زهدي أبو دقه لقيامه برسم خرائط وأشكال هذا البحث، كما تشكران الآنسة ورده البادي لقيامها بطباعة البحث في جميع مراحلها، وتقدمان بجزيل الشكر للدكتور يوسف الشامسي والدكتور عبدالكريم جبل لقيامهما بالمراجعة اللغوية والقرآنية للبحث.

## قائمة الأشكال



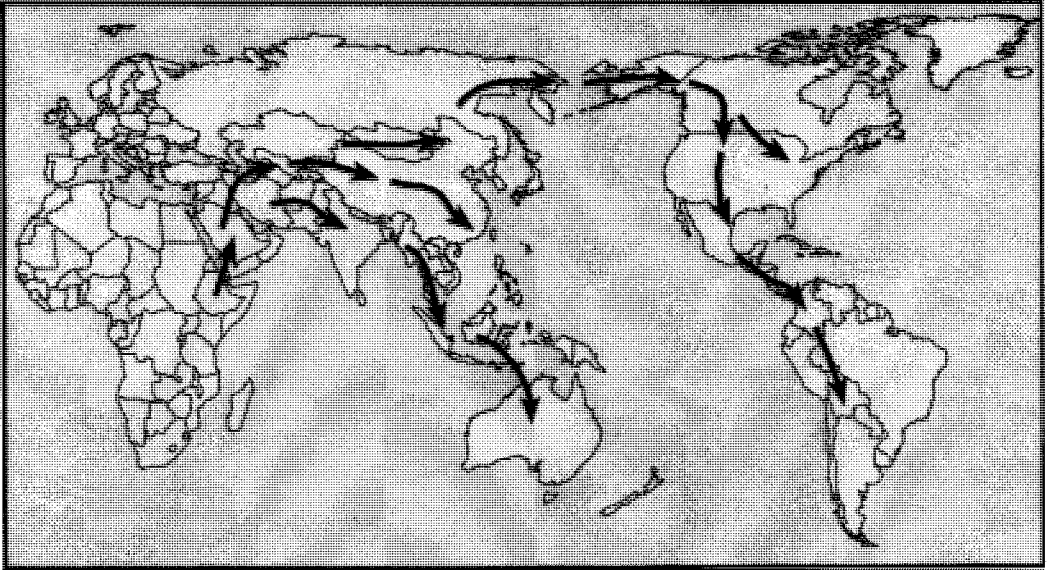
شكل (١)

شكل ١: يوضح الشكل التقاء لوح قشرة المحيط بلوح القشرة القارية، التي تحدث عند حواف المحيط الهادي، وهذا نموذج خاص بجبال الانديز في غرب أمريكا الجنوبية والوسطى. حيث ينتج عن هذا الالتقاء تكون البراكين والحقول البركانية في منطقة جبال الانديز.



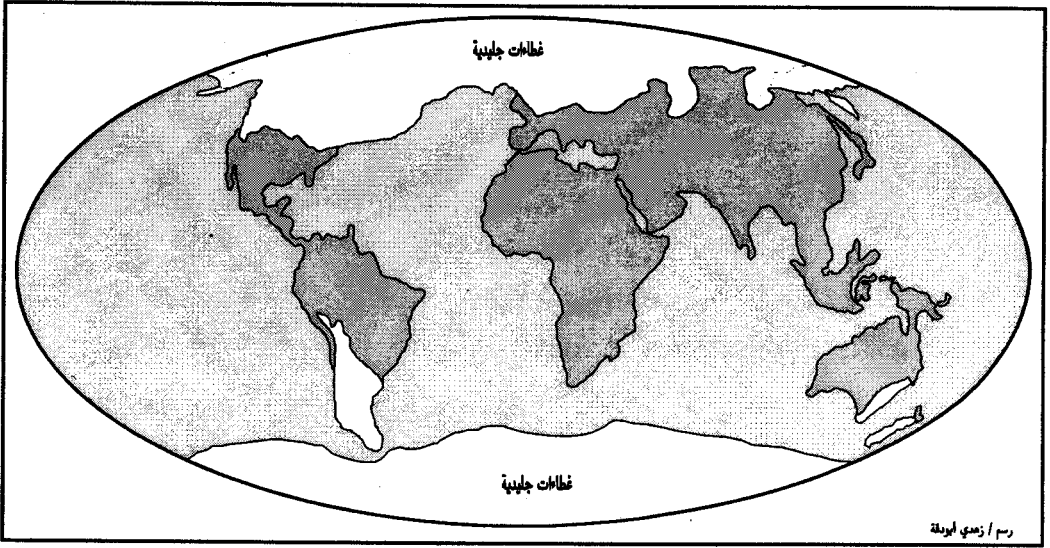
شكل (٢)

شكل ٢: يوضح الشكل تكون البراكين فوق أجزاء منفصلة وبعيدا عن القارات (مثل جزر اليابان).



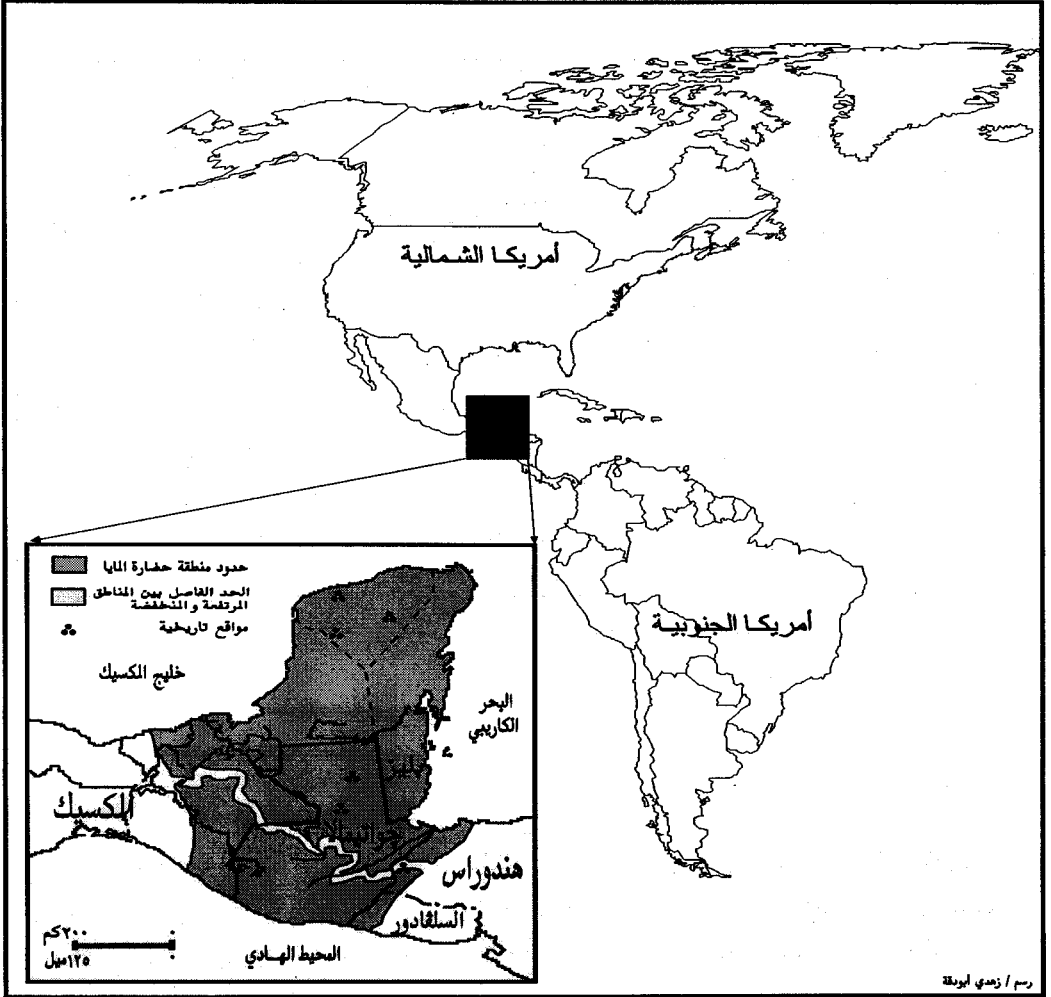
شكل (٣) إنتقال الإنسان من العالم القديم للعالم الجديد قبل ١٢ ألف سنة  
حسب النظريات الأنثروبولوجية

شكل ٣: يوضح الشكل انتقال الإنسان من العالم القديم للعالم الجديد قبل ٣٠ ألف سنة أو يزيد حسب النظريات الأنثروبولوجية.



شكل (٤) توزيع المناطق التي تغطيها الثلوج في الفترات الجليدية

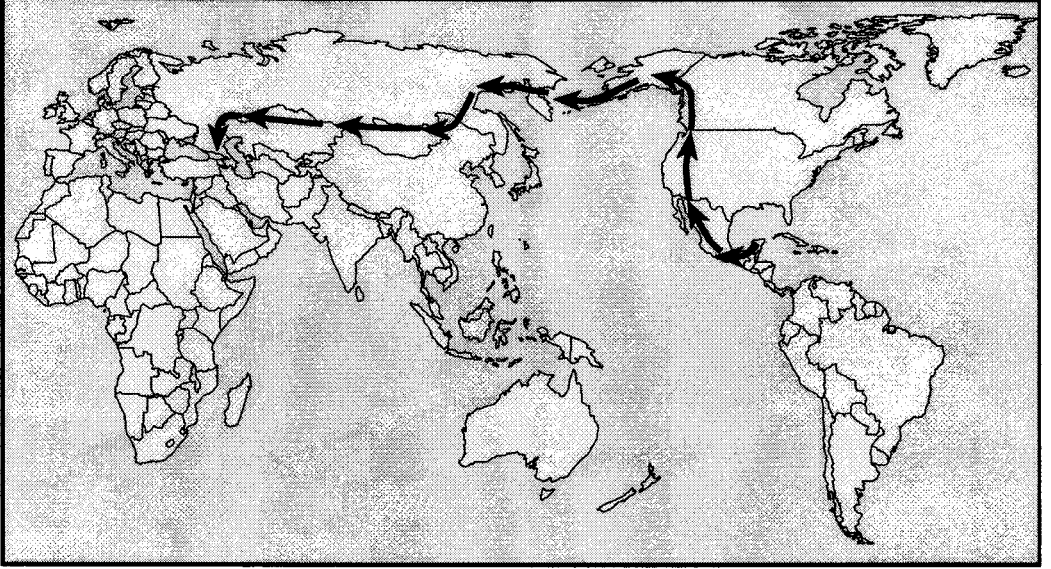
شكل ٤: العصور الجليدية والدفينة التي تمر بها الكرة الأرضية، حيث يوضح a اتساع الدوائر القطبية التي تصل إلى دائرة عرض ٥٥ شمال وجنوب خط الاستواء في العصور الجليدية مما يزيد من حجم الجليد عليها، وبالتالي انخفاض مستوى سطح البحر، أما في العصور الدفينة حتى وقتنا الحاضر فإنها تقتلص إلى أقل عن دائرة عرض ٦٥ شمال وجنوب. ويوضح b الفرشات الثلجية في العصور الجليدية. أما c فيوضح تذبذب مستوى سطح البحر نتيجة للعصور الجليدية في الزمن الرابع.



شكل ( ٥ ) موقع وحدود حضارة المايا

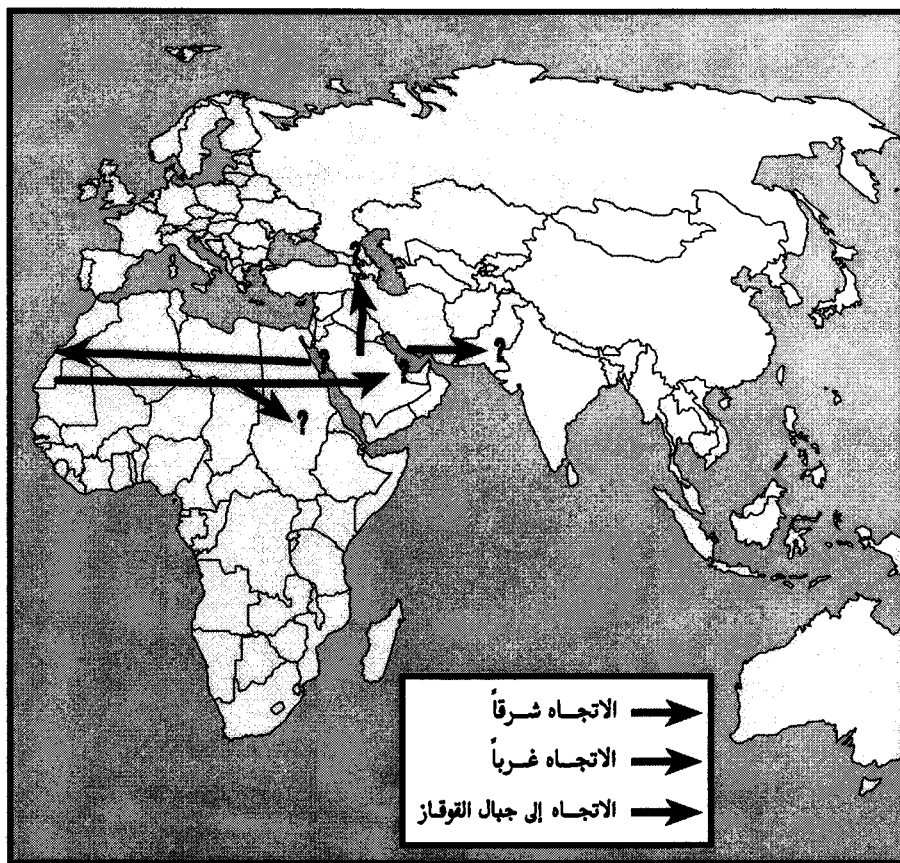
شكل ٥: يوضح الشكل المناطق التي شتمتها حضارة المايا.





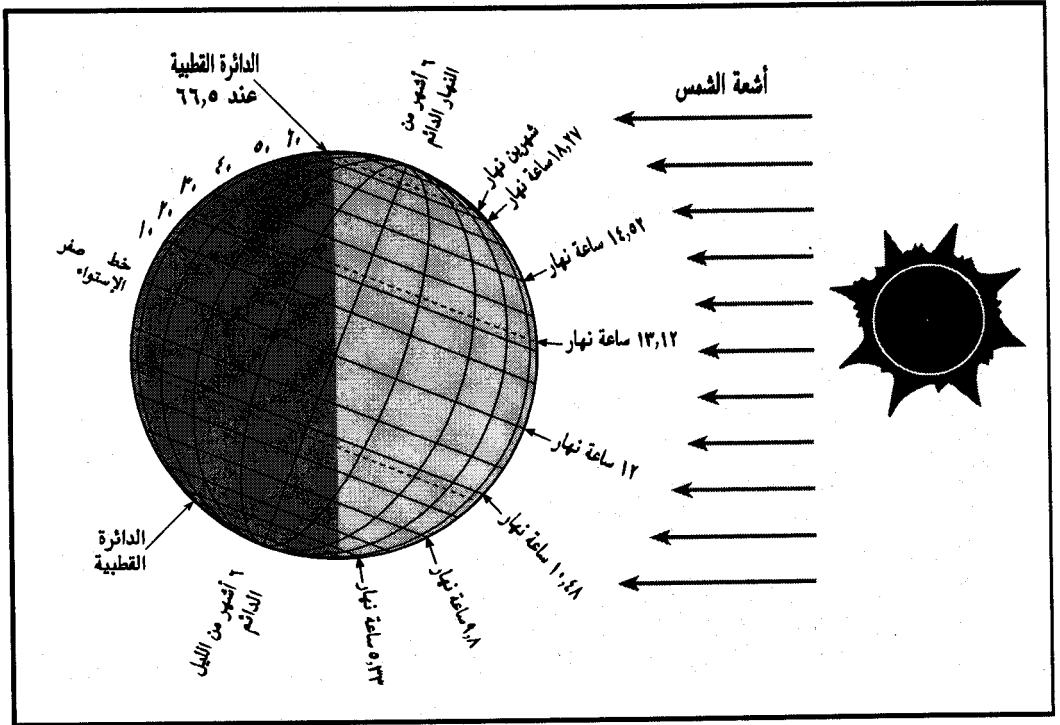
شكل (٦)

شكل ٦: الاتجاه العام لرحلة ذي القرنين وفقا لهذه الدراسة.



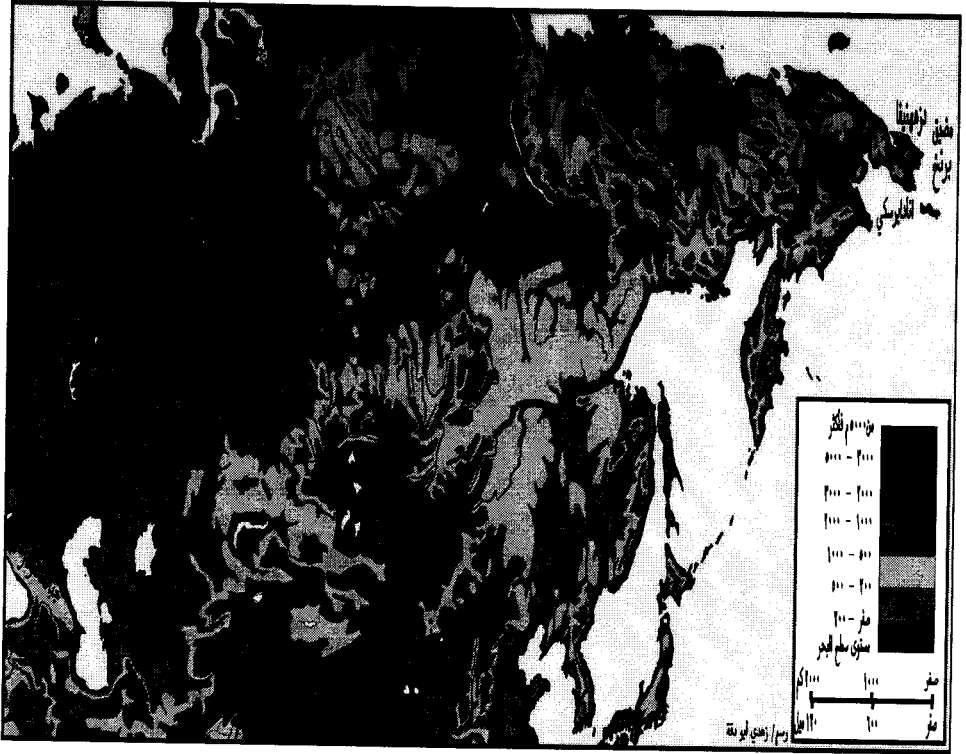
شكل (٧)

شكل ٧: رحلة ذي القرنين وفقاً للدراسات السابقة.



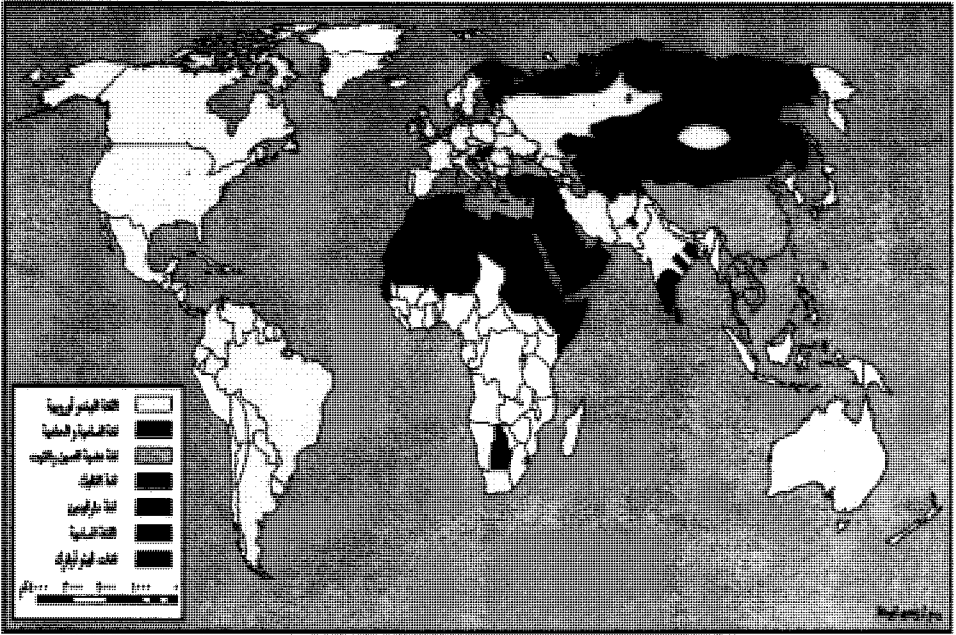
شكل ٨

شكل ٨: ساعات سطوع الشمس حسب دوائر العرض



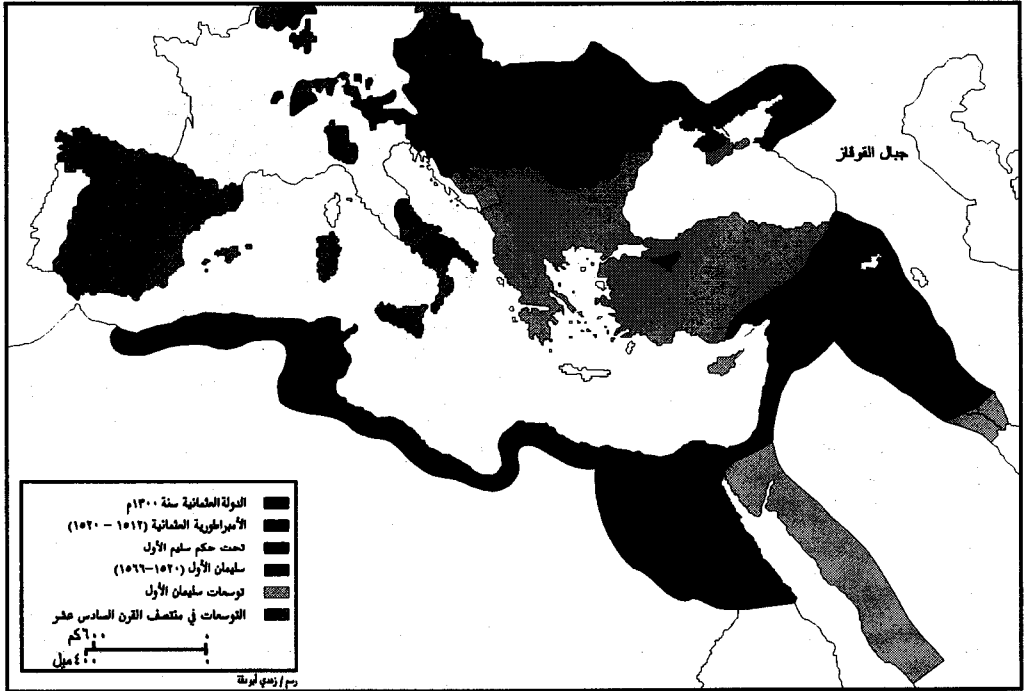
شكل ٩ خريطة تضاريس سيريرا

شكل ٩: يوضح الشكل تضاريس سيريرا التي تشمل الهضاب الوسطى والسهول الغربية و كليهما مناطق منبسطة تقريبا بالرغم من اختلاف ارتفاعهما.



شكل (١٠) العائلات اللغوية الرئيسية في العالم

شكل ١٠: يوضح الشكل توزيع اللغات الأم حول العالم، لاحظ تشابه اللغات الأم في كل من العالم الجديد وأقصى شمال شرق آسيا ومنطقة القوقاز (المصدر: Lehmann , 1992).



شكل (١١) توسعات الدولة العثمانية

شكل ١١: يوضح الشكل بعض الحضارات التي قامت حول البحر المتوسط، مثل فتوحات الاسكندر الأكبر، وانتشار الحضارة الاسلامية. لا حظ عدم تخطي أي منهما حدود جبال القوقاز بين البحر الأسود وبحر قزوين.

## قائمة المراجع

## أولاً: قائمة المراجع العربية

أي جعفر محمد بن جريد الطبري (متوفي سنة ٣١٠هـ) جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الثامن دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان.

أي الطيب صديق بن علي الحسين القنوجي البخاري (١٢٤٨-١٣٠٧هـ) فتح البيان في مقاصد القرآن. الجزء الثامن. إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر.

أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧-٥٣٨هـ) الكشف عن حقائق التبريل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. الجزء الثاني دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الإمام الحافظ عماد الدين، أبي الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفي سنة ٧٧٤ هـ) تفسير القرآن العظيم و يليه كتاب فضائل القرآن، تقديم محمد عبد الرحمن المريعي، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

عبد العليم عبد الرحمن خضر، ١٩٨١، مفاهيم جغرافية في القصص القرآني، قصة ذي القرنين، دار الشرق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة.

فوزي محمد حسين، ١٩٩٣ عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، دار حطين، دمشق ص ٥٣٦  
محمود محمد عاشور ١٩٩٧، أسس الجغرافيا الطبيعية، دار القلم دي، ص ٣٦١.

يوسف القرضاوي ٢٠٠٢، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، خلال عرض مفصل في مجلة الصائم،  
جريدة الخليج العدد ٨٥٨٩، الأحد، صفحة ١٩، تاريخ ٢٤/١١/٢٠٠٢

ثانياً: قائمة المراجع الأجنبية

Bahn, P.G., 2002, The Atlas of World Archaeology, GreenWich Editions, London. 412pp.

Cotterell A., and storm R, 1999, The Ultimate Encyclopedia of Mythology, Hermes House, China. 512 pp

Fairbridge, R.W., 1961, Eustatic changes in sea-level. Physics and Chemistry of the Earth, 4, 99-185.

Lehmann ,W .P ., 1992 , Historical Linguistics: An Introduction. Routiedge. London. 514pp

Moran, T .M. and Morgan, M d, 1٩٩٧, Meteorology The Atmosphere and the Science of Weather. prentice Hall.inc. New Jersey. 530pp

Oxford Illustrated Encyclopedia, 1993, Oxford university press, Oxford.

Rivers and Lakes, Standard encyclopedia of the worlds, 1965, Edt. Gresswell R.K., and Huxley, A., London.

Schultz, E. A. and Lavenda R. H, 1998, Anthropology A Perspective on The Human Condition, California. 596 pp.



Selby, M.j., 1984, Earth changing surface, oxford. 607pp.

Strahler, A. H. and Strahler, A N, 1992, Modern physical Geography. John Wilay and sones, W. C. New York. 638pp.

ثالثا: مواقع الانترنت

[http:// www. Civilization . ca](http://www.Civilization.ca)

[http:// www. Islamonline .net](http://www.Islamonline.net)

[http:// www . annaharon Line .com](http://www.annaharonLine.com)

[http:// www. Adabwafan .com](http://www.Adabwafan.com)

[http:// www. ALBayan News paper .com](http://www.ALBayanNews paper.com)

